

# موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق

(قصص تربوية من حياة الأنبياء

والصحابية والتابعين والصالحين)

الجزء الأول

إعداد

ياسر عبد الرحمن



جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى للناشر  
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٤١٨١/٢٠٠٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N:

977 - 441 - 006 - 8

مركز السلام للتجهيز الفني

عبد الحميد عمر

٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

## مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت: ٥٣٢٦٦١٠ محمول: ٠١٠٢٣٢٧٣٠٢ - ٠١٠١١٧٥٤٤٧

[www.iqraakotob.com](http://www.iqraakotob.com)

Email: [info@iqraakotob.com](mailto:info@iqraakotob.com)

# إهداء

إلى كل من علمني حرفاً من القرآن

وأرشدني إلى طريق الإيمان

إلى أمي التي سهرت على راحتي

إلى أبي الذي تعب في تربيّتي

إلى زوجتي التي ساعدتني

إلى ابنتي واسأل الله أن يبارك فيها

إلى كل من كان له فضل عليّ

ياسر عبد الرحمن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد ..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وضح النبي ﷺ أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي حتماً، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان، فالرجل الذي يؤذي جيرانه يحكم الله عليه حكماً قاسياً فيقول الرسول ﷺ: «لا والله لا يؤمن، لا والله لا يؤمن، لا والله لا يؤمن». قالوا: من ذا يا رسول الله؟ قال: جار لا يأمن جاره بوائقه، قيل: وما بوائقه، قال:

شبهه» [رواه أحمد] ويعلم الرسول أصحابه الإعراض عن اللغو فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه البخاري].

على أن المنتسبين للإسلام يستسهلون أداء العبادات المطلوبة، ولكنهم يعملون أعمالاً يابأها الخلق القويم، وفي هذا ورد حديث النبي ﷺ قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقته غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها! قال: «هي في النار» ثم قال: يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقته وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط (الأثوار جمع ثور وهو القطعة من الأقط وهو اللبن الجفف) ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال: «هي في الجنة» [رواه أحمد].

ولقد سأل النبي ﷺ أصحابه يوماً فقال: «أتدرون من المفلس؟».

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» [رواه مسلم].

ودائرة الأخلاق تشمل الجميع، فقد ذبحت شاة لابن عمر فلما جاء قال: أهديتم لجاننا اليهودي؟

والهدف من كتابة هذه الموسوعة هو مواجهة التدهور الأخلاقي الموجود في المجتمع.

يقول محمد الغزالي: العبادات التي شرعت في الإسلام ليست طقوساً مبهمة بل هي تمارين متكررة؛ لتعود المرء أن يجي بأخلاق صحيحة، فالصلاة الواجبة عندما أمر الله بها أبان الحكمة من إقامتها.

والزكاة المفروضة ليست ضريبة، ولكنها غرس لمشاعر الحنان والرفقة لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: 102] ومن أجل ذلك وسع النبي ﷺ في دلالة كلمة الصدقة فقال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردي البصر لك صدقة، وإمطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو

أخيك لك صدقة» [رواه الترمذي].

وكذلك شرع الإسلام الصوم؛ فلم ينظر أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل حرمان النفس من شهواتها المحظورة؛ ولذا قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [رواه البخاري]، والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقد يحسب الإنسان أن الحج مجرد رحلة بعيدة عن المعاني الحقيقية، وهذا خطأ، والله تعالى يقول: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقًا وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهذه الموسوعة تحتوي على مجموعة من الأخلاق والصفات متضمنة القصص التربوية، وقمت بمراجعة الآتي في الموسوعة:

- قمت بالتعليق بعد معظم القصص بسؤال أو نصيحة أو توجيه تربوي لنتقل من ميدان القول إلى ميدان العمل، فليس الهدف من الموسوعة سرد القصص فحسب بل الالتزام بالمفاهيم التربوية والأخلاق الإسلامية.

- الإكثار من القصص لما لها من تأثير على النفوس، ونجد أن كثيراً من الناس يتأثر بالقصص أكثر من الموعظة المجردة، فالهدف هو اكتساب الأخلاق، فإذا تحققت فيك هذه الصفة فاحمد الله، وإن لم تتحقق فجاهد نفسك في الالتزام بها، واستعن بالله ثم بإخوانك، ولا تتعجل في الانتقال إلى الصفة الثانية حتى تتحقق الأولى، وليس شرطاً قراءة الموسوعة من أولها، بل انظر إلى الصفة التي تجد فيها تقصيراً في نفسك، واجتهد في الالتزام بها.

يفضل قراءة صفة واحدة يومياً أو أسبوعياً مع نفسك وأهلك وإخوانك وأبنائك، واجتهد كيف تتحقق فينا هذه الصفة عملياً من خلال التوجيهات التربوية، وليكن شعارنا هذا الأسبوع مثلاً «الصدق» أو «الأمانة».

ننبه أن ما سيأتي من كلام ونصائح وإرشادات وتوجيهات ستبقى حبراً على ورق ما لم تنتقل إلى حيز التنفيذ، وتدخل عالم الواقع.

ولا تنس أخي الحبيب الدعاء لمن كتب هذا الكتاب المتواضع بأن يكون هذا الجهد

في ميزان حسناته، وأن يتقبله منا خالصاً لوجهه الكريم، ونسعد بتقديم ملاحظاتكم للاستفادة منها.

وسيجد القارئ بعض القصص قد تكررت في أكثر من صفة رأينا الإبقاء عليها لأهميتها ودلالاتها، وهي مع ذلك قليلة العدد لا تكاد تلاحظ.

هذا هو جهد المقل، إن يكن خيراً فله الحمد والفضل، فما تحرك قلبي إلا بإذنه، ولا تحرك فكري إلا برزقه، وما جمعت ورتبت إلا بعونه.

وأعتذر عما قد يكون في هذا العمل من نقص، بما قال العماد الأصفهاني: «إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر».

وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله أن أذكركم وأنساه، وأعوذ بالله أن أكون جسراً تعبرون عليه إلى الجنة ويلقى به في النار، وهذا الجهد نسأل الله أن يتقبله وأن يجزي خيراً كل من عمل فيه أو ساهم في نشره.

والله نسأل أن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه،  
وأن ينفعنا بنصيحته ويفيدنا برأيه.

\*\*\*



## الإخلاص

لقد أثبتت الأيام أننا في حاجة إلى إخلاص الأعمال لله تبارك وتعالى، وكان صحابة النبي ﷺ يحرصون على إخلاص أعمالهم لربهم، ويجددون نياتهم في كل وقت وحين، ومن ظن أن في إخلاصه إخلاصاً فأخلاصه يحتاج إلى إخلاص، ولذا لا بد أن يراقب كل منا نيته: ماذا أريد بأكلامي؟ ماذا أريد بكلمتي؟ فإن أراد بها وجه الله أمضاها وإلا تركها ثم جدد نيته.

وقد وردت الآيات والأحاديث التي تحض على الإخلاص نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الأحاديث قوله ﷺ في الحديث المشهور «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» [متفق عليه].

وقوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [متفق عليه].

وسئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاقل حمية، ويقاقل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [متفق عليه]

قال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط.

قال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا

العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.  
 فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء،  
 قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية.  
 وقال بعض العارفين: إنني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلتي  
 وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء.

وقال أبو الدرداء: إنني لأستجم نفسي بشيء من اللهب فيكون ذلك عوناً لي على  
 الحق، وقال علي كرم الله وجهه: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ فَإِنَّهَا إِذَا أَكْرَهَتْ عَمِيتَ.  
 ولقد كان معروف الكرخي - رحمه الله تعالى - يضرب نفسه ويقول: يا نفسي أخلصي  
 تتخلصي.

وقال يعقوب المكفوف: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.  
 وقال سليمان: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى.  
 وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: من خلصت نيته كفاه الله  
 تعالى ما بينه وبين الناس. وكتب بعض الأولياء إلى أخ له: أخلص النية في أعمالك يكفك  
 القليل من العمل.

وقال أيوب السخيتاني: تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

### عشرة لا ينتفع بها:

يقول ابن القيم: عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها:

علم لا يعمل به.

وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء.

ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه في الآخرة.

وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به.

وبدن معطل من طاعته وخدمته.

ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامثال أوامره.

ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام به وقربة.

وفكر يجول فيما لا ينفع.

وخدمة من لا تُقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك.

وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته، ولا يملك لنفسه ضرراً ولا

نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة

الوقت، فإضاعة القلب من إثارة الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل،

فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى

والاستعداد للقاء، والله المستعان.

**من مظاهر الإخلاص:**

**إخفاء الطاعات:**

قال رجل لتميم الداري: ما صلاتك بالليل؟ فغضب غضباً شديداً، ثم قال: والله لركعة

أصليها في جوف الليل في سر أحب إليّ من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس.

وعن أبي بكر المروزي قال: كنت مع أبي عبد الله (يعني الإمام أحمد) نحواً من أربعة

أشهر، فكان لا يدع قيام الليل، وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها.. كان يسر ذلك.

**صاحب النقب:**

حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد حتى جاء

رجل من عرض الجيش فدخله وعالج الباب فكسره، ففتحه الله عليهم. فنادى مسلمة على

صاحب النقب، فما جاء أحد، قال: فليدخل على ساعة يأتي.

فأتى رجل فقال للحاجب: استأذن لي على الأمير.

فقال: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه.

فأتى مسلمة فأخبره الحاجب فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً.

- ألا تسودوا اسمه في صحيفة الخليفة.

- ولا تأمروا له بشيء.

- ولا تسألوه من هو.

فقال مسلمة: نعم، فمن هو؟ قال الرجل: أنا هو. ثم اختفى.

فكان مسلمة لا يصلي صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب.

ويقول عمرو بن العاص: ركعة بالليل خير من عشر بالنهار.

ويُروى أن إبراهيم النخعي كان إذا دخل عليه رجل وهو يقرأ في المصحف غطاه.

الخوف من الشهرة:

قال إبراهيم بن أدهم: ما قررت عيني يوماً في الدنيا قط، إلا مرة واحدة: بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام، وكان بي البطن (مغص)، فجاء المؤذن وجرتني برجلي حتى أخرجني من المسجد.

وإنما قررت عينه لأن الرجل لم يعرفه، ولذا عامله بعنف، وجره من رجله كأنه مجرم، وهو الذي ترك الإمارة والثروة لله تعالى.

وقال سليم بن حنظلة: بينما نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه، إذ رآه عمر فعلاه بالدره، فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال عمر: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع. وهي لفتة عمرية نفيسة إلى ما قد تحدثه هذه المظاهر البسيطة في بدايتها من عواقب وآثار بعيدة الغور في نفسية الجماهير التابعة، والقادة المتبوعين.

وعن الحسن قال: خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبعه ناس، فالتفت إليهم، فقال: علام تتبعونني؟ فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان.

وخرج أبو أيوب السخيتاني في سفر، فشيعة ناس كثيرون فقال: لولا أنني أعلم أن الله يعلم من قلبي أنني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل.

ولا يفهم من هذه الآثار الدعوة إلى الانطوائية والعزلة، فإن الذين رُويت عنهم إنما هم أئمة ودعاة مصلحون. والشهرة في ذاتها ليست مذمومة، ولكن المذموم هو طلب الشهرة والزعامة والجاه والحرص عليها.

ويقول الجنيد: إن لله عبادةً عقلوا، فلما عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع. وقال بشر الحافي: ما اتقى الله من أحب الشهرة.

ويقول أبو حامد الغزالي في باب محاسبة النفس: «ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه... أو ما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلب من بعض الناس إليك، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك أو أطاعك، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقى أنت، ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك؟ وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك، ولا ذكر من ذكرك، كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك».

ويقول وهيب بن الورد: خالطت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلاً غفر لي ذنباً فيما بيني وبينه، ولا وصلني إذا قطعته، ولا ستر عليَّ عورة، ولا أمنتني إذا غضب، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير.

وقال الشافعي: من طلب الرياسة فرت منه، وإذا تصدر الحدث فاته علم كثير<sup>(١)</sup>.

فإذا قلت: أي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء! فكيف فاتهم فضيلة الخمول؟ فاعلم أن المذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم. نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى، فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به، فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأما القوي فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك.

وقال ابن مسعود: كونوا يتابع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتحفون في أهل الأرض.

## اتهام النفس:

عن كنانة بن جبلة السلمي قال: قال بكر بن عبد الله: إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني.

وعن يونس قال: سمعت محمد بن واسع يقول: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني، من نتن ريحي.

وقال مالك بن دينار: والله لو وقف ملك بباب المسجد وقال: يخرج شر من في المسجد، لبادرتكم إليه.

وقال أيضاً: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل.

وقال له رجل: يا مرائي، قال: متى عرفت اسمي؟ ما عرف اسمي غيرك.

وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: مات سفيان الثوري عندي، فلم اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما أراك كثير الذنوب؟ فرجع سفيان شيئاً من الأرض، فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت.

وها هو الإمام ابن الجوزي يبكي عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام ألسنت قد فعلت كذا وكذا؟ فقال: والله إنني أخشى أن أكون فرطت ونافقت فيحق عليّ قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ وبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿[الزمر: ٤٧، ٤٨].

## سوء خاتمة المرائي:

قال منصور بن عمار رحمه الله: كان لي صديق مسرف على نفسه ثم تاب، وكنت أراه كثير العبادة والتهجد ففقدته أياماً، فقيل لي: هو مريض.

فأتيت إلى داره فخرجت إلى ابنته فقالت: من تريد؟ قلت: فلائاً، فاستأذنت لي، ثم دخلت فوجدته في وسط الدار، وهو مضطجع على فراشه، وقد اسود وجهه، وأذرفت عيناه، وغلظت شفتاه، فقلت له وأنا خائف منه: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله ففتح

عينه فنظر إلي شزراً، وغشي عليه، فقلت له ثانياً: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله، ثم ثالثاً، ففتح عينه وقال: يا أخي منصور، هذه كلمة قد حيل بيني وبينها فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قلت له: يا أخي، أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام؟

فقال: كان ذلك لغير الله، وكانت توبتي كاذبة، إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني وأذكر به، وكنت أفعل ذلك رياء للناس، فإذا خلوت إلى نفسي أغلقت الباب وأرخت الستور، وشربت الخمر، وبارزت ربي بالمعاصي، ودمت على ذلك مدة فأصابني المرض، وأشرفت على الهلاك.

### الفرق بين النسيجين:

لما أخذ دود القز ينسج الحرير أقبلت العنكبوت تشبهه وتسج ثم نسجت وقالت: يا دودة القز لك نسج ولي نسج، ولا فرق بين النسيجين، قالت دودة القز: نسجي أردية الملوك، ونسجك شبكة الذباب، وعند مس النسيجين يتبين الفرق.

قد يتصدق اثنان: الأول بدينار واحد، والثاني بمائة دينار. ويكون الأول أسبق من الثاني وأعلى منزلة. وقد يصلي رجل ركعتين والثاني الليل كله، ويكون الأول أسبق من الثاني وأعلى منزلة فالعبرة إذن ليست بكثرة العمل ولكن بالإخلاص وعلو الهمة.

يقول الغزالي: «فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة، وعلو الهمة، وتجريد القصد، وصحة النية، مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير، والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير والتقدم، والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم، وصدق الرغبة، والعزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكون صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همته تقدم عليه بعمله».

ولا يفهم من ذلك الاقتصار في العبادة، ولكن يجب الزيادة في العمل مع الإخلاص.

### ستبعث وحدك:

يقول بعض الحكماء: خرجت من بطن أمي وحدي، ودخلت إلى قبري وحدي، وأحاسب بين يدي الله تعالى وحدي، فمالي والناس؟.

ويقول ابن الجوزي: واشوقاه إلى أرباب الإخلاص، واتوقاه إلى رؤية تلك الأشخاص. إني لأحضر ذكركم فأغيب وإني وقي بتذركم ليطيب.

ويقول عمر بن الخطاب: لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيتها رجل واحد ثم جاءه الموت، لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره ثم استيقظ، فإذا ليس في يده شيء.

### الإخلاص مسك:

يقول ابن الجوزي: الإخلاص مسك مصون في مسك القلب تنبه ريمه على حامله، العمل صورة والإخلاص روح، المخلص يعد طاعته لاحتقاره لها عرضاً وقلم القبول قد أثبتها في الجوهر خالصاً... وعمل المرثي بصلة كلها قشور، المرثي يحشو جراب العمل رملاً فيثقله ولا ينفعه، ربح الرياء جيفة تتحاماها مسام القلوب، وما يخفى المرثي على مسانح الفطن.

وذاة يوم قرأ عمر بن عبد العزيز قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ فبكى بكاءً شديداً حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة، فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحالة يبكون، فقال: يا أبتاه... ما يبكيك؟ قال: خير يا بني، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

وقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]، فكل سوء عملناه جزينا به؟!!

فقال النبي ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، قالها ثلاثاً: يا أبا بكر أأنت تمرض؟، أأنت تحزن؟ أأنت تنصب؟ أأنت يصيبك الأذى؟ أأنت تصيبك اللأواء» (الشدة) قلت: نعم، قال: فما تجزون به في الدنيا» رواه أحمد.

وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منزل مسن



منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وقال رسول الله ﷺ: ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفضح منه (الترمذي).

وعن ثابت البناني قال: قال مطرف بن عبد الله: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلى نفسي.

وعن ثابت عن مطرف قال: لأن يسألني ربي عز وجل يوم القيامة فيقول: يا مطرف ألا فعلت؟ أحب إلي من قوله لم فعلت؟ وعنه قال أيضًا بعرفة: اللهم لا ترد الجميع من أجلي؟

وصلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر، ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح، وقد علاه كآبة، فقال: لقد رأيت أصحاب محمد فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا، صفرًا، غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، وقد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، فإذا أصبحوا ذكروا الله، وتمادوا كما تميد الشجرة في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم، والله لكأنني بالقوم قد باتوا غافلين، ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكًا حتى كان مقتله، ﷺ وأرضاه.

### الإخلاص لربك:

يقول ابن الجوزي: عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد يرجو بذلك قربه من قلوبهم، وينسى أن قلوبهم بيد من يعمل له، فإن رضي عمله ورآه خالصًا لفت القلوب إليه، وإن لم يره خالصًا عرض بها عنه، ومتى نظر العامل إلى التفات القلوب إليه فقد زاحم الشرك؛ لأنه يتبغي أن يقنع بنظر من يعمل له. ومن ضرورة الإخلاص ألا يقصد التفات القلوب إليه، فذاك يحصل لا بقصده بل بكرهته، لذلك وليعلم الإنسان أن أعماله كلها يعلمها الخلق جملة، وإن لم يطلعوا عليها، فالقلوب تشهد للصالح بالصلاح، وإن لم يشاهد منه ذلك، فأما من يقصد رؤية الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعًا، لأنه غير مقبول عند الخالق، ولا عند الخلق، لأن قلوبهم قد التفتت عنه، فقد ضاع العمل وذهب العمر.

## التوبة

التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أولها: الإقلاع عن المعصية،

ثانيها: أن يندم على فعلها،

ثالثها: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً،

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد كذب ونحوه طلب عفوّه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

### انتبه

يقول ابن الجوزي: يا من عمره كلما زاد نقص، يا مائلا إلى الدنيا هل سلمت من النقص؟ يا مفرطاً في عمره هل بادرت الفرص؟ يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له الهدى نقص، من لك يوم الحشر عند نشر القصص؟ عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة، نسيت أهوال يوم الواقعة، ولأن تقر وعظها فتصغي لها سامعة، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة، والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة، وليست لها في حال من الأحوال طائعة، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة، بعد أن وضحت من الهدى سبيل واسعة، والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازعة، لم تكن مواعظ للعقول لها نافعة، وقلوب تضمّر التوبة إذا فزعت بزواجر رادعة، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة.

## عباد الله

تدبروا العواقب واحذروا قوة المناقب، اخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب، أين الذين تعدوا في طلب المنى وقاموا، وداروا على دار الرحيل وحاموا؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا! لقد ونجوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولا مواء.

## عتاب

يا من بأقذار الخطايا قد تلتطخ، وبآهات البلايا قد تضمخ، يا من سمع كلام من لام ووبخ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسي يفسخ، يا مطبقاً لسانه والملك يحصي وينسخ، يا من طير الهوى في صدره عشش وفرخ، كم أباد الموت ملوكاً كالجبال الشمخ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ، وأسكنهم ظلم اللحد ومن ورائهم برزخ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ، يا مبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ!!

## استيقظ من نومك

أما والله لو علم الأنام	لما خلقتوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لورأته	عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
موت ثم قبر ثم حشر	وتويخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال	فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا	كأهل الكهف أيقاظ نيام

## أيها العبد

لا شيء أعز عليك من عمرك وأنت تضيعه، ولا عدو لك كالشيطان وأنت تطيعه، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت تصافيهها، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها لقد مضى من عمرك الأطايب يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتمع العيب والشيب من المصائب، أين البكا لخوف العظيم الطالب.

## وقفه مع النفس

كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب، إذا أتتك الأماني بظن كاذب، الموت صعب شديد مر المشارب، يلقي شره بكأس صدور الكتائب، فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب، يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب، يا آملاً أن تبقى سليماً من النوائب.

## يا معرضاً

ابن آدم كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وأنت تعلم أنها مفيدة؟ وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟ يا معرضاً عنا إلى متى هذا الإعراض؟ يا غافلاً عن الموت والعمر لا شك في انقراض.

## أين من سبقك؟

أين من حصن الحصون المشيدة واحترس، وعمر الحدايق فبالغ وغرس، نصب لنفسه سري العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس، أزعجه والله هادم اللذات واختلس، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس.

## القطارييسير

يا من يرحل في كل يوم مرحلة، وكتابه قد حوى حتى الخردلة، ما ينتفع بالندير والندر متصلة، ولا يصغى إلى ناصح وقد عدله، ودروعه مخرقة والسهام مرسله، نور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله، وهو يؤمل البقاء ويرى مصير من قد أمله، قد انعكف بعد الشيب على العيب، كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة، ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله، فيا عجباً من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن.

## الرسول ﷺ يستغفر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» [رواه البخاري].

### الله يفرح بك

عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [رواه مسلم].

### الله ينادي عليك

عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: قال: عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه مسلم].

### التوبة واجبة على الدوام

فإن الإنسان لا يخلو من معصية، ولو خلا عن معاصي بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، فإن خلا عن ذلك لم يخل عن وساوس الشيطان بإيراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله، ولو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص ولا يسلم أحد من هذا النقص حتى تقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

### احذراستصغارالذنب

قال ابن مسعود ؓ: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابة وقعت على أنفه.

وعن أنس ؓ قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» [رواه البخاري].

وقال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

### لا تفرح بالصغيرة وتجهربها

عن أبي هريرة ؓ قال: قال: إن النبي ﷺ قال: «كل أمي معافي إلا المجاهرين؛ وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» [رواه مسلم].

### طريق التوبة :

قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ ويحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله عز وجل إلا غفر له» [رواه أبو داود و الترمذي].

### احذر التسويف

يقول ابن القيم: إن أكثر أهل النار من المسوفين كرجل احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة، فقال: أواخرها سنة ثم أعود إليها وهو لا يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه.

### راجع حساباتك

أن يرد ففكرك إلى أول يوم بلغت فيه الحلم، وتفتش عما مضى من عمرك سنة سنة، وشهراً شهراً، ويوماً يوماً، وتنظر إلى الطاعات وإلى المعاصي وتفصل ديوان معاصيك وتوب إلى الله وتعزم على فعل الحسنات، وينبغي أن تمحي كل سيئة بحسنة.

### الرسول ﷺ يعلمنا

رسول الله ﷺ يستغفر، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول ابن حجر: يحتمل أن يكون استغفاره عن اشتغاله بالأمر المباحة من أكل وشرب عن الاشتغال بذكر الله فيرى بذلك ذنباً إلى المقام الأعلى؛ كما يفعل المصلي بعد صلاته يشرع في الاستغفار، وهل كان هو في ذنب، فاعلم أننا نحتاج إلى التوبة والاستغفار فإن لم يكن عن توبة الذنوب، فالاستغفار للتقصير في شكره، وعبادته، والتوبة أول تشريع شرع للبشر، فعندما نسي آدم وأكل من الشجرة تاب إلى ربه.

### استغفر

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» [رواه مسلم].

### استغفار يحتاج إلى استغفار

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الاستغفار

المطلوب هو الذي يحل عقدة الإصرار، فمن قال بلسانه: استغفر الله وقلبه مصر على المعصية فاستغفاره يحتاج إلى استغفار.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف» [رواه الترمذي].

### أسئلة محيرة

يقول ابن القيم: هل في الدنيا شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي، فما الذي أخرج آدم من الجنة؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم؟ وما الذي رفع قوم لوط حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم حجارة من السماء؟ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه؟ وما الذي خسف بقارون وداره؟

### علامات التائب

منكسر القلب.. غزير الدمع.. حي الوجدان.. قلق الأحشاء.. صادق العبارة.. جم المشاعر.. جياش الفؤاد.. مشوب الضمير.. في قلبه حرقه.. وفي وجدانه لوعة.. وفي وجهه أسى.. وفي دمه أسرار.. إذا هدل الحمام بكى.. وإذا صاح الطير ناح.. وإذا شدا البلبل تذكر.. وإذا لمع البرق اهتز قلبه.. خوفاً ممن يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.. يجد للطاعة حلاوة.. ويجد للعبادة طلاوة.. يجد للإيمان طعمًا.. يجد للإقبال لذة.. يكتب من الدموع قصصًا.. وينظم من الآهات أبياتًا.. ويؤلف من البكاء خطابًا.. التائب كالأم اختلس طفلها ثم اختلست طفلها من يد الأعداء أتدري كم فرحتها!.. أتقدر سعادتها!؟

والتائب كالغائص في البحر.. إذا نجا من اللجة إلى الشاطئ.. بعد أن أيس من النجاة.. ترى الذل قد علاه.. والحزن قد واهه.. يذم نفسه على هواه.. وبذلك صار عند الله ممدوحًا.. لأنه تاب إلى الله توبة نصوحًا.

### هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم

ما خلى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك، وخلى بينك وبين نفسك، ولو

عصمك ووقفك لما وجد الذنب إليك سيلاً، فقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك ويخلي بينك وبينه، والتوفيق أن لا يكلك إلى نفسك.

### إلهي

لم يكن ما كان مني استهانة بجمك، ولا جهلاً بك، ولا إنكاراً لاطلاعك، ولا استهانة بوعيدك، وإنما كان من غلبة الهوى، وضعف القوة عن مقاومة مرض الشهوة وطمعاً في مغفرتك واتكلاً على عفوك، وحسن ظن بك، ورجاء لكرمك، وطمعاً في سعة حلمك ورحمتك، وغرني بك الغرور والنفس الأمارة بالسوء وبترك المرخي عليّ، وأعاني جهلي ولا سبيل إلى الاعتصام إلا بك، ولا معونة على طاعتك إلا بتوفيقك.

### اتهم توبتك

يقول ابن القيم: يجب أن يخاف العبد أن توبته لم تقبل، وأنه لم يبذل جهده في صحتها وأنها توبة علة، وأنه لا يشعر بها كتوبة أرباب الحوائج، أو أنه تاب محافظة على حاله فتاب للحال، لا خوفاً من ذي الجلال، أو أنه تاب للراحة من الكد في تحصيل الذنب أو اتقاء ما يخافه على عرضه وماله ومنصبه، أو لضعف داعي المعصية في قلبه، وخمود نار شهوته، أو لمنافاة المعصية لما يطلبه من العلم والرزق، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في كون التوبة خوفاً من الله، وتعظيماً لحرماته، وإجلالاً له، وخشية من سقوط المنزلة عنده.

ومن اتهام التوبة أيضاً ضعف العزيمة، والتفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة، وتذكر حلاوة مواقعه. ومن اتهام التوبة طمأنينته ووثوقه من نفسه بأنه قد تاب حتى كأنه أعطي منشوراً بالأمان. ومن علاماتها جمود العين واستمرار الغفلة، وأن ما يستحدث بعد التوبة أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة.

### علامات التوبة المقبولة

- أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها.
- أنه لا يزال الخوف مضاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين؛ فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].



- انخلاع قلبه وتقطعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٠] قال: تقطعها بالتوبة، ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه وهذا هو تقطعه، وهذا حقيقة التوبة لأنه يتقطع قلبه حسرة وخوفًا، تقطع في الآخرة إذا حقت الحقائق و عاين ثواب المطيعين وعقاب العاصين، فلا بد من تقطع القلب إما في الدنيا وإما في الآخرة، ومن موجبات التوبة الصحيحة أيضا كسرة خاصة تحصل للقلب لا يشبهها شيء ولا تكون لغير المذنب لا تحصل بالجوع ولا بالرياضة، وإنما هي كسرة تامة، بين يدي الرب قد أحاطت به من جميع جوانبه.

يا رب : أسألك بعزك وذلي إلا رحمتي، وأسألك بقوتك وضعفي، وبغناك وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين وابتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه.

### حجة باطلة :

إن كان القدر حجة لك أيها الظالم الجاهل في ترك حق ربك، فهلا كان حجة لعبدك وأمتك في ترك بعض حقاك؟ بل إذا أساء إليك مسيء، وجنى عليك جان واحتج بالقدر: لاشتد غضبك عليه، وتضاعف جرمه عندك، ورأيت حجته داحضة ثم تحتج على ربك به، وتراه عذراً لنفسك؟ فمن أولى بالظلم والجهل ممن هذه حاله؟!

### عجبا لك :

الله أعطاك السمع والبصر والفؤاد، وعرفك الخير والشر، والنافع والضار، وأرسل إليك رسوله وأنزل إليك كتابه، ويسره للذكر والفهم والعمل، وأعانك بمدد من جنده الكرام يشبتونك ويحاربون عدوك، ويريدون منك ألا تميل إليه وأنت تأبى إلا مظاهرته عليهم وموالاته دونهم، طرد إبليس عن سمائه، وأخرجته من جنته وأبعده من قربه؛ إذ لم يسجد لك وأنت في صلب أبيك آدم، لكرامتك عليه فعاداه وأبعده، ثم واليت عدوه وملت إليه وصالحته، وتتظلم مع ذلك وتشتكي الطرد والإبعاد.

**بدل بيئتك :**

عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنه بها أناس يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا تصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صور آدمي فجعلوه بينهم - أي حكما - فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاوسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» متفق عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فكان إلى القرية الصالحة بشر فجعل من أهلها» وفي رواية في الصحيح: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له».

**توبة صادقة :**

روي أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه السلام، فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا كليم الله! ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث.

فقام معهم وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون، فقال موسى عليه السلام: إلهي اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك وارحمنا بالأطفال الرضع والبهائم الرتع والمشايخ الرقع، فما زادت السماء إلا تقشعاً والشمس إلا حرارة! فتعجب نبي الله موسى فأوحى الله إليه وقال: يا موسى فيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم فيه منعتكم.

فقال موسى: إلهي وسيدي أنا عبد ضعيف وصوتي ضعيف فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه منك النداء ومني البلاغ. فقام نادياً وقال: يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة اخرج من بين أظهرنا فبك منعنا المطر.

فقام العبد العاصي فنظر ذات اليمين وذات الشمال فلم ير أحداً خرج فعلم أنه

المطلوب وقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق افتضحت على رؤوس بني إسرائيل، وإن قعدت معهم منعوا لأجلي فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على فعاله وقال:

إلهي وسيدي عصيتك أربعين سنة وأمهلني وقد أتيتك طائعاً فاقبلني، فلم يستم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمطرت كأفواه القرب.

فقال موسى: إلهي وسيدي بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال: يا موسى سقيتكم بالذي منعكم. فقال موسى: إلهي أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى إنني لم أفضحه وهو يعصيني أفضحه وهو يطيعني.

### توبة هارون الرشيد

حكى عن أبي يوسف -رحمه الله- أنه أشهد عنده أمير من عظماء جيش أمير المؤمنين هارون الرشيد، وكان من أقربائه، فلم يقبل شهادته، فشكا إلى هارون، فقال هارون: لم رددت شهادته؟

قال: لأنني سمعته يوماً بين يديك يقول: أنا عبد أمير المؤمنين، فإن كان صادقاً؛ فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذباً؛ فلا شهادة للكاذب.

فقال هارون: إن شهدت فهل تقبل شهادتي؟ قال: لا.

فقال: ولم؟ قال: لأنك تتكبر على الله فلا تخرج إلى الجماعة، ولا تصلي مع عامة المسلمين، وهذا تكبر على الله، ولا يليق بالعبد هذا.

فتاب هارون على ذلك، واتخذ مسجاً للجماعة على بابه، وكان يخرج إليه عند كل صلاة.

### توبة مالك بن دينار

روي عن مالك بن دينار أنه سئل عن سبب توبته، فقال: كنت شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمر، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة، ووقعت مني أحسن موقع، فولدت لي بنتاً، فشغفت بها، فلما دببت على الأرض ازدادت في قلبي حبا، وألفتني وألفتها، قال: فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته على ثوبي، فلما تم لها ستان ماتت، فأكدمني حزنها، فلما كانت ليلة النصف من شعبان، وكانت ليلة الجمعة، بت ثملاً من الخمر، ولم أصل فيها العشاء الآخرة، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت، ونفخ في

الصور، وبعثرت القبور، وحشر الخلائق وأنا معهم، فسمعت حساً من ورائي، فالتفت، فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مشرعا نحوي، فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا، فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: أيها الشيخ، أجرني من هذا التنين أبارك الله، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه، فوليت هاربا على وجهي، فصعدت على شُرْف من شرف القيامة، فأشرفت على طبقات النيران، فنظرت إلى هولها، وكدت أهوى فيها من فزع التنين، فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأنت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجبرني من هذا التنين فلم تفعل، فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل، فإن فيه ودائع المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستصرك، قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة، وفيه كوى مخرمة وستور معلقة فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربا والتنين من ورائي، حتى إذا اقتربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا الستور فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه، فإذا الستور قد رفعت، فرأيت أطفالاً بوجوه كالأقمار، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري، فصاح بعض الأطفال: ويحكم، أشرفوا وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت على معهم، فلما رأيتني بكت وقالت: أبي والله، ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي، فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا، ثم أجلسني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت: يا أبت ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فبكيت وقلت: يا بنية أخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني، قالت: ذلك عمك السوء قوته فأراد أن يفرقك في نار جهنم، قلت فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي، فقالت: يا أبت ذلك عمك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعمك السوء، قلت: أي بنية! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة نتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم، قال مالك: فانتبهت فزعا وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله، وهذا كان سبب توبيي.

## الصبر

### من سنن الكون

الانتظار والمصابرة خصال تتسق مع سنن الكون، فالزرع لا ينبت ساعة البذر، بل لابد من المكث شهوراً، والجنين يظل في بطن الحامل شهوراً حتى يستوي خلقه، وقد أعلمنا الله أنه خلق العالم في ستة أيام، وما كان ليعجز أن يقيمه في طرفة عين أو أقل. ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

الصبر إذا كان في مصيبة سمي صبراً وضده الجزع، وإذا كان في الحرب سمي شجاعة ومضاده الجبن، وإذا كان في كظم الغيظ سمي حلماً ومضاده التذمر. وقد جمع الله أقسام الصبر في قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ (أي المصيبة) وَالضَّرَّاءِ (أي الفقر) وَحِينَ الْبَأْسِ (أي المحاربة) أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

### الإيمان نصفان

يقول ابن القيم: الإيمان نصفان نصف صبر، ونصف شكر.

اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، وربطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء، لعلكم تفلحون في دار البقاء.

### الصبر الجميل

وقد أمر الله في كتابه الكريم بالصبر الجميل وهو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل وهو الذي لا عتاب فيه، والهجر الجميل وهو الذي لا أذى فيه.

### عاقبة الصبر

نظر الله بعين الاختيار إلى آدم، فحظي بسجود ملائكته فأقامه في منزلته، وإلى إدريس فاحتال بإلهامه على جنته، وإلى نوح فنجاه من الغرق بسفينته، وإلى هود فعاد على عاد شؤم مخالفته، وإلى صالح فتمخضت صخرة بناقته، وإلى إبراهيم فتبختر في حلة خلته، وإلى إسماعيل فأعان الخليل في بناء كعبته، وإلى لوط فنجاه وأهله من عشيرته، وإلى

شعيب فأعطاه الفصاحة في خطبته، وإلى يوسف فأراه البرهان في همته، وإلى موسى فخطر في مكالمته، وإلى داود فالآن الحديد له على حدته، وإلى سليمان فراحت الريح في مملكته، وإلى أيوب فيا طوبى لركضته، وإلى يونس فسمع نداءه في ظلمته، وإلى زكريا فقرن سؤاله ببشارته، وإلى عيسى فكم أقام ميتاً في حفرته.

### لا يتنافى مع الصبر

الشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل، والنبى إذا وعد لا يخلف وقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وكذلك أيوب أخبر الله عنه: أنه وجده صابراً مع قوله: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] إنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقه وضرورة، فقال: يا هذا تشكو من يرحمك؟

وإذا عرتك بليّة فاصبر لها      صبر الكريم فإنه بكم أعلم  
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما      تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

### أخاطبك على قدر عقلك

يحكي عن امرأة من العابدات أنها عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت، فقال لها بعض من معها: أتضحكين، وقد انقطعت إصبعك؟ قالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها.

لئن ساءني أن نلتني بمساءة      فقد سرنني أني خطرت بيالك

### الصبر مفتاح الفرج

ولرب نازلة يضيق بها الفتى      ذرعاً وعند الله منها المخرج  
ضاق فلما استحكمت حلقاتها      فرجت وكنت أظنها لا تفرج

فالصبر ضرورة دنيوية كما أنه ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا، ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر، لولا صبر الزارع على بذره ما حصد، ولولا صبر الغارس على غرسه ما مضى، ولولا صبر الطالب على درسه ما تخرج، ولولا صبر المقاتل في ساحة الوغى ما انتصر، وهكذا

كل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر، واستمروا المر، واستعذبوا العذاب، واستهانوا بالصعاب، ومشوا على الأشواك، وحفروا الصخور بالأظافر، ولم ييالوا بالأحجار تقف في طريقهم، والطعنات تغرس في ظهرهم، وبالشرك تنصب للإيقاع بهم، وبالكلاب تنبح من حولهم، بل مضوا في طريقهم غير وائين ولا متوقفين، متذرعين بالعزيمة، مسلحين بالصبر قد يعثرون ثم لا يلبثون أن ينهضوا، وقد يخطئون ثم يوشكون أن يصيبوا، وقد يجرحون ثم لا يلبث جرحهم أن يندمل، وقد يفشلون مرة ومرة فلا يلقون السلاح ولا يستسلمون لليأس ولا يفقدون نور الأمل، لقد عرف عشاق المجد، وخطاب المعالي، وطلاب السيادة أن الرفعة في الدنيا كالفوز في الآخرة، لا تنال إلا بركوب متن المشقات، وتجرع غصص الآلام، والصبر عن كثير مما يجب.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله      لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

### ثمن الجنة

من ظن أن طريق الإيمان مفروشة بالأزهار والرياحين، فقد جهل طبيعة الإيمان بالرسالات، وطبيعة الأعداء، يقول تعالى: ﴿الم \* أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، وقال أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، الجنة إذن لا بد لها من ثمن، وهي سلعة غالية، فلا مفر من الثمن، وقد دفعه أصحاب الدعوات من قبل، فلا بد أن يدفعه إخوانهم من بعد.

### بيان من الله

يقول تعالى: ﴿وَلْتَبْلُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

فالبلاء هنا بلاء عام، يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات، ومن لطف الله تعالى ورحمته هنا أنه جعل البلاء ﴿بشياً من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ وتنكير شيء هنا للتقليل والتحقير، لأن ما هو أكبر وأكثر لا يطيقون، فمسهم بشيء قليل من البلاء، تخفيفاً عنهم، وقال تعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ

أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿آل عمران: ١٨٦﴾ وصف الله الأذى المسموع من أهل الكتب والمشركين بالكثرة (أذى كثيراً) وهذا يدل على أن حرباً كلامية ستعلن على أهل الإيمان.

### لا لأخلاق الأطفال

الصبر من عناصر الرجولة الناضجة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله، لم يستأجر أطفالاً أو مرضى إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء و البلاء مكافئ لما أوتوا من مواهب ولما أدوا من أعمال.

وهذا قائد أمريكي يقول: لا تسأل الله أن يخفف حملك، ولكن اسأل الله أن يقوي ظهرك، وإن خفة الحمل وفراغ اليد، وقلة المبالاة، صفات قد يظفر الأطفال منها بقسط كبير، لكن مشاغل العيش وهموم الواجب ومرارة الكفاح واستدامة السعي، هي أخلاق المجاهدين البنائين.

### من أسماء الله الحسنى: الصبور

أي هو الذي لا يستعجل في معاقبة العاصين وتأديب المذنبين، وهو الذي لا تضره المعاصي، وهو الآخذ بالنواصي، وهو الذي إذا قابلته بالجفاء قابلك بالإحسان، وإذا واجهته بالعصيان أقبل عليك بالغفران، أما صبر المولى عز وجل على العاصي وعدم أخذه بالعقوبة العاجلة فظاهر في قول النبي ﷺ: «ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى يسمعه من الله، إهم ليدعون له ولداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم» فبعد الصبور لا يستعجل دفع الملمات وما أمره الله به من الطاعات.

### غالب أعداءك

الصبر واجب لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وصيغة المصابرة تفيد مفاعلة من جانبين، والمعنى هنا مغالبة الأعداء في الصبر، وذلك أننا إذا كنا نصبر على حقنا، فإن المشركين يصبرون على باطلهم، فلا بد أن تغلبهم بصبرنا، وأن يكون صبرنا أكد وأقوى، ولذا حكى القرآن عن المشركين استمساكهم بالصبر على ضلالهم وشركهم وتواصيهم بذلك: ﴿وَأَنطَقَ الْمَلَأُ



مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ [ص: ٦] فالصبر مع نفسك، والمصابرة: بينك وبين عدوك، والمرابطة: الثبات وإعداد العدة. وكما أن الرباط لزوم الشجر لئلا يهجم منه العدو فكذلك الرباط أيضاً، لزوم ثغر القلب، لئلا يهجم منه الشيطان فيملكه أو يخربه.

### عجبا لك

عن أبي يحيى صهيب بن سنان قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» [رواه مسلم].

### اتقي الله

عن أنس قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبي، ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» [متفق عليه].

### امرأة من أهل الجنة

عن عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها. [متفق عليه].

### بشرى

عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» [متفق عليه].

وعن ابن مسعود قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً قال: «أجل إني أدعك كما يوعك رجلان منكم» قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها» [متفق عليه].

**لا تطلب الموت:**

عن أنس قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» [متفق عليه].

**انظر إلى من سبقك**

عن أبي عبد الله خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل منها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد، مساً دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [رواه البخاري].

**الله يجبك**

قال رسول الله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» [رواه الترمذي].

**قصة امرأة صالحة**

عن أنس قال: كان ابن لأبي طلحة ؓ يشتكي: فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان. فقربت له العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أعرستم الليلة؟ قال: نعم، قال: اللهم بباركهما، فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: أحمله حتى تأتي به النبي ﷺ وبعث معه بتمرات فقال: معه شيء؟ قال: نعم تمرات، فأخذها النبي، فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي ثم حنكه وسماه عبد الله « متفق عليه،

وفي رواية البخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن، يعني من أولاد عبد الله المولود.

**عند الغضب**

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه

عند الغضب» متفق عليه.

وعن سليمان بن سرد قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، وأحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد» فقالوا له إن النبي ﷺ قال: «تعوذ بالله من الشيطان الرجيم» متفق عليه.

وعن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله سبحانه وتعالى على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء» [رواه الترمذي].

### رد الأمانة

إذا فقد الأب ولده فإن الملك استرد عبده، وإذا قال الوالد: ولدي، قال الله: عبدي، أنا قبل غيري أولى به وأحق.

روي مالك عن القاسم بن محمد: هلكت امرأة لي فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه، عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة كان بها معجباً، فماتت فوجد عليها وجداً - أي حزناً شديداً - حتى دخل في بيت وأغلق على نفسه واحتجب، فلم يكن يدخل عليه أحد، فسمعت به امرأة من بني إسرائيل فجاءته فقالت: إن لي حاجة أستفتيه فيها، ليس يجزيني إلا أن أشافهه بها، ولزمت بابه، فأخبر بها، فأذن لها فقالت: أستفتيك في أمر، قال: وما هو؟ قالت: إنني استعرت من جارية لي حلياً، فكنت ألبسه زماناً، ثم إنها أرسلت تطلبه، فأرده إليها؟ قال: نعم والله!! قالت: إنه قد مكث عندي زماناً!! فقال: ذاك أحق لردك إياه! فقالت له: يرحمك الله، أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك، وهو أحق به منك؟! فأبصر ما كان فيه، ونفعه الله بقولها.

### كمال الرضا عن الله

كان للتابعي الجليل عمر بن ذر الهمداني ولد فمات، وجاء أهل بيته يبكونه أشد البكاء ويتحجون عليه أشد التحجب، ورآهم عمر فقال لهم: ما لكم. إنا والله ما ظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنا بحق ولا أخطئ بنا ولا أريد غيرنا ومالنا على الله معتب.

وسمع أصحابه بموت ولده فقالوا: الآن يضيع الشيخ فقد كان ابنه باراً لوالديه أشد البر مطيعاً لهما لأجل ما تكون طاعة الوالد فسمعهم الشيخ فبقى متعجباً يتمتم: أنا أضيع؟

حتى إذا واره التراب وقف على قبره يقول: رحمك الله يا بني، والله لقد كنت بي باراً، ولقد كنت عليك حديباً، وما بي إليك من وحشة، وما إلى أحد بعد الله فاقة، ولا ذهبت لنا بعز، ولا أبقيت علينا من ذلك، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك.

يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه فليت شعري يا ذر ما قيل لك وماذا فعلت.

اللهم إنك وعدتني الثواب بالصبر على ذر اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك، اللهم إني قد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر لذر صلة مني، فتجاوز عنه فإنك أرحم به مني وأكرم. فلما ذهب لينصرف قال: يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

يقول عمرو بن جرير فبقى القوم متعجبين مما ظنوا بالشيخ ومما رأوا من رضاه عن الله وتسليمه له.

### من لطائف الأدب

في نداء أيوب لربه أنه لم يسأله شيئاً معيناً كالشفاء، إنما اكتفى بأن ذكر نفسه بالحاجة والضعف وذكر ربه بما هو أهله: ﴿أَيُّ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

### فهم خاطئ

ويظن بعض الناس أن الإسلام يمجّد الألام لذاتها ويكرم الأوجاع، وهذا خطأ، فعن أنس بن مالك قال: رأى رسول الله ﷺ شيخاً يهادى بين ابنيه، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي! فقال رسول الله ﷺ: إن الله عن تعذيب هذا لغني، وأمره أن يركب [رواه البخاري].

وعن ابن عباس أن أخت عقبة نذرت الحج ماشية، وذكر عقبة لرسول الله ﷺ أنها لا تطيق ذلك، فقال رسول الله: «إن الله لغني عن مشي أختك، فلتركب ولتهدِ بدنة» [رواه أبو داود].

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾.

وإنما يحمد الإسلام لأهل البلى وأصحاب المتاعب رباطة جأشهم وحسن يقينهم.

### لا تلعنها

فقد دخل النبي ﷺ على امرأة مريضة فوجدها تلعن الداء وتسب الحمى، فكره منها هذا المسلك وقال لها مواسياً: «إنها - أي الحمى - تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد» [رواه مسلم].

### محن في طيها منح

من الخطأ أن يحسب المسلم أن تلاحق الأذى عليه آية على نسيان الله له، قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل، ابتلاه الله في جسده أو ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل» [رواه أحمد].

### هل رأيت حبيباً يعذب حبيبه؟

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] إنما هو سبحانه يتلي عباده ليضع عنهم الأوزار، ويصرف عنهم عذاب النار، والصبر عطاء، فعن أبي سعيد: قال رسول الله ﷺ: «وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر» [متفق عليه]. وهو علامة حب، عن أنس: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» [رواه الترمذي].

ما حظي الدينار بنقش اسم الملك، حتى صبرت سبيكته على التردد على النار، فنفت عنها كل كدر، ثم صبرت على تقطيعها دنانير، ثم صبرت على ضربها على السكة، فحينئذ ظهر عليها رقم النقش (كتب في قلوبهم الإيمان).

### ابتنس في مقابلة المحن

لعل قطعة الخشب كانت معذورة وهي تشكو للمسمار الذي يفلقها، ويدخل في أحشائها قائلة له: مهلاً يا عزيزي المسمار كف عن الصراخ والشكوى.. ارحمني من عنفوان الاختراق. فقال لها باسمًا: اعذرنني فأنا مكره ومضطر من كثرة الدق على رأسي بالمطرقة.

الخطوة الأولى في مقابلة المحنة هي الابتسام مع الصبر، فعندما يتأخر القطار لا تلعن الأقدار وارضي بما حدث وحاول الابتسام.

## الفرج بعد الشدة

حج رجل علوي فلما طاف بالبيت وأدى نسكه وأراد الخروج إلى «منى» أودع رحله وما كان معه بيتًا وقفل بابه، فلما عاد وجد الباب مفتوحًا والبيت فارغًا.

قال: فتحيرت ونزلت بي شدة ما رأيت مثلها فاستسلمت لأمر الله، ومضى علي ثلاثة أيام ما طعمت فيها شيئًا.

فلما كان اليوم الرابع بدأ بي الضعف وخفت على نفسي وذكرت قول جدي رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» [رواه ابن ماجه] فخرجت حتى شربت منها ورجعت لأستريح فعثرت في الطريق بشيء فأمسكته فإذا هو هميان<sup>(١)</sup> داخله ألف دينار، فجلست في الحرم وناديت: من ضاع منه شيء فليأتني بعلامة ويأخذه.

وانقضى يومي ولم يأتني أحد، فغدوت إلى الصفا والمروة في اليوم الثاني فوقفت عندهما يومي فلم يأتني أحد.

فضعفت ضعفًا شديدًا فجئت على باب «إبراهيم» فقلت قبل انصراف الناس: قد ضعفت عن النداء فمن رأيتموه يطلب شيئًا قد ضاع فأرشدوه إلي.

فلما حان وقت المغرب إذا أنا بخراساني ينشد ضالته فصحت به وقلت: صف ما ضاع منك. فأعطاني صفة الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت: إن أرشدتك إليه تعطيني مائة دينار. قال: لا.

قلت: فخمسين. قال: لا.

فلم أزل أنازل إلى أن بلغت إلى دينار واحد فقال: لا، إن رده من هو عنده إيمانًا واحتسابًا وإلا فهو الضر، ثم ولى لينصرف فخفت الله وأشفتك إن يفوتني الخراساني فصحت به: ارجع، فأخرجت الهميان ودفعته له، فمضى وجلست ومالي قوة على المشي إلى بيتي.

فما غاب عني حينًا حتى عاد إلي فقال: من أي البلاد أنت ومن أي الناس أنت؟

قلت: وما عليك من أمري هل بقي لك عندي شيء؟

(١) كيس جلدي، على شكل المنطقة أو الحزام تجعل فيه النفقة ويشد على الوسط.

فقال: أسألك بالله لا تضجر.

فقلت: من أهل الكوفة ومن ولد «الحسين بن علي» وقصصت عليه قصتي.

فقال: يا هذا خذ هذا بأسره بارك الله لك فيه، إن الهميان ليس لي فما كان يجوز لي أن أعطيك منه شيئاً قل أو كثر، وإنما أعطانيه رجل وسألني أن أطلب بالعراق أو الحجاز رجلاً حسينياً فقيراً مستوراً، ولم تجتمع لي هذه الصفة في أحد إلا فيك لأمانتك وعفتك وصبرك.

### صبر على الطاعة

حدث هشام بن عروة عن أبيه قال: دخلت على أسماء ذات النطاقين - رضي الله عنها - وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ الآية: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فاستعازت من النار، فقمتم وهي تستعيز، فلما طال عليّ قيامي ذهبت إلى السوق ورجعت وهي ما زالت تستعيز باكية.

فالمرأة المسلمة يجب أن تصبر على طاعة الله، وعلى قيام الليل، وتجاهد نفسها في قراءة الورد القرآني اليومي، ولا تدعي الانشغال بأمور البيت، فالقرآن زادها إلى الجنة، وكذلك طاعة الزوج، وعليها بالتوازن المحمود.

### فداء بالمال

أخرج ابن إسحاق عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر، أي في الهجرة، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إنني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه!! قالت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيه، ثم وضعت عليه ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، تقول أسماء: ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أسكت الشيخ بذلك» رواه أحمد.

إنه الصبر على ضيق المعيشة من أجل نصرة دعوة الحق.

## الصدق

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال أبو سليمان: اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك.

قال الثوري: عن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾

[الزمر: ٦٠] هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين.

وليس صدق الوعد خلة تافهة، ولكنها محمّدة ذكرها الله في مناقب النبوة: ﴿وَأذْكَرُ

فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

### الصدق يهدي إلى الجنة

عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة

وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور

يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» [متفق عليه].

### الصدق طمأنينة

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك

إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» [رواه الترمذي].

وقوله: «يريبك» بفتح الياء وضمها معناه: اترك ما تشك في حله، واعدل إلى ما لا

تشك فيه.

### لا تجحد نعمة ربك

خطب الحجاج بن يوسف يوماً، فأطال الخطبة، فقال أحد الحاضرين: الصلاة! فإن

الوقت لا يتظرك، والرب لا يعذرك، فأمر بحجسه، فأتاه قومه وزعموا أن الرجل مجنون، فقال

الحجاج: إن أقر بالجنون خلصته من سجنه، فقال الرجل: لا يسوغ لي أن أجحد نعمة الله التي

أنعم بها عليّ، أثبت لنفسي صفة الجنون التي نزهني الله عنها، فلما رأى الحجاج صدقه خلى

سبيله. فالتأمل يرى أن صدق الرجل كان سبباً في خروجه من السجن.



## موقف مع البخاري

روى البخاري أنه خرج يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه، وهو يشير إليها بردائه كأن فيه شعيراً فجاءته فأخذها، فقال البخاري: أكان معك شعير؟ فقال الرجل: لا، ولكن أوهمتها، فقال البخاري: لا آخذ الحديث ممن يكذب على البهائم، فكان هذا مثلاً عالياً في تحري النقل عن الصادقين، ولهذا اعتبر كتابه أصدق كتاب في الأحاديث النبوية.

## أنواع الصدق

## ١- صدق النية:

في يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة- أنصار مسيلمة الكذاب- الباب عليهم، وأحاط بهم الصحابة، فقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة فاحتملوه على ترس على أسنة رماحهم، فاقترح عليهم الحديقة وشد عليهم وقاتل حتى فتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً، ولذلك قام عليه خالد بن الوليد شهراً يداوي جرحه.

## شهيد تار الكون من أجله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله ﷺ سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتفوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوي تمر من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه جاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل وبعثت قريش إلى عاصم ليأتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل منهم عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدرُوا منه على شيء، وفي رواية ابن إسحاق: كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمسه مشركاً أبداً، فكان عمر يقول لما بلغه الخبر: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في الدنيا.

يقول ابن الجوزي: عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح له من اسمه نصيب، عصمه ربه وثبته فأفلح، حفظ الله فحفظه الله، ثار الكون كله من أجله يوم استشهد؛ الدباير خرجت نهاراً تحميه، والسيل انهمر ليلاً يفديه، فما استطاع أحد من المشركين مس شعرة منه، غاظ عاصم أعداءه، لأنه في الأصل فاعل ليس مفعولاً به، والفاعل دائماً مرفوع لا يكسره شيء.

### ذو الجناحين

جعفر بن أبي طالب ﷺ أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فاتاه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين.  
صدق مع الله فأعطاه جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء.

### ما لي أراك تكرهين الجنة؟

في غزوة مؤتة لما رأى المسلمون كثرة الأعداء قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا؛ فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له، فشجع عبد الله بن رواحة ﷺ قومه وقال: يا قوم إن الذي تكرونه للذي خرجتم له تطلبون.. الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، إنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا وإنما هي إحدى الحسينين: إما الظهور، وإما الشهادة. وبعد مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال عبد الله بن رواحة لنفسه وقد تردد:

أقسمت يا نفس لتتزلنيه      طائعة أو لتكرهنيه  
مالي أراك تكرهين الجنة      إن أجلب الناس وشدوا الرنة  
لطالما كنت مطمئنة      هل أنت إلا نظفة في شنة  
ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

### صدق الله فصدقته

عن شداد بن الهادي: أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزاة غنم النبي ﷺ

سبيًا فقسم وقسم له، فأوصى أصحابه ما يقسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فأخذه فجاء به النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «قسمت لك»، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمي إلى هاهنا، وأشار إلى حلقه، فأموت فأدخل الجنة، فقال: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلاً فأثنى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ: «أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدق الله» ثم كفنه النبي ﷺ في جيبته ثم قدمه فصلى عليه فكان مما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا في سبيلك فقتل شهيدًا أنا شهيد على ذلك» [رواه النسائي].

كل منا يتمنى الشهادة، ولكن الله لن يرزق أحدًا هذا المنزلة إلا إذا كان صادقًا في طلبها، وعمل من أجلها.

## ٢- صدق الإيمان

يقول خيثمة - وكان ابنه قد استشهد يوم بدر-: لقد أخطأني وقعة بدر وكنت والله عليها حريصًا حتى ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول: الحق بنا تراقفنا في الجنة، وقد كبرت سني، ورق عظمي، وأحبيت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله ﷺ بذلك فقتل بأحد شهيدًا.

## اختبار صعب

كان ملك الروم يسمع عن صدق الصحابة، فوقع عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ أسيرًا فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد فأراد أن يختبره فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف مالي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك العرب ما رجعت عن دين محمد طرفة عين، قال: إذا أقتلك، قال: أنت وذاك. فأمر به فصُلب، وقال للمرماة: ارموه قريبًا من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى، فأنزله ودعا بقدر فصب فيه ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم بكى عبد الله فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جنز فقال: ردوه، وقال له: ما أبكاك؟ قال: هي نفس واحدة تلقي الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن

يكون بعدد شعري أنفـس تلقى في النار في الله، فقال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك، فقال له عبد الله: وعن جميع الأساري؟ قال: نعم، فقبل رأسه وقدم بالأسارى على عمر فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبداً، فقبل رأسه.

إنه صدق في الإيمان لا يتزعزع في الشدائد، ولا يلين للمغريات، ولا تفتنه الدنيا، ولا ينشغل بها عن دينه ودعوته، فليحذر كل مسلم مغريات وشهوات الدنيا.

### ٣- صدق العمل

في معركة نهاوند في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء السائب بن الأقرع إلى سيدنا عمر رضي الله عنه بخمس الغنائم فقال له عمر: ما وراءك يا سائب؟ قال: خيراً يا أمير المؤمنين، فتح الله عليك بأعظم الفتح، استشهد النعمان بن مقرن، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم بكى عمر ثم قال: ومن؟ قال: فلان وفلان حتى عد له أناساً كثيرين، ثم قال السائب: والله يا أمير المؤمنين أصيب أناس لا تعرفهم فقال عمر وهو يبكي: المستضعفون من المسلمين لا يضرهم إلا يعرفهم عمر، لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرفهم.

أخي الحبيب لا تهتم بمعرفة الناس لك،  
ولا تسع إلى الشهرة وتكفيك معرفة الله لك.

### ٤- صدق اللسان

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدس الكلمة التي يقوها وذلك إشارة إلى الرجولة الكاملة، فعن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت رسول الله ببيع قبل أن يبعث، فبقيت له بقية، فوعده أن آتية بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاثة فجئت فإذا هو في مكانه فقال: «يا فتى لقد شققت علي! أنا ها هنا منذ ثلاث أنتظرك» [رواه أبو داود] وكان يأتي في الموعد المضروب بينهما.

فإذا أعطيت موعداً فلا بد أن تكون صادقاً في الالتزام به حفاظاً على أوقات الآخرين ولا تعتذر إلا لضرورة ويكون الاعتذار مسبقاً.

## الكذب على الأعداء

في معركة أجنادين، احتاج عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى معرفة شيء عن جيش الروم، فقرر الذهاب إلى قائد الروم على أنه رسول من قائد المسلمين إليه، ولما انتهى عمرو من مهمته، وقام ليخرج فأرسل القائد إلى حراسه أن يقتلوا عمراً عند خروجه، و أثناء خروج عمرو ناداه رجل كان يعرفه، وحذره من غدر الروم، قائلاً: أحسنت الدخول فأحسن الخروج، ففهم عمرو، ورجع إلى القائد، وقال له: إني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي، وإني واحد من عشرة أرسلنا عمر بن الخطاب لتكون مع عمرو بن العاص قواد جيشه، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك، ففرح القائد بذلك، ووجدها فرصة ثمينة ليقتل عشرة من المسلمين، فقال لعمرو: اذهب وأحضرهم، وأرسل للحراس ألا يتعرضوا له بسوء، فنجوا عمرو وعاد إلى جيشه سالماً، فلما علم قائد الروم بهذه الحيلة، قال: خدعني الرجل، هذا والله أدهى العرب.

## أبوسفيان

ذهب أبو سفيان بن حرب ومعه بعض القرشيين إلى الشام للتجارة، فأرسل إليهم هرقل ملك الروم يطلب حضورهم، فلما جاءوا إليه قال لهم: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً، فقال هرقل: أدنوه مني واجعلوا أصحابه خلفه، ثم قال لهم: إني سائل هذا الرجل فإن كذبتني فكذبوه، فقال أبو سفيان: لولا الحياء أن يروا عليّ كذباً لكذبت، فأخذ هرقل يسأله عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وأصحابه وأبو سفيان لا يقول إلا صدقاً حياً.

## أنكحك الصدق

كان لسيدنا بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخ يريد الزواج من امرأة من قبيلة مخزوم، وهي قبيلة عريقة في حسبها ونسبها، ولم تكن ترضى بمثل بلال صهراً لها، فلما أصر أخوه على أن يخطب هذه المرأة رضخ بلال لقوله، وتوجه معه إلى أشرف مخزوم، وعرض عليهم رغبة أخيه في مصاهرتهم، وقال لهم: يا قوم، نحن من قد عرفتم، كنا عبيداً فاعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله، وكنا فقراء فأغنانا الله، وإني أخطب منكم ابنتكم لأخي، فإن تنكحوها له فالحمد لله، وإن تردونا عن قصدنا، فسوف يغنيننا الله.

فرحب به القوم، وأكرموا وفادته، وقبلوا شفاعته، وقالوا: مرحبا بمؤذن رسول الله ﷺ ثم زوجته ابنتهم، فلما خرجا من عندهم أقبل عليه أخوه يلومه ويعنفه، ويقول: يا بلال، هلا ذكرت لهم مواقفنا في الإسلام، فقد أبلينا مع رسول الله بلاء حسناً، فقال له بلال: اسكت يا هذا، فقد أنكحك الصدق.

### أموت ولا أكذب

حين استعرت نيران الثورة ضد الإنجليز في الهند كان المسلمون هناك يتصدرون الصفوف الأولى للثورة، ويقضون مضاجع المستعمرين الإنجليز بشجاعتهم النادرة وإقبالهم على الاستشهاد دفاعاً عن دينهم وبلادهم.

وفي يوم من أيام عام ١٨٥٧م، ألقت السلطات الإنجليزية القبض على العالم المؤمن الشيخ رضا الله البدواني بتهمة الاشتراك في الثورة ضد الإنجليز.

وجيء بالعالم الشيخ ليحاكم أمام ضابط إنجليزي كبير، وكان هذا الضابط يكبر في الشيخ جرأته وشجاعته، فأراد أن يلتمس للشيخ مبرراً قانونياً يطلق به سراحه فأوعز لبعض أصدقاء الشيخ أن ينصحوه بأن ينكر التهمة أمام المحاكم.

وجيء بالشيخ أمام المحكمة العسكرية فقال له الضابط الإنجليزي:

علمت أيها الشيخ أنك لم تكن مشتركاً في الثورة ضدنا، فإن كان هذا الذي سمعته حقاً، أطلقت سبيلك في الحال...؟

وابتسم الشيخ المؤمن وهو يجيب الضابط الإنجليزي: لا والله أيها الحاكم لا أجد شرف المشاركة في حربكم، ووالله لو أطلقت سراحي الآن لعدت إليك بعد ساعات بنفس التهمة التي تحاكمني بها الآن.

ولم يجد الحاكم الإنجليزي بداً من الحكم بإعدام الشيخ المؤمن رضا الله البدواني.

وسيق العالم الثائر إلى خشبة الإعدام ومشى الحاكم الإنجليزي إلى جانبه، والشيخ المؤمن لا ينفك يذكر الله ويثني عليه، حتى إذا اقترب موكب الموت من خشبة الإعدام قال الحاكم الإنجليزي للعالم المؤمن:

أيها الشيخ ما زال أمامك متسع من الوقت لتنقذ نفسك من الشنق، قل لي الآن أنك

لم تشارك في الثورة ضدنا فأؤجل تنفيذ الحكم، ثم أعمل على براءتك وإطلاق سراحك.  
ونظر الشيخ إلى جبل المشنقة وهو يتسم ابتسامة تهزأ بالموت ثم نظر إلى الضابط  
الإنجليزي وقال: أتريد أن أكذب لأنجو من الموت اليوم فيحبط عملي، فإذا مت بعد ذلك  
لقيت الله وقد حبط عملي كله..؟ لا أيها الحاكم لن أكذب أبداً، لقد اشتركت في الثورة  
ضدكم لأن ديني يأمرني بذلك فافعل ما بدا لك.

وما هي إلا لحظات إلا وجسد العالم الثائر رضا الله البدواني يتأرجح في الهواء  
شهيداً في سبيل الله.



## المراقبة

المراقبة: هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه. يقول إبراهيم الخواص: المراقبة هي خلوص السر والعلانية لله عز وجل، وقد حث الإسلام على المراقبة، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

وها هو رسول الله ﷺ يراقب ربه فيقول: «إني أرى ما لا ترون، أظت السماء وحق لها أن تنط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تُلذذتم بالنساء على الفرش وخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله تعالى» [الترمذي].

وسئل ذو النون: بم ينال العبد الجنة؟ قال: بخمس:

استقامة ليس فيها روغان،

واجتهاد ليس معه سهو،

ومراقبة لله في السر والعلانية،

وانتظار الموت بالتأهل له،

ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب.

إذا أراد المؤمن أن يتذكر مراقبة الله فعليه أن يتعبد باسم الله السميع، فلا يسمع ربه منه فحشاً ولا عصياناً، ويتعبد باسم الله البصير، فلا يرى ربه منه معصية ولا يقع منه ما يغضبه عز وجل.

من أسماء الله الحسنى: الرقيب

الرقيب: اسم من أسماء الله الحسنى ورد ذكره في حديث المصطفى الشامل للأسماء الحسنى، كما ورد ذكره في القرآن الكريم.



والرقيب: هو الذي لا يغفل ولا ينام، أحاط بصره بكل شيء، أدنى حفيظ وأقرب شهيد، وهو الذي من الأسرار قريب، وعند الاضطراب يجيب، وهو المطلع على الضمائر، الشاهد على الأسرار، وهو الذي يعلم ويرى ولا يخفى عليه السر والنجوى، وهو تعالى الذي يسبق علمه جميع المحدثات وتتقدم روايته جميع المكونات، الحاضر الذي لا يغيب، قال تعالى: ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] وقال عز وجل: ﴿فَالِئِكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] إلى غير ذلك من الآيات.

### مظاهر اسمه تعالى الرقيب

الله عز وجل رقيب على السماوات وما فيهن من كواكب ونجوم، يحفظها من أن يخرج منها جرم عن موضعه الذي أقامه فيه، أو ينقص من سرعته التي أجزاها بها وأداره عليها، أو ينحرف عن اتجاهه الذي وجهه إليه، لا تشغله الرقابة على كبارها عن الرقابة على صغارها، ولا يعوقه حفظ قريبها عن حفظ بعيدها، وهو سبحانه رقيب على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، يرقب أشعة الشمس في اختلاط ألوانها حتى لا يطغى بعضها على بعض، وحتى يظل الظاهر منها ظاهراً والخفي منها خفياً.

يرقب الأرض في دورتها حول نفسها أمام الشمس حتى لا تنحرف عن مدارها الذي رسمه، وحتى تحتفظ بالسرعة التي خصها بها، يرقبها في إنبات نباتها وجران أنهارها، ويرقب الأجرام السماوية أن تقع على الأرض، إذ لو وقع أصغر جرم منها على الأرض لكدتها دكاً وصيرها هباء ماثورا، ويرقب البحار أن تطغى على اليابسة إذ لو طغت عليها لأصبحت الكرة الأرضية كلها بحراً يعج عجاجه وتصطخب أمواجه، ويرقب الأجنة في بطون أمهاتها وتطورها في خلقها ونموها وتغذيتها وتماها وخروجها من ظلمات الأرحام.

وهو عز وجل يرقب القلوب في نبضاتها، وتوزيعها الدم في دورته في الأجسام وتحول الدم إلى أنسجة وخلايا.

وهو عز وجل يرقب خطرات الأفكار وخلجات الأنفس وهجسات الضمائر،

لا يغيب عن رقابته شيء<sup>(١)</sup>.

### ثمار المراقبة:

١- الورع:

كانت فاطمة بنت عبد الملك بنت خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهي مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلبي والمجوهرات، ومن فضول القول أن أشير إلى أن عروس عمر بن عبد العزيز كانت في بيت أبيها تعيش في نعمة لا تعلق عليها عيشة امرأة أخرى في الدنيا في ذلك العهد، ولو أنها استمرت في بيت زوجها تعيش كما كانت تعيش قبل ذلك لتملاً بطنها كل يوم، وفي كل ساعة بأدسم المأكولات وأندرها وأغلاها، وتنعم نفسها بكل أنواع النعيم الذي عرفه البشر، لاستطاعت ذلك.. إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز اختار- في الوقت الذي كان فيه أعظم ملوك الأرض- أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم في اليوم، ورضيت بذلك زوجة الخليفة التي كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء، فكانت مغتربة بذلك، لأنها تذوقت لذة القناعة، وتمتعت بجلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف، بل اقترح عليها زوجها أن ترفع عن عقلية الطفولة، فتخرج عن هذه الألاعيب والسفاسف التي كانت تبهرج بها أذنيها وعنقها وشعرها ومعصمها، مما لا يسمن ولا يغني من جوع، ولو بيع لأشبع بثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله، فاستجاب له، واستراحت من أثقال الحلبي والمجوهرات واللاكي والدرر التي حملتها معها من بيت أبيها، فبعثت بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئاً، فجاءها أمين بيت المال، وقال لها: إن مجوهراتك يا سيدتي لا تزال كما هي، واعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستاذك في إحضارها.

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت: وما كنت لأطيعه حياً، وأعصيه ميتاً<sup>(٢)</sup>.

(١) النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٥٦-٢٥٧).

(٢) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين (٦٨١-٦٨٢).

## ٢- السماحة:

جاء أحد جلساء أبي حنيفة إليه، وقال: إني بحاجة إلى ثوب خز يا أبا حنيفة.  
فقال له: ما لونه؟ فقال: كذا و كذا.

فقال: اصبر حتى يقع لي فأخذه لك، فما إن دارت الجمعة حتى وقع له الثوب المطلوب، فمر به صاحبه، فقال له أبو حنيفة: قد وقعت لي حاجتك.. وأخرج إليه الثوب فأعجبه وقال: كم أَدفع لغلّامك ثمنه؟ فقال: درهماً، فقال الرجل في استغراب: درهماً واحداً؟ فقال أبو حنيفة: نعم، فقال له الرجل: ما كنت أظنك تهزأ بي يا أبا حنيفة، فقال أبو حنيفة: ما هزئت بك، وإنما اشتريت هذا الثوب وآخر معه بعشرين ديناراً ذهباً، ودرهم من الفضة، وقد بعت أحد الثوبين بعشرين ديناراً ذهباً، وبقي عليّ هذا بدرهم واحد، وما كنت أربح على جليسي<sup>(١)</sup>.

## ٣- تذكر الموت:

لقي الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل: أيها الرجل كم عمرك؟  
قال الرجل: ستون سنة.

قال الفضيل: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى الله يوشك أن تلقاه.

قال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الفضيل: هل تعلم معنى تلك الكلمة.

قال الرجل: نعم أعلم أني لله عبد وأنني إليه راجع.

قال الفضيل: يا هذا من علم أنه لله عبد، وأنه إليه راجع فليعلم أنه بين يديه موقوف، ومن علم أنه بين يديه موقوف فليعلم أنه بين يديه مسئول، ومن علم أنه بين يديه مسئول فليعد للسؤال جواباً.

قال الرجل: فما الحيلة يرحمك الله؟

قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي<sup>(٢)</sup>.

(١) صور من حياة التابعين (٤٨٧-٤٨٨).

(٢) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين (٧٢٠).

## ٤ - الأمانة:

عن أسلم مولى عمر - رضي الله عنهما - قال: بينما أنا مع عمر بن الخطاب، وهو يعس بالمدينة إذ عسى، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، وإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء.

قالت: يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟

قالت: وما كان عزمته؟

قالت: إنه أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء.

فقالت لها: يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنما بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر.

فقالت الصبية: والله ما كنت لأطيعه في الملاء، وأعصيه في الخلا، وعمر يسمع كل ذلك.

فقال: يا أسلم علم الباب واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه فلما أصبح: قال: يا أسلم امض في الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها، فأتيت عمر فأخبرته، فدعا ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتاً، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز.

وهكذا كان عمر يتفقد الرعية بنفسه، ويعس في الليل ويقوم بواجبه نحو رعيته محتسباً عند الله تعالى أجره، كما كان لمراقبة تلك الفتاة لربها وأمانتها الأثر الجميل والخير العميم في حياتها وفي آخرتها إن شاء الله.

## أمانة في البيع والشراء

حكى عن محمد بن المنكدر - رحمه الله - أنه كان له شقاق - جنس من الثياب - بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة. فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة. فلما حضر ابن المنكدر، وعلم بذلك، صار يطلب المشتري طول النهار حتى وجده، وقال له: إن الغلام غلط، فباعك خمسة بعشرة.

فقال المشتري: يا هذا، قد رضيت.

فقال ابن المنكدر: إن رضيت أنت؛ فأنا لا أرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن نرد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك.

فقال: أعطني خمسة، فدفعها إليه، فانصرف الأعرابي وهو يسأل، ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيّل له: هذا محمد بن المنكدر.

فقال الأعرابي: لا إله إلا الله، هذا الذي نستقي به في البوادي إذا قُحطنا.

### عمر يختبر الراعي

قال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فأنحدر بنا راع من الجبل، فقبال له عمر ممتحنًا له: يا راعي بعني شاة من هذه الغنم. فقال: إنني مملوك.

فقال عمر: قل لسيدك أكلها الذئب (يريد أن يختبره).

فقال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

### الغلام المعلم

وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي راقب الله عز وجل كيف كان جزاؤه؟ يقول ابن مسعود: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال: «يا غلام هل من لبن؟» قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: «فهل من شاة لا تخرج لبنًا»، فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلب في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص، ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله! علمني من هذا القول، فمسح رأسي وقال: «يرحمك الله إنك غليم معلّم» رواه أحمد.

### راقبوا الله في خلواتكم

إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة، كم من مؤمن بالله عز وجل يحترمه عند الخلوات؛ فيترك ما يشتهي حذرًا من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له، فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عودًا هنديًا على مجمر فيفوح طيبه؛ فيستنشقه الخلائق ولا يدرون أين هو، وعلى قدر

المجاهدة في ترك ما يهوي تقوي محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، وتتفاوت تفاوت العود، فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص وألستهم تمدحه ولا يعرفون لم، ولا يقدرّون على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأراييج بعد الموت على قدرها، فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره، ومنهم أعلام يبقى ذكرها أبداً. قال أبو الدرداء: إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، فتلتمحوا ما سطرته، واعرفوا ما ذكرته، ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم، فإن الأعمال بالنية، والجزاء على مقدار الإخلاص.

إذا ما خلوت بريية في ظلمة      والنفس داعية إلى الطغيان  
فاستحي من نظر الإله وقل      لها إن الذي خلق الظلام يراني  
يقول محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك،  
واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل  
خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

### درس في المراقبة

يقول الإمام الغزالي: كان لأحد المشايخ تلاميذ وطلاب علم، فأراد أن يلقتهم درساً في مراقبة الله عز وجل، فدعا بعدة طيور، وناول كل واحد منهم طائراً وسكيناً، وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه فيه أحد... فرجع كل طالب بطائره مذبوحة إلا طالباً واحداً، فقد رجع بطائره دون أن يذبحه.

فقال له الشيخ: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد.. إذ الله مطلع عليّ في كل مكان.. فاستحسن الشيخ منه ذلك.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا      تقل خلوت ولكن قل علي رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة      ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

## التوكل

### وعلى الله فتوكلوا

قال ابن القيم: التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة، ويقول الإمام الغزالي: التوكل منزلة من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين.

ويقول بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله لو توكل على الله لرضي بالمقدور.

### رزقك على ربك

نحتاج إلى التوكل خاصة في قضية الرزق، فرمما قبل إنسان أن يذل نفسه، ويحني رأسه، ويذل كرامته، من أجل لقمة العيش التي يحسبها أنها في يد مخلوق مثله، إن شاء أعطاه وإن شاء منعه، فحياته وحياة أولاده في قبضته، فهو قادر في نظره أن يجيي ويميت كما قال النمرود. وقد أمر الله رسوله بالتوكل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

### المتوكلون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب

لقول الرسول ﷺ: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون» [رواه البخاري ومسلم].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت» [رواه مسلم].

### كن كالطير

وعن عمر بن الخطاب ؓ: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بظاناً» [رواه الترمذي].

## الشیطان یحزن

عن أنس رضی اللہ عنہ: قال رسول الله ﷺ: «من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت ووُقيت وكُفيت فيقول الشيطان لشیطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي» [رواه أبو داود].

## حقیقة التوکل

التوکل: هو انطراح القلب بين يدي الرب، كانطراح الميت بين يدي الغاسل؛ يقلبه كيف يشاء، وهو ترك الاختيار.

## لا تحزن ومعك الملك

كذلك من أعطاه ملك درهمًا فسرق منه، فقال له الملك: عندي أضعافه، فلا تهتم، متى جئت إليّ أعطيتك من خزائني أضعافه، فإذا علم صحة قول الملك، ووثق به، واطمأن إليه، وعلم أن خزائنه مليئة بذلك، لم يحزن.

من توكل عليه تولاه ومن استغنى به أغناه.

## هل أنت مؤمن؟

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] التوكل شرط في الإيمان فمن لا توكل له لا إيمان له، ولا يكون الوكيل وكيلاً إلا إذا اجتمع فيه أربع صفات أن يكون (عليماً وقادراً على نصرتك ورحيماً بك وهادياً) فهل تجد غير الله وكيلاً؟

## لا تتكاسل

جاء رجل على ناقة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أدعها وأتوكل، فقال الرسول ﷺ: «اعقلها وتوكل» رواه الترمذي. ورفض الرسول مبدأ التهاون والكسل.

## ساق التوكل

قال ابن القيم: لا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية.

يقول صاحب الظلال: إن سنة الله تجري بترتيب النتائج على الأسباب، ولكن



الأسباب ليست هي التي تنشئ النتائج، فالفاعل المؤثر هو الله وهو الذي يرتب النتائج على الأسباب بقدره ومشيئته، ومن ثم يطلب من العبد أن يؤدي واجبه ويبذل جهده، ثم يتوكل على الله في إحداث النتائج.. فإنه متى تعلق العبد بالأسباب فقد أثبت جهله ونقص إيمانه ونقص عقله.. حيث إن الناظر إلى مجاري سنة الله عز وجل يرى أن المشيئة ليست على قدر الأسباب.. فكم من عاقل محروم وكم من أحمق مرزوق.. ولو رزق الله كل عاقل وحرَم كل أحمق لظن الناس أن العقل يرزق صاحبه، فلما رأوا خلاف ذلك علموا أن الصانع أراد أن يدلمهم على نفسه، فهل علمت من هو المتوكل؟.

### واعجباً

يقول ابن الجوزي: واعجباً يتأمل الحيوان البهيم العواقب، وأنت لا ترى إلا الحاضر، ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد، ولا بمؤنة الصيف حتى يشتد الحر، ومن هذه صفته في أمور الدنيا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، هذا الطائر إذا علم أن الأثني قد حملت، أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر؟ فهلا بعثت لك فراش تقوى ﴿فَلَا نَفْسُهُمْ يَمْهَدُونَ﴾.

هذا اليربوع لا يتخذ بيتاً إلا في موضع طيب مرتفع، ليسلم من سيل أو حافر ثم لا يجعله إلا عند أكمة أو صخرة، لئلا يضل إذا عاد إليه، ثم يجعل له أبواباً ويرقق بعضها.

### فهم خاطئ

جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وسأله عن رجل جلس في بيته وقال: لا أعمل حتى يأتيني رزقي، فقال الإمام أحمد: هذا رجل جهل العلم فقد قال النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» [رواه البخاري].

ولقي عمر بن الخطاب ؓ ناساً من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتواكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله.

### هكذا أمر الأنبياء

قال تعالى لنوح عليه السلام: ﴿وَاصْبِرْ لِفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا﴾ [هود: ٣٧] وقال يعقوب لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] وقال لأبنائه:

﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾  
 [يوسف: ٦٧] وقال الله لموسى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣] وقال لمريم:  
 ﴿وَهَزِيْ بِإِيْنِكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

### القرآن يأمر بالأخذ بالأسباب

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقال  
 تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ  
 النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

### سبحان الله يا شقيق!

ورد أن شقيق البلخي ودع صديقه إبراهيم بن أدهم، لسفره في تجارة، ولم يلبث إلا  
 مدة يسيرة ثم عاد ولقيه إبراهيم، فعجب لسرعة إيايه من رحلته، فسأله: لِمَ رجع؟ فقص  
 عليه قصة شهدا أنها رأى طائراً أعمى كسيحاً وجاء طائر آخر يحمل إليه الطعام ويمده  
 به، حتى يأكل ويشبع، فقال شقيق: إن الذي رزق هذا الطائر الأعمى الكسيح في هذه  
 الخربة لقادر على أن يرزقني، وقرر العودة، فقال له إبراهيم بن أدهم: سبحان الله يا  
 شقيق! ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى العاجز، ولا تكون أنت الطائر  
 الذي يسعى ويكدح ويعود بثمره على العُمى من حوله، أما سمعت قول رسول الله ﷺ:  
 «اليد العليا خير من اليد السفلى» [متفق عليه].

### هل لك حرفة؟!

كان عمر بن الخطاب ؓ إذا رأى غلاماً أعجبه سأل: هل له حرفة؟ فإن قيل: لا،  
 سقط من عينه.

### هذه الأشياء لا تنافي التوكل

وكان العابد الزاهد إبراهيم الخواص إذا أراد السفر يأخذ معه إبرة وخيوطاً ومقصاً  
 وإناء به ماء، فسأله أحد أصحابه: لم تحمل هذه الأشياء يا أبا إسحاق وأنت من الزهاد؟  
 فقال إبراهيم: هذه الأشياء لا تنافي التوكل؛ لأن الله تعالى علينا فرائض، والفقير لا  
 يكون معه إلا ثوب واحد، وربما يتمزق ثوبه، فإن لم يكن معه إبرة وخيوط تظهر عورته

فتفسد صلاته، وإذا لم يكن معه إناء به ماء لم يستطع أن يتطهر لصلاته، وإذا لم يكن معه مقص لم يستطع أن يقص شاربه كما أمرنا الرسول ﷺ.

### غزوة حنين نموذج قرآني

تُذم الأسباب إذا تعلق القلب بها وحدها ونسي مسببها، وقد ذكر القرآن لنا نموذجًا من الاعتماد على الأسباب الظاهرة وحدها، فإذا هي لا تحقق نتائجها: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِمْتُمْ ثُمَّ وُلِّيتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

لا تنس أن الله معك، فما تعجز عنه الأسباب المادية تكمله القدرة الإلهية، فقد قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿[الشعراء: ٦١، ٦٢].

### حدث في ليلة الهجرة

وفي الغار قال الرسول ﷺ لأبي بكر ؓ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] بعد أن أخذ بكل الأسباب، هياً من بيت في فراشه- علي بن أبي طالب- ومن يرافقه في الطريق- أبو بكر الصديق- ومن يده على الطريق- عبد الله بن أريقط- ومن يأتي بالزاد- أسماء بنت أبي بكر- ومن يعفي آثارها بغنمه- عامر بن فهيرة-: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

### فلم تقتلوهم ولكن...

وفي غزوة بدر: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] وفي غزوة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] وقال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

### الله أمرك بهذا؟!

ولقد أخذ سيدنا إبراهيم هاجر وابنها الرضيع سيدنا إسماعيل، وسار بهما في الصحراء، حتى وصلوا إلى بيت الله الحرام، فوضعهما في هذا المكان، وليس معهما إلا قليل من التمر، وإناء به ماء، ثم تركهما وهم بالانصراف، فأسرعت هاجر وراءه وهي

تقول: يا إبراهيم أين تذهب وتركننا؟! وظلت تسأله وإبراهيم لا يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا؟ فقال: نعم. فقالت: إذا لن يضيعنا. وهكذا توكل إبراهيم وزوجته على ربهما وفوضا الأمر إليه.

### حسبنا الله ونعم الوكيل

وهذا إبراهيم عليه السلام قام بتحطيم أصنام قومه، فلما علم قومه بذلك أحضروه وأمروا بإحراقه، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فجاءه جبريل وقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم. فأمر الله تعالى النار أن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم.

### من الرزاق؟

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

### لا تعصه وهو يرزقك

قام رسول الله ﷺ على المنبر فدعا الناس بيده هكذا، فقال: اجلسوا، وأقبل الناس، فقال بيده هكذا: اجلسوا، ثم قال: «إني رأيتمكم تطلبون معاشكم، هذا رسول الله رب العالمين جبريل نفث في روعي: ألا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، وإن أبطأ عليها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء على أن تأخذوه بمعصية، فإن الله لا يُدرك ما عنده إلا بطاعته» [رواه ابن ماجه والحاكم].

### طرفة

والناس تغلق دونه أبوابها	يمشي الفقير وكل شيء ضده
ويرى العداوة لا يرى أسبابها	وتراه منقوصًا وليس بمذنب
حنت إليه وحركت أذنانها	حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى
نبحت عليه وكشرت أنيابها	وإذا رأت يومًا فقيرًا لاغيًا

### كن معه يغنيك من خزائنه

فالله يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، إن شاء الله أغنى الفقير، وأفقر الغني، وقوي الضعيف وأضعف القوي، ونصر المظلوم وأخذ الظالم، وشفى المريض وسر على المعسر، وأعز الذليل وأذل العزيز لا ينازعه أحد في سلطانه.

### لا تياس وإن توات عليك الخطوب

فيا أيها المظلوم والمغلوب، وأيها الملهوف والمكروب، وأيها المجروح والمنكوب، لا تياس وإن توات عليك الخطوب، وسدت في وجهك الدروب، فإن علام الغيوب، وغفار الذنوب، وستار العيوب، ومقلب القلوب سيفرج عنك الكرب، ويحقق لك المطلوب، كما كشف الضر عن أيوب، ورد يوسف إلى يعقوب ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

الأرزاق الظاهرة كالأقوات والطعام، يقول تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨] بهكم الله إلى كثرة نعمه عليكم وإحسانه، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم، ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير.

أرزاق باطنة للقلوب كالمعارف والعلوم، ومنها نعمة الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣] ونعمة الإيمان: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبَ إِلَيْكُمْ إِيمَانٍ وَرَيْبُهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧] ونعمة النصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

البركة من الله : قال رسول الله ﷺ : «ما قل وكفى خير مما كثر وأهمل» [صحيح الجامع].

### موقف يحتاج إلى تأمل

وحدث في أحد مساجد مصر أن رجلاً كان يأكل فجاءه قط، فألقى إليه طعاماً فغاب

عنه، ثم أعطاه مرة ثانية فأعطاه طعاما فغاب عنه، ثم أتاه فتعجب الرجل فسار خلفه فوجده يذهب بالطعام إلى أرض خراب بها قط أعمى فقال: الله يرزق هذا فكيف يضع مثلني؟

### متى الراحة؟!

وأعظم نعمة بعد الإسلام أن تشتاق إلى الجنة وتعمل لها، سئل الإمام أحمد: متى الراحة؟ قال: لا راحة إلا في الجنة.

### إن لي نفساً تواقفة

قال رجاء بن حيوة وزير عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: كنت مع عمر بن عبد العزيز - لما كان واليا على المدينة - فأرسلني لأشتري له ثوباً فاشتريته له بمخمسائة درهم فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن، فلما صار خليفة للمسلمين بعثني لأشتري له ثوباً فاشتريته له بمخمسة دراهم فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالي الثمن. فبكى رجاء فقال له عمر: ما يبكيك؟ قال: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه، فقال له عمر: يا رجاء إن لي نفساً تواقفة، وما حققت شيئاً إلا تاققت لما هو أعلى منه، والآن قد تاققت نفسي إلى الجنة... فأرجو أن أكون من أهلها.

### رحم الله امرأ عرف قدر نفسه

بلغ عمر رضي الله عنه أن ابناً له اتخذ خاتماً، واتخذ له فصاً بألف درهم، فكتب له: بلغني أنك اشتريت فصاً لخاتمك بألف درهم فيعه، وأشبع بثمانه ألف جائع، واتخذ خاتماً من حديد، وكتب عليه: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

### كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله

قال الله تعالى على لسان الكفار: ﴿وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] ويقول عن سبأ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِاللَّيِّ تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعْفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

## الابتلاء بالنعمة

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقال رسول الله: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَجِبُ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ» (رواه أحمد والطبراني)، وقال أيضا: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

قال ابن أبي حازم: كل نعمة لا تقرب من الله سبحانه وتعالى فهي بلية.

## النعمة ثلاث

يقول ابن القيم: النعم ثلاث: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرفه نعمته الحاضرة ليشكره ويوفقه لعمل يستجلب بها النعمة المنتظرة.

ويحكى أن أعرابي دخل على الرشيد فقال أمير المؤمنين: ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن بها، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لشكرها، فأعجبه ذلك، وقال: ما أحسن تقسيمه.

\*\*\*

## الاستقامة

الاستقامة ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحد في كل شيء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾  
[فصلت: ٤١] وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ٤٢].

وعن أبي عمرو رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال رضي الله عنه: «قل آمنت بالله ثم استقم» [مسلم].

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ وروغان الثعالب [متفق عليه].

وعن عبد الله بن عمرو: قال لي رسول الله: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» [متفق عليه] قل آمنت بالله: جدد إيمانك متذكراً بقلبك ذاكراً بلسانك.

ويقول ابن تيمية: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

### الاستقامة في العبادة

كان أويس القرني يقول: هذه ليلة الركوع، فيحيي الليل كله في ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قال: هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة.

وقيل: لما تاب عتبة الغلام كان لا يهناً بالطعام والشراب.

فقالت له أمه: لو رفقت بنفسك!

قال: الرفق أطلب! دعيني أتعب قليلاً وأتعم طويلاً.

قال عبد الله بن الحسن: كان لي جارية رومية وكنت بها معجباً، فكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبي فانتبعت فالتمستها فلم أجدها، فقامت إليها فإذا هي ساجدة وهي تقول: بجزبك لي إلا ما غفرت لي ذنوبي.



فقلت لها: لا تقولي مجبك لي، ولكن قولني: مجبي لك.

فقالت: يا مولاي مجبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، ومجبه لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام.

هل أنت مستقيم ومواظب على قيام الليل؟

### نموذج فريد

هذا الإمام أحمد في محنته التي أرادوا فيها أن ينطق بأن القرآن مخلوق فأبى أن ينطق إلا بالحق، فأمر المعتصم أن يأتوا بالإمام أحمد في الشمس وهو صائم، وأمر بحضور الجلادين، فلما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم وقال: اتنوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم الرجل إلى الإمام أحمد ويضرب سوطين فيقول المعتصم للجلاد: شد قطع الله يديك، فلما ضربوه تسعة عشر سوطاً، قام المعتصم وقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك، وإني والله عليك لشفيق، فجعل ينخسني بقائمة السيف، ويقول: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم، وجعل بعضهم يقول: ويلك الخليفة على رأسك، وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي أقتله.

فقال المعتصم: ويحك يا أحمد ما تقول؟

فقلت: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به.

فرجع وجلس وقال للجلاد: تقدم وأوجع قطع الله يدك، ثم قام الثانية فجعل يقول: ويحك يا أحمد أجبني، فجعلوا يقبلون عليّ، ويقولون: يا أحمد، إمامك على رأسك قائم، فظلوا يضربونني حتى فقدت وعيي، فقال لي رجل ممن حضر: كبيناك على وجهك، وطرحناك على ظهرك، ودسناك بالأقدام.

فقلت له: ما شعرت بذلك، فلما أفقت أتوني بسويق فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لا أفطر، ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة، وصلى، فلما انفتل من الصلاة قال لي: صليت والدم يسيل منك، فقلت: قد صلى عمر بن الخطاب وجرحه يثعب دمًا<sup>(١)</sup>.

(١) الناظون بالحق (٣٢٧، ٣٢٨).

### المدائمة على القراءة

كان الشيخ محمد نجيب المطيعي الذي ولد عام ١٩١٧ يقرأ كل يوم خمس عشرة ساعة متصلة، لا يقطعها سوى الصلوات والطعام، وظل حتى قبل وفاته يحافظ رغم كبر سنه على اثنتي عشرة ساعة في اليوم، وإني أشهد الله أنني ما سمعت أعلم من الشيخ المطيعي، كنت تستمع إليه فتشعر أنك بين يدي عالم في الله، والحديث والقرآن والفقهاء والأصول والحكم والأمثال والنوادر.

لقد كان يحفظ كل كتب الصحاح والأسانيد والسنن متناً وسنداً متصلاً حتى أن الرواة ليزيد عددهم عن عشرة ويذكرهم واحداً بعد الآخر دون أن يتلعثم، فإذا سألته عن أحد الرواة حدثك حديث العارف به كأنه يعايشه.

ومن أعظم آثاره العلمية الخالدة تكملة كتاب المجموع شرح المذهب، وهو الكتاب الذي كتب منه الإمام النووي خمسة مجلدات ثم توفاه الله، فجاء الشيخ المطيعي ليكمل المجموع إلى خمسة وعشرين مجلداً، وكان يود لو أكمله إلى الثلاثين. وهذا الكتاب يعتبر أفضل موسوعة فقهية مقارنة في العصر الحديث<sup>(١)</sup>.

### الاستقامة على العفة

قال خارجة بن زياد: هويت امرأة من الحي فكننت أتبعها إذا خرجت من المسجد، فعرفت ذلك مني فقالت لي ذات ليلة: ألك حاجة؟ قلت: نعم، قالت: وما هي؟ قلت: مودتك، قالت: دع ذلك ليوم التغابن. قال: فأبكتني، والله ما عدت إلى ذلك<sup>(٢)</sup>.

### مناظرة بين القلب والعين

يقول ابن القيم تحت عنوان: في ذكر مناظرة بين القلب والعين ولوم كل منها صاحبه والحكم بينهما: لما كانت العين رائداً والقلب باعثاً وطالباً، وهذه لها لذة الرؤية، وهذا له لذة الظفر، كانا في الهوى شريكَي عنان، ولما وقعا في العناء واشتركا في البلاء أقبل كل منهما يلوم صاحبه ويعاتبه، فقال القلب للعين: أنت الذي سقتني إلى موارد الهلكات، وأوقعتني في الحسرات، بمتابعتك اللحظات ونزهت طرفك في تلك الرياض،

(١) حكايات عن الإخوان، عباس السيسي (٣٤، ٣٥).

(٢) غض البصر (٧٩).

وطلبت الشفاء من الحدق المراض، وخالفت أحكام الحاكمين، فمن الملوم سوى من رمى صاحبه بالسهم المسموم؟ أو ما علمت أنه ليس شيء أضر على الإنسان من العين واللسان؟!

فقاتلت العين: ظلمتني أولاً وأخراً، وبؤت بإثمي ظاهراً وباطناً، وما أنا إلا رسولك الداعي إليك، ورائدك الدال عليك.. فأنت الملك المطاع، ونحن الجنود والأتباع، أركبتني في حاجتك خيل البريد، ثم أقبلت عليّ بالتهديد والوعيد، فلو أمرتني أن أغلق عليّ بابي وأرخي عليّ حجابي لسمعت وأطعت، ولما رعيت في الحمي وترعت، أرسلتني لصيد قد نصبت لك حباله وأشراكه، واستدارت حولك فخاخه وشبابه، فغدوت أسيراً بعد أن كنت أميراً، وأصبحت مملوكاً بعد أن كنت مليكاً، هذا وقد حكم لي عليك سيد الأنام وأعدل الحكام عليه الصلاة والسلام حيث يقول: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب» [مسلم].

وقال أبو هريرة: القلب ملك والأعضاء جنوده، فإن طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبث جنوده، ولو أنعمت النظر لعلمت أن فساد رعيتك بفسادك، وصلاحها ورشدها برشادك، ولكنك هلكت وأهلكت رعيتك، وحملت على العين خطيئتك، وأصل بليتك أنه خلا منك حب الله وحب ذكره وكلامه وأسمائه وصفاته، وأقبلت على غيره وأعرضت عنه، وتعوضت بحب من سواه والرغبة فيه منه.

فلما سمعت الكبد تحاورهما في الكلام وتناولهما الخصام قالت: أتما على هلاكي تساعدتما، وعلى قتلي تعاوتتما، ولقد أنصف من حكى مناظرتكما، وعلى لساني متظلماً منكما

عابت قلبى لى	رايت جسمى نحىلا
فألزم القلب طرفى	وقال كنت الرسولوا
فقال طرفى لقلبى	بل كنت أنت الدلىلا
فقلت كُفُفا جميعا	تركتمانى قتىلا

ثم قالت: أنا أتولى الحكم بينكما، أنتما في البلية شريكا عنان، كما أنكما في اللذة والمسرة فرسا رهان، فالعين تلتذ والقلب يتمنى ويشتهي.. وإن لم تدركما عناية مقلب

القلوب والأبصار، وإلا فما لك من قرّة ولا للقلب من قرار، قال الشاعر:

فوالله ما أدري أنفسي ألومها      على الحب أم عيني المشومة أم قلبي  
فإن لمت قلبي قال لي العين أبصرت      وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب  
فعيني وقلبي قد تقاسمهما دمي      فيارب كن لي عوناً على العين والقلب

قالت: مثلكما مثل مقعدٌ بصير وأعمى يمشي دخلاً بستائاً، فقال المقعد للأعمى: أنا أرى ما فيه من الثمار، ولكن لا أستطيع القيام، وقال الأعمى: أنا أستطيع القيام ولكن لا أبصر شيئاً، فقال له المقعد: تعال فاحلني فأنت تمشي وأنا أتناول، فعلى من تكون العقوبة؟ فيقول: عليهما. قالت: فكذلك أنتما.

#### استقامة صادقة

حكى عن عبد الواحد بن زيد، قال: كنت في مركب، فطرحتنا الريح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً، فقلنا له: يا رجل، من تعبد؟ فأوماً إلى الصنم، فقلنا: إن معنا في المركب من يسوي مثل هذا، وليس هذا إلهاً يعبد، قال: فأنتم من تعبدون؟ قلنا: الله. قال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجه إلينا هذا الملك نبياً كريماً فأخبر بذلك، قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: أدى الرسالة ثم قبضه الله، قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملك، فقال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حسناً، فأتيناها بالمصحف، فقال: ما أعرف هذا، فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويكي حتى ختمنا السورة.

فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى! ثم أسلم، وحملناه معنا وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، وكنا حين جئنا الليل وصلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يا قوم! هذا الإله الذي دللتموني عليه، إذا جنه الليل ينام؟ قلنا: لا، يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام، قال: بشس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا «عبادان» قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذا؟ قلنا: تنفقه، فقال: لا إله إلا الله! دللتموني على

طريق سلكتموها، أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنماً من دونه ولم يضيعني، أو يضيعني وأنا أعرفه؟ فلما كان بعد أيام قيل لي: إنه في الموت، فأتيته، فقلت له: هل من حاجة، فقال: قضى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي.

قال عبد الواحد: فحملتني عيني، فتمت عنده، فرأيت مقابر «عبادان» روضة وفيها قبة، وفي القبة سرير عليه جارية لم ير أحسن منها، فقالت: سألتك بالله إلا ما عجلت به، فقد اشتد شوقي إليه، فاتبعت، وإذا به قد فارق الدنيا، فممت إليه فغسلته وكفنته وواريته، فلما جن الليل نمت، فرأيت في القبة مع الجارية، وهو يقرأ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].<sup>(١)</sup>

### المدامومة على الإنفاق

قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق! لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية! فقال: اللهم لك الحمد، على زانية! لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق، وعلى زانية، وعلى غني، فأتى فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقة، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله» [متفق عليه].

هل تحرص على صدقة أسبوعية أو شهرية لوجه الله ولمساعدة المحتاجين؟

### نتيجة الاستقامة

وفاة أثناء الذكر: كان الإمام ابن قدامة لا يكاد يسمع دعاء إلا حفظه ودعا به، ولا يسمع ذكر صلاة إلا صلاحها، ولا يسمع حديثاً إلا عمل به، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شيبوبته، وقلل الأكل في مرضه قبل موته حتى عاد كالعود، ومات وهو قاعد على أصابعه يسبح.

(١) التوابين (٢٠٢، ٢٠٣).

أعلم أخي القارئ أن الإمام قد دفن في يوم شديد الحر فأقبلت غمامة فأظلت الناس إلى قبره وهم يشيعون جنازته<sup>(١)</sup>. فاحرص على أذكار الصباح والمساء.

وفاة أثناء الصلاة:

عن مصعب بن عبد الله قال: سمع عامر بن عبد الله المؤذن، وهو يجود بنفسه، ومنزله قريب من المسجد، فقال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل، فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب، فركع مع الإمام ركعة ثم مات<sup>(٢)</sup>.  
قم إلى الصلاة متى سمعت النداء مهما تكن الظروف.

وفاة شاب:

توفي منذ سنين قريبة، وبالتحديد في منطقة السالمية، وبعد صلاة الفجر من يوم الجمعة، اعتكف بالمسجد مع مجموعة من إخوانه لقراءة سورة الكهف، فانفرد بزواوية من زوايا المسجد واضعاً مصحفه على الكرسي يرتل آيات الله تعالى منتظراً شروق الشمس حتى يصلي صلاة الضحى، وفجأة سقط رأسه على المصحف ففزع له إخوانه، وقاموا لنجدته، ولكن كان قدر الله إليه سبق.

فانظر إلى العبادات التي ختم الله بها حياة صاحبنا: صلاة الفجر جماعة بالمسجد - الدعاء بعد الصلاة والذكر - اعتكاف - قراءة سورة الكهف من القرآن - انتظار صلاة الضحى<sup>(٣)</sup>.

عن يزيد بن أبي حبيب قال: لما احتضر ابن أبي السرح وهو بالرملة، وكان خرج إليها فاراً من الفتنة، فجعل يقول من الليل: أأصبحتم؟ فيقولون: لا، فلما كان عند الصبح، قال: يا هشام، إنني لأجد برد الصبح فانظر، ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح.

فتوضأ، ثم صلى فقرأ في الأولى بأم الكتاب والعاديات، وفي الأخرى بأم القرآن

(١) الوقت عمار أو دمار ٨٢/٢.

(٢) صفة الصفوة ١/١٣١.

(٣) الوقت عمار أو دمار ٨٦.

وسورة، وسلم عن يمينه وذهب يسلم عن يساره فقبض ﷺ.

تأكد أخي الحبيب أنه لم يرزق حسن الخاتمة  
إلا بسبب أنه استقام على طاعة الله في حياته.

### وفاة الشافعي

عن المزني قال: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وإخواني مفارقاً، ولكأس المنية شارباً ولسوء أعمالتي ملاقياً وعلى الله تعالى واردًا، فلا أدري روعي تصير إلى الجنة فأهنتها، أو إلى النار فأعزيتها، ثم بكى وأنشأ قائلاً:

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي      جعلت الرجا مني لعفوك سلما  
تعاطمني ذنبي فلمما قرنته      بعفوك ربي كان عفوك أعظما  
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل      تجود وتعفو منة وتكرما

### أهلا بالزوار

عن الشعبي قال: أصاب سلمان الفارسي ﷺ صرة مسك يوم فتح جلولاء فاستودعها امرأته، فلما حضرته الوفاة قال: هاتي المسك، فمرسها في ماء، ثم قال: انضحها حولي، فإنه يأتيني زوار الآن ليس بإنس ولا جان، ففعلت، فلم يمكث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قبض

عن زياد، مولى ابن عياش، قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أنني أرى أن هذا اليوم آخر يوم في الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أنني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات.

### جزاء عدم الاستقامة

ها هو رجل كان له عبد يعمل في مزرعته، فيقول هذا السيد لهذا العبد: ازرع هذه القطعة برأ، وذهب وتركه، وكان هذا العبد لبيباً عاقلاً، فما كان منه إلا أن زرع شعيراً ولم

يأت ذلك الرجل إلا بعد أن استوى وحن وقت حصاده، فجاء فإذا هي قد زرعت شعيراً، فما كان منه إلا أن قال: أنا قلت لك: ازرعها برّاً لم زرعتها شعيراً؟ قال: رجوت من الشعير أن ينتج برّاً، قال: يا أحمق أو ترجو من الشعير أن ينتج برّاً.

قال: يا سيدي أفتعصي الله وترجو رحمته، أفتعصي الله وترجو جنته، فذعر السيد وخاف واندهش، وتذكر أنه إلى الله قادم، فقال: تبت إلى الله، وأبت إلى الله، وأنت حر لوجه الله<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) قصص وعبر ٢/٢٣.



## الخوف والرجاء

### تأملات

قال ابن الجوزي: سبحان من أقام من كل موجود دليلاً على عزته، ونصب علم الهدى على باب حجته، الأكوان كلها تنطق بالدليل على وحدانيته، وكل موافق ومخالف يمشي تحت مشيئته، إن رفعت بصر الفكر تر دائرة الفلك في قبضته، وتبصر شمس النهار وبدر الدجى يجريان في بحر قدرته، والكواكب قد اصطفت كالمواكب على مناكب تسخير سطوته، هذا بعض صنعه: ﴿وَيُسِّخِرُ الرِّغْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣].

### أما أبصرت قبور القوم؟

يا من صحيفته بالذنوب قد خفت، وموازينه لكثرة العيوب قد حقت، يا مستوطناً والمزعجات قد لفت، لا تغتر بأغصان المنى وإن أورقت ورفرت، أما رأيت أكفاً عن مطالبها قد كفت؟ أما رأيت عرايس الأجساد إلى الأحقاد زفت؟ أما عاينت سطور الأجسام في الكتب قد أدرجت، أما أبصرت قبور القوم؟ في رقاع بقاع القاع قد صفت، من عرف تصرف الأيام لم يغفل الاستعداد، إن قبر المنية ليضحك من بعد الأمنية.

### شمر عن ساق الجد

إخواني، السنون مراحل، والشهور فراسخ، والأيام أميال، والأنفاس خطوات، والطاعات رؤوس أموال، والمعاصي قطاع الطريق، والريح الجنة، والخسران النار، لهذا الخطب شمر المتقون عن سوق الجد في سوق المعاملة، كلما رأوا مراكب الحياة تحطف في بحر العمر شغلهم هول ما هم فيه عن التنزه في عجائب البحر، فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر، فاعتنقتهم الراحة في طريق التلقي، فدخلوا بلد الوصل وقد حازوا ربح الدهر.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل

ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون ما بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» [متفق عليه].

### لا للتقصير في القصير

العمر يسير وهو يسير، فأقصروا عن التقصير في القصير، أليس الزمان يعير ثم يغير؟ وهب أنه وهب، أما ضرب الدهر؟ فاستحال الضرب.

### إعراض الله

أعرض الله عن إبليس فخزي ببعده ولعنته، وعن قاييل فقلب قلبه إلى معصيته، وعن عمرود فقال: أنا أحبي الموتى ببلايته، وعن فرعون فادعى الربوبية على جراته، وعن هامان فأين رأيه في وزارته؟ وعن قارون فخرج على قومه في زينتته، وعن بلعام فهلك، بل عام في بحر شقوته، وعن برصيصة فلم تنفعه سابق عبادته، هكذا جري تقديره من يوم «لا أبالي» في قسمته.

### خف من النار

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» [رواه مسلم].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أحص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه، ما يرى أن أحداً أشد عذاباً منه وإنه لأهونهم عذاباً» [متفق عليه].

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فغطي أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين (بكاء مع غنة). متفق عليه.

### كيف تعرف الديك من الدجاجة؟

قال ابن الجوزي: من نام على فراش الكسل، سال به سليل التماذي إلى وادي

الأسف، الرجولية قوة معجونة في طين الطبع، والأنثوية رخاوة، ولد السبع عزيز المهمة، وابن الذئب غدار، وكل إلى طبعه عائد، الجدد كله حركة، والكسل كله سكون، إذا أردت أن تعرف الديك من الدجاجة حين يخرج من البيض، فعلقه بمنقاره، فإن تحرك فديك، وإلا فدجاجة. فتُورك في السعي في طلب الفضائل دليل على تأنيث العزم.

### نـداءات

يا من قد بلغ أربعين سنة، وكل عمره نوم وسنة، يا متعباً في جمع المال بدنه؟ ثم لا يدري لمن قد أخزنه؟ أعلم هذه النفس الممتحنة، إنها بكسبها مرتهنة، ألا ليعتبر المغرور بمن قد دفنه؟ كم رأى جباراً قد فارق مسكنه؟ أي راحلين بالإقامة، يا هالكين بالسلامة، أين من أخذ صفو ما أتم في كدره؟ أما وعظكم في سيره بسيره؟ بلى قد حمل بريد الإنذار أخبارهم، وأراكم تصفح الآثار آثارهم.

### احذر الفرق

عن المقداد ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل» - قال: أبو سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي يكحل به العين - فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبه، ومنهم من يكون إلى ركبته، ومنهم من يكون إلى حقوية، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً وأشار بيده إلى فيه» [رواه مسلم].

### إخواني

كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها، وكم أنزل أجساداً يجارها لم يجارها، وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها.

يا معرضاً بوصال عيش ناعم      ستصد عنه طائعا أو كارها  
إن الحوادث تزعج الأحرار عن      أوطانها والطير من أوكارها

أين هؤلاء؟!

يقول ابن الجوزي: أين من ملك المغارب والمشارك، وعمر النواحي وغرس الحدائق،

ونال الأمانى وركب العواتق؟ صاح به من داره غراب بين ناعق، وطرقه في لهوه أقطع طارق، وزجرت عليه رعود وصواعق، وحل به ما شيب بعض المفارق، وهجره الصديق والرقيق الصادق، ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق.

أخي ما أنت فيه الآن أحلام، ودنياك لا تصلح، وما سمعت ستره غداً إلى التمام، ويقع لي ولك، ويحك! أما يؤثر فيك الكلام.

### اتقوا النار

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» [متفق عليه].

### شهادة الأرض

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] ثم قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها، [رواه الترمذي].

### وصايا غالية

قال أبو بكر رضي الله عنه: من استطاع أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فليتبك. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار.

وقال حذيفة رضي الله عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ، فيصير بها منافقاً، إنني لأسمعها من أحدكم اليوم عشر مرات. [رواه أحمد].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله من الكبائر.

### هل دخلت الجنة؟

ومر الحسن بشاب مستغرق في ضحكته، وهو جالس مع قوم في مجلس، فقال له

الحسن: يا فتى، هل مررت بالصراط؟ قال: لا، قال: فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟. قال: فما رُئي ذلك الفتى بعدها ضاحكاً.

### التسبيح أفضل أم الاستغفار؟

قال ابن القيم: قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوماً: سئل بعض أهل العلم: أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟

فقال: إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له، ثم قال لي رحمه الله: كيف والثياب لا تزال دنسة.

### خوف يدفع للعمل

قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» [رواه الترمذي].

### لو تعلمون ما أعلم

عن رسول الله ﷺ قال: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أظن السماء وحق لها أن تظن، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» [رواه الترمذي].

### لم شبت يا رسول الله؟

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ: أراك شبت؟ فقال: «شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» [رواه الترمذي].

### الرسول يبكي

يقول عبد الله بن الشخير بن عوف ؓ: رأيت رسول الله ﷺ يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء.

ومر رسول الله ﷺ بإخوانه وهم حول قبر يدفنون رجلاً، فبدر من بين أيديهم، ثم واجه القبر حتى بل الثرى من دموعه، وقال: أي إخواني، لمثل هذا اليوم فأعدوا

يقول ابن القيم: إن أبا بكر رضي الله عنه قال: وددت أني شعرة في جنب مؤمن. وذكر عنه أنه كان يمك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. وكان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا. وقال قتادة: بلغني أن أبا بكر قال: ليتني خضرة تأكلني الدواب.

### خوف عمر

وهذا عمر رضي الله عنه قرأ سورة الطور حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧] بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض، عساه أن يرحمني، ثم قال: بل ويل أمني إن لم يغفر لي، ثلاثاً، ثم قضى. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وجهه خيطان أسودان من البكاء. وقال له ابن عباس رضي الله عنهما: مصّر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، وفعل وفعل، فقال: وددت أني أنجو، لا أجر ولا وزر.

### ماذا عملت فيما علمت؟

وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي: يا أبا الدرداء، قد علمت فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شرباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم، وتبكون على أنفسكم، ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

### بكاء.. بكاء

وقرأ تميم الداري رضي الله عنه ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] جعل يرددتها ويبكي حتى أصبح.

وقال رجل في مجلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليّ.

فقال عبد الله: لكن ههنا رجل ود لو أنه إذا مات لم يبعث؛ يعني نفسه.

## وقفة تأمل

وقالت فاطمة بنت عبد الملك - امرأة عمر بن عبد العزيز - لمغيرة بن حكيم: يا مغيرة، إنه يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر، وما رأيت أحداً قط أشد فرحاً من ربه من عمر، كان إذا صلى العشاء قعد في المسجد ثم يرفع يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم يتبته، فلم يزل رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عيناه.

وبكى يوماً فبكت فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلما تجلى عنهم العبر، قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين، ممن بكيت؟

قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم بين يدي الله عز وجل؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير، ثم صرخ وغشي عليه.

## لماذا لا نبكي؟

لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر الصديق ﷺ وسمعوا القرآن جعلوا يبكون، فقال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب.

وهكذا عد الصديق قحط العينين وعدم جودهما بالبكاء من علامات قسوة القلب، ويصبح في قسوته كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله.

## البكاء في النار

عن النبي ﷺ قال عن ربه: «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمين ولا خوفين، إن أميني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن خافني في الدنيا أمنتته يوم أجمع عبادي» [رواه ابن حبان].

وعن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع، ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود، ولو أرسلت فيه السفن لجرت» [رواه ابن ماجه].

## أتعرف ذنب كذا

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدين المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟

فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطي صحيفة حسناته» [متفق عليه].

### هل تحافظ على الصلاة؟

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أصبت حدًا فأقمه عليّ، وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى الصلاة قال: يا رسول الله إني أصبت حدًا فأقم في كتاب الله، قال: هل حضرت الصلاة؟ قال: نعم، قال: قد غُفر لك. [متفق عليه].

أصبت حدًا: معصية توجب التعزير، وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا، والخمر فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة ولا يجوز للإمام تركها.

### نداء رباني

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة» [رواه الترمذي].

### بشريات

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» [رواه مسلم].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، لو سمعه صعق» [رواه البخاري].

وعن أبي ذر رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء السيئة سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً



تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة». [رواه مسلم].

### هنيئاً لك

عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ! قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك. قال: يا معاذ! قال: لبيك يا رسول الله، وسعديك، قال: يا معاذ! قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، قال: ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر بها الناس فيستبشرون، قال: إذا يتكلموا فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً (خوفاً من الإثم في كتم هذا العلم) [متفق عليه].

### إنك تعبد الرحيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي» [متفق عليه].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فالزقته ببطها فأرضعته، فقال رسول الله: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله، فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» [متفق عليه].

### الخوف أفضل أم الرجاء؟

كقول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع، والماء أفضل للعطشان، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل، وإن استويا فهما متساويان.

قال علي لبعض ولده: يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وأرج الله رجاء ترى أنك لو أتيت بسيئات أهل الأرض غفرها لك.

## الخشوع

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

الخشوع في أصل اللغة: الانخفاض والانكسار. قال تعالى ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

وقال الراغب الأصفهاني: الخشوع: الضراعة، وأكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح.

ووصف الله الأرض بالخشوع. فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَّرَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

وعرف مجاهد الخشوع فقال: الخشوع غض البصر، وخفض الجناح، وكان الرجل إذا قام إلى الصلاة يهاب الرحمن أن يشرده بصره، أو أن يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا.

وقال ابن تيمية: الخشوع يتضمن معنيين: أحدهما التواضع والذل، والثاني السكون والاطمئنان، وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله، وطمأنينته أيضاً.

وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب، وثمرته تظهر على الجوارح وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «التثاؤب من الشيطان، فإن تثأب أحدكم فليردّه ما استطاع» [متفق عليه].

وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن.

ومما يؤكد أن الخشوع في القلوب ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد رأى رجلاً يطأطئ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.

ورأت السيدة عائشة رضي الله عنها شاباً يمشون ويتماوتون في مشيتهم، فقالت

لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نُسّاك.

فقالت: كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطمع أشبع، وكان هو الناسك حقاً.

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت علي بن الحسين، وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا بن رسول الله النار، يا بن رسول الله النار، فما رفع رأسه حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي أهلك عنها؟

قال: ألهتني عنها النار الأخرى.

وكان الفضيل يقول: أفرح بالليل لمناجاة ربي، وأكره النهار للقاء الخلق.

تطلب النجاة ولكن لا من باب الطلب، تقف في الصلاة إن صلاتك عجب، الجسم حاضر والقلب في شعب، الجسد بالعراق والقلب في حلب، الفهم أعمى واللفظ لفظ العرب، أنا أعلم بك منك حب الهوى قد غلب، ومتى أسر الهوى قلباً لم يفلح وكبت.

وبلغ من شدة حرص معاذ بن جبل على تعليم المصلين أهمية الخشوع وحضور القلب في الصلاة، أنه قال: من عرف من على يمينه ومن على شماله وهو في الصلاة متعمداً فلا صلاة له.

ومن كلام ابن مسعود: ما دمت في صلاة فأنت تفرع باب الملك، ومن قرع الباب يفتح له.

### اعتراف غربي:

يقول ألكسيس كاريل مؤلف كتاب «الإنسان ذلك المجهول» وأحد الحائزين على جائزة نوبل: «لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عُرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفي طبيياً، كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يده عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم. إن الصلاة كمعدن «الراديو» مصدر للإشعاع، ومولد ذاتي للنشاط، وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود، حين يخاطبون القوة التي لا يفنى نشاطها.

إننا نربط أنفسنا حين نصلي بالقوة العظمى التي تهيمن على الكون، ونسألها ضارعين أن

تمنحنا قبساً منها، نستعين به على معاناة الحياة، بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا، ولن تجد أحداً ضرع إلى الله مرة إلا عادت هذه الضراعة بأحسن النتائج.

وإذا كان هذا هو أثر الصلاة بعامة، فإن الصلاة الإسلامية بخاصة أبعد غوراً وأعمق آثاراً<sup>(١)</sup>.

### صلاة تليق بمعبودك

يا واقفاً في صلاته مجسده والقلب غائب، ما يصلح ما بذلته من التعبد مهراً للجنة فكيف ثمناً للجنة. رأت فارة جملأً فأعجبها فجرت خطامه فتبعها فلما وصل إلى باب بيتها وقف ونادى بلسان الحال، إما أن تتخذي داراً يليق بمحبوبك أو محبوباً يليق بدارك. خير من هذا إشارة إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك أو تتخذ معبوداً يليق بصلاتك.

### نماذج للخاشعين

كان سعيد بن جبير يقول: ما عرفت من على يميني ولا من على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة، منذ سمعت ابن عباس يقول: الخشوع في الصلاة ألا يعرف المصلي من على يمينه وشماله.

وقال سعيد بن عبيد: كان سعيد بن جبير يؤم قومه فقرأ في صلاته قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] فجعل ينشج بنشج يقطع أكباد سامعيه حتى سقط مغشياً عليه.

وكان الربيع بن خثيم إذا سجد كأنه ثوب مطروح؛ فتجيء العصافير فتقع عليه.

ويقول عمر بن الخطاب: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام، وما أكمل الله له صلاة.

قيل: وكيف ذلك؟

فقال: لا يتم خشوعها ولا تواضعها، ولا إقباله على الله فيها.

ويقول التابعي حسن بن عطية وغيره: إن الرجلين ليكونان في الصلاة، مناكبهما جميعاً، وإن ما بين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

(١) الإيمان والحياة (٣٠١).

قالوا له: وكيف ذلك؟

قال: يكون أحدهما مقبلاً على الله بقلبه، والآخر ساوٍ غافلٍ في صلاته.

فأين نحن من هؤلاء الصالحين، فما عملنا إلا كالسراب، وقلوبنا من التقوى خراب، وذنوبنا عدد الرمال والتراب، ثم نطمع بعد ذلك في الكواعب والأتراب، هيهات هيهات لنا، فنحن قوم سكارى بغير شراب.

وعن عبد الله بن شداد قال: سمعت عمر يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف، فسمعت نسيجه وإني لفي آخر الصفوف، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

وقال ابن عمر: صليت خلف عمر فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف، وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء.

وزار القيرواني أبا جعفر القمودي فوجده يصلي، فأطال أبو جعفر صلاته، وأطال القيرواني القعود، وهو منتظر له، فلما انتهى من صلاته قال له القيرواني: يا أبا جعفر، بأقل من هذا التعب وهذا التكلف تصل إلى المقصود وتدرك المطلوب إن شاء الله.

فقال له أبو جعفر: يا مسكين لو ذقت حلاوة «الله أكبر» ولذتها لما ملت من التعب من الاستكثار منها.

يقول رجل لحممة العابد- وكان من خيار- عباد الله الصالحين في عصر التابعين:-  
ما أفضل عملك الذي ترجوه عند ربك؟

قال: ما أتني صلاة قط إلا وأنا مستعد لها ومشتاق إليها، وما انصرفت من صلاة قط إلا كنت إذا انصرفت منها أشوق إليها من حيث كنت فيها، ولولا أن الله أنزل الفرائض متقطعة بين الأوقات لأحببت أن أكون ليلي ونهاري ساجداً راکعاً لله.

أيها المصلي طهر سرك قبل الطهور، وفتش على قلبك قبل الشروع، حضور القلب أول منزل، فإذا نزلته انتقلت إلى بادية العمل، فإذا انتقلت عنها أخت بيباب المناجي، وأول قري ضيف اليقظة كشف الحجاب لعين القلب، وكيف يطمع في دخول مكة متقطع قبل الكوفة، همك في الصلاة متشبه، وقلبك بمساكنة الهوى متلوث، ومن كان متلطحاً بالأقدار لا يغلف،

ادخل دار الخلوة لمن تناجي وأحضر قلبك لفهم ما تتلو، ففي خلوات التلاوة تزف أباكراً المعاني، إذا كانت مشاهدة مخلوق يوم ﴿أَخْرَجَ عَلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ٣١] استغرقت إحساس الناظرات ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] فكيف بالباب عقلت؟ فعلقت على الباب؟.

يقول الحسن البصري: ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساوٍ.

إن ناموا توسدوا أذرع الهمم، وإن قاموا فعلى أقدام القلق لما امتلأت أسماعهم بمعبأة «كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني»، خلفت أجفانهم على جفاء النوم.

### طريق النصر

قبل توجه قتيبة بن مسلم إلى فتوحات الصين أرسل رجلاً إلى المسجد ينظر من فيه (أي أنه يستطلع الأحوال الإيمانية أولاً) فقال له الرجل: رأيت محمد بن واسع (وهو من التابعين) رافعاً إصبعه (يدعو)، فقال قتيبة: إصبعه تلك أحب إليّ من ثلاثين ألف عنان (أي فرس)، وكان قتيبة يحرص على مصاحبته في الحرب لصلاحه وتقواه.

### كيف تقيم الصلاة؟

يروى عن عاصم بن يوسف أنه ذكر له عن حاتم الأصم، أنه كان يتكلم مع الناس في الزهد، والإخلاص، فقال عاصم لأصحابه: اذهبوا بنا إليه نسأله عن صلاته إن كان يكملها، وإن لم يكن يكملها نهيناه عن ذلك.

قائوا: فأتوه، وقال له عاصم: يا حاتم جئنا نسألك عن صلاتك.

فقال له حاتم: عن أي شيء تسألني، عافاك الله؟ عن معرفتها؟ أو عن تأديتها؟

فالتفت عاصم إلى أصحابه وقال لهم: زادنا حاتم ما لم نحسن أن نسأل عنه، ثم قال

حاتم، نبدأ بتأديتها.

فقال لهم: تقوم بالأمر، وتقف بالاحتساب، وتدخل بالسنة، وتكبر بالتعظيم، وتقرأ

بالترتيل، وتركع بالخشوع، وتسجد بالخضوع، وترفع بالسنة، وتشهد بالإخلاص، وتسلم

بالرحمة.

قال عاصم: هذه التأدية فما المعرفة؟

قال: إذا قمت إليها، فاعلم أن الله مقبل عليك، فأقبل على من هو مقبل عليك، واعلم بأن جهة التصديق لقلبك أنه قريب منك، قادر عليك، فإذا ركعت فلا تؤمل أن تقوم، ومثل الجنة عن يمينك، والنار عن يسارك، والصراط تحت قدميك، فإذا فعلت، فأنت مصلاً. فالتفت عاصم إلى أصحابه، وقال: قوموا نعي الصلاة التي مضت من أعمارنا.

### أتسهو في صلاتك؟

قيل لعامر بن قيس: أما تسهو في صلاتك؟ قال: أو حديث أحب إليّ من القرآن حتى أشتغل به، هيهات! مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس.

وكان مسلم بن يسار لا يلتفت في صلاته، ولقد انهدمت ناحية في المسجد فزع لها أهل السوق، فما التفت. وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا علماً منه أن قلبه مشغول، وكان يقول في مناجاته: إلهي متى ألقاك وأنت عني راض؟.

وعن معمر المؤذن قال: صلى إلى جني سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة فسمعتة يقرأ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ فلما أتى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧] وجعل يرددتها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا.

قال: فخرجت وتركته، وعدت لأذان الفجر فإذا هو في مقامه فسمعت: فإذا هو يقرأ ولم يجزها حتى أصبح.

فقيل له: يا سليمان التيمي من مثلك؟

فقال: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل، قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال القاسم بن معن: رأيت أبا حنيفة قام ليلة كاملة يصلي ويردد قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] ويبكي ويتضرع حتى أذن لصلاة الفجر.

وعن ابن عباس قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة وأتفكر فيها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن هزيمة.

وكان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع.

وعن يحيى بن وثاب: أن ابن الزبير كان يسجد حتى تنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جذم حائط.

ويقول أحمد بن أبي الحواري: إذا قام العبد في الصلاة قال الله: ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي، فإذا التفت قال: ارفعوها ودعوه ما رضي لنفسه.

ويقول أيضاً: إنني لأقرأ القرآن في صلاتي، فأنظر في آية آية، فيحار عقلي فيها، فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهينهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا، وهم يتلون كلام الرحمن؟ أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه، وتلذذوا به واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا.

وعن مسلم بن نياق المكي قال: ركع ابن الزبير يوماً ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، وما رفع رأسه.

وعن أبي بكر بن عياش قال: سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: ذهبت الصلاة مني وضعفت ورق عظمي، إنني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران.

#### أسلم بسبب الصلاة

المهندس الإيطالي «كلاودود راديزي» الذي صار المسلم خالد عمر، قال: كنت أسير في يوم ما في أحد الشوارع بمدينة القاهرة، فرأيت مسجداً يسمى مسجد قايتباي، ووجدت نفسي أتوقف فجأة أمام المسجد بدون شعور، وكان ذلك وقت صلاة الجمعة، ووجدت المصلين يصلون الجمعة، فانتابني إحساس لا يمكن وصفه حيث تولدت في نفسي ومضة روحانية.

ويقول: أهم شيء جذبني إلى الإسلام الصلاة، حيث إنها علاقة مباشرة بين العبد وربّه بدون وسيط، حيث شعرت بإحساس لا يمكن وصفه أثناء الصلاة.

وقال: نعم كانت لحظة سعادة لا أستطيع أن أصف مداها حينما انتهت إجراءات إشهار إسلامي.. لقد شعرت بانتمائي لأسرة الإسلام، وانضمامي كفرد إلى أسرة كنت أفقدها من قبل، وشعرت بمعنى هذه الأسرة وأهميتها، وهذا الشعور لم أشعر به من قبل. إنني أشعر أيضاً بمسئولية تجاه أصدقائي وأقاربي في إيطاليا.. يجب أن أدعوهم لهذا الدين



العظيم، ومن هذا المنطلق أشعر بجاجتي للتفقه في الإسلام حتى أستطيع أن أشرح لهم التعاليم الإسلامية، وما يدعو إليه الإسلام من آداب، والتحلي بالسلوكيات الحميدة<sup>(١)</sup>.

يمشون نحو بيوت الله إذا سمعوا  
الله أكبر في شوق وفي جزل  
أرواحهم خضعت لله في أدب  
قلوبهم من جل الله في وجل  
نجواهم: ربنا جئناك طائفة  
نفوسنا وعصينا خادع الأمل  
إذا سجي الليل قاموه وأعينهم  
من خشية الله مثل الجائد الهطل  
هم الرجال فلا يلهيهم لعب  
عن الصلاة ولا أكذوبة الكسل  
 وإقامة الصلاة تعني أداءها في خشوع وتضرع وحضور قلب.

#### معنى إقامة الصلاة

قال الضحّاك: عن ابن عباس قال: إقامة الصلاة: إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال على الله.

ما أجمل وأروع السجود الباكي الخاشع لله، وخاصة في جوف الليل، ما أعظم السجدة الخاشعة الباكية يسجدها المكروب يشكو فيها بثه وحزنه إلى الله، فيشعر معها ببرد اليقين، وبزوال همه، وكربه، وانشراح صدره وتيسير أمره<sup>(٢)</sup>.  
وكان عبد الله بن الزبير يدخل في الصلاة فيخرج من كل شيء إليها، ولقد مرت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلي فوالله ما أحس بها ولا اهتز لها، ولا قطع من أجلها صلاته ولا تعجل ركوعه.



(١) السر الحفي وراء إسلام هؤلاء (٥٧/٢-٦٠).

(٢) رجل المحراب: (٢٨).

## البكاء من خشية الله

قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم» [الترمذي].

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «من استطاع أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فليتبك». أحمد في الزهد.

قالت عائشة - رضي الله عنها - : «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً».

عن الشعبي قال: سمعت من عبد الملك بن مروان يقول: «اللهم إن ذنوبي عظمت فجلت عن الصفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني».

قال الشاعر:

وإني لآتي الذنب أعرف قدره      وأعلم أن الله يعفو ويغفرُ  
لئن عظم الناس الذنوب فإنها      إن عظمت في رحمة الله تصغر

### بكاء الرسول ﷺ

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: يا رسول الله اقرأ عليك و عليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان [متفق عليه].

### البكاء خوفاً من سوء الخاتمة

عن محسن بن موسى قال: كنت زميل سفيان الثوري إلى مكة فرأيتَه يكثُر من البكاء، فقلت له: يا أبا عبد الله، بكاؤك هذا خوفاً من الذنوب؟

قال: فأخذ عودا من الحمل فرمى به، فقال: إن ذنوبي أهون عليّ من هذا، ولكن أخاف أن أسلب التوحيد.

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة  
فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
أدعوك رب كما أمرت تضرعا  
فإذا رددتَ يدي من ذا يرحم  
إن كان لا يرجوك إلا محسن  
فمن الذي يرجو المسيء المجرم  
مالي إليك وسيلة إلا الرجا  
وجميل ظني ثم أني مسلم

وبكى الحسن البصري فقيل له: ما يبكيك؟

قال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

إليك عني

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه استسقى فأتى بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه - فمه - بكى، وأبكى من حوله، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هيحك على هذا البكاء؟

قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيئا، ويقول: «إليك عني، إليك عني»، ولم أر معه أحدا، فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئا، ولا أرى معك أحدا، قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها، فقلت لها: إليك عني، فتنحت، وقالت: أما والله لئن انفلتت مني لا ينفلت مني من بعدك، فخشيت أن تكون قد لحقتني، فذاك الذي أبكاني». [الحاكم].

يا عمر الخير

جاء أعرابي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له:

يا عمر الخير جزيت الجنة جهز بناتي واكسهنه

أقسم بالله لتفعله

فقال له عمر- مداعبا -: فإن لم أفعل، يكون ماذا يا أعرابي؟

فقال الأعرابي: أقسم بالله لأمضيه

فاستمر عمر في مداعبته، وقال له: فإن مضيت، يكون ماذا يا أعرابي؟

فقال:

والله عن حالي لتسألنه      يوم تكون السائلات منه  
والواقف المسئول بينهنه      إما إلى نار وإما إلى جنة

فبكى عمر وقال: يا غلام أعطه قميصي لذلك اليوم (يوم القيامة) لا لشعره.

كان عمر بن الخطاب يتأثر عندما يذكره أحد بمواقف الآخرة خوفا من ربه.

كان النار له تخلق إلا لهم

عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وهو خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا - قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام [رواه البخاري].

محمد بن مسعود قال: قال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: أخاف أن يطرحني غدا في النار ولا يبالي.

إذا اشتبكت دموع في حدود      تبين من بكى ممن تباكى

فأما من بكى فيذوب شوقا      وينطق بالهوى من قد تباكى

وعن الأعمش قال: بكى حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفت، فإذا رجل خلفه، فقال:

لا تعلمن بهذا أحدا.

أبكي على قلة زادي

بكى أبو هريرة رضي الله عنه عند موته فقيل له: ما يبكيك؟

قال: أما إنه ما أبكي على دنياكم هذه ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي،

وإني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري إلى أيهما يؤخذ بي.

وقالت أم محمد بن كعب القرظي لمحمد: يا بني، لولا أنني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار، قال: يا أمه، وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال: اذهب لا أغفر لك؟.

### دموعهم جارية

كان سعيد بن السائب الطائفي لا تكاد تجف له دمعة إنما دموعه جارية دهره، إن صلى فهو يبكي وإن طاف فهو يبكي، وإن جلس يقرأ في المصحف فهو يبكي، وإن لقيته في الطريق فهو يبكي.

وقيل لسعيد بن السائب: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت أنتظر الموت على غير عدة.

وقال الثوري: جلست ذات يوم أحدثت ومعنا سعيد بن السائب الطائفي، فجعل سعيد يبكي حتى رحمته، فقلت: يا سعيد، ما يبكيك؟ وأنت تسمعي أذكر أهل الخير وفعالهم.

فقال: يا سفيان، وما يعني من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت منهم بمعزل؟!!

وعن أبي معشر قال: رأيت عون بن عبد الله في مجلس أبي حازم يبكي ويمسح وجهه بدموعه، فقيل له: لم تمسح وجهك بدموعك؟

قال: بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان مكاناً من جسده إلا حرم الله عز وجل ذلك المكان على النار.

### ويح نفسي!

عن عون بن عبد الله أنه كان يقول في بكائه، وذكر خطيئته: ويح نفسي! ويح نفسي! وبأي شيء لم أعص ربي؟ ويحي! إنما عصيته بنعمته عندي، ويحي من خطيئة ذهب شهوتها وبقيت تبعثها عندي! ويحي كيف أنسى الموت ولا ينساني؟! ويحي إن حجبت

يوم القيامة عن ربي! ويحي كيف أغفل ولا يغفل عني؟! أم كيف تنهأ معيشتي واليوم الثقيل ورائتي؟! أم كيف لا تطول حسرتي ولا أدري ما يفعل بي؟! أم كيف يشتد حيي لدار ليست بداري؟! أم كيف أجمع بها وفي غيرها قراري؟! أم كيف تعظم فيه رغبتني والقليل فيها يكفيني؟! أم كيف أوترها وقد أضرت بمن أثرها قلبي؟!!

وجاء أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟

قال: عهدٌ عهدته إلينا رسول الله، قال: «لتكن بلاغ أحدكم كتراد الراكب»، قال: فلما مات نظروا في بيته فلم يجدوا فيه إلا إكافاً ووطاءً ومتاعاً قومٌ نحواً من عشرين درهماً.

### البكاء خوفاً من النار

عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أنه بكى فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك بكيت فبكيت لبكائك. قال: إني أنبت أني وارد ولم أنبأ أني صادر (أي على النار).

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هدى تراه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

وقال يحيى بن معاذ: الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة، وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همة.

وكان يحيى بن معاذ يدعو: اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنا أهون الأشياء عليك.

### أمنية عبد الله بن عمرو

عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: لأن أدمع دمعة من خشية الله عز وجل أحب إليّ من أن أتصدق بألف دينار.

قال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكي، فقلت: يا أبا محمد، ما الذي أبكاك؟

قال: أي مصيبة أعظم أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه<sup>(١)</sup>، الناس فريقان: فريق

(١) الوقت عمار أو دمار (٥٨/٢).

يبكي من معاص حرم الوصول إليها، وفريق يبكي على طاعة لم يوفقه الله لها.

### منتهى الخوف

كان يحيى بن معاذ الرازي يقول: كيف يفرح المؤمن في دار الدنيا إن عمل سيئة خاف أن يؤخذ بها، وإن عمل حسنة خاف ألا تقبل منه، وهو إما مسيء وإما محسن.

وعن منصور بن عمار أنه قال: خرجت ليلة من الليالي وظننت أن النهار قد أضاء، فإذا أصبح علا، وإذا أنا بصوت شاب يدعو ويكي وهو يقول: اللهم وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولكن عصيتك إذ عصيتك بجهلي، وما أنا بنكالك (عقابك) جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي، وأعاني عليها شقوتي وغرني سترك المرخي علي، فقد عصيتك وخالفتك بجهلي، فمن عذابك من يستقذني؟ ومن أيدي زبانيتك من يخلصني؟ وبجل من أتصل إن أنت قطعت جلك عني؟ واسواتاه إذا قيل للمخفين: جوزوا، وقيل للمثقلين: حطوا! فإليت شعري مع المثقلين أحط؟! أم مع المخفين أجوز؟! ويحي كلما طال عمري كثرت ذنوبي! ويحي كلما كبرت سني كثرت خطاياي، فيا ويلي كم أتوب، وكم أعود، ولا أستحي من ربي.

### من أحسن الأشياء

كان السري السقطي يقول: أحسن الأشياء خمسة:

البكاء على الذنوب.

وإصلاح العيوب.

وطاعة علام الغيوب.

وجلاء الرين (ما يغطي القلب من سواد الذنوب) عن القلوب.

وآلا تكون لما تهوى ركوب.

وقال: خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها: الخوف من الله وحده، والرجاء

من الله وحده، والحب لله وحده، والحياء من الله وحده، والأنس بالله وحده.

## عتاب للنفس

كان عون بن عبد الله يقول في بكائه وذكر خطيئته: ويح نفسي! بأي شيء لم أعص ربي؟ ويحي! إنما عصيته بنعمته عندي، ويحي من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها عندي! ويحي كيف أنسى الموت ولا ينساني؟! ويحي إن حجت يوم القيامة عن ربي! ويحي كيف أغفل ولا يغفل عني؟! أم كيف تهتني معيشتي واليوم الثقيل ورائي؟! أم كيف لا تطول حسرتي ولا أدري ما يفعل بي؟! أم كيف يشتد حبي لدار ليست بداري، أم كيف أجمع بها وفي غيرها قراري؟! أم كيف تعظم فيها رغبتى والقليل فيها يكفيني؟! أم كيف أوثرها وقد أضرت بمن أثرها قبلي؟! أم كيف لا أبادر بعملتي قبل أن يغلق باب توبتي؟!!

## تخيل نفسك

يقول صاحب الإحياء: تخيل نفسك وقد قرع سمعك النداء إلى العرض، فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك، إذ يؤخذ بناصيتك، فتقاد وفؤادك مضطرب، ولبك طائر، وفرائصك مرتعدة، وجوارحك مضطربة، ولونك متغير، والعالم عليك من شدة الهول مظلم، فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب، وتخرق الصفوف، وتقاد كما تقاد الفرس، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن، فرموك من أيديهم، وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن مني، فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل، وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم لك من فاحشة نسيتها فتذكرتها، وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساوئها، فكم لك من خجل وجبن، وكم لك من حصر وعجز، فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه؟ وبأي لسان تجيب؟ وبأي عقل تعقل ما تقول؟ ثم تفكر في عظم حياتك إذا ذكرك ذنوبك شفاهاً، إذ يقول: يا عبدي أما استحييت مني فبارزتي بالقيح؟ واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل؟ أكنت أهون عليك من سائر عبادي؟ استخففت بنظري إليك فلم تكثر، واستعظمت نظر غيري؟ ألم أنعم عليك؟ فماذا غرك بي؟ أظننت أنني لا أراك وأنت لا تلقاني؟



## وصية

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه يقال له جندب فقال له: أوصني.

فقال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أتته أنت بعد ذلك منك مقبول، وإلى الله مرفوع.. يا جندب إنك لن تزداد من مودتك إلا قرباً، فصل صلاة مودع، وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وإبك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعلك، فكأن قد فارقتها، وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

إبك لذنبك طول الليل مجتهداً      إن البكاء معول الأحزان  
لا تنس ذنبك في النهار وطوله      إن الذنوب تحيط بالإنسان

## وقفات

من لم يكن له مثل تقواهم لم يعلم ما الذي أبكاهم، ومن لم يشاهد جمال يوسف لم يعلم ما الذي ألم قلب يعقوب.

وكان الحسن يبكي كثيراً ويقول: كنا نسلا من نسل الجنة، وذرية من أهلها، فبانا إبليس بالخطيئة إلى الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا، بل يجب علينا الحزن والبكاء ما دمنا في دار السي، حتى نعود إلى دار الكرامة التي خرجنا منها وأبعدنا عنها.

يا من كانت له معنا معاملة، وطالت بيننا وبينه المواصله، ثم اختار الهجر والمفاصله، إن لم يكن جميل فلتكن مجاملة، تفكر تعرف قدر ما فاتك، وإبك لذنب حرمك الفوز وأفاتك، اسكب دموع أسفك فرب دم بالأسى سفك، وانذب أطلال مأللك لعلك تغاث في موافقك.

## وأنت لابن الخطاب مثل هذا

ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد وفاة الصديق يسأل زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها عن عبادته فقال لها: كيف كان أبو بكر يعبد ربه حين يخلو بنفسه؟

فأجابته قائلة: كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ وصلى ثم يظل يصلي، يتلو القرآن ويبكي، ويسجد ويبكي، ويدعو ويبكي.

فبكى عمرو قال: وأنى لابن الخطاب مثل هذا؟!

وقال عبد الخالق بن عبد الله العبدى: كان عطاء إذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر، فوقف على أهل القبور، ثم قال: يا أهل القبور متم فواموتاه! ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور عاينتم ما عملتم فواعملاه! فلا يزال كذلك حتى يصبح.

يا هذا، المجاهدة لا يصلح لها إلا بطل، متى تغير من جنود عزمك على الإنابة قلب واحد، ثم آمن قلب الهزيمة عليك.

### دعوني

دعوني على نفسي أنوح وأندب  
بدمع غزير واكف يتصبب  
دعوني على نفسي أنوح لأنني  
أخاف على نفسي الضعيفة تعطب  
فمن لي إذا نادى المنادي بمن عصى  
إلى أين ألبأ أم إلى أين أذهب؟!  
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي  
إذا كنت في نار الجحيم أعذب!  
وقد ظهرت تلك القبائح كلها  
وقد قرب الميزان والنار تلهب  
ولكنني أرجو الإله لعله  
بمسن رجائي فيه لي يتوهب  
ويدخلني دار الجنان بفضله  
فلا عمل أرجو به أتقرب  
سوى حبه الهاشمي محمد  
وأصحابه والآل من قد ترهبوا<sup>(١)</sup>

### أنجح الوسائل

أنجح الوسائل لطلب الحوائج الذل، وأبلغ الأسباب في العفو البكاء، والعي - العجز عن الفصاحة - عن ترتيب العذر بلاغة المنكسر، وليس في المياه ماء يقلع آثار الذنوب عن ثوب القلب إلا الدموع، فإن صب الماء ولم يزل الأثر فعليك باغتراف من بحر الاعتراف، احضر نادي المجتهدين، ونادهم: طوبى لكم! قد وجدتم قلوبكم، فارحموا من لم يجد<sup>(٢)</sup>.

(١) بحر الدموع ٣٥.

(٢) المواعظ والمجالس ٢٦.

**ويحيي!**

بكيت على الذنوب أعظم جرمي      وحق لكل من يعصى البكاء

فلو كان البكاء يرد همي      لأسعدت الدمع معادماء

أخي: أين الدموع السواجم قبل المنايا الهواجم؟! أين القلق الدائم إلى الذنوب العظام؟! أيها القاعد والموت قائم، أنائم عن حديثنا أم متناوم؟ بادر بالتوبة من هفواتك، قبل فواتك، والمنايا بالنفوس فواتك<sup>(١)</sup>.

**ابك على خطيئتك**

يقول ابن الجوزي: ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه وإن تاب منها وبكى عليها، وإني رأيت أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة، وكأنهم قد قطعوا على ذلك، وهذا أمر غائب، ثم لو غفرت بقي الخجل من فعلها.

ويؤيد الخوف بعد التوبة أنه في الصحاح: أن الناس يأتون إلى آدم عليه السلام فيقولون: اشفع لنا، فيقول: ذنبي، وإلى نوح عليه السلام فيقول: ذنبي، وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى صلوات الله وسلامه عليهم، فهؤلاء إذا اعتبرت ذنوبهم لم يكن أكثرها ذنوبا حقيقة، ثم إن كانت فقد تابوا منها واعتذروا، وهم بعد على خوف منها، ثم إن الخجل بعد قبول التوبة لا يرتفع، وما أحسن ما قاله الفضيل بن عياض رحمه الله: واسوأاته وإن عفوت!، فأف والله لمختار الذنوب ومؤثر لذة لحظة تبقي حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وإن غفر له.

فالحذر الحذر من كل ما يوجب خجلا، وهذا أمر قل أن ينظر فيه تائب أو زاهد، لأنه يرى أن العفو قد غمر الذنب بالتوبة الصادقة، وما ذكرته يوجب دوام الحذر والخجل.

\* \* \*

## قيام الليل

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١-٤].

ويقول تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

ويقول النبي ﷺ: «أيها الناس أفسحوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» [رواه الترمذي].

ويقول أيضاً: «أفضل الصلاة دون الفريضة صلاة الليل» [رواه مسلم].  
والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

يا من باع الباقي بالفاني، أما ظهر لك الخسران؟ ما أطيب أيام الوصال! وما أمر أيام الهجر! ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان، وسهروا الليالي بتلاوة القرآن فيبيتون لربهم سجداً وقياماً<sup>(١)</sup>.

يقول ابن القيم

يحـيـون ليلهم بطاعة ربهم	بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم	مثل أنهار الوابل المطال
في الليل رهبان وعند جهادهم	لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجودهم أثار السجود لربهم	وبها أشعة نوره المتلالي

الليل مدرسة الرجال

قال أبو سليمان الداراني: لأهل الطاعة في ليلهم ألد من أهل اللهو بلهوهم، ولولا

الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

كان همام بن الحارث يدعو: اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهرا في طاعتك، قال: فكان لا ينام إلا هنيهة.

عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان- وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز- قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك، وهو عذب، فكننت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوي كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي، ثم ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٦] فيبكي ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله، كالمستيقظ من النوم، لأقطع ذلك عليه، فلما سمعني سكت فلم أسمع له حساً، رحمه الله<sup>(١)</sup>.

يقول تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿٥٠﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[الذاريات: ١٧، ١٨].

يقول سيد قطب: فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام لا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيراً، يأنسون بربهم في جوف الليل فتجافى جنوبهم عن المضاجع ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام.

قال الحسن البصري: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ كابدوا قيام الليل، فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر.

وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ كانوا لا ينامون إلا قليلاً، ثم يقول: لست من أهل هذه الآية.

وقال الحسن البصري: كان الأحنف بن قيس يقول: عرضت عملي على عمل أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونا بعيداً، إذ نحن قوم لا نبلغ أعمالهم، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا

(١) من يظلمهم الله (١/٢٩٠، ٢٩١).

يَهْجَعُونَ﴾، وعرضت عملي على عمل أهل النار، فإذا قوم لا خير فيهم، مكذبون بكتاب الله وبرسل الله، مكذبون بالبعث بعد الموت، فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة، صفة لا أجدها فينا، ذكر الله تعالى قوما فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ونحن -والله - قليلا من الليل ما نقوم، فقال له أبي ﷺ: طوبى لمن رقد إذا نعس، واتقى الله إذا استيقظ<sup>(١)</sup>.

يقول المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة، فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلي، فلما فرغ من ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ابتدأ بـ ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١: ٨] فبكى بكاء طويلا، وجعل يرددتها ويبيكي وشغلني ما سمعت عنه ورأيت عن حاجتي التي خرجت إليها، فلم أزل قائما وهو يرددتها ويبيكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع، فصرت إلى منزلي، فتوضأت، ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه النور.

ويتعجب الإمام أحمد بن حنبل من الذين يطلبون العلم وليس لهم من قيام الليل نصيب، فعن أبي عصمة البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه عندي، فلما أصبح نظر في الماء، فإذا هو كما كان على حاله لم يتوضأ منه، فقال أحمد: سبحان الله! رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد بالليل!؟

قال المروزي: كنت مع الإمام أحمد بن حنبل نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، فكان لا يدع قيام الليل وقراءة النهار، وما علمت بختمة للقرآن ختمها لأنه كان يسر ذلك.

ويحكى عن أسلم بن عبد الملك عن رجل من الصالحين كان كثير الصلاة والتهجد، وكان لا يرى نائما بالليل إلا قليلا، فقال له أسلم: يا أخي، ما لي لا أراك تنام كما ينাম الناس؟ فقال: إن عجائب القرآن أطرن نومي، ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في غيرها.

(١) في ظلال القرآن الكريم (٦/٣٣٧٧).

وعن أزهر- وكان من القوامين - أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا، فقلت لها: من أنت؟

قالت: حوراء..

فقلت: زوجيني نفسك؟

قالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني.

فقلت: وما مهرك؟

قالت: طول التهجد.

وقال الحسين الكرابيسي: بت مع الشافعي ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله فيها، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جمع له الرجاء والهيبة جميعا.

ويحكى أحمد بن أبي الحواري يقول: قال لي أبو سليمان الداراني: يا أحمد، إنني محدثك بمحدث فلا تحدثن به أحدا حتى أموت.

قال أحمد: وما هو؟

قال الداراني: نمت ذات ليلة عن وردي من صلاة الليل، فإذا أنا بحوراء تنبهي، وتقول: يا أبا سليمان، تنام عنا، وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام؟ أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟! بؤسا لعين آثرت لذة نوم على لذة مناجاة العزيز، قم - رحمك الله - فقد دنا الفراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضا، فما هذا الرقاد؟

قال الداراني: فوثبت فزعا وقد عرقت استحياء من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقتها لفي سمعي وقلبي.

يقول ثابت البناني: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة.

وعن حماد بن سلمة قال: قرأ ثابت البناني قوله تعالى ﴿كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ وهو يصلي الليل فجعل يبكي ويتحب ويردها.

يقول أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان الداراني وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك يا أبا سليمان؟

قال: يا أحمد، ولم لا أبكي؟ وإذا جن الليل ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل الحجة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت في محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه وتعالى عليهم فنادى جبريل: بعيني من تلذذ بكلامي، فينادي فيهم: ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه؟ أم كيف أعذب قوما إذا جنهم الليل تملقوني؟ فبي حلفت إذا وردوا عليّ يوم القيامة لأكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إلي وأنظر إليهم<sup>(١)</sup>.

نحن الذين إذا أتانا سائل نوليّه إحسانا وحسن تكرم  
ونقول في الأسحار هل من تائب مستغفر لينال خير المغنم  
قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فلماذا هذا التكبر والعناد؟ ولماذا الإصرار على الفساد؟ فمن أراد دواء القلوب فليقم بالأسحار، وليكثر من التوبة والاستغفار، وجدوا في الدعاء، فإنه من يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن عبد الله الخزاعي: صلى عبد الواحد بن زيد الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

الجد الجد، فما تحتمل الطريق الفتور، ضاقت أيام الموسم، فجعجعوا بالإبل.

كانت عابدة لا تنام من الليل إلا يسيرا فعوتبت في ذلك فقالت: كفى بطول الرقدة في القبور رقادا.

أيها المقصر عن طلب المزيد، كيف تدرك المعالي بغير اجتهاد؟ أين أهل السهر من أهل الرقاد؟ أين الراغبون في الهوى من الزهاد؟ رحل المتيقظون مستظهرين بكثرة الزاد،



كل جواد لهم يعرف الجواد، فساروا فزاروا والكسلان عاد.

وقالت أم عمرو بن المنكدر: يا بني أشتهي أراك نائماً! فقال: يا أمه، إن الليل ليرد علي فيهلوني فينقضي عني وما قضيت منه مأربي.

وقال سفيان: إن لله ريحاً مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار.

يا طويل النوم فاتتك مدحة ﴿تنجاني﴾ [السجدة: ١٦] وحرمت منحة ﴿المستغفرين﴾ [آل عمران: ١٧] ولست من أهل عتاب «فإذا جنه الليل نام عني» ليس في ليل الهجر منام ومتى رأيت محبا ينام؟!.

وقال عبد الرحمن رسته: سألت ابن المهدي عن الرجل يبني بأهله، أترك الجماعة أياماً؟

قال: لا، ولا صلاة واحدة، وحضرته صبيحة بُني على ابنته، فخرج فأذن، ثم مشى إلى بابها، فقال للجارية: قولي لهما يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن: سبحان الله! أي شيء هذا؟

وقال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ: كان هناد بن السري كثير البكاء، فرغ يوماً من القراءة لنا، فتوضأ وجاء إلى المسجد فصلى إلى الزوال وأنا معه بالمسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ، وجاء يصلي بنا الظهر، فأخذ يقرأ في المصحف حتى صلى المغرب، قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة! فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل!؟

ويقول الحسن البصري: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل.

وقال بعض الصالحين: كم من أكلة منعت قيام ليلة، وكم من نظرة إلى ما لا يحل حرمت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل الأكلة أو ليفعل الفعلة فيحرم بها قيام سنة.

وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن الليل يأتي فراشه فيمرر عليه يده ويقول: إنك للين، والله إن في الجنة لألين منك. ولا يزال يصلي الليل كله.

وكان للفاروق عمر جار فقال: ما رأيت أحداً من الناس كان أفضل صلاة من عمر،

إن ليله صلاة وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس<sup>(١)</sup>.

بل إنه ﷺ لشدة ارتباطه بالعبادة والصلاة لما دخل في غيبوبة بعد طعنه لم ينهوه إلا بذكر الصلاة، فقال أحد الحاضرين: إنكم لن توقظوه بشيء أفزع له من الصلاة.

فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين.

فقال: ها الله إذا، ولا حق (لاحظ) في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلى وإن جرحه ليسعب (يسيل) دما<sup>(٢)</sup>.

وكان يهتم بأهل بيته أيضا، فقد روي أنه كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ثم يقول لهم: الصلاة، ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]<sup>(٣)</sup>.

وكان من دعاء عامر بن عبد قيس إذا أصبح بعد تهجده: اللهم غدا الناس إلى أسواقهم، وأصبح لكل امرئ منهم حاجة، وحاجتي إليك يا رب أن تغفر لي. وكان لا يبيت كل ليلة حتى يبيل عمامته بدموعه.

وعن عيسى بن عمرو قال: كان عمرو بن عتبة يخرج على فرسه ليلا فيقف على القبور، فيقول: يا أهل القبور طويت الصحف، ورفعت الأعمال، ثم يبكي، ثم يصف بين قدميه يصلي التهجد، فيرجع فيشهد صلاة الصبح.

ويقول مولى عمرو بن عتبة: رأيت ابن عتبة ليلة قائما يصلي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف، فقلنا له بعدما ولى الأسد، وانتهى من صلاته: أما خفت الأسد؟

فقال: إني أستحي من الله أن أخاف شيئا سواه.

وعن ابن جريج قال: قال لي عطاء: قال لي طاووس بن كيسان: يا عطاء لا تنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجاب، ولكن أنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه وضمن لك أن يستجيب لك.

(١) حياة الصحابة (٦٧٩/٣).

(٣) المصدر نفسه (١٤٦/٣).

(٢) المصدر نفسه (٩٣/٣).

وكان طاووس يفرش فراشه ويضطجع فيتقلى كما تتقلى الحب في المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طيراً ذكر جهنم نوم العابدين.

يا هذا، كيف تطيق السهر مع الشيع؟ كيف تراحم أهل العزائم بمنابك الكسل؟.

قلت لليل: هل لجوفك سر عامر بالحديث والأسرار؟  
قال: لم ألق في حياتي حديثاً كحديث الأحباب في الأسحار

وكان زيد بن الحارث يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً عليه، وجزءاً على ابنه، وجزءاً على ابنه الآخر عبد الرحمن، فكان هو يصلي ثم يقول لأحدهما: قم، فإذا تكاسل صلى جزأه، ثم يقول للآخر: قم، فإن تكاسل أيضاً صلى جزأه فيصلي الليل كله.

وقال الحسن بن علي: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بآثامك.

وكان علي بن بكار يفرش الفراش، فيلمسه بيده، فيقول: إنك لطيب، وإنك لبارد، والله لا أعلونك في هذه الليلة. ثم يظل يصلي إلى الصباح.

وقال أحد ضباط المباحث - الذين من الله عليهم بالهداية - للإخوان: كنا نرسل بعض المخبرين للتجسس على الإخوان، إلا أننا لا نلبث نفقد الثقة فيمن نرسلهم لإحساسهم بتحولهم وتبدلهم لاحتكاكهم بالإخوان المسلمين حتى تعبنا وأعيانا الأمر، فاخترنا رجلاً شريراً وقلنا، هذا سهم نضرب به الإخوان يستعصي على الكسر، ومضت الأيام، وبعد أسبوع واحد فقط، وإذا بهذا المخبر يدخل مكنتي وطلب نقله من عند الإخوان قائلاً: ودوني عند الشيوعيين، عند اليهود، عند الكفرة، أما أولاد... دول لأ، فعجبت من أمره وسألته: لماذا؟ قال: كل ليلة يقومون ويصلون، وشيخهم يقرأ القرآن لهم، الركعة تيجى ساعة، معدتش قادر أصلب طولى<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

## السجود

الكل يسجد لله، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وما من مخلوق إلا وهو داخل في هذا السجود دون اختيار، يقول تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

قال الشوكاني: المراد بسجودهما انقيادهما لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين.

### احتجاج الهدد

ولقد أظهر الهدد الاحتجاج وهو محلق على هذه المسافة لا يمكنه سماع ما يقولون للشمس التي يعبدونها، ولكن رؤيته لهم وهم يسجدون لغير الله كانت كافية لأن يحكم عليهم بالكفر: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

### الشمس تسجد

في الصحيحين عن أبي ذر قال النبي ﷺ له حين غابت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فلذلك أمرت الملائكة مريم بالسجود بقوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]. وقدموا السجود على الركوع، لأن السجود أفضل أركان الصلاة.

## سجدة خير من الدنيا

يأتي زمان تكون فيه السجدة خيراً من الدنيا وما فيها. عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» [رواه البخاري].

ولما كان السجود مظهراً من مظاهر الخضوع والذل فقد أمر الله بني إسرائيل عند دخولهم البلد الذي فتحه الله عليهم وهو قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨].

## سجود النبي ﷺ

وكان النبي يطيل السجود، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته - تعني في الليل - فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبيل صلاة الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للصلاة. [رواه البخاري].

## هل تذوقت حلاوة الخشوع؟

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] فهذا التأثر الناشئ من التفكير في عظمة الخالق الذي جعلهم يخرون على وجوههم لشدة التأثر والبكاء وهم ساجدون لله تعالى، ليس عندهم ما يتقربون به ويتذللون أكثر من هذا السجود الخاشع، فيزيدهم خشوعاً إلى خشوعهم، وانكساراً إلى انكسارهم، فتزداد لديهم حلاوة الإيمان ولذة الخشوع وجمال المناجاة.

## الرسول سيتعرف عليك

يعرف الرسول أمته يوم القيامة بمواضع السجود، قال رسول الله ﷺ: «ما من أمي من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة» قالوا: وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق؟ قال: «أرأيت لو دخلت صبرة فيها خيل دهم بهم، وفيها فرس أغر محجل أما كنت تعرفه منها؟» قالوا: بلى، قال: «فإن أمي يومئذ غر من السجود محجلون من الوضوء» [رواه أحمد].

## النجاة بالسجود

النجاة يوم القيامة بالسجود. فقد جاء في حديث البخاري عن قوله تعالى: ﴿وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ يقول النبي ﷺ: «حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته...».

## أكثر من السجود تصاحب النبي

ومن أراد الجنة فعليه بالسجود. عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوءه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» [رواه مسلم].

## سجود المؤمنين

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلةً وقد كانوا يدعون إلى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿[القلم: ٤٣] قال النبي ﷺ: «يأتي لهم سبحانه وتعالى في أدنى صورة رأوه فيها فيقول لهم: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئا (مرتين أو ثلاثا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: وهل بينكم وبينه آية فتعرفونه بما؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه» [رواه مسلم].

## أثر السجود

يقول تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

يقول سيد قطب: سيماهم في وجوههم من الوضوء والإشراق والصفاء والشفافية، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف، وليست هذه السیما هي النكتة المعروفة في

الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله: ﴿مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع، أثره في ملامح الوجه، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة، ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاء الهادئة، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاء وصباحة ونبلا<sup>(١)</sup>.

### سجود التلاوة

وحكمه سنة للقارئ والمستمع.

عن ابن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن فإذا مر بالسجدة كبر وسجد وسجدنا» [أبو داود]. ومواقع السجود في القرآن خمسة عشر موضعا.

من سجد سجود التلاوة دعا بما شاء، ولم يصح عن رسول الله ﷺ إلا حديث عائشة قالت: كان رسول الله يقول في سجود القرآن: «سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله أحسن الخالقين» [رواه الخمسة إلا ابن ماجه].

### سجدة الشكر

عن أبي بكر أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره أو بشر به يخر ساجداً شكراً لله تعالى. رواه أبو داود.

### سجود السهو

وهما سجدتان يسجدهما المصلي قبل التسليم أو بعده، عن أبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى، ثلاثاً أم أربعاً، فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم» [البخاري].

\*\*\*

(١) في ظلال القرآن الكريم (٦/٣٣٣٢).

## التأثر بالقرآن

حث الإسلام على تدبر القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وروى ابن عبد البر عن علي ؑ قال: ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهيم، ولا في قراءة ليس فيها تدبر.

وقال ابن عباس ؑ: لأن أقرأ: «إِذَا زُلْزِلَتْ» و «القارعة» أتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً.

وعن زيد بن ثابت ؑ: لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إلي من أن أقرأه في خمس عشرة، ولأن أقرأه في خمس عشرة أحب إلي من أن أقرأه في عشر، ولأن أقرأه في عشر أحب إلي من أن أقرأه في سبع؛ أقف وأدعو.

### أحوال السلف مع القرآن

يقول عبد الله بن مسعود ؑ: إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا سهل عليهم حفظ القرآن، ويصعب عليهم العمل به.

وكان ابن عمر ؑ يقول: كان الفاضل من أصحاب رسول الله في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، و رزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن، منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به.

وقال الحسن: كان عمر يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط، ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض.

ويخبر أحد أصحاب الربيع بن خثيم فيقول: كان الربيع يبكي حتى تبل لحيته من دموعه، ومر ذات ليلة بقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ وإذا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَائًا ضِيْفًا مُّقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٢، ١٣].

فصعق الربيع، فاحتملناه إلى أهله.



وكان يقول: إذا عوتب في بكائه وشدة اجتهاده، أدركنا أقواما كنا في جنوبهم لصوصا.

### التأثر بآية

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها، وهي: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقام تميم الداري بآية يكررها حتى أصبح أو كاد، وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجنائفة: ٢١].

وروى إبراهيم بن علقمة قال: صليت إلى جنب عبد الله بن مسعود فافتتح سورة طه فلما بلغ: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] قال: رب زدني علما، رب زدني علما.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: دخلت على أسماء بنت أبي بكر (يعني أمه) وهي تصلي، فقرأت هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فقممت، فلما طال علي ذهبت إلى السوق، ثم رجعت، وهي مكانها، وهي تكرر الصلاة (يعني الآية).

وروي أن عامر بن عبد قيس قرأ ليلة سورة المؤمن (غافر)، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿وَأَلَّذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] لم يزل يرددها حتى أصبح.

وكان بعضهم يقول: كل آية لا أفهمها، ولا يكون قلبي فيها، لا أعد لها ثوابا.

وعن أبي سليمان الداراني قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال، وخمس ليال، ولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها.

وكان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - إذا قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء.

وشرب عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ماء مبردا فبكى بكاء شديدا، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبا: ٥٤] فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا شهوتهم الماء.

وعن القاسم قال: صلى ابن عمر رضي الله عنهما فقرا قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦] فبكى ابن عمر حتى حنى ولم يقدر أن يكمل ما بعدها من الآيات.

وقال محمد بن كعب: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ و﴿الْقَارِعَةِ﴾ لا أزيد عليهما، وأفكر فيهما أحب إلي من أن أهد القرآن هدأ، أو قال: أنثره نثرا.

وقال الزهري: العلم ذكر لا يجبه إلا الذكور من الرجال.

ويقول المقريزي نقلا عن مجاهد: صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرا سورة البقرة فما ترك ألفا ولا واوا.

ويقول الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح القيسي فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على مر الساعات، ونحن على هذه الحال، قال: وخرجت معه إلى المقابر فلما نظر إلى القبور صرخ، ثم خر مغشيا عليه، قال: فجلست - والله - عند رأسه أبكي، فأفاق، فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك.

قال: لنفسك فابك، ثم قال: وانفساه! وانفساه! ثم غشي عليه.

قال: فرحمته - والله - مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق، فوثب وهو يقول: ﴿تَلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ ... ﴿تَلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] مضى على وجهه، وأنا أتبعه لا يكلمني حتى انتهى إلى منزله، فدخل ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى مات.

ويقول منصور بن عمار: دخلت الكوفة فبينما أنا أمشي في ظلمة الليل إذ سمعت بكاء رجل بصوت شجي من داخل دار وهو يقول: إلهي، وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولكن عصيتك بجهل مني، فالآن من ينقذني من عذابك؟ ومجبل من اعتصم إن قطعت حبالك عني؟ واذنوباه! واغوثاه! يا الله!

قال منصور بن عمار: فأبكاني كلامه فوقفت فقراءت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَنْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ ﴿التحریم: ٦﴾ فسمعت للرجل صياحا شديدا واضطرابا فوقفت حتى انقطع صوته ومشيت.

فلما أصبحت أتيت إلى دار الرجل فوجدته قد مات والناس في تجهيزه، وعجوز تبكي، فسألت عنها فقيل: هي أمه، فقممت إليها وسألتها عن حاله، فقالت: كان يصوم النهار ويقوم الليل ويكتسب الحلال فيقسم كسبه ثلاثا: ثلثا لنفقتي، وثلثا لنفقتي، وثلثا يتصدق به، فقلما كان البارحة مر إنسان، وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا<sup>(١)</sup>.

### خوف شديد

قرأ عمر بن عبد العزيز بالناس ذات ليلة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ فلما بلغ ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١-١٤] خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفدها فتركها، وقرأ سورة غيرها.

وقرأ ذات ليلة: ﴿وَإِذَا الْقُورَاءُ مِنْهَا مَكَانًا ضَبَقًا مُقْرَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] فبكى عمر حتى غلبه البكاء، وعلا نحيجه، فقام من مجلسه، فدخل بيته وتفرق الناس.

وقرأ ذات ليلة قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار، فجاءت فاطمة، فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما، فجاء ابنه عبد الملك وهو على هذا الحال، فقال: يا أبت ما يبكيك؟

قال: خير يا بني، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني، لقد خشيت أن أهلك، والله يا بني، لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

### أعظم آية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، قال: إني محتاج، وعلي عيال، وبي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» فقلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، فقال: «أما إنه قد كذبتك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته، فجاء يحثو

(١) خير القرون (٢/٢٤٢-٢٤٣).

من الطعام فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، قال: دعني فإنني محتاج، وعلي عيال، لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته وخليت سبيله، فقال: إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحشو من الطعام فأخذه فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود! فقال: دعني فإنني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله: «ما فعل أسيرك البارحة؟» فقلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، فقال: ما هي؟ فقلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذلك شيطان» [رواه البخاري].

هل تحرص على قراءة آية الكرسي باستمرار؟

### من أحوال الصالحين

القاسم بن أيوب قال: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

وعن البراء بن سليم قال: سمعت نافعا يقول: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد. [رواه أحمد].

وعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَاعِفَهُ لَهُ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: وإن الله ليريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله يده، قال: فإنني قد أقرضت ربي حائطي (بستاني)- وحائطه له فيه ستمائة نخلة- وأم الدحداح فيها وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنأدى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك. قال: أخرجني من الحائط

فقد أقرضته ربي عز وجل.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [البخاري].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» [مسلم].

### تأثير القرآن في العرب

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الزمر: ٢٣].

ويقول ابن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن. [الطبري].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن من أصحاب رسول الله أنهم كانوا يأخذون من رسول الله عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعا. [رواه أحمد].

ومن هنا اقتضت حكمة الله أن ينزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة في مكة والمدينة، ليتمكن الناس من فهمه والعمل به، قال تعالى لرسوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

هل تشعر بأن قلبك يتأثر عند قراءة القرآن؟

### العمل بالقرآن

ذكر ابن كثير في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الناس بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه (بيرحاء) - اسم حديقة له - وكانت مستقبلة

المسجد، وكان النبي يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بريحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال النبي: «بخ بخ! ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. [أحمد].

وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لم أصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخير، فما تأمرني به؟ قال: «حبس الأصل وسبل الثمرة». [ابن كثير].

ومعنى هذا أن يجعله وقفا في سبيل الله، يحبس أصله، فلا يباع ولا يوهب، وتسبل ثمرته، أي تجعل في سبيل الله، أي في الخير وإعانة الضعفاء والفقراء.

يقول سيد قطب: إن هذا القرآن هو معلم هذه الأمة ومرشدها ورائدها وحادي طريقها على طول الطريق، وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها، وعن جبلتهم وعن تاريخهم مع هدى الله كله، ولو ظلت هذه الأمة تستشير قرآنها، وتسمع توجيهاته، وتقيم قواعده وتشريعاته في حياتها، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها في يوم من الأيام.. ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها، وحين اتخذت القرآن مهجورا، وإن كانت ما تزال تتخذ منه ترانيم مطربة، وتعاويد ورقى وأدعية، أصابها ما أصابها<sup>(١)</sup>.

هل تستخرج آية يوميا من القرآن وتعمل بها؟

### مع سورة الزلزلة

أخرج إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد وابن مردويه عن أسماء قالت: بينما أبو بكر يتغدى مع رسول الله، إذ نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ [الزلزلة: ٧، ٨] فأمسك أبو بكر، وقال: يا رسول الله، أكل ما عملناه من سوء رأيناها؟ فقال: «ها ترون مما تكرهون فذاك مما تجزون به، ويدخر الخير لأهله في الآخرة».

(١) في ظلال القرآن الكريم (٢/٨٥٩).

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب البكاء، وابن جرير الطبري وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - قال: أنزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر قاعد يبكي، فقال له رسول الله: «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال: تبكيني هذه السورة، فقال: «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم، خلقت الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم».

وأخرج ابن المبارك في الزهد وأحمد وعبد بن حميد والنسائي والطبراني وابن مردويه عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فقال: حسبي، لا أبالي ألا أسمع من القرآن غيرها.

وأخرج سعيد بن منصور عن المطلب بن عبد الله أن رسول الله قرأ في مجلس ومعهم أعرابي جالس: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فقال الأعرابي: يا رسول الله! أمثقال ذر؟ قال: «نعم»، فقال الأعرابي: واسواتاه! ثم قام وهو يقوها، فقال رسول الله: «لقد دخل قلب الأعرابي الإيمان».

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال: ذكر لنا أن عائشة جاءت سائل فسأل، فأمرت له بتمرة، فقال لها قائل: يا أم المؤمنين إنكم لتتصدقون بالتمرة؟ قالت: نعم والله! إن الخلق كثير ولا يشبعه إلا الله، أو ليس فيه مثاقيل ذر كثير؟

وأخرج عبد بن حميد عن جعفر بن برقان قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب أتاه مسكين وفي يده عنقود من عنب فناوله منه حبة وقال: فيه مثاقيل ذر كثيرة.

### ليس لي عذر

الشيخ الأعرج عمرو بن الجموح ﷺ يأبى إلا أن يخرج للمشاركة في غزوة أحد مع أن الله عذره في كتابه حين قال: ﴿لَيْسَ عَلَيَّ الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَيَّ الْأَعْرَجُ حَرْجٌ وَلَا عَلَيَّ الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [الفتح: ١٧] ومع أن له أربعة بنين يشهدون المعارك خلفا له مع رسول الله، ولكنه يسعى وراء أمنية غالية هي الشهادة، وقد حققها الله له.

وعن أنس أن أبا طلحة ﷺ قرأ سورة براءة، فأتى على هذه الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١] فقال: أي بني.. جهزوني (أي بعدة الحرب) فقال له بنوه: يرحمك الله.. فقد غزوت مع النبي حتى مات، فنحن نغزو

عنك، قال: لا، جهزوني، فغدا في البحر، فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفونوه فيها، إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها.

قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنصر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع.

هل تحرص على أن يرزقك الله الشهادة؟

بل أنت يا رب

عن حجر بن قيس المدري قال: بتُّ عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فسمعتَهُ وهو يصلي من الليل يقرأ بهذه الآية: ﴿أَفْرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ \* أَلَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿ [الواقعة: ٥٨، ٥٩] قال: بل أنت يا رب - ثلاثاً - ثم قرأ ﴿أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ \* أَلَلْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿ قال: بل أنت يا رب - ثلاثاً - ثم قرأ: ﴿أَفْرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ \* أَلَلْتُمْ أَزْلُقْتُمُوهُ مِنَ الْمُنْزَنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿ قال: بل أنت يا رب - ثلاثاً - ثم قرأ ﴿أَفْرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ \* أَلَلْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿ قال: بل أنت يا رب - ثلاثاً - (١).

سرعة الاستجابة

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «إن لنساء قریش لفضلا، وإني -والله- ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وكل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل (المزخرف الذي فيه تصاوير) فاعتجرت به (شدته على رأسها) تصديقا وإيمانا بما أنزل الله في كتابه، فأصبحن وراء رسول الله معتجرات كأن على رءوسهن الغربان» ابن كثير في تفسيره.

أجل، لم ينتظرن يوما أو يومين أو أكثر حتى يشترين أو يخطن أكسية جديدة تلائم غطاء الرءوس، وتتسع لضرب على الجيوب، بل أي كساء وجد، وأي لون تيسر، فهو الملائم والموافق، فإن لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطهن، وشددنها على رءوسهن، غير مباليات بمظهرهن الذي بيدون به كأن على رءوسهن الغربان.

(١) علي بن أبي طالب للصلاحي (١/٦٨-٦٩).



## تحريم الخمر في أمريكا

يقدر ما أنفقتة الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ستين مليوناً من الدولارات، وأن ما أصدرته من كتب ونشرات يبلغ عشرة بلايين، وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن ٢٥٠ مليون دولار، وقد أعدم في هذه المدة ٣٠ نفساً وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفساً وبلغت الغرامات ستة عشر مليون دولار، وصادرت من الأملاك ما بلغ أربع مائة مليون وأربعة ملايين دولار، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر، وعناداً في تعاطيها حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣م إلى إلغاء هذا القانون، وإباحة الخمر بإباحة مطلقة<sup>(١)</sup>.

يقول البنا: كان القرآن فيما مضى زينة الصلوات فأصبح اليوم زينة الحفلات، وكان قسطاس العدالة في المحاكم فصار سلوة العابثين في المواسم، وكان واسطة العقد في الخطب والعظات فصار واسطة العقد في الحلبي والتميمات، أفلست مُحقاً حين قلت: ما رأيت ضائعا أشبه بمحتفظ به من كتاب الله! تناقض عجيب في هذا الموقف منا أمام القرآن: أننا نعظمه ما في ذلك شك.. ونذود عنه، ما في ذلك شك.. ونتقرب به إلى الله، ما في ذلك شك، ولكن يا قوم، أخطأتم طريق التعظيم، وتنكبتم سبيل الذود عنه، وضللتم عن جادة التقرب إلى الله به<sup>(٢)</sup>.

القرآن ينادي على الأمة فيقول:

أنا القرآن في آياتي الحل كما من فهل فكر المسلمون في تطبيقي؟

كان يحيى بن معاذ يدعو: اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنا أهون الأشياء عندك<sup>(٣)</sup>.

## الاستماع إلى القرآن

يطلب الرسول ﷺ من ابن مسعود ؓ أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن، قال: قلت: أقرأ

(١) الإيمان والحياة : ٢١٨.

(٢) الرسائل : ٨٧.

(٣) خير القرون (٢/ ٣٢٢).

عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمع من غيري» قال: فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال لي: «كف- أو أمسك»، فرأيت عينيه تذرфан.

### أسلموا بسبب القرآن

ابن الزعيم غاندي: والده هو الزعيم «المهاتما غاندي» الهندوسي، وكان ابنه «هيراالال» يسمع كثيراً عن الإسلام، وعزم على إشهار إسلامه بعد سماع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وفي يوم الجمعة ارتدى قميصاً أبيض، وتوجه إلى الجامع الكبير في مدينة بومباي، وأمام أكثر من عشرين ألف مسلم أعلن إسلامه، وصادف مضايقات كثيرة وقال: «لست بنادم ولا متأسف لاعتناقي الدين الإسلامي الحنيف كما يقولون ويشيعون، والله يعلم أنني ما فعلت أكثر من تليقي نداء الحق ونداء ضميري، ورضوخي واستسلامي إلى الضالة المشوذة، والحلقة المفقودة التي كانت ضائعة مني، قد وجدتها أمامي أخيراً متمثلة في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفي سيرة رسوله» «مجلة الإسلام عدد يوليو ١٩٣٦م»<sup>(١)</sup>.

### بطل العالم في الملاكمة «كاسيوس كلاي» الذي صار محمد علي كلاي:

عام ١٩٦٠م ولما بلغ العشرين من عمره حصل على لقب بطل العالم في الملاكمة في أقصر مباريات الملاكمة، لم تستغرق سوى ثوان معدودة، وأمام ضجيج المعجبين، وفلاشات آلات التصوير أعلن إسلامه قائلاً: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله».

ويقول عن سبب إسلامه: بدأت أعيش مع القرآن، والفاتحة أول سورة حفظتها منه، وبدأت رحلة الإسلام التي هي رحلة طمأنينة، ورحلة إيمان يعيشها صاحبها بتعاليم خالقه. ولم يسلم من الإيذاء، ولكنه كان صابراً، وقال: «إننا لو قمنا بهذه الدعوة سنجد حشوداً كبيرة تدخل إلى الإسلام، الذي عندما نقارنه بغيره من الأديان نعرف أنه الدين الهادي إلى القلوب، دين الحق والنقاء» وأخذ كلاي ينتقل من مرحلة اعتناقه للإسلام إلى مرحلة الدعوة إليه بحماس المؤمن وإصرار وعناد من عرف طريق الحق، لقد أخذ يدعو الناس في الأماكن التي

(١) السر الخفي وراء إسلام هؤلاء ٢٨/١.

ينتقل إليها، ويقول لهم: «إنه كلما قرأ المسلم القرآن بعمق، وقام بتأدية الشعائر الإسلامية بصدق وعمق، ركب بر الأمان في رحلة الإسلام، وركب قطار الاستقرار والطمأنينة ويبعد عنه خبث الشيطان». جريدة المسلمون في عددها الأول ١٩٨٥<sup>(١)</sup>.

### إسلام قسيس

القس المصري «فوزي صبحي سمعان» أصبح معلما للدين الإسلامي، سمع هذه الآيات: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَلَمْ أَقُلْ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ \* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] ودخل كنيسة الإسماعيلية، ووجد نفسه يسجد سجود المسلمين، وبالفعل أشهر إسلامه وهو يبكي<sup>(٢)</sup>.

### أستاذ اللاهوت

كان يعمل راعي الكنيسة الإنجيلية وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسبوط، حتى عام ١٩٥٣م، ثم سكرتيرا عاما للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان، ومبشرا بين المسلمين ما بين المحافظات من أسبوط إلى أسوان عام ١٩٥٥م.

سمع القرآن مذاعا بالمذيع يقول: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

يقول: فأسلمت وغيرت اسمي من «إبراهيم خليل فيلبس» إلى إبراهيم خليل أحمد، وأخذت أدعو للإسلام، ولقد تولت الكنيسة إثارة الجهات المسئولة ضدي، حتى أن وزارتي الأوقاف والداخلية طلبتا مني أن أكف عن الحديث عن الإسلام وإلا تعرضت لتطبيق قانون الوحدة الوطنية، متهما بالشغب وإثارة الفتن، فقررت الهجرة إلى السعودية. لا تعلم كم شعرت براحة نفسية عميقة وأنا أقرأ القرآن الكريم فأقف طويلا عند الآية

(١) السر الخفي وراء إسلام هؤلاء (٤٥/١).

(٢) المصدر نفسه (١٦٨/١)، مجلة الفيصل: أكتوبر ١٩٩٢.

الكريمة ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] (١).

### خمسة قساوسة

أشهر خمسة قساوسة إسلامهم بعد مناظرة استمرت ثلاثة أيام بينهم وبين جماعة من الدعاة المسلمين، وقد أشهروا إسلامهم في بور سودان، ومن الطريف أيضا أن أحد عشر قسيسا بالسودان قد أشهروا إسلامهم في الوقت الذي كانوا يقومون فيه بمحاولات التنصير (٢).

### إسلام البحار

أحد البحارة، كان يساعده في عمله بحار مسلم من اليمن، وأفنيا زهرة شبابهما في لجج البحار، وفي أثناء تلك الفترة كثيرا ما كان يرى هذا المسلم مداوما على صلواته وعبادته، وكان هو يسخر منه أحيانا، ويلمزه أحيانا أخرى.. ولكن المسلم استمر في عمله وعلاقته بربه، غير عابئ به، ما دام لم يحاول منعه من أداء فرائض دينه، وتمر الأيام وتشاء إرادة الله أن يكتنف الموج هذه السفينة الصغيرة، وتحتويها لججه العاتية، فيتيقن البحار ومن معه بالهلاك، ويلجأ إلى مساعده البحار المسلم بتضرع وخنوع ليصلي لله ركعات وقت الشدة، لأنه طالما كان معه في الرخاء، لعل الله ينقذهم مما هم فيه من البلاء، ويتجه البحار المسلم إلى ربه متضرعا أن ينقذهم مستعينا بآية طالما ردها في المواقف المماثلة مستشهدا بقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] وتشاء الأقدار فيتبدد الخطر بسكون البحر وهدوء أمواجه، وتنقش الظلمات، ويلتفت هذا البحار إلى مساعده البحار المسلم ليبدأ معه حوار ظن مستوضحا عن نظر الإسلام في مثل هذه الظاهرة، فشرح له مدلول الآية، فوقف البحار واجبا، وقال: هل كان محمد بحارا؟ قال مساعده: لا، قال: هل ركب البحر في حياته؟ قال: لا، قال: وكيف يأتي بمثل ذلك المشهد الذي لم أره متجليا في حياتي العامة بخوض البحار إلا هذا اليوم الذي لم أجد القرآن يتحدث عنه من واقع المشاهدة؟ قال: هذا من أسرار عظمة الإسلام، وعالمية القرآن، وكان هذا المشهد مدخلا مباشرا لاعتناق هذا البحار الإسلام عن قناعة وفهم.

(١) مجلة الدعوة: أكتوبر ١٩٧٦، السر الخفي وراء إسلام هؤلاء (١/١٧٢).

(٢) صحيفة الرأي العام ١٢/٢٥/١٩٨٨، السر الخفي وراء إسلام هؤلاء (١/٢٣١).

ومن هنا يتحدد دور الفرد المسلم، بأن يجعل من نفسه القدوة، وأن يستشعر المسؤولية، فيكون مثالياً أولاً بالقدوة والعمل في التطبيق والمنهج<sup>(١)</sup>.

### في ظلال القرآن

يقول سيد قطب: الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

والحمد لله.. لقد منَّ الله عليَّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي، ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

لقد عشت أسمع الله سبحانه يتحدث إليَّ بهذا القرآن.. أنا العبد القليل الصغير.. أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجميل؟! أي رفقة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟! أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم؟!!

وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة، أنظر إلى تعجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال، كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال، ولثغة الأطفال، وأعجب.. ما بال هؤلاء الناس؟ ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيثة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل، النداء الذي يرفع العمر ويباركه وتزكيه؟

وعشت في ظلال القرآن أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريد الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله.. ثم أنظر.. فأرى التخبط الذي تعانیه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملي عليها وبين فطرتها التي فطرها الله عليها، وأقول في نفسي: أي شيطان لثيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟! يا حسرة على العباد!<sup>(٢)</sup>.

### خبيبة أهل الكتاب

حكى أن ملكاً كتب إلى بعض عماله في البلدان أنني قادم عليكم فاعملوا كذا وكذا،

(١) السر الخفي وراء إسلام هؤلاء (٢/١٢٢، ١٢٣).

(٢) في ظلال القرآن: ١١.

فعملوا إلا واحداً منهم، فإنه قعد يتفكر في الكتاب فيقول: أترى كتبه بمداد أو يجبر؟ أترى كتبه قائما أو قاعدا؟ فما زال يتفكر حتى قدم الملك ولم يعمل ما أمره به شيئاً، فأحسن جوائز الكل وقتل هذا.

### هجر القرآن أنواع

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] وإن كان بعض المهجر أهون من بعض.

### وقفات

خرج عمر يعس بالمدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقع يستمع قراءته فقرأ «والطور» حتى بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿١﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ قال: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره واستند إلى حائط، فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعود الناس لا يدرون ما مرضه ﴿٢﴾.

عمر ؓ سمع السورة قبل ذلك، وقرأها وصلى بها، فقد كان رسول الله ﷺ يصلي بها المغرب، وعمر يعلم، ويتأسى، ولكنها في تلك الليلة صادفت منه قلباً مكشوفاً وحساً مفتوحاً، فنفذت إليه وفعلت به هذا الذي فعلت، حين وصلت إليه بثقلها وعنفتها، وحقيقتها اللدنية المباشرة، التي تصل إلى القلوب في لحظات خاصة، فتتخللها وتعمقها، في لمسة مباشرة كهذه اللمسة، تلقى فيها القلب الآية من مصدرها الأولى كما تلقاها قلب رسول الله ﷺ فأطاقها لأنه تهيأ لتلقيها، فأما غيره فيقع لهم شيء مما وقع لعمر ؓ حين تنفذ إليهم بقوة حقيقتها الأولى<sup>(١)</sup>.

(١) في ظلال القرآن الكريم (٦/ ٣٣٩٤).

يقول سيد قطب: كنا على ظهر الباخرة في عرض الأطلنطي وطريقنا إلى نيويورك، حينما أقمنا صلاة الجمعة على ظهر المركب.. ستة من الركاب المسلمين من بلاد عربية مختلفة وكثير من عمال المركب أهل النوبة، وأقيمت خطبة الجمعة متضمنة آيات من القرآن في ثناياها، وسائر ركاب السفينة من جنسيات شتى متحلقون يشاهدون.

وبعد انتهاء الصلاة جاءت إلينا - من بين من جاء لنا عن تأثره العميق بالصلاة الإسلامية- سيدة يوغوسلافية فارة من الشيوعية إلى الولايات المتحدة، جاءت وفي عينيها دموع لا تكاد تمسك بها وفي صوتها رعشة، وقالت لنا في إنجليزية ضعيفة: أنا لا أملك نفسي من الإعجاب البالغ بالخشوع البادي في صلاتكم.. ولكن ليس هذا ما جئت من أجله.. إنني لا أفهم من لغتكم حرفا واحدا غير أنني أحس أن فيها إيقاعا موسيقيا لم أعهده في أية لغة.. ثم.. إن هناك فقرات مميزة في خطبة الجمعة، وهي أشد إيقاعا ولها سلطان خاص على نفسي<sup>(١)</sup>.

#### آداب تلاوة القرآن:

- ١- تلاوة صفحة على الأقل يوميا.
- ٢- الوضوء قبل تلاوته.
- ٣- الاستعاذة بالله من الشيطان قبل تلاوته.
- ٤- التغني وتحسين الصوت.
- ٥- محاولة البكاء عند تلاوته.
- ٦- التطويل في الصلاة بتلاوته.
- ٧- استقبال القبلة عند تلاوته.
- ٨- عدم وضع المصحف على الأرض وعدم وضع شيء عليه.
- ٩- عدم دخول الحمام به.
- ١٠- عدم رفع الصوت به إذا وجد من يصلي أو يذاكر أو أحد مريضا.
- ١١- البطء وعدم السرعة أثناء التلاوة.

(١) في ظلال القرآن الكريم (٢/ ٨٢١).

١٢- الاجتماع على تلاوته.

١٣- لا يقرؤه في أقل من ثلاث ليال. قال رسول الله: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ليال لم يفقهه». [أصحاب السنن والترمذي].

١٤- التزام الخشوع عند تلاوته. قال رسول الله ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» [ابن ماجه].

١٥- أن يحسن صوته به. قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم» [أحمد].

١٦- ترتيل القرآن. قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

١٧- ألا يكون عند تلاوته من الغافلين عنه المخالفين له إن قرأ (ألا لعنة الله على الكاذبين) وكان كاذبا فإنه يكون لاعنا لنفسه وجاء في التوراة: (أن الله تعالى يقول: أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك، وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق وتقع لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا، حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك، انظر كيف فصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه، فكنت أهون عليك من بعض إخوانك، يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل إليه بكل وجهك، وتصغى إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه، أن كف، وها أنا مقبل عليك ومحدث وأنت معرض بقلبك عني، أفجعلتني أهون عليك من بعض إخوانك؟!«.

١٨- الاتصاف بصفات أهل القرآن: يقول عبد الله بن مسعود ؓ: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بلبيله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبكائه إذ الناس يضحكون، وبورعه إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يمتثلون، وبجزنه إذ الناس يفرحون.





## التعلق بالمساجد

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

كلما دخل الإسلام بلدًا كان المسجد شعاره وعنوانه، وكان ناديًا للجميع، ومعهدًا للدرس، ومعبدًا للذكر.

وقد حض الإسلام على عمارته، وبيّن لنا أن ذلك يكون بأمرين: الأول تعمير مادي، وذلك يكون بإقامته، وإضاءته، وتنظيفه، وصيانته.

والثاني: تعمير روحي، وذلك يكون بالتردد عليه للصلاة والذكر ومدارسة العلم.

أما عن التعمير الروحي فيكون ذلك بالصلاة فيه وقراءة القرآن، والذكر وتعلم العلم، ومعرفة أحوال المسلمين.

فالمساجد لم تبن للصلاة فقط. بل ليهتم كل مسلم بإخوانه المسلمين يسأل عنهم إذا غابوا، ويرشدهم إذا انخرقوا، ويعاونهم إذا احتاجوا، وبذلك يفوز بالفوز العظيم والأجر الجزيل من الله رب العالمين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسًا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كنت تحبسه وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه» [متفق عليه].

فالصلاة جماعة بالمسجد تزيد في الأجر والفضل على صلاة المسلم في بيته بخمس وعشرين أو سبع وعشرين درجة، وذلك لأنها تغرس فيه حب النظام حيث إنه لا يستطيع أن يصلّيها قبل وقتها، وتنمي فيه روح الجماعة حيث لا يخاطب ربه إلا بصيغة الجمع ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتقيم له الدليل على أن الناس جميعًا سواء في وقوفهم أمام الله رب العالمين.

وقال رسول الله ﷺ: «المسجد بيت كل تقى، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة» [رواه الطبراني].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصلها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام» [متفق عليه].

وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي:

«إن بيوتى في الأرض المساجد، وإن زواري عمَّارها، فطوبى لمن تطهر في بيته وزارني في بيتي، وحق على المزور أن يكرم زائره».

قال ابن عباس: إن المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهلها كما تضيء نجوم السماء لأهلها.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» [مسلم].

ومن مظاهر التعلق بالمسجد الحرص على صلاة الجماعة فقد كان الرسول يحرص على حضور صلاة الجماعة في المسجد حتى وهو في مرض الموت، فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله؟ قالت: بلى، ثقل النبي ﷺ فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماء في المخضب (الإجانة) قالت: ففعلنا، فاغتسل فذهب لينوء «ليقوم» فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المخضب، قال: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد، ينتظرون النبي لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي إلى أبي بكر، بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر -وكان رجلاً رقيقاً-: يا

عمر، صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام [لبخاري]  
فانظر - رحمك الله - إلى أي مدى كان رسول الله حريصا على الصلاة؟!!

ولما وجد في نفسه خفة خرج إلى المسجد فكيف كانت خفته؟ قالت عائشة: فوجد  
النبي من نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر رجله تحيطان من الوجع (أي لم  
يكن يقدر على رفعهما من الأرض).

يقول سيد قطب: «إن الصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب، صلة يستمد منها القلب  
قوة، و تحس فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زادا أنفس من أعراض الحياة الدنيا،  
ولقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وهو الوثيق الصلاة بربه،  
الموصول الروح بالوحي والإلهام.. وما يزال هذا ينبوع الدافق في تناول كل مؤمن يريد  
زادا للطريق، ورياً في الهجير، ومددا حين يتقطع المدد، ورصيда حين ينفد الرصيد<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ محاسبة النفس على التقصير في أداء الصلاة:

عن نافع أن ابن عمر كان إذا فاتته العشاء في جماعة، أحيا بقية ليلته.

وحرص السلف على صلاة الجماعة، قال القواريري: لم تكن تكاد تفوتني صلاة  
العتمة في جماعة، فنزل بي ضيف فشغلت به، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة،  
فإذا الناس قد صلوا، فقلت في نفسي: جاء عن النبي: أن «صلاة الجماعة تفضل على صلاة  
الفذ بسبع وعشرين درجة» [البخاري]. فانقلبت إلى منزلي فصليت العتمة سبعا وعشرين  
مرة، ثم رقدت فتمت، فرأيتني كأني مع قوم راكبين أفراساً، وأنا راكب، ونحن  
نتجاري وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إلي آخرهم، فقال: لا  
تجهد فرسك، فلست بلاحتنا، قال: فقلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العتمة - يعني العشاء -  
في جماعة.

وقال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده،  
ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من  
مصيبة الدنيا.

(١) في ظلال القرآن (١/٦٩).

وكان الإمام الزني شيخ الشافعية - رحمه الله - إذا فاتته صلاة الجماعة، صلى تلك الصلاة خمسا وعشرين مرة.

### يخرجون للصلاة وهم مرضى

عن عبد الله بن مسعود قال: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف». [مسلم].

وعن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، أنه كان يحمل وهو مريض إلى المسجد.

### هل تحرص على صلاة الجماعة مهما كانت الأسباب؟

#### في أصعب الظروف

كان الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، فكان إذا نودي للصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خفت على نفسك؟

قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف، فاطلبوني في المقبرة<sup>(١)</sup>.

وقال ربيعة بن عبد الرحمن: المروءة في الحضر: الإدمان إلى المساجد، وتلاوة القرآن، وكثرة الإخوان في الله عز وجل.

وفي رواية: أما التي في الحضر: فتلاوة القرآن، ولزوم المساجد، وعفاف الفرج<sup>(٢)</sup>.

وقال السخاوي عن مدين بن أحمد المغربي: مكث دهرًا إلى حين وفاته لا تفوته التكبيرة الأولى من صلاة الصبح ويمكث في مصلاه وهو على طهارة إلى أن يركع الضحى وربما جلس بعد ذلك.

وكان أبو السعود الكازورني أول الناس دخولا المسجد وآخرهم خروجًا، لزم صلاة الجماعة بالمسجد النبوي بحيث لا يفوته فرض إلا لعذر، وكان لا يخرج من المسجد إلا آخر الناس خصوصا بعد صلاة العشاء ويقول: أحب أن أكون آخر الناس

(١) من يظلمهم الله (٣٣٨).

(٢) المصدر نفسه (٣٣٩).

خروجاً وأولهم دخولاً<sup>(١)</sup>.

وكان القاضي حسين بن محمد بن عبد الوهاب قد ثقل آخر عمره، فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام في الصف وله من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الخطيب: بقي الحفار الغرناطي نحواً من عامين أو أزيد يخرج للصلوات الخمس يهادي بين رجلين لشيء كان برجله حتى كان بعض أصحابه يقول: الحفار حجة الله على من لم يحضر الجماعة.

وقال إبراهيم الكينعي: صلى حاتم الحملاني زهاء أربعين سنة إماماً، ما ترك صلاة واحدة في جماعة، ولا سجد للسهو في جميع هذه المدة إلا ست مرات، وكان لا يدع البكاء في الصلاة مطلقاً، وقبضت روحه وهو يصلي.

وروى ابن سعد، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، قال: جاء عمر إلى سعيد بن يربوع، إلى منزله، فعزاه بذهاب بصره، وقال: لا تدع الجمعة ولا الصلاة في مسجد رسول الله، قال: ليس لي قائد، قال: فنحن نبعث إليك بقائد، فبعث إليه بغلام من السبي.

وقال ثابت بن الحجاج: خرج عمر بن الخطاب إلى الصلاة، فاستقبل الناس، فأمر المؤذن فقام وقال: والله لا ننتظر لصلواتنا أحداً، فلما قضى صلاته، أقبل على الناس، ثم قال: ما بال أقوام يتخلفون، يتخلف بتخلفهم آخرون، والله لقد هممت أن أرسل إليهم فيجأ (يضرب) أعناقهم، ثم يقال: اشهدوا الصلاة.

#### من أحوال السلف

عبد الله بن الزبير بن العوام كان يسمى حمام المسجد.. الربيع بن خثيم كان يقول: إنني لأنس بصوت عصفور المسجد من أنسي بزوجتي، وكان - رحمه الله - بعدما سقط شقه يهادي بين رجلين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقولون: يا أبا يزيد، قد رخص الله لك، لو صليت في بيتك فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته

(١) من يظلمهم الله (١/٣٤٠، ٣٤١).

(٢) المصدر نفسه (١/٣٤٢).

ينادي: حي على الفلاح، فمن سمع منكم: حي على الفلاح، فليجبه ولو زحفاً، ولو حبواً.

وعن أبي حيان التيمي عن أبيه: أصاب الربيع الفالج (الشلل) فكان يحمل إلى الصلاة، فقيل له: إنه قد رخص لك، قال: قد علمت، ولكن أسمع النداء بالفلاح.

### الحرص على صلاة الفجر

قال رسول الله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما قام الليل كله» [مسلم].

انظر إلى الصحابي الجليل الحارث بن حسان، تزوج في ليلة من الليالي، فحضر صلاة الفجر مع الجماعة. روى الإمام الطبراني عن عنبسة بن الأزهر قال: تزوج الحارث ابن حسان وكان له صحبة، فقيل له: أنتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ فقال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء.

وعن هشيم عن أبيه قال: فقد عمر رجلا في صلاة الصبح، فأرسل إليه فجاء، فقال: أين كنت؟ فقال: كنت مريضا، ولولا أن رسولك أتاني لما خرجت، فقال عمر: فإن كنت خارجا إلى أحد، فأخرج للصلاة.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يمر في الطريق مناديا: الصلاة الصلاة- يوقظ الناس لصلاة الفجر- وكان ﷺ يفعل ذلك كل يوم.

وروى ابن سعد عن الحسن يحدث عن خروج علي في اليوم الذي طعن فيه من بيته، حيث يقول: فلما خرج من الباب نادى: أيها الناس الصلاة الصلاة، كذلك يفعل في كل يوم، ومعه درته يوقظ الناس<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن بكار: مذ أربعين سنة ما أحزني إلا طلوع الفجر، لو قمت في السحر لرأيت طريق العباد قد غص بالزحام، لو وردت ماء مدين، وجدت عليه أمة من الناس يسقون.

وقال أبو الزناد: كنت أخرج من السحر إلى مسجد النبي فلا أمر بيبيت إلا وفيه قارئ.

(١) من يظلمهم الله ٣٣٢ .

فأما اليوم فنشكو إلى الله أحوال المسلمين؛ فلا تكاد تمر بيت في صلاة الفجر إلا وتسمع غطيظ أهله بالنوم بعد سهر الليل على مسلسلات الحب والغرام وكلمات الفحش والإجرام، ليل صاحب ووجه شاحب وابتعاد عن الهدى الأول، نعم، فإلى وقت قريب لم يكن ليل المسلمين هكذا، بل كان ليل الآباء والأمهات والأجداد والجدات، ليل الصالحين والصالحات، ليل الراكعين والراكعات، ليل الساجدين والساجدات، ليل التائبين، ليل المستغفرين، فما الذي دهانا؟ ما الذي دهانا معشر البنين والبنات؟! سيئات وشهوات، وقتوات ومسلسلات<sup>(١)</sup>.

وكان الصالحون من هذه الأمة حريصين على بدء القتال دائما بعد صلاة الصبح، وليس قبلها، حتى لا تضيع عليهم الصلاة، لأن وقتها قصير، وحتى يحصلوا على بركة الساعات الأولى من النهار، وحتى يبتهلوا إلى الله في صلاتهم أن ينصرهم على أعدائهم. خالد بن الوليد ؓ لم يكن يبدأ قتاله إلا بعد صلاة الصبح.

ويوسف بن تاشفين -رحمه الله- زعيم دولة المرابطين، وقائد من أعظم قادة المسلمين، لم يخض موقعة الزلاقة المشهورة إلا بعد أن صلى الفجر بجيش المسلمين، ثم بدأ القتال.

وقطر- رحمه الله- بدأ القتال في موقعة عين جالوت المشهورة ضد التتار بعد صلاة الصبح مباشرة<sup>(٢)</sup>.

### أنس يبكي

أنس بن مالك ؓ كان يبكي كلما تذكر فتح «تستر».

و«تستر» كانت مدينة فارسية حصينة حاصرها المسلمون سنة ونصفاً بالكامل، ثم سقطت المدينة في أيدي المسلمين، وتحقق لهم فتح مبين، وهو من أصعب الفتح التي خاضها المسلمون..

فإذا كان الوضع بهذه الصورة الجميلة المشرقة فلماذا يبكي أنس بن مالك ؓ عندما يتذكر موقعة تستر؟

(١) روائع الأسحار ٢٩.

(٢) كيف تحافظ على صلاة الفجر؟ ص ٨٠.

لقد فتح باب حصن تستر قبيل ساعات الفجر بقليل، وانهمرت الجيوش الإسلامية داخل الحصن، ودار لقاء رهيب بين ثلاثين ألف مسلم، ومائة وخمسين ألف فارسي، وكان قتالا في منتهى الضراوة، وكانت كل لحظة في هذا القتال تحمل الموت، وتحمل الخطر على الجيش المسلم.

موقف في منتهى الصعوبة.. وأزمة من أخطر الأزمات.

ولكن في النهاية- بفضل الله- كتب الله النصر للمؤمنين.. وانتصروا على عدوهم انتصارا باهرا، وكان هذا الانتصار بعد لحظات من شروق الشمس، واكتشف المسلمون أن صلاة الصبح قد ضاعت، في ذلك اليوم الرهيب لم يستطع المسلمون في داخل هذه الأزمة الطاحنة والسيوف على رقابهم أن يصلوا الصبح في مياعده، ويكي أنس بن مالك ﷺ لضياح صلاة الصبح مرة واحدة في حياته، ويقول أنس: وما تستر؟ لقد ضاعت مني صلاة الصبح، وما وددت أن لي الدنيا جميعا بهذه الصلاة<sup>(١)</sup>.

### فضيلة الوقت بعد الفجر

ثبت لهذا الوقت من الفضيلة والخصوصية ما يوجب على المسلم في عمارته بالطاعة: فقد أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] وأرشد العباد إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

قال ابن القيم: ومن المكروه عندهم النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، فإنه وقت غنيمة، وللسير (أي العبادة والتوجه إلى الله) في ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة، حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت، حتى تطلع الشمس، فإنه أول النهار ومفتاحه، ووقت نزول الأرزاق وحصول القسم وحلول البركة، ومنه ينشأ النهار، وينسحب حكم جميعه (أي النهار) على حكم تلك الحصة، فينبغي أن يكون نومها كنوم المضطر.

(١) كيف تحافظ على صلاة الفجر؟ ٨١، ٨٢.



## نماذج رائعة

تقول أم الشهيد يحيى عياش يوم استشهاده: ما ترك صلاة الفجر في المسجد يوماً واحداً منذ عشرين سنة.

وما هو الشيخ المجاهد القعيد أحمد ياسين يرزقه الله الشهادة - التي طالما تمنّاها ودعا الله بها - بعد صلاة الفجر لتكون هي آخر عمل له في الدنيا.

روى الإمام مالك في موطنه أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة - رحمه الله - في صلاة الصبح في يوم من الأيام (يوماً واحداً) وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق - ومسكن سليمان بين السوق - والمسجد النبوي - فمر على الشفاء أم سليمان رضي الله عنها فقال لها: لم أر سليمان في الصبح.

فقال: إنه بات يصلي فغلّبت عيناه (لم يكن يشاهد التلفزيون).

فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إليّ من أن أقوم ليلة.

لقد كانت بيعة عمر بن الخطاب ﷺ ليكون أميراً للمؤمنين بعد الصديق في صلاة الفجر في المسجد النبوي.. فقد توفي الصديق ﷺ مساء ودفن مساء، وفي صلاة الفجر من اليوم التالي بويع عمر بن الخطاب بالخلافة.

وهذا يعني أن كبار رجال الدولة والأمراء والوزراء وأهل الحل والعقد ومن بيده الأمر كل هؤلاء كانوا يصلون الفجر في جماعة، ويأخذون قرارات مصيرية جداً في صلاة الفجر<sup>(١)</sup>.

هل تحافظ على أداء صلاة الفجر يومياً في جماعة؟

## الحرص على تكبيرة الإحرام

قال رسول الله ﷺ: «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق» [الترمذي].

ويقول عدي بن حاتم: ما جاء وقت صلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت

(١) كيف تحافظ على صلاة الفجر؟ ص ٧٩.

إلا وأنا إليها بالأشواق<sup>(١)</sup>.

ويقول سعيد بن المسيب: ما فاتني الصلاة في جماعة، وقال: ما فاتني التكبير الأولى منذ خمسين، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

وكان يحيى بن القطان إذا ذكر الأعمش قال: كان من النساء، وكان محافظا على الصلاة في الجماعة، وعلى الصف الأول، قال يحيى: وهو علامة الإسلام، وكان يحيى يلتمس الحائط حتى يقوم في الصف الأول.

مفتي الحرم شيخ الإسلام أبو محمد عطاء بن أبي رباح قال عنه ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

قال أبو مسهر: حدثنا عبد الرحمن بن عامر: سمعت ربيعة بن يزيد يقول: ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد، إلا أن أكون مريضا أو مسافرا.

وقال زياد بن أيوب: حدثنا أبو بكر قال: كان عاصم بن أبي النجود إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدا خيرا، يصلي أبدا، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجدا قال: مل بنا فإن حاجتنا لا تفوق، ثم يدخل فيصلي<sup>(٢)</sup>.

وعن عثمان بن حكيم: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد<sup>(٣)</sup>.

وكان السلف إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام عزوا أنفسهم ثلاثة أيام، وإذا فاتتهم الجماعة عزوا أنفسهم سبعة أيام.

وكان منهم من يبكي عندما تفوته تكبيرة الإحرام مع الجماعة، ومنهم الذي يمرض إذا فاتته الصلاة مع الجماعة.

ومنهم القائل وقد قارب التسعين: «لم أصل الفريضة منفردا إلا مرتين، وكأني لم أصلهما».

قال وكيع بن الجراح عن الإمام العظيم سليمان بن مهران (الأعمش): كان

(١) حياة الصحابة (٩٧/٣).

(٢) من يظلمهم الله (٣٣٤/١).

(٣) المصدر نفسه (٣٢٠/١).

الأعمش قريبا من السبعين لم تفته التكبيرة الأولى.

ولله در إبراهيم التيمي حيث يقول: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى،  
فاغسل يدك منه.

ولله در القائل:

لا يصنع الأبطال إلا	في مساجدنا الفساح
في روضة القرآن في	ظل الأحاديث الصاح
شعب بغير عقيدة	ورق يذريه الرياح
من خان «حي على الصلاة»	يخون «حي على الفلاح»

يا ابن آدم، إذا هانت عليك صلاتك فأبشء عليك من دينك؟<sup>(١)</sup>.

قال أسيد بن جعفر: بشر بن منصور ما فاتته التكبيرة الأولى قط.

قال الحاكم عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم: بلغني أنه أذن سبعين سنة في مسجده<sup>(٢)</sup>.

يروى مصعب بن عبد الله أن عامر بن عبد الله بن الزبير سمع المؤذن ينادي بالصلاة وهو  
يحتضر وينزع الموت - وكان منزله قريبا من المسجد - فقال لمن عنده: خذوا بيدي إلى المسجد.

ف قيل له: إنك عليل.

فقال: أسمع داعي الله فلا أجيبه؟ فأخذوا بيده فدخل في صلاة المغرب فركع مع  
الإمام ركعة ثم مات وهو في الصلاة.

يقول وكيع بن الجراح: من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يكن قد قرأها، ومن  
تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

ومن الأمثلة العملية على هذا التذكير ما روي عن برد مولى سعيد بن المسيب قال:  
ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

(١) من يظلمهم الله (١/٣٢٤، ٣٢٥).

(٢) المصدر نفسه (١/٣٣٦، ٣٣٧).

يقول سفيان بن عيينة: إن من توقير الصلاة أن تأتي قبل الإقامة.

بداية بالوضوء: كان عطاء السلمي إذا فرغ من وضوئه انتفض وارتعد وبكى بكاء شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: إني أريد أن أقدم على أمر عظيم، إني أريد أن أقوم بين يدي الله تعالى.

كان علي بن الحسين إذا توضأ يصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك على الوضوء؟ فيقول: تدررون بين يدي من أريد أن أقوم؟!

### حالك في الصلاة

شيخ الإسلام الرباني أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي قال عنه معمر مؤذنه: صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة، وسمعتة يقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] قال: فلما أتى على هذه الآية ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتُ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧] جعل يرددتها حتى خف أهل المسجد فانصرفوا، قال: فخرجت وتركته، قال: وعدت لأذان الفجر، فنظرت فإذا هو في مقامه، قال: فسمعت، فإذا هو فيها لم يجزها وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتُ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال ابن وهب: رأيت سفيان الثوري في الحرم بعد المغرب صلى، ثم سجد سجدة، فلم يرفع حتى نودي بالعشاء.

وقال علي بن الفضيل: رأيت الثوري ساجداً، فطفت سبعة أشواط قبل أن يرفع رأسه<sup>(١)</sup>.



(١) من يظلمهم الله (١/٣٣٥).

## الورع

الورع نوعان: مندوب، وهو ترك الشبهات، وواجب وهو ترك المحرمات. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]. الورع ينظف القلب من نجاسته كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته. وقد جمع النبي ﷺ الورع في كلمة واحدة: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [ابن ماجه].

فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشى والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع.

قال أبو سليمان الداراني: الورع أول الزهد كما أن القناعة أول الرضا.

قال يحيى بن معاذ: الورع على وجهين: ورع في الظاهر وورع في الباطن؛ فورع الظاهر: ألا لا يتحرك إلا لله، وورع الباطن هو ألا تدخل قلبك سواه.

المرء إن كان عاقلاً ورعاً أشغله عن عيوب غيره ورعه  
كما العليل السقيم أشغله عن وجع الناس كلهم وجعه<sup>(١)</sup>

وإليك قصصاً في ورع الرسول ﷺ والصحابة والتابعين والصالحين، نسأل الله أن يرزقنا الورع.

### ورع الرسول

عن أنس ؓ أن النبي ﷺ مرَّ بتمرّة في الطريق، فقال: «لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها» [رواه البخاري].

ماذا لو علم رسول الله ﷺ أن هناك أناساً من أمته يأكلون أموال اليتامى ظلماً،

(١) ديوان الشافعي : ٩٠.

ويأخذون حقوق العاملين بغير وجه حق، وينهبون أموال الشعوب المستضعفة؟ قال تعالى: ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

### سبحان الله!

عن صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ معتكفا فأتته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فقام معي ليليني (يصحبني إلى منزلي) - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رسلكما (التأني والتمهل) إنما صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا - أو قال شيئًا» [رواه مسلم].

أراد الرسول ﷺ أن يوضح لهما حقيقة الأمر، لأنه يعلم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولذلك لا يصح لمسلم أن يسير مع فتاة في الطريق العام بحجة أنها خطيئة، فلا تجوز الخلوة بالأجنبية، وهي مازالت أجنبية عنك لأن الخطبة وعد غير ملزم.

### الحرام حرام!

بعد مقتل عمرو بن ود بعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: «ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية»، فلم يقبل منهم شيئاً، وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش، ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأين هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما شابهه؟! (١).

### أبو بكر الصديق

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان لأبي بكر ﷺ غلام يخرج له الخراج، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ فقال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أنني خدعته فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه» الخراج:

(١) علي بن أبي طالب للصلاحي (١/١٢٠).

شيء يجعله السيد على عبده يؤديه يومياً في كسبه يكون لعبده. وهكذا كان أبو بكر يخاف من حساب ربه يوم القيامة.

### ورع وخوف

روى أبو نعيم في الحلية: أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كانت له امرأتان فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر خوفاً من ربه.

إنه يخاف من حساب ربه، فكان ورعاً في دفنهما، والمسلم يجب عليه العدل بين الزوجتين في كل شيء من باب الورع.

قال الحسن البصري: أدركنا أقواماً كانوا يتركون سبعين باباً من الحلال خشية الوقوع في الحرام.

### نموذج فريد

استعمل عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه ماله وزقاق فيها غسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً، فأرسل إليها ظرف غسل و ظرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل و السمن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذت الزقين منها فأرهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها ثم قسم الجميع <sup>(١)</sup>.

### إنما هاجر به أبوه

عن نافع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة، فقليل له: هو من المهاجرين فلم ينقصه؟

فقال: «إنما هاجر به أبوه، يقول: ليس كمن هاجر بنفسه» [رواه البخاري].

وهذا من ورع عمر بن الخطاب حتى مع أبنائه، وإنه لمثال لكل مسئول في بلاد

(١) علي بن أبي طالب للصلابي (١/ ٢٨٠).

المسلمين صغيرا كان أو كبيرا أن يتورع ويتعفف عن أموال الناس، ولا يجابي أهله.

من أين لك هذا؟

روى مالك والبيهقي عن زيد بن أسلم، قال: شرب عمر بن الخطاب ﷺ لبنًا فأعجبه فسأل الذي سقاه: من أين لك هذا اللين؟ فأخبره أنه ورد على ماء فإذا نعم من نعم الصدقة.. وهم يسقون فحلبوا لنا من ألبانها فجعلته في سقائي هذا. فأدخل عمر إصبعه فاستقاهه.

ويقول المسور بن مخرمة: كنا نلزم عمر بن الخطاب ﷺ نتعلم منه الورع.

محاسبة الأهل أولاً

كان عمر بن الخطاب ﷺ شديدا في محاسبة نفسه وأهله، وكان إذا نهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى اللحم، فإن وقعتم وقعوا، وإن هبتم هابوا، وإني - والله - لا أوتى برجل وقع فيما نهيت الناس عنه إلا أضعفت له العذاب، لمكانه مني، فمن شاء منكم أن يتقدم، ومن شاء منكم أن يتأخر.

وقد منع عمر أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس، خوفا من أن يجابي أهله به، قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: اشتريت إبلا أنجعتها الحمى (أدخلتها أرضا مخصصة لرعاية الإبل) فلما سمت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلا سمانا، فقال: لمن هذه الإبل؟ ف قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر بخ بخ! ابن أمير المؤمنين قال: ما هذه الإبل؟ قال: قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: فيقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر اغد إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

حتى لا يقال إن عمر قام بمحابة ابنه على غيره، وحتى لا تقدم له مميزات لم تقدم لباقي الرعية.

خذه يا معيقيب

قال معيقيب: أرسل إليَّ عمر بن الخطاب ﷺ مع الظهرية، فإذا هو في بيت يطالب



ابنه عاصم! فقال لي: أتدري ما صنع؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين فانتفقهم (سألمهم النفقة) فأعطوه آنية وفضة ومتاعا، وسيفا محلى، فقال عاصم: ما فعلت، إنما قدمت على أناس من قومي، فأعطوني هذا، فقال عمر: خذه يا معقيب فاجعله في بيت المال.

فهذا مثل في التحري في المال الذي يكتسبه الإنسان  
عن طريق جاهه ومنصبه بدون جهد.

### ميزان رباني

قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله لو ددت أني وجدت امرأة تحسن الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد: أنا جيدة الوزن فهل أزن لك، قال: لا، قالت: لم؟ قال: إنني أخشى أن تأخذه فتجعله هكذا- وأدخل أصابعه في صدغيه- وتمسحي به عنقك، فأصيب فضلا على المسلمين.

فهذا من احتياطه البالغ لأمر دينه وخوفه من أن تمسح زوجته عنقها منه فيكون قد أصاب شيئا من مال المسلمين. بينما لا يتذكر هذه الملاحظات بعض أصحاب المناصب الآن.

### خوف من الشبهات

قال معدان بن أبي طلحة اليعمرى: إنه قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطائف وطعام، فأمر به فقسم، ثم قال: اللهم إنك تعلم أنني لن أستأثر عليهم إلا أن أضع يدي في طعامهم، وقد خفت أن تجعله نارا في بطن عمر، قال معدان: ثم لم أبرح حتى رأيتني اتخذ صفحة (إناء) من خالص ماله فجعلها بينه وبين جفان العامة.

أمير المؤمنين عمر يرغب في أن يأكل مع عامة المسلمين لما في ذلك من المصالح الاجتماعية، ولكنه يتحرج أن يأكل من طعام صنع من مال المسلمين العام، فيأمر بإحضار طعام خاص له من خالص ماله، وهذا مثال في العفة والورع إذ إن الأكل من مال المسلمين العام معهم ليس فيه شبهة تحريم لأنه منهم ولكنه قد أعف نفسه عن ذلك ابتغاء ما عند الله تعالى، ولشدة خوفه من الله تعالى خشي أن يكون ذلك من الشبهات فحمى نفسه منه.

### من غشنا فليس منا

يحكى أن أحد الصالحين كان يوصي عماله في المحل أن يكشف للناس عن عيوب بضاعته إن وجدت، وكلما جاء مشتر أطلعه على العيب.

فجاء ذات يوم يهودي فاشترى ثوباً معيباً، ولم يكن صاحب المحل موجوداً فقال العامل: هذا يهودي لا يهمنا أن نطلعه على حقيقة الثوب، ثم حضر صاحب المحل فسأله عن الثوب فقال: بعته لليهودي. فسأله: هل أطلعت على ما فيه من عيوب؟ فقال: لا، فقال: أين هو؟

فقال: سافر مع القافلة. فأخذ الرجل المال معه ثم تبع القافلة وأدركها بعد ثلاثة أيام فقال: يا هذا اشتريت ثوب كذا وكذا به عيب، فخذ دراهمك؟ وهات ثوبي.

فقال اليهودي: ما حملك على هذا؟

فقال الرجل: الإسلام وقول رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا».

فقال اليهودي: والدراهم التي دفعتها لكم مزيفة، فخذ بدلها ثلاثة آلاف صحيحة وأزيدك أكثر من هذا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

### ويحك تسقيني ناراً!

عن عبد الرحمن بن نجيح قال: نزلت على عمر بن الخطاب ؓ فكانت له ناقة يجلبها، فانطلق غلامه ذات يوم فسقاه لبناً أنكره، فقال: ويحك! من أين هذا اللبن لك؟ قال: يا أمير المؤمنين إن الناقة انفلت عليها ولدها فشربها، فخليت لك ناقة من مال الله، فقال: ويحك تسقيني ناراً!

فهذا مثل ورع أمير المؤمنين عمر، حيث خشي من عذاب الله جل وعلا لما شرب ذلك اللبن مع أنه لم يتعمد ذلك، ولم تطمئن نفسه إلا بعد أن استحل ذلك من بعض كبار الصحابة الذين يمثلون المسلمين في ذلك الوقت.

### بكى الناس إشفاقاً

مرض عمر بن الخطاب ؓ يوماً فوصفوا له العسل دواءً، وكان في بيت المال عسل

جاء من بعض البلاد المفتوحة، فلم يتداو عمر بالعسل كما نصحه الأطباء حتى جمع الناس، وصعد المنبر واستأذن الناس: إن أذنتم لي، وإلا فهو عليّ حرام، فبكى الناس إشفاقاً عليه وأذنوا له جميعاً، ومضى بعضهم يقول لبعض: لله درك يا عمر! لقد أتعبت الخلفاء من بعدك.

فلا يجوز لأي مسئول أن يأخذ من أموال المسلمين بغير حق، ولا يستثمرها لصالحه في البنوك ويهرب بها إلى الخارج.

### ورع الولاية

حرص العديد من الولاة على أن يعفى من الأعمال الموكلة إليهم فقد استعفى عتبة ابن غزوان عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم- من ولاية البصرة فلم يعفه، كما أن النعمان بن مقرن كان والياً على كسكر فطلب من عمر أن يعفيه من الولاية ويسمح له بالجهاد رغبة في الشهادة، كما رفض بعض الصحابة الولاية حين طلب منهم عمر أن يعملوا في الولايات، فقد رفض الزبير بن العوم ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلاً: يا أبا عبد الله، هل لك في ولاية مصر؟

فقال: لا حاجة لي فيها ولكن أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً. كما رفض ابن عباس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يوليه إياها بعد وفاة أميرها.

المسلم لا يسعى إلى الإمارة على الآخرين، لأنها أمانة هي خزي وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها، فإن كنت مسئولاً فاتق الله في عملك وكن ورعاً.

### اجعلها سوقاً للمسلمين

بعث عمرو بن العاص إلى الفاروق بقوله: إنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع، فكتب عمر: أنى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر؟! وأمره بأن يجعلها سوقاً للمسلمين.

وهذا دليل على كمال ورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وزهده في مظاهر الدنيا، وإذا كان الكبار لا يترفعون عن أحوال الدنيا ومتاعها الزائل، فإن من دونهم من باب أولى أن يترفعوا عن ذلك.

## نزاهة العمال

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكي يضمن نزاهة عماله يغنيهم عن الحاجة إلى أموال الناس، وقد دار حوار بينه وبين أبي عبيدة مفهومه أن أبا عبيدة قال لعمر بن الخطاب: دنست أصحاب رسول الله يعني - باستعمالهم - فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدين على سلامة ديني فبمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة.

إذا استعملت رجلا فحدد له راتباً حتى لا يلجأ إلى الحرام.

## أجور العمال

كره بعض العمال في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ الأرزاق نتيجة قيامهم بأعمال الإمارة والولاية للمسلمين إلا أن الفاروق كان يوجههم إلى أخذها، فقد قال عمر رضي الله عنه لأحد ولاته: ألم أحدثك أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقال: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال: إن لي أفراساً وأعبداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، فقال عمر: لا تفعل فإن تكن أردت الذي أردت، قد كان رسول الله يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، فقال النبي: خذته فتموله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف فخذ، وما لا فلا تتبعه نفسك. وعلى كل حال فإن مبدأ إعطاء الأرزاق للعمال وإغنائهم عن الناس كان مبدأ إسلامياً فرضه الرسول صلى الله عليه وسلم، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرغوهم للعمل ولمصلحة الدولة الإسلامية.

## ورع الفاروق عمر

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الورع في المال العام ويظهر ذلك من قوله: أنا أخبركم بما أستحل من مال الله، حلة الشتاء والقيظ وما أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، أنا رجل من المسلمين يصيبني ما يصيبهم، وكان يقول: اللهم إنك تعلم أنني لا أكل إلا وجبتي، ولا ألبس إلا حلتي، ولا آخذ إلا حقي.

وكان يقول: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم من كان غنياً فليستعفف، ومن

كان فقيرا فليأكل بالمعروف.

وهكذا على كل مسئول أن يكون أمينا على المال العام، فعليك أخي الحبيب ألا تستعمل الهاتف في مكان عملك إلا بعد أن تدفع ثمن المكالمة للمؤسسة.

#### لا ترفع صوتك على حديث النبي

عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فاتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرا، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة» [رواه البخاري].

إنه من ورع المتقين، إذا ذكر حديث للرسول ﷺ فيجب أن نقول سمعنا وأطعنا، ولا ترتفع أصواتنا على أحاديث الرسول ﷺ.

#### ورع التابعين

كان دخل عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كله لله، حتى لم يبق له دخل سوى أربعمائة دينار في كل سنة، ونحن نرى الناس يتولون الحكم فقراء، فيخرجون منه أثرياء أصحاب ثروات طائلة، وأرصدة في البنوك في الداخل والخارج، ولكن عمر بن عبد العزيز كان ثريا من أثرياء بني أمية فإذا به يصبح بعد الحكم والخلافة فقيرا، وهذا هو التورع عن أي شيء فيه شبهة.

إن الذي أفسد الحياة الإسلامية قبل عمر بن عبد العزيز هو نهب الأموال العامة، والطمع فيها، وأن كل إنسان يريد أن يكون لنفسه ثروة، خاصة من أفراد بيت بني أمية، ولكن عمر بن عبد العزيز اعتبر هذه الأموال مظالم وردّ هذه المظالم إلى أهلها، فمن عُرف له حق عند أمير من أمراء بني أمية، فمن حقه أن يشكو، ومن حق شكواه أن تُسمع، ومن حق ظلامته أن ترد، وما لم يُعرف له صاحب، فليؤخذ ويوضع في بيت مال المسلمين، وهذه هي سياسة عمر بن عبد العزيز.

كان شديدا على نفسه وعلى أهله، لم يسمح لنفسه أن يشم ريح عنبرة جاءت إلى بيت المال فوضع يده على أنفه، قيل له: يا أمير المؤمنين إنها تشم! قال: وهل لها فائدة إلا الشم؟

وبعث يوماً غلامه ليشوي له لحماً فجاءه به سريعاً فقال: أين شويته؟ قال الغلام: في المطبخ، فقال: في مطبخ المسلمين؟ قال: نعم، فقال عمر: كلها فإني لم أرزقها، هي رزقك! وسخنوا له الماء في المطبخ العام، فرد بدل ذلك بدرهم حطباً، وكان ﷺ له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً.

فانظر كيف بلغ تورعه وكيف بلغت عفته، هكذا كان يأخذ نفسه بالشدة.

### ورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

عن فاطمة ابنة عبد الملك قالت: انتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً، فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد إلى بعلبك بدينار، فأتى بعسل، فقلت: إنك ذكرت عسلاً وعندنا عسل، فهل لك فيه.

قالت: فأتينا به فشرب، ثم قال: من أين لكم هذا العسل؟

قالت: وجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد بدينار إلى بعلبك، فاشترى لنا عسلاً. فأرسل إلى الرجل، فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه، واردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل فاجعله في علف دواب البريد، ولو كان ينفع المسلمين شيء لتقيأت.

### عمر بن عبد العزيز وعمته

أتت عمه عمر بن عبد العزيز إلى امرأته فاطمة، فقالت: إني أريد كلام أمير المؤمنين. قالت لها: اجلسي حتى يفرغ.

فجلست، فإذا بغلام قد أتى، فأخذ سراجاً. فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدني فالآن، فإنه إذا كان في حوائج العامة؛ كتب على الشمع، وإذا صار إلى حاجة نفسه؛ دعا بسراجيه.

فقامت، فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح، وزيت، وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين، أتيت بحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي.

قال: وما ذاك يا عمه؟

قالت: لو اتخذت لك طعاماً ألين من هذا.

قال: ليس عندي يا عمّة، ولو كان عندي لفعلت.

قالت: يا أمير المؤمنين كان عمك عبد الملك يجري على كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم وُلّيت أنت فقطعته عني.

قال: يا عمّة، إن عمي عبد الملك، وأخي الوليد، وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي فأعطيكه، ولكنني أعطيك مالي إن شئت.

قالت: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟

قال: عطائي مائتا دينار، فهو لك؟

قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟

قال: فليس أملك غيره يا عمّة.

قالت: فانصرفت عنه.

### الآن طاب لي أكله

أتت عمر بن عبد العزيز سلّتا رطب من الأردن، فقال: ما هذا؟

قالوا: رطب بعث به أمير الأردن. قال: علام جيء به؟

قالوا: على دواب البريد. قال: فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين، أخرجوهما، فبيعوهما، واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد. فغمزني ابن أخيه فقال لي: اذهب، فإذا قامتا على ثمن، فخذهما علي.

قال: فاخرجتا إلى السوق فبلغتا أربعة عشر درهماً، فأخذتهما، فجئت بهما إلى ابن أخيه، فقال: اذهب بهذه الواحدة إلى أمير المؤمنين. وحبس لنفسه واحد، قال: فأتيته بهما، فقال: ما هذا؟

قلت: اشتراهما فلان ابن أخيك، فبعث إليك بهذه، وحبس لنفسه الأخرى.

قال: الآن طاب لي أكله.

محمد بن واسع

ظل محمد بن واسع الأزدي يجاهد المشركين تحت راية يزيد بن المهلب حتى اقترب

موعد الحج، فلما لم يبق أمامه غير وقت قصير، دخل على يزيد، واستأذنه في الانصراف إلى القيام بالنسك، فقال له يزيد: إذنك بيدك يا أبا عبد الله، فامض متى شئت، وقد أمرنا لك بمبلغ من المال يعينك على حجك، فقال له: وهل ستأمر بمثل هذا المال لكل جندي من جنودك أيها الأمير؟ فقال: لا، قال: لا حاجة لي بشيء أخص به من دون جند المسلمين، ثم ودعه وانصرف.

### أقبلت هدية؟!!

عبد الملك بن مروان كان حريصا على نزاهة من يعملون في دولته، فقد بلغه ذات يوم أن أحد عماله قبل هدية، فأمر بإحضاره إليه، فلما حضر قال له: أقبلت هدية منذ وليتك؟ قال: يا أمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور، ورعيتك على أفضل حال، قال: أجب عما سألتك، قال: نعم، قد قبلت، فعزله.

لا تقبل هدية ممن له حاجة عندك في مكان العمل بهدف تيسير أموره وتأخير الآخرين.

### عطاء بن أبي رباح

يقول عثمان بن عطاء الخراساني: انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك، فكلما غدونا قريبا من دمشق إذا نحن بشيخ على حمار أسود عليه قميص خشن وجبة بالية، فضحكت منه، وقلت لأبي: من هذا؟

فقال: اسكت، هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح، فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته، ونزل هو عن حماره، فاعتنقا وتساءلا، ثم عادا فركبا، وانطلقا حتى وقفا على باب قصر هشام بن عبد الملك، فما أن استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما، فلما خرج أبي قلت له: حدثني بما كان منكما.

فقال: لما علم هشام أن عطاء بن أبي رباح بالباب بادر فأذن له - ووالله ما دخلت إلا بسببه - فلما رآه هشام قال: مرحبا مرحبا ههنا ههنا، ولا زال يقول له: ههنا ههنا، حتى أجلسه معه على سريره، ومس بركبته ركبته، وكان في المجلس أشرف الناس، وكانوا يتحدثون فسكتوا، ثم أقبل عليه هشام، وقال: ما حاجتك يا أبا محمد؟



قال: يا أمير المؤمنين، أهل الحرمين، أهل الله وجيران رسوله، تقسم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم.

فقال: نعم، اكتب لأهل مكة والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة، ثم قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب، وقادة الإسلام، ترد فيهم فضول صدقاتهم.

فقال: نعم، يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم، هل من حاجة غير ذلك يا أبا محمد؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل الثغور (المرابطون) يقفون في وجوه عدوكم، ويقتلون من قصدهم بشر، تجري عليهم أرزاقهم تدرها عليهم، فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور.

فقال: نعم، يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم إليهم، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟  
قال: نعم يا أمير المؤمنين، أهل ذمتكم لا يكلفون ما لا يطيقون فإن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم.

فقال: يا غلام اكتب لأهل الذمة بالآي يكلفوا ما لا يطيقون، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم، اتق الله في نفسك يا أمير المؤمنين، واعلم أنك خلقت وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحد، فأكب هشام ينكت في الأرض وهو يبكي، فقام عطاء، فقامت معه، فلما صرنا عند الباب، إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه وقال له: إن أمير المؤمنين بعث لك بها، فقال: هيهات ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩] فوالله إنه دخل على الخليفة وخرج من عنده، ولم يشرب قطرة ماء<sup>(١)</sup>.

### ورع الإمام

كتب الخليفة المنصور إلى أبي حنيفة بثلاثين ألف درهم، على دفعات، فحدثت أبا حنيفة نفسه: كيف تأخذ كل هذا المال، وهو من مال المسلمين؟ ففكر أبو حنيفة في حيلة

(١) صور من حياة التابعين (١٨-٢٠).

ليرد هذا المال، فذهب إلى أمير المؤمنين، وشكره على صنيعه ثم قال: يا أمير المؤمنين، إني ببغداد غريب، وليس عندي موضع أضع فيه هذه الأموال الكثيرة، فأرى أن تجعلها في بيت مال المسلمين، حتى إذا أردتها أخذتها، فأجابه المنصور إلى ذلك.

ومرت الأيام حتى توفي أبو حنيفة، ولم يأخذ من ذلك المال شيئاً، فقال أبو جعفر المنصور: خدعنا أبو حنيفة. ثم رد المال إلى بيت المال.

وهكذا يكون المسلم الداعية ورعا في أموال المسلمين.

### محمد بن المنكدر

يروى الإمام الغزالي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة دراهم، وبعضها بعشرة، فباع غلامه في غيبته لأعرابي شقة من الخمسيات بعشرة، فلما عاد ابن المنكدر وعرف، لم يل يطلب ذلك الأعرابي المشتري طول النهار حتى وجده، فقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة، فقال الأعرابي: يا هذا، قد رضيت، فقال: وإن رضيت، فإننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك. فرد عليه خمسة، وانصرف الأعرابي.

### يرفض الذل

اعتقل كمال السنانيري في أكتوبر عام ١٩٥٤م وأفرج عنه في يناير عام ١٩٧٣م بعد أن أمضى سجنه في الواحات في وجه الشمس المحرقة، وهيب هواء الصحراء، وبعد الحكم عليه ضغظوا على زوجته وأمه لعلهما تثنيانه عن عناده، ويكتب سطرين في تأييد عبد الناصر، فأبى بشدة، وقال لأمه التي طلبت منه أن يكتب رسالة استعطاف وشفعت كلامها بدموعها، فاعتذر لها وقال بشموخ الداعية وكان ورعا: «كيف يكون موقفي بين يدي الله إذا أرسلت هذه الرسالة ثم مت؟».

ومن ورعه أنه خير زوجته بين البقاء زوجة له أو الطلاق، فالتقطت دمعاتها وقالت: أبقى زوجة لك أيها الحبيب. ولكن رجال المباحث ضغظوا على أهلها فأجبروها على الطلاق منه.

### الورع عما يستبيحه الكافة

انفرد الأستاذ الهضيبي برتبة عالية في الورع عما تعارف الناس على إباحتها من توافه

الأشياء التي تضعها الدوائر الحكومية والمؤسسات التجارية في خدمة موظفيها كالأوراق والأقلام وغيرها من المهملات؛ إذ كان يحرم على نفسه وذويه استعمال شيء منها في شأن خاص، وكان يعود من المحكمة- وهو قاض أو محقق- وفي حقيته أكداس من ورق التسويد الرخيصة ليخطط عليها مشروعات القرارات والأحكام القضائية، فلا يسمح لنفسه قط باستعمال ورقة منها- ولو كانت دون الإصبع- في أمر يخصه أو يخص واحدا من أهله، فإذا رآها واحد من أولاده في غرفته وطلب ورقة منها لبعض حاجته، أنكر عليه أبوه وأعطاه قرشا يشتري به ما يحتاج إليه من الورق، ثم لقنه أمام إخوته الدرس الذي لم ينسوه بأن أوراق الحكومة ملك لها لا يحل لأحد أن يستخدمها في شأن خاص به. لا تستخدم شيئا خاصا بالعمل في مصلحتك الشخصية حتى الأشياء التافهة مثل الأوراق والأقلام إلا بإذن صاحب المؤسسة.

### الإفراج الصحي

في عام ١٩٥٧م قررت لجنة من خمسة أطباء مسيحيين أن حالة الهضيبي تنذر بالهلاك، وأنها لا تستطيع تحمل المسؤولية عن بقاءه رهن الاعتقال، فصدر قرار بالإفراج الصحي عنه، نقل على أثره إلى بيته حيث توافرت له أسباب العلاج الذي أراح الله به شبح الخطر عن حياة المرشد الصديق.

بيد أن الهضيبي- الذي يعي تبعات القيادة تجاه الجنود- ما لبث أن أخذه الجند إلى إخوانه وأبنائه المسجونين، ولم تطب نفسه أن يكون في نظر الطغاة ذلك الواهن الضعيف الذي يتلقف هذه الفرصة لينعم بحياة الدعة متميزا على إخوة له في الجهاد هو أولاهم بأوفر حظ من البلاء.

لذلك ما كاد يتنسم أريج العافية حتى سارع بالكتابة إلى السلطات يبلغها أنه قد عوفي بحمد الله من عارض المرض الذي أوجب عنه الإفراج، وأن باستطاعته العودة إلى السجن لقضاء باقي المدة المحكوم بها عليه.

إنه مثال عال في الورع في التعامل مع الآخرين.

## المسارعة إلى الخيرات

حث الإسلام على المسارعة إلى الخيرات فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ غُرُظُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وحدث الرسول ﷺ على المسارعة إلى الخيرات؛ فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبغاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً (يجعل صاحبه يتمادى في فعل المعاصي) أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مُفندا، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

### المسارعة في دخول الجنة

عن عمر بن الخطاب ؓ قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك ما لا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي فقال رسول الله: «ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً.

هل تتسابق مع إخوانك في طاعة الله عز وجل؟

### سبقك بها عكاشة

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فقال: «عرضت على الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سواداً كثيراً سد الأفق، فرجوت أن تكون أمي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر،

فرايت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرايت سوادا كثيرا سد الأفق، فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب» فتفرق الناس ولم يبين لهم، فتذاكر أصحاب النبي فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك ولكننا آمننا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون، ولا يكتسبون، وعلى ربهم يتوكلون»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: «نعم»، فقام رجل آخر فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «سبقتك بها عكاشة» [رواه البخاري].

احرص ألا يأتي أحد يوم القيامة أفضل عملا منك، وتذكر الفردوس الأعلى وما أعدّه الله للصالحين فيه.

### سارع

قال الرسول ﷺ يوم خير: «لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدوكون (يخوضون في الحديث) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال: «فأرسلوا إليه» فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية حتى قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، فلما أصبح أعطاه الرسول عليا ففتح الله على يديه [رواه مسلم].

وعن ربيعة بن كعب قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سلي»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال ﷺ: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» مسلم.

إذا سمعت خطبة الجمعة أو أي موعظة أسأل نفسك: ماذا استفدت منها؟  
واخرج منها بواجب عملي في حياتك.

### مساعدة الفقراء

كانت جماعات كثيرة من أهل المدينة تعيش وهي لا تدري من أين يأتيها رزقها ليلا، فلما مات علي بن الحسين، فقد هؤلاء ما كان يأتيهم من رزق ليلا، فعرفوا مصدره، ولما

وضع زين العابدين على المغتسل نظر غاسلوه، فوجدوا في ظهره آثار السواد، فقالوا: ما هذا؟ فقيل لهم: إنه من آثار حمل أكياس الدقيق إلى مائة بيت في المدينة ففقدت عائنها بفقده.

اجتهد في تقديم مساعدة للفقراء والمساكين ولا تخبر أحدا بهذا، واحتسب أجره عند الله.

### جيل المسارعين إلى الخيرات

قال الحسن: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره.

وقال وهيب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان التركستاني: ما بلغني عن أحد من الناس أنه تعبد إلا تعبدت نظيرها وزدت عليه.

وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة الجماعة صام يوما، وأحيا ليلة، وأعتق رقبة.

وعن فاطمة بنت عبد الملك زوج أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قالت: ما رأيت أحدا أكثر صلاة ولا صياما منه، وكان يصلي العشاء، ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه، فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه، ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة، فينتفض كما ينتفض العصفور من الماء ويجلس يبكي.

وعن أحمد بن حرب قال: يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تُزين فوقه، والنار تسعر تحته،

كيف ينام بينهما؟

وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه.

وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون الكلل منك لا مني.

وكان يقول: أیظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا؟ كلا والله لنزاحمهم عليه

زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا.

وقال هشيم تلميذ منصور بن زاذان: كان لو قيل له: إن ملك الموت على الباب، ما

كان عنده زيادة في العمل.

وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام، وبلغ من الاجتهاد ما لو

قيل له: القيامة غدا ما وجد مزيدا، وكان يقول: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي.

وعن وكيع قال: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة، فما رأته يقضي ركعة.

وعن أبي حيان، عن أبيه قال: كان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج - الشلل - فقبل له: قد رخص لك.

قال: إني أسمع حي على الصلاة، فإن استطعتم أن تأتوها ولو حبواً.

وعن عيسى بن عمر قال: كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلا، فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور، قد طويت الصحف، وقد رفعت الأعمال، ثم ييكي، ويصف بين قدميه حتى يصبح، فيرجع، فيشهد صلاة الصبح.

وقيل لكثير بن عبيد الحمصي عن سبب عدم سهوه في الصلاة قط، وقد أم أهل حمص ستين سنة كاملة.

فقال: ما دخلت من باب المسجد قط وفي نفسي غير الله.

هم الرجال وعيب أن يقال لمن لم يكن مثلهم رجل

ذهب أهل الدثور بالأجور

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور (المال الكثير) بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟».

قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق.

فقال رسول الله ﷺ «أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون، وتكبرون، وتحملون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة»، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» [رواه البخاري].

## مسارعة في طلب العلم ونشره

- ألف الإمام البيهقي ألف جزء كلها تأليف محررة نادرة، وأقام يصوم ثلاثين سنة.
- وبلغ الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي البغدادي -المتوفى سنة ٥١٣هـ- الذي يقول فيه الإمام ابن تيمية: إنه من أذكى العالم- في محافظته على الزمن مبلغاً أثمر أكبر كتاب عرف في الدنيا لعالم، هو كتاب الفنون في ثمانمائة مجلد.
- وصنف الحافظ ابن عساكر كتابه «تاريخ دمشق» في ثمانين مجلدة كبيرة.
- وصنف الإمام أبو حاتم الرازي كتابه «المسند» في ألف جزء.
- وهذا الإمام أبو الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ قال على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي، ونصراني، وقال أيضاً: ولو قلت إنني قد طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعد في الطلب.
- فإذا كان قدر ما قرأ وهو في الطلب (عشرين ألف مجلد) واحتسبنا أن صفحات المجلد الواحد في المتوسط (٣٠٠) صفحة، كان مقدار ما قرأ ستة ملايين صفحة، وإذا كان ما كتب بإصبعه (ألفي) مجلد، كان مقدار ما كتب ستمائة ألف صفحة، هذا ما قرأ ونسخ، فما مقدار ما كتب وصنف؟!
- يقول ابن الجوزي: لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس، فأعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم لثلاثي يمضي الزمان فارغاً، فجعلت أثناء لقائهم قطع الكاغد وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لثلاثي يضع شيء من وقتي.
- وصنف شيخ الإسلام ابن تيمية ما يربو على أربعمائة مصنف من كنوز العلم، ودقائقه.
- وهذا الطبيب الرائد ابن النفيس صنف كتاباً في الطب سماه «الشامل» يقول فيه التاج السبكي: قيل: لو تم لكان ثلاثمائة مجلدة، وتم منه ثمانون مجلدة.
- ويحدث الإمام ابن عقيل عن همته وهو في عشر الثمانين من عمره يقول: إنني لا يحل



لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين مما كنت أجده وأنا ابن عشرين.

قال الإمام أحمد: مع المحبرة إلى المقبرة.

سارع في وضع خطة لنفسك للقراءة اليومية، ولا تصرف جزءا من وقتك في غير فائدة.

### المسارعة في الجهاد

ظهرت المسارعة إلى الخيرات في موقف الرجل الذي قال للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة»، فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل [رواه البخاري].

وحظلة الأنصاري ﷺ لما سمع صيحة الحرب وهو مع امرأته قام من فورهِ إلى الجهاد، فأخبر رسول الله ﷺ أصحابه أن الملائكة تغسله، ثم قال: «سلوا أهله ما شأنه؟» فسألوا امرأته، فأخبرتهم الخبر.

هكذا نزع حظلة نفسه من أحضان عروسه ليلة الزفاف لأن الحور تناديه، وهو يعلم جيدا الفارق بين هذه وتلك، وعند إراقة دمه أعلنت الملائكة حالة الطوارئ، فريق يغسله، وفريق يطيبه، وفريق يزفه إلى عروسه الجديدة.

### تنافس في الشهادة

عن سليمان بن بلال، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر، أراد سعد بن خيثة وأبوه معا الخروج معه، فذكر ذلك للنبي فأمر أن يخرج أحدهما، فاستهما، فقال خيثة ابن الحارث لابنه سعد -رضي الله عنهما- إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فأقم مع نسائك، فقال سعد: لو كان غير الجنة لأثرتك به، فاستهما فخرج سهم سعد فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر وقتل.

تحدث مع أبنائك عن فضل الشهادة،  
وأهمية الدفاع عن المسجد الأقصى.

## جهـزوني

قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].. قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال: ما سمع الله عذر أحد، أي بني جهزوني جهزوني، فقال بنوه: يرحمك الله! لقد غزوت مع النبي حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نقاتل عنك، قال: لا، جهزوني، فغزا في البحر فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ولم يتغير جسده، وهذه هي المسارعة إلى تنفيذ أمر الله، والجهاد في سبيل الله.

## من يأخذه بحقه؟

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ هذا السيف؟» فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه فقال: «من يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم، فقال أبو دجاجة سماك بن خرشة: أنا آخذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين [رواه أحمد].

## المسارعة في رد الفتنة

يذكر المستشار العقيلي أن كامل الشريف والشيخ فرغلي، كانا يمثلان الإخوان في لقاء بمكتب البكباشي عبد الناصر - وكان وقتها وزيراً للداخلية في وزارة محمد نجيب - وقد ضم الاجتماع رجال الانقلاب: عبد الحكيم عامر، وصلاح سالم، وحسين كمال الدين، فأراد ضباط الانقلاب أن يوقعوا بين الشيخ فرغلي، والمرشد العام الهضيبي بذكرهم جهاد الشيخ فرغلي، إلا أنه قطع عليهم الحديث وقال غاضباً: يجب أن تدرکوا أن هذا الذي تتحدثون عنه هو زعيمنا وقائد جماعتنا، وإنني أعتبر حديثكم هذا إهانة للجماعة كلها ولشخصي بصفة خاصة، وإذا كان هذا أسلوبكم فلن تصلوا إلى شيء. فكان هذا القول كافياً لإقناعهم أنهم أمام رجل صلب العود، قوي الشكيمة، فانصرفوا بالحديث إلى جهة أخرى<sup>(١)</sup>.

لا تسمح لأحد بإضعاف صلتك بإخوانك، وسارع في الرد على ما يثار من أقوال غرضها خبيث.



(١) من أعلام الحركة الإسلامية ٥٠٥.

## محاسبة النفس

يقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى أيضاً: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

وقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

عرف أرباب البصائر من الآيات البينات أن الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب، ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه.

ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عراض القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته.

وقد أشار القرآن إلى المحاسبة بعد العمل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

ولذلك قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.

وكان عمر يضرب قدميه بالدرّة إذا جنّه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟

وعن ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل.

وتروي أم المؤمنين عائشة: أن أبا بكر رضي الله عنه قال لها عند الموت: ما أحد أحبّ إليّ من عمر، ثم قال لها: كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال فقال: لا أحد أعزّ عليّ من عمر.

فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبر لها وأبدلها بكلمة غيرها.

وقال محمد بن علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

وقال الحسن: المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

ثم فسر المحاسبة فقال: المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول: والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات، حيل بيني وبينك، وهذا حساب قبل العمل.

ثم قال: ويفرط في الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا؟ والله لا أعذر بهذا، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله، وهذا حساب بعد العمل<sup>(١)</sup>.

ويقول معاذ بن عون الضرير: كنت أكون قريباً من الجبان - المقابر - فكان يمر بي رياح القيسي بعد المغرب إذا خلت الطريق، فكنت أسمعها وهو يتشنج بالبكاء، وهو يقول: إلى كم يا ليل يا نهار، تحيطان من أجلي، وأنا غافل عما يراد بي؟ إنا لله، إنا لله، فهو كذلك حتى يغيب عني وجهه<sup>(٢)</sup>.

(١) الإيمان والحياة ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) خير القرون (٢/٣٠٤).

تعصي الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمري في القياس بديع  
لو كان حبك صادقا لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع  
في كل يوم يتيدك بنعمة      منه وأنت لشكر ذاك مضيع<sup>(١)</sup>

### لفتة!

واليك أخي العاقل هذه اللفتة من ابن القيم يقول فيها: اشغل نفسك فيما يعينك دون ما لا يعينك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، فإياك ثم إياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك، فإنه يفسدها عليك فسادا يصعب تداركه، ويلقى إليك الوسوس، ويدخل فيما بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت تعينه على نفسك بتمكينه من قلبك، فمثالك معه كمثال صاحب (رحى) يطحن بها جيد الحبوب فأتاه شخص معه حمل به تراب، وبعر وغثاء ليطحنه في طاحونك فإن طردته ولم تمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون فقد واصلت على طحن ما ينفعك، وإن مكنته من إلقاء ما معه في الطاحون، أفسد عليك ما في الطحين من حب فخرج الطاحون كله فاسدا.

وعن طاوس قال: رأيت علي بن الحسين ساجدا في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول: فأصغيت إليه فسمعته يقول: عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، فوالله ما دعوت الله بها في كرب إلا كشف الله عني.

وعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين أن أباه كان يقول في جوف الليل: أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر.

كان داود الطائي يعاتب نفسه قائلا: يا داود، من خاف الوعيد، قصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم يا داود، أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم، واعلم يا داود، أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون، فبما عليه أهل القبور يندمون، عليه أهل الدنيا يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون.

(١) ديوان الشافعي ٩١.

## يا نفس!

يا نفس تدبري أمرك وتأملي، ومثلي بين ما يبقى وما يفنى ولا تعجلي، لقد ضللت طريق الهدى فقفي واسألني، وآثرت وهناً يورث وهناً لا تفعلني، يا غمرة من الشقاء ما أراها تنجلي، أتبع الهوى والهوى علي وليس لي، أريد حياة نفس ونفسي تريد مقتلي، يا جسدا قد بلى بما قد بلى<sup>(١)</sup>.

## هل أنت إلا قطرة؟

يقول ابن الجوزي: لمن رآها تتكبر: هل أنت إلا قطرة من ماء مهين، تقتلك شرقة، وتوملك بقة؟ وإن رأى تقصيرها عرفها حق المولى على العبيد، وإن ونت في العمل، حدثها بجزيل الأجر، وإن مالت عن الهوى، خوفها عظيم الوزر، ثم يحذرها عاجل العقوبة الحسية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦] والمعنوية كقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] فهذا جهاد بالقول، وذاك جهاد بالفعل.

وقال محمد بن يونس بن موسى: سمعت زهير بن نعيم الباني قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، توصي بشيء؟ قال: نعم، احذر أن يأخذك الله وأنت على غفلة.

وعن عون بن عبد الله قال: كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات الثلاث ويلقى بعضهم بعضا: من عمل لآخرته كفاه الله عز وجل دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته.

## مثل واضح

كما يستعين التاجر بشريكه وغلामه الذي يتجر في ماله، كما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الريح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا، وكذلك العقل يحتاج إلى مشاركة النفس أولا، فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة، فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع

رأس المال، كالعبد الخائن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال، ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها؛ فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى، وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى.

### وصية حكيم

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تشغل قلبك من الدنيا إلا بقدر ما تتحققه من عمرك، ولتكن جراتك على المعاصي بقدر صبرك على النار، وإذا أردت أن تعصي الله تعالى فانظر موضعا لا يراك الله فيه، وانظر إلى نفسك فإن كانت عزيزة فلا تذللها، وإن كانت ذليلة فلا تزدها على ذلها ذلا.

كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد.

ويقول ابن الجوزي: تفكرت في نفسي يوما تفكر محقق، فحاسبته قبل أن تحاسب، ووزنتها قبل أن توزن، فرأيت اللطف الرباني، فمنذ الطفولة وإلى الآن أرى لطفًا بعد لطف، وسترا على قبيح، وعفوا عما يوجب عقوبة، وما أرى لذلك شكرا إلا باللسان.

### النفس اللوامة

قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]:

لا يلقي المؤمن إلا يعاتب نفسه، ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه.

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: رحم الله عبدا قال لنفسه: ألسنت صاحبة كذا، ألسنت صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا.

ونقل عن توبة بن الصمة - وكان بالرقعة وكان محاسبا لنفسه - أنه حسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي! ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب، فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خر مغشيا عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلا يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى!

فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل

ساعة، ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلأت داره في مدة سيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

### واحسرتاه

فواحسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضا! واحرمانى لمقامات الرجال الفطناء! يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله، وشماتة العدو بي! واخيبة من أحسن الظن بي إذا شهد الجوارح علي! وخذلاني عند إقامة الحجّة، سخر -والله- مني الشيطان وأنا الفطن، اللهم توبة خالصة من هذه الأقدار، ونهضة صادقة لتصفية ما بقي من الأكدار، وقد جئتك بعد الخمسين وأنا مخلق المتاع، وأبي العلم إلا أن يأخذ بيدي إلى معدن الكرم، وليس لي وسيلة إلا التأسف والندم، فوالله ما عصيتك جاهلا بمقدار نعمتك، ولا ناسيا لما ألفت من كرمك، فاغفر لي سالف فعلي<sup>(١)</sup>.

### مع أبي طلحة

وهذا أبو طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه تصدق بالحائط كفارة لذلك، وإن عمر كان يضرب قدميه بالدرّة كل ليلة ويقول: ماذا عملت اليوم؟ وعن مجمع: أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه ألا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا. وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع إصبعه عليه ويقول لنفسه: ما حملك على أن صنعت يوم كذا وكذا؟

### محمد بن بشر

رئى محمد بن بشر بن داود الطائي، وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح، فقيل له: لو أكلته بملح؟

فقال: إن نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة. ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا.

### أصحاب علي

يروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب ؑ أنه قال: صليت خلف علي ؑ الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده

(١) صيد الخاطر (٥٣٠، ٥٣١).



وقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد وما أرى اليوم شيئا يشبههم، كانوا يصبحون شعنا غربا صفرا قد باتوا لله سجدا وقيامًا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبلى ثيابهم، وكان القوم باتوا غافلين -يعني من كان حوله-.

### ويحك يا نفس

يحكي محمد بن المنكدر عن عقاب تميم لنفسه إذا نام عن صلاة الليل مرة فيقول: نام تميم الداري ليلة لم يقم فيها يتهدج حتى أذن الصبح فقام سنة كاملة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع.

وقال أبو يزيد: ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك.

وقال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمراتها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبقارها، ثم مثلتها في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلسلها وأغلاها.. ثم قلت لنفسي: يا نفس أي شيء تريدان؟ قالت: أريد أن أرد إلى الدنيا، فأعمل صالحا، قال: فأنت في الدنيا فاعلمي. وهذه طريقة اتخذها الرجل في إيقاظ نفسه، وإن شئت فقل: في إحياء ضميره، لقد تخيل المتوقع واقعا والغائب حاضرا، ثم قال لنفسه بعد أن عرض عليها بصورتين: تخيري واعلمي<sup>(١)</sup>.

### التوبة

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه، ولذا قال عليه الصلاة والسلام:

﴿بني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة﴾ [رواه مسلم].

وقال عون بن عبد الله: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، فالموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقة أقرب، فداووا القلوب بالتوبة، فلرب تائب دعت توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها، وجالسوا التوابين، فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب.

ويقول ابن القيم: إن الذنوب والمعاصي تضر، ولا بد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم، والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسح ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبدل بالقرب بعدا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنة نارا تلظى.. وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل، زجل الكفر والفسوق والعصيان، فهان على الله غاية الهوان.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألفتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قوم اللواتية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرا؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم<sup>(١)</sup>.

## توشك أن تصل

قابل الفضيل بن عياض رجلا بلغ من الكبر عتيا، فسأله: كم عمرك؟  
قال الرجل: ستون عاما.

قال الفضيل: توشك أن تصل إلى الله.

قال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الفضيل: هل عرفت معناها؟

قال الرجل: نعم، عرفت أني لله عبد، وأنني إليه راجع.

قال الفضيل: إذا عرفت أنك لله عبد، وأنك إليه راجع، عرفت أنك مسئول، وإذا عرفت أنك مسئول، فأعد للسؤال جوابا.

قال الرجل: وما الحيلة يرحمك الله؟

قال الفضيل: سيرة، أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى.

## دينار العيار

روى أن رجلا يعرف بدينار العيار كانت له والدة تعظه ولا يتعظ، فمر في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام، فأخذ منها عظما نخرة فانفتت في يده، ففكر في نفسه، وقال لنفسه: ويحك! كأني بك غدا قد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا، وأنا اليوم أقدم على المعاصي، فندم وعزم على التوبة، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي، إليك ألقيت مقاليد أمري فاقبلني وارحمي.

ثم مضى نحو أمه متغير اللون، فقال: يا أماه ما يصنع بالعبد الأبق إذا أخذه سيده؟  
فجالت: يخشن ملبسه ومطعمه ويغل يده وقدمه.

فقال: أريد جبة من صوف وأقراصا من شعير، وتفعلين بي كما يفعل بالعبد الأبق، لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني، ففعلت كما طلب، فكان إذا جنه الليل أخذ في البكاء والعيول، ويقول: ويحك يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار؟!  
وقالت له أمه في بعض الليالي: ارفق بنفسك.

فقال: دعيني أتعب قليلا لعلني أستريح طويلا.. يا أمي إن لي موقفا طويلا بين يدي

رب جليل، ولا أدري أيؤمر بي إلى الظل الظليل، أم إلى شر مقييل، إنني أخاف عناء لا راحة بعده، وتوبيخا لا عفو معه.

قالت: فاسترح قليلا.

فقال: الراحة أطلب؟ أتضمنين لي الخلاص؟

قالت: فمن يضمه لي؟

قال: فدعيني وما أنا عليه، كأنك يا أماء غدا بالخلائق يساقون إلى الجنة وأنا أقاد إلى النار. فمرت به في بعض الليالي في قراءته: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

ففكر فيها، وبكى وجعل يضطرب كالحية حتى خر مغشيا عليه، فجاءت أمه إليه ونادته، فلم يجبها فقالت: قره عيني، أين الملتقى؟

فقال بصوت ضعيف: إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألني مالكا عني.

ثم شهق شهقة مات فيها، فجهزته وغسلته، وخرجت تنادي: أيها الناس، هلموا إلى الصلاة على قتيل النار، فجاء الناس فلم ير أكثر جمعا ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم.

### تذكير يوم القيامة

شاب يافع لديه طموح الشباب، كان يعيش مثل بعض أقرانه لا يابهون بأوامر الله، وذات ليلة أراد الله به خيرا، فرأى في المنام مشهدا أيقظه من غفلته، وأعادته إلى رشده.

يحدثنا هذا الشاب عن قصته فيقول: في ليلة من الليالي ذهبت إلى فراشي كعادتي لأنام، فشعرت بمثل القلق يساورني، فاستعدت بالله من الشيطان الرجيم ونمت، فرأيت فيما يرى النائم، أن شيئا غريبا وضخما قد وقع من السماء على الأرض.. لم أتبين ذلك الشيء، ولا أستطيع وصفه، فهو مثل كتلة النار العظيمة، رأيتها تهوي فأيقنت بالهلاك.. أصبحت أتخطب في الأرض، وأبحث عن أي مخلوق ينقذني من هذه المصيبة.

قالوا: هذه بداية يوم القيامة، وإن الساعة قد وقعت، وهذه أولى علاماتها، ففرغت، وتذكرت جميع ما قدمت من أعمال، الصالح منها والطالح، وندمت أشد الندم.. قرضت أصابعي بأسناني حسرة على ما فرطت في جنب الله.. قلت والخوف قد تملكني: ماذا

## أفعل الآن؟ وكيف أنجو؟

فسمعت مناديا يقول: اليوم لا ينفع الندم.. سوف تجازى بما عملت.. أين كنت في أوقات الصلوات؟ أين كنت عندما أتت أوامر الله؟ لتمثل الأوامر وتجتنب النواهي؟ كنت غافلا عن ربك.. قضيت أوقاتك في اللعب واللهو والغناء، وجئت الآن تبكي.. سوف ترى عذابك.. زادت حسرتي لما سمعت المنادي يتوعدني بالعذاب.. بكيت وبكيت ولكن بلا فائدة.

وفي هذه اللحظة العصبية استيقظت من نومي.. تحسست نفسي فإذا أنا على فراشي.. لم أصدق أنني كنت أحلم فقط حتى تأكدت من نفسي.. تنفست الصعداء، ولكن الخوف ما زال يتملكني، ففكرت، وقلت في نفسي: والله إن هذا إنذار لي من الله.. ويوم الحشر لا بد منه، إذن لماذا أعصي الله؟ لم لا أصلي؟ لم لا أنتهي عما حرم الله؟ أسئلة كثيرة جالت في خاطري حتى أنجو في ذلك اليوم العظيم، أصبح الصباح، وصليت الفجر، فوجدت حلاوة في قلبي، وفي ضحى ذلك اليوم نزلت إلى سيارتي.. نظرت بداخلها فإذا هي مليئة بأشرطة الغناء.. أخرجتها واكتفيت ببعض الأشرطة الإسلامية النافعة، بقيت على هذه الحال، في كل يوم أتقدم خطوة إلى طريق الهداية التي أسأل الله أن يثبتني وإياكم عليها..

ويقول ابن الجوزي: ابك على نفسك قبل أن يبكي عليك، وتفكر في سهم قد صوب إليك، وإذا رأيت جنازة فاحسبها أنت، وإذا عاينت قبرا فتوهمه قبرك، وعد باقي الحياة رجما<sup>(١)</sup>.

تفكر في مشيك والمآب	ودفنك بعد عزك في التراب
إذا وافيت قبرا أنت فيه	تقيم به إلى يوم الحساب
وفي أوصال جسمك حين تبقى	مقطعة ممزقة الإهاب
فلولا القبر صار عليك سترا	لأنتنت الأباطح والروابي
خلقت من التراب فصرت حيا	وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت إلى التراب فصرت فيه	كأنك ما خرجت من التراب

فطلق هذه الدنيا ثلاثا      وبادر قبل موتك بالمتاب  
نصحتك فاستمع قولي ونصحي      فمثلك قد يدل على الصواب  
خلقنا للممات ولو تركنا      لضاق بنا الفسيح من الرحاب  
ينادي في صبيحة كل يوم      لدوا للموت وابتوا للخراب

### الدولة الغربية

تروى كتب التراث أن دولة غربية، لها قوانينها الغربية، تقع في وسط صحراء مقطوعة، مليئة بالزواحف الخطرة، والوحوش الضارية، ولكن هذه الدولة لها أسوار عالية لا يمكن أن يتسلقها أحد، ولا يمكن لأحد أن يخرج منها إلا من بابها الذي لا يفتح إلا كل خمس سنوات، هي مدة بقاء حاكم البلد فيها، حيث يطرد من بابها بعد انقضاء مدته، وغالبا يكون مصيره الموت في تلك الصحراء التي لا يوجد فيها أي مظهر من مظاهر الحياة، وفي نهاية مدة أحد حكامها وما أعقبها من مراسم الطرد، أعلن عمن يتطوع لإدارة الدولة فلم يتطوع أحد، ومضت الأيام دون أن يتقدم أحد إلى أن فوجئ الجميع بشاب في مقتبل العمر يتقدم للجنة المشرفة على الاختبار، ويقبل بالمهمة الصعبة، فعرضوا عليه شروط الحكم وأفهموه كل شيء عن مدة حكمه، ومصيره بعد ذلك فوافق على جميع الشروط.

وبدأ فترة حكمه مجدية، وهمة عالية، وكان قد اتفق مع آلاف العمال سرا، حيث كان يخرجهم من البوابة ليلا ليشقوا القنوات المتصلة بالعيون من داخل الدولة، ويغرسوا الشجر المثمر بجميع أنواعه، ويستمر العمال في العمل ولا يدخلون حتى قبيل الفجر فيدخلون، وهكذا استمر في هذه الخطة حتى شارفت مدته على الانتهاء، فلما جاء فريق الإشراف على التعيين والطرده ليخبره بقرب موعد الرحيل لم يروا عليه ما كانوا يرونه على من سبقوه من الوجل والرعب، بل رحب بقرب الموعد، وأبدى شجاعة متناهية وطمأنينة أدهشتهم، ولما جاء موعد الطرد، وفتحت الأبواب تعجب الجميع من مناظر الأشجار المثمرة، وقنوات المياه التي تتخللها، والآبار الجديدة التي حفرت حتى بدا ما هو خارج أجل مما في داخلها، ولما سألوا عن ذلك أخبرهم بما قام به من استعدادات ليوم الرحيل، أعجبوا به أشد الإعجاب واتفق الجميع على أن يولوه حاكما عليهم مدى الحياة.

هذه قصة رمزية لمعنى الحياة التي نعيشها، فكل منا له مدة معينة محددة لا تزيد ولا تنقص، يطرد بعدها من هذه الدار، إلى دار أخرى، إما أن يكون قد استعد لها فينجو كما نجا ذلك الشاب، وإما أن يكون قد فرط فيها وفرط في الوقت الذي أعطي لها، حتى جاءت لحظة الطرد من الدنيا فلم يجد إلا صحراء قاحلة لا حياة فيها ولا منجاة، فيبكي حيث لا ينفع الندم ولا البكاء، فهل نعتبر؟

### أيها الباكي

أيها الباكي على أقاربه الأموات، ابك على نفسك فالماضي قد فات، وتأهب لنزول البلايا وحلول الآفات، وتذكر قول من إذا ذكرك قال: مات، كأنك بما أتى الماضين قد أتاك، ولقد صاح بك نذيرهم: أنت غدا كذاك وليخرسن الموت بسطوته فاك، إذا وافاك إنما اليوم لهذا وغدا لذاك.

قرئ على قبر.

أنا في القبر وحيـد      قد تبرأ الأهل مني  
أسلموني بـذنوبي      خبت إن لم تعف عني<sup>(١)</sup>

وجاء رجل إلى أم المؤمنين عائشة فقال: إن بي داء فهل عندك دواء؟

فقالت: ما الداء؟

فقال: القسوة.

فقالت: بس الداء داؤك، يا هذا، عُد المرضي، واشهد الجنائز، وتوقع الموت<sup>(٢)</sup>.

وقال جعفر بن سليمان: سمعت شमित بن عجلان يقول: من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بالدنيا ولا بسعتها.

### اجعل القرآن منهجك

كان والد محمد إقبال يقول له كلما رآه يكثُر من قراءة القرآن: إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك<sup>(٣)</sup>.

(٢) خير القرون (٢/٤٦٦).

(١) المدهش لابن الجوزي ٥١٥.

(٣) أعلام المسلمين ٢٧٢.

ويقول ابننا: أهم الأغراض التي تجب على الأمة الإسلامية حيال القرآن الكريم ثلاثة مقاصد:

أولها: الإكثار من تلاوته، والتعبد بقراءته، والتقرب إلى الله تبارك وتعالى.

وثانيها: جعله مصدرا لأحكام الدين وشرائعه، منه تؤخذ وتستنبط وتستقي وتتعلم.

وثالثها: جعله أساسا لأحكام الدنيا، منه تستمد وعلى مواده الحكمة تطبق.

تلك أهم المقاصد والأغراض التي أنزل الله لها كتابه وأرسل به نبيه وتركه فينا من بعده واعظا مذكرا وحكما عدلا وقسطا مستقيما، ولقد فهم السلف -رضوان الله عليهم- هذه المقاصد فقاموا بتحقيقها خير قيام، فكان منهم من يقرأ القرآن في ثلاث ومنهم من يقرأه في سبع ومنهم من يقرأه في أقل من ذلك أو أكثر.. ولقد كان بعضهم إذا شغل عن ورده من القرآن نظر في المصحف وقرأ بعض الآيات الكريمة، وقال: حتى لا أكون ممن اتخذوا القرآن مهجورا، فكان القرآن ربيع قلوبهم وورد عبادتهم، يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، ورضي الله عن الخليفة الثالث الذي لم يترك المصحف والحصار على بابه والسيف على عنقه<sup>(١)</sup>.

### ذكر الله

قال ابن عون المصري: أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب، وثوبه الذي يلبس، أكثر ذكرا لله منه؟

ويقول ابن الجوزي: يا معشر المذنبين، تأسوا بأبيكم في البكاء، تفكروا كيف باع دارا قد ربي فيها وضاع الثمن، لا تبرحوا من باب الذل، فأقرب الخطائين إلى العفو المعترف بالزلل، ما انتفع آدم في بلية ﴿وَعَصَى﴾ [طه: ١٢١] بكمال ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: ٣١] ولا رد عنه عز ﴿وَأَسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣٤] وإنما خلصه ذل ﴿ظَلَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

### قيام الليل

كان لسعيد بن جبير ديك كان يقوم الليل بصياحه، قال: فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح فلم يصل سعيد تلك الليلة، فشق عليه فقال: ما له قطع الله صوته؟



قال: فما سمع له صوت بعدها، فقالت أمه: يا بني لا تدع علي شيء بعدها<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن بن علوية: سمعت يحيى بن معاذ يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكير، وخواء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه مالي أرى الناس ينامون ولا تنام؟

قال: إن جهنم لا تدعني أنام.

### ينتفض فزعا

يقول أبو يزيد محمد بن حسان: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما عاشرت في الناس رجلا أرحم من سفيان، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما كان ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض فزعا مرعوبا ينادي: النار النار شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه: اللهم إنك عالم بحاجتي غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار، إلهي إنه لجزع ما أرقني، وذلك من نعمك السابعة علي، إلهي لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين. ثم يقبل على صلاته، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه، وما كنت أقدر أن أنظر إليه استحياء وهيبة منه.

وقال يزيد بن هارون: بت عن المستسلم بن سعيد، وكان لا يكاد ينام، إنما هو قائم وقاعد، وذكر أنه لم يضع جنبه منذ أربعين عاما، فظننت أنه يعني بالليل، فقيل: ولا بالنهار.

وقال عمرو بن عون: مكث هشيم بن بشر يصلي الفجر بوضوء العشاء الآخرة، قبل أن يموت عشر سنين.

ويقول ابن الجوزي: يا من كان له قلب فمات، يا من كان له وقت ففات، استغث من بوادي القلق، «ردوا علي ليالي التي سلفت»، احضر في السحر فإنه وقت الإذن العام، واستصحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور، وابعث رسائل الصعداء فقد أقيم لها من يتناول.

واعلم بأن سبب حرمانك من قيام الليل الذنوب والمعاصي، قال مبارك بن فضالة: سمعت الحسن البصري قال له شاب: أعياني قيام الليل، فقال: قيدتك خطاياك.

## كثرة الدعاء

قال الحسن بن علوية: سمعت يحيى بن معاذ يقول: على قناطر الفتن جاوزوا إلى خزائن المنن.

وسمعه يقول: إلهي، كيف أفرح وقد عصيتك؟ وكيف لا أفرح وقد عرفتك؟ وكيف أدعوك وأنا خاطئ؟ وكيف لا أدعوك وأنت كريم؟.

وقال يحيى بن معاذ: يا من يغضب على من لا يسأله، لا تمنع من قد سألك.

وقال أبو سليمان الداراني: إنك إن طلبتني بشري طالبتك بكرمك، وإن أخذتني بذنوبي أتيت بتوحيديك، وإن أسكتني النار بين أعدائك لأخبرنهم بحبي لك.

وعن معاوية بن قره أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟

قال: أشتكى ذنوبي.

قالوا: فما تشتهي؟

قال: أشتهي الجنة.

قالوا: أفلا ندعو لك طيبيا؟

قال: هو الذي أضجعتني.



## علو الهمة

أمر رسول الله ﷺ بعلو الهمة فقال: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له» [رواه الترمذي].

ويعلمنا رسول الله ﷺ علو الهمة في الدعاء، قال ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفرج أهار الجنة» [رواه البخاري].

ويخطئ كثير من الناس حين يصفون الكفار بعلو الهمة، لأن الهمة العالية حكر على طلاب الآخرة، وهي من عزتها تأنف أن تسكن قلبا قد تنجس بالكفر، وبين تعالى أن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية فقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

يقول ابن الجوزي: إذا اعتقدت أنك مخلوق للصغير من الأمور لم تبلغ من الحياة إلا الصغير، وإذا اعتقدت أنك مخلوق لعظائم الأمور شعرت بهمة تكسر الحدود والحواجر، وتنفذ منها إلى الساحة الفسيحة والغرض الأسمى.

ومصداق ذلك حادث في الحياة المادية، فمن دخل مسابقة مائة متر شعر بالتعب إذا هو قطعها، ومن دخل مسابقة أربع مائة متر لم يشعر بالتعب من المائة والمائتين، فالنفس تعطيك من الهمة بقدر ما تحدد من الغرض، حدد غرضك وليكن ساميا صعب المنال، ولكن لا عليك في ذلك ما دمت كل يوم تخطو إليه خطوة جديدة، إنما يصد النفس ويعبسها ويجعلها في سجن مظلم: اليأس وفقدان الأمل، والعيشة السيئة برؤية الشرور، والبحث عن معائب الناس والتشدد بالحديث عن سيئات العالم لا غير<sup>(١)</sup>.

(١) لا تحزن ٦١.

## عالي الهمة شريف النفس

عالي الهمة يعرف قدر نفسه، في غير كبر، ولا عجب، ولا غرور، وإذا عرف المرء قدر نفسه صانها عن الرذائل، وحفظها من أن تهان، ونزهها عن دنايا الأمور وسفاسفها في السر والعلن، وجنبها مواطن الذل.

ألم تر إلى شرف نفس الكريم بن الكريم بن الكريم بن النبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم حين دعا ربه: ﴿رَبِّ السَّجُنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وحين قال لرسول الملك: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠].

قيل لرجل: لي حويجة.

فقال: اطلب لها رجلا.

وقد قيل لبعض العلماء: لي سؤال صغير.

فقال: اطلب له رجلا صغيرا.

ويقول ابن الجوزي: لا شيء أقتل للنفس من شعورها بضعتها وصغر شأنها وقلة قيمتها، وأنها لا يمكن أن يصدر عنها عمل عظيم، ولا ينتظر منها خير كبير، هذا الشعور بالضعفة يفقد الإنسان الثقة بنفسه والإيمان بقوتها، فإذا أقدم على عمل ارتاب في مقدرته وفي إمكان نجاحه، وعالجه بفتور ففشل فيه. الثقة بالنفس فضيلة كبرى عليها عماد النجاح في الحياة وشتان بينها وبين الغرور الذي يعد رذيلة، والفرق بينهما أن الغرور اعتماد النفس على الخيال وعلى الكبر الزائف، والثقة بالنفس اعتمادها على مقدرتها مع تحمل المسؤولية، وعلى تقوية ملكاتها وتحسين استعداداتها<sup>(١)</sup>.

## ١- علو الهمة في العبادة:

كان من أخبار عامر بن عبد الله ما حدث به أحد أبناء البصرة قال: سرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله، فلما أقبل علينا الليل، نزلنا فحمل عامر متاعه، وربط فرسه بشجرة، وجمع له من حشائش الأرض ما يشبعه، ثم توأرى، فقلت في نفسي: والله

(١) لا تحزن ٦٢.

لأتبعنه، ولأنظرن ما يصنع في هذه الليلة، فمضى حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر، مستورة عن العين، فاستقبل القبلة، وانتصب قائماً يصلي، فما رأيت أحسن من صلاته، فلما صلى ما شاء أن يصلي طفق يدعو الله ويناجيه، فكان مما قاله: إلهي لقد خلقتني بأمرك، وأقميتني في بلايا هذه الدنيا بمشيئتك، ثم قلت لي: استمسك، فكيف أستمسك إن لم تمسكني بلطفك يا قوي يا متين، إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها، ثم طُلبت مني مرضاة لك، لوهبتها لطالبها، فهب لي نفسي يا أرحم الراحمين، إني أحببتك حبا سهلا علي كل مصيبة، ورضاني بكل قضاء، فما أبالي مع حيي لك ما أصبحت عليه، وما أمسيت فيه.

قال الرجل البصري: ثم إنه غلبني النعاس، فأسلمت جفني إلى الكرى، ثم ما زلت أنام وأستيقظ، وعامر منتصب في موقفه، ماض في صلاته ومناجاته، حتى تنفس الصبح، فلما بدا الفجر أدى المكتوبة، ثم أقبل يدعو فقال: اللهم ها قد أصبح الصبح، وطفق الناس يغدون ويروحون، يتغنون من فضلك، وإن لكل منهم حاجة، وإن حاجة عامر عندك أن تغفر له، اللهم فاقض حاجتي وحاجاتهم يا أكرم الأكرمين، اللهم إني سألتك ثلاثا، فأعطيني اثنتين ومنعتني واحدة، اللهم فأعطينها حتى أعبدك كما أحب وأريد، ثم نهض من مجلسه فوق بصره عليّ فعلم بمكاني منه في تلك الليلة، فجزع لذلك أشد الجزع، وقال لي في أسي: أراك كنت ترقبني الليلة يا أبا البصرة؟

فقلت: نعم.

فقال: استر ما رأيت مني ستر الله عليك.

فقلت: والله لتحدثني بهذه الثلاث التي سألتها ربك، أو لأخبرن الناس بما رأيت منك.

فقال: ويحك لا تفعل.

فقلت: هو ما أقول لك، فلما رأى إصراري.

قال: أحدثك على أن تعطيني عهد الله وميثاقه ألا تخبر بذلك أحدا.

فقلت: لك عليّ عهد الله وميثاقه ألا أفشي لك سرا ما دمت حيا.

فقال: لم يكن شيء أخوف عليّ في ديني من النساء، فسألت ربي أن ينزع من قلبي

جبهن، فاستجاب لي حتى صرت ما أبالي امرأة رأيت أم جدارا.

فقلت: هذه واحدة، فما الثانية؟

فقال: الثانية أني سألت ربي ألا أخاف أحدا غيره، فاستجاب لي حتى أني -والله- ما أهرب شيئا في الأرض ولا في السماء سواه.

قلت: فما الثالثة؟

فقال: سألت ربي أن يذهب عني النوم حتى أعبده بالليل والنهار كما أريد فمنعني هذه الثالثة. فلما سمعت منه ذلك قلت له: رفقا بنفسك، فإنك تقضي ليلك قائما، وتقطع نهارك صائما، وإن الجنة تدرك بأقل مما تصنع، وإن النار تتقي بأقل مما تعاني، فقال: إنني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندم، والله لأجتهدن في العبادة ما وجدت إلى الاجتهاد سبيلا، فإن نجوت فبرحة الله، وإن دخلت النار فبتقصيري<sup>(١)</sup>.

أخي الحبيب: لا تترك قيام الليل مهما كانت الظروف، وداوم على صلاة ركعتين يوميا على الأقل في وقت السحر، فإن لم تستطع فحافظ عليها قبل النوم، واسأل الله أن يوقظك في الثلث الأخير من الليل.

### أبو حنيفة

عرف عن أبي حنيفة أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عاما.

وأنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة.

وكان إذا قرأ سورة الزلزلة اقشعر جلده ووجل فؤاده، وأخذ لحيته بيده وطفق يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرا خيرا، يا من يجزي بمثقال ذرة شرا شرا، أجر عبدك النعمان من النار، وباعد بينه وبين ما يقربه منها، وأدخله في واسع رحمتك يا أرحم الراحمين<sup>(٢)</sup>.

قدم أعمالا صالحة قبل الدعاء وستجد راحة في قلبك واطمئنانا في نفسك.

### القيام والبكاء

أقبل أبو حنيفة ذات يوم على جماعة من الناس فسمعهم يقولون: إن هذا الرجل

(١) صور من حياة التابعين ٢٤: ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ٤٩٣.

الذي ترونه لا ينام الليل، فما أن لامست كلمتهم هذه مسمعه حتى قال: إني عند الناس على خلاف ما أنا عليه عند الله، ولن أتوسد فراشا بعد اليوم في ليل حتى ألقى الله، ثم دأب منذ ذلك اليوم على قيام الليل كله، فكان إذا أرخى الظلام سدوله على الكون، وأسلمت الجنوب إلى المضاجع، قام فلبس أحسن ثيابه، وسرح لحيته، وتطيب، وتزين، ثم يصف في محرابه ويقطع ليله قانتا، أو منحنيا بصلبه على أجزاء القرآن، أو رافعا يده بالضراعة، فلربما قرأ القرآن كله في ركعة واحدة، ولربما قام الليل كله بآية واحدة، ولقد روي أنه قام الليل كله وهو يردد قوله تعالى ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: ٤٦] وهو يبكي من خشية الله<sup>(١)</sup>.

احرص على قراءة القرآن يوميا، واجتهد في تدبر الآيات  
وكانها قد نزلت عليك، وستجد السعادة في معايشة كلام الله.

## ٢- علو الهمة في الجهاد:

في أعقاب غزوة بدر أنزل الله على نبيه ﷺ من آي القرآن ما يرفع شأن المجاهدين، ويفضلهم على القاعدین لينشط المجاهد إلى الجهاد، ويأنف القاعد من القعود، فأثر ذلك في نفس ابن أم مكتوم، وعز عليه أن يحرم من هذا الفضل وقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت، ثم سأل الله بقلب خاشع أن ينزل قرآنا في شأنه وشأن أمثاله ممن تعوقهم عاهاتهم عن الجهاد، وجعل يدعو في ضراعة: اللهم أنزل عذري.. اللهم أنزل عذري، فما أسرع أن استجاب الله عز وجل دعاءه!

حدث زيد بن ثابت ؓ كاتب وحي رسول الله ﷺ قال: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيت السكينة، فوقعت فخذة على فخذتي، ما وجدت شيئا أثقل من فخذ رسول الله ﷺ ثم سري عنه فقال: «اكتب يا زيد» فكتبت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فما انقضى كلامه حتى غشيت رسول الله ﷺ السكينة، فوقعت فخذة على فخذتي، فوجدت من ثقلها ما وجدت في المرة الأولى، ثم سري عنه، فقال: اقرأ ما كتبت يا

(١) صور من حياة التابعين ٤٩١، ٤٩٢.

زيد فقرأت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فقال: اكتب ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فنزل الاستثناء الذي تمناه ابن أم مكتوم، وعلى الرغم من أن الله سبحانه أعفى عبد الله بن أم مكتوم وأمثاله من الجهاد، فقد أبت نفسه الطموح أن يقعد مع القاعدين، وعقد العزم على الجهاد في سبيل الله.

ذلك لأن النفوس الكبيرة لا تقنع إلا بكبار الأمور، فحرص منذ ذلك اليوم على ألا تفوته غزوة، وحدد لنفسه وظيفتها في ساحات القتال، فكان يقول: أقيموني بين الصنفين، وحملوني اللواء أحمله لكم وأحفظه، فأنا أعمى لا أستطيع الفرار.

وفي السنة الرابعة عشرة للهجرة عقد عمر بن الخطاب ؓ العزم على أن يخوض مع الفرس معركة فاصلة تزيل ملكهم، وتفتح الطريق أمام جيوش المسلمين، فكتب إلى عماله يقول: لا تدعوا أحدا له سلاح، أو فرس، أو نجدة، أو رأى، إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي، والعجل العجل. وطفقت جموع المسلمين تلي نداء الفاروق، وتنهال على المدينة من كل حذب وصوب، وكان في جملة هؤلاء المجاهدين المكفوف البصر عبد الله بن أم مكتوم ؓ، فأمر الفاروق على الجيش سعد بن أبي وقاص ؓ وأوصاه، ولما بلغ الجيش القادسية، برز عبد الله بن أم مكتوم لابسا درعه، مستكملا عدته، وندب نفسه ليحمل راية المسلمين والحفاظ عليها، أو الموت دونها.

والتقى الجمعان في أيام ثلاثة قاسية، وانجلى اليوم الثالث عن نصر مؤزر للمسلمين، فزال أعظم الدول وكان بين الشهداء عبد الله بن أم مكتوم، فقد وجد صريعا مضرجا بدمائه وهو يعانق راية الإسلام<sup>(١)</sup>.

أين علو همتك في الدفاع عن دين الله، ونصرة الإسلام والمسلمين؟

### ٣- علو الهممة في طلب العلم:

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري: أن احمل إلي كتابي الجامع والتاريخ، وغيرهما لأسمع منك.

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين، فإن

(١) صور من حياة الصحابة ١٥٥: ١٥٧.



كان لك إلي شيء منه حاجة، فاحضرنى في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا، فأنت سلطان، فامنعي من الجلوس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأنني لا أكتم العلم.

احذر أن تجعل نية طلبك للعلم الشهرة في الدنيا

وأنفذ الخليفة بمائة دينار إلى عالم، وقال لغلامه: إن قبل ذلك فأنت حر. فحملها إليه فلم يقبل، فقال: اقبل ففيه عتقي، فقال: إن كان فيه عتقك ففيه رقي<sup>(١)</sup>.

أين نحن من هؤلاء

قال عمر بن حفص الأشقر: إنهم فقدوا البخاري أياماً من كتابة الحديث بالبصرة، قال: فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفذ ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسونا، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث.

وقال مالك: لا ينال هذا الأمر، حتى يذاق فيه طعم الفقر.

وهذا يحيى بن معين، خلف له أبوه ألف ألف درهم، فأنفقها كلها على تحصيل الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه.

وذكر ابن اللباد أن محمد بن عبدوس صلى الصبح بوضوء العتمة، ثلاثين سنة، خمس عشرة في دراسة، وخمس عشرة في عبادة.

وقال الحافظ ابن كثير: وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره، ثم يطفئ سراج، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى، حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة.

وقال النووي: وبقيت سنتين لم أضع جنبي على الأرض.

وحكى البدر بن جماعة أنه سأله عن نومه فقال: إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة وانتبهت.

وهذا ابن كثير: أخذ كتاب الإمام أحمد مرتباً، وأضاف إليه أحاديث الكتب الستة، ومعجم الطبراني الكبير، ومسند البزار، ومسند أبي يعلى الموصلي، وأجهد نفسه كثيراً،

(١) علو الهمة - محمد أحمد إسماعيل المقدم.

وتعب فيه تعباً عظيماً، فجاء لا نظير له في العالم، وأكمّله، إلا من بعض مسند أبي هريرة، فإنه مات قبل أن يكمله فإنه عوجل بكف بصره.

وقال إبراهيم النخعي: من سره أن يحفظ الحديث، فليحدث به، ولو أن يحدث به من لا يشتهي، فإنه إن فعل ذلك كان كالكتاب في صدره.

وكان بعضهم يذاكر العلم مع نفسه فتراه يجلس وحده، ويرفع بالعلم صوته.

يقول جعفر بن المراغي: دخلت مقبرة بتستر، فسمعت صائحا يصيح: والأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة، والأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة.. ساعة طويلة، فكنت أطلب الصوت، إلى أن رأيت ابن زهير، وهو يدرس مع نفسه من حفظه حديث الأعمش.

وقال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث<sup>(١)</sup>.

أحرص على القراءة اليومية، وتعليم الناس ما تستفيده من قراءتك، فإن لم تستطع القراءة فلا تحرم نفسك من سماع شريط علم نافع.

#### حتى قبل الموت!

من الغريب أن فترة مرض الدكتور مصطفى السباعي على قساوتها وشدتها، كانت من أخصب أيام حياته، وأكثرها إنتاجاً من الناحية العلمية.

يقول د. محمد أديب الصالح: كان السباعي -رحمه الله- حريصاً -كما علمت منه قبل وفاته بيوم واحد- على كتابة مؤلفات ثلاثة هي: العلماء الأولياء، والعلماء المجاهدون، والعلماء الشهداء<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- علو الهمة في الدعوة:

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أول مسلم على ظهر الأرض جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقد اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة، وكانوا قلة مستضعفين، فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم إياه؟

فقال عبد الله بن مسعود: أنا أسمعهم إياه.

(١) علو الهمة - محمد أحمد إسماعيل المقدم.

(٢) من أعلام الحركة الإسلامية ٥٤٢.

فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة، تحميه وتمنعهم منه إذا أرادوه بشر.

فقال: دعوني فإن الله سيمنعني ويحميني، ثم ذهب إلى المسجد حتى أتى مقام إبراهيم في الضحى، وقريش جلوس حول الكعبة، فوقف عند المقام وقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رافعا بها صوته ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١: ٤] ومضى يقرأها، فتألمته قريش، وقالت: ماذا قال ابن أم عبد؟ تبأ له، إنه يتلو بعض ما جاء به محمد، وقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه والدم يسيل منه، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك.

فقال: والله ما كان أعداء الله أهون في عيني منهم الآن وإن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا، قالوا: لا، حسبك لقد أسمعتهم ما يكرهون<sup>(١)</sup>.

### الشيخ محمد فرغلي

يقول الشيخ حسن البنا عن الشيخ محمد فرغلي: حين تم بناء المسجد الذي طالب به عمال الشركة بالجاسات بالإسماعيلية انتدب للإمامة والتدريس فضيلة الأخ محمد فرغلي، المدرس بمعهد حراء حينذاك، وصل الأستاذ فرغلي وتسلم المسجد، وأعد له سكن خاص بجواره، ووصل روحه القوية بأرواح هؤلاء العمال الطيبين، فلم تمض عدة أسابيع وجيزة حتى ارتفع مستواهم الفكري والنفساني والاجتماعي ارتفاعا عجيبا، لقد أدركوا قيمة أنفسهم، وعرفوا سمو وظيفتهم في الحياة، وقدروا فضل إنسانيتهم، فنزع من قلوبهم الخوف والذل والضعف والوهن، واعتزوا بالإيمان بالله وبإدراك وظيفتهم الإنسانية في هذه الحياة؛ خلافة الله في أرضه، فجدوا في عملهم، عفوا عما ليس لهم، فلم تأسرهم المطامع التافهة، ولم تقيدهم الشهوات الحقيرة، وصار أحدهم يقف أمام رئيسه عالي الرأس في أدب، شامخ الأنف في وقار، يحدّثه في حجة ومنطق، لا يقول ولا يقبل منه كلمة نابية، أو لفظة جافية، أو مظهرًا من مظاهر التحقير والاستصغار، كما كان ذلك شأنهم من قبل، تجمعوا على الأخوة، واتحدوا على الحب والجد والأمانة، ويظهر أن هذه السياسة لم تعجب الرؤساء وقرروا أنه إذا استمر الحال على ذلك ستكون السلطة كلها لهذا الشيخ، ولن يستطيع أحد بعد ذلك أن يكبح جماحه وجماح العمال.

(١) صور من حياة الصحابة ١٠٥: ١٠٧.

فكر الرؤساء في الشركة في إقصاء هذا الشيخ القوي الشكيمة عن العمل، وأرسل إليه الرئيس المباشر، فلما توجه إليه قال له: إن المدير أخبرني بأن الشركة قد استغنت عن خدماتك وأنها تفكر في انتداب أحد العمال للقيام بعملكم في المسجد، وهذا حسابكم إلى اليوم حسب أمر المدير.

فكان جواب الشيخ له بكل هدوء: ما كنت أظن يا مسيو فرانسوا أنني موظف بشركة جبايات البلاح، لو كنت أعلم هذا ما قبلت العمل معها، ولكني أعلم أنني موظف من قبل الإخوان المسلمين بالإسماعيلية، وأتقاضى راتي منهم محولا عليكم، وأنا متعاقد معهم لا معكم على هذا الوضع، وأنا لا أقبل منك مرتبا لا حسابا، ولا أترك عملي في المسجد ولو بالقوة، إلا إذا أمرني بذلك رئيس الجمعية التي انتدبتني هنا، وهو أمامك بالإسماعيلية اتفقوا معه كما تريدون. واستأذن وانصرف.

وسقط في يد إدارة الشركة وصبرت أياما لعل الشيخ يطلب منها مرتبه، ولكنه اتصل بالبنا في الإسماعيلية فأوصاه بالتمسك بموقفه وألا يدع مكانه بحال، وحثه مقبولة ولا شيء لهم عنده، لجأت الشركة إلى الإدارة، واتصل مديرها بمحافظ القنال الذي اتصل بدوره بالمأمور بالإسماعيلية وأوصاه أن يقوم على رأس قوة لعلاج الموقف، وحضر المأمور معه قوته، وجلس في مكتب المدير، وأرسل في طلب الشيخ الذي اعتصم بالمسجد وأجاب الرسول: لا حاجة لي عند المأمور، ولا عند المدير، وعملي بالمسجد، فإذا كان لأحدهما حاجة فليحضر إلي، وعلى هذا فقد حضر المأمور إلى الشيخ، وأخذ يطلب منه أن يستجيب لمطالب المدير، ويترك العمل ويعود إلى الإسماعيلية، فأجاب بمثل ما تقدم، وقال له: تستطيع أن تأتيني من الإسماعيلية بكلمة واحدة في خطاب فأصرف، ولكنك إذا أردت استخدام القوة، فلك أن تفعل ما تشاء، ولكني لن أخرج من هنا إلا جثة لا حراك بها. ووصل النبأ إلى العمال، فتركوا العمل في لحظة واحدة، وأقبلوا متجمهرين صاخبين، وخشي المأمور العاقبة فترك الموقف وعاد إلى الإسماعيلية، واتصل بالإمام البنا للتفاهم على الحل، يقول البنا: «ولكني اعتذرت له، بأني مضطر إلى التفكير في الأمر، وعقد مجلس إدارة الجمعية للنظر ثم أجيبه بعد ذلك، وفي هذه الأثناء يؤسفني أن أقول إنني حضرت إلى القاهرة لمقابلة العضو المصري الوحيد في مجلس إدارة الشركة، فوجدت منه كل إعراض عن مصالح العمال، وكل انحياز إلى آراء الشركة ومديرها، وكل

تجرد من أي عاطفة فيها معنى الغيرة الوطنية.

قابلت بعد ذلك مدير الشركة، وسألته عما ينقمه من فضيلة الشيخ، فلم أجد عنده إلا أنهم يريدون شخصا يستسلم لمطالبهم، وكان من كلامه كلمة لا أزال أذكرها: إنني صديق للكثير من زعماء المسلمين ولقد قضيت في الجزائر عشرين سنة، ولكني لم أجد منهم أحدا كهذا الشيخ، الذي ينفذ علينا هنا أحكاما عسكرية كأنه جنرال تماما.

فناقشته في هذا الكلام وأفهمته أنه مخطئ وأن الشركة هي التي تقسو على العمال وتنقص من حقوقهم، وتستصغر إنسانيتهم، وتبخل عليهم وتقتصر من أجورهم، في الوقت الذي يتضاعف ربحها ويتكدس، وأن من الواجب علاج هذه الحال بعلاج نظم هذه الشركات، ووجوب قناعتها باليسير من الربح، واتفقنا أخيرا على أن يبقى الأستاذ فرغلي شهرين حيث هو، وأن تقوم الشركة بتكريمه عند انتهاء هذه المدة، وأن تطلب رسميا من الإخوان أن يحل محله واحد من المشايخ، وأن تضاعف للشيخ الجديد راتبه، وتعني بمسكنه ومطالبه، وفي نهاية المدة عاد فضيلة الشيخ فرغلي وتسلم مكانه فضيلة الأستاذ شافعي أحمد واستمرت الدعوة تشق طريقها في هذه الصحراء مجراها ومرساها<sup>(١)</sup>.

المسلم عالي الهمة لا يطلب مالا من أحد وإنما يعتز بنفسه، ويسعى لنشر دعوة الإسلام في كل مكان.

### الإيمان وعلو الهمة

يقول القرضاوي: الإيمان هو قوة الخلق، وخلق القوة، وروح الحياة، وحياة الروح، وسر العالم، وعالم الأسرار، وجمال الدنيا، ودنيا الجمال، نور الطريق، وطريق النور. الإيمان هو واحة المسافر ونجم الملاح، ودليل الحيران، وعدة المحارب، ورفيق الغريب، وأنيب المستوحش، ولجام القوي، وقوة الضعيف.

الإيمان هو مصنع البطولات، وتحقق المعجزات، ومفتاح المغاليق، ومنارة الهدى في كل طريق<sup>(٢)</sup>.



(١) من أعلام الحركة الإسلامية ٥٠٠: ٥٠٢.

(٢) الإيمان والحياة ٣٠٨.

## طلب العلم

يحث الإسلام على العلم، يقول تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» الترمذي، وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب» الترمذي.

قال علي بن أبي طالب ؑ: العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم  
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه  
ففرز بعلم تعش حياً به أبداً  
الناس موتى وأهل العلم أحياء  
قال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

### ثمانى مسائل

روى عن حاتم الأصم -تلميذ شقيق البلخي- أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟

قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟

قال: ثمانى مسائل.

قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون! ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمانى

مسائل!؟

قال: يا أستاذ لم أتعلم غيرها، وإنني لا أحب أن أكذب.

فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحدا يحب محبوبا هو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي.

فقال: أحسنت يا حاتم فما الثانية؟

فقال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فعلمت أن قوله سبحانه تعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٦] فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته لله ليبقى عندي محفوظا.

الرابعة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فعلمت في التقوى حتى أكون عند الله كريما.

الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْبُغْيَاءَ مِنَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ أَعْدَاءَ لِكُلِّ فَاسِقٍ لَّأَعْدَاءُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ أَعْدَاءَ لِكُلِّ فَاسِقٍ لَّأَعْدَاءُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَلَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ أَعْدَاءَ لِكُلِّ فَاسِقٍ لَّأَعْدَاءُ اللَّهِ وَالرَّسُولِ أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه، ويدخل فيها ما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ

الله رَزُقَهَا ﴿هود: ٦﴾ فعلمت أنني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها، فاشتغلت بما لله تعالى عليّ وتركت مالي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق؛ هذا على عقاره، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه، وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي.

### أهمية اللغة العربية

قيل إن أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنته يوماً، فقالت له: ما أحسنُ السماء -بضم النون- فظن أنها تسأل.

فقال لها: نجومها.

فقالت له: أنا لا أسأل ولكني أريد أن السماء حسنة.

فقال لها: إذن فقولي: ما أحسنَ السماء -بفتح النون- ثم انصرف إلى الإمام علي كرم الله وجهه فقال له: لقد فسد لسان العرب، وقص عليه القصة. فأمره أن يضع علم النحو، وأول باب وضعه هو باب التعجب، ثم أتبعه بكثير من الأبواب سدا لما كان يسمع من الخطأ.

وقيل إنه قال لأبي الأسود حين جاءه يخبره بفساد لسان العرب: الكلمة اسم وفعل وحرف، وعلى هذا فانح يا أبا الأسود، فسمى هذا العلم نحواً لهذه الكلمة.

### تخير العلوم

يقول أبو حنيفة: لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها، فقبل لي: تعلم القرآن، فقلت: إذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره؟

قالوا: تجلس في المسجد ويقرأ عليك الصبيان والأحداث، ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك في الحفظ، فتذهب رياستك.

ثم خطر لي أن أتعلم الحديث.



فقلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني فماذا يكون؟

قالوا: إذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان، فلا تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عارا عليك في عقبك.

فقلت: لا حاجة لي في هذا، قال أبو حنيفة: فقلت: أتعلم النحو، فقلت: إذا حفظت النحو والعربية ما يكون من آخر أمري؟

قالوا: تقعد معلما، فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة، وهذا لا عاقبة له.

قال: فقلت: أنظر في الشعر. فإن نظرت في الشعر حتى لم يكن أحد أشعر مني ماذا يكون من أمري؟

قالوا: تمدح هذا فيهيب لك، أو يملكك على دابة، أو يخلع عليك خلعة، وإن حرمتك هجوته فصرت تقذف المحصنات، قلت: لا حاجة لي في هذا.

قلت: فإن نظرت في الكلام ماذا يكون آخره؟

قالوا: لا يسلم من نظر في الكلام من مشعات الكلام فيرمي بالزندقة، فإما أن تؤخذ فتقتل وإما أن تسلم فتكون مذموما ملوما.

قال أبو حنيفة: فقلت: فإن تعلمت الفقه، فماذا يكون من أمري؟

قالوا: تُسأل تفني وتطلب للقضاء وإن كنت شابا.

قال: فقلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا، فلزمت الفقه وتعلمته.

### طلب العلم

قال أبو يوسف القاضي: توفي أبي وخلفني صغيرا في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار (يقصر الثوب) أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس وأسمع، فكانت أم تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعني بي لما يرى من حضوري وحرصني على التعلم، فلما كثر على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي، وأمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه.

فقال لها أبو حنيفة: مري يا رعناء، هذا هو ذا يتعلم أكل الفلودج بدهن الفستق، فانصرفت عنه، وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك.

قال أبو يوسف: ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أجالس الرشيد وأكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلي هارون الرشيد فالودجة، فقال لي: يا يعقوب كل منها، فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها.

فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟

فقال: هذه فالودجة بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكك؟

فقلت: خيرا يا أمير المؤمنين.

قال: لتخبرني، وألح علي، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فتعجب من ذلك وقال: لعمرى إن العلم لينفع دنيا ودينا، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا ينظره بعين رأسه.

### كيف تحفظ العلم؟

يقول ابن الجوزي: تقليل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم، وألا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله، ومن لم يجد نشاطا للحفظ فليتركه، فإن مكابرة النفس لا تصلح، وإصلاح المزاج من الأصول العظيمة، فإن للمأكولات أثرا في الحفظ.

قال الزهري: ما أكلت خلا منذ عاجت الحفظ.

وقيل لأبي حنيفة: بم يستعان على حفظ الفقه؟

قال: بجمع الهم.

وقال حماد بن سلمة: بقلة الغم.

وقال مكحول: من نظف ثوبه قل همه، ومن طاب ريحه زاد عقله، ومن جمع بينهما

زادت مروءته.

وقال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، وجاء في

الأثر: «من سلك طريقا بغير دليل ضل، ومن تمسك بغير أصل زل».

## علم بلا عمل

المسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذات الدنيا وخبرات الآخرين فقدم مفلسا على قوة الحججة عليه.

## أحب الصالحين

أحب الصالحين ولست منهم لعلني أنال بهم شفاعة وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعة<sup>(١)</sup> وقال شهر بن حوشب: إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه.

وسئل الحسن البصري: ما بالناس نعظ الناس فنبكيهم، وأنت تعظ الناس فتبكي؟ فقال: ليست النائحة كالثكلى.

وجاء في مآثور الحكم: زلة العالم كالسفينة، تغرق ويفرق معها خلق كثير<sup>(٢)</sup>.

## كيف ينال العلم

أخي لن تنال العلم إلا بسة سأنيك عن تفصيلها بيان ذكاء، وحرص، واجتهاد، وبلغة وصحبة أستاذ، وطول زمان<sup>(٣)</sup>

## شهوة العلم

هذا الشافعي يقال له: كيف شهوتك للعلم؟

فيقول: سامع بالحرف -أي بالكلمة- بما لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماعا تنعم به كما تنعمت الأذان.

ف قيل له: كيف حرصك عليه؟

فقال: حرص الجموع المتنوع في بلوغ لذاته للمال.

(١) ديوان الشافعي ٩٠.

(٢) أخلاق الدعاة ٢٠، ٢١.

(٣) ديوان الشافعي ١١٦.

فقيل له: فكيف طلبك له؟

فقال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس غيره<sup>(١)</sup>.

### الكتاب خير جليس

الكتاب هو الجليس الذي لا يطريك، والصديق الذي لا يغريك، والرفيق الذي لا يملك، والمستميح الذي لا يسترثيك، والجار الذي لا يستبئك، والصاحب الذي لا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتمل لك بالكذب، والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، ويسط لسانك، وجود بنانك، وفخم ألفاظك<sup>(٢)</sup>.

### المدائمة على طلب العلم

من تفرس أبي حنيفة في أبي يوسف -تلميذه- عندما مرض أبو يوسف مرضا خيف عليه منه، فعاده أبو حنيفة فلما خرج من عنده وضع يديه على عتبة بابه وقال: إن يت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها. وأوماً إلى الأرض.

وقد أغرت هذه التزكية أبا يوسف في أن يتخذ لنفسه مجلسا مستقلا بعد مرضه.. ولكن أبا حنيفة كان حريصا على ملازمته فرده إلى الحلقة بسياسة حكيمة.

عقد أبو يوسف لنفسه حلقة خاصة ونظر أبو حنيفة فإذا بتلميذه الذي أملاه للناس من بعده يتعجل ذلك اليوم وما هو ذا يجلس قريبا منه في مسجد الكوفة متصدرا حلقة من الحلقات.

ولم يحسده أبو حنيفة على ذلك، ولم تدخل نفسه الغيرة من تلميذه، ولكن داخلها شيء آخر، هو خشيته على هذا التلميذ من الفشل، لأنه مازال أمامه وقت للتخرج.. إن التطلع للرياسة قبل الأوان ابتسار للثمرة قبل نضجها، ولقد خاض أبو حنيفة نفسه هذه التجربة قديما حين حدثته نفسه ذات يوم أن يستقل عن شيخه حماد، ومنعه الحياء من ذلك، ثم أنابه شيخه عنه في أثناء سفر مفاجئ له، فلما عاد شيخه عرض عليه المسائل التي سئل فيها وكيف أجاب عنها، فإذا به يوافق في كثير منها ويخالفه في بعضها، فأدرك

(١) إيقاظ الغافلين ١١٦.

(٢) لا تحزن ١٢٥، بتصرف.

أنه أحسن صنعا حين لم يستقل بنفسه.

تذكر أبو حنيفة ذلك فأشفق على تلميذه وعزم على أن يرده إلى الحلقة حبا له وإشفاقا عليه، لا حسدا له وغيره منه.

ولكن كيف يرده؟ لا بد من إعمال الحيلة، ولن يعدها أبو حنيفة وهو صاحب الذكاء المشهور.

استدعى أحد المتحلقين حوله، وألقى إليه سؤالا وطلب منه أن يوجهه إلى أبي يوسف، قال له: قل ليعقوب: ما رأيك في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره له بدرهم، فعاد إليه بعد أيام يطلب الثوب فجحده، ثم إن صاحب الثوب عاد بعد أيام يطلب الثوب مرة أخرى فرده عليه مقصورا، فهل له من أجر؟ إن قال لك: له أجر فقل له: أخطأت، وإن قال: ليس له أجر فقل له: أخطأت.. وتوجه الفتى إلى أبي يوسف وألقى عليه السؤال.

فقال أبو يوسف: له أجر.

فقال له: أخطأت.

فقال أبو يوسف: ليس له أجر.

فقال له الفتى: أخطأت، وعاد الفتى إلى حلقة أبي حنيفة بعد أن أنهى مهمته، وأنهى إلى أستاذه جواب أبي يوسف، ونظر أبو يوسف فعلم أنه حار في مسألة كان المفروض ألا يحار فيها.. وهي مسألة يسيرة هينة، فكيف لو ألقى عليه من عويص المسائل، فطوى مجلسه المستقل، وعاد إلى مجلس أبي حنيفة تائبا مستغفرا، قال له أبو حنيفة: أظن ما جاء بك إلا مسألة القصار؟

قال أبو يوسف: نعم.

فقال أبو حنيفة: من يجلس في مجلس الإفتاء فلا ينبغي له أن يعجز في الإجابة عن أقل مسألة.

فقال أبو يوسف: إنني تائب فعلمي.

قال أبو حنيفة: إن كان قصره بعدما غصبه فلا أجره له، لأنه قصره لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجر لأنه قصره لصاحبه، يا أبا يوسف، من ظن أنه يستطيع

أن يستغني عن العلم فليكن على نفسه، ومن ظن أنه علم فقد جهل<sup>(١)</sup>.

ويقال إن سقراط قال: لقد علمت شيئا واحدا وهو أنني لا أعلم شيئا.

ومن كلام أبي يوسف: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك.

### فطنة العالم

حلف هارون الرشيد على زوجته ألا تبيت ليلتها في بلد يدخل في ولايته، كان واقعا تحت تأثير ثورة غضب بعد خلاف نشب بينهما، وأسقط في يد هارون الرشيد بعد أن هدأت ثورة غضبه وأدرك أن الطلاق كائن لا محالة، ولكنه سرعان ما استنجد بقاضيه فأسرع في استدعائه، وجاء أبو يوسف متعجلا يلبي طلب الخليفة وهو لا يعرف فيم استدعاه، وقص هارون على أبي يوسف قصة اليمين، وما أسرع أن حل أبو يوسف المشكلة دون عناء، لقد قال فوراً: فلتذهب زوجة الخليفة إلى المسجد لتبيت فيه.

إن المسجد هو المكان الوحيد الذي لا يقع تحت ولاية الخليفة - مع امتداد رقعة الملك في ذلك الوقت - حتى لقد كان هارون ينظر إلى السحابة تمر فيقول لها: أمطري حيث شئت فسيأتي خراجك.

وذهبت زوجة الخليفة إلى المسجد وقضت فيه ليلتها ولم يحنث الخليفة في يمينه، ولم يقع الطلاق، ولم تتأثر كرامة الزوجة، لأنها قضت ليلتها في ضيافة الرحمن في بيته، وكانت فرصة طيبة لتقوم ليلتها تشكر الله على نعمه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

### نماذج فريدة معاصرة

كان الإمام البنا يحفظ ١٨ ألف بيت شعر ومثلها من النثر.

ويقول عمر التلمساني: أقبلت على القراءة الدينية، فقرأت تفسير الزمخشري، وابن كثير، والقرطبي، وسيرة ابن هشام، وغيرها من السير، وقرأت أسد الغابة، والطبقات الكبرى، ونهج البلاغة والأمالى والعقد الفريد لابن عبد ربه، والمخصص لابن سيده،

(١) الإمام أبو حنيفة ١٣٦.

وصحيح البخاري، وصحيح مسلم من جلده إلى جلده.

### الاستقامة في طلب العلم

قال القاضي عياض: لما أتيت الكوفة، وأكثر أملي السماع من سليمان بن مهران الأعمش فسألت عنه، ف قيل لي: غضب على أصحاب الحديث، فحلف ألا يسمعهم مدة، فكنت أختلف إلى باب داره، لعلي أصل إليه، فلم أقدر على ذلك، فجلست يوماً على بابه، وأنا متفكر في غربتي وما حرمته من السماع منه، إذ فتحت جارية بابه يوماً وخرجت منه، فقالت لي: ما بالك على بابنا؟

فقلت: أنا رجل غريب، وأعلمتها بخبري.

قالت: وأين بلدكم؟

قلت: إفريقية، فانشرحت إلي، وقالت: تعرف القيروان؟

قلت: أنا من أهلها.

قالت: تعرف دار ابن فروخ؟

قلت: أنا هو؟! فتأملتني، ثم قالت: عبد الله؟

قلت: نعم، وإذا هي جارية كانت لنا، بعناها صغيرة، فسارعت إلى الأعمش، وقالت له: إن مولاي الذي كنت أخبرك بخبره (بالباب) فأمرها بإدخاله، فدخلت وأسكنني قبالة بيته، فسمعت منه وحدثني، وقد حرم سائر الناس إلى أن قضيت أربي منه.

### زد من الضرب

ها هو شيخ البخاري وأبي داود (هشام بن عمار) قال الحافظ جزرة: سمعت هشام ابن عمار يقول: دخلت على مالك بن أنس، فقلت له: حدثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا، بل حدثني، فقال: اقرأ، فلما رادته، قال: يا غلام، تعال اذهب بهذا فاضربه خمس عشرة، قال: فذهب بي، فضربني خمس عشرة درة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت: قد ظلمتني، ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في حل.

فقال مالك: فما كفارته؟

قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثا.

قال: فحدثني بخمسة عشر حديثا، فقلت له: زد من الضرب، وزد من الحديث، فضحك مالك، وقال: اذهب.

**هذا والله الملك**

قال الإمام الذهبي عن عبد الله بن المبارك: طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، فأقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخراساني، تحيل ودخل إليه السجن، فسمع منه نحو من أربعين حديثا، ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومائة، وأخذ عن بقايا التابعين، وأكثر من الترحال والتطواف وإلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه إلى الحج.

**صبرهم على الجوع من أجل العلم**

قال الوخشي أبو علي الحسن: كنت بعسقلان أسمع من ابن مصحح وغيره، فضافت على النفقة، وبقيت أياما بلا أكل، فأخذت لأكتب فعجزت، فذهبت إلى دكان خباز، وقعدت بقربه لأشم رائحة الخبز وأتقوى بها، ثم فتح الله تعالى عليّ.

**لا يستطيع العلم براحة الجسد**

قال الحافظ بن عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب الجرح والتعديل: كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرققة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكا أعجينا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقت مجلس، فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد يتغير فأكلناه نيئا، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه.. ثم قال: لا يستطيع العلم براحة الجسد.

**العمل بالعلم**

يقول سفيان بن عيينة: إن أنا عملت بما أعلم فأنا أعلم الناس، وإن لم أعمل بما أعلم فليس في الدنيا أحد أجهل مني.



ويقول الفضيل بن عياض: لا يزال العالم جاهلا بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالما.

ويقول الشافعي: ليس العلم ما حُفظ.. العلم ما نفع.

ويقول محمد بن الحسن الوراق:

إذا أنت لم ينفعك علمك لم تجد لعلمك مخلوقا من الناس يقبله

وإن زانك العلم الذي قد حملته وجدت له من يجتنيه ويحمله

ويقول ابن القيم: علماء سوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق.

ويقول علي بن أبي طالب: هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

ويقول سيدنا عيسى: من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم.

### حفظ العلوم

يقول الأعشى: احفظوا ما جمعتم، فإن الذي يجمع ولا يحفظ كالرجل كان جالسا

على خوان «مائدة طعام» يأخذ لقمة لقمة، فينبذها وراء ظهره، فمتى تراه يشبع؟

ويقول الشافعي:

علمي معي حيثما يممت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق<sup>(١)</sup>

وكان أبو حامد الغزالي عائدا من رحلته العلمية في جرجان، وكان نتاج رحلته مجموعة كرايس سماها «التعليقة» حوت مجموع الفوائد التي سجلها الإمام عن أستاذه، وفي الطريق حين عودته إلى بلدة طوس خرج عليه قطاع الطريق هو ومن معه، فأخذوا جميع ما في القافلة، بما في ذلك تعليقة الشيخ.

ويقول أبو حامد الغزالي: فتبعتهم فالتفت إلى كبيرهم، وقال: ويحك ارجع، وإلا هلكت، فقلت: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقي فقط، فما هي بشيء تنتفعون به، فقال لي: وما هي تعليقتك؟ قلت: كتب في مخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها، فضحك وقال: كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم إلى المخلاة.

قال أبو حامد: فقلت: هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بجيث لو قطع علي الطريق لم أتجرد من علمي.

### نتيجة الفهم الصحيح والثقافة الواعية

يحكي الإمام ابن القيم عن فقه الإمام ابن تيمية العميق للإسلام في ترتيب الأولويات فيقول: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم<sup>(١)</sup>.

ولما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم الرسول على تغيير البيت ورده إلى قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر.

فقال الرسول للسيدة عائشة: «يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير: بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها باين: باب يدخل الناس، وباب يخرجون» [البخاري].

وقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: «باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه».

### السعادة

كان عبد البديع صقر كثيرا ما يجتمع مع أضرابه وإخوانه في بيت الإمام حسن البنا - عليه رحمة الله - لتدارس بعض الكتب في التفسير والسلوك، ككتاب إحياء علوم الدين

(١) من فقه الأولويات في الإسلام ١٥٣.

مثلا، وكانوا في حدود الأربعين من الأشخاص، فيدركهم الجوع، فيطعمهم جميعا طعاما بسيطا «على ما قسم الله» وأحيانا ينسى الإمام أن يجهز لهم شيئا فيقول: «أذهبوا إلى المطبخ فكلوا ما وجدتم أو اصبروا» فكانوا في نشوة الفرح باللقاء والمشغلة بالعلم النافع لا يقيمون وزنا لهذه الاعتبارات، ويتقاسمون الرغيف اليابس وهم في غاية السعادة<sup>(١)</sup>.

### من نماذج العلماء

يقول البخاري عن نفسه: لقيت أكثر من ألف رجل، لأهل الحجاز والعراق والشام ومصر، ولقيتهم مرات، أهل الشام ومصر مرتين والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، ومكثت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان.

وكتب البخاري الحديث وسمعه عن ألف وثمانين من الشيوخ وحفاظ الحديث<sup>(٢)</sup>.

وعن عيسى الخياط عن الشعبي قال: لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لم يضع.

وقال الشعبي: العلم أكثر من عدد القطر فخذ من كل شيء أحسنه.

وكان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته ف قيل له: ألا تستوحش؟

فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي.

وقال شقيق بن إبراهيم: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا؟

قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين.

قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟

قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون

الناس.

وقيل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، إلى متى تكتب هذا الحديث؟

فقال: لعل الكلمة التي أتفنع بها ما كتبت.

(٢) أعلام المسلمين ١٣٣.

(١) حكايات عن الإخوان (٢/٥٧، ٥٨).

وقال مرداد بن جميل: سألت عمرو بن إسماعيل -رجل من أصحاب الحديث- المعافي بن عمران فقال له: يا أبا عمران، أي شيء أحب إليك؟ أسهر وأصلي، أو أكتب الحديث؟

فقال: كتابة حديث واحد أحب إلي من صلاة ليلة.

### الفتوى

عن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر في مسألة، فطأ رأسه ولم يجبه، حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسأله، فقال له: يرحمك الله أما سمعت مسألي؟

قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله تعالى ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا رحمك الله حتى نتفهم مسألتك، فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

### اطلبوا العلم

عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبهم فلا تبغضوهم.

وعن أنس، عن أبي الدرداء قال: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فهلك، قلت للحسن: ما الرابع؟ قال: المبتدع.

وقال هارون بن سفيان: سمعت عبيد الله بن عمر القواريري يقول: أملئ علي عبد الرحمن بن المهدي عشرين ألف حديث حفظاً.

ويقول ابن الجوزي: لقد كنت في حلاوة طليبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا أخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها الماء، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أنني عرفت بكثرة سماعي لحديث رسول الله وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه و تابعيهم، فصرت في معرفة طريقهم كابن أجود.

إذا كان يؤذيك حر الصيف ويبس الخريف وبرد الشتاء

ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى؟

لو عشت مثلاً ٧٠ سنة وضاعت منك كل يوم ٥ دقائق ضاع منك ٣ أشهر، وإذا ضيعت عشر دقائق ضاع من حياتك ٦ أشهر، وإذا ضيعت ٢٠ دقيقة ضاعت منك سنة كاملة.

هكذا يطلب العلم

يحكى أن أحد أبناء الخليفة المهدي دخل على شريك، فجلس يستمع إلى دروس العلم التي يلقاها شريك، وأراد أن يسأل سؤالاً، فسأله وهو مستند على الحائط وكأنه لا يحترم مجلس العلم، فلم يلتفت إليه شريك، فأعاد الأمير السؤال مرة أخرى، لكنه لم يلتفت إليه وأعرض عنه، فقال له الحاضرون: كأنك تستخف بأولاد الخليفة، ولا تقدرهم حق قدرهم؟

فقال شريك: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه، فما كان من ابن الخليفة إلا أن جلس على ركبتيه ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم.

وكان الطبري عالي الهمة، عظيم الاجتهاد، ومما يحكى عنه أن رجلاً جاءه يسأله في العروض، وهو علم يعرف به الشعر من (الثر)، ولم يكن الطبري له إمام كبير بهذا العلم فقال له: على قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فتعال إلي، ثم طلب أبو جعفر كتاب العروض فتدارسه في ليلته، وقال: أمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً.

وظل الطبري أربعين عاماً يكتب كل يوم أربعين ورقة، قاصداً بذلك وجه الله، بما ينفع به الإسلام والمسلمين.

ولما ترك الألوسي منصب الإفتاء بالعراق، تفرغ لتفسير القرآن الكريم، وتعلقت نفسه رغبة لإتمام هذا العمل، فكان في أحيان كثيرة يقوم من نومه، ويترك فراشه حين يخطر بذهنه معنى جديد لم يذكره المفسرون السابقون عليه، ولا يهدأ له بال حتى يسجل خواطر في كراريسه، وعندئذ يعود إليه الهدوء، ويزول عنه القلق والتوتر، ويذهب إلى فراشه حيث يستسلم للنوم.

وكان عبد الله بن المبارك سريع الحفظ، لا ينسى ما حفظه أبداً، يحكى أحد أقربائه

- واسمه صخر بن المبارك - عن ذلك فيقول: «كنا غلمانا في الكتاب، فمررت أنا وابن المبارك برجل يخطب، فطالت خطبته، فلما انتهى قال لي ابن المبارك: قد حفظتها فقلت له: فأعدها علي إن كنت حفظتها كما تدعي، فأعدها عليه ابن المبارك وقد حفظها ولم يخطئ في لفظ منها.

ومن وصايا لقمان الحكيم: يا بني اختر المجالس على عينك، وإذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالما نفعك علمك، وإن تكن جاهلا يعلموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فيصيبك بها معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالما لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلا زادك الله غيا - أو عيا - ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم. (الدارمي).

وكان الرشيد معجبا بذكاء ابنه وانصرافه إلى العلم، فحين دخل على المأمون، وهو ينظر في كتاب، قال له: ما هذا؟

فأجاب المأمون: كتاب يشحذ فكرة، ويحسن العشرة.

فقال الرشيد: الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه.

ويحكى أن الرشيد أراد الحج فدخل الكوفة وطلب المحدثين علماء الحديث فلم يتخلف إلا عبد الله بن إدريس، وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمين والمأمون، فحدثهما ابن إدريس بمائة حديث، فقال المأمون: يا عم أتأذن لي أن أعيدها من حفظي؟ فأداها فعجب ابن إدريس من حفظه.

### الذكاء والعلم

جاءت امرأة إلى المأمون، وقالت له: مات أخي، وترك ستمائة دينار، فأعطوني دينارا واحدا، وقالوا: هذا ميراثك من أخيك.

ففكر المأمون وقال: أخوك ترك أربع بنات؟

قالت: نعم.

قال: لمن أربعمائة دينار (ثلثا الميراث).

قالت: نعم.

قال: ترك أمًا، فلها مائة دينار (سدس الميراث) وزوجة لها خمسة وسبعون ديناراً (ثمن الميراث) بالله ألك اثنا عشر أخاً؟

قالت: نعم.

قال: لكل واحد ديناران، ولك دينار.

ويقول أحد التلاميذ: ترددت على مجلس الحسن عشر سنين، فليس من يوم إلا وأسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك.

وكان الحسن البصري يبكي كثيراً ولما سئل عن ذلك قال: فضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على أعمالنا، فقال: لا أقبل منكم شيئاً.

وقال الحسن البصري ناصحاً تلميذاً له: إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثه وإن طال حتى يمسك.

وقال سحنون: لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع، ولا لمن يهتم بغسل ثوبه.

وقال الربيع: لم أر الشافعي أكلاً بالنهار، ولا نائماً بليل، لاهتمامه بالتصنيف.

يقول الشافعي:

لا يدرك الحكم في عمره	من يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلم إلا فتى	خال من الأفكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي	سارت به الركبان بالفضل
بلي بفقر وعيال لما	فرق بين التبن والبقل <sup>(١)</sup>

ويقول الشافعي: لو كلفت شراء بصلة لما فهمت مسألة.

وعن جعفر بن محمد قال: رواية الحديث وبثه في الناس أفضل من عبادة ألف عابد.  
وقال عبد الله بن عباس: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر.  
وقال سلمان: إنما مثل العالم مثل رجل حمل سراجا في طريق مظلم يستضيء به من  
مر به، وكل يدعو له بالخير.  
ويروى أن فقيها أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرة فقالت له عجوز في بيت: قد  
-والله- حفظته أنا.

فقال: أعيديه، فأعادته، فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز أعيدي ذلك الدرس.  
فقالت: ما أحفظه.

قال: أنا أكرر عند الحفظ لئلا يصيبني ما أصابك.  
أ- حسن النية:

قال ابن عباس: إنما يحفظ الرجل على قدر نيته.  
ب- إحياء المحفوظ بالعمل به:

قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به.  
ج- التخلي عن المعاصي:

قال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي      فأرشدني إلى ترك المعاصي  
وأخبرني بأن العلم نور      ونور الله لا يهدي لعاصي

وقال مالك بن أنس: ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب.

وعن ابن مهدي قال: سألت رجل مالكا عن مسألة فقال: لا أحسنها، فقال الرجل:  
إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها، فقال له مالك: فإذا رجعت إلى مكانك  
وموضعك فأخبرهم أنني قلت لك: لا أحسنها.

وقال أبو هريرة: إنكم تقولون: ما بال المهاجرين لا يتحدثون عن رسول الله بهذه



الأحاديث؟ وما بال الأنصار لا يحدثون بهذه الأحاديث؟ وإن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق، وإن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها وإني كنت امرأ معتكفا وكنت أكثر مجالسة رسول الله، أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي حدثنا يوما فقال: «من ييسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فإنه ليس ينسى شيئا سمعه مني أبدا» فبسطت ثوبي. ثم حدثنا فقبضته إلي، فوالله ما نسيت شيئا سمعته منه، وإيم الله لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]. [متفق عليه].

ويقول الشافعي:

تعلم فليس المرء يولد عالما      وليس أخو علم كمن هو جاهل  
وإن كبير القوم لا علم عنده      صغير إذا التفت عليه الجحافل  
وإن صغير القوم إن كان عالما      كبير إذا ردت إليه المحافل<sup>(١)</sup>

وقال سعيد بن المسيب: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد بن حنبل: رحلت في طلب العلم والسنة إلى الثغور، والشامات، والسواحل، والمغرب، والجزائر، ومكة، والمدينة، والحجاز، واليمن، والعراقين جميعا، وفارس، وخراسان، والجبال، والأطراف ثم عدت إلى بغداد<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن عباس:

ما أكثر العلم وما أوسعاه      من ذا الذي يقدر أن يجمعه  
إن كنت لا بد له طالبا      محاولا فالتمس أنفعه

ويقول الإمام النووي: كان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن كان يحفظ القرآن، وقد مثل الداعية الذي يحفظ القرآن بالرجل يتحلى بشوب حسن في الظاهر،

(١) ديوان الشافعي ١٠٥.

(٢)، (٣) أخلاق الدعاة ١٠٠.

ولكنه لا يكتسي تحته بإزار، فإذا صفحته الريح كشفت عورته، وبانت سوءته:

العلم جهل عند أهل الجهل      وما الجهل جهل عند أهل العلم  
ومنزلة الفقيه من السفه      كمنزلة السفه من الفقيه

### عباس العقاد

بينما عباس العقاد في الفرقة الرابعة الابتدائية، إذ بالشيخ محمد عبده -الذي كانت له مكانة كبيرة في ذلك الوقت- يزور المدرسة، فيطلعه مدرس الإنشاء على موضوع كتبه عباس، فأعجب الشيخ به إعجاباً شديداً وقال: ما أجدر هذا الصبي أن يكون كاتباً بعد.. فكانت هذه الجملة التي قالها الشيخ محمد عبده حافزاً قويا لعباس العقاد في ذلك الوقت المبكر، جعلته يسلك طريق الكتابة دون سواها<sup>(١)</sup>

### نماذج من علماء الأمة

نشأ الإمام النووي في أسرة تشغل بالعلم، فجدّه مالك بن أبي عامر من كبار التابعين، فشجعه ذلك على حفظ القرآن الكريم، فأتم حفظه وأتقن تلاوته، لكنه لم يكتف بذلك بل إنه أراد حفظ أحاديث رسول الله، فذهب إلى أمه وقال لها: يا أمّاه إنني أحب رسول الله وأريد أن أحفظ أحاديثه، فكيف لي بذلك؟

ابتسمت أمه ابتسامة صافية، وضمته إليها، ثم ألبسته ثياباً جميلة وعممته وقالت له: اذهب إلى «ربيعة الرأي» -وكان فقيهاً كبيراً- وتعلم من أدبه قبل علمه، فجلس الطفل الصغير، مالك بن أنس يستمع إلى شيخه وينهل من علمه، وبعد انتهاء الدرس يسرع بالجلوس تحت ظلال الأشجار ليحفظ ما سمعه من معلمه، حتى لا ينساه، وقد رآته أخته ذات مرة وهو على هذه الحال، فذهبت إلى أبيها وقصت عليه ما شاهدته، فقال لها: يا بنيّ إنه يحفظ أحاديث رسول الله، وكان مالك بن أنس -كغيره من الأطفال الصغار- يحب اللعب، فشغله ذلك عن الدرس والعلم قليلاً إلى أن حدث له موقف كان له أثر كبير في حياته، فقد سأله أبوه يوماً في مسألة هو وأخوه النضر، فأصاب النضر، وأخطأ مالك في الرد على السؤال، فغضب منه والده، فكانت هذه الحادثة سبباً في عزمه على

(١) أعلام المسلمين ٢٣٨.

الجد والاجتهاد في العلم، فذهب من فوره إلى ابن هرمز -وهو عالم كبير- فأخذ يتلقى العلم عليه سبع سنوات، وكان شديد الحرص على الاستفادة منه خلالها<sup>(١)</sup>.

اصبر على مر الجفا من معلم  
فإن رسوب العلم في نفراته  
ومن لم يذق مر التعلم ساعة  
تجرع ذل الجهل طول حياته  
ومن فاته التعليم وقت شبابه  
فكبر عليه أربعاً لوفاته  
وذاق الفتى -والله- بالعلم والتقوى  
إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته<sup>(٢)</sup>

- كان سيويه حريصاً على طلب العلم، وذات مرة، جلس حماد بن سلمة يلقي درساً من دروسه: قال النبي ﷺ: «ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء» فظن سيويه أن شيخه قد أخطأ في عبارة «ليس أبا الدرداء» فقام من مكانه ليصححها له، وقال: ليس أبو الدرداء، لأنه اعتقد أن كلمة أبا اسم ليس التي ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، فابتسم الشيخ في وجه الفتى الصغير وقال: لحت وأخطأت يا سيويه، ليس هذا حيث ذهبت، إنما ليس ها هنا استثناء، فقال سيويه بأدب لأستاذه قوله السابقة: لا جرم سأطلب علماً لا تلحني فيه.

ومنذ ذلك الحين بدأ الفتى الصغير رحلة الاجتهاد والجد، لتحصيل علوم اللغة العربية وخاصة علم النحو<sup>(٣)</sup>.

أفاد سيويه الكثيرين بعلمه، حتى وصل علمه إلى عامة الناس الذين أخذوا عنه، وتعلموا منه الفصاحة.

يحكى أن رجلاً قال لسماك (بييع السمك) بالبصرة: بكم هذه السمكة؟

فقال: بدرهمان.. فضحك الرجل مستهزئاً من السمك لأنه رفع الجرور، فقال السمك: ويلك أنت أحمق: لقد سمعت سيويه يقول: ثمنها درهمان.

يقول أبو هريرة: لأن أفتقه ساعة أحب إلي من أن أحيي ليلة أصلها حتى أصبح،

(٢) ديوان الشافعي ٥٩.

(١) أعلام المسلمين ٨٧-٨٨.

(٣) أعلام المسلمين ٢٠٩، ٢١٠.

والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقه<sup>(١)</sup>.

وكان من دعاء بعض الصالحين: اللهم اجعلني من غرسك الذين تستعملهم بطاعتك.

وعن جابر قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا النبي أخبر بذلك، فقال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر (أو يعصب شك موسى) على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده». [أبو داود].

وعن عقبة بن مسلم قال: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرا فكان كثيرا ما يسأل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إلي فيقول: أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرا إلى جهنم<sup>(٢)</sup>

وسئل القاسم بن محمد بن أبي بكر عن شيء فقال: لا أحسنه.

فقال السائل: إني جئت إليك لا أعرف غيرك؟

فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه.

فقال شيخ من قريش جالس إلى جانب القاسم: يا ابن أخي الزمها، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم.

فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا علم لي<sup>(٣)</sup>.

وسئل الإمام الشعبي عن شيء فقال: لا أدري، ف قيل له: ألا تستحي من قولك: لا أدري وأنت فقيه أهل العراق؟

فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا<sup>(٤)</sup>.

واشتهر عن الإمام مالك، والذي قيل فيه حقه: لا يفتى ومالك بالمدينة، قال ابن وهب: لو كتبنا عن مالك لا أدري لمألنا الألواح.

(٢) المصدر نفسه ١٤٩.

(٤) أخلاق الدعاء ١٠٠.

(١) أخلاق الدعاء ١١١.

(٣) المصدر نفسه ١٠.

وعن الهيثم بن جميل قال: شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة، قال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري.

وعن مالك أيضا: أنه ربما كان سئل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها<sup>(١)</sup>.

ومن جميل ما يروي في هذا عن عبد الرحمن بن مهدي أنه سأل شيخه عبد الله بن الحسن العبري عن مسألة فغلط فيها، فقال له: أصلحك الله، القول فيها كذا وكذا، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: إذن أراجع وأنا صاغر، لأن أكون ذنبا في الحق أحب إلي من أن أكون رأسا في الباطل.

وقال عبد الرحمن بن أبي نبيس: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك.

وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر، حتى تعود إلى الأول<sup>(٢)</sup>.

وعن وهب بن منبه قال: ينبغي للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام، وكذلك ينبغي للعالم أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم<sup>(٣)</sup>.

وعن الشافعي قال: كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث والمسألة فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة وكانت لنا جرة عظيمة فإذا امتلأ العظم تركته في الحجر<sup>(٤)</sup>.

وكان أعلى شيء عند الإمام أحمد بن حنبل ما جمعه من حديث رسول الله، لذلك كان يكتب في أوراق يحفظها في مكان أمين، وقد حدث ذات يوم أن سرق اللص منزله، فأخذ ملبسه وكل ما في بيته، فلما جاء الإمام أحمد إلى البيت، لم يسأل عن شيء إلا عن الأوراق التي يكتب فيها أحاديث رسول الله، ولما وجدها اطمأن قلبه ولم يحزن على ما سرق منه.

ولم يكن الإمام أحمد بن حنبل مجرد حافظ لأحاديث الرسول بل كان يعمل بما في

(٢) أعلام المسلمين ٢١١.

(٤) أخلاق الدعاة ١٥٣.

(١) أخلاق الدعاة ١٥٠.

(٣) أخلاق الدعاة ١٥١.

هذه الأحاديث، فيقول عن نفسه: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به<sup>(١)</sup>.

منأى من الدنيا علوم أبثها وأنشرها في كل باد وحاضر

دعاء إلى القرآن والسنن التي تناسى ذكرها في المحاضر

وكتب ابن حزم أربعمئة مجلد، تشتمل على ثمانية آلاف ورقة تقريباً<sup>(٢)</sup>.

ويقول الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، أخذ الناس رءوساً جهالاً، فستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» [البخاري].

ويقول الحسن البصري: العامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بعلمكم، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم، حتى خرجوا بأسياهم على أمة محمد، ولو طلبوا العلم لم يدهم على ما فعلوا<sup>(٣)</sup>.

قال الرسول ﷺ: «يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتكم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتكم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامكم بشيء، يقرأون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتكم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». [مسلم].

وعن سفيان بن عيينة قال يوماً لأصحابه: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟

قالوا: قل يا أبا محمد.

قال: ليس أحد أحوج إلى طلب العلم من العالم، لأنه ليس الجهل بأحد أقبح به من العالم<sup>(٤)</sup>.

وحفظ الشافعي القرآن الكريم وسنه سبع سنين، ثم شرع في حفظ أحاديث رسول الله وأمه تشجعه وتشد من أزره، وتحنو عليه، ولكن كان الشافعي لا يقوى على دفع أجر المحفظ أو شراء الأوراق التي يسجل فيها محفوظاته، كان يطوف شوارع وطرق مكة يجمع قطع الجلود وسعف النخيل وعظام الجمل ليكتب عليها<sup>(٥)</sup>.

وكان الشافعي يقضي الساعات الطوال في دروس متصلة، ينتقل من علم إلى علم،

(٣) أعلام المسلمين ١٠٨.

(١) (٢) أعلام المسلمين ١٠١.

(٥) أعلام المسلمين ٩٤.

(٤) أخلاق الدعاة ٩٥.

يجلس في حلقة إذا صلى الفجر فيأتيه من يريدون تعلم القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء طلاب الحديث، فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا انتهوا جاء بعدهم من يريدون تعلم العربية والعروض والنحو والشعر، ويستمر الشافعي في دروسه من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر<sup>(١)</sup>.

### آداب طالب العلم:

١- عدم الحياء في العلم: قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار! لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين.

٢- المداومة على طلب العلم: قال الشاعر:

وكلماً أدبني السـدهر  
وكلما ازددت علماً  
أراني نقص عقلي  
زادني علماً يجهلي

٣- الصبر: يقول الشاعر:

ومن لم يذق مر التعلم ساعة  
ومن فاته التعليم وقت شبابه  
تجرع ذل الجهل طول حياته  
فكبر عليه أربعا لو فاته

٤- التدوين: يقول أحمد بن حنبل: مع المحبرة إلى المقبرة، وقيل: العلم صيد والكتابة قيد.

٥- العمل بالعلم: قال الرسول: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن جسمه فيم أبلاه» رواه الترمذي.

٦- احترام المعلم: يقول شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا  
كاد المعلم أن يكون رسولا  
أرأيت أعظم أو أجل من الذي  
يبني وينشئ أنفسا وعقولا؟!

### آفات العلم

قال رسول الله: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار» ابن ماجه.

وقال عمر: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: كيف يكون منافقا عليما؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

وقال الحسن: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء.

وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه.

وقال سفيان الثوري: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت أمر بالخير ولا آتية وأمهي عن الشر وآتية» متفق عليه.

وكتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم.

وراعي الشاة يرعى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

وقال حاتم الأصم: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو.

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا.

وقال عمر: إذا زل العالم زل بزله عالم من الخلق.



## التفكير

أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالتفكير في عظيم مخلوقاته، ونعمه عليهم، وأن ينظروا فيما حولهم من مخلوقات تتحدث كلها عن عظمة من خلقهما وصنعهما وأبدعهما فجاءت في أحسن صورة وأتمها وأكملها.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبا: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢١﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٢٢﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٣﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٤].

والآيات الدالة على وجوب التفكير والتدبر والتأمل كثيرة، فهيا بنا ننظر ونتدبر فيما خلق الله وأبدع لنقول معاً: سبحان الله.

يقول هرشل عالم الفلك الكبير في القرن الثامن عشر: «كلما اتسع نطاق العلوم كثرت الأدلة على وجود حكمة خالقة، قادرة، مطلقة، وما العلماء الطبيعيون والكيمائيون وعلماء الفلك إلا بنات لمعابد العلوم التي يسبح فيها للخالق العظيم».

ويقول سقراط فيلسوف اليونان الشهير: «هذا العالم يظهر لنا على النحو الذي لم يُترك فيه شيء للمصادفة».

قرر علماء النفس أن الإيمان هو أهم عوامل الشفاء لمرضى النفس وتقول الإحصاءات في أمريكا إنه في كل ٣٥ دقيقة تقع حادثة انتحار، وفي كل ١٢٠ ثانية يصاب شخص بالجنون، ويقول الأطباء بأن معظم حالات الانتحار وحالات الجنون يمكن أن يقطع دابرهما الإيمان. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويقول رائد الفضاء السوفيتي تيتوف: «لقد رأيت الأرض معلقة في الفضاء.. وتساءلت من يمسكها فلا تقع.. هل من إجابة غير ما جاءت في القرآن الكريم: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

ويقول لابلاس: «إن القدرة التي وضعت الأجرام السماوية في المجموعة الشمسية، وكثافتها، وأقطارها، ومداراتها، وحددت مدة دوران السيارات حول الشمس، والتتابع حول السيارات بنظام مستمر إلى ما شاء الله، لا يمكن أن تنسب إلى المصادفة».

سبنسر الذي لم يكن يعترف بالأديان قال: «إننا مضطرون إلى الاعتراف بأن للحادثات مظاهر قدرة مطلقة، متعالية عن الإدراك».

ويقول الفلكي الكبير جيمس جينز: «لا يمكن أن تكون المصادفة هي التي أوجدت نظام هذا الكوكب».

ويقول إبراهيم لنكونن: «إنني لأعجب لمن يتطلع إلى السماء ويشاهد عظمة الخالق، ثم لا يؤمن بالله». ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

### التفكر

أحد العلماء رد جسم الإنسان إلى العناصر الأساسية فيه، فخرج بالتتابع الآتية:  
إذا جئنا بإنسان وزنه مائة وأربعون رطلاً ونظرنا في تكوينه وجدنا بدنه يحتوي على المواد الآتية:

قدر من الدهن يكفي لصنع (٧) قطع من الصابون.

قدر من الكربون يكفي لصنع (٧) أقلام رصاص.

قدر من الفسفور يكفي يصنع رءوس (١٢٠) عود ثقاب.

قدر من ملح المغنسيوم يصلح جرعة واحدة لحد المسهلات.

قدر من الحديد يمكن عمل مسمار متوسط الحجم منه.

قدر من الجير يكفي لتبييض بيت للدجاج.

قدر من الكبريت يطهر جلد كلب واحد من البراغيث التي تسكن شعره.

قدر من الماء يملاً برميلاً سعته عشرة جالونات.

وهذه المواد تشتري من السوق بمبلغ من المال... وتلك هي قيمة الإنسان المادية<sup>(١)</sup>.

يقول سيد قطب: إن وقفة أمام اللحظة التي يبدأ فيها الجنين حياته على الأرض وهو ينفصل عن أمه، ويعتمد على نفسه، ويؤذن لقلبه ورثته بالحركة لبدء الحياة.

إن وقفة أمام هذه اللحظة وهذه الحركة لتدهش العقول وتحير الألباب، وتغمر النفس بفيض من الدهش وفيض من الإيمان، لا يقف له قلب ولا يتماسك له وجدان.

وإن وقفة أخرى أمام اللحظة التي يتحرك فيها لسان الوليد لينطق بهذه الحروف والمقاطع والكلمات ثم بالعبارات، بل أمام النطق ذاته نطق هذا اللسان. وتصويت تلك الحنجرة. إنها عجيبة. عجيبة تفقد وقعها لأنها تمر بنا كثيراً، ولكن الوقوف أمامها لحظة في تدبر يجدد وقعها، إنها خارقة، خارقة مذهلة تنبئ عن القدرة التي لا تكون إلا لله<sup>(٢)</sup>.

الطير سبحة والوحش مجده      والموج كبره والحوت ناجاه  
والنمل تحت الصخور الصم قدسه      والنحل يهتف حمداً في خلاياه  
والناس يعصونه جهراً فيسترهم      والعبد ينسى وربى ليس ينساه

التقى زنديق بإمامنا الشافعي يوماً، فقال له: يا شافعي، ما الدليل على وجود الله؟

فقال الإمام: ورقة التوت، فقال الزنديق: وكيف ذلك؟

قال الشافعي: تأكلها الدود فتخرجها حريراً طرياً، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً شهياً، وتأكلها الغزالة فتخرج مسكاً زكياً، وتأكلها الشاة فتخرجها لبناً صافياً... المادة واحدة، واللون واحد، لكن الصنعة مختلفة فمن الصانع؟ ﴿فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

### النحلة

تلك التي خاطبها ربها بما خاطب به الأنبياء فقال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي

(١) الإيمان والحياة: (٥٨)

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٨٠).

مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْئَلِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴿٦٩﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

هل تأملت النحل وأحواله وأعماله؟ ألم تتأمل أقراص الشمع السداسية، وفي دقتها وإتقان صنعتها؟.. إنها مأمورة بالأكل من كل الثمرات، بخلاف كثير من الحشرات التي تعيش على أنواع معينة من الأشجار أو الأعشاب.. وتتعجب معي حين تعلم أن النحلة لا تأكل، بل ولا تقف على شجرة التبغ «الدخان».

وللنحلة عيون كبيرة، توجد في حافتي الرأس عينان، وعينان أخريان في أعلى الرأس، تحتها عين ثالثة مما جعل لها سعة أفق في النظر، فهي ترى أقصى اليمين، وأقصى الشمال، وترى القريب والبعيد في وقت واحد، مع العلم بأن عيونها لا تتحرك، فمن الذي جعل عيونها كذلك؟ إنه من أحسن كل شيء صنعه والنحلة لها سمع دقيق جدًا يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تقلها أذن الإنسان.. فمن الذي زودها بهذا السمع العجيب؟

والنحلة تحمل ضعف وزنها، وبسرعة أربعمئة خفقة جناح في الثانية الواحدة.. فسبحان من خلق فسوى، وقدر فهدى. وهناك من النحل من تعمل مرشحات عندما تجد مصدرًا للغذاء، تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية أخواتها، وعندما ينتهي ما به من رحيق تفرز عليه رائحة كريهة حتى لا تضيع في البحث فيه مرة أخرى: ﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

فمن الذي علمها وأرشدها؟ إنه الله رب العالمين.

إن النحلة (الشغالات) خارج الخلية تستطيع الرجوع إلى خليتها بالتعرف عليها من بين عشرات الخلايا بلا تعب أو عناء، حتى ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال.

وهناك حراسا للخلية، فلا تدخل الخلية نحلة غريبة عنها إلا قتلوها.

وهناك نوع آخر أو نحل آخر يعمل بالنظافة، ولذلك فهي لا تلقي مخلفاتها إلا خارج الخلية فمن الذي علمها، ومن الذي أهمها؟

يقول ابن الجوزي: عرض لي طريق الحج من العرب، فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق عز وجل في

صدري، فصار يعرض لي عند ذكرى الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها، فصحت بالنفس: ويحك اعبري إلى البحر وانظري إليه وإلى عجائبه بعين الفكر، تشاهدي أهوالاً هي أعظم من هذه، ثم اخرجي إلى الكون والتفتي إليه، فإنك ترينه بالإضافة إلى السموات والأفلاك كذرة في فلاة. ثم جولي في الأفلاك، وطوفي حول العرش، وتلمحي ما في الجنان والنيران، ثم اخرجي عن الكل والتفتي إليه، فإنك تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد. ثم التفتي إليك فلتلمحي بدايتك ونهايتك، وتفكري فيما قبل البداية، وليس إلا العدم، وفيما بعد البلى وليس إلا التراب، فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمتهى؟ وكيف يغفل أرباب القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم؟<sup>(١)</sup>

### دعوة

هو ما إليه هداكا	لله في الآفاق آيات لعل أقلها
عجب عجاب لو ترى عينكا	ولعل ما في النفس من آياته
حاولت تفسيراً لها أعيكا	والكون مشحون بأسرار إذا
من يا طيب بطبه أرداكا	قل للطيب تحطفته يد الردى
عجزت فنون الطب من عافاكا	قل للمريض نجا وعوفي بعدما
من بالمنايا يا صحيح دهاكا	قل للصحيح يموت لا من علة
فهوى بها من ذا الذي أهواكا	قل للبصير وكان يحذر حفرة
بلا اصطدام من يقود خطاكا	بل سائل الأعمى خطا بين الزحام
راع ولا مرعى ما الذي يرهاكا	قل للجنين يعيش معزولاً بلا
لدى الولادة ما الذي أبكاكا	قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء
فاسأله من ذا بالسوم حشاكا	وإذا ترى الثعبان ينفث سمه
تحيا وهذا السم يلافاكا	واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو

(١) صيد الخاطر ٢٠٤-٢٠٥.

شهداً وقل للشهد من حلاك  
 دم وفرت ما الذي صفأكا  
 ميت فاسأله من أحياء  
 عن عيون الناس من أخفاكا  
 ورعاية مَنْ بالجفاف رماكا  
 يربو وحده فاسأله من أرباكا  
 أنواره فاسأله من أسراكا  
 أبعد كل شيء ما الذي أدناكا  
 بالمر من دون الثمار غذاكا  
 فاسأله من يا نخل شق نواكا  
 فاسأل لهيب النار من أوراكا  
 قمم السحاب فسله من أرساكا  
 فسله من بالماء شق صفاكا  
 جرى فسله من الذي أجراكا  
 طغى فسله من الذي أطغاكا  
 فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا  
 عجب عجاب لو ترى عيناكا  
 حمداً وليس الواحد إلاكا  
 تدري له ولكنه إدراكا  
 في كل شيء أستين غلاكا  
 ما خاب يوماً من دعا ورجاكا  
 بالله جل جلاله أغراكا  
 ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاكا

واسأل بطون النحل كيف تقاطرت  
 بل سائل اللين المصفي كان بين  
 وإذا رأيت الحي يخرج من منايا  
 قل للهواء تحسه الأيدي ويخفي  
 قل للنبات يجف بعد تعهد  
 وإذا رأيت النبات في الصحراء  
 وإذا رأيت البدر يسري ناشراً  
 واسأل شعاع الشمس يدنو وهي  
 قل للمرير من الثمار من الذي  
 وإذا رأيت النخل مشقوق النوى  
 وإذا رأيت النار شب لهيها  
 وإذا رأيت الجبل الأشم مناطحاً  
 وإذا ترى صخرًا تفجر بالمياه  
 وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال  
 وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج  
 وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا  
 ستجيب ما في الكون من آياته  
 ربي لك الحمد العظيم لذاتك  
 يا مدرك الأبصار والأبصار لا  
 إن لم تكن عيني تراك فإنني  
 يا منبت الأزهار عاطرة الشذى  
 يأبها الإنسان مهلا ما الذي  
 يأبها الماء المهين من الذي سواكا

ومن الذي غذاك من نعمائه      ومن الكروب جميعها نجاك  
ومن الذي شق العيون فأبصرت      ومن الذي بالعقل قد حلاك  
ومن الذي تعصي ويغفر دائماً      ومن الذي تنسى ولا ينساك<sup>(١)</sup>

### هذا الكون

تبعد أرضنا التي نعيش عليها عن الشمس، التي تبلغ درجة حرارتها على سطحها ١٢ ألف درجة، بمقدار يبلغ ٩٢ مليوناً ونصف مليون ميل، وتبعد عن القمر ٢٤٠ ألف ميل، وهذه الأبعاد هي التي تكفي لتهيئة البيئة الصالحة للحياة بالصورة التي نعرفها على الأرض. إذا لو قربت الأرض عن ذلك لاحتقرت الأحياء التي عليها في التو واللحظة، وانعدمت منها كل مظاهر الحياة، ولو بعدت الشمس أكثر من ذلك لأصاب الجمد، ثم الموت كل كائن حي على الأرض، ولو قرب القمر أو بعد عن ذلك، لغمر الماء القارات، ولأهلك الجزر الأحياء، وتفتت الجبال والتلال، وتلاشت الحياة.

وتدور الأرض حول محورها بسرعة ألف ميل في الساعة، أي بما يعادل مرة كل أربع وعشرين ساعة، ولو قل معدل دورانها عن ذلك لطال النهار بما يؤثر في النبات والأحياء صيفاً، وطال الليل بما قد تتجمد بسببه السوائل شتاء، ولو زادت لانعدمت الحياة.

وإذا زاد سمك القشرة الأرضية عما هي عليه قليلاً، لنقص الأكسجين، وقلت فرص الحياة، فإذا فرضنا أن سمك القشرة الأرضية زاد بمقدار عشرة أقدام، لانعدمت بانعدام الأكسجين مقومات الحياة، هذا الأكسجين الذي إذا زاد زيادة طفيفة، لسبب فناء العالم، بما يسببه من اختلال في كثافة الهواء.. فتهاوى الكواكب والنجوم.

إن من يسكنون بجوار البحار والمحيطات، أو يضطرون إلى الحياة بجوارها، يقومون بعملية معقدة لتبخير الماء ثم تكثيفه لاستبعاد الملح الذي به ليكون بذلك صالحاً للشرب، ولطالما تمنوا أن تكون هذه المياه الملحة حلوة كمياء الأنهار، فلو أن أمنيتهم تحققت، وصارت المياه كلها حلوة، لصارت عفنًا منتشرًا، ولانتهت الحياة من الأرض. فمياء

(١) دعوة للتأمل (١٤-١٨).

المحيطات والبحار مياه واقفة، والملح فيها مادة حافظة تمنع التعفن، فالشمس تبخر مياه البحار والمحيطات التي تعتبر مستودعاً لا ينفد من المياه المحفوظة، فتصعد إلى الطبقات الباردة في السماء، فتتكثف لتسقط مياهها حلوة تجري في الأنهار، تسقي الزرع.

دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وميل محورها البالغ ٢٣ درجة فتكون فصول السنة، ولو كان المحور معتدلاً لما دارت الأرض حول نفسها، ولتجمعت قطرات المياه المتبخرة من المحيطات والبحار ونزلت في مكانين محددتين في الشمال والجنوب، ولتكونت قارات من الجمد، وظل الصيف دائماً والشتاء دائماً.

﴿يَقْلُبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤]. اليوم بأكمله موجود على الأرض فما كان صباحاً عند قوم فهو نفسه ظهر وعصر ومغرب وعشاء ونصف ليل عند قوم آخرين، حتى تصل إلى القطبين فترى فيها ستة أشهر متواصلة مظلمة، وستة أشهر متواصلة مضيئة.

### عظمة الكون

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

يقول العالم بليزن في كتابه العلم ينظر إلى السماء: إن الكون أرحب وأعظم مما كنا نتخيله، وإن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة.

وقد انتهى علماء الفلك إلى أن مجموعتنا النجمية تشمل مائة بليون من النجوم تقريباً، ويظن كثير من الناس أن ما بين النجوم فضاء تام، والحقيقة أنه ممتلئ بالغازات والمواد المختلفة.

ويقول بليزن: «إن الكون كله بنجومه المختلفة الأحجام التي لا حصر لها، والتي تندفع في جميع الاتجاهات كأنها شظايا قنبلة متفجرة، صورة لا يكاد المرء يتخيلها حتى يدركه البهر وتنقطع أنفاسه، ولكن يبدو أن الأجدر بأن يبهر ويقطع الأنفاس هو رؤية هذا الكائن البشري الضئيل الذي يعيش على شظية من شظايا نجم صغير، في زاوية حقيرة من زوايا مجرة لا تختلف شيئاً عن الملايين من أمثالها، هذا الكائن يتحدى ثم يمرؤ أن يعرف هذا الكون.



ويقول الفلكيون: «إن من هذه النجوم والكواكب التي تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وما لا يرى إلا بالمجاهر والأجهزة، وما يمكن أن تحس به الأجهزة دون أن تراه، هذه كلها تسبح في الفلك الغامض، ولا يوجد أي احتمال أن يقترب مجال مغناطيسي لنجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم كوكب بآخر إلا كما يتمثل تصادم مركب في البحر الأبيض المتوسط بآخر في المحيط الهادي يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة.

ويقرر العلم أن سرعة الضوء ١٨٦ ألف ميل في الثانية، ومن النجوم ما ترسل ضوءها فيصل إلينا في دقائق، ومنها ما يصل في شهور، وهناك نجوم أرسلت ضوءها وأمكن معرفة ذلك بأجهزة خاصة من ملايين السنين، ولم يصل إلينا ضوءها بعد. فكم يبلغ اتساع الكون؟

### بعض ما في الكون

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

يقول العلامة سيكنا: «لا يستطيع المرء أن يرفع بصره نحو السموات العلاء إلا ويفضي إجلالاً ووقاراً، إذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة، ويراقب سيرها في أفلاكها وتنقلها في أبراجها، وكل نجم وكوكب هو دنيا قائمة بذاتها».

### الأرض

الأرض كوكب من الكواكب التي تدور حول الشمس، وهي الكوكب الخامس من حيث الحجم، والثالث من حيث القرب.

والأرض تكاد تكون كرة، إلا أنها منبعجة قليلاً عند خط الاستواء، ومفلطحة عند القطبين، ومساحة سطحها ٢٠٠ مليون من الأميال المربعة ويشغل اليابس منها نحو من ٥٠ مليون ميل مربع، والماء حوالي ١٥٠ مليون ميل مربع ووزنها يبلغ ٧ آلاف مليون مليون مليون أي رقم ٧ وأمامه ٢١ صفراً من الأطنان، وهي بهذا الحجم معلقة في السماء.

### الشمس

كرة هائلة من الغازات الملتهبة، قطرها يزيد على مليون وثلث مليون كم، ومحيطها مثل محيط الأرض ٣٢٥ مرة، ويبلغ ثقلها ٣٣٢ ألف ضعف ثقل الأرض، وتبلغ درجة

حرارتها الداخلية ٢٠ مليون درجة مئوية، بينما حرارة سطحها ٦٠٠٠ درجة. وهذا السطح تندلع منه ألسنة اللهب إلى ارتفاع نصف مليون كم، وهي تنشر في الفضاء باستمرار طاقة قدرها ١٦٧٤٠٠ حصان من كل متر مربع، ولا يصل للأرض منها سوى جزء من ٢ مليون جزء، وهي لا تعتبر إلا نجمة، ولكنها ليست في عداد النجوم الكبرى وسطحها به عواصف وزواج كهربائية ومغناطيسية شديدة، والمشكلة التي حيرت العلماء هي أن الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الأرض لم تنزل تشع نفس المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين، فإن كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة احتراقها، فكيف لم تفن مادتها على توالي العصور، ولكفاها ستة آلاف سنة لتحترق وتنفذ حرارتها.

### الجمال

الأهداب الطويلة التي حول عينيه، والتي هي أشبه بشبكة تحمي عينيه من ذرات الرمال إذا هبت عاصفة رملية أثناء سيره في الصحراء. وفي الوقت نفسه يستطيع الإبصار من خلال هذه الشبكة، وبذلك لا يضطر إلى إقفال عينيه كما يفعل لوقاية أعيننا من التراب، أما عن أنفه فهو يتحكم في فتحها أثناء العواصف ليمنع دخول الرمل فيه، وشفة الجمال العليا مشققة ليساعده على أكل نباتات الصحراء التي غالباً تكون أشواكاً، وذلك علاوة على أرجله ذات الخف الذي يناسب الرمل فلا تغوص فيه لو كانت ذات ظلف أو حافر. ولقد أدهش الجمال العلماء بتحملة إذا غاب عنه الماء وأدهشهم أكثر استعداد الجمال لأن يشرب الماء المالح إذا عطش دون أن يصبه ضرر. وما زالوا في حيرة من أمر أجهزته التي تتكيف ضد الجوع، فلا تفرز كليته نسبة ملحوظة من الماء بل تنخفض درجة حرارة جلده في الحر عند العطش لتقليل تبخر الماء منه.

### الجدور عند النباتات

إذا كان للنبات عقل فهو في جذوره، إذ أن شعيراته الدقيقة الرهيفة تنتشر في كافة أرجاء الأرض متفادية العوائق والصخور، فإذا صادفت عقبة ولو ذرة من رمل دفعتها، وإذا لم تستطع أفرزت عليها حوامض لتذويبها، فإذا عجزت أنبت شعيرات لتلتف حولها وتثبتها في الأرض فتأمن شرها ثم تمتد بعيداً.

وللجذر فائدة مهمة غير ذلك ألا وهي تثبيت النبات إذ يقع عليه أمر قيام النبات

والاحتفاظ به.. فلا يسقط أو يقع.. وعندما تنظر إلى هذه الأشجار الضخمة الكبيرة الواقفة الشاخحة علينا أن نتذكر الجذر الذي يمسكها.

### البحار

دلت الأبحاث على أن أقصى أعماق البحار تعادل أقصى علو الجبال، وقد وصل العلماء إلى أعماق بلغت تسعة وثلاثين ألف قدم. والموج يرتفع عادة إلى ٢٥ قدمًا، وقد يرتفع في أيام العاصفة إلى ١٣٠ قدمًا، وإذا عرفنا أن للقدم الواحدة في كل موجة قوة مدمرة زنتها ستة آلاف رطل لأمكننا أن نتصور مدى الدمار الذي تنتجه هذه الأمواج.

ففي عام ١٨٧٢م اقتلعت موجة عاتية في اسكتلندا مرسى حديدياً وزنه مليونان و٧٠٠ ألف رطل، وأخرى حملت صخرة وزنها ١٧٥ رطلا إلى ارتفاع مائة قدم، وفي عام ١٧٣٧م وفي ميناء بانجوك هاج البحر وقتل ٣٠٠ ألف إنسان ودمر ٢٠ ألف مركب.

ثم على حين فجأة يصفو الجو، وتعتدل الرياح، ويسكن البحر، وتظهر السماء، وتنكشف الأرض، فلا يملك الإنسان إلا أن يسبح بحمد الله قائلاً: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

### تقليب البيض

خطر لعالم أمريكي أن يستفرخ البيض دون حضانة الدجاج، بأن يضع البيض في نفس الحرارة التي ينالها البيض من الدجاج الحاضنة لها، فلما جمع البيض ووضعه في جهاز التفريخ نصحه فلاح أن يقلب البيض إذ أنه رأى الدجاجة تفعل ذلك.. فسخر منه العالم، وأفهمه أن الدجاجة إنما تقلب البيض لتعطي الجزء الأسفل منه حرارة جسمها الذي حرمه.. أما هو فقد أحاط البيض بجهاز يشع بحرارة ثابتة لكل أجزاء البيض.. واستمر العالم في عمله حتى جاء دور الفقس وفات ميعاده ولم تفقس بيضة واحدة!! وأعاد التجربة وقد استمع إلى نصيحة الفلاح، أو بالأحرى إلى تقليد الدجاجة، فصار يقلب البيض حتى إذا أتى ميعاد الفقس خرجت الفرايج؟

وآخر تعليل علمي لتقليب البيض، أن الفرخ حينما يخلق في البيض، ترسب المواد الغذائية في الجزء الأسفل من جسمه، وإذا بقى بدون تحريك تتمزق أوعيته.. ولذلك فإن

الدجاجة لا تقلب البيض في اليوم الأول والأخير.

### علمني الخبير العليم

تكييف حرارة وهواء خلية النحل

لما كان يلزم ليرقات نحل العسل حفظ الهواء على درجة ثابتة من الحرارة والتهوية التامة، لتظفر بأسباب الحياة والنمو في الخلية، فإن هناك طائفة من النحل لا عمل لها في الخلية إلا إجهاد عضلاتها لتولد حرارة في أبدانها لتشع في أرجاء الخلية، بينما هناك طائفة أخرى تجثم على الأرض وتحرك أجنحتها بسرعة معينة محكمة لتولد تياراً من الهواء يكفي لتهوية الخلية، فتكون بذلك مكيفة الجو هواء وحرارة!!

### لغة الحيوانات

النحلة إذا عثرت على حقل مزهر، عادت إلى الخلية، وما أن تتوسطها حتى ترقص رقصاً خاصاً، فإذا بالنحل يندفع إليها، ويسير خلفها إلى حيث تهديه النحلة إلى الزهور.

ويقول اللورد «أفبري»: إنه طالما أراد أن يمتحن عقل النمل، والوقوف على طريقة التفاهم بين أفرادها، وجد يوماً نملة خارجة وحدها من جحرها، فأخذ ذبابة وألقاها في طريق النمل، فما أن عثرت عليها حتى أخذت تعالجها بفمها وأرجلها مدة تزيد على العشرين دقيقة، وتيقنت بعدها عجزها، فعادت أدراجها إلى جحرها، وبعد ثوان معدودة، خرجت النملة تتقدم نحواً من اثنتي عشرة نملة من أخواتها إلى أن انتهت بهن إلى الذبابة التي ما إن وقع عليها النمل، حتى أخذ يمزقها تمزيقاً، وعاد النمل إلى جحره، وكل منها تحمل جزءاً من الذبابة.. فالنملة الأولى رجعت إلى زميلاتها ولم يكن معها شيء قط.. فكيف تم لها أن تحبر باقي النمل بأنها وجدت طعاماً سائغاً، وفريسة شهية، ما لم يكن تم ذلك بلغة خاصة.

النملة تخرج من بيتها، تحمل حب الأرز فتذهب به إلى العراء في جانب مائل من الأرض، معرض للشمس، وتضع حبتها لتجف من ماء المطر ثم تعود به إلى مخازنها تحت الأرض.

### الإنسان

لم يعرف إلا أخيراً أن الغدة النخامية والغدتين فوق الكليتين إنما هي مخازن ذخيرة

تعمل وتنشط عند الحاجة.. بينما في الأوقات العادية لا تزيد عن كونها أجهزة معطلة.. هذه الغدة وظيفتها حفظ التوازن الكيماوي والحيوي في الجسم.. إلا أنه عندما يحاط الإنسان بجو بارد تفرز هذه الغدة إفرازات تسبب ضيقاً في الأوعية الدموية مما يرتفع بسببه ضغط الدم.. فيتغلب الجسم على الجو البارد المحيط به.. بالدفء الداخلي الناتج عن ارتفاع ضغط الدم.. وسرعة تجلط لإيقاف نزف الدم.. كما أن هذه الغدة تعمل على تخفيض ضغط الدم عند الانفعالات النفسية وحالات التوتر والقلق.

ومما قرره العلم أن للأمعاء الدقيقة التي يبلغ طولها ستة أمتار ونصف متر، حركتين لا إراديتين لما يؤيد وجود الله، الحركة الأولى: حركة خلط مستمر هدفها مزج الطعام، بمختلف عصارات الأمعاء وخمائرهما مزجاً تاماً حتى يكون الهضم عاماً، والحركة الثانية: عرض الطعام المهضوم على أكبر مساحة ممكنة في الأمعاء كي يمسه أكبر مسطح فيها فتمتص منه أكبر قدر، ثم يأتي بعد ذلك دور الهضم في الأمعاء الغلاظ التي تفرز آخر أجزاء المواد المهضومة من الفضلات.

وقد دلت التجارب على أنه إذا استؤصلت كلية من الجسم مثلاً ترتب على ذلك تضخم الأخرى، فيمكن قيامها بعمل الكليتين، دون أن يكون للإنسان دخل في ذلك، لذلك إذا بتر نصف الغدة الدرقية، زاد حجم النصف الثاني.. وفي الجسم أجزاء احتياطية، يمكن الاستغناء عن جزء منها عند إصابتها بمرض، فقد يقطع من الأمعاء متر من الأمتار السبعة والنصف الموجودة بجسمه دون أن يحس بفقده.

ويقول الدكتور آرون سميث في المؤتمر الدولي لعلماء النفس المنعقد في موسكو شهر أغسطس ١٩٦٦م: إن رجلاً أمريكياً أزيل نصف مخه بعملية جراحية ومازال يستطيع المشي والكلام والغناء بل والقيام بمسائل حسائية كما كان قبل الجراحة.

### جلد الإنسان

الجلد لا ينفذ إليه الماء ولا الغازات رغم مسامه التي تساعد على إخراج الماء من داخل الجسم.. فهو يخرج الماء في العرق ولا يسمح بدخوله! والجلد معرض لهجمات الميكروبات والجراثيم التي تسبح في الجو، لذلك يسلح بإفرازات قادرة على قتل تلك الميكروبات، أما إذا تغلبت الجراثيم واجتازت منطقة الجلد، فهنا تبدأ عملية حربية منظمة

يعجز الإنسان عن إدراك عظمتها، تدق الأجراس لتنبه كافة أعضاء الجسم على دخول عدو لها، وما هذه الأجراس إلا الآلام التي يحس بها الإنسان، لتسرع فرقة حرس الحدود، وتضرب حصاراً شديداً على عدوها المغير، فإما هزيمته وطرده، وإما ماتت فتتقدم فرقة أخرى من الصف الثاني، فالثالث، وهكذا.. وهذه الفرق هي كرات الدم التي يبلغ عددها ثلاثين ألف بليون كرة بين بيضاء وحمراء، فإذا رأيت بثرة حمراء وفيها صديد على الجلد، فاعلم أن صديدها هو فرق ماتت في سبيل واجبها وأن الاحمرار هو كرات دم في صراع مع عدو غادر.

### ومن أهم وظائف الجلد

حفظ الجسم عند درجة ثابتة من الحرارة، إذ أن أعصاب الأوعية الدموية، في الجلد تنشطها عندما يشتد حر الجو، كي تشع منه الحرارة، وتفرز غدد العرق ما يزيد على لتر من الماء فتتخفض درجة حرارة الجو الملاصقة للجلد.. أما إذا اشتد برد الجو انقبضت الأوعية الدموية فتحتفظ بجزارتها ويقل العرق.. هذا الجهاز العجيب أعد بعناية وتقدير ليكيف حرارة الجسم فيجعلها على درجة ٣٧ درجة مئوية دوماً في خط الاستواء أو في القطبين.

وجلد الإنسان شيء خاص به، فلا يشبه جلد إنسان إنساناً أبداً كما أن الجلد نفسه يتجدد، فجلدك الحالي ليس هو جلد العام الماضي، فإن تجديدات الجلد مستمرة بنمو الخلايا التي في الطبقات التي تكون الجلد، فكل ٢٠ طبقة من الجلد تكون سطح الجلد.

### الإبصار

مركز حاسة الإبصار العين التي تحتوي على ١٣٠ مليوناً من مستقبلات الضوء وهي أطراف أعصاب الإبصار، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب وتعتبر حركته لا إرادية، أما السائل المحيط بالعين والذي يعرف باسم الدموع، فهو أقوى مطهر كما أنه يجعل حركة العين من الصلبة والقرنية والمشيمية والشبكية، تتم في سهولة ويسر وذلك بخلاف العدد الهائل من الأعصاب والأوعية، ويكفي أن نعلم أن معجزة الإبصار هي أن صورة الشيء المنظور تطبع معكوسة على الشبكية، وينقل العصب البصري هذه الصورة المعكوسة الشكل إلى المخ، فيعيدها المخ إلى العين، وقد عكسها مرة أخرى أي عدلها، فيراها الناظر

معدولة، فهل حدث أن رأى إنسان مرة واحدة صورة معكوسة في التاريخ.

يقول الدكتور جودسون هريك في محاضرة ألقاها في معهد التاريخ بنيويورك في ديسمبر ١٩٥٧م: إن الدماغ الإنساني الذي يبلغ وزنه ألفاً وأربعمائة جرام غريب التركيب بعيد عن الصور والخيال، فلو جمعنا كل ما في العالم من أجهزة التلغراف والتليفون والرادار فإنها لا تبلغ في تعقيدها درجة دماغ الإنسان.

### الجهاز الدوري

يشمل الجهاز الدوري الطحال، تلك القطعة الصغيرة الحجم البيضاوية الشكل من الأنسجة و مجاري الدم، وتوجد خلف المعدة، إنه يقوم بجمع كرات الدم الحمراء التي ضعفت ويفتها ليصنع منها كرات جديدة قوية، كما أنه ينتج كرات دم بيضاء.. ويضاعف من إنتاجه لمختلف كرات الدم عند الحاجة.

### أجهزة أخرى

جهاز الذوق في الإنسان يرجع عمله إلى مجموعة من الخلايا الذوقية القائمة في حلقات غشائه المخاطي، وتلك الحلقات أشكال مختلفة منها المحيطية، والقطرية والعدسية، ويغذي الحلقات فروع من العصب اللساني البلعومي، والعصب الذوقي، وتتأثر عند الأكل الأعصاب الذوقية فينتقل الأثر إلى النخ، وهذا الجهاز موجود في أول الفم حتى يمكن للإنسان أن يلفظ ما يحس أنه ضار به، وبه يحس المرء المرارة والحلاوة والبرودة والسخونة والحموضة والملح واللذع ونحوه. ويحتوي اللسان على تسعة آلاف من تنوعات الذوق الدقيقة يتصل كل تنوع منها بالمخ بأكثر من عصب فكم عدد الأعصاب وما حجمها؟ وكيف تعمل منفردة وتتجمع بالإحساس عند المخ.

تقول مجلة العلوم الإنجليزية: إن يد الإنسان في مقدمة العجائب الطبيعية الفذة، وأنه من الصعب جداً بل من المستحيل أن تبتكر آلة تضارع اليد البشرية من حيث البساطة والقوة وسرعة التكيف، فحينما تريد قراءة كتب، تتناوله بيدك ثم تثبت في الوضع الملائم للقراءة، وهذه اليد هي التي تصحح وضعه تلقائياً وحينما تقلب إحدى صفحاته تضع أصابعك تحت الورقة تضغط عليها بالدرجة التي تقلبها، ثم يزول الضغط بقلب الورق. واليد تمسك بالقلم وتكتب به. وتستعمل كافة الآلات التي تلزم الإنسان من

ملقعة إلى سكينه وتحمل كل ما يريد الإنسان.. واليدان تشتملان على ٢٧ عظمة، ١٩ مجموعة من العضلات لكل منهما.

وفي دراسة اختلاف شكل الإنسان ما يقربنا إلى تفهم جزء من مدى القدرة التي كونت فشكلت. فقد أثبت العلماء أن الصفات الشكلية والخلقية تحملها في الإنسان كروموسومات تناهت في الدقة إلى درجة أنه لو جمع كروموسومات العالم بأجمعه ما زادت عن قبضة اليد، هذه القبضة تسبب اختلافًا في شكل ولون وصفات وأخلاق بلايين البشر، وهم سكان هذا العالم في الماضي والحاضر والمستقبل.

### السمك

للسمك حاسة غريبة، هي حاسة تفادي الاصطدام بالصخور والحواجز في ظلمات البحار، وقد درس العلماء هذه الظاهرة فقرروا من نتائج دراساتهم أن للسمك خطأ طوليًا على كل جانب من جانبيه، وبفحص هذه الخطوط بالمجهر، وجدت أنها أعضاء دقيقة حساسة إلى درجة كبيرة، فإذا اقتربت السمكة من حاجز أو صخر، تحس هذه الأعضاء باختلاف ضغط الماء نتيجة اصطدامه بالحاجز، حتى ولو كان تواج الماء قليلاً، فتتفادى بذلك الاصطدام إذ تغير طريقها.

### الخفاش

حيرت العلماء قدرة الخفاش على تفادي الاصطدام بالمباني والأشجار، فهو يطير في الليل حيث الأضواء، وحيث لا تظهر العوائق في الليل، زيادة على ضعف بصره، وقد قام العالم الإيطالي سبالانزاني بالتحقق من هذه القدرة بتجربة لطيفة، إذ علق في سقف حجرة عددًا من الحبال في نهاية كل منها ناقوس صغير يدق إذا لمس الحبل، ثم أظلم الغرفة إظلامًا تامًا، وأطلق فيها خفاشًا وطار الخفاش مرارًا ولكنه لم يمس هذه الحبال، إذ لم يدق أي جرس.

وقد علل العلماء فيما مضى هذه القدرة بأن جلد الخفاش أرق من أي جلد، ولذلك يتمكن من أن يحس اختلاف ضغط الهواء حين يقترب من عائق، وظهر في السنوات الأخيرة رأي يقرر أن الخفاش يرسل اهتزازات ترد إليه بالتصادم مع أي جسم يقابله فيحس به، وأن نظرية معرفته بالعقبات دون رؤية هي نفس نظرية الرادار الذي اخترع في



عصر الذرة.. فانظر كيف أن ما تفتقت عنه حيل العلماء من اكتشافات بهرت العالم.. موجودة في الخفاش.

### عجائب الحياة في النبات

ينبت النبات عموماً من بذرة توافرت لها ظروف خاصة، أهمها حيوية الأجنة فيها، وتحافظ البذور على حيويتها مدد طويلة تعتبر في ذاتها دليلاً على وجود الله ، فقد أمكن استنبات حبات قمح وجدت في قبور الفراعنة، ويجب توافر الماء الضروري للإنبات، والحرارة المناسبة. فكل بذرة تنبت في درجة حرارة معينة، والهواء ضروري للنبات، فهو كائن حي يعيش ويحيا ويتنفس بل ويحس.. ودرجة إحساسه واستجابته للمؤثرات قوية وسريعة.. فالنبات يقلق ويهدأ.. يحزن ويسعد.. فلقد أجريت تجارب على نباتات وضعت في مركبات فضاء.. وبأجهزة القياس.. أوضحت التسجيلات أن صدمات عصبية أصابت النباتات وبدا عليها الاضطراب.. وما إن رجعت إلى الأرض حتى عاد إليها الاستقرار والهدوء. وإذا استنبتت البذرة وخرج الجنين الحي مكوناً جذيراً صغيراً بدأ يتغذى من الغذاء المدخر في البذرة حتى يستطيع عوده ويضرب في الأرض ليأكل منها، شأنه في ذلك شأن الجنين في الإنسان والحيوان يتغذى من أمه وهو في بطنها، ثم من لبنها، ثم مستقل عنها، ويعتمد على نفسه في غذائه عندما يستوي. عوده فهل غير الله أودع في البذرة الحياة؟ وهل غير الله وهب الجذر قوة التعمق في الأرض وأخرج الساق وأنبت عليها الأوراق، فالأزهار، فالثمار؟

### تنفس النبات

اكتشف في عام ١٧٧٩م أن النبات يتنفس، فيأخذ الأكسجين ويطرد ثاني أكسيد الكربون، مثله في ذلك مثل الإنسان والحيوان، ويصحب تنفس النبات ارتفاع في درجة الحرارة، ويتم التنفس في الليل والنهار، إلا أنه في النهار لا تظهر نتيجة التنفس واضحة بالنسبة لعملية التمثيل الكربوني التي يجريها النبات بسرعة أكثر من عملية التنفس، فيخرج الأكسجين ويمتص ثاني أكسيد الكربون. لذلك قد عرف بأن ارتياد الحدائق يكون نهاراً أفضل.

وقد دلت الأبحاث على أن عملية التمثيل الكربوني، كانت كافية وحدها باستهلاك

ثاني أكسيد الكربون الموجود في العالم، لو أن الأمر قد اقتصر عليها، ولكن العليم الخبير قدر ذلك، فجعل الكائنات الحية الأخرى تخرج في تنفسها ثاني أكسيد الكربون. ولم يترك أمر استهلاك ثاني أكسيد الكربون وإنتاجه دون تحديد، فقد قضت حكمة الخالق أن تكون نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو دائماً من ثلاثة إلى أربعة أجزاء في كل عشرة آلاف جزء هواء، وهذه النسبة ينبغي أن تكون ثابتة على الدوام لعمار العالم، فلم يحدث أي تغير لها قط مهما اختلفت عمليات الاستهلاك والإنتاج.

### عبادة الكون

قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

الكون يغار على توحيد الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

الجبال مهياة للتأثر بالقرآن: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

الحجارة تتأثر من خشية الله: ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٤٧].

بل صاحبت بعض الجبال والطيور نبياً من أنبياء الله في عبادته: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِمَّا فُضِّلَ بِهِ يَا جِبَالَ أُوبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ﴾ [سبا: ١٠].

يحس المسلم أن في الكون من الحيوانات والجمادات ما يتودد إليه، قال رسول الله: «إذا سمعت صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعت نقيق الحمام فنعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء» [رواه الترمذي].

## مشاعر متبادلة مع الكون كله

السما والارض لا تبكيان على موت الكافرين والطغاة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ  
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

المسلم يتبادل مشاعر المحبة مع جبل أصم، عن أنس قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أحد  
فقال: «إن أحدًا جبل يحبنا ونحبه» [رواه مسلم والبخاري].

وعن قتادة أن أنسًا حدثه أن النبي صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف  
بهم، فقال: «اثبت أحد فإن عليك نبياً وصديقاً وشهيدين» [رواه البخاري].

والحجر والشجر يناصران أهل التوحيد، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا  
تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر  
والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقته، إلا الغرقد  
فإنه من شجر اليهود» [رواه البخاري ومسلم].

وقال رسول الله ﷺ عندما نظر إلى الهلال: «ربي وربك الله» [رواه الترمذي ومسلم].

ونهي عن لعن الريح، فعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: «لا  
تلعن الريح فإنها مأمورة» [رواه الترمذي].

المسلم لا ينسى للوزغ عداؤه القديم لخليل الرحمن، فيبادل العداوة بمثلها، عن عائشة  
قالت: «... فإن رسول الله ﷺ حدثنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار لم  
تكن في الأرض من دابة إلا تطفئ النار عنه، غير الوزغ كان ينفخ فيه، فأمرنا رسول الله  
بقتله» [رواه أحمد]. بينما دواب أخرى يلتقي المسلم معها في تسييح ربهها ودعوتها إلى  
التوحيد، ونهى المسلم عن قتلها، عن ابن عباس قال: «إن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع  
من الدواب: النملة والنحلة والهدد والصرد» [رواه أبو داود]. عن أبي هريرة عن  
رسول الله ﷺ قال: «أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فاحرقت، فأوحى  
إليه: «أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسيح» [رواه مسلم].

عن عبد الله بن عمرو قال: نهى النبي ﷺ عن قتل الضفدع وقال: «إن نقيقها تسيح»  
[رواه الطبراني] (١).

(١) للاستزادة انظر كتاب الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل .

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والمنكر اسم جامع لكل ما يبغضه الله.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٧١].

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» [رواه الترمذي].

يقول سيد قطب: إن العصيان والعدوان قد يقعان في كل مجتمع من الشريرين المفسدين المنحرفين، فالأرض لا تخلو من الشر، والمجتمع لا يخلو من الشذوذ، ولكن طبيعة المجتمع الصالح لا تسمح للشر والمنكر أن يصبحا عرفاً مصطلحاً عليه، وأن يصبحا سهلاً يجترئ عليه كل من يهم به، وعندما يصبح فعل الشر أصعب من فعل الخير في مجتمع من المجتمعات، ويصبح الجزاء على الشر رادعاً وجماعياً تقف الجماعة كلها دونه، وتوقع العقوبة الرادعة عليه.. عندئذ ينزوي الشر وتنحسر دوافعه، وعندئذ يتماسك المجتمع فلا تنحل عراه، وعندئذ ينحصر الفساد في أفراد أو مجموعات يطاردها المجتمع، ولا يسمح لها بالسيطرة، وعندئذ لا تشيع الفاحشة ولا تصبح هي الطابع العام<sup>(١)</sup>.

### فوائد الأمر بالمعروف:

السلامة من العقاب الإلهي: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجِئْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

(١) في ظلال القرآن الكريم (٢/٩٤٧، ٩٤٨).

حماية الأرض من الفساد: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» [رواه البخاري].

إقامة الحجة على العصاة: قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

تنبيه الغافلين: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

### حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الوجوب، مع اختلاف العلماء هل هو فرض كفاية أم فرض عين؟ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرق من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت عن أبي هريرة ؓ: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم].

ونرى أنه يمكن الجمع بين الرأيين، وأنه واجب على كل مسلم ولكن الوجوب قد يكون مباشرة، وقد يكون بواسطة لغير المتأهلين.

ويقول عبد القادر عودة: إن الواجب لم يسقط بتحميله للبعض دون البعض، إنما يسقط بالأداء.

قال ابن مسعود ؓ: بحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيع تغييره أن يعلم الله من قلبه أنه كاره له.

يقول سيد قطب: «إن سمة المجتمع الخير الفاضل الحي القوي المتماسك أن يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يوجد فيه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يوجد فيه من يستمع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون عرف المجتمع من القوة بحيث لا يجروا المنحرفون فيه على التنكر لهذا الأمر والنهي، ولا على إيذاء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.

وهكذا وصف الله الأمة المسلمة فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ووصف بني إسرائيل فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩] (١).

### مراتب الإنكار

١- تغيير المنكر باليد: اتفق العلماء على أن التغيير باليد لا يكون إلا عند القدرة عليه، كأولي الأمر بمعناها العام حتى تشمل: الوالد في بيته، والرئيس في عمله، وصاحب العمل مع عماله وفي مصنعه.

٢- تغيير المنكر بالقول، وهو أنواع:

أ- تعريف مرتكب المنكر بالحكم الشرعي فقد يكون جاهلاً به.

ب- الوعظ و النصح والإرشاد.

ج- التقرير والتخويف.

د- التهديد بإنزال العقوبة به.

٣- الإنكار بالقلب: قال رسول الله ﷺ: «من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك حبة خردل». [رواه مسلم] ويقول فقهاء الحنفية: والسكوت عن البدعة والمنكر، فإن رضي أي مع القدرة على الإزالة فهو آثم، وإلا كفاه الإنكار بالقلب، وليس معنى الإنكار بالقلب أن يموت القلب فلا يغضب للمنكر بل معناه رفض كل معصية حضرها أو غاب عنها، أو دعي إليها سراً أو علناً، وما لم تكن المسألة كذلك يصبح موقف المسلم من دينه حرجاً ومسئولته خطيرة،

(١) في ظلال القرآن الكريم (٢/٩٢٨).

قال الرسول ﷺ: «إذا عملت الخطيئة في الأرض وكان من شهدها فكرها وقال مرة: فأنكرها، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» [رواه أبو داود].

والمسلم مأمور أن يغير المنكر إذا رآه، فإن لم يستطع أن يغيره ويزيله، فلا أقل من أن يزول هو عنه، ليبعد عن مواطنه وأهله، ومما يروي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز أنه كان يعاقب شارب الخمر وقيم عليه الحد، ويعاقب من شهد المجلس، ولم يشارك في الشرب والإثم، ولكنه شارك في السكوت عليه ولم يغادر مكان المعصية، رفع إليه قوم شربوا الخمر فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم فلائنا لم يشاركهم لأنه كان صائماً فقال: ابدأوا به - أي عاقبه قبلهم - ثم قال: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

يقول سيد قطب: وقد يجيء على المسلمين زمان لا يستطيعون فيه تغيير المنكر بأيديهم، ولا يستطيعون فيه تغيير المنكر بألسنتهم، فيبقى أضعف الإيمان، وهو تغييره بقلوبهم، وهذا ما لا يملك أحد أن يحول بينهم وبينه، إن هم كانوا حقاً على الإسلام، وليس هذا موقفاً سلبياً من المنكر - كما يلوح في بادئ الأمر - . وتعبير الرسول بأنه تغيير دليل على أنه عمل إيجابي في طبيعته، فإنكار المنكر بالقلب معناه احتفاظ هذا القلب بإيجابيته تجاه المنكر، إنه ينكره ويكرهه، ولا يستسلم له، ولا يعتبره الوضع الشرعي الذي يخضع له ويعترف به، وإنكار القلوب لوضع من الأوضاع قوة إيجابية لهدم هذا الوضع المنكر، ولإقامة المعروف في أول فرصة تسنح، وللتربص بالمنكر حتى توافي هذه الفرصة. وهذا كله عمل إيجابي في التغيير، وهو على كل حال أضعف الإيمان، فلا أقل من أن يحتفظ المسلم بأضعف الإيمان، أما الاستسلام للمنكر لأنه واقع، ولأن ضغطاً قد يكون ساحقاً، فهو الخروج من آخر حلق الدين، والتخلي عن أضعف الإيمان.

### الرفق في النهي عن المنكر

يشترط الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد وعظ رجل المأمون وعنف له في القول، فقال: يا رجل ارفق، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شرمني وأمره بالرفق: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

## النهي عن المنكر بالمعروف

قال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد ليلة، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران، وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت، فاجتمع الناس يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه، فقال للناس: تنحوا عن ابن أخي، ثم قال: إليّ يا ابن أخي فاستحى الغلام، فجاء إليه فضمه إليه، ثم قال له: امض معي، فمضى معه حتى صار إلى منزله، فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه، بيته عندك، فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تتركه ينصرف حتى تأتيني به، فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف، فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه، فأدخله عليه، فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه، فبكى الغلام منكساً رأسه، ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود للشرب، ولا لشيء مما كنت فيه أنا تائب، فقال: ادن مني، فقبل رأسه، وقال: أحسنت يا بني، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث، وكان ذلك ببركة الرفق.

## لا تخش إلا الله

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقر أحدكم نفسه قالوا: يا رسول الله: كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمراً لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة: ما يمنعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فيأي كنت أحق أن تخشى» [رواه ابن ماجه].

يقول عبد الله بن عبد العزيز العمري: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هبة الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخف به.

## أحيائي أحياء الله

صعد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على المنبر يوماً فقال:

إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن شئنا أعطيناه، ومن شئنا منعناه. فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثانية؛ قال مثل ذلك، فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر المسجد فقال:

كلا، إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا.



فنزله معاوية رضي الله عنه، فأرسل إلى الرجل، فأدخله، فقال القوم: هلك الرجل. ثم دخل الناس، فوجدوا الرجل معه على السرير، فقال معاوية للناس: إن هذا أحياني أحياء الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون بعدي أمراء يقولون، ولا يرد عليهم، يتفاحمون في النار كما تفاحم القردة». وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد عليّ أحد، فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية، فلم يرد عليّ أحد، فقلت في نفسي: إني من القوم. ثم تكلمت في الجمعة الثالثة، فقام هذا الرجل، فرد عليّ، فأحياني أحياء الله.

### لا يشارك في باطل

روى زياد عن مالك بن أنس قال: لما بعث أبو جعفر إلى مالك بن أنس وعبد الله ابن طاووس قال: دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه أنطاع قد بسطت، وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأوماً إلينا أن اجلسوا، فجلسنا، فأطرق زماناً طويلاً ثم رفع رأسه، والتفت إلى ابن طاووس وقال: حدثني عن أبيك! فقال عبد الله: حدثني أبي قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه، فأدخل عليه الجور في حكمه.

فاغتاز المنصور من تعريض ابن طاووس به، وأطرق ساعة، ملأ الغضب من خلالها وجهه، حتى ظن مالك أنه الهلاك!! قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يصيبني دمه. ثم قال المنصور لابن طاووس: ناولني الدواة (قالها ثلاث مرات) فلم يفعل ابن طاووس. فقال المنصور: لِمَ لم تناولي؟

فقال ابن طاووس: أخاف أن تكتب بها معصية، فأكون قد شاركت فيها!! فلما سمع المنصور ذلك قال لهما: قوما عني. فقال ابن طاووس: ذلك ما كنا نبغي.

يقول مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم<sup>(١)</sup>.

### الهضيبي وجمال عبد الناصر

من المواقف المشرفة للعلماء مع الحكام موقف الأستاذ حسن الهضيبي من جمال عبد

(١) الناطقون بالحق (٣٤٢).

الناصر عام ١٩٥٤، حين تأزمت الأمور، وخنقت الحريات، وانتشر الظلم والعدوان، فقد بعث إليه خطاباً يأمره فيه بالمعروف، وينهاه عن المنكر، والفساد والإفساد وقد قال فيه:

السيد جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد، فإني ما زلت أحييك بتحية الإسلام وأقرئك السلام، وما زلت ترد عليّ التحية بالشتائم واتهام السرائر، واختلاق الوقائع وإخفاء الحقائق، وليس ذلك أدب الإسلام ولا من شيم الكرام، لست أطمع في نصحك بأن تلزم الحق فذاك أمر عسير، وأنت حر في أن تلقى الله تعالى على ما تريد أن تلقاه عليه، ولكني أريد أن أبصرك بأن هذه الأمة قد ضاقت بخنق حريتها وكنتم أنفاسها، وأنها بحاجة إلى بصيص من نور يجعلها تؤمن بأنكم تسلكون بها سبل الخير، وأن غيركم يسلكون بها سبل الشر والهدم والتدمير إلى آخر ما تنسبون إليهم.

إن الأمة في حاجة الآن إلى القوت الضروري، القوت الذي يزيل عن نفسها الهم والغم والكره، إنها في حاجة إلى حرية القول، ومهما قلتكم إنكم تحكمونها حكماً ديمقراطياً فإنها لن تصدق لأنها محرومة من نعمة الكلام، والتعبير عن الرأي، فإذا حققت ذلك فإننا نعدكم بأن نذكر الحقائق ولا نخاف من نشرها ونصدق القول ولا نشوبه بالكذب والبهتان والاختلاق، ولا نتهم لكم سريرة، ولا نبادلكم فيما تضمرون وتدخرون في أنفسكم، ولا نجاري بعض وزرائك فيما يكتبون من غثاء وإسفاف، وإنما نعدكم -كما هو شأننا- بأن نناقش المسائل مناقشة موضوعية، أما أن تعطوا أنفسكم الحق في الكلام وتحرموا الناس منه، وأما أن تفرضوا آراءكم بالسلاح على الأمة فذلك شيء لا يعقله الناس ولا ترضاه الأمة<sup>(١)</sup>.

### الشعراوي والسادات

وقف الشيخ الشعراوي في وجه السادات وخطأه على تفويته صلاة المغرب في اجتماع سياسي جمع أعضاء مجلس الشعب والوزراء وغيرهم من كبار المسؤولين، وابتدأ الاجتماع قبل المغرب واستمر حتى بعد العشاء، وعندما حانت صلاة المغرب وقف المرحوم د. السعيد أبو علي عضو مجلس الشعب عن المحلة الكبرى، وأذن للصلاة بصوت مرتفع مقاطعاً بذلك الرئيس السادات وهو يخاطب خطبته المذاعة على الهواء بالإذاعة والتلفزيون، وكان الدكتور السعيد من الجمعية الشرعية، فقال له السادات: اجلس نحن في عبادة، وطلب منه الدكتور

(١) حكايات عن الإخوان (٢/٤١-٤٣) عن جريدة الحقيقة ٢٣/٣/١٩٩١.

السعيد رفع الجلسة ليصلي الأعضاء المغرب ورفض السادات، فترك الدكتور السعيد مكانه ومعه بعض الأعضاء يعدون على الأصابع ومنهم الشيخ الشعراوي الذي كان وزيراً للأوقاف وأدوا الصلاة بالخارج، وعادوا إلى مكانهم لمعاودة الاستماع لكلمة الرئيس السادات، وبعد انتهاء الجلسة دار حوار علني بين السادات والشيخ الشعراوي حيث قال السادات للشيخ الشعراوي: نحن كنا في عبادة، فقال له الشيخ الشعراوي: يا ريس العبادة نوعان: عبادة موقوتة وعبادة غير موقوتة، والصلاة عبادة موقوتة، وكان يتحتم عليك رفع الجلسة لأداء الصلاة، فقال له السادات: أنت شايف كده يا شيخ شعراوي، فرد عليه الشعراوي بحزم قائلاً: لست أنا اللي شايف كده، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي أمرنا بذلك وهو اللي شايف كده، وأسقط في يد السادات<sup>(١)</sup>.

### التلمساني والسادات

في حديث مفتوح للرئيس أنور السادات بمدينة الإسماعيلية حضره الأستاذ عمر التلمساني بناء على دعوة وجهت إليه، وبث في الإذاعة والتلفزيون على الهواء مباشرة، اتهم السادات جماعة الإخوان بالفتنة الطائفية وساق أنواعاً من التهم الباطلة، فما كان من الأستاذ التلمساني إلى أن انبرى واقفاً يرد على السادات بقوله: «الشيء الطبيعي بإزاء أي ظلم يقع على من أي جهة أن أشكو صاحبه إليك بصفتك المرجع الأعلى للشاكين بعد الله، وهأنذا أتلقى الظلم منك فلا أملك أن أشكوك إلا إلى الله».

وما أن سمع السادات مقولة التلمساني حتى أصابه الذعر والرعب وناشد التلمساني أن يسحب شكواه.

فقال التلمساني بقوة وأدب وتأثر «إني لم أشكك إلى ظالم وإنما شكوتك إلى رب عادل يعلم ما أقول».

### إن الذي يمد رجله لا يمد يده

دخل إبراهيم باشا ابن محمد علي حاكم مصر المسجد الأموي في وقت كان فيه عالم الشام الشيخ سعيد الحلبي يلقي درساً في المصلين. ومر إبراهيم باشا من جانب الشيخ وكان

(١) وعرفت الإخوان : ١٧٤.

ماداً رجله فلم يحركها ولم يبدل جلسته، فاستاء إبراهيم باشا واغتاظ غيظاً شديداً وخرج من المسجد وقد أضمر في نفسه شراً بالشيخ.

وما أن وصل قصره حتى حف به المنافقون من كل جانب يزينون له الفتك بالشيخ الذي تحدى جبروته وسلطانه، وما زالوا يؤلبونه حتى أمر بإحضار الشيخ مكبلاً بالسلاسل.

وما كاد الجند يتحركون لجلب الشيخ حتى عاد إبراهيم باشا فغير رأيه، فقد كان يعلم أن أي إساءة للشيخ ستفتح له أبواباً من المشاكل قبل له بإغلاقها.

وهده تفكيره إلى طريقة أخرى يتقم بها من الشيخ، طريقة الإغراء بالمال، فإذا قبله الشيخ فكأنه يضرب عصفورين بجحر واحد، يضمن ولاءه ويسقط هيئته في نفوس المسلمين فلا يبقى له تأثير عليهم.

وأسرع إبراهيم باشا فأرسل إلى الشيخ ألف ليرة ذهبية وهو مبلغ يسيل له للعباب في تلك الأيام، وطلب من وزيره أن يعطي المال للشيخ على مرأى ومسمع من تلاميذه ومريديه.

وانطلق الوزير بالمال إلى المسجد واقترب من الشيخ وهو يلقي درسه. فألقى السلام وقال للشيخ بصوت عال سمعه كل من حول الشيخ:

هذه ألف ليرة ذهبية يرى مولانا الباشا أن تستعين بها على أمرك.

ونظر الشيخ نظرة إشفاق نحو الوزير وقال له بهدوء وسكينة:

يا بني عد بنقود سيدك وردها إليه وقل له: إن الذي يمد رجله لا يمد يده.

### رجل أثر الله

دعا عمر بن هبيرة كلا من الحسن البصري وعامر بن شراحيل المعروف بالشعبي وقال لهما: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك قد استخلفه الله على عباده وأوجب طاعته على الناس، وقد ولاني ما ترون من أمر العراق، ثم زادني فولاني فارس، وهو يرسل إلى أحيانا كتباً يأمرني فيها بإفاد ما لا أطمئن إلى عدالته، فهل تجدان لي في متابعتي إياه وإنفاذ أوامره مخرجاً في الدين؟ فأجاب الشعبي جواباً فيه ملاطفة للخليفة، ومسايرة للوالي، والحسن ساكت، فالتفت عمر بن هبيرة إلى الحسن وقال: وما تقول أنت يا أبا سعيد؟

فقال: يا ابن هبيرة خف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، واعلم أن الله جل وعز يمنعك من يزيد، وأن يزيد لا يمنعك من الله، يا ابن هبيرة، إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ شديد لا يعصي الله ما أمره، فيزيلك عن سريرك هذا، وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، حيث لا تجد هناك يزيد، وإنما تجد عمك الذي خالفت فيه رب يزيد، يا ابن هبيرة إنك إن تك مع الله تعالى وفي طاعته يكفك بائقة يزيد، واعلم يا ابن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق -كائنا من كان- في معصية الخالق عز وجل. فبكى عمر بن هبيرة حتى بليت دموعه لحيته، ومال عن الشعبي إلى الحسن، وبالغ في إكرامه، فلما خرجا من عنده توجهوا إلى المسجد، فاجتمع عليهما الناس، وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع الأمير، فالتفت الشعبي إليهم وقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه في كل مقام فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما قال الحسن لعمر بن هبيرة لا أجهله، ولكنني أردت فيما قلته ابن هبيرة، وأراد فيما قاله وجه الله، فأقصاني الله من ابن هبيرة وأدناه منه وحببه إليه<sup>(١)</sup>.

المسلم لا يخشى في الله لومة لائم وإنما يقول كلمة الحق لوجه الله

\*\*\*

(١) صور من حياة التابعين ١٠٦، ١٠٧.

## الإيجابية

الإيجابية: هي اندفاع الإنسان الناشئ عن استقرار الإيمان في قلبه، لتكييف الواقع الذي من حوله، وتغييره وتبديله إلى الأفضل، وهي الحافز الذي يدفع بطاقة الإنسان لأداء عمل معين للوصول إلى غاية محددة محتملاً كافة الصعاب؛ لتحقيق هدفه الأسمى.

وتكتمل معاني الإيجابية حين يحقق المسلم في حياته قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ونجد الرسول ﷺ يحث على الإيجابية فيقول: «إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها» [رواه البزار].

### رجل إيجابي

تدبر في قصة الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى قال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠].

فكم من الجهد بُذل في زمان لم تكن وسائل المواصلات والاتصالات ميسرة وسهلة كما في أيامنا هذه، وكم من الثمن دفع تضحية لإنقاذ حامل الحق الذي أراد أن يبلغه، إنه الإيمان بالفكرة والدعوة والطريق.

### تعلم من الهدد

تفقد سليمان الطير فقال: ﴿مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] فإذا بالهدد يقول له: ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

ولكي ترى كم من المسافات قطع، وكم من الجهد بذل وضحي، لك أن تعرف أن مملكة سبأ تقع في جنوب الجزيرة باليمن، فقطع الهدد هذه المسافات الشاسعة والفيافي وبلغ قائده بما رأى.

إن الدعوة لا تتصر بأصحاب المصالح، ولا بطلاب الدنيا، ولا المعطين للدعوة

فضول أوقاتهم وجهدهم، ولا طالبي الأضواء والشهرة.

### حتى النملة إيجابية

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ \* حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٧، ١٨].

ونلاحظ إيجابية النملة في تحذير قومها من الأخطار المحيطة بهم، فهي أمرت وحذرت، واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور، وخاطبت أمتها بالقول السديد والرأي الرشيد، فهل فكرت يوماً في تحذير قومك من مؤامرات الأعداء؟

### الداعية الفعال

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ \* وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ \* أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنَ الرَّحْمَنُ بَصُرًا لَا تَعْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ﴾ \* إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ \* إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ [يس: ٢٠-٢٥].

إنها استجابة الفطرة السليم لدعوة الحق المستقيمة، فهذا رجل سمع الدعوة فاستجاب لها، وحينما استشعر قلبه حقيقة الإيمان تحركت هذه الحقيقة في ضميره، فلم يطق عليها سكوتاً، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله، ولكنه سعى بالحق الذي استقر في ضميره إلى قومه، وهذه هي الإيجابية.

### مؤمن آل فرعون

بعد أن صب فرعون بطشه على بني إسرائيل، فكر في قتل موسى ومن معه، وقامت الاجتماعات، وعقدت المؤتمرات، وبينما هم يتشاورون إذا برجل منهم، كان يكتنم إيمانه بموسى من قبل، فلما رأى تأمرهم على قتل موسى، ضاق ذرعاً: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

أقام مؤمن آل فرعون الحجة على فرعون وجنوده، بأحلى عبارة، وأجمل إشارة، وفي

النهاية يفوض أمره إلى الله البصير بعباده، وهذه هي الإيجابية، الإعلان عن كلمة الحق في وقتها.

يقول سيد قطب: فالتبعة فردية، والحساب شخصي، وكل نفس مسئولة عن نفسها، ولا تغني نفس عن نفس شيئاً، وهذا هو المبدأ الإسلامي العظيم، مبدأ التبعة الفردية القائمة على الإرادة والتميز من الإنسان، وعلى العدل المطلق من الله، هو أقوم المبادئ التي تشعر الإنسان بكرامته، والتي تستجيش اليقظة الدائمة في ضميره، وكلاهما عامل من عوامل التربية، فوق أنه قيمة إنسانية تضاف إلى رصيده من القيم التي يكرمه بها الإسلام<sup>(١)</sup>.

### اقترح إيجابى

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق، إن متم وإن حييتم، قال: فقيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن- وكان الرسول ﷺ (على ما يبدو) قد رأى أنه أن الأوان للإعلان، وأن الدعوة قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها- فأذن بالإعلان، وخرج الرسول ﷺ في صفين، عمر فى أحدهما، وحمزة فى الآخر، ولهم كديد ككديد الطحين، حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة. فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط، وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: لما أسلم عمر بن الخطاب لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت وسمعت، فأتاه فقال: يا جميل إني قد أسلمت، فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام يجر رداءه، وتبعه عمر واتبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ، وعمر يقول من خلفه: كذبت ولكنني أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فثاروا إليه، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة، فبرك عليه وجعل يضربه، وأدخل إصبعيه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، ففتحى الناس عنه، فقام عمر يجعل لا يدنو أحد إلا أخذ شريف من دنا منه، حتى

(١) في ظلال القرآن (١/٧٠).



أحجم الناس عنه، واتبع المجالس التي كان يجلسها بالكفر فأظهر فيها الإيمان، وما زال يقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، وقر عمر وجلس، فقاموا على رأسه فقال: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا، أو تركناها لكم، فبينما هم كذلك إذ جاءه رجل عليه حلة حرير وقميص، قال: ما بالكم؟ قالوا: ابن الخطاب قد صبا، قال: فمه؟ امرؤ اختار ديناً لنفسه، أتظنون أن بني عدي يسلمون إليكم صاحبكم، فكأنما كانوا ثوباً انكشف عنه، فقلت له بالمدينة: يا أبت من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل السهمي<sup>(١)</sup>.

الدعاة اليوم هم طلائع النور في أمة طال عليها الليل، وبوادير اليقظة في أمة تأخر عنها النور، وأمل العالم في عصر أجدبت فيه الدنيا من رسل الرحمة واليقين، فلا يجوز لمسلم أن يبخل بوقته أو جهده لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، أو ولد يرجو له مستقبلاً يفخر به، أو يورثه الطريق، يكون له دعوة صالحة بعد فراقه لهذه الدنيا الفانية؟

### موقف بطولي

في موقعة القادسية أسرع القعقاع بن عمرو رضي الله عنه حتى قدم بهم على جيش القادسية صبيحة يوم أغواث، وكان أثناء قدومه قد فكر بعمل يرفع به معنويات المسلمين، فقسم جيشه إلى مائة قسم، كل قسم مكون من عشرة، وأمرهم بأن يقدموا تباغاً كلما غاب منهم عشرة عن مدى إدراك البصر، سرحوا خلفهم عشرة، فقدم هو في العشرة الأوائل وصاروا يقدمون تباغاً كلما سرح القعقاع بصره في الأفق فأبصر طائفة منهم كبر فكبر المسلمون، ونشطوا في قتال أعدائهم، وهذه خطة حربية ناجحة لرفع معنويات المقاتلين، فإن وصول ألف لا يعني مدداً كبيراً لجيش يبلغ ثلاثين ألف، ولكن هذا الابتكار الذي هدى الله القعقاع إليه قد عوض نقص هذا المدد بما قوي من عزيمة المسلمين، وقد بشرهم بقدوم الجنود بقوله: يأيها الناس قد جئتكم في قوم، والله أن لو كانوا بمكانكم حسدوكم، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم، فاصنعوا كما أصنع، فتقدم ثم نادى: من يبارز؟ فقالوا فيه بقول أبي بكر: لا يهزم جيش فيهم مثل هذا وسكنوا إليه، فخرج إليه ذو الحجاب (قائد من قادة الفرس) فقال له القعقاع: من أنت؟ فقال: أنا بهمن

(١) عمر بن الخطاب للصلاحي بتصريف.

جاذويه، وهنا تذكر القعقاع مصيبة المسلمين الكبرى وهزيمتهم يوم الجسر على يد هذا القائد فأخذته حميته الإسلامية فنادى فقال: يا لشارت أبي عبيد وسليط وأصحاب الجسر، ولا بد أن هذا القائد الفارسي بالرغم مما اشتهر به من الشجاعة قد انخلع قلبه من هذا النداء، فقد قال أبو بكر رضي الله عنه عن القعقاع: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، فكيف سيثبت له رجل واحد مهما كان في الشجاعة وثبات القلب، ولذلك لم يمهل القعقاع فأوقعه أمام جنده قتيلاً، فكان لقتله بهذه الصورة أثر كبير في زعزعة الفرس ورفع معنويات المسلمين، لأنه كان قائداً لعشرين ألف مقاتل من الفرس، ثم نادى القعقاع مرة أخرى: من يبارز؟ فخرج إليه رجلان، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بني تميم، وقتل الرجلان المبارزان من الفرس على يد القعقاع والحارث، وهكذا قضى القعقاع في أول النهار على قائدين من قادة الفرس الخمسة، ولا شك أن ذلك أوقع الفرس في الحيرة والاضطراب، وساهم ذلك في تدمير معنويات أفراد الجيش الفارسي.

اجلس مع نفسك وفكر في وسائل عملية لنصرة الإسلام.

### المسئولية فردية

يقول تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

يقول سيد قطب: «فردية التبعة، فلا تنال نفس إلا ما كسبت، ولا تحمل نفس إلا ما اكتسبت، فردية التبعة، ورجعة كل إنسان إلى ربه بصحيفته الخاصة، وما قيد فيها له أو عليه، فلا يجيل على أحد، ولا ينتظر عون أحد، ورجعة الناس إلى ربهم فرادى من شأنهم - حين يستيقنها القلب - أن تجعل كل فرد وحدة إيجابية لا تنزل عن حق الله فيها لأحد من عباده إلا بالحق، فهو مسئول عن نفسه هذه، وعن حق الله فيها، وحق الله فيها هو طاعة في كل ما أمر به وفي كل ما نهى عنه، وعبوديتها له وحده شعورا وسلوكاً فإذا فرط في هذا الحق لأحد من العبيد تحت الإغراء والضلال، أو تحت القهر والطغيان - إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان - فما أحد من تلك العبيد يدافع عنه يوم القيامة ولا شافع له، وما أجد من تلك العبيد بحامل عنه شيئاً من وزره ولا ناصر له من الله واليوم الآخر»<sup>(١)</sup>.

(١) في ظلال القرآن (١/٣٤٥).

## مبارزة

عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أقبل رجل من المشركين وعليه السلاح، حتى صعد على مكان مرتفع من الأرض، فقال: من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم: أتقوم إليه؟ فقال له الرجل: إن شئت يا رسول الله، فأخذ الزبير ﷺ يتطلع، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: قم يابن صفية، فانطلق إليه حتى استوى معه، ثم عانق أحدهما الآخر، ثم تدرجوا، فقال رسول الله ﷺ: أيهما وقع الحضيض أول فهو المقتول، فدعا النبي ﷺ ودعا الناس فوق الكافر ووقع الزبير على صدره فقتله.

## إيجابية الأطفال

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عماء! أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله، والذي نفسي بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر فقال لي أيضا مثلها، فلم ألبث أن نظرت لأبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان، هذا صاحبكم الذي تسألاني عنه، فتنافس معاذ ومعوذ على ذبح رأس الكفر أبي جهل على الطريقة الإسلامية، ليقدموا رأسه هدية إلى النبي ﷺ، فهذا ضربة وذاك أخرى حتى قتلاه، وعند قبض الثمن اختلفا فتخاصما إلى النبي ﷺ فطلب رؤية دليل الإثبات (السيوف)، وبعد المعاينة قضى باقتسام الأجر مناصفة قائلاً: كلاكما قتله.

يجب أن نهتم بتعليم الأطفال الإيجابية، ونسمح لهم بالتعبير عن آرائهم مع توجيههم إلى حب الرسول عملياً.

## أبو محجن الثقفي

كان أبو محجن الثقفي لا يزال يجلد في الخمر، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية رأهم يُقتلون، فكانه رأى أن المشركين قد أصابوا من المسلمين فأرسل إلى امرأة سعد يقول لها: إن أبا محجن يقول لك: إن خليت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً ليكون أول من يرجع إليك إلا أن يقتل، فحلت عنه قيوده، وحمل

على فرس كان في الدار، وأعطي سلاحاً، ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يمر على رجل فيقتله، فنظر إليه سعد فجعل يتعجب منه ويقول: من ذلك الفارس؟ فلم يلبثوا إلا يسيراً إلا أن هزم الله المشركين، ورجع أبو محجن ورد السلاح وجعل رجله في القيود كما كان، فجاء سعد فقالت له امرأته: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أن تركت أبا محجن في القيود لظننت أنها بعض شمائل أبي محجن، فقالت: والله إنه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا، فقصت عليه قصته، فدعا به وحل قيوده، وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال أبو محجن: لا جرم لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبداً.

### قول الحق

جاء أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى، فدخل المدينة ليزور أخا له، وكان غلطان الأمير (نصر بن أحمد) ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره، وكان يوم ضيف الأمير، فلما رآهم الزاهد، قال: (يا نفسُ وقع أمر، إن سكت فأنت شريكة) فرفع رأسه إلى السماء، واستعان بالله، وأخذ العصا فحمل عليهم حملة واحدة، فولوا منهزمين مدبرين إلى دار السلطان، وقصوا على الأمير، فدعا به وقال له: أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدى في السجن؟

فقال له أبو غياث: أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران؟

فقال له: من ولاك الحسبة؟

فقال: الذي ولاك الإمارة.

فقال: ولاني الخليفة.

فقال: ولاني الحسبة رب الخليفة.

فقال الأمير: وليتك الحسبة بسمرقند.

فقال: عزلت نفسي عنها.

قال الأمير: العجب في أمرك، تحتسب حين لم تؤمر، وتمتنع حين تؤمر.

قال: لأنك إن وليتي عزلتني، وإن ولاني ربي لم يعزلني أحد.

فقال الأمير: سل حاجتك.

فقال: حاجتي أن ترد عليَّ شبابي.

فقال: ليس ذلك إليَّ.

قال: هل لك حاجة أخرى؟

قال: أن تكتب إلي مالك خازن النار أن لا يعذبني.

قال: ليس إليَّ ذلك أيضًا، قال: هل لك حاجة أخرى؟

قال: أن تكتب إلي رضوان خازن الجنان يدخلني الجنة.

قال: ليس ذلك إليَّ أيضًا.

قال أبو غيث: فإنها مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها، لا أسأله حاجة إلا

أجابني إليها، فخلي الأمير سبيله.

المسلم الإيجابي يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتذكر قول

رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله

أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعون فلا يستجاب لكم» [رواه الترمذي].

### الجبين المرفوع

كان حسن الهضيبي أول من كسر تقاليد الانحناء بين يدي الملك، عند حلف اليمين

القانونية التي يؤديها القضاة أمامه قبل تولي مناصب المستشارين، إذ كانت دفعته حوالي

عشرة، سبقه منهم خمسة لم يترددوا في الانحناء عند حلف اليمين رغم تهامسهم بالتذمر

من هذا التقليد المهين، حتى إذا جاء دور الهضيبي الواهن البنية، الصامت اللسان، فاجأ

الجميع بأن مد يده لمصافحة الملك وأقسم اليمين منتصب القامة مرفوع الجبين، بصورة

أنعشت الإباء فيمن بعده وتبعه سائر المستشارين، فصافحوا الملك وأقسموا اليمين دون

تحاضع أو انحناء، حتى قال أحدهم: «إذا شفقوا الهضيبي فليشتقوني معه».

## والله لأعرضنك اليوم

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: كنا في غزاة لنا، فحضر العدو، فصيح في الناس فهم يثوبون إلى مصافهم، فإذا رجل أمامي، رأس فرسي عند عجز فرسه، وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟ والله لأعرضنك اليوم، أخذك أو تركك، فقلت: لأرمقنه اليوم، فرمقته، فحمل الناس على عدوهم، فكان في أوائلهم، ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في حماهم، ثم إن الناس حملوا فكان في أوائلهم، ثم حمل العدو، وانكشف الناس فكان في حماهم، وقال: فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأته صريعاً، فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة.

## إيجابية الغلام

عن صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر فيبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب، وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة، قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص،

وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبي، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبي، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك فأبي، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: ما هو قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمني، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرنا قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك فحرت وأضرم النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيه فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق [رواه مسلم].

كان الغلام إيجابيًا في دعوة الناس إلى الخير، فكانت ثمرة الإيجابية إيمان أهل القرية، وثباتهم على إيمانهم ضد الظلم والطغيان.

### إيجابية أبي ذر

لما بلغ أبا ذر رضي الله عنه مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم

اتتني به، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيتني يأمر بمكارم الأخلاق وكلام ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت، فتزود وحمل قربة قديمة فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فاضطجع فرآه علي فعلم أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى أصبح ثم احتمل قربه وزاده إلى المسجد فظل ذلك اليوم، ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضطجعه فمر به علي فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه علي معه، ثم قال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، ففعل فأخبره، فقال: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني فإن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأنني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وثار القوم فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه فقال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار وإن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، وثاروا عليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه [رواه البخاري].

وفي رواية مسلم: قال أبو ذر: فأتيت أنيساً فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أنني أسلمت وصدقت، قال: ما بي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت، فأتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما فإني قد أسلمت وصدقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم، وكان يؤمهم «إيماء بن رخصة الغفاري» وكان سيدهم، وقال نصفهم: إذ قدم رسول الله المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأسلم نصفهم الباقي، وهكذا أسلمت قبيلة غفار بدعوة أبي ذر بعد أن بذل ما بذل من جهد ووقت وتحمل الأذى في سبيل نشر دعوته.



## الشيخ أحمد ياسين

كان المعتاد في قطاع غزة إجراء حفل سنوي للطلاب للاحتفال بأعياد النصر، لخروج القوات الإسرائيلية من قطاع غزة، ووقع الاختيار على أربع فتيات من جيران الشيخ أحمد ياسين للمشاركة في الرقصات أثناء الحفل، فحرض الشيخ أولياء أمورهن على الرفض، فأمر (بشير الرايس) مدير التعليم حينئذ بفصلهن من المدرسة، فاتصل الشيخ وأولياء الأمور بمساعد الحاكم العسكري العام وكان مديراً للشئون (اللواء جمال صابر) وهددوه بأن نخيم الشاطئ على موعد غداً مع مظاهرة كبرى احتجاجاً على هذا التصرف، وعلم الحاكم الإداري بالقصة فعنف (بشير الرايس) وأمر بإعادة البنات فوراً إلى مدارسهن، ولم يشاركن في الحفل الراقص<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) شهيد أيقظ الأمة : (١٩).

## الإيثار

الإيثار تفضيل الإنسان لغيره على نفسه، فيبذل لهم مما يملك لإسعادهم قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وللإيثار فضل كبير ينعم به الفرد والمجتمع، فالمؤثر يحظى برضوان الله تعالى ووجه له، ويحدث الترابط بين أفراد المجتمع.

### إيثار الرسول ﷺ

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة، قال: نعم، قالت: نسجتها بيدي فجئت لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسنها فلان، فقال: اكسنيها، ما أحسنها! قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألته و علمت أنه لا يرد، قال: إني والله ما سألته لألبسه إنما سألته لتكون كفي قال سهل: فكانت كفيه [رواه البخاري].

### ضييف الرسول ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث على نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ: من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضييف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصلحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلنا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنُ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] [رواه البخاري].

### مساعدة الناس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة

له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» [رواه مسلم].

إذا كنت تملك قميصاً زائداً عن حاجتك،  
أو لا تستعمله فتبرع به لأحد الفقراء.

### إيثار علي بنفسه مكان الرسول ﷺ

تأمر كفار قريش على قتل النبي ﷺ، ووقف فرسانهم الأشداء حاملين سيوفهم أمام باب بيته، ولكن الله حفظه منهم، وطلب رسول الله ﷺ من علي بن أبي طالب ﷺ أن ينام في فراشه، فلم يتردد في الموافقة على طلب النبي ﷺ وقدم نفسه فداء له، فنام في فراشه، وتغطى ببردته، وهو يعلم أن المشركين قد يقتلونه لظنهم أنه النبي ﷺ، وإذا علموا أنه خدعهم ونام مكانه. ونجى الله رسوله ﷺ وأحاط علياً برعايته، فلم تمتد إليه أيدي المشركين بأذى، وكان علي بن أبي طالب أول فدائي في الإسلام، فكن على استعداد لتقدم نفسك مقابل الدفاع عن رسولك.

### جوار الحبيبين

عندما طعن عمر بن الخطاب ﷺ، أراد ألا يحرم من شرف الصحبة مع النبي ﷺ، فقال لابنه عبد الله: انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن بجوار صاحبيه، فقالت عائشة - رضي الله عنها - : كنت أريده لنفسه ولأثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما وراءك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله ما كان شيء أحب إلي من ذلك، فإذا أنا مت فاحملوني، ثم سلم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين.

وهكذا كانت السيدة عائشة - رضي الله عنها -

تؤثر الآخرين على نفسها.

### عمر بن الخطاب والدنانير

أخذ عمر بن الخطاب ﷺ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفدها. فرجع الغلام إلى عمر وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل، وتله في البيت ساعة، حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، فقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، واذهبي إلى بيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ، فقالت: نحن والله مساكين فأعطنا، ولم يتبق إلا ديناران فرمى بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك، فسُر بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض.

### إيثار حتى الموت

أصيب الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعياش بن أبي ربيعة - رضي الله عنهم - بجروح شديدة، وبينما هم راقدون في خيمة الجرحى، طلب الحارث ماء ليشرب فأحضر رجل له الماء، وكان الماء قليلاً، وقربه من فم الحارث ليشرب، ولكن الحارث لاحظ أن عكرمة ينظر إلى الماء فعرف أنه يريد أن يشرب، فقال الحارث للرجل: أعطه له، فلما ذهب الرجل بالماء إلى عكرمة، كان إلى جواره عياش، فلما هم عكرمة أن يشرب، لاحظ أن عياشاً ينظر إلى الماء، فقال عكرمة للرجل: أعطه له، فلما وصل الرجل إلى عياش، وجده قد مات، فرجع الرجل بالماء مرة أخرى إلى عكرمة، فوجده قد مات فعاد به إلى الحارث فوجده قد مات أيضاً، ماتوا جميعاً وكل منهم يؤثر أخاه على نفسه بشرية ماء حتى في اللحظة الأخيرة.

### لوذكرتيني لفعلت

بعث ابن الزبير بثمانين ومائة ألف إلى عائشة - رضي الله عنها - فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطري، فجاءتها بمخبز وزيت، فقالت لها الجارية: أما

استطعت مما قسمت اليوم أن نشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تعنّفيني، لو كنت ذكرتني لفعلت.

فرحم الله أم المؤمنين، وقد امتلأ قلبها بالإيمان وحب الرحمن، حتى نسيت إلى جنب ذلك نفسها وهي صائمة.

### إيثار المهاجرين والأنصار

لما قدم المهاجرون المدينة آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين الأنصار، وآخى بين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع - رضي الله عنهما - فقال سعد لعبد الرحمن: إنني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ [رواه البخاري].

### إيثار بالشهوات

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان مريضاً، فاشتهدى سمكة طرية، فالتصمت له بالمدينة، فلم توجد حتى وجدت بعد كذا وكذا يوم، فاشتريت بدرهم ونصف، وشويت، وحملت له على رغيف، فقام سائل على الباب، فقال للغلام: لفها برغيف، وادفعها له.

فقال الغلام: أصلحك الله، اشتيتها منذ كذا وكذا يوم، فلم نجد لها، فلما وجدناها، واشتريناها بدرهم ونصف أمرت أن ندفعها له، نحن نعطيها ثمنها.

فقال: لفها، وادفعها إليه.

فقال الغلام للسائل: هل لك أن تأخذ درهماً وتدع هذه السمكة؟

فأخذ منه درهماً، وردّها، فعاد الغلام وقال له: دفعت له درهماً وأخذتها منه.

فقال له: لفها، وادفعها إليه، ولا تأخذ منه شيئاً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أبما امرئ انتهى شهوة فردّ شهوته، وآثر بها على نفسه غفر الله له».

### إيثار نادر

عن أبي هريرة ؓ قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل،

قال: لا، فقالوا: تكفونا المؤنة، ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا» [رواه البخاري].

إنهم يريدون أن يتبرعوا بنصف أموالهم لإخوانهم المهاجرين تعويضاً لهم عما تركوه في مكة في سبيل الله، ولا يقوم بهذا الإيثار إلا من قوي إيمانه وزكى نفسه من الحقد والحسد.

### في أحد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهبوه، قال: «من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة». فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهبوه أيضاً فقال: «من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة؟» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل» [رواه مسلم].

وكان آخر هؤلاء السبعة عمارة بن يزيد بن السكن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط. كل منهم يؤثر الرسول ﷺ على نفسه حتى ماتوا ورزقهم الله الشهادة.

### إيثار الرجال

روي أنه اجتمع عند أبي الحسن الأنطاكي نيف وثلاثون رجلاً لهم أرغفة معدودة لا تكفيهم شعباً، فكسروها وأطفاؤا السراج، وجلسوا للأكل، فلما رفعت المائدة فإذا الأرغفة محلها لم ينقص منها شيء لأن كل واحد منهم لم يأكل إيثاراً للآخرين على نفسه حتى لم يأكلوا جميعاً، وهكذا أثر كل مسلم جائع منهم غيره، فكانوا من أهل الإيثار جميعاً.

### أبوهريرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد حجراً على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر بي أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبني، فمر ولم يفعل. ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبني، فمر فلم يفعل. ثم مر بي أبو القاسم رضي الله عنه فتبسم حين رأيته وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق،

ومضى فتبعته، فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل، فوجد لبنًا في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهده لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته ﷺ صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء وأمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، فقال: يا أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله ﷺ قال: خذ فاعطهم، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم، فقال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب فشربت، فما زال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلکًا، قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة» [رواه البخاري].

### بشرب الحارث

قال بعض الصالحين: ما رأيت أحدًا خرج من الدنيا كما دخل فيها إلا بشرب بن الحارث، أتاه رجل في مرضه الذي توفي فيه، فشكا إليه الحاجة، فنزع بشر قميصه الذي كان عليه، فأعطاه إياه، ولم يملك غيره واستعار قميصًا مات فيه. إنه الإيثار حتى في لحظات الموت، فأخوه يحتاج إلى هذا القميص، وهو قد أيقن بالموت. وكان سفيان الثوري يقول للسائل: مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي.

### أنفق مما تحب

عن أنس بن مالك ؓ قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخله ويشرب

من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بئرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه» [رواه البخاري].

يا أخي: أنت صاحب دعوة، ويراد منك أن تنشئ أمة وتبني دولة، والأمم لا تقام بفضائل الجهود، يراد منك أن تجاهد لإعلاء مبادئ الدعوة باذلاً في سبيلها مالك وراحتك ووقتك وهمتك ومواهبك وأخيراً دمك.

#### إيثار بما تحب

أصاب عمر بن الخطاب ؓ بخير أرضاً، فأتى إلى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟ قال: إن شئت حبست أصلها، أو تصدقت بها، فتصدق عمر بها في سبيل الله، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف.

#### إيثار عبد الرحمن بن عوف

عن أنس ؓ قال: بينما عائشة - رضي الله عنها - في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة قالت: ما هذا؟ قالوا: غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء، قال: كانت سبعمائة بعير، قال: فارتجت المدينة من الصوت فقالت عائشة رضي الله عنها: أما إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً.

فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأتاها فسألها عما بلغه، فحدثته فقال: فإني أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله وجعلها عبد الرحمن بن عوف في سبيل الله. صدقة على الفقراء والمساكين، وآثرهم على أنفسهم.

#### إيثار حكيم بن حزام

روى أن حكيم بن حزام ؓ باع داراً له من معاوية بستين ألفاً، فقالوا: غبنك والله



معاوية! فقال: والله أشهدكم أنها في سبيل الله، والمساكين، والرقاب، فأينا المغبون؟!!

إنه الفهم الصحيح لمعنى الإيثار وحب الخير للآخرين، كان كل صحابي مشغولاً بالآخرة وما يقربه إلى الجنة.

### يا قوم أسلموا

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما لا يخاف الفقر! فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها [رواه مسلم].

### يؤثر إخوانه بالحياة لحظات

عن أبي العباس بن عطاء قال: سعى ساع بالصوفية إلى الخليفة فقال: إنها هنا قوماً من الزنادقة يرفضون الشريعة، فأخذ أبا الحسين النوري، وأبا حمزة، والدقاق، وتستر الجنيد بالفقه، فكان يتكلم على مذهب أبي ثور.

فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فبدر أبو الحسين إلى السيف ليضرب عنقه! فقال له السيف: مالك بدرت من بين أصحابك؟! فقال: أحببت أن أوتر أصحابي بحياة هذه اللحظة.

فتعجب السيف من ذلك وجميع من حضر، وكتب به إلى الخليفة، فرد أمرهم إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق، فقام إليه النوري، فسأله عن أصول الفرائض في الطهارة والصلاة، فأجابته، ثم قال: وبعد هذه فإن الله عبادة يأكلون بالله، ويلبسون بالله، ويسمعون بالله، ويصدرون بالله، ويردون بالله، فلما سمع القاضي كلامه بكى بكاء شديداً، ثم دخل على الخليفة فقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة فما على وجه الأرض موحد.

### ما شاء الله

كان لعروة بن الزبير بستان من أعظم بساتين المدينة، وكان يسور بستانه طوال العام، لحماية أشجاره من أذى الماشية وعبث الصبية، حتى إذا آن أوان الرطب وأينعت الثمار

وطابت، واشتهتها النفوس، كسر حائط بستانه في أكثر من جهة ليحيز للناس دخوله، وكان كلما دخل بستانه ردد قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] (١).

### مداواة الروماتيزم:

ألمت بعض الإخوة الشباب في المعتقل البرد الشديد في الزنزانة، وكان شاباً وكانت معه أغطية وثياب، ولما علم معاناة المستشار الهضيبي من مرض الروماتيزم الحاد المزمن الذي يجوج أجلد الفتیان إلى مضاعفة الدفء في وقت الشتاء، فعمد إلى فروة ودفع بها مع حارس الزنزانة ليسلمها - لقاء مبلغ من المال - إلى الأستاذ الهضيبي في زنزانه التي عرف رقمها، غير أن الحارس لم يلبث أن عاد إليه بالفروة بيده ليبلغني أن نزيل تلك الزنزانة أمره بإعادتها إليّ، وخشيت أن يكون الحارس قد أخطأ المقصود فرددته بكلمة رمزية وألزمته بتسليم الفروة، والتأكد ممن أرسلتها إليه بجواب تلك الكلمة، ولكنه سرعان ما عاد إليّ بالجواب الرمزي، ومعه الرفض الحاسم بدعوى أنه لا يشعر بأي برد يجوجه إلى الفراء.

وبعد يومين هيات لهذا الشاب الأقدار الاجتماع بالهضيبي في دورة المياه فقال له: ادفع نفسك بفروتك أو ادفعها إلى من يحتاج إليها من إخوانك، فقال له: فديتك نفسي، من أحوج إليها منك وأنت مريض بالروماتيزم والدوستاريا، فإذا بالهضيبي يقول له في بشاشة: لقد شفيت والله ببرد هذه الزنزانة من كل ما أثقلني من الأمراض في السنوات الماضية. وما كاد الشاب يسمع الجواب حتى غلبته العبرات، وتضاءلت نفسه كأنها حفنة من تراب.

### إيثار الكفاح على السلامة

شاءت الأقدار أن يكون الأستاذ الهضيبي في سوريا ولبنان في صيف عام ١٩٥٤م بعد زيارة للمملكة العربية السعودية قام بها في أول ذلك الصيف إجابة لدعوة من الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، وفيما كان الهضيبي موضع الحفاوة والتكريم من جميع الأوساط الدينية والاجتماعية والسياسية في البلدين الكريمين، إذا بمحملة استفزاز مسعورة

(١) صور من حياة التابعين : ٤٣.

يطلقها حاكم مصر يومذاك على الإخوان المسلمين في مصر في مدينة من محافظة الشرقية، وإذا الأنباء تتواتر عن اتباع ذلك بموجة عارمة تنصب على الجماعة فأغلقت مراكزها التي شارفت على الألفين، وتعتقل قاداتها.

وظن البعض إثارة الهضيبي للسلامة خارج مصر حرصاً على استنفار الرأي العام، والإنكار على حكام مصر.

غير أن الهضيبي ما كاد يسمع أبناء النكثة الجديدة للسلطة المصرية، وما أدت إليه من سجير المحنة، حتى أمر بالتجهز للعودة إلى مصر إغذاراً إلى الله وصيانة للدعوة من أن يشاع أن المرشد العام يهش لقيادته في الرخاء، ويترك جنودها يصطلون بناورها في المحنة والبأساء.

\*\*\*

## الابتسامة

الإسلام دين السماحة واليسر لا يرفض الضحك، ولا يمنعه، وإنما يقبل منه ما يقوي أواصر الود والترابط بين أفراد المجتمع المسلم، وما يخفف من هموم النفس وآلامها ومتاعبها.

والإسلام دين الفطرة يحرص على رسم الابتسامة الدائمة على شفاه المسلمين، ويجعل بشاشة الوجه سمة أساسية من سمات المؤمن الصالح.

والابتسامة الصافية دليل على الود والصدقة، وحسن المعاملة وحسن النية، وهي تساعد على التلطف والمشاركة بين أفراد المجتمع.

والضحك يفرج الكروب، ويروّح عن النفس، وينشط العقول والأذهان، ويريح الأعصاب، ويخلص العضلات من التوتر، ويحافظ على التوازن النفسي للإنسان.

سُئل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل.

ويقول ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين: وجه طليق وكلام لين<sup>(١)</sup>.

وسُئل الصحابي جابر بن سمرة ؓ: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كثيراً كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتسم [رواه مسلم].

### الضحك في القرآن

جاءت آيات القرآن الكريم معبرة عن الطبيعة البشرية وخصائصها، فقال تعالى: ﴿وَأَلَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣] ليؤكد أن الله سبحانه وتعالى خلق خاصيتي الضحك والبكاء في النفس البشرية، وقد وصف الله سبحانه وجوه المؤمنين يوم القيامة بالضحك

والاستبشار، قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ مَسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩].

### نماذج من ضحك الرسول ﷺ

لم يكن الرسول ﷺ عابث الوجه قاطب الجبين، كما يظن كثير ممن يزعم التدين أو الزهد، ولكن كان للضحك والمرح جزء من حياته خاصة مع الناس، أما الخوف والبكاء فكان فيما بينه وبين الله دعاء واستغفاراً وتضرعاً، أو رحمة لمصاب المسلمين.

وكان ضحكه ﷺ لا يتنافى مع الحق فهو لا يضحك للباطل وعلى الباطل.

فهيّا ننظر في ضحكه لننشر البهجة والسرور والفرح بين المسلمين، ويكون قدوة لنا في الوسطية والحق وعدم الإسراف.

### الرسول والفاروق

قال سعد بن أبي وقاص ؓ: استأذن عمر بن الخطاب ؓ على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه و يستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب ؓ قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر، ورسول الله ﷺ يضحك.

فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب

قال عمر: فأنت أحق أن يهين يا رسول الله.

ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهينني ولا تهين رسول الله ﷺ؟

فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ.

فقال رسول الله ﷺ: إيها يابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك» [رواه البخاري].

### تصديق الحبر

قال عبد الله بن مسعود ؓ: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يضع السماء على إصبع، والأرض على إصبع، والجبال على إصبع،

والشجر والأنهار على إصبع، وسائر المخلوقات على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] [رواه البخاري].

### أين السائل؟

قال أبو هريرة ؓ: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت: قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا، قال: فمكث النبي، فبينما نحن على ذلك أتى النبي بعرق فيها تمر - والعرق: المكتل (السلة الكبيرة) - قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذ هذا فتصدق به، فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك [رواه البخاري].

### ما الكوثر؟

عن أنس بن مالك ؓ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ آتفا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١-٣] ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج (يققطع) العبد منهم، فأقول: يا رب! إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك [رواه مسلم].

### زرع الجنة

عن أبي هريرة ؓ: أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث - وعنده رجل من أهل البادية - أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع قال له: أأنت فيما شئت؟ قال: بلى، ولكن أحب أن أزرع، قال: فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، وتكون أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم فأما نحن فلنسنا بأصحاب زرع، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصاريًا، فإنهم

أصحاب زرع، فضحك النبي ﷺ [رواه البخاري].

### تعالى حتى أسابقك

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقتني فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك « أحمد.

### آخر أهل الجنة دخولاً

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار وآخر أهل الجنة دخول الجنة، يؤتى برجل فيقول: سلوا عن صغار ذنوبه واخبثوا كبارها. فيقال له: عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا، وعملت كذا وكذا، في يوم كذا وكذا.

قال: فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة.

قال: فيقول: يا رب لقد عملت أشياء ما أراها هاهنا.

قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه [رواه الترمذي].

### أتدرون مم أضحك؟

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مم أضحك؟ قال: فقلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فنطق بأعماله». قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل» [رواه مسلم].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة. فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة فيقول: أي رب! أدني

من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها.

فيقول الله عز وجل: يا بن آدم! لعلي إن أعطيتها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب!

ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربّه يعذره، لأنه يرى ما لا صبر عليه، فيدنيه منها؛ فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى. فيقول: أي رب! أدني من هذه الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها.

فيقول: يا بن آدم! ألم تعاهدي أن لا تسألني غيرها؟

فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ وربّه تعالى يعذره لأنه يرى ما لا صبر عليه فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم ترفع له شجرة «عند باب الجنة، هي أحسن من الأولى» فيقول أي رب! أدني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم! ألم تعاهدي أن لا تسألني غيرها.

قال: بلى، يا رب، هذه لا أسألك غيرها. وربّه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليهما، فيدنيه منها. فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة يقول: أي رب! أدخلنيها.

فيقول: يا بن آدم، ما يصيرني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟

قال: يا رب! أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا: مم تضحك؟

قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ. فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟

قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر» [رواه البخاري].

### آخر ابتسامة في حياة النبي ﷺ

عن أنس بن مالك ؓ: أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن



أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ: أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

### نصيحة طريفة

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: أتت سلمى مولاة رسول الله أو امرأة أبي رافع مولى رسول الله ﷺ إلى رسول الله تستأذنه على أبي رافع قد ضربها.

قالت: قال رسول الله لأبي رافع: مالك ولها يا أبا رافع؟

قال: تؤذيني يا رسول الله.

فقال رسول الله: بم آذيتيه يا سلمى؟

قالت: يا رسول الله ما آذيته بشيء، ولكنه أحدث وهو يصلي، فقلت له: يا أبا رافع إن رسول الله قد أمر المسلمين إذا خرج من أحدهم الريح أن يتوضأ، فقام فضربني.

فجعل رسول الله ﷺ يضحك، ويقول: يا أبا رافع إنها لم تأمرك إلا بخير» [رواه أحمد].

### مواقف مضحكة

خرج الإمام الشهيد حسن البنا مرة في رحلة خلوية مع الجوالاة، وقام الإخوة المكلفون بإعداد الطعام بعملهم، ولكنهم أخطأوا بخلطهم العدس بالحلبة، فكان مذاق الطعام غير مألوف، ولكنه خفف الحرج عن الأكلين والطهارة لتشجيع الجوالاة على تناول هذا الطعام الغريب فقال: أتعرفون ما اسم هذه الطبخة يا أحباب؟ إنها الحلبة التي تسمعون عنها، وها أنتم قد رأيتموها وأكلتموها، فبالهناء والشفاء.

وكان في الإسكندرية شعبة للإخوان المسلمين في حي الحجاري بمنطقة رأس التين (تسمى شعبة الحجاري) وحين كان الأستاذ البنا يخطب في حفل للإخوان المسلمين في شعبة محرم بك، جاء الإخوان بشعبة الحجاري في جمع كبير، وهم يهتفون (الحجاري تحييك يا بنا)، فقطع الأستاذ البنا حديثه وقال: ومن للحجاري غير البنا.

(الحجاري: الآلة التي تقطع بها الحجارة التي تستعمل في البناء).

## أنا روحك وأنت روحي

يقول عباس السيسي: في عام ١٩٤٧م خرجت من دار المكتب الإداري بالإسكندرية إلى مطبعة رمسيس أمام المحافظة القديمة، وبعد مدة خطر ببالي أن أتصل بدار المكتب تليفونياً لعل أمراً يحتاجني هناك، ورد عليّ في التليفون من يقول: من أنت؟ فقلت: أخوك عباس السيسي، وقلت له: من أنت؟ فقال: لا أعطيك اسمي وابتسم ضاحكاً فقلت له: طيب أنت لابس إيه؟ فقال: يا أخ عباس الرجل يعرف بروحه وحسه ولا يعرف بلبسه. فقلت له: يظهر أنك رجل روحي قوي، قال: أنا روحك وأنت روحي، أنا حسن البناء؟ فألقيت السماع على المكتب وهتفت: الله أكبر والله الحمد، حيث كانت مفاجأة حيث جاء الإمام البنا من القاهرة فجأة<sup>(١)</sup>.

## شروط المزاح

١- عدم الإكثار منه: كان الصحابة الذين تربوا في مدرسة النبوة يتمازحون فيما بينهم، فإذا جد الجد كانوا هم الرجال، كان أصحاب النبي ﷺ يتبادلون (يترامون) بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال.  
قال عمر رضي الله عنه: من كثر ضحكك قلت هيئته.

٢- عدم الأذى فيه:

عن عبد الله بن السائب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهم - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً، ومن أخذ عصا أخيه فليردها» [رواه أبو داود].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى - رضي الله عنهما - قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى جبل فأخذه، ففزع، فقال رسول الله: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» [رواه أبو داود].

٣- تجنب الكذب وقول الزور:

قال رسول الله ﷺ: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له» [النسائي والترمذي].

(١) حكايات عن الإخوان (٩٤/١) بتصرف .

ومن البدع الشائعة بين الناس (كذبة أبريل) وهي ليست من أخلاق الإسلام.

٤- البعد عن السخرية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

٥- اختيار الوقت والمكان المناسبين:

فلا مزاح في أوقات الصلاة، وعند زيارة القبور، وذكر الموت، وعند قراءة القرآن، ولقاء الأعداء، وفي أماكن العلم.

٦- عدم المزاح في الزواج والطلاق والمراجعة:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة» (أي أن يراجع الرجل امرأته بعد أن يطلقها) [رواه أبو داود].

٧- عدم المزاح بالسلاح:

قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» [مسلم].

### الضحك والبكاء وجهان لسلامة صحتك

أكدت الدراسات الطبية أن دقيقة واحدة من القهقهة من القلب تعادل ممارسة تمرين رياضي مدته ١٠ دقائق، حيث تتحرك أكثر من ٨٠ عضلة مختلفة في جسم الإنسان، كما أن الضحك يساعد أيضاً على إزالة التوتر، وزيادة الإفرازات اللعابية، والعصارات الهضمية اللازمة لتسهيل الهضم، وعلاج الإمساك.

وعلى الوجه الآخر إطلاق الدموع بغزارة يعطي إحساساً بالراحة النفسية، ويقي الجسم من أمراض القلب والقولون وقرحة المعدة، ويقي الإنسان من الهرمونات والمواد الكيماوية الضارة التي تسبب الاكتئاب<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

## العفة

معنى التعفف لغة: هو الكف عما لا يحل، والعفة هي النزاهة.

قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٣٣] أي ليضبط نفسه فإنه وجاء.

اصطلاحاً: العفة هي حصول حالة في النفس تمنع بها عن غلبة الشهوة.

وقال الجاحظ: هي ضبط النفس عن الشهوات.

قال الرسول ﷺ: «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه» [رواه الترمذي].

عفوا تعف نساؤكم في المحرم  
وتجنبوا ما لا يليق بمسلم  
إن الزنا دين فإن أقرضته  
كان الزنا من أهل بيتك فاعلم<sup>(١)</sup>

### عفة اللسان

قال سفيان بن حسين الواسطي: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية، فنظر في وجهي وقال: أغزت الروم؟ قلت: لا، قال: السند والهند والترك؟ قلت: لا، قال: أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم؟! قال: فلم أعد بعدها (يعني لم يذكر أحداً بعد ذلك بعبء)<sup>(٢)</sup>.

قال أحد السلف لما أراد أن يطلق زوجته لأمر ما، فقيل له: ما يسؤك منها؟ قال: أنا لا أهلك ستر زوجتي، ثم طلقها بعد ذلك، فقيل له: فلم طلقتها؟ قال: مالي وللكلام عن امرأة صارت أجنبية عني!؟

(١) ديوان الشافعي ١١٢.

(٢) أخلاق الدعاة ٨٠.

## التعفف عن سؤال الناس

عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن كنت لأتبع الرجل أسأله عن الآية من كتاب الله، لأننا أعلم بها منه ومن عشيرته، وما أتبعه إلا ليطعمني القبضة من التمر أو السفة من السويق أو الدقيق أسد بها جوعي.

وعن أبي رافع أن أبا هريرة قال: ما أحد من الناس يهدي لي هدية إلا قبلتها، فأما أن أسأل فلم أكن لأسأل.

## العفة عن أموال الناس

أتت عمه عمر بن عبد العزيز إلى امرأته فاطمة، فقالت: إنني أريد كلام أمير المؤمنين. قالت لها: اجلسي حتى يفرغ، فجلست، فإذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا، فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، فإنه إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع، وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجة.

فقامت، فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح، وزيت، وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين أتيت بحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي.

قال: وما ذاك يا عمه؟

قالت: لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا.

قال: ليس عندي يا عمه، ولو كان عندي لفعلت.

قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك يجري عليّ كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني.

قال: يا عمه، إن عمي عبد الملك، وأخي الوليد، وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي فأعطيكه، ولكنني أعطيتك مالي إن شئت.

قالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: عطائي مائتا دينار، فهو لك؟

قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟

قال: فليس أملك غيره يا عمة.

قالت: فانصرفت عنه<sup>(١)</sup>.

### هكذا كانوا

أمر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور لأبي حنيفة بعشرة آلاف درهم فما رضي بأخذها، ف جاء إليه بهذا المال رسول الحسن بن قحطبة الوالي فدخل عليه فلم يكلمه، فوضع المال في جراب في زاوية البيت فكان أن أوصى الإمام أبو حنيفة ابنه قائلاً له: إذا مت ودفتموني، فخذ هذا المال واذهب به إلى الحسن بن قحطبة فقل له: خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة.

قال ابنه: ففعلت ذلك.

فقال الحسن: رحمة الله على أبيك، فلقد كان شحيحاً على دينه.

وعن عطاء بن السائب قال: كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، فأهدى له تلميذه فرساً فردها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة!<sup>(٢)</sup>

ويقول الحسن البصري: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصلاة والصوم.

وعن أبي إسماعيل المؤدب قال: جاء رجل إلى العمري (عبد الله بن عبد العزيز العمري) فقال: عظني.

قال: فأخذ حصاة من الأرض فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض.

وذكر الإمام النووي أن أبا إسحاق الشيرازي دخل يوماً مسجداً ليأكل طعاماً على عادته، فنسي فيه ديناراً فذكره في الطريق، فرجع فوجده، ففكر ساعة وقال: ربما وقع هذا الدينار من غيري، فتركه ولم يمسه<sup>(٣)</sup>.

(١) مائة موقف من حياة العظماء ٣٨ .

(٢) أخلاق الدعاة ٥٩ .

وكانت ابنة عمر بن عبد العزيز تقول له: يا أبت إن البنات يعيرنني، فيقلن: لم لا يجليك أبوك بالذهب؟

فيقول: يا بنية قولني هن: إن أبي يخشى عليّ حر اللهب<sup>(١)</sup>.

### كلمات من ذهب

قال الليث بن سعد وغيره: كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إليّ بالعلم كله، فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقي الله خفيف الظهر من مال الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازما لأمر جماعتهم، فافعل.

وقال أحد طلاب العلم لمحمد بن واسع: أوصني يا أبا عبد الله.

فقال: أوصيتك أن تكون ملكا في الدنيا والآخرة، فدهش السائل وقال: وكيف لي بذلك يا أبا عبد الله؟

فقال: ازهد بعرض الدنيا تكن ملكا هنا بالاستغناء عما في أيدي الناس، وملكها هناك بالفوز بما عند الله من حسن الثواب<sup>(٢)</sup>.

### عفة عبيد بن عمير

ذكر أبو الفرج ابن الجوزي أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا فتن به؟

قال: نعم.

قالت: من؟

قال: عبيد بن عمير.

قالت: فائذن لي فيه فلافتننه.

قال: قد أذنت لك. فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية في المسجد الحرام، فأسفرت عن وجهه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استري. فقالت: إنني قد فتننت بك.

(١) أخلاق الدعاة ٣٥.

(١) صور من حياة الصحابة ٥٠١.

(٢) صور من حياة التابعين ٢٥١.

قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك.

قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أفضي لك هذه

الحاجة؟ قالت: اللهم لا.

قال: صدقت. فلو دخلت قبرك، وأجلست للمسألة أكان يسرك أني قضيتها لك؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم، لا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم

بשמالك أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، قال: فلو أردت المر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا

تنجين، أكان يسرك أني قضيتها لك؟

قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل

أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا.

قال: صدقت، قال: اتق الله فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

قال: فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطلانٌ ونحن بطالون.

فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير

أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروساً فصيرها راهبة.

### حكاية فتى عفيف

قال حصين بن محمد: بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر يتفقدّه إذا غاب، فعشقتّه امرأة، فذكرت ذلك لبعض

نساءها، فقالت: إني أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق، فلما مر بها قالت

له: إني امرأة كبيرة في السن، ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي -

وكان أرغب شيء في الخير - فدخل فلم ير الشاة، فقالت: اجلس حتى آتيك بها.

فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه،



فأرادته عن نفسه فأبى وقال: اتقي الله أيتها المرأة، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت عليه، فجاء الناس، فقالت: إن هذا دخل عليّ يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه.

فلما صلى عمر الغداة ففقدته، فبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني به، قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثت امرأة بالليل، فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها، فضربناه وأوثقناه، فقال عمر: اصدقني، فأخبره بالقصة على وجهها.

فقال له عمر: أتعرف العجوز؟ قال: نعم، إن رأيتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن، فجاء بهن فعرضهن فلم يعرفها فيهن، حتى مرت به العجوز، فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عمر عليها الدرة، وقال: اصدقيني، فقصت عليه القصة كما قصها الفتى، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف<sup>(١)</sup>.

### إبراهيم المسكي

قيل لأبي بكر المسكي: إنا نشم منك رائحة المسك مع الدوام، فما سببه؟

فقال: والله لي سنين عديدة لم أستعمل المسك، ولكن سبب ذلك أن امرأة احتالت عليّ حتى أدخلتني دارها، وأغلقت دوني الأبواب، وراودتني عن نفسي، فتحيرت في أمري، فضاقت بي الخيل، فقلت لها: إن لي حاجة إلى الطهارة، فأمرت جارية لها أن تمضي بي إلى بيت الراحة، ففعلت.

فلما دخلت بيت الراحة أخذت العذرة، وألقيتها على جسمي، ثم رجعت إليها، وأنا على تلك الحالة، فلما رأني دهشت، ثم أمرت بإخراجي فمضيت واغتسلت.

فلما كانت تلك الليلة رأيت في المنام قائلاً يقول لي: «فعلت ما لم يفعله أحد غيرك، لأطيبن ريحك في الدنيا والآخرة» فأصبحت والمسك يفوح مني، واستمر ذلك إلى الآن.

### الجزء من جنس العمل

يحكى أن رجلاً اسمه المبارك كان عبداً رقيقاً لرجل غني اسمه نوح ابن مريم، فطلب منه سيده أن يذهب ليحرس البساتين التي يملكها فذهب.

وبعد عدة شهور ذهب نوح ليتفقد أحوال البساتين ومعه مجموعة من أصحابه.  
فقال للمبارك: اتيتي برمان حلو وعنب حلو، فقطف له رمانات ثم قدمها إليهم،  
فإذا هي حامضة وكذلك العنب.

فقال له نوح: يا مبارك ألا تعرف الحلو من الحامض؟

قال: لم تأذن لي يا سيدي أن أكل منه حتى أعرف الحلو من الحامض.

فتعجب الرجل وقال: أما أكلت شيئاً وأنت هنا منذ شهور؟

قال المبارك: لا والله ما ذقت شيئاً، والله ما راقبتك ولكني راقبت ربي، فتعجب  
سيده من تلك العفة، ومن هذا الورع، وظن في البداية أنه يخدعه، فلما سأل الجيران.

قالوا: ما رأيناه يأكل شيئاً أبداً، فتأكد من صدقه وورعه وعفته.

فقال: يا مبارك أريد أن أستشيرك في أمر عظيم، قال: ما هو يا سيدي؟

قال: إن لي ابنة واحدة وتقدم لها فلان وفلان وفلان «من الأثرياء» فيا ترى لمن  
أزوجها.

قال له المبارك: يا سيدي إن اليهود يزوجون للمال، والنصارى يزوجون للجمال،  
والعرب للحسب والنسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أي الأصناف أنت؟ زوج  
ابنتك للصنف الذي أنت منه.

فقال نوح: والله لا شيء أفضل من التقوى، والله ما وجدت إنساناً أتقى الله منك  
فقد اعتقتك لوجه الله وزوجتك ابنتي.

وسبحان الله، عفا المبارك عن رمانه من البساتين، فساق الله إليه البستان وصاحبة  
البستان، والجزء من جنس العمل، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه،  
فكانت النتيجة أن هذه المرأة أنجبت من المبارك ولذا أتدرون من هو؟ إنه شيخ الإسلام  
عبد الله بن المبارك!!

## الحياء

### تعريف الحياء

لغة: هو انقباض وانزواء وانكسار يعتري المرء خوف ما يعاب به. وهو مشتق من الحياة، فمن لا حياء له فهو ميت في الدنيا وشقي في الآخرة، وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بجمائه، كما أن حياة الغرس بمائه.

شرعا: هو صفة وخلق يكون في النفس، فيبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. يقول الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري.

وقال ﷺ أيضا: «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء» [رواه ابن ماجه في سننه وحسنه الألباني].

وقال ﷺ أيضا: «الحياء خير كله» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» [رواه البخاري].

وقال ﷺ أيضا: «الحياء والإيمان قرناء جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» [رواه الحاكم].

وقال ﷺ أيضا: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه» [رواه الترمذي].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال رسول الله: «دعه فإن الحياء من الإيمان» [رواه الترمذي].

أما استحيتت مني؟

في أثر إلهي يقول الله عز وجل: «ابن آدم إنك ما استحيتت مني أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلاتك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة».

وفي أثر آخر: «أوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام: عظ نفسك، فإن اتعظت وإلا فاستحي مني أن تعظ الناس».

### علامات الشقوة

قال الفضيل بن عياض: خمس من علامات الشقوة: القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في الدنيا وطول الأمل.

### أنت مؤمن بالله

ويقول الجنيد: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. وقال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب.

### هكذا خلقك الله

والحياء فطرة إنسانية كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

### وضاعت الأخلاق

ومن فقد الحياء فقد كل شيء وصار مجردا من كل خلق، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقبئا ممقئا (أشد البغض) فإذا لم تلقه إلا مقبئا ممقئا، نزعته منه الأمانة، فإذا نزعته منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا، فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعته منه الرحمة، فإذا نزعته منه الرحمة لم تلقه إلا رجيفا ملعنا، فإذا لم تلقه إلا رجيفا ملعنا نزعته منه ريقة الإسلام» [رواه ابن ماجه].

### مفاهيم يجب أن تصحح

١- الحياء للنساء: الحياء ليس - كما يظن الناس - صفة تتعلق بالنساء، ولكن الحياء شجاعة تملأ القلب حتى لا يقع في المعاصي، فذو الحياء لا بد أن يكون صادقا، لأن الكذب نقيصة يستحي منها، وذو الحياء لا بد أن يكون أمينا لأن الخيانة نقيصة يستحي منها... وقد قال النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت» [رواه البخاري].

٢- الحياء سلبية: الحياء ليس صفة سلبية أو عجزاً بل الحياء شجاعة، وإن الحيى من أقوى الناس شكيمة وأشدهم بأساً في الدفاع عن الحق، لا يخشى في الحق لومة لائم، وإن الانتصار للحق والحرص عليه لا يتنافى مع الحياء.

٣- الحياء خوف: الحياء ليس انقباضاً في النفس يحجم صاحبه عن فعل الرذائل أمام المخلوقين فقط، ولكن المستحي فعلاً أولى له أن يستحي من الخالق، لأنه هو وحده المطلع على الخفايا والسرائر.

٤- الحياء خجل: الحياء ليس معناه الخجل من معايشة الناس، فالخجل عكس الحياء؛ لأنه شعور بالنقص داخل الإنسان، فهو يشعر أنه أضعف من الآخرين، وأنه لا يستطيع مواجهتهم، أما الحياء فهو شعور نابع من الإحساس برفعة وعظمة النفس، فالحيى يستحي أن يكذب لأنه لا يقبل أن تكون نفسه في هذه الدنيا، ولكن الخجول إذا أتحت له الفرصة أن يفعل ذلك دون أن يراه أحد لفعل، والخجل ليس من الإسلام. عن عبد الله بن عمر - وكان دون الحلم - أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» رواه البخاري، وفي رواية: فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم وفي رواية: ورأيت أبا بكر وعمر يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم.

٥- الحياء في الزواج: ولي أمر الفتاة يجوز له أن يعرض ابنته على الشاب الصالح للزواج منها في غير تخرج ولا التواء ولا حياء زائف، كما حدث مع موسى، وحياء الفتاة لم يمنعها أن تعبر لولي أمرها بأدب عن رغبتها في الرجل.

٦- الحياء يضيع الحقوق: يقول البعض: إن الحياء لا ينفع في هذا البلد، والحياء يضيع الحقوق، وليس هناك تعارض بين الحياء والمطالبة بالحق، طالما أني أطالب بحقي بسلوك مهذب وفيه حياء.

#### عمر والمرأة

خطب عمر بن الخطاب ؓ مرة فعرض لغلاء المهور، فقالت له امرأة: أيعطينا الله

وتمنعنا يا عمر؟ ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَأْتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠] فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق نساءها، ولم يمنع عمر أن يقول معتذرا: كل الناس أفقه منك يا عمر.

### لا سمع ولا طاعة

وخطب مرة وعليه ثوبان فأمر بالسمع والطاعة، فنطق أحد المسلمين قائلا: لا سمع ولا طاعة يا عمر.. عليك ثوبان وعلينا ثوب واحد، فنادى عمر بأعلى صوته: يا عبد الله بن عمر.. فأجابه ولده: لبيك يا أبتاه، فقال له: أنشدك بالله أليس أحد ثوبي هو ثوبك أعطيتني؟ قال: بلى والله، فقال الرجل: الآن نسمع ونطيع يا عمر.. فانظر كيف لم يمنع الحياء الرجل أن يقول، وعمر أن يعترف.

### ٧- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الحياء ليس معناه التخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالرجل الحيى قد يفضل أن يريق دمه على أن يريق ماء وجهه، وليس معنى الحياء أيضا أن يقر المسلم المنكر ويتغاضى عن الحق أو يحلل الحرام للحكام ويزينه لهم.

### ٨- الاعتراف بالخطأ:

لا يتنافى الاعتراف بالخطأ مع الحياء؛ فقد جاء رجل إلى سلطان العلماء العز بن عبد السلام واستفتاه في أمر ما، فأفتاه العز، وبعد أن انصرف الرجل ظهر للعز أنه قد أخطأ في فتواه، فلم يصر على خطئه ولم يمنعه الحياء من الاعتراف بالخطأ، ولكنه استأجر مناديا ينادي في البلاد: من استفتى العز في كذا فلا يأخذ بالفتوى فإن العز قد أخطأ.

### ٩- الحياء لا يمنع من العلم:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي: «إذا رأت الماء» [رواه البخاري].

الله أكرم

قال رسول الله ﷺ: «إن الله حيى كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما

صفرا خائبتين» [رواه الترمذي].

وقال أيضا في الحديث القدسي: «قال الله: أنا أكرم وأعظم عفوا من أن أستر على عبدي في الدنيا ثم أفضحه بعد أن سترته، ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرتني» [رواه الترمذي].

### لا لخدش الحياء

ولم يصرح الله في القرآن بالألفاظ التي تخدش الحياء: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتَ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩] حيث كنى الله بكلمة «تغشاهما» عن الجماع.

١- هكذا كان نبيك:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه» [رواه البخاري]، وجاء في الحديث أن امرأة سألت عن كيفية الغسل من الحيض فعلمها النبي صلى الله عليه وسلم كيف تغتسل ثم قال: «خذي فرصة من مسك فتطهري بها» فقالت: كيف أتطهر؟ قال: «تطهري بها»، قالت: كيف؟ قال «سبحان الله! تطهري بها»، فلما رأت السيدة عائشة أن المرأة رغم كل هذا لم تفهم، ورأت حياء النبي من التصريح بما يريد، جذبت المرأة إليها، وقالت لها: تتبعني بها أثر الدم. [رواه البخاري].

### ما بال فلان يقول؟

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه شيء لم يقل: ما بال فلان يقول، ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟» [رواه أبو داود].

### رجل تستحي منه الملائكة

وعن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان حدثاه أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن على النبي وهو مضطجع على فراشه فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، فاستأذن عمر رضي الله عنه فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم

انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال: «اجمعي عليك ثيابك»، فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، مالي لا أراك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال رسول الله: «إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلي حاجته». وقال جماعة من الناس: إن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟! [رواه مسلم].

### ما رأيت أشد حياء منه

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان قبل البعثة يرعى غنما لأخت السيدة خديجة رضي الله عنها، مع شريك له، وعندما ينقضي النهار ويحين موعد أخذهما لأجرتهما، يطلب الشريك من محمد أن يذهب لصاحبة الغنم ليأخذ حقه، فيقول له النبي: «أذهب أنت، فإني أستحي»... فكان الشريك يذهب وحده في كل مرة، وفي مرة سألته صاحبة الغنم: أين محمد؟ لماذا لا يجيء معك؟ فقال: زعم أنه يستحي، فقالت: ما رأيت رجلا أشد حياء، ولا أعف ولا... ولا... منه. [رواه الطبراني].

### لا تصافح النساء

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما مست يد رسول الله امرأة إلا امرأة يملكها (أي زوجته) وقال: «إني لا أصافح النساء» [رواه البخاري].

### حياء من الضيوف

وانظر إلى حياء النبي ﷺ مع ضيوفه عندما تزوج السيدة زينب بنت جحش بأمر من الله، وصنع وليمة العرس لأصحابه ودعاهم إلى طعامه، فمكث بعض الصحابة بعد الفراغ من الطعام مستمتعين بوجود النبي، ولكن النبي يريد أن يقوم إلى زوجه المنتظرة داخل البيت، والنبي يستحي أن يأمرهم بالانصراف، فخرج من البيت متعللا بالمرور على باقي زوجاته للاطمئنان عليهن، ثم يعود لعل الضيوف يدركون إشارته اللطيفة، حين يترك المنزل، والحياء يمنع النبي أن يطلب منهم الانصراف، وبعد فترة أدركوا وفتنوا أنهم يجب عليهم الانصراف فانصرفوا، فنزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا



دُعَيْتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴿٥٣﴾ [الأحزاب: ٥٣].

### قف واعلم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «استحيوا من الله حق الحياء» قلنا: يا رسول الله إنا نستحيى والحمد لله، قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى» [رواه الترمذي].

١- حفظ الرأس وما حوى يكون بالبعد عن سماع المحرمات كالغيبة والنميمة، وبالتفكير في الكون، وغض البصر.

٢- حفظ البطن وما حوى يكون بشكر الله على نعمه والالتزام بالسنة وتحري الحلال في المأكل والمشرب والامتناع عن كثرة الضحك.

٣- ذكر الموت والبلى يكون بتذكر أحوال الموتى والاعتاظ بهم.

### وصية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه: «أوصيك أن تستحي من الله تعالى كما تستحي من الرجل الصالح من قومك» رواه الطبراني.

وقال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك.

### إني استحييت من ربي

لما عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء فرض الله على أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة، وفي طريق العودة مر النبي صلى الله عليه وسلم على سيدنا موسى في السماء السادسة فراجعته حتى قال الرسول: «إني استحييت من ربي».

### ثلاث خصال

سئل أحد الصالحين عن معنى الحياء من الله، فقال: الحياء من الله يكون في ثلاث خصال:

أن تستشعر دوام إحسانه عليك مع إساءتك وتفريطك.  
وأن تعلم أنك بعين الله في متقلبك ومثواك.  
وأن تذكر وقوفك بين يدي الله ومساءلته إياك عن الصغيرة والكبيرة.

مالي لا أجزع؟!

لما احتضر الأسود بن يزيد النخعي بكى فقليل له: ما هذا الجزع؟

فقال: مالي لا أجزع؟! ومن أحق بذلك مني؟! والله لو أنبت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيًا منه.

إن الرجل في حضرة من يجلبهم ويحرص على استرضائهم يضبط سلوكه ضبطاً محكماً، فكيف تتصرف والله لا يغيب عنك أبداً؟ وفي الأثر: «استحي من الله كما تستحي من أولي الهيبة من قومك».

افرح مع الحياء

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «البكر تستأذن» قلت: إن البكر تستحي، قال: «إذها صماها» [رواه البخاري]، فيحفظ النبي لكل فتاة حياءها، ويجنبها مشقة الإفصاح عن الموافقة على الزواج صراحة، ويبين الاكتفاء بصمتها دليلاً على رضاها.

حياء وسط الرجال

عن صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفا فأتته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليوصلني إلى داري - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد- فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي أسرعوا.

فقال النبي: «على رسلكما إنما صفية بنت حيي».

فقالا: سبحان الله يا رسول الله!.

قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما

سوء» [رواه البخاري].

## لا للمزاحمة

نهى رسول الله ﷺ عن تزاحم المرأة بالرجال، فكان يأمر الرجال أن ينتظروا في المسجد حتى تخرج النساء، ويأمر النساء بالإسراع حتى لا يزاحمن الرجال، حتى أمر أن يكون للنساء باب خاص في مسجده.

ومن الآداب المشتركة في التعامل بين الرجال والنساء (جدية مجال اللقاء - اجتناب المصافحة - اجتناب الخلوة - اجتناب اللقاء الطويل - غض البصر - اجتناب المزاحمة - اجتناب مواطن الريبة).

## يشهدن الأعياد

أما عن حال المرأة في عهد الرسول ﷺ فقد كانت تشهد الجماعة والجمعة في مسجد الرسول ﷺ ويحثهن على أن يتخذن مكانهن في الصفوف الأخيرة خلف صفوف الرجال، وكان أكثرهم يعرفون السراويل ولم يكن بين الرجال والنساء أي حائل، وقال رسول الله: «لو أنكم جعلتم هذا الباب للنساء» وصار يعرف بباب النساء.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج في الفطر والأضحى: العواتق والحیض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين [رواه مسلم].

## تذكري غيرة زوجك

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه (قربة الماء) وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يجبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، و كنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعها رسول الله - على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثم قال: إخ إخ (كلمة تقال لإناخة البعير) ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير - وكان أغير الناس - فعرف رسول الله أنني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب، فاستحييت منه، وعرفت غيرتك، فقال: والله

لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني. [رواه البخاري].

### حياء سيدنا موسى والفتاتين

وجد سيدنا -موسى عليه السلام- امرأتين من مدين تمنعان غنمهما عن ورود الماء، ولا يلتفت لهما أحد، والأولى عند ذوي المروة والفترة السليمة أن تسقي المرأتان بأغنامهما أولاً وأن يفسح لهما الرجال، فتقدم للمرأتين ليسألهما عن أمرهما الغريب فأطلعتاه على السبب، إنه الحياء من مزاحمة الرجال، فالمرأة الحية، العفيفة الروح، النظيفة القلب، لا تستريح لمزاحمة الرجال، فثارت نخوة موسى فتقدم وسقى لهما ثم تركهما، وجاءه الفرج عندما جاءته إحدى الفتاتين على استحياء في غير ما تبذل ولا تبرج وفي هذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فِجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٣-٢٦].

وتأمل قوله تعالى: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ وكان الحياء قد تمكن منها، وتمكنت منه، وهو تعبير قرآني يصور حالة المرأة وما هي عليه من أدب جم، وخلق فاضل، وسمت كريم، وأعظم ما في خلق المرأة حياؤها، وهكذا تكون المرأة المسلمة.

ولبي موسى الدعوة، وقال لها: امشي خلفي فإن أخطأت الطريق فأشيرني إليه بمجرد تلقينه فيه، لأصحح المسار وأسلكه، حتى انتهى إلى بيت أبيها، وهكذا يكون الشاب المسلم حياً لا يسير خلف امرأة ينظر إلى عورتها، ولذلك من المظاهر التي تتنافى مع الحياء في عصرنا اليوم معاكسة الشباب للبنات في الشوارع وأمام المدارس، بل أصبحت البنت في بعض الأحيان تتلفظ مع الشباب بطريقة سيئة تحدث الفوضى ويضيع بينهما الحياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## أيها الشباب

هل من الرجولة أن تفخر أمام أقرانك بالتغريز بينات المسلمين والإيقاع بهن؟ هل هي شجاعة أن تدغدغ عواطف الغافلات القاصرات بمعسول الكلام وقصص الحب والغرام؟ هل التسلل لبيوت المسلمين في الليل أو إخراج الضعيفات من خدورهن بطولة حتى وإن عرضت هي أو بدأت - كما يقول البعض - فهي امرأة ضعيفة قاصرة، أما أنت فرجل، ومن العرب الذين يتصفون بالغيرة والشهامة والشجاعة والكرم، وأنت مسلم فيك إيمان وخوف، وهناك جنة ونار، أليست الحيوانية أن تشيع نهمتك وتقضي شهوتك؟ وإن كان الثمن العار والدمار لحياة ومستقبل فتاة مسلمة كان الأولى بأن تخاف على عرضها، وأن تدافع عن شرفها بدل تهديدها بالأشرطة المسجلة والصور التي تؤخذ في حالة الضعف واستسلام الهوى.

## أين النخوة؟!

سبحان الله! كيف يتبلد الإحساس ويرتكس القلب يوم يعرض عن الله؟ أين النخوة لحماية أعراض الفتيات؟ يا لصوص الأعراض أترضون هذا لأخواتكم؟ أترضونه لزوجاتكم؟ ألا تخافون أن يتقم الله منكم؟  
أسمعك تقول لي: إنني لم أفعل ما سبق.

أقول: ألسنت تطلق العنان للتفكير في الشهوة وتسترسل في رسم الصور والتخيلات؟ ألسنت تخرج للأسواق ومدارس البنات فتؤجج نار الشهوة في نفسك بإطلاق البصر هنا وهناك؟

ألسنت تنظر للمجلات التي تعرض صور النساء بتبرجهن وزينتهن وتتبع أخبار الساقطات وعرضهن بأبهى صورة بل وجعلهن قدوات لخروجهن عن تعاليم الإسلام وآداب الحشمة والعفاف، ألسنت فتى الأحلام وفارس الظلام الذي يرفع سماعة الهاتف لساعات طويلة لتخطط للحياة الوردية والسعادة الأبدية، وتلهب المشاعر وكأنك شاعر فتغزل بالعيون وتبث الشجن فتقع أسيرة الفؤاد وتحملها على الجواد وفي ضوء القمر يحلو السمر؟! كن حيا إذا كنت مؤمنا.

### حياء من الموتى

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي، فأضع ثوبي فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليّ ثيابي حياء من عمر» [رواه أحمد].

السيدة عائشة رضي الله عنها قدوة حسنة لأمهات المؤمنين ونساء اليوم، إنها تستحي من عمر بن الخطاب ؓ وهو ميت، فكيف بنساء اليوم لا يشعرن بالحياء من الأحياء؟! وترى المرأة تخرج عارية متبرجة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

### حياء يعجب النبي

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تباع النبي ﷺ فأخذ عليها ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين.. قالت: فوضعت يدها على رأسها حياء، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها». [رواه أحمد].

المرأة المسلمة لا تسمع كلمة تخدش حياءها، ولا تتلفظ بلفظ سيئ مع الشباب في المواصلات وفي الجامعات، وهذا هو حياء المرأة الذي أعجب به النبي ﷺ.

### أول نعش في الإسلام

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ رضي الله عنها لما مرضت مرض الموت، وكانت عندها أسماء بنت عميس تعودها قالت فاطمة: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء بعد موتهن، إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، وإني ساموت وأستحي أن أحمل في جنازتي على السرير ظاهرة أمام الناس، ويعرف الناس طولي وعرضي - وكانت النعوش لم تعرف بعد -.

فقالت أسماء: إني رأيت الناس في الحبشة يصنعون نعوشاً يحملون فيها النساء، لثلا يظهر منهن شيء، وبوسعي أن أصنع لك واحداً تحمليين فيه.

فقالت فاطمة: فأرينيه، فأتت أسماء ببعض من جريد النخل الرطب وجعلت على السرير نعشاً، فتبسمت فاطمة وقالت: ما أحسن هذا وأجمله!!

يقول ابن عباس: وما رأيتها مبتسمة بعد أبيها إلا يومئذ، وكانت رضي الله عنها أول من حملت في نعش في الإسلام. [رواه الحاكم].

فأين نحن من نساء اليوم؛ المرأة تخرج متبرجة لا تستحي من الله ولا من الناس؟

صوني حياءك صوني العرض لا تهني      وصابري واصبري لله واحتسي  
إن الحياء من الإيمان فاتخذي      منه حليك يا أختاه واحتجي

### براءة موسى

يروى أن بنو إسرائيل كانوا إذا اغتسلوا، اغتسلوا عراة أمام الناس ينظر بعضهم إلى بعض دون حياء، وكان الحياء يمنع نبي الله موسى عليه السلام أن يفعل فعلهم، فكان يغتسل بمفرده بعيدا عن أعين الناس، فادعى قومه أنه إنما يفعل ذلك لعيب به، وأراد الله أن يبرئ نبيه مما قالوا، فلما ذهب موسى يغتسل، اقترب من أحد الأحجار، ثم نزع ثوبه ووضعها على الحجر، فلما انتهى وذهب ليلبس ثوبه، أخذ الحجر الثوب وجرى، فأمسك موسى عصاه وانطلق يجري خلف الثوب وهو يقول: ثوبي يا حجر.. ثوبي يا حجر، حتى وصل إلى جماعة من بني إسرائيل، فرأوه عريانا، ورأوا جسده في أحسن صورة، ليس به عيب، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فأخذ موسى يضرب الحجر بعصاه، حتى علم الضرب في الحجر، وعلم بنو إسرائيل أن موسى يغتسل وحده لأنه شديد الحياء.

وهكذا المسلم لا يخلع ملابسه أمام أحد ولو كانوا إخوة صغارا لشعوره بالحياء، ولا ينظر إلى عورة أحد أبدا لخوفه من ربه.

ومما يتنافى مع الحياء في عصرنا: ارتفاع صوت المذيع بالأغاني الهابطة، وتدخين الرجال والنساء، وفترينات الملابس نجد بها قمصان النوم الخاصة بالنساء، وعرض الملابس الداخلية بعد غسلها أمام الناظرين من الخارج، وعرض صور خليفة على غلاف المجلات.. ونسأل الله السلامة.

### الفقير والحياء

كان أبو هريرة رضي الله عنه فقيرا، وذات يوم اشتد عليه الجوع، فخرج إلى الطريق بحثا عن طعام، فمر عليه أبو بكر فاستحيا أبو هريرة أن يخبره، فسأله آية في كتاب الله فرمما يستضيفه، فأجابه أبو بكر ﷺ عن مسأله، وانصرف، ثم مر عليه عمر ابن الخطاب ﷺ فسأله أبو هريرة عن آية ربما يستضيفه، فأجابه وانصرف، ثم مر الرسول ﷺ فعرف ما في

نفسه، فأخذه وأمره أن يحضر أهل الصفة (جماعة من فقراء المسلمين في المسجد) فجاء بهم وشربوا عشرة عشرة ثم شرب.

والحياء يكون مع الفقير فلا يسأل الناس شيئاً؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان، والتمررة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس» [متفق عليه].

فالفقير لا يسأل الناس شيئاً وإنما يجتهد في أي عمل ليحصل على قوته بدلا من أن يسأل الناس، ولا تحمل الصدقة للغني ولا للقوي، ومن حق ولي الأمر أن يؤدب كل صحيح قادر على التكسب يريد أن يعيش عائلة على المجتمع، متخذاً من سؤال الناس حرفة له.

عن أنس بن مالك ؓ أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله شيئاً فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، جلس نلبس بعضه ونسبط بعضه، وقعب (كوب) نشرب فيه الماء. قال ﷺ: «أتني بهما.. فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا أخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: أنا أخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال ﷺ: «اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه إلى أهلك، واشتر بالأخر قدوماً فأتني به.. فشد رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له: «أذهب فاحتطب وبع.. ولا أرينك خمسة عشر يوماً»، فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وبعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة؟ إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع (شديد)، أو لذي غرم مفظع (دين ثقيل) أو لذي دم موجه (الدية الباهظة).» [أصحاب السنن].

### مواقف لا تتنافى مع الحياء

النساء قلن صراحة للنبي ﷺ: «يا رسول الله، قد غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك» فوعدهن يوماً، فلقينهن فيه ووعظهن وأمرهن. [رواه البخاري].

وقالت أم عطية رضي الله عنها: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى» [رواه مسلم].

فيجوز للمرأة المشاركة في الأعمال العامة ومجالس العلم، والاستماع إلى المحاضرات



مع عدم الاختلاط بالرجال.

وعن أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال صلى الله عليه وسلم للنساء: «استأخرون فليس لكنن أن تحتضن الطريق، عليكن بحافات الطريق» فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به. [رواه أبو داود].

فأين الحجاب الشرعي في عصرنا؟ ترى ماذا سيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الاختلاط بين الرجال والنساء في مجتمعنا، هل سيشفع لنا، أم سيقول: سحقا سحقا؟! فيجب على المسلم أن يراعي آداب الطريق ولو كان مع زوجته ولا يتحدث معها بصوت مرتفع في الأمور الخاصة بهما أمام الناس.

#### الحياء يمنع من الكذب

ذهب أبو سفيان بن حرب ومعه بعض القرشيين إلى الشام للتجارة، فأرسل إليهم هرقل ملك الروم يطلب حضورهم، فلما جاءوا إليه قال لهم: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا، فقال هرقل: أدنوه مني واجعلوا أصحابه خلفه، ثم قال لهم: إني سائل هذا الرجل، فإن كذبتني فكذبوه، فقال أبو سفيان: لولا الحياء أن يروا علي كذبا لكذبت. فأخذ هرقل يسأله عن صفات النبي ونسبه وأصحابه وأبو سفيان لا يقول إلا صدقا حياء.

المسلم الحي لا يكذب أبدا، لأن الكذب نقيضة تتنافى مع الحياء، وتأمل في موقف أبي سفيان؛ لم يكذب مع أنه مشرك.

#### حياء في الحرب

في غزوة الخندق والمسلمون محاصرون تقدم عمرو بن عبد ود، ونادى على المسلمين كي يبارزه أحد، فتقدم له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودارت بينهما مبارزة شديدة فسقط عمرو قتيلًا، فأخذ المسلمون يكبرون، وعاد علي إلى المسلمين فقال له عمر: هلا سلبته درعه؛ فإنه ليس في العرب درع خير منها؟ فقال علي: إني حين ضربته استقبلني بسواته فاستحييت أن أستلبه.

المسلم الحي لا ينظر إلى عورة أحد مهما كان، ويغض بصره عن الحرام.

أما تستحي من نفسك؟!

قال رسول الله ﷺ « ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعلنه بنفسك إذا خلوت »  
[رواه ابن حبان].

وكان عثمان ؓ يغتسل في بيت مظلم حتى لا يرى عورة نفسه.

أما تستحي من نفسك من سمعك وبصرك وجلدك؟! ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

إلى متى؟!

يا أسير دنياه، يا عبد هواه إلى متى؟! إلى أن يفجأك الموت على غفلة منك، ربما وأنت تنتقل من قناة إلى قناة أو وأنت ممسك بسماعة الهاتف أو ترضى أن تموت وأنت تسمع الغناء؟! وأنت تفكر في الزنا؟!

إلى متى وأنت بين هذه القاذورات؟! أين عقلك؟! أين غيرتك؟! أين العزيمة؟! أين الصبر؟! أين الرجولة؟! أين دينك؟!

عابت قلبى لما رأيت جسمي نحىلا

فلام قلبى طرفي وقال: كنت الرسولا

فقال طرفي لقلبي: بل كنت أنت الدليلا

فقلت: كفا جميعا تركتmani قتيلا

كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا

عن أنس بن مالك ؓ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال ﷺ « هل تدرون مم أضحك؟ »

قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: « من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهدا مني، قال: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيحتم على فيه، فيقول لأركانه: انطقي، فنطق بأعماله، قال: ثم يخلي بينه وبين الكلام.

قال: فيقول: بعدًا لكنَّ وسحقًا فعنكن كنت أناضل».

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَّا تُفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال رسول الله ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه ملك ساجد يسبح الله ويمجده» [رواه الترمذي].

والعبد متى علم أن الرب تعالى ناظر إليه أورثه هذا العلم حياء منه، يجذبه إليه احتمال أعباء الطاعة، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده فإنه يكون نشيطا فيه، متحملا لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده إليه، ومحبة لسيده، بخلاف ما إذا كان غائبا عن سيده، والرب تعالى لا يغيب نظره عن عبده ولكن يغيب نظر القلب والتفاتة إلى نظره سبحانه إلى العبيد.

### صوفي مجتمعا تتنافى مع الحياء

١- لاعب يسب زميله أثناء المباراة ويخلع الثياب أمام الجمهور.

فقد خرج عبد الله بن الحرث ومعه أحد أصحابه يوما من البيت وبينما هما يسيران إذ وجدا فتية من قريش، قد خلعوا ثيابهم وأصبحوا عراة ولف كل واحد منهم ثوبه على شكل حبل، وأخذ يضرب بعضهم بعضا، ويضحكون ويمزحون. فلما رأوا عبد الله وصاحبه، لم يهتموا بهما وظلوا على حالهم دون حياء، ثم مر بهم رسول الله فلما رآوه تفرقوا وأسرع كل منهم يخبئ حتى لا يراه رسول الله، فغضب النبي ودخل بيته وهو يقول: «سبحان الله! لا من الله استحيوا ولا من رسوله استتروا» وكانت أم أيمن جالسة ترى الغضب على وجه رسول الله فقالت له: استغفر لهم يا رسول الله، فلم يستغفر لهم - لقله حيائهم - إلا بعد إلحاح شديد.

٢- معاكسة البنات في الشوارع.

٣- الغش في الامتحانات.

### كيف تكتسب صفة الحياء؟

١- احفظ سمعك عن أسرار الجيران.

٢- صم أذنك عن الغيبة والنميمة.

- ٣- اصدق في أقوالك في كل الأحوال.
- ٤- التزم الجدية في الحديث مع غير المحارم.
- ٥- لا تنطق بلفظ يחדش الحياء.
- ٦- ابذل ما في وسعك لشكر نعم الله عليك.
- ٧- لا يتحرك قلبك بحسد تجاه أحد من الناس.
- ٨- تحر الحلال في مأكلك ومشربك وفي كل معاملاتك.
- ٩- أكثر من ذكر الموت في اليوم واللييلة.
- ١٠- حسن معاملاتك مع الناس.
- ١١- استشعر هوان الدنيا عند زيارة المريض.
- ١٢- على المرأة المسلمة ترتدي الحجاب.
- ١٣- مقاطعة المنتجات التي بها صور تجرح الحياء.
- ١٤- غض البصر.
- ١٥- عدم مزاحمة الرجال للنساء والنساء للرجال في المواصلات والأسواق.
- ١٦- عدم الوقوف في مواجهة الباب عند فتحه.
- ١٧- التزام الوقار أثناء السير في الطريق.
- ١٨- عدم الأكل ومضغ اللبان في الطريق وإلقاء قشر اللب في الشارع.
- ١٩- خفض الصوت عند الضحك.
- ٢٠- عدم إظهار الضيق من الضيوف مهما أثقلوا.
- ٢١- عدم جلوس النساء بجوار الرجال، ووضع حاجز بينهما إذا اضطررا للجلوس متجاورين.
- ٢٢- عدم شراء النساء الملابس الداخلية من رجال، وكذلك الرجال لا يشترونها من نساء.
- ٢٣- التزام الجدية عند الرد على التليفون.

- ٢٤- عدم الإخبار بشيء قبيح رأيته.
- ٢٥- عدم نشر الملابس الداخلية بعد الغسل على الجبال في الخارج فيراها الناس.
- ٢٦- عدم خلع ملابس الولد أمام أحد ولو كان أخاه.
- ٢٧- عدم مصافحة البنات للبنين.
- ٢٨- تعويد الولد أن يغار على أخته ويخرج معها لتوصيلها ولا يتركها وحدها.
- ٢٩- عدم الدخول على من يأكل إلا بغير قصد.
- ٣٠- الاستئذان عند الدخول خاصة على الوالدين.
- ٣١- الغضب عند رؤية المنكرات.
- ٣٢- إذا اضطرت الفتاة للحديث مع أحد الرجال فلتغلف حديثها بالحياء.

\*\*\*

## الوفاء

الوفاء: خلق من أخلاق الإسلام التي يحرص عليها المسلم، والوفاء هو ثبوت الإنسان على قوله وفعله، يقول الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] والله تعالى عليم لا يظلم أحداً، فقد كتب الوفاء على نفسه، وأمر به الناس حيث يقول: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

ويدور الحديث عن صور الوفاء وهي: مع الله، مع الرسول ﷺ، مع الوالدين، مع الزوج، مع الزوجة، مع الناس، مع الأعداء.. ونسأل الله أن نكون من الأوفياء الأتقياء.

### من صور الوفاء

الوفاء مع الله:

كان جليبيب رضي الله عنه رجلاً من الموالي الذين استجابوا لنداء الله ورسوله، فأسلم وحسن إسلامه ولقد بلغ من حب رسول الله ﷺ له أنه خطب له بنفسه امرأة من الأنصار. ولم يطل المقام بجليبيب بعد زواجه حتى دعا داعي رسول الله ﷺ للجهاد، فاندفع جليبيب يلي النداء وفاء مع الله ورسوله ﷺ.

فلما انجلت المعركة عن نصر مؤزر للمسلمين، طفق الرسول ﷺ يستطلع أحوال الجند، ويتفقد جرحاهم وشهداءهم، فسأل أصحابه: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: بلى يا رسول الله، نفقد فلانا، وفلانا، وفلانا فأعاد، الرسول ﷺ القائد السؤال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: بلى يا رسول الله، نفقد فلانا، وفلانا، وفلانا، وظل يكرر سؤاله، والمسلمون يجيبونه حتى لم يبق بين المسلمين من يفتقدونه، فقالوا: لا نفتقد بعد الآن أحداً يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: «أما أنا فأفتقد جليبيب، هلموا معي نبحث عن جليبيب»، فانطلقوا فإذا بجليبيب ينزف دماً غزيراً، وقد فاضت روحه إلى بارئها، ونظروا، فإذا من حوله سبعة من صناديد الكفار قد جندلهم قبل أن يردوه شهيدا في سبيل الله.

ووقف الرسول ﷺ فوق جسد جليبيب يدعو له بخير، ويقول: «جزاك الله خيرا يا جليبيب، قتلت سبعة قبل أن يقتلوك»، ثم وضعه على ساعديه وهو يقول: «هذا مني، وأنا منه»، ثم أمر فحفر له، ووسده الرسول القائد في قبره بيديه الشريفتين، وفاء له.

من الوفاء أن تذكر ماضيك:

عن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال: البقر هو شك في ذلك إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر - فأعطي ناقه عشراء فقال: يبارك لك فيها، وأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا، قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطي بقرا حاملا وقال: يبارك لك فيها، وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلى بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا فأنتج هذان ووُلد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين تقطعت بي الجبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصا يقدرك الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الجبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» [رواه البخاري].

إذا رأيت فقيرا فتذكر ففرك في الأيام السابقة واحمد ربك وقف بجانبه.

صدق في الوفاء: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمه أنس بن النضر غاب عن بدر فقال: غبت عن أول قتال النبي صلى الله عليه وسلم، لئن أشهدني الله مع النبي صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أجد، فلقي يوم أحد فهزم الناس، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فلقي سعد بن معاذ، فقال: أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد، فمضى فقتل، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو بينانه وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم» [رواه البخاري].

قال أنس: كنا نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

المسلم صادق في حبه للشهادة فهو يعمل لها ليل نهار حتى يرزقه الله إياها.

وفاء الأنصار مع الرسول:

قال عوف بن مالك رضي الله عنه: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فبسطنا أيدينا فقلت: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا»، وأسر كلمة خفية، قال: «ولا تسألوا الناس شيئاً»، قال عوف بن مالك: فقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه [رواه مسلم].

الوفاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم يكون باتباع سنته والتخلق بأخلاقه والافتداء به والدفاع عن دينه وعقيدته.

وفاء زياد بن السكن:

لما اشتد القتال في أحد، وتكاثر سيوف المشركين ورماحهم من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، وتزلزل المسلمون من حوله، نادى عليه السلام بمن بقى من حوله من المسلمين: «ألا من يشري لنا نفسه؟» فهب إليه زياد بن السكن رضي الله عنه في خمسة من الأنصار، فجعلوا يقاتلون دون رسولهم القائد صلى الله عليه وسلم فيستشهدون دونه رجلاً بعد آخر، وزياد بن السكن صامد كالطود الأشم، يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أثختته الجراح، فوقع على الأرض لا يقوى على الحراك، بعد أن جعل جسده سوراً يحمي رسوله القائد.



وإذ ذاك أقبلت فئة من صناديد المسلمين يذبون عن رسولهم القائد، فأزالوا المشركين من حوله، وفرقوهم، فالتفت الرسول ﷺ نحو زياد بن السكن، فإذا به رمتق من حياة، فقال ﷺ: «أدنوه مني»، فأدنوه، فوسده الرسول ﷺ على فخذه، فما لبث ﷺ أن مات وخذه على فخذه رسول الله ﷺ والرسول ﷺ لا يفتر يدعو له، رضي الله عنهم أجمعين.

تحيل نفسك في هذا الموضوع، ماذا كنت ستفعل إذا فر صحابة الرسول ﷺ عنه؟ هل ستدافع عن الرسول ﷺ أم تفر معهم؟

بعد وفاته ﷺ:

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال لي النبي ﷺ: «لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثاً»، فلم يقدم حتى توفي النبي فأمر أبو بكر منادياً فنادى: من كان له عند النبي عدة أو دين فليأتنا فأتيته فقلت: إن النبي ﷺ وعدني فحشى لي ثلاثاً [رواه البخاري]. وهكذا وفي أبو بكر ﷺ بوعد النبي ﷺ حتى بعد وفاته، ولما كان رسول الله ﷺ أولى الناس بالوفاء أدى أبو بكر مواعيده عنه.

وكذلك فعل عمر بن الخطاب ﷺ مع سراقه بن مالك ﷺ، ففي حادثة الهجرة اتبع سراقه النبي ﷺ وأبا بكر فقال له النبي ﷺ: «عد يا سراقه ولك سوارا كسرى» وقبض النبي ﷺ وفي خلافة عمر بعد فتح المدائن جاء سوارا كسرى لعمر فنادى سراقه وألبسه إياهما وقال: هذا ما وعدك به رسول الله. إنه الوفاء لما وعد به الرسول ﷺ.

وفاء حكيم بن حزام:

عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: «يا حكيم إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى».

قال حكيم: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ (أسأل) أحدا بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين إنني أعرض عليه

حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم (يرزأ يسأل) حكيم أحدا من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي رحمه الله [رواه البخاري].

لقد كان حكيم وفيما مع الرسول ﷺ حتى بعد مماته،  
فلم يقبل مالا من أي خليفة.

#### الوفاء مع الزوجة:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما غرت من أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها (على الرغم من أنها كانت ميتة) ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يعيئها في صدائق خديجة (أي صديقاتها) فرمما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنما كانت وكانت وكان لي منها ولد» [رواه البخاري].

أخي الزوج: كن وفيما مع زوجتك في حياتها وبعد موتها، ومن الوفاء أن تفتح لها قلبك لتسكن فيه وترى الترحاب في عينيك وفي امتداد ذراعيك، وأن تهتم بها أكثر من عملك وأن تعرف مفتاح قلبها.

#### الوفاء مع الزوج:

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن»، قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود، فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد (كناية عن قلة المال) وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فاتته فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عني، وإلا صرفتها إلى غيركم، فقالت: فقال لي عبد الله: بل أئتيه أنت، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار يباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، وكان رسول الله ﷺ قد ألقى عليه المهابة، فخرج علينا بلال، فقلنا له: أئت رسول الله فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟ ولا تخبره من نحن. قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله، فقال له رسول الله: «من هما؟» فقال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: «أي الزيناب؟» قال: امرأة عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: لهما أجران: «أجر القرابة، وأجر الصدقة» [رواه مسلم].

أختي المسلمة: من الوفاء مع الزوج أن تجددي عزمه وثقته بنفسه، فكثيرا ما تهتز هذه الثقة نتيجة لما يحدث على أرض الواقع وظروف الحياة وضغوطها المستمرة، فلا تزيد من الضغوط عليه فيموت قهرا.

سيدنا موسى:

عندما وصل موسى عليه السلام إلى مدين بالشام، شاهد زحاما كبيرا من الناس على بئر يسقون منها أغنامهم، وبعيدا عن البئر، رأى فتاتين، تنتظران حتى ينتهي الزحام فتسقىا أغنامهما، فتطوع موسى، وسقى لهما، فلما عادت الفتاتان إلى المنزل، عرف أبوهما الشيخ الكبير بما فعله موسى، فأرسل إحداهما إليه تدعوه لمقابلته، حتى يكافئه على ما صنع، فلما حضر موسى شكره الأب، وعرف منه قصة فراره من فرعون ومجيئه إلى مدين، فطمأنه الأب، واستضافه وأكرمه، وعرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه مقابل أن يعمل عنده ثمانية أعوام، وإن شاء أكملها عشرة.

فوافق موسى، وقضى الأعوام العشرة على بعض الأقوال فوفى بوعده على خير وجه، وبعدها عاد بزوجه إلى مصر.

فمن الوفاء الالتزام بشروط العقد في الشركة، وإتقان العمل.

الوفاء مع العلماء:

صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة، ثم أراد أن يركب بغلته، فجاء عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وأمسك الركاب الذي يضع فيه الراكب قدمه ليساعد زيدا على الركوب، فقال زيد: خل عني يا ابن عم رسول الله، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده وقال: وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

شهادة وفاء:

أرسل الإمام حسن البنا سنة ١٩٤٥م رسالة إلى الشيخ محمد الغزالي يشكره فيها على مقالاته التي تنشر، فقال له: «أخي العزيز الشيخ محمد الغزالي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، قرأت مقالك «الإخوان المسلمون والأحزاب» فطربت لعبارة الجزلة، ومعانيه الدقيقة، وأدبك العف الرصين، هكذا يجب أن تكتب، اكتب دائما وروح القدس

يؤيدك، والله معك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

هل فكرت يوماً أن ترسل رسالة شفوية أو مكتوبة إلى صاحب كتاب، أو خطيب جمعة، أو مقال أعجبك، وترى أنه كان سبياً في توعية المسلمين؟

أوفى من السموأل:

أراد الشاعر العربي الشهير امرؤ القيس الكندي أن يذهب إلى قيصر الروم، وكان عنده عدد كبير من الدروع والأسلحة، فأعطاهما لرجل يقال له السموأل، فلما مات امرؤ القيس أرسل إليه ملك كندة يطلب الأسلحة والدروع، فرفض السموأل، وقال: إما أن أعطيها لابنته أو ورثته، فأرسل الملك إليه مرة أخرى فرفض حفظاً للأمانة ووفاء بالوعد، فخرج إليه ملك كندة بعسكر كثير، فدخل السموأل حصنه، وكان ابنه خارج الحصن، فأمسك به الملك، وهدده إما أن يسلم الدروع والأسلحة، وإما أن يقتل ابنه، فاطلع إليه من الحصن، وقال له: اصنع بابني ما تشاء فلن أغدر بالعهد، ولن أخون، فقتل الملك ابن السموأل، وانتظر السموأل حتى جاء ورثة امرئ القيس، وأعطاهم الدروع والأسلحة ووفى بما وعد، وضربوا به المثل في الوفاء وقالوا: «أوفى من السموأل».

إنه الوفاء بالعهود وإن كان فيه قتل للذرية.

وفاء مع الكفار:

في العام السادس الهجري، عقد المشركون مع المسلمين صلح الحديبية، وكان من شروط الصلح أنه إذا أسلم أحد من المشركين، وذهب إلى الرسول ﷺ رده إلى قومه. وبعد عقد الصلح مباشرة، جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ﷺ وأعلن إسلامه، فلما رآه أبوه قام إليه وعنفه، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يرد أبا جندل تنفيذاً لروابط الصلح، فوافق. فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني؟ فأخبره الرسول ﷺ بالعهد الذي أخذه على نفسه، وأنه يجب عليه الوفاء به، فقال: «يا أبا جندل، اصبر و احتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، وإننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا».

(١) أعلام الحركة الإسلامية، المستشار العقيل.

ردوا إليهم الجزية:

عندما جمع الروم حشودهم على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، كتب أبو عبيدة رضي الله عنه إلى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها، يأمرهم أن يرجعوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: إنما ردنا عليكم أموالكم، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد ردنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم أموالهم التي جبيت منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم «أي الروم» فلو كانوا هم ما ردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً.

عمر والهرمزان:

وقع الهرمزان الفارسي في الأسر، وجاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعرف الهرمزان أنه يحكم عليه بالقتل لما فعله من حرب المسلمين، فطلب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يطلب له ماء يشربه، فلما أتى الماء، قال الهرمزان للخليفة: آخذ عليك عهداً، ألا تقتلني ما دام الماء معي، فقال له أمير المؤمنين: لك ذلك، فقال الهرمزان: فوالله لا أترك الماء ولا أشربه، فخلى عمر سبيله وفاء بوعده. وهكذا المسلم يكون وفيًا مع أعدائه في العهود.

أبو حنيفة:

من مظاهر الوفاء وفاء أبي حنيفة لشيخه، فلقد كان يدعو لشيخه حماد مع أبويه في كل صلاة يصلّيها، وكان يحفظ له وده، ويذكره دائماً ويترحم عليه، ولا ينسى له فضله، لم يسهل على أبي حنيفة أبداً أن ينسى شيخه وأستاذه حماداً، فأقام على شرعة الوفاء له، يذكره بالخير، ويثني على فضله، وينوه بأثره فيه، ويدعو له، حتى قال أبو حنيفة: ما صليت قط إلا ودعوت لشيخي حماد ولكل من تعلمت منه علماً أو علمته، وفي رواية: ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإنّي لأستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً<sup>(١)</sup>.

(١) الإمام أبو حنيفة ٢٨٨ .

وعود اليهود: من طبيعة اليهود نقض العهود وعدم الوفاء بها، قال تعالى: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٠] وقال أيضا: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الأنفال: ٥٦].

أخلف اليهود عهودهم مع النبي ﷺ، منهم بنو قينقاع، فقد ازداد غيظهم على المسلمين بسبب انتصارهم في بدر فما لبثوا أن أثاروا في المدينة قلقا واضطرابا، وفي يوم من الأيام جاءت امرأة من العرب وقدمت على صائغ يهودي فجعل يراودها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سواتنها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشد اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، وعلم رسول الله ﷺ فاستخلف على المدينة أبا لبابة وأعطى اللواء حمزة وسار إلى بني قينقاع الذين تحصنوا بمحصونهم حتى أجلاهم النبي ﷺ، فهل يعقل أن نعقد معهم عهدا بعد اليوم، وهم سادة في نقض العهود؟ أهم أصدق أم الله الذي خلقهم، وكشف لنا عن صفاتهم الدنيئة ومنها نقض العهود؟ فلن تحرر فلسطين إلا بالجهاد والتضحية.

### وفاء نحو فلسطين

حاول اليهود عن طريق زعيمهم الماكر «هرتزل» استمالة السلطان عبد الحميد الثاني، حتى يسمح لهم بإقامة وطن لليهود في فلسطين، فعرضوا عليه مبلغا ضخما من المال، مقابل أن يصدر السلطان قرارا يسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين، والتوطن فيها، وهنا ظهر وفاء السلطان عبد الحميد الثاني وقال قوله الخالدة التي سجلها التاريخ: «لست مستعدا لأن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد، فهي ليست ملكي، بل هي ملك لشعبي، روى ترابها بدمه، وليحتفظ اليهود بأموالهم، ولن يستطيعوا أخذ فلسطين إلا عند تشريح جثتي، وساعتها يأخذونها بلا ثمن، أما وأنا على قيد الحياة فلا».

وهكذا يكون الوفاء لأرض فلسطين بعدم نسيان القضية، وعدم الموافقة على التفريط فيها، وتوعية الناس بأهمية المقاطعة الاقتصادية للمنتجات اليهودية.

## الكرم والإنفاق

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

الإنفاق في سبيل الله من شروط التيسير في هذه الحياة، تيسير الرزق، تيسير الشفاء، تيسير الفرج؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «فإن ماله ما قدم وماله وارثه ما آخر» [رواه البخاري].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمر» [رواه البخاري].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» [رواه البخاري].

### وقفه قرآنية

يقول سيد قطب عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]:

«فهم ثابتون على البذل، ماضون على المنهج، لا يغيروهم السراء ولا يغيروهم الضراء، السراء لا تبطروهم فتلهيهم، والضراء لا تضجرهم فتسيهم، إنما هو الشعور بالواجب في كل حال، والتحرر من الشح والحرص، ومراقبة الله وتقواه، وما يدفع النفس الشحيحة بطبعها، المحبة للمال بفطرتها، ما يدفع النفس إلى الإنفاق في كل حال، إلا دافع أقوى من شهوة المال، وربقة الحرص، وثقله الشح.. دافع التقوى، ذلك الشعور اللطيف العميق، الذي تشف به الروح وتخلص، وتنطلق من القيود والأغلال»<sup>(١)</sup>.

(١) في ظلال القرآن (١/٤٧٥).

### كرم الرسول ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها [رواه مسلم].

عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «بقي كلها غير كتفها» [سنن الترمذي] ومعناه: تصدقوا بها إلا كتفها، فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها.

### الكريم

الكريم من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

فالكريم هو كثير العطاء والإحسان من غير طلب ولا سؤال، بخلاف السخي فإنه المعطي عند السؤال، وهو - عز وجل - إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء.

قال الجنيد:

الكريم الذي لا يجوجك إلى وسيلة.

وقال الحارث المحاسبى: الكريم الذي لا يبالي من أعطى.

وقيل: الكريم الذي يعطي من غير منة.

وقيل: الكريم هو الذي لا يؤيس العصاة من قبول توبته عليهم من غير مساءلتهم.

من مظاهر كرمه سبحانه أنه يتدنى بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير سؤال، وإن من كرم عفوهُ أن العبد إذا تاب عن السيئة محامها عنه وكتب له مكانها حسنة، ومن كرمه أنه في الدنيا يستر ذنوبهم ويخفى عيوبهم، فهو تعالى الذي جمع الكمال كله وتنزه عن أدنى شوائب النقص.



وقد أشارت آيات من القرآن إلى وصف الرزق بالكرامة فقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سبا: ٤] كما وصف الله تعالى القول بالكريم فقال تعالى: ﴿وَبَالُوا الَّذِينَ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي لينا سهلا، كما وصف كتاب سليمان إلى ملكة سبأ في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ الْقِيِّ إِيَّيْ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٩، ٣٠] ووصف الله به الديار فقال عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [٢٥، ٢٦] ووصف به ألوان النبات فقال تعالى: ﴿فَأَلْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠] وكرامة أزواج النبات في نفاستها ومنفعتها وقيمتها.

وكما وصف الحق عز وجل جانباً من مخلوقاته بالكريم تجده عز وجل ينفيا عن بعض مخلوقاته كقوله تعالى في وصف الجحيم: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ۖ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤] وكرامة الظل في الروح المنعش الذي يذهب كرب الحر، ومن مظاهر كرمه أن جعل الدنيا ملكا للعباد فقال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وكذلك جعل الآخرة ملكا لهم فقال تعالى: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ومن كرمه أنه سخر للإنسان ما في السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] كما أن المولى عز وجل يضاعف الثواب للمتقين في سبيله أضعافا مضاعفة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَبَابِلَ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] وقد تصل الزيادة في الثواب بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

والكرم قسمان:

مادي وخالقي؛ فالمادي هو إطعام الطعام وكسوة الأيتام وصلة الأرحام، والخالقي هو العفو عن الجاني وإن تكررت الإساءة، وستر عورة الإخوان.

وللكرم فضل كبير، وفائدة عظيمة للفرد والمجتمع، فالكريم يحبه الله تعالى ويحبه

الناس، وكل نعمة ينفق صاحبها منها ابتغاء وجه الله تعالى يبارك له فيها، يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] (١).

## أنواع الكرم

### ١- الكرم مع النضس بدون إسراف

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣١].

ويروى أن الإمام أحمد بن حنبل كان يلقي درسا على بعض الناس، فرأى من بينهم رجلا يلبس ثيابا قديمة، فلما انتهى من دروسه وانصرف الناس، ناداه الإمام أحمد وقال له: ارفع هذا المصلى تجد تحته ألف درهم، خذها وأنفق بها على نفسك، وأصلح بها أحوالك، فأخبره الرجل أنه غني، لا يحتاج إلى هذا المال، فغضب منه الإمام أحمد وقال له: أما سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» [الترمذي].

### ٢- إكرام الضيف

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» [رواه البخاري].

### عجب الله من صنيعكما

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: إني مجهود.

فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فأرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك.

فقال ﷺ: «من يضيف هذا الليلة رحمه الله».

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني.

(١) النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى - الكرم.

قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفتي السراج وأريه أنا نأكل. فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه.

فقعدها وأكل الضيف فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ فقال: «قد عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة» وقد ذكرت بعض المراجع أن هذا الصحابي هو: أبو طلحة الأنصاري وامراته أم سليم رضي الله عنهم جميعاً.

### ٣- إكرام الصديق

يحكى أن رجلاً ذهب يطلب مساعدة من صديق له فأعطاه الرجل كل ما معه من مال، وبعد أن انصرف رأت الزوجة على وجه زوجها (الذي أعطى) علامات الضيق والحزن، فقالت له: هل ندمت على ما أعطيت صديقك من مال؟ فقال لها: إني حزين لأنني لم أسأل عنه منذ زمن بعيد، ولم أتفقد أحواله، حتى احتاج أن يسألني.

وكان طلحة بن عبيد الله تاجراً واسع التجارة عظيم الثراء، فجاءه ذات يوم مال من «حضر موت» مقداره سبعمائة ألف درهم، فبات ليلة وجلاً جزعاً محزوناً، فدخلت عليه زوجته أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وقالت: ما بك يا أبا أحمد؟ لعله رابك من شيء. فقال: لا، ولنعم حليلة الرجل المسلم أنت، ولكن تفكرت منذ الليلة وقلت: ما ظن رجل بربه إذا كان ينام وهذا المال في بيته؟

قالت: وما يغمك منه؟ أين أنت من المحتاجين من قومك وأخلائك؟ فإذا أصبحت فقسمة بينهم.

فقال: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق. فلما أصبح جعل المال في صرر وجفان، وقسمه بين المهاجرين والأنصار<sup>(١)</sup>.

### خزيمة وعكرمة

كان خزيمة مشهوراً بين الناس بالكرم وعمل المعروف مع أصدقائه وكل من يقصده، وإذا طلب أحدهم منه شيئاً قدمه له راضياً مهما كانت قيمته.

(١) صور من حياة الصحابة ٤٨٦.

وظل خزيمة على هذا الأمر حتى فني ماله وساءت حالته، وكان خزيمة رجلاً عزيز النفس لا يريد أن يمد يده ليطلب مساعدة من أحد، فأغلق عليه بابه، وأقام مع زوجته وأولاده يعيشون على ما بقي عندهم من طعام ومال.

علم عكرمة - والي البلاد - بما وصلت إليه حال خزيمة من فقر وحاجة، فأسف لذلك، وقال: كيف يعيش في فقر وشدة من كان في يوم من الأيام يكرم الناس من ماله وطعامه؟! وعندما جاء الليل، أخذ عكرمة أربعة آلاف درهم، ووضعها في كيس، وخرج من بيته سرا وقد أخفي شكله، وسار في الظلام حتى وصل إلى بيت خزيمة، وطرق الباب، فلما خرج إليه خزيمة ناوله عكرمة الكيس، وقال له: أصلح بهذا المال أحوالك.

تناول خزيمة الكيس فوجده ثقيلًا مملوءًا بالدرهم، فوضعه على الأرض وأمسك بتلابيب عكرمة وسأله: من أنت؟ أخبرني.

فأجابه عكرمة: ما جئتك في هذه الساعة المتأخرة من الليل لتعرفني، إنما حضرت لأعطيك هذا الكيس وكفى.

فقال خزيمة: وأنا لن أقبل هذا الكيس حتى تعرفني بنفسك وتخبرني من أنت.

قال عكرمة: إذا كنت مصمماً على معرفتي فأنا منقذ الكرام من غدر الأيام، وأسرع عكرمة بالانصراف، ودخل خزيمة على زوجته يبشرها بخبر المال الذي جاءهما من منقذ الكرام ففرحت.

وفي الصباح خرج خزيمة إلى الناس، ودفع ما عليه من ديون، واشترى طعاماً لبيته.

أما عكرمة فقد رجع إلى منزله، ووجد زوجته قلقة مهمومة، ولما سألته عن سبب خروجه متنكراً في منتصف الليل ومعه المال، حاول عكرمة أن يخفي عنها الحقيقة في أول الأمر، لكنها كررت السؤال ووعده أن تكتم الأمر وتجعله سرا بينهما، فأخبرها عكرمة بالقصة، وحكى لها ما حدث بينه وبين خزيمة وطلب منها ألا تذكر ذلك لأحد أبداً.

ومرت الأيام وتحسنت حال خزيمة، وعاد غنياً مرة أخرى، وذهب لمقابلة صديقه الخليفة، وحكى خزيمة له قصته مع منقذ الكرام من غدر الأيام، وتعجب الخليفة وود لو عرف اسم ذلك الرجل، وقال لخزيمة: والله لو عرفت اسمه لكافأته أحسن المكافأة على معرفته وكرمه، ثم قال الخليفة لخزيمة: لقد وليتك حاكماً على البلاد مكان عكرمة، فاذهب إليه الآن فوراً،

وحاسبه على ما حصل من أموال المسلمين وما أنفق منها.

عاد خزيمة إلى بلده واليا عليها، وعندما علم عكرمة بخبر ولاية خزيمة على البلاد بدلا منه، خرج في جمع من أهلها يستقبله، ودخل خزيمة في موكب فخم، وقصد دار الإمارة، ولما جلس فيها، وتسلم أمور الحكم أمر بمحاسبة عكرمة، فوجد عليه أموالا عجز عن سدادها ولم يتمكن من دفعها واعتذر لعكرمة، وقال: ليس عندي ما أدفعه.

طلب خزيمة من جنوده أن يقيدوا عكرمة بالسلاسل ويضعوه في السجن حتى يدفع ما عليه من أموال، دخل عكرمة السجن دون أن ينطق بكلمة واحدة ودون أن يوضح لخزيمة أين ذهبت الأموال الناقصة؟ ولما علمت زوجة عكرمة بسجن زوجها حزنت حزنا شديدا.

ومرت الأيام، وساءت حالها، فلم تستطع الزوجة أن تصبر طويلا، فنادت خادمتها، وقالت لها: اذهبي إلى بيت الوالي خزيمة، وقلولي له: عندي كلمة لك لا أحب أن يسمعها غيرك، وعندما ينصرف من معه، ويصبح خزيمة وحده قلولي له: ما هكذا يكون جزاء منقذ الكرام من غدر الأيام.

وذهبت الخادمة إلى بيت خزيمة وأبلغته ما قالت سيدتها، فقال منزعجا: واحسرتاه! أهو عكرمة؟ ثم قام من مجلسه، وأرسل إلى عظماء البلاد فجمعهم، وركب حصانه، وسار بهم إلى السجن، ودخل خزيمة السجن هو ومن معه، فوجد عكرمة أصفر اللون متعبا مقيدا بالسلاسل، فأقبل عليه يقبل رأسه ويعتذر إليه عما حدث منه، فرفع عكرمة رأسه، ونظر إلى خزيمة بعينين مليئتين بالدموع، وقال له: وما الذي دعاك إلى أن تفعل كل ذلك الآن يا خزيمة؟

فأجابه: كرم أصلك وحسن خلقك وسوء مكافأتي، لقد قابلت الإحسان بالإساءة وأنا لا أدري

فقال له عكرمة: يغفر الله لك.

وطلب خزيمة الحداد وأمره أن يفك قيود عكرمة، ويقيده بدلا منه، ولما سأله عكرمة عن السبب في هذا الطلب الغريب أجابه خزيمة: أريد أن يصيبني من الحبس والقيود مثل ما أصابك. فأقسم عكرمة عليه ألا يفعل ذلك الأمر، وصمم على أن يخرج خزيمة من

السجن معه فخرج الاثنان في موكب من الناس حتى وصلا إلى دار خزيمية، فشكر له عكرمة واستأذنه في الانصراف إلى بيته فقال له خزيمية: لن تذهب إلى دارك يا عكرمة حتى تزول عنك آثار الحبس والقيد. واستضاف خزيمية عكرمة في داره وأعطاه أفضل ثيابه ثم اختار له أجود فرس عنده وودعه أحسن وداع<sup>(١)</sup>.

#### ٤- إكرام الأهل

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

#### أنفق مما تحب

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه « [رواه البخاري].

#### ٥- الكرم مع الفقراء والمساكين

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» [رواه مسلم].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا رجل بفلاة من الأرض سمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتسقى ذلك السحاب فأفرغ مائه في حرة فإذا شرجة من تلك الشرجة قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمساحته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان- للاسم الذي سمع في السحابة- فقال له: يا عبد

(١) مائة موقف من حياة العظماء: ١٨، ٢٠.

الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ فقال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلته وأكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه» الشراح: مسيل الماء [رواه مسلم].

### أبوأمامة ومحبته للصدقة

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثني مولاة أبي أمامة قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة ويجمع لها، وما يرد سائلاً ولو ببصلة أو بتمرة، أو بشيء مما يؤكل. فأتاه سائل ذات يوم وقد افتقر من ذلك كله، وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً.

قالت: فغضبت وقلت: لم تترك لنا شيئاً.

قالت: فوضع رأسه للقائلة، فلما نودي للعصر أيقظته فتوضأ وراح إلى المسجد، فرفقت عليه وكان صائماً، فتقرضت، وجعلت له عشاء وأسرجت له سراجاً وجئت إلى فرشه لأمهد له، فإذا بذهب، فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار قلت: ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما خلف، فأقبل بعد العشاء، فلما رأى المائدة، ورأى السراج تبسم وقال: هذا خير من عنده.

قالت: قمت على رأسه حتى تعشى، فقلت: يرحمك الله خلفت هذه النفقة سبيل، ولم تخبرني فأرفعها. قال: وأي نفقة؟! ما خلفت شيئاً.

قالت: فرفعت الفراش فلما أن رآها فرح واشتد عجبه.

قالت: ففقت فقطعت زناري وأسلمت.

قال ابن جابر: فأدركتها في مسجد حمص وهي تعلم النساء القرآن والسنن والفرائض وتفقههن في الدين.

### ٦- إكرام اليتيم

قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً [رواه البخاري].

## ٧- إكرام الجار

قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» [رواه البخاري].

## الإِنْفَاقُ وَالْإِخْلَاصُ

يقول تعالى: ﴿وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

يقول سيد قطب: إن هذا هو شأن المؤمن لا سواه، إنه لا ينفق إلا ابتغاء وجه الله، لا ينفق عن هوى ولا عن عرض، لا ينفق وهو يتلفت للناس يرى ماذا يقولون، لا ينفق ليركب الناس بإنفاقه ويتعالى عليهم ويشمخ، لا ينفق ليرضى عنه ذو سلطان، أو ليكافئه بنشان، لا ينفق إلا ابتغاء وجه الله، خالصا متجردا لله، ومن ثم يطمئن لقبول الله لصدقته، ويطمئن لبركة الله في ماله، ويطمئن لثواب الله وعطائه، ويطمئن إلى الخير والإحسان من الله جزاء الخير والإحسان لعباد الله، ويرتفع ويتطهر ويزكو بما أعطى وهو بعد في هذه الأرض، وعطاء الآخرة بعد ذلك كله فضل»<sup>(١)</sup>.

## دعوة إلى الإنفاق

لم يكتف القرآن بالدعوة إلى إطعام المسكين، والتحذير من إهماله، بل جعل في عنق كل مؤمن حقا للمسكين أن يحض غيره على إطعامه ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ • وَلَمْ أَذْرَ مَا حَسَابِيهِ • يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ • مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ • هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ • خُدُوهُ فَعُلُوهُ • ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ • ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ • إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ • وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٤].

وهذا أبو الدرداء يقول لامراته: يا أم الدرداء، إن الله سلسلة لم تزل تغلي بها مراجل النار منذ خلق الله جهنم، إلى أن تلقى في أعناق الناس، وقد نحجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فحضي على إطعام المسكين يا أم الدرداء.

وفي سورة الماعون جعل الله من علامات التكذيب بالدين قهر اليتيم وعدم الحض على إطعام المسكين: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

(١) في ظلال القرآن (١/ ٣١٥).



وفي سورة الفجر خاطب الله المجتمع الجاهلي المتظلم بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]. قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٤].

قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس» [رواه البخاري].

قال علي بن أبي طالب ؑ: «إن الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء، وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة، ويعذبهم عليه».

قال رسول الله ﷺ: «السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله عز وجل من عالم بخيل» [رواه الترمذي].

الإنسان مجبول على حب المال، لو أنه أوتي ما في الأرض جميعاً، بل لو أنه امتلك خزائن الرحمة العليا لما طوعت له نفسه أن ينفق منها بسعة: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّهُمْ تَمَلَّكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا الْأُمْسُكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

إن الأموال المستخفية في الخزائن، المختبئة فيها حق المسكين والبائس، شر جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة، إنها أشبه بالثعابين الكامنة في جحورها.

### أي الصدقة أعظم أجراً؟

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت (الروح) الخلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان» [رواه البخاري].

### كرم عثمان

كان في المدينة عين ماء تسمى (رومة) وكان صاحبها يبيع ماءها للمسلمين، وذات يوم قال الرسول ﷺ لأصحابه: «من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين، وله بها مشرب في الجنة؟» فاشترى عثمان بن عفان ؓ نصف البئر، فخير صاحب البئر بين أمرين: إما أن

يكون لكل واحد منهما حرية استعمال البئر يوما مستقلا، وإما أن يضع كل واحد منهما دلوا خاصا على البئر، فرأى عثمان أنه إذا اختار يوما مستقلا فإن ذلك يكون أنفع للمسلمين فاختر يوما، فكان المسلمون يأخذون ما يكفيهم من الماء في يوم عثمان، فلما رأى صاحب البئر ذلك ذهب إلى عثمان، وقال له: أفسدت عليّ بئري فاشتر النصف الآخر، فاشتره عثمان ووهبه للمسلمين.

### عثمان ذلك الرجل السخي

في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب الناس قحط شديد، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل، محملة بأصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان في أرض المدينة، فتراخض التجار عليه، يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة، فقال لهم: كم تعطوني؟ قالوا: خمسة في المائة.

قال: إني وجدت من يعطيني أكثر.

فقالوا: ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح.

فقال لهم: إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر، إني وجدت الله يقول: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] هل عندكم يا معشر التجار زيادة؟ إني أشهدكم يا معشر التجار، أن القافلة وما فيها من بر ودقيق وزيت وسمن ولباس قد وهبتها لفقراء المدينة، وإنها صدقة على فقراء المسلمين<sup>(١)</sup>.

### كرم أبي حنيفة

تعرض إبراهيم بن عيينة لضائقة مالية، وسجن بسبب دين كان عليه، فسارع إخوانه الفقهاء إلى جمع قيمة الدين الذي عليه ليفرج عنه، ولكن أبا حنيفة يؤدي وحده كل ما عليه ويطلب أن يرد ما يجمعه العلماء إليهم.

وكان أبو حنيفة ينتهز الفرص لتوزيع المال، فقد أهدى إليه صديق منديلا لا تزيد قيمته على ثلاثة دراهم، فأهدى إليه قطعة خز قيمتها خمسون درهما.

(١) مائة موقف من حياة العظام: ٤٧.

وحين كافأ صديقا أهدي إليه بضعف ما أهدي، احتج الصديق وقال: لو أعلم أنك تفعل ذلك ما أهديت لك، ولكنه رد عليه في منطق العلماء يقول: لا تقل هذا، فإن الفضل للسابق<sup>(١)</sup>.

### دار في الجنة

جاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها بعد معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم، فقال له عبد الله بن الزبير: بعت مكرمة قريش؟ فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، يا ابن أخي إنني اشتريت بها دارا في الجنة، أشهدك أنني قد جعلتها في سبيل الله.

\*\*\*

(١) الإمام أبو حنيفة ٣٠٠.

## العفو

العفو من أعظم الصفات التي يتحلى بها المسلم، وقد وصف الله نفسه بالعفو وأمر عباده أن يتصفوا به، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

### من أسماء الله الحسنی العفو

ومعناه: الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ويصفح عمن تاب وأناب. والعفو صيغة مبالغة.

والعفو له معنيان: أحدهما الفضل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] يعني ما فضل من أموالهم.

والمعنى الثاني للعضو: المحو والإزالة، يقال: عفت الرياح الآثار إذا أزالتها. فالعفو في وصفه تعالى على هذا المعنى هو إزالة آثار الإجمام بجميل المغفرة، فالله سبحانه وتعالى يعفو عن العباد فيعفو عن ذنوبهم فيزيل أحكامها كما قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

والفرق بين الغفران والعفو أن الغفران هو الستر بمعنى التغطية ولكن العفو: هو المحو، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

واعلم أن اقتران العفو بالقدرة تنبيه للعبد لمكارم الأخلاق ليعفو عمن ظلمه إذا نصره الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والمسلم يعفو عمن أساء إليه بل يحسن إلى المسيء ولا يمين عليه بإحسانه، ومن عرف أنه سبحانه عفو طلب عفوه، ومن طلب عفوه تجاوز عن خلقه، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ [النور: ٢٢] وأن الكريم إذا عفا حفظ قلب المسيء عن تذكيره بسوء فعله، بل يزيل عنه ذلك الخجل<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی.

## عفو يوسف

كان يعقوب يحب ابنه يوسف أكثر من إخوته، فحسده إخوته على هذا الحب، فقررُوا أن يتخلصوا من يوسف، فاستأذنوا أباهم في أن يأخذوا يوسف معهم إلى المرعى ليلعب ويمرح، فوافق، وأوصاهم به، فأخذوه معهم، وهناك القوه في بئر، ثم رجعوا إلى أبيهم في المساء ليكون، وأخبروه أن الذئب قد أكله، فحزن الأب على فراق يوسف حزنا شديدا، ومرت قافلة، فوجدوا يوسف، فأخرجوه وأخذوه معهم، وباعوه لعزير مصر.

وتربى يوسف في قصر العزيز، و نتيجة لأخلاقه الحسنة، وعلمه الواسع، صار وزيرا لملك مصر، وفي أثناء ذلك، جاء إليه إخوته ليشتروا من مصر لأهلهم بعض الغذاء، فلما دخلوا عليه عرفهم، ولكنهم لم يعرفوه، وترددوا عليه أكثر من مرة، وكانت فرصة ليوسف لينتقم من إخوته، لكنه عفا عنهم، وقال لهم: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

إن مرتبة العفو لا يصل إليها إلا من جرد نفسه لله،  
وجاهد نفسه، وكظم غيظه.

## عفو الرسول ﷺ

عبد الله بن أبي ابن سلول أشاع مقالة السوء على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وجعل المرجفين يتهامون بالإفك حولها، ويهزون أركان المجتمع الإسلامي هزاً.

وجاء ولده إلى رسول الله ﷺ يطلب الصفح عن أبيه فصّح، ثم طلب منه أن يكفنه في قميصه فمنحه إياه، ثم طلب منه أن يصلي عليه ويستغفر له، فلم يرد له الرسول ﷺ - الرقيق العفو - هذا السؤال، بل وقف أمام جنمان الطاعن في عرضه بالأمس يستدر له المغفرة، ولكن العدالة العليا حسمت الأمر كله فنزل قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

## العفو سبب إسلام ثمامة

بينما كان ثمامة بن أثال في بعض طريقه قريبا من المدينة، إذا بسرية من سرايا رسول

الله ﷺ كانت تجوس خلال الديار، فأسرت ثمامة، وهي لا تعرفه، وأتت به إلى المدينة، وشدته إلى سارية من سواري المسجد، منتظرة أن يقف النبي الكريم ﷺ بنفسه على شأن الأسير، وأن يأمر فيه بأمره، ولما خرج النبي ﷺ إلى المسجد، وهمم بالدخول فيه رأى ثمامة مربوطا في السارية، فقال لأصحابه: «أتدرون من أخذتم؟» فقالوا: لا يا رسول الله.

فقال: «هذا ثمامة بن أثال فأحسنوا إيساره»، ثم رجع الرسول إلى أهله وقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام وابعثوا به إلى ثمامة بن أثال»، ثم أمر بناقته أن تحلب في الغدو والرواح، وأن يقدم إليه لبنها، وقد تم ذلك كله قبل أن يلقاه الرسول ﷺ، ثم إن النبي ﷺ أقبل على ثمامة يريد أن يستدرجه إلى الإسلام وقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي يا محمد خير، فإن تقتل تقتل ذا دم (أي رجلا أراق منكم دما) وإن تُنعم (بالعفو) تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله يومين على حاله، يؤتى له بالطعام والشراب، ويحمل إليه لبن الناقة، ثم جاءه فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ليس عندي إلا ما قلت لك من قبل فإن تنعم تنعم على شاكرك وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله حتى إذا كان اليوم التالي جاءه فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: «أطلقوا ثمامة»، ففكروا وثاقه وأطلقه فأعلن إسلامه<sup>(١)</sup>.

وظهر عفو الرسول ﷺ عنه وفك أسره، فكان ذلك العفو سببا في إسلامه.

#### العفو عند المقدرة

يقول عدي بن حاتم الطائي: لقد بلغني وأنا في ديار الشام أن خيل محمد أغارت على ديارنا وأخذت أختي في جملة من أخذته من السبايا وسيقت إلى يثرب.

وهناك وضعت مع السبايا في حظيرة عند باب المسجد، فمر بها النبي ﷺ فقامت إليه وقالت: يا رسول الله، هلك الولد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك.

فقال: «ومن وافدك؟» فقالت: عدي بن حاتم، فقال: «الفارُّ من الله ورسوله»، ثم مضى رسول الله ﷺ وتركها، فلما كان الغد مر بها فقالت له مثل قولها بالأمس، فقال لها مثل قوله،

(١) صور من حياة الصحابة ٥٩-٦١، وانظر: البخاري (٤١٢٤) كتاب المغازي - باب وفد بني حنيفة.

فلما كان بعد الغد مر بها وقد يئست منه فلم تقل شيئا، فأشار لها رجل من خلفه أن قومي إليه وكلميه، فقامت إليه فقالت: يا رسول الله، هلك الولد، وغاب الوافد، فامن علي من الله عليك، فقال: «قد فعلت» فقالت: إني أريد اللحاق بأهلي في الشام، فقال الرسول: «ولكن لا تعجلي بالخروج حتى تجدي من تثقين به من قومك ليبلغك بلاد الشام، فإذا وجدت الثقة فأعلميني»، ولما انصرف الرسول ﷺ سألت عن الرجل الذي أشار عليها أن تكلمه، فقيل لها: إنه علي بن أبي طالب، ثم أقامت حتى قدم ركب فيهم من تثق به، فجاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، لقد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، فكساها رسول الله ﷺ، ومنحها ناقة تحملها، وأعطاهم نفقة تكفيها، فخرجت مع الركب، قال عدي: ثم جعلنا بعد ذلك نترقب قدمها، ونحن لا نكاد نصدق ما روي من خبرها مع محمد وإحسانه إليها، فوالله إني لقاعد في أهلي إذ أبصرت امرأة في هودجها تتجه نحونا، فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفت علينا قالت: القاطع الظالم، لقد احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية ولدك وعورتك، فقلت: أي أختي، لا تقولني إلا خيرا، وجعلت أسترضيها حتى رضيت، وقصت علي خبرها، فقلت لها: ما ترين في أمر الرجل (محمد)؟ فقالت: أرى -والله- أن تلحق به سريعا، فإن يكن نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذلل عنده وأنت وأنت<sup>(١)</sup>.

تذكر عفو الرسول، ولا تغضب إلا إذا انتهكت حرمة الله.

#### ودارت الأيام وأسلم

لما انتهت غزوة بدر ووقف الرسول ﷺ والصحابة يستعرضون أسرى المشركين إذا هم يجدون سهيل بن عمرو أسيرا في أيديهم، فلما مثل سهيل بين يدي النبي ﷺ نظر إليه عمر بن الخطاب وقال: دعني يا رسول الله أنزع ثنيتيه حتى لا يقوم بعد اليوم خطيبا في محافل مكة، ينال من الإسلام ونبيه، فقال الرسول ﷺ: «لاعهما يا عمر، فلعلك ترى منهما ما يسرك إن شاء الله».

ثم دارت الأيام، وكان صلح الحديبية، فبعثت قريش سهيل بن عمرو لينوب عنها في إبرام الصلح، فتلقاه الرسول ﷺ ومعه طائفة من صحبه فيهم ابنه عبد الله بن سهيل، ثم

(١) صور من حياة الصحابة ١٣٧-١٣٩.

دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب لكتابة العقد، وشرع يملي عليه فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: نحن لا نعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال النبي ﷺ لعلي: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال النبي ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله» ثم أتم العقد وعاد سهيل بن عمرو مزهوا بما كان يظن أنه حققه من نصر لقومه على محمد.

ثم دارت الأيام دورتها كرة أخرى، وإذا بقريش تهزم ويدخل النبي مكة فاتحا، وإذا المنادي ينادي: يا أهل مكة، من دخل بيته فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، فما إن سمع سهيل النداء حتى دب في قلبه الذعر، وأغلق على نفسه باب بيته، وسقط في يده، يقول سهيل: أرسلت في طلب ابني عبد الله، وأنا أستحي أن تقع عيني على عينه، لما كنت قد أسرفت في تعذيبه على الإسلام، فلما دخل علي قلت له: اطلب لي جوارا من محمد، فإني لا آمن أن أقتل، فذهب عبد الله إلى النبي ﷺ وقال: أبي، أتؤمنه يا رسول الله جعلت فداك؟ قال: «نعم هو آمن بأمان الله، فليظهر»، ثم التفت إلى أصحابه وقال: «من لقي منكم سهيلا فلا يسئ لقاءه، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الإسلام، ولكن قدر فكان»، أسلم سهيل بن عمرو بعد ذلك إسلاما ملك عليه قلبه ولبه، وأحبه الرسول من فؤاده، قال الصديق: لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما بين يدي رسول الله، وهو يقدم له البدن، ورسول الله ينحرفها بيده الكريمة، ثم دعا النبي ﷺ الحلاق فحلق رأسه، فنظرت إلى سهيل، وهو يلتقط الشعرة من شعر النبي ويضعها على عينيه فذكرت يوم الحديبية، وكيف أبى أن يكتب محمد رسول الله فحمدت الله أن هداه<sup>(١)</sup>.

لا تكن صلبا مع الآخرين فتكسر، ولا لنا فتعصر،

ولكن كن مرنا معتدلا عفوا متسامحا.

(١) صور من حياة الصحابة ٥٣٣-٥٣٥.



### في غزوة ذات الرقاع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله ﷺ في واد كثير العضاة (شجر عظيم له شوك) فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلت (مسلول) في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، فشام السيف (أدخله في غمده)» فما هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ (يتعرض له) بأذى [رواه مسلم].

### مع أهل مكة

ظهر عفو الرسول ﷺ في موقفه يوم فتح مكة عندما قال قولته الخالدة: يا معشر قريش، ما ترون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

تخيل نفسك في موقف الرسول ﷺ ماذا ستفعل؟

### ذكاء وعفو

يحكى أن أحد الأمراء قبض على مجموعة من الأسرى، ولما أراد أن يقتلهم نظر إليه أحد الأسرى، وطلب منه أن يطعمهم ويسقيهم قبل أن يقتلهم، فأحضر لهم الأمير الطعام والشراب، فأكلوا وشربوا وشبعوا ثم قال أحدهم له: أيها الأمير - أطل الله بقاءك - إننا كنا أسراك والآن صرنا ضيوفك، فانظر كيف تفعل بضيوفك؟ عند ذلك قال لهم الأمير: قد عفوت عنكم.

وهكذا يكون المسلم حتى مع الأعداء إذا كان في موضع قوة، وهم في موضع ضعف.

### خذ العفو

عن ابن عباس: لما قدم عيينة بن حصن نزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من النفر الذين يدينهم عمر، إذ كان القراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين عمر ومشاورته،

كهولاً كانوا أو شباباً- فقال عيينة: يا ابن أخي استأذن لي أمير المؤمنين، فاستأذن له فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب، فوالله لا تعطينا الحق ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول لنبيه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند حدود الله.

### تذكر عفورك

غضب هارون الرشيد على رجل فهم بعقابه فقال له الرجل: يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي. فعفا عنه الرشيد.

وقال أبو الدرداء لرجل أسمعه كلاماً أغضبه: يا هذا، لا تغرقن في سبي، فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

وغضب أمير المؤمنين هارون الرشيد على رجل كان يدعي حميد الطوسي، فدعا له بالسياف ليقتله، فبكى حميد وأخذ يعتذر ثم قال له: مولاي، لا أبكي خوفاً من الموت، إنما أبكي لأنني ساموت وأنت غاضب علي، فضحك أمير المؤمنين هارون، وقبل عذره، وعفا عنه، ثم قال للرجل: إن الكريم إذا خادعته انخدع.

إذا غضبت فتذكر عفو الله عن ذنوبك الكثيرة.

### والكاظمين الغيظ

جاء عن علي زين العابدين بن الحسين أن غلامه كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من الخزف، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر الإبريق، وجرحت رجل زين العابدين، فغضب، وتغير وجهه.

فقال الغلام: سيدي، يقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾

فقال زين العابدين: لقد كظمت غيظي.

فقال الغلام: ويقول تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال زين العابدين: لقد عفوت عنك.

فقال الغلام: ويقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

فقال له زين العابدين: أنت حر لوجه الله.

### عفوعن الجهال

جاء أن علي زين العابدين بن الحسين كان ذاهبا إلى المسجد ومعه غلماناه، فقابله رجل، فأخذ الرجل يسب زين العابدين ويشتمه، فذهب الغلمان إلى الرجل كي يضربوه، ولكن زين العابدين نهاهم عن إيذائه، ثم نظر إلى الرجل وقال له: يا هذا، في أكثر مما تقول، وما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته، فإن كان لك حاجة في ذكركه لك، فاستحيا الرجل من زين العابدين، ثم خلع زين العابدين قميصه وأعطاه للرجل، وأمر له بألف درهم، فذهب الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله.

وكان علي بن الحسين إذا أتاه السائل رحب به وقال: مرحبا بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

وكلمه رجل فافتري عليه فقال: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم تكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبل رأسه، وقال: جعلت فداك، ليس كما قلت أنا فاغفر لي، قال: غفر الله لك.

وعن سعيد بن مسروق قال: أصاب الربيع بن خثيم حجر في رأسه فشجه فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر له فإنه لم يتعمدني.

وكان عامر بن عبد قيس مستجاب الدعوة، فلم يكن يدعو على أحد بشر، وذات مرة وشى به بعض الولاة إلى الأمراء فأخرج من بلده، ونفي إلى الشام، فسأله بعض أصحابه أن يدعو عليه، فقال لهم عامر: إني داع فأمنوا: «اللهم من وشى بي وكذب علي وأخرجني من مصري وفرق بيني وبين إخواني فأكثر ماله وأصح جسمه وأطل عمره»<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام جعفر الصادق حليما لا يغضب، كان له غلام كسول يحب النوم، فأرسله يوما في حاجة، فغاب وخشي الإمام أن يكون الغلام قد أصابه مكروه، فخرج

(١) صلاة الصالحين ٣٩ .

يبحث عنه فوجده نائما في الطريق، فجلس عند رأسه، وأخذ يوقظه برفق، حتى استيقظ، فقال له ضاحكا: تمام الليل والنهار؟ لك الليل ولنا النهار<sup>(١)</sup>.

اللهم إني صفحت عنه فاصفح عنه

أبصر عامر بن عبد الله رجلا من أعوان شرطة البصرة، وقد أمسك بخناق رجل من أهل الذمة وجعل يجره جرا والذمي يستغيث بالناس، ويقول: أجيروني أجاكم الله، أجيروا ذمة نبيكم يا معشر المسلمين، فأقبل عامر بن عبد الله عليه وقال: هل أديت جزيتك؟

فقال: نعم أديتها، فالتفت إلى الرجل المسك بخناقه، وقال: ما تريد منه؟

قال: أريد أن يذهب معي ليكسح (ينظف) حديقة صاحب الشرطة.

فقال للذمي: أتطيب نفسك بهذا العمل؟

فقال: كلا، فذلك يهد قواي، ويشغلني عن كسب قوت عيالي، فالتفت عامر إلى الرجل وقال: دعه، فقال: لا أدعه، فما كان من عامر إلا أن ألقى رداءه على الذمي وقال: والله، لا تُخفر ذمة محمد وأنا حي. ثم تجمع الناس، وأعانوا عامرا على الرجل، وخلصوا الذمي بالقوة، فما كان من أعوان صاحب الشرطة إلا أن اتهموا عامرا بنبذ الطاعة ورموه بالخروج على السنة والجماعة وقالوا: إنه امرؤ لا يتزوج النساء ولا يأكل لحم الحيوانات وألبانها، ويتعالى على غشيان مجالس الولاة، ورفعوا أمره إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

أمر الخليفة واليه على البصرة بأن يدعو عامر بن عبد الله إلى مجلسه، وأن يسأله عما نسب إليه، وأن يرفع له خبره، فاستدعى والي البصرة عامرا وقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك عن أمور نسبت إليك.

فقال: سل عما أمر به أمير المؤمنين.

فقال: ما لك تعزف عن سنة رسول الله، وتأبى أن تتزوج؟

فقال: ما تركت الزواج عزوفا عن سنة النبي، فأنا أشهد أنه لا رهبانية في الإسلام، وإنما أنا امرؤ رأى أن له نفسا واحدة، فجعلها لله عز وجل، وخشي أن تغلبه الزوجة عليها.

فقال: ما لك لا تأكل اللحم؟

فقال: بل آكله إذا اشتهيته ووجدته، أما إذا لم أشتته، أو اشتيته ولم أجده فإني لا آكله.

فقال: مالك لا تأكل الجبن؟

فقال: إنا بمنطقة فيها مجوس يصنعون الجبن، وهم قوم لا يفرقون بين الميتة والمذبوحة، وإني لأخشى أن تكون المنفحة (مادة تستخرج من بطن الجدي وتوضع في الحليب فيصير جبنا) التي صنع بها الجبن من شاة غير مذبوحة، فما شهد شاهدان من المسلمين على أنه جبن صنع بمنفحة شاة مذبوحة أكلته.

فقال: وما يمنعك من أن تأتي الولاية، وتشهد مجالسهم؟

فقال: إن في أبوابكم كثيرا من طلاب الحاجات، فادعوهم إليكم، واقضوا حوائجهم لديكم واتركوا من لا حاجة له عندكم.

رفعت أقوال عامر بن عبد الله إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فلم يجد فيها نبذًا لطاعة، أو خروجًا على السنة والجماعة، غير أن ذلك لم يطفئ نار الشر، وكثر القيل والقال حول عامر بن عبد الله، وكادت تكون فتنة بين أنصار الرجل وخصومه، فأمر عثمان بتسييره إلى بلاد الشام، واتخذها دار إقامة له، وأوصى إليه على الشام معاوية بن أبي سفيان أن يحسن استقباله، وأن يرعى حرمة، وفي اليوم الذي هم فيه عامر بالرحيل عن البصرة خرج خلق كثير من إخوانه وتلاميذه لوداعه، وشيعوه.

فقال لهم: إني داع فأمنوا على دعائي، فاشربت إليه أعناق الناس، وسكنت حركاتهم، وتعلقت به عيونهم، فرفع يديه وقال: اللهم من وشى بي وكذب علي وكان سببا في إخراجي من بلدي، والتفريق بيني وبين صحبي، اللهم إني صفحت عنه فاصفح عنه، وهبه العافية في دينه ودنياه، وتغمدني وإياه وسائر المسلمين برحمتك وعفوك

وإحسانك يا أرحم الراحمين<sup>(١)</sup>.

تخيّل نفسك مكان عامر بن عبد الله ماذا سيكون موقفك؟

### قمة في العفو

يقول الحسن بن الحسن: وقعت بيني وبين ابن عمي زين العابدين جفوة، فذهبت إليه وأنا أتميز غيظاً منه، وكان مع أصحابه في المسجد، فما تركت شيئاً إلا قتلته له، وهو ساكت لا يتكلم، ثم انصرفت، فلما كان الليل إذا طارق على الباب يقرعه، فقممت إليه لأرى من، فإذا زين العابدين، فما شككت أنه جاء يرد إلى الأذى، ولكنه قال: يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي، فغفر الله لي، وإن كنت غير صادق، فغفر الله لك، ثم ألقى علي السلام، ومضى، فلحقت به وقلت له: لا جرم، لا عدت إلى أمر تكرهه، فرق لي وقال: وأنت في حل مما قلت لي.

وروى أحد أبناء المدينة قال: كان زين العابدين خارجاً من المسجد فتبعته، وجعلت الوح له بالشم، ولست أدري سبباً لذلك، فهاج علي الناس يريدون أخذي، ولو أخذوني لم يفلتوني حتى أحطم، فالتفت إلى الناس، وقال: كفوا عن الرجل، فكفوا عني، ولما رأى ما أصابني من الذعر أقبل علي بوجهه الطلق، وجعل يؤمني ويهدئ من روعي ثم قال لي: لقد سببتنا بما علمت، وما ستر عليك من أمرنا أكبر، ثم قال لي: ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحييت منه، ولم أقل شيئاً، فلما رأى حيائي ألقى علي كساء كان عليه، وألقى لي بألف درهم، فجعلت أقول كلما رأيته بعد ذلك: أشهد أنك من أبناء الرسول.

وروى أحد مواليه قال: كنت غلاماً لعلي بن الحسين، فأرسلني في حاجة فأبطأت عليه، فلما جئته خففتي بالسوط فبكيت واشتد غيظي منه، لأنه ما خفق أحداً قبلي قط، وقلت له: الله الله، يا علي بن الحسين، أستخدمني في حاجة فأقضيها لك، ثم تضربني؟ فبكى وقال: اذهب إلى مسجد رسول الله، وصل ركعتين، ثم قل: اللهم اغفر لعلي بن الحسين، فإذا ذهبت وفعلت، فأنت حر لوجه الله تعالى، فذهبت وصليت ودعوت، ولم أعد إلى داره إلا وأنا حر<sup>(٢)</sup>.

(١) صور من حياة التابعين ٣٤-٣٦.

(٢) صور من حياة التابعين ٣٤٥-٣٤٦.

وقال إبراهيم التيمي: إن الرجل ليظلمني فأرحمه. وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشغل قلبه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب.

وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبدا قيص له من يظلمه.

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- فجعل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه، فقال له عمر: إنك إن تلقي الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه اقتصصتها.

يقول تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

يقول سيد قطب: « وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لا تكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضغن، فيتحول الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين، وإن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن، لذلك يستمر النص ليقدر النهاية الطليق لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين؛ إنها العفو والسماحة والانطلاق.

إن الغيظ وقر في النفس حين تكظمه، وشاظ يلفح القلب، ودخان يغشى الضمير.. فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب، فهو الانطلاق من ذلك الوقر، والرفرة في آفاق النور، والبرد في القلب، والسلام في الضمير»<sup>(١)</sup>.

#### الفرق بين العفو والذل

يقول ابن القيم: العفو إسقاط حقدك جودا وكرما وإحسانا مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل فإن صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالا منه.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩] فمدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيتهم منها ذلك، حتى إذا قدروا على من بغى عليهم، تمكنوا من استيفاء ما لهم عليه نديهم إلى الخلق الشريف من العفو والصفح، فقال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

فذكر المقامات الثلاثة: العدل وأباحه، والفضل وندب إليه، والظلم وحرمه.

فإن قيل: فكيف مدحهم على الانتصار والعتو وهما متناقضان؟

قيل: لم يمدحهم على الاستيفاء والانتقام، وإنما مدحهم على الانتصار وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم، فلما قدروا ندبهم إلى العفو، قال بعض المسلمين في هذه الآية: كانوا يكرهونه أن يستذلوا، فإن قدروا عفوا، فمدحهم على عفو بعد قدرة، لا على عفو ذل وعجز ومهانة، وهذا هو الكمال الذي مدح سبحانه به نفسه في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

\*\*\*



## الحلم

الحلم: هو الأناة وضبط النفس عند الغضب، قال تعالى عن صفات عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

من أسماء الله الحسنى: الحليم، قال تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

والحليم معناه أنه ذو الصفح والأناة الذي لا يعجل بالعقوبة مع المقدرة؛ فلا يستفزه غضب، ولا يلحقه جهل جاهل ولا عصيان عاص، بمعنى أنه تعالى هو الذي يسامح الجاني مع استحقاقه للعقوبة والمؤاخظة بالذنب، وهو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمل شيء على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

### حلم الرسول ﷺ مع زيد بن سعدة

وهو حبر يهودي، عالم بالكتاب، يقول في قصة إسلامه: لم يبق من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد حين نظرت إليه، إلا اثنتين، لم أخبرهما منه، يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، فكنت أتلف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله.

قال: فخرج رسول الله ﷺ يوما من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب فاتاه رجل على راحلته كالبدي فقال: يا رسول الله، إن قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، فكنت حدثهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق غدا، وقد أصابتهم سنة، وشدة، وقحوط من الغيث، وإنني أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به.

قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل بجانبه - أراه عليا - فقال: ما بقي من شيء يا رسول الله.

قال زيد بن سحنة: فدنوت إليه فقلت له: يا محمد هل لك أن تبيعني تمرا معلوما من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا، فقال: لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرا معلوما إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان، قال: قلت: نعم فبايعني فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، وقال: أعجل إليهم وأغثم بها.

قال زيد بن سحنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه، فلما صلى الجنازة، ودنا من جدار ليجلس إليه أتيته فأخذته بجوامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت: ألا تقضيي يا محمد حقي، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب إلا المطل، ولقد كان لي بمخالطكم علم.

قال: فنظر إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني بطرفه، وقال: يا عدو الله أنقول لرسول الله ما أسمع وتفعل به ما أرى؟! فوالذي بعثك بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسه، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتبسم ثم قال: «أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الطلب، اذهب يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعا مكان ما روعتكم، قال زيد: فذهب عمر فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة؟

فقال: أمرني رسول الله أن أزيدك مكان ما روعتكم، فقلت: أتعرفني يا عمر؟

قال: لا، فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سحنة. قال: الخبر؟ قلت: الخبر.

قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله ما قلت، وتفعل به ما فعلت؟

قلت: يا عمر، كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل إلا حلما، فقد أخبرتهما، فأشهدك يا عمر أنني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وحسن إسلامه وشهد المشاهد كلها [ابن حبان والحاكم والبيهقي].

إنما بعثت رحمة

عن جابر بن سليم قال: وفد أعرابي على رسول الله ﷺ يريد أن يتعلم الإسلام، ولم

تكن له معرفة سابقة بالنبي ﷺ ولا بما يدعو إليه، قال: رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئا إلا صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله - مرتين - قال: «لا تقل: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل: السلام عليك» قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرر دعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة (جدب) فدعوته أبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر فضلت راحتك فدعوته ردها عليك»، قال: قلت: اعهد إلي، قال: «لا تسب أحدا» فما سببت بعد حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة، قال: «ولا تحقرن شيئا من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف» ثم قال: «وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه» [رواه أبو داود].

وعن أبي هريرة ؓ: قيل يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة» [رواه مسلم].

المسلم يقدم النصيحة برفق، ويخلص النية لله تبارك وتعالى، ولا يغضب لأن رجلا تحدث معه بطريقة لا تناسب مقامه، بل يكون حليما، ويتذكر نبيه ﷺ.

### حلم مع اليهود

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام (الموت) عليك يا محمد، فقال الرسول ﷺ: «عليكم» فقالت عائشة: عليكم السام واللعنة، فقال النبي ﷺ: «يا عائشة إن الله رقيق يحب الرفق في الأمر كله»، فقالت عائشة: ألم تسمع ما قالوا؟ فقال لها: «قد قلت: عليكم» [رواه الترمذي].

يجب الرد على تحية غير المسلمين بقول: وعليكم، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع اليهود.

### يا أنيس

ذات يوم أرسل الرسول ﷺ أنس بن مالك ؓ ليقضي له حاجة، فذهب أنس وفي الطريق وجد بعض الصبيان يلعبون في السوق، فوقف يلعب معهم، ونسي أن يذهب إلى حيث أمره الرسول ﷺ، فجاء الرسول ﷺ إلى السوق وابتسم له وقال: «يا أنيس اذهب حيث أمرتك».

ويقول أنس: خدمت رسول الله ﷺ سبع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته لم صنعت كذا وكذا، ولا لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا.

المسلم يكون حليماً مع الأولاد فمن طبيعتهم كثرة الحركة، فلا بد من توجيههم للرياضة، ولكن مع التوجيه والموازنة بين أداء الصلاة، وقضاء الطلبات المنزلية، والمذاكرة.

### مراجعة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنا معشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساتهم، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، فغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أتراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

قال: فانطلقت، فدخلت على حفصة، فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟

قالت: نعم.

قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟

قالت: نعم.

قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفأتمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعني رسول الله ولا تسأليه شيئاً، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة.

جميل جداً من كان حليماً على زوجته عندما أهملته في أحد الأمور فلم يفعل وفي نهاية اليوم أخبرها في هدوء أنه تضايق بسبب ما فعلته فما كان منها إلا أن بكت واعتذرت، ولو أنه انفعل وأقام الدنيا وأقعدها لما استفاد شيئاً، وليصل مرادك بالتلميح لا التصريح.

أحلم من معن

كان معن بن زائدة أميراً على العراق، وكان مشهوراً بالحلم الشديد، فذهب إليه

أعرابي، يختبر حلمه، فلما دخل الأعرابي على معن قال له:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة      وإذ نعلك من جلد البعير؟!  
قال معن: أذكر ذلك ولا أنساه.  
فقال الأعرابي:

فسبحان الذي أعطاك ملكا      وعلمك الجلوس على السرير  
قال معن: سبحانه وتعالى.  
فقال الأعرابي:

فلمست مسلما إن عشت دهرا      على معن بتسليم الأمير  
قال معن: يا أبا العرب، السلام سنة، وشأنك في الأمير  
فقال الأعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها      ولو جار الزمان على الفقير  
قال معن: يا أبا العرب، إن جاورتنا فمرحبا بك، وإن رحلت فمصحوبا بالسلامة.  
فقال الأعرابي:

فجد لي يا ابن ناقصة بشيء      فإني قد عزمت على المسير  
قال معن: أعطوه ألف دينار يستعين بها في سفره.  
فأخذها الأعرابي وقال له:

قليل ما أتيت به وإني      لأطمع منك بالمال الكثير  
قال معن: فأعطوه ألفا أخرى.  
فقال له:

سألت الله أن يبقيك ذخرا      فما لك في البرية من نظير  
قال معن: أعطوه ألفاً أخرى.

فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين ما جئت إلا مختبرا لك فوجدت أن الله جمع فيك حلما لو  
وزع على أهل الأرض لكفاهم.

قال معن: يا غلام، كم أعطيته على نظمه؟  
قال: ثلاثة آلاف دينار.

قال: أعطوه على نثره مثلها.

فأخذها ومضى في طريقه شاكرا لكرمه وصار يضرب به المثل في الحلم (أحلم من معن بن زائدة).

وسئل معن عن سبب امتناعه عن إيقافه عند حده.

فأجاب السائل: إذا نبج عليك الكلب، فهل تنبج مثله؟ قال: لا.

وإذا رفسك حمار أترفسه؟ قال: لا.

وإذا نطحك ثور فهل تنطحه؟ قال: لا.

فأجابه: إن السفية لا يمتاز عن تلك الحيوانات لاشتراكه معها في أقبح صفاتها، وهي الشراسة والحماقة، فافتتحت السائل وانصرف وهو يقول: لا غرابة إذا سعد كبار العقول<sup>(١)</sup>.

أخي الحبيب: القوي هو من يكظم غيظه، ولا يفعل لأتفه الأسباب، وعندئذ سيتأثر الناس بأخلاقك وحلمك.

### حلم الفاروق

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الشام وتحدث عن الأموال وكيفية القسمة، وقال: إنني اعتذرت إليكم عن خالد بن الوليد فإني أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطى ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأمّرت أبا عبيدة بن الجراح.

فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة فقال: والله ما اعتذرت يا عمر، ولقد نزعت عاملا استعمله رسول الله وأعمدت سيفاً سله رسول الله ووضعت أمرا نصبه رسول الله، وقطعت رحما، وحسدت ابن عمك.

فقال عمر: إنك قريب القرابة، حديث السن، تغضب في ابن عمك.

لا بد من مراعاة حالة من يغضب عليك، وتذكر مقولة علي بن أبي طالب: «إذا عز أخوك فهن»، أي كن هينا معه لين الجانب.

(١) فن التعامل مع الآخرين ٤٨-٥٠.

## الأحنف بن قيس

الأحنف بن قيس أحد حلماة العرب الذين ضرب مجلهم المثل، وقد بلغ من حلمه أن «عمرو بن الأهتم» أغرى رجلا بسبه سباً يثيره، لكن الأحنف ظل صامتا مطرقا، فلما رأى الرجل أنه لا يجيبه، ولا يابه به، أخذ إبهامه في فمه، وجعل يعضه وهو يقول: واسوأناه! والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه<sup>(١)</sup>.

ويحكى أيضاً أن رجلا شتمه فلم يرد عليه، وتركه ومشى في طريقه فأصر الرجل على المشي وراء الأحنف، وزاد في سبه وشتمه، والأحنف لا يرد عليه، فلما اقترب الأحنف من الحي الذي يعيش فيه وقف والتفت إلى الرجل، وقال: إن كان قد بقى في نفسك شيء فقله قبل أن يسمعك فتیان الحي من قومي فيؤذوك، ونحن لا نحب الانتصار لأنفسنا. فظهر الخجل على وجه الرجل، وعاد نادما.

يقول الشيطان: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت لأكون في قلبه، وإذا غضب طرت لأكون في رأسه.

فهل تصاع لكلام الشيطان وتجعله يدخل في رأسك ويوسوس لك بالشر والانتقام لنفسك؟ قال الأحنف لابنه يوماً: يا بني إن أردت أن تؤاخي رجلا، فأغضبه حتى تختبره، فإن أنصفك وإلا فاحذره.

## إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان

جاء أن عمر بن الخطاب ؓ رأى سكران، فأراد أن يأخذه ليعاقبه، فشتمه السكران، فرجع عنه عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لما شتمك تركته.

قال: إنما تركته لأنه أغضبني، فلو عاقبته، كنت انتصرت لنفسي، ولا أحب أن أضرب مسلما لحمية نفسي، فانتظرت حتى أهدأ من غضبي.

واسمع ما قاله أبو ذر ؓ لخادمه ذات يوم: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ فقال الخادم: أردت أن أغضبك، فأمسك أبو ذر نفسه، فقال للخادم: لأجمعن غيظا مع أجر، اذهب فأنت حر لوجه الله.

(١) صور من حياة التابعين ٤٦٥.

هكذا كانوا قمة في الحلم، فلم تصدر منهم كلمات يندمون عليها بعد ذلك، فالناس ينظرون إلى الدعاة اليوم ويضعونهم تحت المجهر، فاحذر أن يصدر منك سلوك يؤثر على دعوتك، وينفر الناس منك.

### ثلاث صحف

كتب أحد الملوك ثلاث صحف، ثم أعطى لكل رجل صحيفة وقال للرجل الأول، إذا اشتد غضبي فقم إلي بهذه، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه.

وكان مكتوباً في الصحيفة الأولى: أقصر فما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً.

وكان مكتوباً في الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

وكان مكتوباً في الثالثة: احمل عباد الله على كتاب الله فلا يصلحهم إلا ذلك.

المسلم لا ينتقم لنفسه، وهو متسامح دائماً، وهذه وسيلة من أحد الملوك ليكظم غيظه، فاتخذ ما شئت من الوسائل لتكون حليماً، اترك الغضب.

قال ابن مسعود: انظر إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك مجلته إذا لم يغضب؟! وما علمك بأمانته إذا لم يطمع!؟

وقال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر.

وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار.

وقيل: اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان.

وقال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز، فأطرق عمر زماناً

طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك ما تناله مني غدا؟

وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب. وقال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار، وقال الحسن: من علامات المسلم قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وتحمل في



رفاقة، وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب، ولا تجمع به الحمية، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل ولا يبذر، ولا يسرف ولا يقتّر، يغفر إذا ظلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء. قيل لعبد الله بن المبارك: أجل لنا حسن الخلق في كلمة، فقال: اترك الغضب.

يخاطبني السفية بكل قبح      فأكره أن أكون له مجييا  
يزيد سفاهة فأزيد حلما      كعود زاده الإحراق طيباً<sup>(١)</sup>

### الرتنيسي

تقول زوجة الشهيد الرتنيسي: كنت أنظف البيت ووقع مني جهاز التلفاز على شاشته وتعطل تماما فاستأنت كثيرا لذلك خاصة بعد خروجه من المعتقل والوضع المادي صعب لا يسمح بشراء جهاز آخر، ولكنه حينما حضر وسألني عن سبب استيائي فأخبرته، فقال: للأشياء آجال، قدر الله وما شاء فعل، قالها وهو مبتسم<sup>(٢)</sup>.

### كلمات من ذهب

قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون، وقال لقمان لابنه: يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك.

وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شرا كثيرا.

واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والصبر عند الجزع.

وقال رجل لعمر رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل، فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع إلى الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذا من الجاهلين.

(١) (ديوان الشافعي ٥٢) .

(٢) مذكرات الشهيد الرتنيسي ٨٧ .

فقال عمر: صدقت، فكأنما كانت نارا فأطفئت.

وقال محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

وجاء رجل إلى سلمان فقال: يا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: لا أقدر، قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابتك السكوت  
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمدا يموت<sup>(١)</sup>

قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم.

وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وألا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى.

وقال الحسن: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم.

وقال معاوية لعرابة بن أوس: يم سدت قومك يا عرابة؟

قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

وسب رجل ابن عباس -رضي الله عنهما- فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيتها؟ فنكس الرجل رأسه واستحي.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: أشهد أنك من الفاسقين.

فقال: ليس تقبل شهادتك.

وعن علي بن الحسين بن علي -رضي الله عنهم- أنه سبه رجل فرمى إليه بمخمصة

كانت عليه وأمر له بألف درهم.

وقال رجل لجعفر بن محمد: إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي: إن تركي له ذل.

فقال جعفر: إنما الذليل الظالم.

وقال الخليل بن أحمد: كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته.

وقال الأحنف بن قيس: لست مجلِّم ولكنني أتحملم.

وقال وهب بن منبه: من يرحم يرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يجهل يغلب، ومن يعجل يخطئ، ومن يحرص على الشر لا يسلم، ومن لا يدع المرء يشتم، ومن لا يكره الشر يأثم، ومن يكره الشر يعصم، ومن يتبع وصية الله يحفظ، ومن يحذر الله يأمن، ومن يتول الله ينجح، ومن لا يسأل الله يفتقر، ومن يأمن مكر الله ينجذ، ومن يستعن بالله يظفر.

وقال رجل لمالك بن دينار: بلغني أنك ذكرتني بسوء.

قال: أنت أكرم عليّ من نفسي، إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي.

وقال بعض العلماء: الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به.

وقال رجل لبعض الحكماء: والله لأسبئك سبا يدخل معك في قبرك.

فقال: معك يدخل لا معي.

ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له: إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا؟

فقال: كل ينفق مما عنده.

وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

علاج الغضب

قال رسول الله ﷺ: «من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على

رعوس الخلائق يوم القيامة حتى يجبره في أي الحور العين شاء» [رواه الترمذي].

### ومن الوسائل النبوية لعلاج الغضب:

#### ١- تغيير العادة:

روى أن أبا ذر رضي الله عنه: كان يسقي على حوض فجاء قوم فقال أحدهم: أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه، فقال رجل: أنا، فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه (كسره) وكان أبو ذر قائماً، فجلس، ثم اضطجع، فقبل له: يا أبا ذر لم جلست ثم اضطجعت، قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» [رواه أحمد].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في خطبته: «إن الغضب جمره في قلب ابن آدم تتوقد، ألم تروا إلى جمره عينيه وانتفاخ أوداجه، فإذا وجد أحدكم ذلك فليجلس» أو قال: «فليصق بالأرض» [رواه أحمد] (الأوداج: العروق المحيطة بالعنق).

#### ٢- الوضوء:

كان عروة بن محمد السعدي رجلاً صالحاً من التابعين، وفي يوم من الأيام كان يتحدث مع الناس، فقام إليه واحد منهم، وكلمه كلاماً قبيحاً، فغضب عروة حتى احمر وجهه، ولم يرد على الكلام القبيح بكلام قبيح مثله، بل صبر وتحلى بالحلم والأناة، وترك المجلس، وذهب فتوضأ، ثم رجع ثانية إلى المجلس، وقد هدأ، وذهب عنه الغضب، ثم قال لمن حوله: حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» [رواه أبو داود].

#### ٣- السكوت في حالة الغضب:

قال رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدكم فليسكت» [رواه أحمد].

#### ٤- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

عن سليمان بن صرد قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما تحمر عينه وتتنفخ أوداجه فقال رسول الله ﷺ: «بني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقال الرجل: وهل ترى بي جنونًا [رواه مسلم].

### الغضب المحمود

هناك فرق بين الغضب المذموم والغضب المحمود، فالغضب المذموم هو أن تغضب لنفسك، والغضب المحمود أن تغضب إذا انتهكت حرمت الله.

عن عائشة رضي الله عنها أن قوما من قريش أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال سول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [رواه البخاري].

### غضب عمر لله

عن جابر بن عبد الله قال: أتى رسول الله بالجرعانة (منصرفه من حنين وهي تقع شمال مكة بتسعة وتسعين ميلا) وفي ثوب بلال فضة ورسول الله يقبض منها يعطي الناس، فأتي رجل فقال: يا محمد اعدل، قال ﷺ: «ويلك! من يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» فقال عمر بن الخطاب ؓ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: «معاذ الله! أن يتحدث الناس أي أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية» (يخرجون من الدين خروج السهم) [رواه مسلم].

عمر بن الخطاب ؓ لا يصبر إذا انتهكت أمامه الحرمات، فقد اعتدى على مقام النبوة والرسالة، فما كان من الفاروق إلا أن أسرع قائلا: دعني يا رسول الله أقتل هذا المنافق، هذا هو رد عمر أمام من يتتهكون قدسية النبوة والرسالة.

### الغضب لفلسطين

طارد الإنجليز محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر عام ١٩٢٠م، وكان يغضب لله تبارك وتعالى، وتولى رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وكان أول من نبه إلى خطر

تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور، وقد جاء بلفور مع المندوب السامي البريطاني عام ١٩٢٥م، يريدان زيارة الحرم المقدس فمنع دخولهما، ولم تقم حركة وطنية في فلسطين أو من أجلها إلا وكان مديرها في الخفاء أو في العلن، وتوالت أعمال الجهاد غضبا لله، وقد حاولت السلطات البريطانية اعتقاله عام ١٩٣٧م فنجا إلى لبنان ثم هاجر متخفيا إلى إيران ومنها إلى ألمانيا.

إنه الغضب من أجل تحرير فلسطين، فيجب على كل مسلم أن يبذل ما يستطيع من جهد لتحرير المسجد الأقصى.



## التواضع

التواضع صفة من صفات المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] هونا: المشي بسكينة وتواضع. وسئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: أن تخضع للحق وتتقاد له، وتقبله ممن قاله. وقال أبو يزيد البسطامي في تعريف التواضع: هو ألا يرى لنفسه مقاما ولا حالا، ولا يرى في الخلق شرًا منه.

ويقول الجنيد: التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب.

وقال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا ذلا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» [رواه مسلم].

### اركب يا أمير المؤمنين

عن الحسن قال: خرج عمر بن الخطاب ؓ في يوم حار واضعا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار فقال: يا غلام احملني معك، فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين.

قال: كلا، اركب أنت وأركب أنا خلفك، تريد تحملي على المكان الوطء، وتركب أنت في المكان الخشن؟ فركب الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه.

### جلد نيتك

أخرج ابن سعد عن ثابت قال: كان سلمان الفارسي ؓ أميرا على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام من بني تميم، معه حمل تين، وعلى سلمان سراويل أعجمية وعباءة، فقال الرجل لسلمان وهو لا يعرفه: تعال احمل - يظنه حمالا - فحمل سلمان، فرآه الناس فعرفوه، فقالوا: هذا الأمير.

فقال الرجل: لا أعرفك.

فقال له سلمان: لا حتى أبلغ منزلك، قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك.  
فالمسلم يجدد نيته لله تبارك وتعالى في كل أعماله.

### شهادة عدي

يقول عدي بن حاتم: ذهبت لرؤية محمد بن عبد الله، وكنت أظن أنني سألقي ملكا في المدينة، دخلت عليه وهو في المسجد فسلمت عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي ابن حاتم، فقام، وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف طويلا تكلمه في حاجتها قال: فقلت: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي حتى إذا دخل بي إلى بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفا فقذفها إليّ فقال: «اجلس على هذه»، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت»، فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. وقال: قلت في نفسي والله ما هذا بأمر ملك.

وكان رسول الله ﷺ كريما مع ضيوفه وينزل الناس منازلهم؛  
وهذه هي الدعوة إلى الله.

### مواقف رائعة

كان القاضي يحيى بن أكثم في ضيافة المأمون، فقام الخليفة المأمون بإحضار ماء له، فاندش يحيى من ذلك، فكيف يأتي له أمير المؤمنين بالماء ويخدمه وهو جالس في مكانه، فلما رأى المأمون علامات الاستفهام على وجه يحيى قال له: سيد القوم خادمهم<sup>(١)</sup>.

وقال رجل لأحمد بن حنبل: جزاك الله عن الإسلام خيرا، فتغير وجهه وقال: بل جزى الله الإسلام عني خيرا، من أنا وما أنا؟ من أنا وما أنا؟

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر      على صفحات الماء وهو رفيع  
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه      على طبقات الجو، وهو وضع



وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب اشترى من السوق لحماً بدرهم، فحمله في ملحفته، فقال له أحد أصحابه: أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

ويقول علي بن أبي طالب عليه السلام: لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله.

وروي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف، وكان يكتب، فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟

فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه.

قال: أفأنبه الغلام؟

فقال: هي أول نومة نامها، فقام عمر وملاً المصباح زيتاً.

فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟

فقال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت وأنا عمر، ما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعاً.

### الفرق بين التواضع والمهانة

يقول ابن القيم: التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله، وتعظيمه، ومحبته، وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفصيلها وعيوب عملها وآفاتهما، فيتولد من بين ذلك كله خلق التواضع، وهو انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة فهي الدناءة والحسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها، كتواضع السفلى في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع، ويبغض

الضعة والمهانة<sup>(١)</sup>.

تقول أم المؤمنين عائشة: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات: التواضع.

### تواضع الفاروق

هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يأتيه رجل من أشجع يحمل بشرى نصر المسلمين بقيادة سلمة بن قيس بفتح الأهواز، يقول الرجل: نشدت أمير المؤمنين فوجدته واقفا يغدي المسلمين وهو متكئ على عصاه كما يصنع الراعي، وكان يدور على القصاع وهو يقول لغلامه «يرفاً»: يا يرفاً، زد هؤلاء لحماً، يا يرفاً، زد هؤلاء خبزاً، يا يرفاً، زد هؤلاء مرقاً، فلما أقبلت عليه، قال: اجلس، فجلست، في أدنى الناس، وقدم لي الطعام فأكلت فلما فرغ الناس من طعامهم قال: يا يرفاً، ارفع قصاعك، ثم مضى فاتبعته.

فلما دخل داره استأذنت عليه فأذن لي، فإذا هو جالس على رقعة من شعر، متكئ على وسادتين من جلد محشوتين ليفاً، فطرح لي إحداهما فجلست عليها وإذا خلفه ستر فالتفت نحو الستر، وقال: يا أم كلثوم غداًنا.

فقلت في نفسي: ماذا عسى أن يكون طعام أمير المؤمنين الذي خص به نفسه؟ فناولته خبزة بزيت عليها ملح لم يدق، فالتفت إلي وقال: كل، فامتثلت وأكلت قليلاً، وأكل هو، فما رأيت أحداً أحسن منه أكلاً، ثم قال: اسقونا، فجاءوه بقدر فيه شراب من سويق الشعير، فقال: أعطوا الرجل أولاً، فأعطيني فأخذت القدر فشربت منه قليلاً، إذ كان سويقي أطيب منه وأجود، ثم أخذه فشرب منه حتى روي، ثم قال: الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا، وسقانا فأوانا<sup>(٢)</sup>.

### أريد أن أعرفها نفسها

يقول محمد بن عمر المخزومي عن أبيه: نادى عمر بن الخطاب بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس، وكبروا، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه.

(١) الروح ٣١٣.

(٢) خير القرون (٧٤/٢-٧٥).

ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي قبضة من التمر أو الزبيب، فأظل يومي وأي يوم!! ثم نزل.

فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين، ما زدت على أن قمأت - عبت - نفسك.

فقال: ويحك يا ابن عوف! إني خلوت فحدثتني نفسي، قالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. وفي رواية: إني وجدت في نفسي شيئا فأردت أن أطأطأ منها.

ونهى الإسلام عن الكبر، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم - على المروة فتحدثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا - يعني عبد الله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله لوجهه في النار» [رواه أحمد].

### تقدير الموتى

عن عروة بن الزبير قال: رأيت عمر بن الخطاب على عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا.

فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرهما.

وعن أنس بن مالك قال: خرجت مع عمر يوما، حتى دخلت حائطا فسمعته يقول - وبينه وبينه جدار وهو في جوف حائط - : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ! والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليعذبنك.

وعن جبير بن نقيب أن نضرا قالوا لعمر بن الخطاب: ما رأينا رجلا أفضى بالقسط، ولا أقول للحق، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأت خير الناس بعد رسول الله.

فقال عوف بن مالك: كذبتهم، والله لقد رأينا بعد رسول الله ﷺ.

فقالوا: من هو؟

فقال: أبو بكر.

فقال عمر: صدق عوف، وكذبتهم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلي - يعني قبل أن يسلم - لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين.

وهذا يدل على تواضع عمر وتقديره للفضلاء، ولا يقتصر على الأحياء منهم ولكنه يعم منهم الموتى كذلك، فلا يرضى أن ينكر فضلهم أو يغفل ذكرهم، ويظل ذكرهم بالخير في كل موقف، ويحمل الناس على احترام هذا المعنى النبيل وعدم نسيان ما قدموه من جلائل الأعمال، فيبقى العمل النافع متواصل الحلقات يحمله رجال إلى رجال، فلا ينسى العمل الطيب بغياب أهله أو وفاتهم.

#### الرسول قدوتنا

في مؤتمر الطب الذي انعقد بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة عام ١٩٣٨م، خطب الإمام الشهيد فتحمس أحد الإخوة من الطلاب فهتف بحياة حسن البناء، وبرغم عدم استجابة الحاضرين لهذا الهتاف إلا أن الأستاذ المرشد وقف صامتا لا يتحرك برهة، فاتجهت إليه الأنظار في تطلع، ثم بدأ حديثه في غضب فقال: أيها الإخوان، إن اليوم الذي يهتف في دعوتنا بأشخاص لن يكون ولن يأتي أبدا، إن دعوتنا إسلامية ربانية قامت على عقيدة التوحيد، فلن تحيد عنه، أيها الإخوان، لا تنسوا في غمرة الحماسة الأصول التي آمننا بها، وهتف بها (الرسول قدوتنا): ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

\*\*\*

## القناعة

### علامات القانع

لا يفرح بوجود ولا يحزن على مفقود، ويستوي عنده المدح والذم، ويأنس بالله والطاعة وحلاوة القلب ومحبة الدنيا ومحبة الله كالماء والهواء.

ويقول الفضيل بن عياض: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

### اجعل همومك في الآخرة

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة» [رواه ابن ماجه].

### ازهد في الدنيا

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» [رواه ابن ماجه].

### الزاهد الحقيقي

الزاهد الحقيقي من أتته الدنيا ولم تشغله عن ربه بل استصغرها في عينيه ولا يتصور الزهد من الفقير المعدم.

قيل لابن المبارك: يا زاهد.

قال: الزاهد عمر بن عبد العزيز؛ إذ جاءت الدنيا راغمة فتركها، أما أنا فقيم زهدت؟

### أتخاف الفقر ومعك الملك؟!

قيل لابن حازم الزاهد: ما مالك؟

قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس.

وقيل له ذات يوم: أما تخاف الفقر؟

فقال: أئى أخاف الفقر ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما

تحت الشري؟!!

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ « من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه، ويزين قوله وعمله في عينه [رواه الطبراني]. »

### أزمتنا معنوية لا مادية

الوهن والضعف والقصور الذي تعاني منه المجتمعات الإسلامية اليوم مرده إلى الإفراط في محبة الدنيا إلى حد العبادة حتى أضحي المسلم خائر القوى مهزوز الشخصية ضعيف الإرادة لا يحرك ساكنا وإن أقيمت الدنيا من حوله، أو هزت الأرض من تحت قدمه.

نعم لقد ديست كرامتنا وغصبت أراضينا وأهينت مقدساتنا واسترخصت دماؤنا وضاعت قدسنا، فماذا فعلنا، أو ما عسانا نفعل بهذه الآلاف المؤلفه التي استولى عليها اليأس ووقر في ذاكرتها أنه لا أحد يجرو أو يستطيع - مهما حاول - أن يعيد قدسنا ويرد كرامتنا ويسترجع هيبتنا<sup>٩</sup>. ولعل سائلا يقول معترضاً: ولكن أين السلاح؟ أين الصواريخ المتطورة والقنابل الذرية..؟

إننا نملك الكثير ولكننا لا نملك القوة التي تستعمل تلك الأجهزة؛ لأن أزمتنا معنوية قبل أن تكون مادية، وإيمانية قبل أن تكون ذرية، لقد بعث الله في قلوبنا الوهن الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت، حتى أصبح المسلم يبيع دينه بعرض من الدنيا، يسترخص كرامته لا حياته، ويبدل كل شيء مقابل أن يعيش مهما كانت هذه المعيشة، ولقد عالج

القرآن هذا النفوس الضعيفة الخائرة بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْتُمُونَ كَمَا تَأْتُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس معه فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيا لكان عيبا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» [رواه مسلم].

قال سفيان: خذ من الدنيا لدينك وخذ من الآخرة لقلبك..

يا راقدا الليل مسرورا بأوله	إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة	كر الجديدين إقبالا وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك	قد كان في الدهر نفاعا وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها	يمسي ويصبح في دنياه أسفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة	حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها	فينبغي لك ألا تأمن النارا

### وصف الدنيا

قال رجل لعلي بن أبي طالب ؑ: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا.

قال: وما أصف لك من دار من صح فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، وفي مباحها العتاب؟!

وقال لقمان لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها.

### عجبا لك

قال البعض: عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح؟ وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك؟ وعجبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها؟ وعجبا لمن

يعلم أن القدر حق كيف ينصب؟

### العقلاء ثلاثة

قال يحيى بن معاذ: العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

### يا أيها الناس

اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تتركوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة، قد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيتها، وتزينت لخطابها، فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة، والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها فذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها، جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، ودها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل، فهل على الدواء من دليل؟ وهل إلى الطبيب من سبيل؟ فتدعي لك الأطباء ولا يرجي لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى، ثم يقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه، ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أينك، وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، فبكى إخوانك، وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان، ومنعت من الكلام فلا تنطق، وختم على لسانك فلا ينطق، ثم حل بك القضاء، وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك، وأحضرت أكفانك، فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوادك، واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتها بأعمالك.

### انتبه!

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء، قريبة الانقضاء، تعد بالبقاء ثم تخلف الوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحس عند انقضائه، ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن؛ متحرك في الحقيقة ساكن الظاهر، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصيرة الباطنة.



ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى قال:

أحلام نوم أو كظلم زائل إن الليب بمثلها لا يخدع

**الناس نيام**

قال يونس بن عبيد: ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فأرى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذا انتبه. فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

قال ابن عباس رضي الله عنه: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية ومشوه خلقها، فتشرف على الخلائق فيقال لها: أتعرفون هذه؟

فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه! فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم يقذف بها في جهنم فتنادي: أي رب، أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

**مالي وللدنيا؟!**

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مالي وللدنيا، وإنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف فرفعت شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها» [رواه الترمذي].

وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيته، فقدم مال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة فوافق صلاة الفجر مع رسول الله، فلما صلى رسول الله انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله حين رأيهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين!» فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: «أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسها فتهلككم كما أهلكتهم» [متفق عليه].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا الناس» [رواه مسلم].

**سببى عمك**

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان

ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله» [متفق عليه].

### هذه هي الدنيا

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع» [رواه مسلم].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في المدينة فاستقبلنا أحدًا، فقال: «يا أبا ذر»، قلت: لبيك يا رسول الله فقال: «ما يسري أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا تمضي عليّ ثلاثة أيام وعندني منه دينار إلا شيئاً رصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وعن شماله وعن خلفه - ثم سار فقال: إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا - عن يمينه وعن شماله ومن خلفه - وقليل ما هم» ثم قال لي: «مكانك لا تبرح حتى آتيك»، ثم انطلق في سواد الليل حتى تواري فسمعت صوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي فأردت أن آتية فذكرت قوله: «لا تبرح حتى آتيك» فلم أبرح حتى أتاني فقلت: لقد سمعت صوتاً تخوفت منه فذكرت له فقال: «هل سمعته؟» قلت: نعم، قال: «ذاك جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وسرق؟ فقال: وإن زنى وإن سرق» [متفق عليه].

### انظروا إلى من هو أسفل منكم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعم الله عليكم» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخصيصة؛ إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض» [رواه البخاري].

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك» [رواه البخاري].

## ماذا ترك رسولك للدنيا؟

عن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» [رواه البخاري].

## هذا هو مصعب

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى فوق أجرتنا على الله فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل يوم أحد وترك غمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا بها رجله بدا رأسه، فأمرنا رسول الله أن نغطي رأسه ونجعل على رجله شيئاً من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها (يقطعها). [متفق عليه].

## الحصير أثر في جنبه

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «هالي وللدينا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام» [رواه الترمذي].

## ما أخرجكما من بيوتكما؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» قالوا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا -والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوماً»، فقاما معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله: «أين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله وصاحبيه ثم قال: الحمد لله! ما أحد اليوم أكرم ضيفاً مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر (تمر النخل) وتمر ورطب فقال: كلوا، وأخذ المدينة، فقال له رسول الله: «ياك

والحلوب».. فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» [رواه مسلم]. ويقال إن هذا الأنصاري هو أبو الهيثم بن التيهان.

### اقعد فاشرب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد حجرا على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم فبسم حين رأيته وعرف ما في وجهي وما في نفسي ثم قال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الحق» ومضى فاتبعته، فدخل فاستأذن فأذن لي فدخلت فوجد لبنا في قدح فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهدها لك فلان أو فلانة قال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي»، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاءوا وأمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، فقال: «أبا هر»، قلت: لبيك يا رسول الله قال: «خذ فأعطيهم»، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فأعطيته الآخر فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى اللبن وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: «أبا هر» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، فقال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا، قال: «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة. [رواه البخاري].

## الغنى غنى النفس

قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» [متفق عليه].

## اليد العليا خير من اليد السفلى

عن حكيم بن حزام ؓ قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: «يا حكيم؛ إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى» قال حكيم: فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله فقال: يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أنني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبي حتى توفي. [متفق عليه] (يرزأ: يأخذ من أحد شيئا).

## هؤلاء هم الرجال

عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا من الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق، قال أبو برد: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك وقال: ما كنت أصنع بأن أذكره؟ قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه. [متفق عليه].

## لا تسأل الناس شيئا

عن عبد الرحمن بن عوف ؓ قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله؟ وكنا حديثي عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، والصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا الله، وأسر كلمة خفية.. ولا تسألوا الناس شيئا».. فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً أن يناوله إياه. [رواه مسلم].

## الرفق

حث الإسلام على الرفق، فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق» [رواه أحمد]

عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ومن أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير» [رواه الترمذي].

وعن عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ قال: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به» [رواه مسلم].

### أنواع الرفق

#### الرفق في الدين:

قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» [رواه البخاري].

قال ابن حجر: والمشادة بالتشديد: المغالبة، يقال: شاده مشادة إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

الدلجة: السير من أول الليل، والغدوة: الخروج أول النهار، والروحة: الخروج آخر النهار.

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» [رواه مسلم].

اعلم أخي الحبيب أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، فلا تضغط على نفسك في البداية في العبادة ثم تتوقف نهائياً، ولكن عليك بالتدرج، ابداً بقراءة جزء يومياً من القرآن ثم اجتهد في الزيادة مع الدوام.

## الرفق في التبليغ:

كان عبد الله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، فرد عليه تلميذ النبوة بجواب مليء بفقهاء الدعوة: «أما إنه يعني من ذلك أنني أكره أن أملككم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا» [رواه البخاري].

يخاف السامة على جيل التابعين فكيف بجيل القرن العشرين؟! ولا يفرد ابن مسعود بهذا الفقه دون الصحابة، بل إن ذلك سمة بارزة فيهم - رضوان الله عليهم جميعا - فهذا عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: أيها الناس لا تبعضوا الله إلى عباده.

فصيل: كيف ذاك أصلحك الله؟

قال: يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبعض إليهم ما هم فيه، ويقوم أحدهم إماما فيطول على الناس حتى يبعض إليهم ما هم فيه.

وهذا ابن عباس يقول: حدث الناس كل جمعة، فإن أكثرت فمرتين، فإن أكثرت فثلاثا، ولا تمل الناس من هذا القرآن ولا تأت القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، وقال: أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلونه.

وإذا أخذت بأقوال الصحابة وفقههم فإنك في مأمن من أن تكون من نفر الستة الذين ذكرهم ابن عبد البر حين قال: كان يقال: ستة إذا أهينوا فلا يلومون إلا أنفسهم:

- الذهاب إلى مائدة لم يدع إليها
- وطالب الفضل من اللئام.
- والداخل بين اثنين في حديثهما من غير أن يدخله فيه.
- والمستخف بالسلطان.
- والجالس مجلسا ليس له بأهل.
- والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه ولا يصغى إليه <sup>(١)</sup>.

(١) المصنف من صفات الدعاء (١/٣٨، ٣٩).

## الرفق مع الجهلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أعرابي في المسجد فثار الناس إليه ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله ذنوبا من ماء أو سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» [رواه البخاري]، السجل بفتح السين وإسكان الجيم، وهي الدلو الممتلئة ماء.

إنها قمة من قمم الرفق لا يبلغها إلا من اتصل بمشكاة النبوة اتصالا لا يعرف الملل، وذلك نابع من استشعار الرسول ﷺ بأن هذا التصرف الشاذ لا ينتج إلا من جاهل، ولنا أن نسأل أنفسنا: هل سيكون لنا نفس الموقف الذي وقفه الرسول ﷺ من الأعرابي إذا ما شاهدنا يوما تصرفا شاذا من أحد الناس؟ وهل نرفق به ولا نعنفه وننصحه بهدوء أن يقلع عن ذلك؟ أم أننا نسيء الظن فيه، ونحسبه قد تعمد ذلك ونثور كما ثار الصحابة رضوان الله عليهم في بداية الأمر؟<sup>(١)</sup>.

## الرفق مع المبتدئ:

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذا عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني (زجرني وعبس في وجهي) ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» [رواه مسلم].

يقول الحاج أحمد أبو شادي: حدث أن أحد الإخوان كان في طبعه حدة وعصية فكان يثور دائما لأوهي الأسباب، ويسبب بثورته ضيقا في نفوس الإخوان ويحاول بعضهم أن يقضي على ثورته الجائحة ويهدئ من روعه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان الإمام كثيرا ما يتدخل في ثورة هذا الأخ العصبي فتهدا نفسه إلى حين ثم يعود بعدها إلى ثورة جديدة.

(١) المصنف في صفات الدعاة (١/٤٠).



ولما طفح الكيل وضاق الإخوان وأستاذهم ذرعا بهذا الأخ الذي لا يتورع عن إيذاء الإخوان وتجريحهم انتفض الأستاذ غاضبا، وطلب إليه أن يخرج من دار المركز العام إلى بيته، فما كان من الأخ الثائر إلا أن قال للأستاذ: لن أخرج من هذه الدار، إنها ليست داركم ولكنها دار الإخوان المسلمين، فما كان من الأستاذ إلا أن سيطر على غضبه ولم يندفع في ثورته على هذا الأخ فأجابه في هدوء وسكينة: صدقت في قولك يا أخي إنها ليست داري وإنما دار الإخوان، لكن لا تنس أنني أبو هؤلاء الإخوان جميعا، وإنما جميعا مستاءون من تصرفاتك معنا وثورتك المستمرة علينا، وأوعز الأستاذ للإخوان بمقاطعته فقاطعوه ولم يكلموه ولم يردوا عليه، وترك الأستاذ الإمام مكانه في الغرفة وخرج الإخوان معه كلهم في صورة احتجاج ومقاطعة لهذا الأخ، وظل هذا الأخ في الغرفة وحيدا حزينا يفكر في موقفه الذي ساقته إليه ثوراته وجمحاته وشطحاته، وظل هكذا وحيدا يفكر فيما جنت يده على نفسه، وعلى إخوانه، وعلى مرشده، واغرورقت عيناه بالدموع، دموع الندم والتوبة.

وبعد فترة قصيرة من الوقت دخل عليه الأستاذ فوجده على هذه الحال، فما رآه الأخ حتى سارع إلى تقبيل يده، والاعتذار إليه وإلى الإخوان الذين أساء إليه هم مرارا، فما كان من الأستاذ إلا أن ضمه إليه ضمة الحب والرحمة والإشفاق، وقبله قبله الأخ الرحيم والمربي الحكيم، وأقبل عليه الإخوان يصافحونه، ويعانقونه بعد أن اعتذر إليهم، فما كان منه إلا أن استقام أمره، ولم يعد إلى ما كان منه من جمحات وشطحات. وهكذا استطاع الأستاذ الإمام أن يعالج مشكلة هذا الأخ الجامح، فلم يعالجه بالشدة والغلظة والزجر والثورة، وإنما عالجه باللين والرفق، ناهجا في ذلك نهج النبي الكريم والمربي العظيم الذي كان يقول: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله» [البخاري]<sup>(١)</sup>.

يقول سيد قطب: فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يشق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ومن يحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء،

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة ١٦١-١٦٣ .

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### الرفق في الدعوة:

من مواقف الرسول ﷺ الحكيمة فعله مع الطفيل بن عمرو الدوسي<sup>(٢)</sup>، فقد أسلم الطفيل قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل فلم يسلموا، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر أن دوسا قد عصت وأبت، وطلب أن يدعو عليهم، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكوا، فقال: «اللهم اهد دوسا، وائت بهم، اللهم اهد دوسا وائت بهم» [رواه أحمد].

فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي وهو بخير فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتا من دوس، ثم لحقوا بالنبي بخير، فأسهم لهم مع المسلمين.

### كن رفيقا في تعليم الناس:

كان عبد البديع صقر- رحمه الله- إذا دخل بيتا ووجد فيه تمثالا كسره أو رماه أو شوه وجهه دون موافقة صاحب البيت، وقد يكون صاحب البيت حديث عهد بالإخوان أو بالدعوة فيصيبهم نفور من عبد البديع، وكثرت الشكوى من تصرفه هذا، وبلغت الإمام الشهيد حسن البنا- رحمه الله- فقال لعبد البديع: لا تريد منك أن تحطم أصنام الناس، ولكننا نريدك أن تجعلهم يحطمونها بأيديهم!!

وهكذا رسم له طريق الدعوة الصحيح، وبين له المهمة الأساسية للداعية<sup>(٢)</sup>.

### الرفق بالمساكين:

يقول محمد إقبال: جاء سائل فطرق بابنا بعنف، فضربته بعصا على رأسه، فتناثر ما جمعه، فتألم والدي وسال الدمع من عينيه، وقال: يا بني، غدا تجتمع أمة خير البشر أمام

(١) الظلال (١/٥٠١).

(٢) حكايات عن الإخوان ٥٨، ٥٩.

مولاهما، ويحشر أهل الملة البيضاء حكماؤها والشهداء والعلماء، والعصاة، ويأتي هذا السائل المسكين صائحا شاكيا، فماذا أقول إذا قال لي النبي ﷺ: إن الله أودعك شابا مسلما، فلم تؤدبه بأدي، بل لم تستطع أن تجعله إنسانا، فانظر يا ولدي عتاب النبي الكريم ومقامي في خجلي بين الخوف والرجاء، أتفصح أباك أمام مولاه؟ يا ولدي كن برعما في غصن المصطفى ﷺ، وكن وردة من نسيج ربيعه، وخذ من خلقه الطيب بنصيب<sup>(١)</sup>.

الرفق بالوالدين:

ذكر العلماء أن رجلا كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك قال: يا بني ماذا تريد أن تفعل بي؟ قال: أريد أن أذبحك، قال: يا بني هذا جزاء الإحسان؟ قال الابن: لا بد من ذبحك فقد أسأمتني وأمليتني، فقال الأب: يا بني إن أبيت إلا ذبحي فاذبحني عند الصخرة التالية ولا تذبحني هنا؛ فتعجب الابن وسأل: وما الفرق بين هنا أو هناك؟ قال: يا بني إن كان الجزء من جنس العمل فاذبحني عند الصخرة التالية فلقد ذبحت أبي هناك ولك يا بني مثلها<sup>(٢)</sup>.

الرفق بالعصاة:

قال أبو هريرة ؓ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخين، وكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما، أو كنت على ما في يدي قادرا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار» [رواه أبو داود].

وكتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز ؓ: من عدي بن أرطاة.. أما بعد، أصلح الله أمير المؤمنين، فإن قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا

(١) أعلام المسلمين ٢٥٣.

(٢) قصص وعبر - محمود المصري (٢/٤٥).

عظيماً، لست أرجو استخراجهم من أيديهم، إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - أن يأذن لي في ذلك أفعل.

فأجابته عمر: أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذنانك إياي في عذاب بشر، وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل، فانظر ما قامت عليه بينة عدول، فخذها بما قامت عليه البينة، ومن أقر لك بشيء فخذها بما أقر به، ومن أنكرا فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله، وإيم الله، لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم، والسلام<sup>(١)</sup>.

أحرص على أن تكون رفيقا بالعصاة واعلم أن الخواتيم بيد الله،  
ونسأل الله حسن الخاتمة.

### الرفق بالحيوان:

عن أبي عثمان الثقفي قال: كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له يأتيه بدرهم كل يوم، فجاءه يوماً بدرهم ونصف، فقال: ما بدا لك؟ فقال: نفقت السوق، قال: لا ولكنك أتعبته، أرحه ثلاثة أيام.

### الحصان ليس من الإخوان

من طرائف الذكريات قصة رحلة الإمام البنا إلى مدينة بنها في مناسبة ذكرى الإسراء والمعراج، وتحدث الأستاذ في هذه الذكرى حديثاً شرح الصدور وشفى النفوس، وأمتع الحاضرين من العامة والخاصة والشباب والشيخوخة بما في الإسراء والمعراج من معجزات ومشاهد ومواقف وتوجيهات، وبعد انتهاء هذه المحاضرة الغراء انصرف المستمعون إلا قليلاً منهم ممن أدركوا أن وراء هذه الكلمات دعوة وداعية وليست مجرد كلمات ومواعظ، فاستأجر بعض الإخوان للأستاذ عربية حنطور ليركب فيها إلى محطة بنها ليعود إلى القاهرة في آخر قطار، وذلك بعد أن جلس هؤلاء القلائل من المستمعين للمحاضرة حول الإمام يسألونه في كل ما يهمهم من أمر هذه الدعوة التي يحملها إليهم ويبحث عن رجال ينهضون بها، ويفدون بها بأرواحهم

(١) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين ٣٠١ بتصرف.

وأموالهم، وجلس هؤلاء مع الإمام ساعات طوالاً ثم انصرف الأستاذ ومعه بعض هؤلاء يودعون حتى محطة بنها وقد اكتظت العربى بمن فيها من الراكبين حوله فى العربى، وقد رجا الأستاذ إخوانه أن ينصرفوا مشكورين إلى بيوتهم، وعليهم أن يرحموا هذه العربى المكتظة، فطمأنه أحد الراكبين بقوله: لا تقلق يا أستاذنا من هذا الازدحام على العربى فإن صاحب العربى وسائقها من الإخوان!

فأجاب الإمام هذا الأخ بقوله: ليكن صاحب العربى من الإخوان ولكن الحصان الذي يجر العربى ليس من الإخوان!



## الرحمة

الرحمة خلق من أخلاق المسلمين، ومعناها الشفقة واللين والعطف، وصف الله بها نفسه: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣] وأرسل بها نبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ووصف بها الصحابة: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

والرحمة وإن كانت رقة القلب والنفس ولكنها ليست مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها، بل إن لها مظاهر حقيقية منها العفو عن المؤمنين ومساعدة الفقراء.

وإليك بعض أنواع الرحمة وهي: رحمة الله، ورحمة الرسول بأمته، والرحمة بالأطفال، والرحمة باليتامى، والرحمة بالحيوانات، والرحمة بأهل الذمة، والرحمة بالجيران، والرحمة بالوالدين، والرحمة بالخالة، والرحمة بالمحتاجين، والرحمة بالعصاة، والرحمة بالرعية.. ونسأل الله أن يرحمنا في الدنيا والآخرة.

### ١- رحمة الله بعباده:

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال النبي ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي» [رواه البخاري].

وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ فيما حكى عن ربه عز وجل قال: «أذنب عبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت، فقد غفرت لك» [رواه مسلم] أي: إذا كان هذا دأبه، يذنب الذنب فيتوب منه، ويستغفر ولا يصر عليه ويندم، فإن الله يغفر له.

فسارع أخي الحبيب إلى التوبة والاستغفار، واعلم أن الله غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعا.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فالصقته بطنها وأرضعته، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا وهي أقدر على أن تطرح، فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» [رواه البخاري].

### من مظاهر رحمة الله

منها الرحمة العامة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» [رواه البخاري].

ومنها إذا تاب العبد بدل الله سيئاته حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].  
ومن رحمته إرسال الرسل إلى الناس ليأخذوا بأيديهم إلى الصواب مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ \* رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الدخان: ٥، ٦].

ومن رحمته إنزال الكتاب المبين، قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ \* هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٢، ٣].

ومن رحمته إباحة المحظور، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومن رحمته إنجاؤه للمؤمنين حين يأخذ الكفار بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨].

إذا منع الله عبده رزقا فهو من رحمته؛ قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ \* إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مَّا يَخْتَارُ لِغِيظِهِ أَتَىٰ النَّاسَ الْيَاسِرَ \* إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مَّا يَخْتَارُ لِيُؤْتِيَهُ مِمَّا يَخْتَارُ وَإِن تَبَدَّلَ لَقَارُ لَدُنَّ الْيَاسِرِ \* إِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ عَبْدٍ مَّا يَخْتَارُ لِيُؤْتِيَهُ مِمَّا يَخْتَارُ وَإِن تَبَدَّلَ لَقَارُ لَدُنَّ الْيَاسِرِ﴾ [العلق: ٦، ٧]. فالناس في نظر الله كالمرضى يعطيهم الدواء على قدر الداء، فإذا أعطى الفقر أو المرض للإنسان فقد أعطاه دواء مرا في باطنه الرحمة، فالمرارة نعمة، فقد يمنع

الإنسان ولده المريض عن أكل اللحم والحلوى، وهو كله رحمة بولده، وقد يمسك الوالد ولده بيده، ويقدمه للطبيب ليجري له عملية جراحية والولد يتألم والوالد كله رحمة بابنه.

وما من سيف لقمع ظالم أو سلاح لقهره رفع إلا وهو رحمة بالمجتمع الإنساني، وأكثر رحمته تتجلى في القصاص، فإن وجب القتل على إنسان فقتل كان ذلك رحمة بالمجتمع لعدم انتشار الفوضى.

بل إنك إذا نظرت إلى النار بعين الاعتبار، وجدت في باطنها رحمة، ولولا النار ما عرف القهار للكفار الفجار<sup>(١)</sup>.

### إلهي!

يا رحمن الوجود، يا من وسعت كل شيء رحمة وعلما، ظهرت رحمتك في كل ذرات الوجود فلا نرى شيئا إلا ونقرأ من آيات رحمتك ما يجذبنا إليك، وتطمئن قلوبنا بواسع حنانك.

رحمتك بالعوالم دلتنا على سعة الحنان فاطمأنت قلوبنا بأنك الرحيم بجميع الأكوان، وأنت تحب الرحمة لأنها صفتك، ونحن المستحقون لها لأن عيوبنا كثيرة، فانشر علينا رحمتك يا أرحم الراحمين.

الله يقسم رحمته كيف يشاء، ويدخل في رحمته من يشاء، والرحمة من الله إنعام وفضل، ونحن لا نكاد نرى آثار رحمة الله لكثرتها، وذلك بأن نعم الله لا تحصى، ولكننا نحسها إن أمسك الله بعض رحمته ونشعر وكأنها تنزع نزعا، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْلَ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود: ٩] ومن المبشرات أن الله جعل الرحمة قريبة من المحسنين قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

### وقفية

قال تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨١].

يقول سيد قطب: وهكذا يتصور المسلم رحمة ربه وعدله في التكاليف التي يفرضها الله عليه في خلافته للأرض، وفي ابتلائه في أثناء الخلافة، وفي جزائه على عمله في نهاية المطاف، ويطمئن إلى رحمة الله وعدله في هذا كله، فلا يتبرم بتكاليفه، ولا يضيق بها

(١) النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى - الرحمن الرحيم.



صدرا، ولا يستقلها كذلك، وهو يؤمن أن الله الذي فرضها عليه أعلم بحقيقة طاقته، ولو لم تكن في طاقته ما فرضها عليه، ومن شأن هذا التصور - فضلا عما يسكن في القلب من راحة وطمأنينة وأنس - أن يستجيش عزيمة المؤمن للنهوض بتكاليفه وهو يحس أنها داخلية في طوقه، ولو لم تكن داخلية في طوقه ما كتبها الله عليه، فإذا ضعف عن نفسه وهم همة جديدة للوفاء، مادام داخلا في مقدوره، وهو إحياء كريم لاستنهاض الهمة كلما ضعفت على طول الطريق، فهي التربية كذلك لروح المؤمن وهمته وإرادته، فوق تزويد تصوره بحقيقة إرادة الله به في كل ما يكلفه<sup>(١)</sup>.

## ٢- رحمة الرسول بأمته:

عن ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله قال: «زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطيت الكثيرين الأصفر أو الأحمر أو الأبيض (يعني الذهب والفضة) وقيل لي: إن ملكك حيث زوي لك، وإني سألت الله عز وجل ثلاثا: ألا يسلط على أمتي جوعا، فيهلكهم به عامة، وألا يلبسهم شيئا، ويذيق بعضهم بأس بعض، وأنه قيل لي: إذا قضيت قضاء فلا مرد له، وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم، ولن أجمع عليهم من بين أقطارها، حتى يفني بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا. وإذا وضع السيف في أمتي، فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة، وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين، وستعبد قبائل من أممي الأوثان، وستلحق قبائل من أممي بالمشركين» [رواه ابن ماجه].

وهكذا كان النبي ﷺ رحمة بأمته بل أمن الله المشركين من العذاب في الدنيا ما دام فيهم النبي محمد ﷺ وذلك مع استعجالهم له فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] مع أنهم طلبوا العذاب قائلين: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

## ٣- الرحمة بالمؤمنين:

قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» [رواه الترمذي]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تترع الرحمة إلا من شقي» [رواه الترمذي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي - رضي الله عنهما -

(١) في ظلال القرآن ١/ ٣٤٤.

وعنده الأقرع بن حابس التميمي، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم» [رواه البخاري].

وعن أبي مسعود الأنصاري ؓ قال: كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا: «اعلم أبا مسعود، لله أقدر عليك منك عليه»، فالتفت فإذا هو رسول الله فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار» أو «لمستك النار».

وعن أنس ؓ أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه» [رواه البخاري].

الحسين بن علي وهو طفل صغير رأى الضاروق على المنبر فقال له: انزل من على منبر أبي واصعد على منبر أبيك.

فقال له الضاروق: إن أبي لم يكن له منبر، ثم أخذ الحسين وأقعده معه<sup>(١)</sup>.

فالرحمة بالأطفال تكون بعدم ضربهم على الخطأ في المرة الأولى، ويجب التمسك عند لقائهم ومداعبتهم.

### قصة الأم الحقيقية

جاءت امرأتان إلى نبي الله سليمان، تحتكمان إليه في أمر وقع بينهما، فقد كان لكل امرأة طفل رضيع، فجاء الذئب في غفلة منهما وأخذ طفلا فأكله، فلما رأت أمه ذلك، أخذت الطفل الآخر وادعت أنه ابنها، وحينما جاءت أمه الحقيقية لتأخذه رفضت أن تعطيهما طفلها، فاستمع نبي الله سليمان إلى دعواهما، وكل منهما تدعي أنه ابنها، ففكر في حيلة يعرف بها الأم الحقيقية، فقال لأصحابه: اتنوني بسكين لنشق الولد نصفين، ونعطي كل واحدة منهما نصف الطفل، فرضيت إحدهما، أما الأخرى فصاحت وقالت: لا تفعلوا به هذا ولتأخذه هي ولا تقتلوه، فعلم سليمان أنها الأم الحقيقية، لأنها رفضت أن يذبح ابنها فأعطاهما الطفل.

فالأم بطبيعتها تحن على أبنائها، ولكنها في بعض اللحظات عند الغضب تدعو عليهم بالشقاء، وهذا لا يصح، لأنها قد تصادف ساعة إجابة، ويجب الدعاء لهم بالرحمة والهداية.

(١) حياة الصحابة (٢/٤٣٨).

## ارحمي أولادك!

علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من التجار جاءوا إلى المدينة، وأنهم مقيمون بالمسجد، فخرج ومعه عبد الرحمن بن عوف لحراسة التجار طوال الليل، ووسط الليل سمع عمر بكاء صبي، فتوجه نحوه، وقال لأم الصبي: اتقي الله وأحسني إلى صبيانك، ثم عاد إلى مكانه، وكرر هذا الأمر مرة ثانية، وفي آخر الليل سمع عمر بكاء الصبي، فذهب إلى أمه وقال لها: ويحك! إنني لأراك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر (يهدا)، فغضبت الأم من كلامه - وهي لا تعرفه - وأخبرته أنها تستعجل فطام ابنها، حتى يكون له نصيب مما يعطيه عمر للمسلمين من بيت المال، فإن عمر لا يعطي الرضيع، فتأثر عمر بما سمع وبكى كثيرا، حتى إن الناس لم تسمع قراءته في صلاة الفجر من شدة بكائه، ولما انتهى من الصلاة قال: يا بؤسا لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر مناديا ينادي: ألا لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام.

سارع - أخي الحبيب - بعد هذه الكلمات بتقبيل أطفالك،  
وإظهار الحنان لهم.

وعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا فتقدم رسول الله فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، فلما قضى رسول الله الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: « كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته » [رواه النسائي].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه - رضي الله عنهما - قال: سمعت أبي بريدة يقول: كان رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن والحسين - رضي الله عنهما - عليهما قميصان أحمران يمشان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال ﷺ: « صدق الله ﷻ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما [رواه الترمذي].

من الرحمة بالأطفال مداعبتهم، فقم بعمل لعبة معهم، حتى تدخل عليهم السرور والفرحة.

## ٥- الرحمة بالفقراء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أسود أو امرأة كان يكون في المسجد يقيم المسجد، فمات ولم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم بموته فذكره ذات يوم فقال: «ما فعل ذلك الإنسان؟» قالوا: مات يا رسول الله، قال: «أفلا آذنتموني؟» فقالوا: إنه كان كذا وكذا -قصته- قال: فحرقوا شأنه - قال: «فدلوني على قبره»، فأتى قبره فصلى عليه [رواه البخاري].

## ٦- الرحمة باليتامى:

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالجاهد في سبيل الله» وأحسبه قال: «كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر» [رواه البخاري].

وتوفي أبو سلمة رضي الله عنه تاركا زوجته أم سلمة وأولاده الأربعة: عمر وسلمة وزينب وبيرة. فأشفق النبي صلى الله عليه وسلم عليها ورق لحال أبنائها اليتامى فقرر أن يتزوجها إكراما لها، وحفاظا على أبنائها، وبعد أكثر من أربعة أشهر أرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليخطبها له، فقالت: أخبر رسول الله أنني امرأة غيري (شديدة الغيرة على زوجي) وأني امرأة مصيبة (لي أولاد كثيرون) وليس أحد من أوليائي شاهدا (لا يوجد أحد من أهلي هاهنا) فعاد عمر فأتى رسول الله فذكر ذلك، فقال له صلى الله عليه وسلم: «ارجع إليها فقل لها: أما قولك إني امرأة غيري فسأدعو الله لك فيذهب غيرتك، وأما قولك إني امرأة مصيبة فستكفين صبيانك (سوف أتكفل برعايتهم) وأما قولك أن ليس أحد من أوليائك شاهدا فليس أحد من أوليائك شاهدا ولا غائبا يكره ذلك»، فقالت لابنها: يا عمر قم فزوج رسول الله، فزوجه [رواه النسائي].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا [رواه البخاري].

الرحمة باليتامى تكون برعايتهم وكفالتهم وإطعامهم والعطف عليهم ومساعدتهم في أمورهم.

## ٧- الرحمة بالحيوانات.

يروى المؤرخون أن عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه

فاتخذت من أعلاه عشا، وحين أراد عمرو الرحيل، رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه الفسطاط فتركه، وتكاثر العمران من حوله.

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال: ويلك! قدها إلى الموت قودا جميلا.

الإسلام شديد المؤاخذة لمن تقسو قلوبهم على الحيوان ويستهيئون بالآلامه، وقد بين أن الإنسان على عظم قدره يدخل النار في إساءة يرتكبها مع دابة عجماء.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» [رواه البخاري].

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن كبائر المعاصي تمحوها نزعة رحمة تغمر القلب، ولو بكلب، ففي رواية أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف (يدور) بيثر، قد أدلع (أخرج) لسانه من العطش، فنزعت لها بموقها (خفها) فغفر لها [رواه مسلم].

وعن المسيب بن دارم قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا، ويقول: حملت ما لا يطيق، وأعلن عمر أنه مسئول عن بغلة تعثر في العراق لم يسو لها الطريق.

واشتهى الفاروق سمكا طريا فأخذ يرفأ - مولاه - راحلة فسار ليلتين مقبلا وليلتين مدبرا، واشترى مكتلا فجاء به، وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق فنظر إليها عمر فقال: عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، والله لا يذوق عمر ذلك.

وتقدم عمر إلى جمل تبدو عليه مظاهر الإعياء والمرض فقال له: إني لخائف أن أسأل عنك.

الرحمة بالحيوان تكون بإطعامه، وعدم اللعب به وتعذيبه، وعدم ضربه، أو إحراقه بالنار، وإذا رأيت من يعذب حيوانا انه عن ذلك.

#### ٨- الرحمة بأهل الذمة:

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في طريق من طرق المدينة المنورة فرأى شيخا قد شاب شعره، وانحنى ظهره، يسير مستندا على عصاه، يسأل الناس أن يتصدقوا عليه؛ لم يكن الرجل مسلما بل كان من أهل الذمة المقيمين في بلاد المسلمين تحميهم دولة

الإسلام، وترعاهم، وتأخذ من القادرين منهم مبلغاً زهيداً (الجزية) نظير ما يقدم لهم من خدمة ورعاية، ولما علم أمير المؤمنين بأمر الرجل رق له، وشعر بالرحمة والشفقة نحوه، وقال: ما أنصفناك! أخذنا منك الجزية في شبيبتك (شبابك) ثم ضيعناك في كبرك، وأصدر أوامره بإسقاط الجزية عن الرجل، وأمر أن يصرف له مبلغ شهري من المال يكفي لقضاء حوائجه، فانصرف الرجل وهو سعيد برحمة المسلمين به.

وذات يوم كان صلاح الدين يتفقد أحوال جنده فرأى امرأة من الصليبيين تبكي وتضرب على صدرها فسألها عن قصتها، فقالت: دخل المسلمون في خيمتي وأخذوا ابنتي الصغيرة، فنصحتني الناس أن أذهب إليك، وقالوا: إن السلطان صلاح الدين رجل رحيم، فدمعت عينا صلاح الدين، وأمر أحد الجنود أن يبحث عن الصغيرة وعمن اشتراها، ويدفع له ثمنها ويحضرها، فما مضت ساعة حتى وصل الفارس والصغيرة على كتفه، ففرحت الأم فرحاً شديداً وشكرت صلاح الدين على مروءته وحسن صنيعه<sup>(١)</sup>.

#### ٩- الرحمة بالجيران:

أراد رجل أن يحج فأعطاه خاله عشرة آلاف درهم، وقال له: إذا قدمت المدينة فابحث عن أفقر بيت فأعط أهله هذا المبلغ، فلما وصل الرجل إلى المدينة سأل عن أفقر بيت فدلوه على بيت فذهب إليه، وطرق الباب، فأجابته امرأة، وقالت له: من أنت؟ فقال: أنا رجل من أهل بغداد، معي أمانة وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة، وقد دلوني عليكم، فخذوها، فقالت المرأة: إن جيراننا أفقر منا فادفعها إليهم، فذهب إلى البيت المجاور، فأجابته امرأة فذكر لها القصة، فقالت: نحن وإياهم في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم، فقسم الرجل المبلغ بين الجارين.

#### شفاعة أبي حنيفة

حتى ولو كان الجار مؤذياً نكون رحماً به.

كان للإمام أبي حنيفة النعمان جار يلهو ويغني طول الليل يزعم جيرانه ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر

وكان أبو حنيفة يتضايق من أذى جاره، ولا يستطيع أن يقوم الليل ويصلي بسبب صوت جاره وغناؤه، ورغم ذلك كله، فقد كان صابرا عليه.

وذات يوم كان رجال الشرطة يمرون فسمعوا صوت هذا الجار، فأخذوه ووضعوه في الحبس، فلم يسمع أبو حنيفة صوت جاره كالعادة، فسأل عنه فقبل له: إن الشرطة قد حبسته فأسرع أبو حنيفة في الصباح إلى بيت الحاكم عيسى بن موسى، واستأذن في الدخول عليه، وقال له: أصلح الله الأمير، جار لي أخذه عسس الأمير (الشرطة) ليلة كذا، فوقع في حبسك، سمع عيسى بن موسى شفاعة أبي حنيفة لجاره، فأمر بإطلاق سراح ذلك الجار إكراما لأبي حنيفة، فخرج الجار من السجن، وشكر أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: هل أضعتك يا فتى؟

فقال الجار: لا والله، ولم يعد مرة ثانية إلى اللهو والغناء، وكف عن إزعاج جيرانه.

#### موقف صعب

كان لعبد الله بن المبارك جار فقير، اضطرت ظروف الحياة أن يبيع داره، فقبل له: بكم تبيع؟

فقال الرجل: بألفين.

فقبل له: هي لا تساوي إلا ألفا.

فقال الرجل: صدقتم، ولكني أريد ألفا للدار، وألفا لجوار عبد الله بن المبارك. ولما علم عبد الله بن المبارك بذلك، أرسل إليه، وأعطاه ثمن الدار، وقال له: ابق فيها ولا تبعها.

والرحمة بالجار تكون بكف الأذى وتحمل أذاه، وملاحظة داره في غيبته، والتلطف مع أولاده، وعدم النظر إلى أهله، ومساعدته إن كان محتاجا، وعدم إلقاء القمامة أمام بابه - أو من الشباك عليه - وعدم إزعاجه باللعب أو برفع صوت المذياع، ومشاركته في الأفراح والأحزان، وإعارته الأطباق والملح والزيت والسكر وغيرها، وملء الماء له إن كانت المياه لا تصل إليه.

#### ١٠- الرحمة بالوالدين:

جاء أن رجلا من النساك كان كل يوم يقبل قدم أمه فأبطأ يوما على إخوانه فسألوه

عن تأخيره فقال: كنت أتمرغ في رياض الجنة؟ فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات.  
والأبوان المشركان لهما حق البر كالمسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

### احتضن أنبوبة البوتاجاز لينقذ أمه!

في واقعة إنسانية تعتبر مثالا للرحمة بالوالدين لقي ابن مصرعه بعد أن احتضن أنبوبة بوتاجاز مشتعلة وخرج بها بعيدا عن الشقة لينقذ أمه من الحريق، استيقظ نبيل محمد أحمد (٢٥ سنة) - وهو سائق تاكسي - من نومه مبكرا ودخل المطبخ ليعد وجبة الإفطار له ولأمه التي كانت في صالة الشقة، وعندما أشعل الثقب اكتشف أن الأنبوبة بها تسرب، واشتعلت النيران بالأنبوبة، وشاهدت أمه النيران فصرخت.. وقال الابن قبل وفاته إنه عندما شاهد الأنبوبة مشتعلة خاف على أمه من الحريق فاحتضن أنبوبة البوتاجاز وخرج بها من الشقة<sup>(١)</sup>.

ومن الرحمة بالوالدين: إكرامهما وعدم رفع الصوت عليهما، وعدم مقاطعتهما أثناء الكلام، وعدم الخروج من الدار إلا بإذنهما، وتقبيل أيديهما، ومخاطبتهما بلطف، والنهوض لهما إذا دخلا عليه، وعدم إزعاجهما إذا كانا نائمين، وعدم تفضيل الزوجة والولد عليهما، وعدم مد اليد إلى الطعام قبلهما، وعدم النوم وهما جالسان إلا إذا أذنا بذلك، وعدم مد الرجلين أمامهما، وعدم المشي أمامهما، وإكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما، وعدم مصاحبة إنسان غير بار بوالديه، والدعاء لهما.

### ١١- الرحمة بالأقارب:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلا أتى النبي فقال: إني أصبت ذنبا عظيما فهل لي توبة؟ فقال: «هل لك من أم؟» قال: لا، فقال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم، فقال: «فبرها إذا» [رواه الترمذي].

وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد

(١) جريدة الأخبار ٩/٧/٢٠٠٠.



الله بن عمر رضي الله عنهما: إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب وإنى سمعت رسول الله يقول: «إن أبر صلة الولد أهل ود أبيه» [رواه مسلم].

فيجب صلة الرحم وإكرامهم ومساعدتهم في الشدائد، ومشاركتهم في الأفراح والأحزان.

## ١٢- الرحمة بالمحتاجين:

وجاءت امرأة إلى أبي حنيفة بثوب من الحرير لتبيعه له فقال لها: كم ثمنه؟

قالت: ثمنه مائة درهم.

فقال: كلا إنه يساوي أكثر من مائة درهم، فتعجبت المرأة من هذا المشتري الذي يرفع السعر الذي يشتري به، وأخذت تزيد في الثمن مائة بعد مائة، حتى قالت: إذن فخذ بأربعمائة درهم.

فقال: إن ثمنه أكثر من ذلك.

فقالت: أتتهزأ بي؟

قال: هات رجلا يقدر لنا ثمنه، فذهبت وأحضرت رجلا، فقال لها: هو بخمسمائة درهم، فاشتره أبو حنيفة بهذا الثمن.

## رحمة عمر بن عبد العزيز

دخلت فاطمة على عمر بن عبد العزيز فوجدته واضعا خده على يده جالسا في مصلاه ودموعه تسيل على خديه، فقالت: ما بالك؟

فقال: ويحك يا فاطمة! لقد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة، وأن خصمي دونهم محمد، فخشيت ألا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي فبكيت.

فتذكر إخوانك المحاصرين في أرض فلسطين، لا يجدون طعاما ولا شرابا،

اسأل الله لهم النصر على أعدائهم.

### لا تسبوه

مر أبو الدرداء رضي الله عنه بجماعة قد تجمهروا على رجل وجعلوا يضربونه ويشتمونه فأقبل عليهم وقال: ما الخبر؟

قالوا: رجل وقع في ذنب كبير.

قال: أرأيتم لو وقع في بئر أفلم تكونوا تستخرجونه منها؟

قالوا: بلى.

قال: لا تسبوه ولا تضربوه وإنما عظوه وبصروه، واحمدوا الله الذي عافاكم من الوقوع في ذنبه.

قالوا: أفلا تبغضه؟

قال: إنما أبغض فعله، فإذا تركه فهو أخي. فأخذ الرجل ينتحب ويعلن توبته<sup>(١)</sup>.

الرحمة بالعصاة تكون بتبصيرهم بأخطائهم والدعاء لهم بالهداية.

### ١٣- الرحمة بالرعية:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتوخى الرحمة والشفقة على الرعية، وكم من مرة أمر قاداته في الجهاد ألا يغرروا بالمسلمين ولا ينزلوهم منزل هلكة، وكتب عمر لرجل من بني أسلم كتابا يستعمله به، فدخل الرجل على عمر وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبلهم، فقال الرجل: تفعل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبلت ولدا لي قط.

فقال عمر: فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملا، ورده عمر فلم يستعمله.

وغزت بعض الجيوش بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر، فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل في يوم شديد البرد لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه! ولم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة، فقال: بالبيكاه بالبيكاه! وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه.

\*\*\*

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	إهداء .....
٥	المقدمة .....
<b>الإخلاص</b>	
١٠	عشرة لا ينتفع بها .....
١١	من مظاهر الإخلاص .....
١٤	سوء خاتمة المرثي .....
١٥	الفرق بين النسيجين .....
١٥	ستبتع وحدك .....
١٦	الإخلاص مسك .....
١٧	الإخلاص لربك .....
<b>التوبة</b>	
١٨	انتبه .....
١٩	عباد الله .....
١٩	عتاب .....
١٩	استيقظ من نومك .....
١٩	أيها العبد .....
٢٠	وقفه مع النفس .....
٢٠	يا معرضاً .....
٢٠	أين من سبقك؟ .....
٢٠	القطار يسير .....
٢٠	الرسول ﷺ يستغفر .....
٢١	الله يفرح بك .....
٢١	الله ينادي عليك .....
٢١	التوبة واجبة على الدوام .....
٢١	احذر استصغار الذنب .....
٢١	لا تفرح بالصغيرة وتجهر بها .....

٢٢	طريق التوبة .....
٢٢	احذر التسويف .....
٢٢	راجع حساباتك .....
٢٢	الرسول ﷺ علمنا .....
٢٢	استغفر .....
٢٢	استغفار يحتاج إلى استغفار .....
٢٣	أسئلة محيرة .....
٢٣	علامات التائب .....
٢٣	هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم .....
٢٤	إلهي .....
٢٤	اتهم توبتك .....
٢٤	علامات التوبة المقبولة .....
٢٥	حجة باطلة .....
٢٥	عجباً لك .....
٢٦	بدل بيتك .....
٢٦	توبة صادقة .....
٢٧	توبة هارون الرشيد .....
٢٧	توبة مالك بن دينار .....

## الصبر

٢٩	من سنن الكون .....
٢٩	الإيمان نصفان .....
٢٩	الصبر الجميل .....
٢٩	عاقبة الصبر .....
٣٠	لا يتنافى مع الصبر .....
٣٠	أخاطبك على قدر عقلك .....
٣٠	الصبر مفتاح الفرج .....
٣١	ثمن الجنة .....
٣١	بيان من الله .....
٣٢	لا لأخلاق الأطفال .....
٣٢	من أسماء الله الحسنى: الصبور .....

٣٢	.....	غالب أعداءك
٣٣	.....	عجباً لك
٣٣	.....	اتقي الله
٣٣	.....	امرأة من أهل الجنة
٣٣	.....	بشرى
٣٤	.....	لا تطلب الموت
٣٤	.....	انظر إلى من سبقك
٣٤	.....	الله يحبك
٣٤	.....	قصة امرأة صالحة
٣٤	.....	عند الغضب
٣٥	.....	رد الأمانة
٣٥	.....	كمال الرضا عن الله
٣٦	.....	من لطائف الأدب
٣٦	.....	فهم خاطئ
٣٧	.....	لا تلعنها
٣٧	.....	محن في طيها منح
٣٧	.....	هل رأيت حبيباً يعذب حبيبه؟! ..
٣٧	.....	ابتسم في مقابلة المحن
٣٨	.....	الفرج بعد الشدة
٣٩	.....	صبر على الطاعة
٣٩	.....	فداء بالمال

## الصدق

٤٠	.....	الصدق يهdy إلى الجنة
٤٠	.....	الصدق طمأنينة
٤٠	.....	لا تجحد نعمة ربك
٤١	.....	موقف مع البخاري
٤١	.....	أنواع الصدق
٤٥	.....	الكذب على الأعداء
٤٥	.....	أبو سفيان
٤٥	.....	أنكحك الصدق

٤٦ ..... أموت ولا أكذب

## المراقبة

٤٨ ..... من أسماء الله الحسنى: الرقيب

٤٩ ..... مظاهر اسمه تعالى الرقيب

٥٠ ..... ثمار المراقبة

٥٢ ..... أمانة في البيع والشراء

٥٣ ..... عمر يختبر الراعي

٥٣ ..... الغلام المعلم

٥٣ ..... راقبوا الله في خلواتكم

٥٤ ..... درس في المراقبة

## التوكل

٥٥ ..... وعلى الله فتوكلوا

٥٥ ..... رزقك على ربك

٥٥ ..... المتوكلون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب

٥٥ ..... كن كالطير

٥٦ ..... الشيطان يحزن

٥٦ ..... حقيقة التوكل

٥٦ ..... لا تحزن ومعك الملك

٥٦ ..... هل أنت مؤمن؟

٥٦ ..... لا تتكاسل

٥٦ ..... ساق التوكل

٥٧ ..... واعجباً

٥٧ ..... فهم خاطئ

٥٧ ..... هكذا أمر الأنبياء

٥٨ ..... القرآن يأمر بالأخذ بالأسباب

٥٨ ..... سبحان الله يا شقيق!!

٥٨ ..... هل لك حرفة؟! .....

٥٨ ..... هذه الأشياء لا تنافي التوكل

٥٩ ..... غزوة حنين غموج قرآني

٥٩	حدث في ليلة الهجرة .....
٥٩	فلم تقتلوهم ولكن .....
٥٩	آله أمرك بهذا؟! .....
٦٠	حسبنا الله ونعم الوكيل .....
٦٠	من الرزاق؟ .....
٦٠	لا تعصه وهو يرزقك .....
٦٠	طرفة .....
٦١	كن معه يغنيك من خزائنه .....
٦١	لا تياس وإن توات عليك الخطوب .....
٦١	البركة من الله .....
٦١	موقف يحتاج إلى تأمل .....
٦٢	متى الراحة؟! .....
٦٢	إن لي نفساً تواقه .....
٦٢	رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .....
٦٢	كثرة الأموال ليست دليل الكرامة على الله .....
٦٣	الابتلاء بالنعمة .....
٦٣	النعم ثلاث .....

## الاستقامة

٦٤	الاستقامة في العبادة .....
٦٤	نموذج فريد .....
٦٥	المداومة على القراءة .....
٦٥	الاستقامة على العفة .....
٦٥	مناظرة بين القلب والعين .....
٦٨	استقامة صادقة .....
٦٩	المداومة على الإنفاق .....
٦٩	نتيجة الاستقامة .....
٧١	جزاء عدم الاستقامة .....

## الخوف والرجاء

٧٣	تأملات .....
----	--------------

- ٧٣ ..... أما أبصرت قبور القوم؟
- ٧٣ ..... شَمَّر عن ساق الجد
- ٧٤ ..... لا للتقصير في القصير
- ٧٤ ..... إعراض الله
- ٧٤ ..... خف من النار
- ٧٤ ..... كيف تعرف الديك من الدجاجة؟
- ٧٥ ..... نداءات
- ٧٥ ..... احذر الغرق
- ٧٥ ..... إخواني
- ٧٦ ..... أين هؤلاء؟! .....
- ٧٦ ..... اتقوا النار
- ٧٦ ..... شهادة الأرض
- ٧٦ ..... وصايا غالية
- ٧٦ ..... هل دخلت الجنة؟
- ٧٧ ..... التسبيح أفضل أم الاستغفار؟
- ٧٧ ..... خوف يدفع للعمل
- ٧٧ ..... لو تعلمون ما أعلم
- ٧٧ ..... لِمَ شئت يا رسول الله؟
- ٧٧ ..... الرسول يبكي
- ٧٨ ..... خوف عمر
- ٧٨ ..... ماذا عملت فيما علمت؟
- ٧٨ ..... بكاء.. بكاء
- ٧٩ ..... وقفة تأمل
- ٧٩ ..... لماذا لا نبكي؟
- ٧٩ ..... البكاء في النار
- ٧٩ ..... أتعرف ذنب كذا
- ٨٠ ..... هل تحافظ على الصلاة؟
- ٨٠ ..... نداء رباني
- ٨٠ ..... بشريات
- ٨١ ..... هنيئًا لك



- ٨١ ..... إنك تعبد الرحيم
- ٨١ ..... الخوف أفضل أم الرجاء؟

### الخشوع

- ٨٣ ..... اعتراف غربي
- ٨٤ ..... صلاة تليق بمعبودك
- ٨٦ ..... نماذج للخاشعين
- ٨٦ ..... طريق النصر
- ٨٦ ..... كيف تقيم الصلاة؟
- ٨٧ ..... أتسهو في صلاتك؟
- ٨٨ ..... أسلم بسبب الصلاة
- ٨٩ ..... معنى إقامة الصلاة

### البكاء من خشية الله

- ٩٠ ..... بكاء الرسول
- ٩٠ ..... البكاء خوفا من سوء الخاتمة
- ٩١ ..... إليك عني
- ٩١ ..... يا عمر الخير
- ٩٢ ..... كأن النار لم تخلق إلا لهم
- ٩٢ ..... أبكي على قلة زادي
- ٩٣ ..... دموعهم جارية
- ٩٣ ..... ويح نفسي!
- ٩٤ ..... البكاء خوفا من النار
- ٩٤ ..... أمنية عبد الله بن عمرو
- ٩٥ ..... من أهدى الخوف
- ٩٥ ..... من أحسن الأشياء
- ٩٦ ..... عتاب للنفس
- ٩٦ ..... تحيل نفسك
- ٩٧ ..... وصية
- ٩٧ ..... وقفات
- ٩٧ ..... وأنى لابن الخطاب مثل هذا

- ٩٨ ..... دعوني  
 ٩٨ ..... أنجح الوسائل  
 ٩٩ ..... ويحي!  
 ٩٩ ..... أبك على خطيئتك

### قيام الليل

- ١٠٠ ..... الليل مدرسة الرجال

### السجود

- ١٠٨ ..... احتجاج الهدهد  
 ١٠٨ ..... الشمس تسجد  
 ١٠٩ ..... سجدة خير من الدنيا  
 ١٠٩ ..... سجود النبي ﷺ  
 ١٠٩ ..... هل تذوقت حلاوة الخشوع؟  
 ١٠٩ ..... الرسول سيتعرف عليك  
 ١١٠ ..... النجاة بالسجود  
 ١١٠ ..... أكثر من السجود تصاحب النبي  
 ١١٠ ..... سجود المؤمنين  
 ١١٠ ..... أثر السجود  
 ١١١ ..... سجود التلاوة  
 ١١١ ..... سجدة الشكر  
 ١١١ ..... سجود السهو

### التأثر بالقرآن

- ١١٢ ..... أحوال السلف مع القرآن  
 ١١٣ ..... التأثر بآية  
 ١١٤ ..... خوف شديد  
 ١١٤ ..... أعظم آية  
 ١١٦ ..... من أحوال الصالحين  
 ١١٧ ..... تأثير القرآن في العرب  
 ١١٧ ..... العمل بالقرآن  
 ١١٨ ..... مع سورة الزلزلة

- ١١٩ ..... ليس لي عذر .....
- ١٢٠ ..... بل أنت يا رب .....
- ١٢٠ ..... سرعة الاستجابة .....
- ١٢١ ..... تحريم الخمر في أمريكا .....
- ١٢١ ..... الاستماع إلى القرآن .....
- ١٢٢ ..... أسلموا بسبب القرآن .....
- ١٢٢ ..... بطل العالم في الملاكمة «كاسيوس كلاي» الذي صار محمد علي كلاي .....
- ١٢٣ ..... إسلام قسيس .....
- ١٢٣ ..... أستاذ اللاهوت .....
- ١٢٤ ..... خمسة قساوسة .....
- ١٢٤ ..... إسلام البحار .....
- ١٢٥ ..... في ظلال القرآن .....
- ١٢٥ ..... خيبة أهل الكتاب .....
- ١٢٦ ..... هجر القرآن أنواع .....
- ١٢٦ ..... وقفات .....
- ١٢٧ ..... آداب تلاوة القرآن .....

### التعلق بالمساجد

- ١٣٢ ..... يخرجون للصلاة وهم مرضى .....
- ١٣٢ ..... في أصعب الظروف .....
- ١٣٣ ..... من أحوال السلف .....
- ١٣٤ ..... الحرص على صلاة الفجر .....
- ١٣٥ ..... أنس يبكي .....
- ١٣٦ ..... فضيلة الوقت بعد الفجر .....
- ١٣٧ ..... نماذج رائعة .....
- ١٣٧ ..... الحرص على تكبيرة الإحرام .....
- ١٤٠ ..... حالك في الصلاة .....

### الورع

- ١٤١ ..... ورع الرسول .....
- ١٤٢ ..... سبحان الله! .....

- ١٤٢ ..... الحرام حرام!
- ١٤٢ ..... أبو بكر الصديق
- ١٤٣ ..... ورع وخوف
- ١٤٣ ..... نموذج فريد
- ١٤٣ ..... إنما هاجر به أبوه
- ١٤٤ ..... من أين لك هذا؟
- ١٤٤ ..... محاسبة الأهل أولاً
- ١٤٤ ..... خذه يا معقيب
- ١٤٥ ..... ميزان رباني
- ١٤٥ ..... خوف من الشبهات
- ١٤٦ ..... من غشنا فليس منا
- ١٤٦ ..... ويحك تسقيني ناراً!
- ١٤٦ ..... بكى الناس إشفافاً
- ١٤٧ ..... ورع الولاية
- ١٤٧ ..... اجعلها سوقاً للمسلمين
- ١٤٨ ..... نزاهة العمال
- ١٤٨ ..... أجور العمال
- ١٤٨ ..... ورع الفاروق عمر
- ١٤٩ ..... لا ترفع صوتك على حديث النبي
- ١٤٩ ..... ورع التابعين
- ١٥٠ ..... ورع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
- ١٥٠ ..... عمر بن عبد العزيز وعمته
- ١٥١ ..... الآن طاب لي أكله
- ١٥١ ..... محمد بن واسع
- ١٥٢ ..... أقبلت هدية؟!
- ١٥٢ ..... عطاء بن أبي رباح
- ١٥٣ ..... ورع الإمام
- ١٥٤ ..... محمد بن المنكدر
- ١٥٤ ..... يرفض الذل
- ١٥٤ ..... الورع عما يستبيحه الكافة

الإفراج الصحي ..... ١٥٥

### المسارعة إلى الخيرات

المسارعة في دخول الجنة ..... ١٥٦

سبقك بها عكاشة ..... ١٥٦

سارع ..... ١٥٧

مساعدة الفقراء ..... ١٥٧

جيل المسارعين إلى الخيرات ..... ١٥٨

ذهب أهل الدثور بالأجور ..... ١٥٩

مسارعة في طلب العلم ونشره ..... ١٦٠

المسارعة في الجهاد ..... ١٦١

تنافس في الشهادة ..... ١٦١

جهزوني ..... ١٦٢

من يأخذه بحقه؟ ..... ١٦٢

المسارعة في رد الفتنة ..... ١٦٢

### محاسبة النفس

لفتة! ..... ١٦٥

يا نفس! ..... ١٦٦

هل أنت إلا قطرة؟ ..... ١٦٦

مثل واضح ..... ١٦٦

وصية حكيم ..... ١٦٧

النفس اللوامة ..... ١٦٧

واحسرتاه ..... ١٦٨

مع أبي طلحة ..... ١٦٨

محمد بن بشر ..... ١٦٨

أصحاب علي ..... ١٦٨

ويحك يا نفس ..... ١٦٩

التوبة ..... ١٦٩

توشك أن تصل ..... ١٧١

دينار العيار ..... ١٧١

١٧٢	تذكر يوم القيامة.....
١٧٤	الدولة الغريبة.....
١٧٥	أيها الباكي.....
١٧٥	اجعل القرآن منهجك.....
١٧٦	ذكر الله.....
١٧٦	قيام الليل.....
١٧٧	يتنفض فرعا.....
١٧٨	كثرة الدعاء.....

### علو الهمة

١٨٠	عالي الهمة شريف النفس.....
١٨٠	١- علو الهمة في العبادة.....
١٨٢	أبو حنيفة.....
١٨٢	القيام والبكاء.....
١٨٣	٢- علو الهمة في الجهاد.....
١٨٤	٣- علو الهمة في طلب العلم.....
١٨٥	أين نحن من هؤلاء.....
١٨٦	حتى قبل الموت!.....
١٨٦	٤- علو الهمة في الدعوة:.....
١٨٧	الشيخ محمد فرغلي.....
١٨٩	الإيمان وعلو الهمة.....

### طلب العلم

١٩٠	ثمانى مسائل.....
١٩٢	أهمية اللغة العربية.....
١٩٢	تخير العلوم.....
١٩٣	طلب العلم.....
١٩٤	كيف تحفظ العلم؟.....
١٩٥	علم بلا عمل.....
١٩٥	أحب الصالحين.....
١٩٥	كيف ينال العلم.....

١٩٥	..... شهوة العلم
١٩٦	..... الكتاب خير جليس
١٩٦	..... المداومة على طلب العلم
١٩٨	..... فطنة العالم
١٩٨	..... نماذج فريدة معاصرة
١٩٩	..... الاستقامة في طلب العلم
١٩٩	..... زد من الضرب
٢٠٠	..... هذا والله الملك
٢٠٠	..... صبرهم على الجوع من أجل العلم
٢٠٠	..... لا يستطيع العلم براحة الجسد
٢٠٠	..... العمل بالعلم
٢٠١	..... حفظ العلوم
٢٠٢	..... نتيجة الفهم الصحيح والثقافة الواعية
٢٠٢	..... السعادة
٢٠٣	..... من نماذج العلماء
٢٠٤	..... الفتوى
٢٠٤	..... اطلبوا العلم
٢٠٥	..... هكذا يطلب العلم
٢٠٦	..... الذكاء والعلم
٢١٠	..... عباس العقاد
٢١٠	..... نماذج من علماء الأمة
٢١٥	..... آداب طالب العلم
٢١٦	..... آفات العلم

### التفكير

٢١٨	..... التفكير
٢١٩	..... النحلة
٢٢١	..... دعوة
٢٢٣	..... هذا الكون
٢٢٤	..... عظمة الكون
٢٢٥	..... بعض ما في الكون

- ٢٢٨ ..... علمني الخبير العليم  
 ٢٣٣ ..... عجائب الحياة في النبات  
 ٢٣٤ ..... عبادة الكون  
 ٢٣٥ ..... مشاعر متبادلة مع الكون كله

### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- ٢٣٦ ..... فوائد الأمر بالمعروف  
 ٢٣٧ ..... حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 ٢٣٨ ..... مراتب الإنكار  
 ٢٣٩ ..... الرفق في النهي عن المنكر  
 ٢٤٠ ..... النهي عن المنكر بالمعروف  
 ٢٤٠ ..... لا تخش إلا الله  
 ٢٤٠ ..... أحياني أحياء الله  
 ٢٤١ ..... لا يشارك في باطل  
 ٢٤١ ..... الهضيبي وجمال عبد الناصر  
 ٢٤٢ ..... الشعراوي والسادات  
 ٢٤٣ ..... التلمساني والسادات  
 ٢٤٣ ..... إن الذي يمد رجله لا يمد يده  
 ٢٤٤ ..... رجل آثر الله

### الإيجابية

- ٢٤٦ ..... رجل إيجابي  
 ٢٤٦ ..... تعلم من الهدهد  
 ٢٤٧ ..... حتى النملة إيجابية  
 ٢٤٧ ..... الداعية الفعال  
 ٢٤٧ ..... مؤمن آل فرعون  
 ٢٤٨ ..... اقتراح إيجابي  
 ٢٤٩ ..... موقف بطولي  
 ٢٥٠ ..... المسئولية فردية  
 ٢٥١ ..... مباراة  
 ٢٥١ ..... إيجابية الأطفال



٢٥١	..... أبو محجن الثقفي
٢٥٢	..... قول الحق
٢٥٣	..... الجين المرفوع
٢٥٤	..... والله لأعرضنك اليوم
٢٥٤	..... إيجابية الغلام
٢٥٥	..... إيجابية أبي ذر
٢٥٧	..... الشيخ أحمد ياسين

## الإيثار

٢٥٨	..... إيثار الرسول
٢٥٨	..... ضيف الرسول
٢٥٨	..... مساعدة الناس
٢٥٩	..... إيثار علي بن نفسه مكان الرسول
٢٥٩	..... جوار الحسينيين
٢٦٠	..... عمر بن الخطاب والدنانير
٢٦٠	..... إيثار حتى الموت
٢٦٠	..... لو ذكرتني لفعلت
٢٦١	..... إيثار المهاجرين والأنصار
٢٦١	..... إيثار بالشهوات
٢٦١	..... إيثار نادر
٢٦٢	..... في أحد
٢٦٢	..... إيثار الرجال
٢٦٢	..... أبو هريرة
٢٦٣	..... بشر بن الحارث
٢٦٣	..... أنفق مما تحب
٢٦٤	..... إيثار بما تحب
٢٦٤	..... إيثار عبد الرحمن بن عوف
٢٦٤	..... إيثار حكيم بن حزام
٢٦٥	..... يا قوم أسلموا
٢٦٥	..... يؤثر إخوانه بالحياة لحظات

- ٢٦٥ ..... ما شاء الله
- ٢٦٦ ..... مداواة الروماتيزم
- ٢٦٦ ..... إثثار الكفاح على السلامة

### الابتسامة

- ٢٦٨ ..... الضحك في القرآن
- ٢٦٩ ..... نماذج من ضحك الرسول ﷺ
- ٢٦٩ ..... الرسول والفاروق
- ٢٦٩ ..... تصديق الخبر
- ٢٧٠ ..... أين السائل؟
- ٢٧٠ ..... ما الكوثر؟
- ٢٧٠ ..... زرع الجنة
- ٢٧١ ..... تعالى حتى أسابقك
- ٢٧١ ..... آخر أهل الجنة دخولاً
- ٢٧١ ..... أتدرون مم أضحك؟
- ٢٧٢ ..... آخر ابتسامة في حياة النبي ﷺ
- ٢٧٣ ..... نصيحة طريفة
- ٢٧٣ ..... مواقف مضحكة
- ٢٧٤ ..... أنا روحك وأنت روحي
- ٢٧٤ ..... شروط المزاح
- ٢٧٥ ..... الضحك والبكاء وجهان لسلامة صحتك

### العفة

- ٢٧٦ ..... عفة اللسان
- ٢٧٧ ..... التعفف عن سؤال الناس
- ٢٧٧ ..... العفة عن أموال الناس
- ٢٧٨ ..... هكذا كانوا
- ٢٧٩ ..... كلمات من ذهب
- ٢٧٩ ..... عفة عبيد بن عمير
- ٢٨٠ ..... حكاية فتى عفيف
- ٢٨١ ..... إبراهيم المسكي

٢٨١ ..... الجزء من جنس العمل

## الحياء

- ٢٨٣ ..... تعريف الحياء
- ٢٨٣ ..... أما استحييت مني؟! .....
- ٢٨٤ ..... علامات الشقوة .....
- ٢٨٤ ..... أنت مؤمن بالله .....
- ٢٨٤ ..... هكذا خلقك الله .....
- ٢٨٤ ..... وضاعت الأخلاق .....
- ٢٨٤ ..... مفاهيم يجب أن تصحح .....
- ٢٨٥ ..... عمر والمرأة .....
- ٢٨٦ ..... لا سمع ولا طاعة .....
- ٢٨٦ ..... الله أكرم .....
- ٢٨٧ ..... لا لخدش الحياء .....
- ٢٨٧ ..... ما بال فلان يقول؟ .....
- ٢٨٧ ..... رجل تستحي منه الملائكة .....
- ٢٨٨ ..... ما رأيت أشد حياء منه .....
- ٢٨٨ ..... لا تصافح النساء .....
- ٢٨٨ ..... حياء من الضيوف .....
- ٢٨٩ ..... قف واعلم .....
- ٢٨٩ ..... وصية .....
- ٢٨٩ ..... إني استحييت من ربي .....
- ٢٨٩ ..... ثلاث خصال .....
- ٢٩٠ ..... ما لي لا أجزع؟! .....
- ٢٩٠ ..... افرح مع الحياء .....
- ٢٩٠ ..... حياء وسط الرجال .....
- ٢٩١ ..... لا للمزاحمة .....
- ٢٩١ ..... يشهدن الأعياد .....
- ٢٩١ ..... تذكرني غيرة زوجك .....
- ٢٩٢ ..... حياء سيدنا موسى والفتاتين .....
- ٢٩٣ ..... أيها الشباب .....

٢٩٣	أين النخوة؟! .....
٢٩٤	حياء من الموتى .....
٢٩٤	حياء يعجب النبي .....
٢٩٤	أول نعش في الإسلام .....
٢٩٥	براءة موسى .....
٢٩٥	الفقير والحياء .....
٢٩٦	مواقف لا تتنافى مع الحياء .....
٢٩٧	الحياء يمنع من الكذب .....
٢٩٧	حياء في الحرب .....
٢٩٨	أما تستحي من نفسك؟! .....
٢٩٨	إلى متى؟! .....
٢٩٨	كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا .....
٢٩٩	صور في مجتمعنا تتنافى مع الحياء .....
٢٩٩	كيف تكتسب صفة الحياء .....

## الوفاء

٣٠٢	من صور الوفاء .....
٣٠٢	الوفاء مع الله .....
٣٠٤	وفاء الأنصار مع الرسول ﷺ .....
٣٠٦	الوفاء مع الزوجة .....
٣٠٦	الوفاء مع الزوج .....
٣٠٨	وفاء مع الكفار .....
٣١٠	وفاء نحو فلسطين .....

## الكرم والإنفاق

٣١١	وقفه قرآنية .....
٣١٢	كرم الرسول ﷺ .....
٣١٢	الكريم .....
٣١٤	أنواع الكرم .....
٣١٤	عجب الله من صنيعكما .....
٣١٥	خزيمة وعكرمة .....

٣١٨	..... أنفق عما تحب
٣١٩	..... أبو أمامة ومحبته للصدقة
٣٢٠	..... الإنفاق والإخلاص
٣٢٠	..... دعوة إلى الإنفاق
٣٢١	..... أي الصدقة أعظم أجراً؟
٣٢١	..... كرم عثمان
٣٢٢	..... عثمان ذلك الرجل السخي
٣٢٢	..... كرم أبي حنيفة
٣٢٣	..... دار في الجنة

## العفو

٣٢٤	..... من أسماء الله الحسنى العفو
٣٢٥	..... عفو يوسف
٣٢٥	..... عفو الرسول ﷺ
٣٢٥	..... العفو سبب إسلام ثمامة
٣٢٦	..... العفو عند المقدرة
٣٢٧	..... ودارت الأيام وأسلم
٣٢٩	..... في غزوة ذات الرقاع
٣٢٩	..... مع أهل مكة
٣٢٩	..... ذكاء وعفو
٣٢٩	..... خذ العفو
٣٣٠	..... تذكر عفو ربك
٣٣٠	..... والكاظمين الغيظ
٣٣١	..... عفو عن الجهال
٣٣٢	..... اللهم إني صفحت عنه فاصفح عنه
٣٣٤	..... قمة في العفو
٣٣٥	..... الفرق بين العفو والذل

## الحلم

٣٣٧	..... حلم الرسول ﷺ مع زيد بن سعة
٣٣٨	..... إنما بعثت رحمة

٣٣٩	..... حلم مع اليهود
٣٣٩	..... يا أنيس
٣٤٠	..... مراجعة
٣٤٠	..... أحلم من معن
٣٤٢	..... حلم الفاروق
٣٤٣	..... الأحنف بن قيس
٣٤٣	..... إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان
٣٤٤	..... ثلاث صحف
٣٤٥	..... الرتيبي
٣٤٥	..... كلمات من ذهب
٣٤٧	..... علاج الغضب
٣٤٨	..... ومن الوسائل النبوية لعلاج الغضب
٣٤٩	..... الغضب المحمود
٣٤٩	..... غضب عمر لله
٣٤٩	..... الغضب لفلسطين

### التواضع

٣٥١	..... اركب يا أمير المؤمنين
٣٥١	..... جدد نيتك
٣٥٢	..... شهادة عدي
٣٥٢	..... مواقف رائعة
٣٥٣	..... الفرق بين التواضع والمهانة
٣٥٤	..... تواضع الفاروق
٣٥٤	..... أريد أن أعرفها نفسها
٣٥٥	..... تقدير الموتى
٣٥٦	..... الرسول قدوتنا

### القناعة

٣٥٧	..... علامات القانع
٣٥٧	..... اجعل همومك في الآخرة
٣٥٧	..... ازهد في الدنيا

- ٣٥٧ ..... الزاهد الحقيقي
- ٣٥٨ ..... أتخاف الفقر ومعك الملك؟! .....
- ٣٥٨ ..... أزممتنا معنوية لا مادية .....
- ٣٥٩ ..... وصف الدنيا .....
- ٣٥٩ ..... عجباً لك .....
- ٣٦٠ ..... العقلاء ثلاثة .....
- ٣٦٠ ..... يا أيها الناس .....
- ٣٦٠ ..... انتبه! .....
- ٣٦١ ..... الناس نيام! .....
- ٣٦١ ..... مالي وللدنيا؟! .....
- ٣٦١ ..... سيبقى عملك .....
- ٣٦٢ ..... هذه هي الدنيا .....
- ٣٦٢ ..... انظروا إلى من هو أسفل منكم .....
- ٣٦٣ ..... ماذا ترك رسولك للدنيا؟ .....
- ٣٦٣ ..... هذا هو مصعب .....
- ٣٦٣ ..... الحصير أثر في جنبه .....
- ٣٦٣ ..... ما أخرجكما من بيوتكما؟ .....
- ٣٦٤ ..... اقعد فاشرب .....
- ٣٦٥ ..... الغنى غنى النفس .....
- ٣٦٥ ..... اليد العليا خير من اليد السفلى .....
- ٣٦٥ ..... هؤلاء هم الرجال .....
- ٣٦٥ ..... لا تسأل الناس شيئاً .....

### الرفق

- ٣٦٦ ..... أنواع الرفق .....
- ٣٧٢ ..... الرفق بالحيوان .....
- ٣٧٢ ..... الحصان ليس من الإخوان .....

### الرحمة

- ٣٧٤ ..... ١- رحمة الله بعباده .....
- ٣٧٥ ..... من مظاهر رحمة الله .....

٣٧٦	..... إلهي!
٣٧٦	..... وقفة
٣٧٧	..... ٢- رحمة الرسول بأمته
٣٧٧	..... ٣- الرحمة بالمؤمنين
٣٧٨	..... قصة الأم الحقيقية
٣٧٩	..... ارحمي أولادك!
٣٨٠	..... ٥- الرحمة بالفقراء
٣٨٠	..... ٦- الرحمة باليتامى
٣٨١	..... ٧- الرحمة بالحيوانات
٣٨١	..... ٨- الرحمة بأهل الذمة
٣٨٢	..... ٩- الرحمة بالجيران
٣٨٢	..... شفاعة أبي حنيفة
٣٨٣	..... موقف صعب
٣٨٣	..... ١٠- الرحمة بالوالدين
٣٨٤	..... احتضن أنبوبة البوتاجاز لينقذ أمه!
٣٨٤	..... ١١- الرحمة بالأقارب
٣٨٥	..... ١٢- الرحمة بالمحتاجين
٣٨٥	..... رحمة عمر بن عبد العزيز
٣٨٦	..... لا تسبوه
٣٨٦	..... ١٣- الرحمة بالرعية
٣٨٧	..... الفهرس





# موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق

(قصص تربوية من حياة الأنبياء

والصحابية والتابعين والصالحين)

الجزء الثاني

إعداد

ياسر عبد الرحمن



جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى للناشر  
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٢٤١٨١  
الترقيم الدولي: I.S.B.N:  
977 - 441 - 006 - 8

مركز السلام للتجهيز الفني  
عبد الحميد عمر  
٠١٠٦٩٦٢٦٤٧

## مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت: ٥٣٢٦٦١٠ - ٠١٠٢٣٢٧٣٠٢ - ٠١٠١١٧٥٤٤٧

[www.iqraakotob.com](http://www.iqraakotob.com)

Email: [info@iqraakotob.com](mailto:info@iqraakotob.com)

# إهداء

إلى كل من علمني حرفاً من القرآن

وأرشدني إلى طريق الإيمان

إلى أمي التي سهرت على راحتي

إلى أبي الذي تعب في تربيته

إلى زوجتي التي ساعدتني

إلى ابنتي وأسأل الله أن يبارك فيها

إلى كل من كان له فضل عليّ

ياسر عبد الرحمن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الشجاعة

الشجاع هو: الجريء المقدام، والجمع شجعان، وشجع شجاعة: قوي قلبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» [متفق عليه].

### أنواع الشجاعة:

خالد بن الوليد في مؤتة:

في غزوة مؤتة استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم النبي ﷺ، فاتفق المسلمون على أن يتولى خالد بن الوليد، فلما تولى خالد القيادة فكر في حيلة لينجو بالجيش، لأنه لا يمكنه التغلب على قوات الروم الكثيرة بهذا العدد القليل من المسلمين، فغير أماكن الجنود، وأمر بعض الكتائب أن تبعد عن ساحة القتال، ثم يأتون مندفعين أثناء المعركة وهم يكبرون، ويشيرون التراب بخيولهم، وفي الصباح، فوجئ جنود الروم بوجوه جديدة من الجنود المسلمين لم يروها من قبل في الأيام الماضية، ثم جاءت الكتائب الأخرى فظنها الروم مددا لجيش المسلمين، فدب الرعب في قلوبهم، وفي الليل سحب خالد جيشه من المعركة تدريجياً حتى لا يلاحقهم الروم، وهكذا استطاع أن ينقذ جيش المسلمين.

من الشجاعة عدم الخوف من كثرة الباطل فإنه غثاء.

أشجع الناس بعد الرسول ﷺ:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أيها الناس، أخبروني من أشجع الناس؟

قالوا: أنت يا أمير المؤمنين.

قال: أما إنني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس.

قالوا: لا نعلم، فمن؟

قال: أبو بكر رضي الله عنه أنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا، فقلت: من يكون مع رسول الله لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرا السيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس.

### شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، قال: وقد فرغ أهل المدينة ليلة سمعوا صوتا قال: فتلقاهم النبي على فرس لأبي طلحة عري وهو متقلد سيفه فقال صلى الله عليه وسلم: «لم تراعوا لم تراعوا» [رواه البخاري] (الزوع الخوف والفرع).

### شجاعة الصحابة

في غزوة الخندق نادى عمرو بن ود على المسلمين ليخرج إليه من بينهم من يبارزه فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس» ثم الثانية ثم الثالثة فقال: «يا علي إنه عمرو بن عبد ود» فقال: وإن كان عمرا. فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك فغضب فنزل فسل سيفه كأنه شعلة نار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعن عليا عليه»، وكان علي قد دعاه إلى الإسلام، فرفض وبدأت المبارزة وهجم علي عليه كالصقر فقتله ثم كبر، فكبر معه المسلمون فرحا.

### الدفاع عن الدين

إن المواقف الصادقة والأحاديث الصريحة والعمل الجاد ومواجهة المشكلات بجرأة وثبات وصمود أمام التحديات كانت السمة البارزة للأستاذ عمر التلمساني، ففي حديث مفتوح للرئيس أنور السادات بمدينة الإسماعيلية حضره الأستاذ عمر التلمساني، بناء على دعوة وجهت إليه، وبث في الإذاعة والتلفزيون على الهواء مباشرة، اتهم السادات التلمساني بالفتنة الطائفية وساق أنواعا من التهم، فما كان من الأستاذ التلمساني إلا أن انبرى واقفا يرد على السادات بقوله: «الشيء الطبيعي بإزاء أي ظلم يقع على من أي

جهة أن أشكو صاحبه إليك، بصفتك المرجع الأعلى للشاكين - بعد الله - وهأنذا أتلقى الظلم منك، فلا أملك إلا أن أشكوك إلى الله» وما إن سمع السادات مقولة التلمساني حتى أصابه الذعر والرعب وناشد التلمساني أن يسحب شكواه، فقال التلمساني بقوة وأدب: إني لم أشكك إلى ظالم، وإنما شكوتك إلى رب عادل يعلم ما أقول.

### حرق أعصاب الظالم

يقول الأستاذ التلمساني: كنت في سجن مصر، ودخل علينا شخصية كبيرة من الحكومة في الزنزانة، فقامت تلبية (لشخطة العسكري) انتباهه، أما الأستاذ الهضبي فلم يتحرك من مكانه، وكأنه لم ير أحدا ولم يسمع صيحة الشاويش، فقال له رجل الحكومة: لو كنت على حق لنصرك الله علينا.

فرد عليه وهو في جلسته الهادئة: إن المسلمين هزموا في موقعة أحد، وهم على الحق.

فلم يرد رجل الحكومة وانصرف ساكنا، وبعد خروج هذا الشخص لامي فضيلته على قيامي وعلمي أن الظالم لا يحرق أعصابه إلا عدم اهتمام الناس بمظهره وقوته الجوفاء<sup>(١)</sup>.

### هكذا كانوا

أقبل حذيفة بن محصن على رستم في هيئة تشبه هيئة ربيعي، السفير السابق، حتى وصل إلى أقرب بساط، قال له أتباع رستم: انزل من على فرسك.

قال: ذلك لو جئكم في حاجة خاصة بي فقولوا للملككم، أله حاجة أم لا؟ فإن قال: لا، فقد كذب ورجعت وتركتكم، فإن قال: نعم لم آتكم إلا على ما أحب.

فقال رستم: دعوه، فدخل حذيفة راكبا فرسه، حتى وقف على رستم وهو على سريره، فقال له رستم: انزل.

قال: لا أفعل وأبي، فلما رآه رستم مصرا على الركوب تركه وشأنه، ثم وجه له سؤالا: ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟

قال: إن أميرنا يجب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء فهذه نوبتي.

قال رستم: ما جاء بكم؟

(١) مائة موقف من حياة المرشدين ٨٠، ٨١.

فقال حذيفة: إن الله عز وجل منّ علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه، وكنا منكربين، ثم أمرنا بدعوة الناس، إلى واحدة من ثلاث، فأبوا أجابوا إليها قبلناها: الإسلام ونصرف عنكم، أو الجزية ونمنعكم إن أجبتم إلى ذلك، أو المنابذة.

فقال رستم: أو المواعدة إلى يوم ما.

قال حذيفة: نعم، ثلاث من أمس، فلما لم يجد رستم عنده إلا ذلك طلب منه العودة إلى أصحابه، فانصرف عائدا إليهم.

وأقبل رستم على قواده لعلهم يقبلون مصالحة المسلمين، فقال لهم: ويحكم! ألا ترون إلى ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقر ما نعظم وأقام فرسه على فرشنا وربطه به، فهو في بين الطائر، ذهب بأرضنا ومن فيها إليهم، من فضل عقله، وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا، فهو في بين الطائر يقوم على أرضنا<sup>(١)</sup>.

#### ما حجتك عند الله؟

مر والي البصرة بمالك بن دينار متبخترا بمشيته فصاح به: أقل من مشيتك هذه، فهمّ خدمه به، فقال: دعوه، ما أراك تعرفني.

فقال له مالك: وما أعرف بك مني، أما أولك فنطفة مذرة، وأما آخرك فجيفة قدرة، و أنت بين ذلك تحمل العذرة، فنكس الوالي رأسه ومشى<sup>(٢)</sup>.

#### استحضر هيبة الله

كان العز بن عبد السلام شجاعا مقداما، فقد ذهب ذات مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد الأمراء والخدم والحشم يقبلون الأرض أمام السلطان، وشاهد الجند صفوفًا أمامه، ورأى الأبهة والعظمة تحيط به من كل جانب، فتقدم الشيخ إلى السلطان، وناداه باسمه مجردا، وقال: يا أيوب، ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك مصر، ثم تبيح الخمر؟ واستطرد الشيخ قائلا: نعم تباح الخمر في الحانات وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، وأخذ الشيخ يناديه بأعلى صوته والعساكر واقفون.

(١) الناطقون بالحق ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) المصنف (١/٧٨).



فقال السلطان: يا سيدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي.

فقال الشيخ: أنت من الذين يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾؛ فأصدر السلطان أوامره بإغلاق تلك الحانات، ومنع تلك المفاسد، وشاع الخبر بين جمهور المسلمين وأهل القاهرة، فسأل أحد تلاميذ الشيخ عن السبب الذي جعله ينصح السلطان أمام خدمه وعساكره في مثل هذا اليوم الكريم.

فقال الشيخ: يا بني، رأيت السلطان في تلك العظمة، فأردت أن أذكره لثلاث تكبر عليه نفسه فتؤذيه.

قال التلميذ: أما خفته؟

قال العز: والله يا بني، استحضرت هيبة الله تعالى فلم أخف منه<sup>(١)</sup>.

#### بين منذر بن سعيد وعبد الرحمن الناصر

أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر عمل في بعض سطوح الزهراء قبة بالذهب والفضة، وجلس فيها، ودخل الأعيان، فجاء منذر بن سعيد فقال له الخليفة كما قال لمن قبله: هل رأيت أو سمعت أن أحدا من الخلفاء قبلي فعل مثل هذا؟

فأقبلت دموع القاضي تتحدر، ثم قال: والله ما ظننت يا أمير المؤمنين أن الشيطان - لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن يمكنه من قيادك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين.

فانضلع عبد الرحمن لقوله وقال: انظر ما تقول، وكيف أنزلتني منزلتهم؟

قال: نعم، أليس الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]

فنكس الناصر رأسه طويلا ودموعه تتساقط، ثم قال: جزاك الله عنا خيرا وعن المسلمين، والذي قلت هو الحق، وأمر بنقض سقف القبة<sup>(٢)</sup>.

(١) أعلام المسلمين ١٢١.

(٢) من يظلمهم الله (١/٢٤٤، ٢٤٥).

## أبو العتاهية وهارون الرشيد

وضع هارون الرشيد طعاما وزخرف مجالسه وزينها، وأحضر أبا العتاهية، وقال له:  
صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا.

فقال أبو العتاهية:

عش ما بد لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت، ثم ماذا؟ فقال:

يسعى إليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فقال: حسن، ثم ماذا؟

فقال أبو العتاهية مندفعاً:

فإذا النفوس تقعقت في ظل حشرجة الصدور

فهنالك تعلم موقفا ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد، فزجر أحد الحاضرين أبا العتاهية لأن المقام مقام فرح وسرور، فقال  
الرشيد: دعه، فإنه رأنا في عمى فكره أن يزيدنا منه<sup>(١)</sup>.

## الترفع عن الذلة

كما حدث في غزوة أحد فعندما وقف أبو سفيان في نهاية المعركة، وقال: أفي القوم  
محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيؤه»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال رسول الله  
ﷺ: «لا تجيؤه»، فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: رسول الله ﷺ: «لا تجيؤه» ثم  
التفت إلى أصحابه فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر  
نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزبك، قال أبو سفيان، اعل هبل،  
فقال النبي ﷺ: «أجيؤه»، فقالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل»، قال أبو  
سفيان: لنا العزى، ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «أجيؤه»، قالوا: ما نقول؟ قال:  
«قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال،

(١) أعلام المسلمين ٤٩.

وتجدون مثله لم أمر بها ولم تسؤني، فقال عمر: لا سواء، قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار، فجاهه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمدا؟

قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر؛ لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمدا.

كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم، لأن في علمهم أنهم أهل الإسلام، وبهم قام صرحه، وأركان دولته، وفي موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم، وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولا تصغيرا له، حتى إذا انتشى وملاه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة<sup>(١)</sup>.

### شجاعة المعتصم

كان المعتصم بالله شجاعا، كتب إليه ملك الروم يهدده، فأمر أن يقرأوا له رسالته، فلما قرئت أمر برميها، وقال للكاتب: اكتب: أما بعد فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُنِيَ الدَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### لطمة على وجه اليهودي

دخل أبو بكر ﷺ المدراس (مكان يتلو فيه اليهود التوراة) فوجد فيها ناسا قد اجتمعوا إلى رجل منهم، يقال له فنحاص، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خبر من أخبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك! اتق الله وأسلم فوالله إنك تعلم أن محمدا لرسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر، فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله.

(١) عمر بن الخطاب، للصلاحي ٤٨، ٤٩.

(٢) أعلام المسلمين ٥١.

فذهب فنحاص إلى رسول الله فقال: يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله لأبي بكر: « ما حملك على ما صنعت؟ ».

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيما، إنه يزعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فجدد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردا عليه، وتصديقا لأبي بكر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُو قَوَّادِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ونزل في أبي بكر الصديق وما بلغه في ذلك من الغضب قوله تعالى: ﴿تُبَلَّسُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] (١).

### الشيخ الإنباني

يوم تسلط الاستعمار الإنجليزي على مصر، وطأ الكثيرون رءوسهم وقف علماء الأزهر يشمخون برءوسهم استعلاء أمام جبروت المستعمر.

وأراد اللورد (كرومر) - جبار مصر وحاكمها آنذاك - أن يستعطف علماء الأزهر، عسى أن يخففوا من معارضتهم للاستعمار، فجمع من حوله بعض المارقين من المتعاونين معه، ومضى بهم يريد زيارة العالم المؤمن الشيخ الإنباني، شيخ الجامع الأزهر يوم ذاك، وعندما دخل كرومر على الشيخ، وجده جالسا فانتظر اللورد كرومر قليلا، عسى أن يقف العالم المؤمن لاستقباله، لكنه لم يفعل فتقدم كرومر من الشيخ ماداً يده للسلام عليه، وهو يحسب أن الشيخ سيضطر للوقوف له لرد السلام عليه، لكن الشيخ المؤمن بقى جالسا، ومد يده باستخفاف يرد على الجبار الإنجليزي تحيته، فثارت نائرة كرومر وكاد يأمر بالفتك بالعالم المؤمن الذي تحدى سلطانه وجبروته، لكنه سرعان ما أدرك أن أي إساءة للشيخ - وهو رمز الأزهر كله - ستفتح عليه أبواباً جديدة من المتاعب لا قبل له بها، فتصنع الهدوء وانحنى أمام العالم المؤمن يسأله بمودة مصطنعة: ألسنت تقف للخديوي إذا دخل عليك، أيها الشيخ الجليل؟

(١) مائة موقف من حياة العظماء ١٠١.

فأجابه الشيخ: بلى، إني أرد تحيته بمثلها أو بأحسن منها.

فيقول كرومربخبث: فلماذا لم تقم لي أيها الشيخ؟

فيأتيه جواب الشيخ شواظا من نار، يجسد كل ما يمثله الأزهر وشيخه وعلمائه من رمز رافض للاستعمار البريطاني وأعوانه: أيها اللورد، إن الخديوي مسلم منا، لذلك أرد عليه تحيته، أما أنت فلست منا، إنك عدونا، فكيف أقوم لك؟<sup>(١)</sup>.

شجاعة غلام:

بينما الحجاج جالس وعنده وجوه أهل العراق، أتى بصبي، فلما أدخل عليه لم يعبا بالحجاج ولم يكثرث به وإنما صار ينظر إلى البناء وما فيه من العجائب، ويلتفت يمينا وشمالا، ثم اندفع يقول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩].

وكان الحجاج متكئا فاستوى في مقعده، وقال: يا غلام، إني أرى لك عقلا وذهنا، حفظت

القرآن؟

قال الغلام: أو خفتُ عليه من الضياع حتى أحفظه وقد حفظه الله تعالى؟

قال: أجمعت القرآن؟

قال الغلام: أو كان مفرقا حتى أجمعه؟

قال: أفأحكمت القرآن؟

قال: أليس الله أنزله محكما؟

قال الحجاج: أفاستظهرت القرآن؟

قال: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري.

فقال الحجاج وقد ثار غضبا: ويلك! قاتلك الله، ماذا أقول؟

قال الغلام: الويل لك ولقومك، قل: أوعيت القرآن في صدرك؟

فقال الحجاج: فاقرأ شيئا.

فاستفتح الغلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء

(١) مائة موقف من حياة العظماء ٨٦.

نصر الله و الفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجا.

فقال الحجاج: ويحك! إنهم يدخلون، فرد عليه الغلام قائلا: كانوا يدخلون أما اليوم فقد صاروا يخرجون.

فقال الحجاج: ولم؟

قال الغلام: لسوء فعلك بهم.

قال الحجاج: ويلك يا غلام! وهل تعرف من تخاطب؟

قال الغلام: نعم، شيطان ثقيف: الحجاج.

قال الحجاج: ويلك! من رباك؟

قال الغلام: الذي زرعي.

قال الحجاج: فمن أمك؟

قال الغلام: التي ولدتي.

قال الحجاج: فأين ولدت؟

قال الغلام: في بعض الفلوات.

قال الحجاج: فأين نشأت؟

قال الغلام: في بعض البراري.

قال الحجاج: أجمنون أنت فأعالك؟

قال الغلام: لو كنت مجنونا لما وصلت إليك ووقفت بين يديك، كأنني ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك.

قال الحجاج: فما تقول في أمير المؤمنين؟

قال الغلام: رحم الله أبا الحسن عليه السلام، وأسكنه جنان خلوده.

قال الحجاج: ليس هذا عنيت، إنما أعني عبد الملك بن مروان.

قال الغلام: الفاسق الفاجر.

قال الحجاج: ويحك! بم استحق اللعنة أمير المؤمنين؟

قال الغلام: أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض.

قال الحجاج: وما هي؟

قال الغلام: استعماله إياك على رعيته، تستييح أموالهم، وتستحل دماءهم.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: ما تشيرون في هذا الغلام؟

قالوا: اسفك دمه، فقد خلع الطاعة، وفارق الجماعة.

فقال الغلام: يا حجاج! جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك، حيث قالوا

لفرعون عن موسى عليه السلام وأخيه: ﴿أرجه وأخاه﴾ وهؤلاء يأمرون بقتلي، إذن والله

تقوم عليك الحجة بين يدي الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين.

فقال له الحجاج: هذب ألفاظك، وقصر لسانك، فإني أخاف عليك بادرة الأمر،

وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم.

فقال الغلام: لا حاجة لي بها، بيض الله وجهك، وأعلى كعبك.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: هل علمتم ما أراد بقوله: «بيض الله وجهك

وأعلى كعبك؟»

قالوا: الأمير أعلم.

قال: أراد بقوله: «بيض الله وجهك» العمى والبرص، وبقوله: «أعلى كعبك»

التعليق والصلب.

ثم التفت إلى الغلام وقال له: ما تقول فيما قلت؟

قال الغلام: قاتلك الله، ما أفهمك!

فاستشاط الحجاج غضبا، وأمر بضرب عنقه، وكان الرقاشي حاضرا، فقال: أصلح

الله الأمير، هبه لي.

قال الحجاج: هو لك، لا بارك الله لك فيه.

فقال الغلام: والله لا أرى أيكما أحق من صاحبه؟ الواهب أجلا قد حضر، أم

المستوهب أجلا لم يحضر؟

فقال الرقاشي: استنقذتك من القتل وتكافئني بهذا الكلام؟

فقال الغلام: هنيئاً لي الشهادة إن أدركتني السعادة، والله إن القتل في سبيل الله أحب إلي من أن أرجع إلى أهلي صفر اليدين.

فأمر له الحجاج بجائزة وقال: يا غلام قد أمرنا لك بمائة ألف درهم، وعفونا عنك، لحدائث سنك وصفاء ذهنك، وحسن توكلك على الله، وإياك والجرأة على أرباب الأمر، فتقع مع من لا يعفو عنك.

فقال الغلام: العفو بيد الله لا بيدك، والشكر له لا لك، ولا جمع الله بيني وبينك... ثم هم بالخروج فابتدره الغلمان، فقال الحجاج: دعوه، فوالله ما رأيت أشجع منه قلباً، ولا أفصح منه لساناً، ولعمري ما وجدت مثله قط، وعسى هو أن يجد مثلي، فإن عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصره.

\*\*\*



## الاعتدال

دعا رسول الله ﷺ أمته إلى الاعتدال في أمور الدين والدنيا، كما حث على عدم الغلو، فقال ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» [رواه البخاري]. الدلجة: السير أول الليل.

فسددوا: أي توسطوا في العمل، وقاربوا: أي دون إفراط ولا تفريط، فالإفراط هو مجاوزة الحد والغلو فيه، والتفريط هو التقصير في الشيء وتضييعه.

ومن دعاء الرسول ﷺ: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخري التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر» [رواه مسلم].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟».

قلت: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «فلا تفعل وصم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا» [رواه البخاري].

### الاعتدال في العبادة

فالإسلام لا يدعو إلى الرهينة والانقطاع للعبادة، وإنما يدعو إلى الوسطية بين طلب الدنيا وطلب الآخرة، فهو القائل: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» [القصص: ١٧٧].

وهو القائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾» [الجمعة: ٩، ١٠].

وقد حذر النبي ﷺ من الغلو في الدين وهو المغالاة والتعسير على النفس والتشديد

عليها، مما يؤدي إلى الملل، وترك الواجبات، وترك ما أحل الله تعالى لعباده، وإلزام الإنسان نفسه بما لا يلزمه به الشرع، وقال الرسول ﷺ: «هلك المنتطعون» قالها ثلاثا، والمنتطعون: أي المتشددون في غير موضع التشدد [رواه مسلم].

وعن أنس بن مالك ؓ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأحشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» [رواه البخاري].

#### ومن أمثلة الاعتدال في العبادة:

عدم الإطالة بالناس في صلاة الجماعة، لما في ذلك من مشقة على المصلين، لأن فيهم الضعيف، والشيخ، وذا الحاجة، أما إذا صلى منفردا فليطل كما شاء.

وعن ابن مسعود ؓ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فيها.

قال: فما رأيت النبي قط أشد غضبا في موعظة منه يومئذ، ثم قال: «أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة» [رواه البخاري].

ويقول جابر بن سمرة ؓ: كنت أصلي مع النبي ﷺ الصلوات، فكانت صلواته قصدا، وخطبته قصدا (والقصدا ما بين الطول والقصر) [رواه مسلم].

كما أمر النبي ﷺ بالاعتدال في قيام الليل، وكانت من سنته أن يصلي أقل من ثلثي الليل، أو نصفه أو ثلثه، فعن عائشة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأة لا تنام (تصلي) قال: «عليكم من العمل ما تيقنون، فوالله لا يعمل الله حتى تملوا» [رواه مسلم].

كما نهى ﷺ عن الوصال في الصوم، رحمة بأمته، ولأن المؤمن القوي خير وأحب إلى

الله من المؤمن الضعيف، ولأن الإسلام في حاجة إلى رجال أقوياء أشداء يستطيعون رد أعدائه ونشر الإسلام في بقاع الأرض، فعندما سمع النبي ﷺ أن بعض أصحابه يصلون الصيام باليومين والثلاثة قال ﷺ: «إياكم والوصال، إياكم والوصال!» قيل: إنك تواصل قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» [رواه البخاري].

كما يجب التوسط في كل مجالات الإنفاق الدنيوية، فلا يكون بخيلاً يبغضه من حوله، ولا يكون مسرفاً يضيع من حوله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقواماً أي: وسطاً.

\*\*\*

## النصيحة

النصيحة لغة: من «نصح الشيء نصحا ونصوحا ونصاحة».

ويقال: نصحت توبته: خلصت من شوائب العزم على الرجوع، ونصح قلبه: خلا من الغش، ونصح لفلان الود أو المشورة: أخلص، ونصح فلانا ونصح له: أرشده إلى ما فيه صلاحه فهو ناصح، والناصح: الخالص من كل شيء.

ويقال: امرؤ ناصح الجيب: لا غش عنده، و النصح: إخلاص المشورة، والنصيحة: قول فيه دعوة إلى صلاح ونهي عن فساد.

### معنى النصيحة

يقول المازري: النصيحة مشتقة من نصحت العسل إذا أصفيته، يقال: نصح الشيء إذا خلص، ونصح له القول إذا أخلصه له، أو مشتقة من النصح وهي الخياطة بالمنصحة وهي الإبرة، والمعنى أنه يلتمش أخيه بالنصح كما تلتم بالمنصحة، ومنه التوبة النصوح: كأن الذنب يمزق الدين والتوبة تخطئه.

ويقول الإمام أبو عمر بن الصلاح: النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلا.

النصيحة ليست كلمة عابرة يلتقى بها إلى الآخر، ظاناً بذلك أنه قد فعل ما يأمره به دينه، بل النصيحة أدب إسلامي له أهميته الكبرى.

### أهمية النصيحة

#### ١- وظيفة الرسل والأنبياء:

قال تعالى على لسان نوح: ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢] وعلى لسان هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٨٦] وعلى لسان صالح: ﴿وَتَنْصَحْتُمْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩] وعلى لسان شعيب: ﴿وَتَنْصَحْتُمْ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

٢- نوع من الجهاد:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١].

أي لا حرج ولا سبيل على هؤلاء الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون في سبيل الله من أجل الجهاد مع النبي ولا يجد النبي ﷺ ما يحملهم عليه من دابة- لا حرج عليهم في حالة واحدة هي أن ينصحوا الله وللرسول ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [رواه مسلم].

٣- من أحب الأعمال إلى الله:

سئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله<sup>(١)</sup>.

ويقول الحسن البصري: قال بعض أصحاب النبي ﷺ والذي نفسي بيده، إن شئتم لأقسمن لكم بالله إن أحب عباد الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة<sup>(٢)</sup>.

### طلب النصيحة

كان الوزير نظام الملك يكثر من إدخال أحد الفقهاء عليه، فسئل في ذلك، فقال: هذا الفقيه يدخل عليّ فلا يطربني، ولا يغرنني، بل يذكرني بذنوبي وتقصيري فيخرج من عندي، وقد غسلت نفسي من الكبر، ثم هو لا يقبل مني عطاء ولو اجتهدت في إقناعه، أما غيره فأشعر حين يخرجون من عندي أن نفسي تغر ويعتريها غفلات<sup>(٣)</sup>.

أين من ينصحك؟

طلب عمر بن عبد العزيز من موله مزاحم قال له: إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمة ترأبى بي عنها، أو فعلا لا تجبه، فعظني عنده، وانهي عنه، وطلب -رحمه الله- الطلب نفسه من عمرو بن مهاجر وقال له: يا عمرو

(٢) المصدر نفسه ٨٢.

(١) جامع العلوم والحكم ٨٣.

(٣) حطم صنمك ١٥٦.

إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يديك في تلابيبي، ثم هزني، ثم قل لي: ماذا تصنع؟ بل الأعجب من ذلك أنه لما استخلف -رحمه الله- قال لمن حوله: انظروا رجلين من أفضل ما تجدون، فجيء برجلين فكان إذا جلس مجلس الإمارة أمر فألقي إليهما وسادة قبالته، فقال لهما: إنه مجلس شر وفتنة، فلا يكن لكما عمل إلا النظر إلي، فإذا رأيتما مني شيئاً لا يوافق الحق، فخوفاني وذكراني بالله عز وجل<sup>(١)</sup>.

### وجوب النصيحة

قال الرسول ﷺ: «إذا استنصحك فانصح لك» [رواه أحمد].

وقال أيضاً ﷺ: «إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه» [رواه الترمذي].

ويقول مصطفى مشهور: «نحن بشر، وكلنا فيه نقص وعيوب، وواجب المسلمين أن يبصر بعضهم بعضاً بما فيهم من نقص أو عيوب، فالمؤمن مرآة أخيه، ومن صفات المؤمنين أنهم يتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، فالواجب ألا تحول مواقع المسؤولية مهما تدرجت دون تبادل هذه النصائح<sup>(٢)</sup>.

ويقول عبد الله ناصح علوان: ولا يمكن أن تكون -يعني الأخوة- كذلك حتى يكون الأخ مرآة أخيه المؤمن، فإن رأى أحدهما من الآخر خيراً شجعه عليه وطلب منه المزيد، وإن رأى منه نقصاً أو خللاً نصحه سرا وطلب منه أن يتوب إلى الله ويرجع إلى الهدى ودين الحق، وفي ذلك تعاون كبير على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، وسعي حثيث لتكون الشخصية المتأخية على أسس الإسلام وميزان الشريعة وإلى هذه النصيحة الخالصة لله بايع النبي أصحابه عليها ليكونوا في المجتمع دعاة حق، وهداة خير، ورجال دعوة حيثما حلوا، وأينما ارتحلوا<sup>(٣)</sup>.

### الفرق بين الغيبة والنصيحة

يقول ابن القيم: والفرق بين النصيحة والغيبة أن النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع أو فتن أو غاش أو مفسد، فتذكر ما فيه إذا استشارك في صحبته ومعاملته والتعلق به أحد، كما قال النبي لفاطمة بنت قيس وقد استشارته في نكاح معاوية

(٢) القائد القدوة على طريق الدعوة.

(١) حطم صنمك ١٥.

(٣) الأخوة الإسلامية ١٨، ١٩.

وأبي جهم، فقال: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه».

فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين، فهي قرينة إلى الله من جملة الحسنات، وإذا وقعت على وجه ذم أخيك وتمزيق عرضه والتفكك بلحمه، والغضب منه لتضع من منزلته في قلوب الناس فهي الداء العضال ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب<sup>(١)</sup>.

### نصيحة في السجن

يقول الشيخ عبد البديع صقر: لقيني الأستاذ الهضيبي في السجن الحربي ذات مرة أمام دورة المياه، فقال لي: في كم تحتم القرآن؟ قلت: كل ١٥ يوماً، قال: وما يمنعك أن تحتم كل ثلاثة أيام؟ اقرأ جزءين بعد كل صلاة وأنت على وضوء، هذه فرصة لن تتكرر<sup>(٢)</sup>.

### نصيحة مؤثرة

يقول أحد الشباب: خرجت ذات يوم بسيارتي لقضاء بعض الأعمال، وفي أحد الطرق الفرعية الهادئة قابلي شاب يركب سيارة صغيرة، لم يرني، لأنه كان مشغولاً بملاحقة بعض الفتيات في ذلك الطريق الخالي من المارة.

كنت مسرعاً فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد قلت في نفسي: أأعود فأنصح ذلك الشاب؟ أم أمضي في طريقي وأدعه يفعل ما يشاء؟ وبعد صراع داخلي دام عدة ثوان فقط اخترت الأمر الأول. عدت ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن ينتظر منهن نظرة أو التفاتة، فدخلن في أحد البيوت.

أوقفت سيارتي بجوار سيارته، نزلت من سيارتي واتجهت إليه، سلمت عليه أولاً، ثم نصحته فكان مما قلته له: تخيل أن هؤلاء الفتيات أخواتك أو بناتك أو قرياتك فهل ترضى لأحد من الناس أو يؤذيهن؟ كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشيء من الخوف، فقد كان شاباً ضخماً ممتلئ الجسم، كان يستمع إلي وهو مطرق الرأس، لا ينبس ببنت شفة.

وفجأة التفت إلي، فإذا دمعة قد سالت على خده، فاستبشرت خيراً، وكان ذلك دافعاً لي لمواصلة النصيحة، لقد زال الخوف مني تماماً، وشدت عليه في الحديث حتى رأيت أنني قد أبلغت في النصيحة. ثم ودعته، لكنه استوقفني، وطلب مني أن أكتب له رقم

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين ١١١.

(١) الروح ٢٩٢، ٢٩٣.

هاتفني وعنواني، وأخبرني أنه يعيش فراغا نفسيا قاتلا، فكتبت له ما أراد.

وبعد أيام جاءني في البيت، لقد تغير وجهه وتبدلت ملامحه، فقد أطلق لحيته وشع نور الإيمان في وجهه. جلست معه، فجعل يحدثني عن تلك الأيام التي قضاها في التسكع في الشوارع والطرقات وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسليه، وأخبرته بأن الله سبحانه واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فانفجرت أسارير وجهه، واستبشر خيرا، ثم ودعني وطلب مني أن أرد الزيارة، فهو في حاجة إلى من يعينه على السير في الطريق المستقيم، فوعدهت بالزيارة.

مضت الأيام، وشغلت ببعض مشاغل الحياة الكثيرة، وجعلت أسوف في زيارته. وبعد عدة أيام، وجدت فرصة وذهبت إليه، طرقت الباب فإذا بشيخ كبير يفتح الباب، وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى، إنه والده.

سألته عن صاحبي، أطرق برأسه إلى الأرض، وصمت برهة ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، ثم استطرد قائلا: حقا إن الأعمال بالخواتيم. ثم أخذ يحدثني عن حاله وكيف أنه كان مفرطا في جنب الله بعيدا عن طاعة الله، فمن الله عليه بالهداية قبل موته بأيام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان.

فلما فرغ من حديثه عزيزه ومضيت، وقد عاهدت الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم<sup>(١)</sup>.

### آداب الناصح

#### ١- عدم كتمان النصيحة:

قال الرسول ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست»، قيل: ما هي يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» [رواه مسلم].

٢- أن يكون قدوة: كتب رجل إلى صديق له: أما بعد فعظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك، واستح من الله بقدر قربه منك، وخفه بقدر قدرته عليك، والسلام.

(١) توبة رجال مشاهير ٥: ١٠.



٣- أن تكون النصيحة سرا: قال الشافعي:

تغمدني بنصحك في انفرادي . وجنبي النصيحة في الجماعة  
 فإن النصح بين الناس نوع . من التوبيخ لا أرضى استماعه  
 وكان الرسول ﷺ إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا  
 وكذا، ما بال أحدكم يفعل كذا»، وقيل: النصح ثقيل فلا تجعله جبلا، ولا ترسله جدلا.  
 فالنفس البشرية لا تقبل أن يطلع الناس على عيبها، فلو نصحت أحاك سرا كان  
 ذلك أرجى لقبوله النصيحة، أما إذا نصحته علنا أمام الناس، فقد يظن أنك تشهر به،  
 وتظهر الفضل والعلم عليه، وقد يمنعه ذلك من تقبل النصيحة، بل قد يرفضها في الحال  
 إنكارا لفعلك مع اقتناعه بالنصيحة.

يقول البنا: «إن النصيحة إذا ساءت انقلبت إلى فضيحة، ومن واجبنا أن نجعل  
 النصيحة خالصة لوجه الله ومهذبة، وكان رسول الله إذا أتى أحد في مجلسه شيئا منافيا  
 يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا ويفعلون كذا»

### آداب المنصوح

١- تقبل النصيحة بصدور رحب: دون ضجر أو تكبر، وقد قيل: تقبل النصيحة  
 على أي وجه، وقدمها على أحسن وجه.

٢- عدم الإصرار على الباطل: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ  
 فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

٣- شكر الناصح: يجب على المنصوح أن يقدم الشكر لمن نصحه، فمن لا يشكر  
 الناس لا يشكر الله.

يقول عمر بن الخطاب ؓ: أحب الناس إلي من أهدى إلي عيبا.



## بر الوالدين

ذكر الوالدان في القرآن في ١٤ موضعا، وذكر البر في ٨ مواضع والأبرار في ٦ مواضع منها: ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].  
ووصف الله نفسه بالبر في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦] جعل الإحسان للوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها: أنهما سبب وجود الولد، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين، وإن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إنهما لا يطلبان بذلك ثوابا، وإنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وكذلك الوالدان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثلاث آيات مقرونة بثلاث، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها؛ قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه، والثانية قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الزمل: ٢٠] فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه، والثالثة قوله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وهذه الآية جامعة ومشملة على جميع الحالات التي يكون عليها الآباء والأبناء.

ووصف الله تعالى يحيى بن زكريا قبل ولادته بقوله: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤] وذكر عيسى عليه السلام الصفات الكبرى التي أنعم الله عليه فذكر منها بره بوالدته: ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

### الأدب مع الوالدين

بر الوالدين واجب ولو كان الأبوان كافرين أو فاسقين، غير أنه لا يطيعهما في معصية الله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴿٤٧﴾ [لقمان: ١٥]

نصح إبراهيم أباه بأسلوب عذب رقيق تبدأ كل جملة فيها بكلمة يا أبت: ﴿وَإِذْ كَرَفِينِي  
الْكِتَابَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤٧﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي  
عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٨﴾ يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٩﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ  
الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٥٠﴾ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ  
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٥١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٥٢﴾ قَالَ  
سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٥٣﴾ [مريم: ٤١: ٤٧].

### طاعة لأمي

عن محمد بن سيرين قال: بلغت النخلة في عهد عثمان بن عفان ؓ ألف درهم.

قال: فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة فعقرها (قطعها) فأخرج جمارها (قلب النخلة)  
فأطعمه أمه، فقالوا له: ما يملكك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟  
قال: إن أمي سألتني، ولا تسألني شيئا أقدر عليه إلا أعطيتها.

### أحمد بن حنبل

لما بلغ الخامسة عشرة من عمره، جاء إلى بغداد عالم كبير، وأقام في الضفة المقابلة  
لدار أحمد بن حنبل، وفاض نهر دجلة، وارتفع الموج حتى أدرك قصر الرشيد، فتركه إلى  
قصر بعيد، ولكن طلاب العلم هرعوا إلى الضفة الأخرى في الزورق، وأبى أحمد بن  
حنبل حين دعاه زملاؤه إلى العبور قائلاً: أمي لا تدعني أركب الماء في هذا الفيضان،  
وترك العبور وعاد إلى أمه لتطمئن عليه.

وكم كان أحمد باراً لأمه! لقد أبى الزواج ليتفرغ لخدمة أمه، فما تزوج إلا بعد أن  
ماتت وكان قد بلغ أكثر من ثلاثين عاماً، لكيلا يدخل على الدار سيده، أبى أن تنازع أمه  
السيادة على الدار.

لقد أدرك منذ نشأ أن أمه في سبيل توفير حياة كريمة له رفضت الخطاب من أجله،  
فحرص أن يعوضها، وبذل كل جهده في الدروس حتى حصل علوماً ومعارف كثيرة في  
سن صغيرة معتمداً على نفسه.

رأى أمه تبيع حليها، لتعينه على طلب العلم فأقسم بينه وبين نفسه أن يعمل على

مساعدتها، وكان حريصا على أن يوجد له عملا يساعد به على الإنفاق، وقد وفق كثيرا في ذلك. هل فكرت يوما في رد الجميل لأمك؟

### موعظة

أيها المضيع لبر الوالدين، بر الوالدين عليك دين، وأنت تتعاطاه باتباع الشياطين، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج، وأرضعتك من لبنها، وآثرتك بالغذاء على نفسها، فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق النهاية، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، لو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، ومع هذا كم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا، فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك، فشبت وهي جائعة، وقدمت عليها أهلك وأولادك، قد هجرتها وما لها سواك، هذا مولاك قد نهاك على التأفف، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف، ستعاقب في الدنيا بعقاب البنين، وفي الآخرة بالبعد من رب العالمين<sup>(١)</sup>.

### البر

من أسماء الله الحسنى البر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] ومعناه البار المحسن غزير الإحسان لعباده فهو سبحانه واسع يمنّ بعطائه على عباده دنيا ودينا.

إلهي، أنت البر الرحيم، وصل برك إلى العاصي والمستقيم، وتوالي عطاؤك للأقوياء والضعفاء، وتجلت لعيون الروح فشاهدت أنوارك في الأرض وفي السماء، اجعل لنا حظا وافرا من نور اسمك البر، ويسر لنا بفضلك كل أمر، وأعنا على تقديم البر للوالدين والأقارب، وإفاضة الإحسان إلى الجيران والأجانب، وامنحنا قوة إلهية نقوم بها ببر سيدنا محمد خير من هلال وكبر<sup>(٢)</sup>.

### مفاهيم تتصل ببر الوالدين

#### حق الأمر في البر أكثر

عن أبي هريرة ؓ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «مك»، قال: ثم من؟ قال: «مك»، قال: ثم من؟ قال: «مك».

(٢) النور الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، البر.

(١) الكبائر للذهبي ٣١، بتصرف.

أمك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» [رواه البخاري].

قال القرطبي: فهذا الحديث يدل على أن محبة الأم والشفقة عليها ينبغي أن تكون ثلاثة أمثال محبة الأب وذلك لصعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاعة.

وجاء عن مالك أن رجلا قال له: إن أبي في السودان، وقد كتب لي أن أقدم عليه، وأمي تمنعني من ذلك، فقال له: أطع أباك ولا تعص أمك.

وقال المحاسبى في كتاب الرعاية: لا خلاف بين العلماء أن للأم ثلاثة أرباع البر وللأب الربع.

### من صور البر

أبصر أبو هريرة رضي الله عنه رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟

فقال: أبي، فقال أبو هريرة: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله.

وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: لا تقوم إلى خدمتهما وأنت كسلان، ولا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما شزرا، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا.

ومن البر: إكرامهما، وعدم رفع الصوت عليهما وعدم مقاطعتهما أثناء الكلام، وعدم الخروج من الجدار إلا بإذنهما، وتقبيل أيديهما، ومخاطبتهما بلطف، والنهوض لهما إذا دخلا عليه، وعدم إزعاجهما إذا كانا نائمين، وعدم تفضيل الزوجة والولد عليهما، وعدم مد اليد إلى الطعام قبلهما، وعدم النوم وهما جالسان إلا إذا أذنا بذلك، وعدم مد الرجلين أمامهما، وعدم المشي أمامهما، وإكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما، وعدم مصاحبة إنسان غير بار بوالديه، والدعاء لهما.

عن أبي غسان قال: خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرة فلقيني أبو هريرة فقال: من هذا؟ قلت: أبي.

قال: لا تمش بين يدي أبيك ولكن امش خلفه، أو إلى جانبه، ولا تدع أحدا يحول بينك وبينه، ولا تمش فوق سطح أبيك، ولا تأكل عرقا قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه.

### رجل يخاف من عقوق الوالدين

قال رجل لعلي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: لقد علمناك من أهر الناس بأمر فلماذا لا تأكل معها في صفحة واحدة؟

فقال له: لأنني أخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عيناها إليه فأكون قد عققتها.

ورأي عمر بن عبد العزيز أحد أبنائه في يوم عيد، وعليه ثوب خلق -أي قديم بال- فدمعت عيناه، فرآه ولده فقال له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟

قال: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخلق.

فقال له ابنه: يا أمير المؤمنين إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عقى أمه وأباه، وإنني لأرجو أن يكون الله تعالى راضيا عني برضاك<sup>(١)</sup>.

### موقف إسماعيل مع أبيه

سيدنا إسماعيل لم يقل لأبيه: وما ذنبي؟ وهل تطاوعك نفسك أن تذبحني بيدك؟ أو ما جوابك لأمي؟ إنه غلام حلیم كما وصفه الله عز وجل: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤].

### البر مفتاح الفرج

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب (أقدم في الشراب) قبلهما أهلا ولا مالا فسأيت بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أعقب قبلهما أهلا ولا مالا فلبث والقدر في يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه، قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلى فأردتها على نفسي فامتنعت مني حتى ألم بها سنة

(١) بدائل الحج والعمرة ٥٨، ٥٩.

من السنين فجاءتني فأعطينها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت فلما قعدت بين رجلها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، فقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلى أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت: لا أستهزئ بك، فأحذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» [متفق عليه].

### صور من العقوق

من العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه، وأن يتعاضم عن تقبيل يدي والديه، ومن العقوق أن يستحي أن يُعرف بأبيه لاسيما إذا كان الولد في مركز مرموق، ومن العقوق ألا يقوم بحق النفقة على أبويه الفقيرين، ومن العقوق أن يرفع الولد صوته على أبيه.

### جريج العابد

لا يخفى على أحد أن دعاء الوالدين مستجاب ولو كانا كافرين، وكانت أم جريج تنادي على ابنها جريج فلم يجيبها فدعت عليه قائلة: اللهم أر جريجا الفاسقات، وكانت بنو إسرائيل إذا ذكر جريج بينهم يثنون عليه، لكثرة عبادته، فسمعت امرأة فاسقة ما يقولون فقالت: إن شئتم لأفتننه، قالوا: قد شئنا، فجاءت إليه لتفتنه فلم يلتفت إليها، فخرجت من عنده غاضبة، وذهبت إلى راع ففعلت معه الفاحشة، فحملت وولدت غلاماً، فقال الناس لها: ممن هذا الغلام؟ قالت: من جريج، فأتوه فاستنزروه فشتموه وضربوه، وهدموا صومعته فقال: ما شأنكم؟ قالوا: إنك فعلت الفاحشة بهذه المرأة فولدت غلاماً، قال: وأين هو؟ قالوا: ها هو ذا، فقام وصلى، ثم انصرف إلى الغلام فضربه على بطنه، فقال له: يا غلام من أبوك؟ قال: أنا ابن الراعي، فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه، وقالوا أنبني صومعتك من ذهب، قال: لا حاجة لي في ذلك، ابنوها من طين كما كانت.

### افعل ما شئت كما تدين تدان

يروى أن ولدا عاقا أتى إليه أبوه يطلب منه معروفا فتناول عليه هذا الولد بالسب والضرب حتى أمسك بقدميه وهو ملقى على ظهره وظل يزحف به الأرض حتى وصل به إلى عتبة باب الدار ليرمي به خارج الدار فوجد أحد الجيران فلم يكمل وعاد إلى الداخل، وبعد هذه الإهانة خرج الأب وهو يبكي، وتمر الأيام ويكبر الابن ويكبر أبنائه ويأتي ابن له يعاتبه في أمر من الأمور، وإذا بهذا الابن يتناول عليه بالسب والضرب ثم يمسك بقدميه وهو مستلق على ظهره ليسحبه خارج البيت حتى وصل إلى عتبة الباب وهنا قال الأب لابنه: كفى هذا يا بني لقد وصلت بأبي إلى هذا الحد ولو زدت أنت عن هذا فمعناه أن غضب الله عليّ شديد.

### قصة شاب

يقول الشاب: ذهبت إلى الخارج، وتعلمت وحصلت على شهادات عالية ثم رجعت إلى بلدي وتزوجت من فتاة غنية كانت سببا في تعاسي لولا عناية الله.

ويقول: مات والدي وأنا صغير فأشرفت أمي على رعايتي، عملت خادمة في البيوت حتى تستطيع أن تصرف علي، فقد كنت وحيدها، أدخلتني المدرسة وتعلمت حتى أنهيت الدراسة الجامعية.. كنت بارا بها وجاءت بعثتي إلى الخارج فودعتني أمي والدموع تملأ عينيها وهي تقول لي: انتبه يا ولدي على نفسك ولا تقطع عني من أخبارك، أرسل إلي رسائل حتى أطمئن على صحتك.

أكملت تعليمي بعد مضي وقت طويل ورجعت شخصا آخر قد أثرت فيه الحضارة الغربية، رأيت في الدين تخلفا ورجعية، وأصبحت لا أؤمن إلا بالحياة المادية.

وتحصلت على وظيفة عالية وبدأت أبحث عن الزوجة حتى حصلت عليها، وكانت والدي قد اختارت لي فتاة متدينة محافظة، ولكني أبيت، وتزوجت تلك الفتاة الغنية الجميلة لأنني كنت أحلم بالحياة معها، وخلال ستة أشهر من زواجي كانت زوجتي تكيد لأمي حتى كرهت والدي، وفي يوم من الأيام دخلت البيت وإذا بزواجي تبكي، فسألته عن السبب فقالت: شوف.. يا أنا يا أمك في هذا البيت لا أستطيع أن أصبر عليها أكثر من ذلك.



جن جنوني وطردت أمي من البيت في لحظة غضب، فخرجت وهي تبكي، وتقول: أسعدك الله يا ولدي!! وبعد ذلك بساعات خرجت أبحث عنها ولكن بلا فائدة، رجعت إلى البيت واستطاعت زوجتي بمكرها وجهلي أن تنسيني تلك الأم الفاضلة الغالية.

انقطعت أخبار أمي عني فترة من الزمن أصبت خلالها بمرض خبيث دخلت على أثره المستشفى، وعلمت أمي بالخبر فجاءت تزورني، وكانت زوجتي عندي، وقبل أن تدخل عليّ طردتها زوجتي وقالت لها: ابنك ليس هنا، ماذا تريدن منا، اذهبي عنا. رجعت أمي من حيث أتت.

وخرجت من المستشفى بعد وقت طويل انتكست فيه حالتي النفسية وفقدت الوظيفة والبيت وتراكت علي الديون وكل ذلك بسبب زوجتي.. فقد كانت ترهقني بطلباتها الكثيرة، وفي آخر المطاف ردت زوجتي الجميلة وقالت: ما دمت قد فقدت وظيفتك ومالك ولم يعد لك مكان في المجتمع فإني أعلنها لك صريحة: أنا لا أريدك، طلقني.

كان هذا الخبر بمثابة صاعقة وقعت على رأسي، وطلقتها بالفعل، فاستيقظت من السبات الذي كنت فيه.

خرجت أهيم على وجهي أبحث عن أمي، وفي النهاية وجدتها ولكن أين وجدتها؟ كانت تقبع في أحد الأربطة تأكل من صدقات المحسنين، دخلت عليها وجدتها قد أثر عليها البكاء فبدت شاحبة وما إن رأيته حتى ألقىت بنفسي عند رجلها وبكيت بكاء مرا، فما كان منها إلا أن شاركتني البكاء.

بقينا على هذه الحالة حوالي ساعة كاملة بعدها أخذتها إلى البيت وآليت على نفسي أن أكون طائعا لها، وقبل ذلك أكون متبعا لأوامر الله ومجتنباً لنواهيه.

وها أنا الآن أعيش أحلى أيامي وأجملها مع حبيبة العمر: أمي حفظها الله، وأسأل الله أن يديم علينا الستر والعافية<sup>(١)</sup>.

## الجزء

غذوتك مولودا وعلتك يافعا      تعلم بأسدى إليك وتنهل

(١) العائدون إلى الله ٢٤، ٢٥.

إذا ليلة نابتك بالشجور لم أبت      لبلواك إلا ساهرا أتمللم  
 فلما بلغت السن والغاية التي      إليهما مدى ما كنت فيك أو مل  
 جعلت جزائي غلظة وفضاظة      كأنك أنت المنعم المتفضل  
 شر ما يصيب المجتمع هو التفكك وضعف الروابط بين أبنائه، وذلك بغلبة الأنانية  
 على أنفسهم، فيذكر المرء نفسه، وينسى أخاه، ويقول كل واحد: نفسي نفسي، ولا يبالي  
 أن يجعل من الناس قرابين تقدم لإله أطماعه وشهواته.  
 شر ما يصيب المجتمع أن يقول كل فرد فيه: لي، ولا يقول: علي، أن تتضخم الأنا في  
 نفسه على حساب غيره.

فينظر إلى نفسه نظرة استعلاء واستكبار، وإلى الناس نظرة الازدراء والاحتقار<sup>(١)</sup>.

### تذكر أمك الحنون

عندما كنت في سن سنة هي أطعمتك وحمك، أنت كافأتها بالكاء طوال الليل.  
 عندما كنت في سن ستين، هي دفعتك إلى المشي، أنت كافأتها بالهرب منها عندما تناديك.  
 عندما كنت في سن ٣ سنوات قامت بإعداد وجباتك الغذائية بكل رضا أنت كافأتها  
 بإلقاء الطعام من فمك على الأرض.  
 عندما كنت في سن ٤ سنوات قامت بإهدائك مجموعة من الطباشير، أنت كافأتها  
 بتلوين طاولة غرفة الطعام.  
 عندما كنت في سن ٦ سنوات، قامت بتوجيهك إلى المدرسة أنت كافأتها بالصراخ:  
 لن أذهب.  
 عندما كنت في سن ٨ سنوات قامت بإعطائك آيس كريم، أنت كافأتها بإلقائه على  
 ملابسك.  
 عندما كنت في سن ١٠ سنوات اشترت لك كرة، وأنت كافأتها برميها على منزل  
 الجار المقابل وكسرت نافذته.

(١) الإيمان والحياة ١٩٤.

عندما كنت في سن ٢٤ سنة قامت بإعطائك أثاث شقتك الأولى أنت كافأتها بإخبار أصدقائك بأنه أثاث بشع.

عندما كنت في سن ٢٦ سنة قامت بمساعدتك في مصاريف زواجك، وبكت الدموع، وأخبرت عن مدى حبها لك، أنت كافأتها بالرحيل والسكن إلى أبعد منطقة في البلاد. عندما كنت في سن ٣٠ سنة قامت بمناداة طفلك وتوجيهه ببعض النصائح، أنت كافأتها بقولك: الأمور تغيرت الآن.

عندما كنت في سن ٤٠ سنة قامت بالاتصال بك لتذكرك بمرض أحد أقاربك، أنت كافأتها بقولك: بجد.. الآن مشغول جدا.

عندما كنت في سن ٥٠ سنة أصابها مرض، واحتاجت وجودك للاعتناء بها، أنت كافأتها بالشكوى المستمرة من أعبائك وأعباء أسرته.

وبعد ذلك وفي يوم من الأيام، ماتت بهدوء، والشيء الوحيد الذي لم تقم به من قبل، قد أتى وقته يدوي مثل الرعد، بدأت تذرف الدموع لأن الحياة بدونها بلا معنى، بدأ ضميرك يشعرك بالندم لأنك لم تعطيها حقها<sup>(١)</sup>.

قال الحسن البصري: ما يعدل بر الوالدين شيء من التطوع لا حج ولا جهاد<sup>(٢)</sup>.

وبكى إياس بن معاوية -رحمه الله- حين ماتت أمه فقيل له في ذلك فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

احرص أخي الحبيب ألا تنام ليلة من الليالي وأحد والديك غضبان عليك وبالأخص أمك.

وكان من بر طلق بن حبيب أحد التابعين: أنه يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالا لها<sup>(٣)</sup>.

إياك أن تعق والديك، فإن عققتهما فبادر بالتوبة والاستغفار كما بادر ابن عونة -رحمه الله- حين عق والدته فكفر عن ذلك العقوق بعق رقبتين حيث قال: نادتي أمي

(١) مجلة الزهور العدد ٢٢، ص ٦١.

(٢) الوقت عمار أو دمار: ٦١.

(٣) الوقت عمار أو دمار: ٦٣.

يوما فأجبتها، فعلا صوتي على صوتها فأعتقت رقبتين.

### أفعال تتنافى مع بر الوالدين

- ١- كقول الابن لوالديه: أف أو (أوه) بمدها أو إهانتها بالشتم أو رفع الصوت عليهما أو التلفظ بالألفاظ السيئة أو التذمر منهما أو رفض أوامرهما.
- ٢- كأن يحرك الابن يده قاصدا إهانتها أو بمعنى اسكتوا فيضع إصبعه على فمه مثلا، أو يضربهما بيده أو قدمه أو يجلس أمام والديه ويمد قدمه جهة وجههما.. وهكذا.
- ٣- كأن ينظر الابن إلى والديه نظرة احتقار أو إهانة أو ينظر إليهما بطرف عينه، أو لا ينظر إليهما أثناء حديثهما إليه، أو ينظر إليهما بتكبر وغيرها من النظرات.
- ٤- كأن يطلب الابن من والديه الفقيرين أكثر من طاقتهم ويلزمهما بتسليمه المصروف المالي وهما لا يملكان فلا ينفق عليهما، أو أن يطلب الأبوان منه المال فيرفض إعطاءهما.
- ٥- من العقوق بعد الوفاة: عدم الاستغفار والدعاء لهما بالرحمة والعفو ودخول الجنة، وعدم الصدقة للوالدين، وعدم صلة أقاربهما وأصدقائهما، وذكرهما بما يسوؤهما<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الوقت عمار أو دمار (٢/٦٤، ٦٥).

## الشورى

الشورى: هي التعاون على تبادل الرأي ومداولته في أمر من أمور المؤمنين على أسس وقواعد.

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨] فقد ذكر المولى عز وجل الشورى بين فرضين عظيمين هما الصلاة والزكاة، وهذا دليل على أهمية الشورى في الإسلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن» [رواه الترمذي].

والشورى مصطلح إسلامي له معناه المستقل في الإسلام كمصطلحات الصلاة والزكاة.. وأشكاله متنوعة ومتطورة.

وأهل الشورى يتقربون إلى الله بهذا العمل ويلتقون جميعا للوصول إلى الحق.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

### حتى في الأمور الخاصة

كان الصحابة يستشيرون النبي ﷺ في كثير من أمورهم الخاصة، كما رأينا حين استشارته فاطمة بنت قيس -رضي الله عنها- في أمر زواجها، وقد أبدى الرغبة فيها رجلان: معاوية وأبو جهم، فقال لها: «أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له» [رواه مسلم] واقترح عليها أن تتزوج أسامة بن زيد رضي الله عنه.

لا بد أن يستشير المسلم إخوانه عند الزواج بامرأة، وكذلك المرأة، فلا خاب من استخار ولا ندم من استشار.

### تشكيل الحكومة الإسلامية بالانتخاب

بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية طلب رسول الله ﷺ انتخاب اثني عشر زعيما يكونون نقباء على قومهم، يكفلون المسؤولية عليهم في تنفيذ بنود هذه البيعة. فقال للقوم: «أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومكم بما فيهم» فتم انتخابهم في الحال، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ولما تم انتخاب هؤلاء النقباء أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقا آخر بصفتهم رؤساء مسئولين، قال لهم: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي» -يعني المسلمين-، قالوا: نعم.

### مجلس عسكري استشاري

عقد الرسول ﷺ مجلسا عسكريا استشاريا بعد أن استشار الجند فخافوا، قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنَ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥، ٦].

أما قادة الجيش فقام أبو بكر وأحسن وقام عمر وأحسن، فقام المقداد بن عمرو وقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

فدعا له النبي ﷺ وهؤلاء القادة الثلاثة من المهاجرين -وهم أقلية في الجيش- وأراد أن يعرف رأي قادة الأنصار لأنهم أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيكون على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم، فنظر إليهم قائلاً: «أشيروا علي أيها الناس»، ففطن إلى ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ ؓ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال ﷺ: «أجل»، قال: فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وإنا لصابر في الحرب صدق في اللقاء، و لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فقال رسول الله ﷺ: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم».

وقد أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت نص ملزم فيه من كتاب أو سنة، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله، أما ما ثبت فيه نص من كتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول ﷺ حكمه، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضي عليه بأي سلطان.

### الحباب خبير عسكري

تحرك الرسول ﷺ بجيشه فنزل أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر ؓ كخبير عسكري، وقال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أم نزل أنزلك الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ثم نبي عليه حوضاً فتملاًه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»، فانهض رسول الله ﷺ بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو.

والرسول ﷺ يعلم أمته مبدأ الشورى وقبول الاقتراحات من الرعية، ولم يتكبر عليهم مع أنه الرسول الذي يوحى إليه.

### في سقيفة بني ساعدة

عقب وفاة ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبتني خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ كلام، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، إنا الأمراء، وأنتم الوزراء، نحن أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، وأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فرضي الله عن عمر، فإنه عندما ارتفعت الأصوات في السقيفة وكثر اللغط وخشي عمر الاختلاف، ومن أخطر الأمور التي خشيتها عمر أن يبدأ بالبيعة لأحد من الأنصار فتحدث فتنة عظيمة،

لأنه ليس من اليسير أن يبايع أحد بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار، فأسرع عمر بعد الشورى إخمادا للفتن، وقال للأنصار: يا معشر الأنصار، أستم تعلمون أن رسول الله أمر أبا بكر أن يؤم الناس فأياكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر، ثم بادر ﷺ وقال لأبي بكر: ابسط يدك نبايعك.

وكانت الشورى في اختيار خليفة المسلمين سببا في توحيد الكلمة، ووحدة الأمة، فليجتمع الحكام وليتشاوروا فيما بينهم لإنشاء سوق عربية مشتركة لمواجهة التكتلات العالمية، وإظهار وحدة العرب والمسلمين.

### الرسول ﷺ يستشير

استشار الرسول ﷺ أصحابه في قضية الأسرى، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية وعسى أن يهديهم الله، فقال رسول الله: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: أرى أن تمكثني من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل بن أبي طالب وتمكن حمزة من فلان أخيه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم.

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر، وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله: «للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء: فقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة - قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 67] والكتاب الذي سبق من الله هو قوله تعالى: ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ﴾ [عمد: ٤] فقيه الإذن بأخذ الفدية من الأسرى ولذلك لم يعذبوا، وإنما نزل العتاب لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، ثم إنهم قبلوا الفداء من أولئك المجرمين، الذين لم يكونوا أسرى حرب فقط، بل كانوا مجرمي حرب لا يتركهم قانون الحرب الحديث إلا ويحاكمهم، ولا يكون الحكم في الغالب إلا بالإعدام أو بالحبس حتى الموت، واستقر الأمر على رأي الصديق فأخذ منهم الفداء، وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألف درهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن



عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا تعلموا فهو فداؤه.

ما أجهل أن تجلس مع أولادك وتستشيرهم في أمور البيت  
حتى يشاركوك في همومك! واستمع إلى مقترحاتهم، وشجعهم  
على التعبير عن آرائهم وإن كانت تخالفك..

### رؤيا الرسول ﷺ

رأى رسول الله ﷺ رؤيا يوم أحد قالها لأصحابه: «إني رأيت والله خيرا، رأيت بقرا يذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلما، ورأيت أبي أدخلت يدي في درع حصينة»، وتناول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتناول الثلثة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتناول الدرع بالمدينة، ثم قدم رأيه إلى أصحابه ألا يخرجوا من المدينة، وأن يتحصنوا بها، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون في الطرقات، والنساء من فوق البيوت. ووافقه على هذا كبار السن وفرح عبد الله بن أبي بن سلول بهذا الرأي، وأشارت جماعة من أفاضل الصحابة الذين لم يخرجوا في بدر - أشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج قائلين: يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه إلينا وقرب المسير، اخرج إلى أعدائنا، لا يرون أننا جينا عنهم. ومنهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فقال: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة، ورفض رسول الله ﷺ رأيه أمام رأي الأغلبية، ثم صلى النبي ﷺ الجمعة بالناس وحثهم على الجهاد، ثم صلى العصر ثم دخل بيته فتقلد سيفه فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير للشباب: لقد استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج فردوا الأمر إليه، فندموا على ما صنعوا فلما خرج قالوا له: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل فقال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لبي إذا لبس لامته - وهي الدرع - أن يضعها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»، وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب ثم سار إلى العدو مع ألف مقاتل. وتمرد عبد الله بن أبي - وكان على مقربة من العدو فقد كان يراهم ويرونه - فانسحب بثلاث الجيش ثلاثمائة مقاتل قائلا: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ متظاهرا بالاحتجاج على ترك الرسول ﷺ لرأيه وإطاعة غيره، وكان هدفه هو إحداث بلبلة واضطراب في جيش المسلمين وإضعاف معنويات من بقي مع الرسول ﷺ، وكاد ينجح؛ فقد همت طائفتان - بنو حارثة بن الأوس وبنو سلمة من الخزرج - أن تفشلا ولكن

تولاهما الله فثبتهما بعد أن هما بالانسحاب ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] وحاول عبد الله بن حرام -والد جابر بن عبد الله- تذكير هؤلاء المنافقين بواجبهم في هذا الظرف الدقيق، فتبعهم وهو يوجههم ويحضهم على الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم عبد الله بن حرام قائلاً: أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه. قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

يقول سيد قطب: لقد كان في استطاعة رسول الله ﷺ أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة، التي تعرضت لها، وهي بعد ناشئة ومحاطة بالأعداء من كل جانب، والعدو رابض في داخل أسوارها ذاتها، نقول كان في استطاعة رسول الله ﷺ أن يجنب الجماعة المسلمة تلك التجربة المريرة التي تعرضت لها، لو أنه قضى برأيه في خطة المعركة مستندا إلى رؤياه الصادقة، وفيها ما يشير إلى أن المدينة درع حصينة، ولم يستشر أصحابه، أو لم يأخذ بالرأي الذي انحلت المشورة عن رجحانه في تقدير الجماعة، أو لو أنه رجع عن الرأي عندما سنحت له فرصة الرجوع، وقد خرج من بيته، فرأى أصحاب هذا الرأي نادمين أن يكونوا قد استكروه على غير ما يريد، ولكنه -وهو يقدر النتائج كلها- أنفذ الشورى، وأنفذ ما استقرت عليه، وذلك كي تجابه الجماعة المسلمة نتائج التبعة الجماعية، وتعلم كيف تتحمل تبعة الرأي، وتبعة العمل، لأن هذا في تقديره ﷺ وفي تقدير المنهج الإسلامي الذي ينفذه أهم من اتقاء الخسائر الجسيمة، ومن تجنب الجماعة تلك التجربة المريرة، فتجنب الجماعة التجربة معناه حرمانها الخبرة، وحرمانها المعرفة، وحرمانها التربية<sup>(١)</sup>.

### بيت المقدس

بعد الانتصار الذي أيد الله به المسلمين على أعدائهم الروم في أجنادين، حاصر جيش المسلمين الروم في بيت المقدس وضيقوا عليهم حتى وافقوا على الصلح فأرسل

(١) في ظلال القرآن: (١/٥٣٢).

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قائد الجيش الإسلامي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بأن يحضر، فلما وصل الخبر إلى أمير المؤمنين اجتمع مع الصحابة، واستشارهم في أمر الخروج إلى بيت المقدس، فأشاروا عليه بالخروج، فأخذ عمر برأيهم وتوجه إلى الشام فاستقبله أمراء المسلمين.

اجلس مع المسئولين في العمل، وعليك بالشورى، ولا تكن مستبدا.

### مفاوضات

في غزوة الخندق أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلح عيينة بن حصن والحارث بن عوف رئيس غطفان على ثلث ثمار المدينة، حتى ينصرف بقومه، ويستعد المسلمون لإلحاق الهزيمة الساحقة بقريش، فاستشار صلى الله عليه وسلم السعديين (سعد بن عباد وسعد بن معاذ) رضي الله عنهما، فقالا: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه؛ لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف يا رسول الله، فقال لهما: «إنما هو شيء أصنعه لكم، لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة».

إذا قابلتك محنة فاستشر أهل الخير.

### استشارة أم سلمة

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعاهدة، قال: «قوموا فانحروا» فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد قام فدخل على أم سلمة - رضي الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بُدئك وتدعو حالكك. فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه ودعا حلقه فلما رأى الناس ذلك قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يملق بعضها حتى كاد بعضهم يقتل بعضها غما.

أخي الزوج، لا تتكبر على زوجتك واستشرها في أمورك الخاصة، واستمع إلى آرائها ومقترحاتها ولا تسمع لمن يقول «شاوروه وخالقوهن» فهو قول غير صحيح.

### جمعية عمومية

جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه موسم الحج جمعية عمومية ليلتقي فيه بزوار بيت الله الحرام والعمال وأصحاب المظالم، فكان موسماً عاماً للمراجعة، ولا يكتفي عمر بأهل الخبرة، بل إذا أعياه الأمر دعا الأحداث فاستشارهم لحدة عقولهم، وإنه لإلهام في فن الاستشارة.

### الشورى البناءة

قالت بلقيس: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ ﴿٣٢: ٣٥﴾ [النمل: ٣٢: ٣٥] وبمثل هذه المشاورة البناءة تمكنت ملكة سبأ أن تجنب قومها الدخول في حرب خاسرة بل دخلت في دين سليمان.

الإسلام لا يجب أن يؤم رجل الناس في صلاة الجماعة وهم له كارهون، فكيف يقبل أن يقود رجل أمة كلها في شئونها العامة، وهي له كارهة.

### عدم الاستقلال بالرأي

أحجم الناس عن الخروج إلى دولة الفرس، لما في نفوسهم من عظمتها وشوكتها القديمة، و لكن المثنى بن حارثة الشيباني وقف في المدينة المنورة وقال: أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإننا قد فتحنا ريف فارس، وغلبناهم، ونلنا منهم، واجترأنا عليهم، ولنا إن شاء الله ما بعدها.

وكان أول من استجاب للخروج أبو عبيد بن مسعود الثقفي، فأمره عمر بن الخطاب على الجيش فسار بالمسلمين إلى أرض العراق، بعد ما أوصاه عمر أن يسمع من أصحاب رسول الله ويشركهم في الأمر، وألا يتسرع.

بعث رستم بهمن جاذويه إلى أبي عبيد، وقال له: إما أن تعبر النهر -نهر الفرات- إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبركم إليكم، فنهى الناس أبا عبيد عن العبور فترك الرأي والمشورة، وقال أبو عبيد: لا يكونوا أجراً على الموت منا، فعبروا إليهم فاقتلوا، وكان مع الفرس فيلة، فلما رأتها خيل المسلمين لم تتقدم نحوها وتراجعت، ففرقت الفيلة

خيل المسلمين، فاشتد الأمر بالمسلمين، فترجل أبو عبيد والناس، ثم مشوا إلى الفرس حتى صافحوهم بالسيوف، ولكن الفيلة ما حملت على جماعة إلا دفعتهم، فقال أبو عبيد: قطعوا الفيلة، ووثبت هو على فيل أبيض فوق عليه، وفعل المسلمون مثل ذلك فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه.

وأهوى فيل على أبي عبيد فضربه بالسيف فقطع خرطومه، ولكن الفيل ضرب أبا عبيد، فوقع أبو عبيد ووطئه الفيل وقام عليه، فلما بصر به الناس تحت الفيل، خشعت أنفسهم، وتتابع على أخذ اللواء سبعة أنفس من ثقيف فقاتلوا حتى الشهادة، فأخذ اللواء المثنى بن حارثة الشيباني ولكن بعد أن ذهب ريح المسلمين، وانكشف أمرهم وبعد بدء تراجعهم على الجسر إلى ضفة الفرات الغربية.

ولما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه، وما يصنع الناس بادرهم إلى الجسر فقطعه كي لا يتراجع أحد، وقال: يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم.

وحصر الفرس المسلمين إلى الجسر وقد انقطع، فتوائب المسلمون إلى الفرات، ولكن المثنى وفرسانا من المسلمين حمى من بقي منهم.

ولما بلغت الهزيمة عمر قال: اللهم إن كل مسلم في حل مني، أنا فئة كل مسلم.

واقترض المسلمون من الفرس فيما بعد في معركة البويب، وكان النصر، ولكن بعد أن تعلموا أن الاستقلال بالرأي من أسباب الهزيمة.

### جمع القرآن الكريم

كان من ضمن شهداء المسلمين في حرب اليمامة كثير من حفظة القرآن، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضي الله عنه بمشاورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجمع القرآن حيث جمع من الرقاع والعظام والسعف ومن صدور الرجال، وأسند الصديق هذا العمل العظيم إلى الصحابي زيد بن ثابت الأنصاري، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر (كثر) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم

يفعله رسول الله؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا تنتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

وهكذا كان الصحابة يجتهدون في جو من الهدوء والشورى يسوده السود والاحترام، هدفهم الوصول إلى ما يحقق المصلحة العامة لجماعة المسلمين، وأنهم كانوا يتقادون إلى الرأي الصحيح، وتشرح قلوبهم له بعد الإقناع والافتناع، فإذا تشاوروا واقتنعوا دافعوا عنه كما لو كان رأيهم منذ البداية.

### شورى أبي بكر

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحراثها أو نزرعها، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون فيما قالا، إن كانت أرضا سبخة لا ينفع بها؟

قائوا: نرى أن تقطعها إياها، لعل الله ينفع بها بعد اليوم، فأقطعهما إياها، وكتب لهما بذلك كتاباً، وأشهد عمر - وليس في القوم - فانطلقا إلى عمر يشهدانه، فوجداه يهناً بعيراً له (يطلبه بالهناء أي القطران) فقالا: إن أبا بكر أشهدك على ما في الكتاب فنقرأ عليك أو تقرأ؟

فقال: أنا على الحال الذي تريان، فإن شئتما فاقراً وإن شئتما فانظرا حتى أفرغ، فأقرأ عليكما، قالا: بل نقرأ، فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل عليه فمحاها، فتذمرا، وقالا مقالة سيئة فقال: إن رسول الله كان يتألفكما والإسلام يومئذ دليل، وإن الله قد أعز الإسلام، فاذهبا فأجهدا جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتما. فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالا: والله ما ندرى أنت الخليفة أم عمر؟

فقال: لا بل هو لو شاء، فجاء عمر وهو مغضب، فوقف على أبي بكر فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعها هذين أرض هي لك خاصة أم للمسلمين عامة؟

قال: بل للمسلمين عامة.

قال: فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء

الذين حولي فأشاروا علي بذلك.

قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك، فكل المسلمين أوسعهم مشورة ورضا.

فقال أبو بكر: قد كنت قلت لك إنك على هذا أقوى مني، ولكن غلبتني.

هذه الواقعة دليل لا يقبل الشك أن حكم الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين كان يقوم على الشورى، فهي تظهر لنا خليفة رسول الله حريصا على استشارة المسلمين في الصغيرة والكبيرة، وما كان ليبرم أمرا دون مشورة إخوانه.

### استخلاف الصديق للفاروق

لما اشتد المرض بأبي بكر جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظني لإميتاً لما بي وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتهم، فإنكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر ألا تختلفوا بعدي، وتشاور الصحابة -رضي الله عنهم- وكل يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر الله، لدينه، ولعباده، فدعا أبو بكر عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب، فقال: هو -والله- أفضل، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال: أنت أخبر به، فقال: على ذلك يا أبا عبد الله، فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، فقال أبو بكر: يرحمك الله، ثم دعا أسيد بن حضير فقال له مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك؛ يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.. وكذلك استشار سعيد بن زيد وعددا من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريرا كانوا برأي واحد في عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته فقال لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: اجلسوني، أبا الله تخوفوني؟! خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك. وبين لهم سبب غلظة عمر وشدته، فقال: ذلك لأنه يراني رقيقا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما عليه. ثم كتب عهدا مكتوبا يقرأ على الناس في المدينة وفي الأمصار عن طريق أمراء الأجناد.

إنها صورة للشورى الحقيقية المنضبطة مع أوامر الله، مع الحلال والحرام، لا الشورى

المزيفة التي تجري تحت قباب مجالس لم تكن من وزائها الشعوب إلا الماراة والاستبداد والظلم والضياع.

### اختيار الولاية

كان اختيار الولاية يتم بعد مشاورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكبار الصحابة، فقد قال لأصحابه يوماً: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير، فأشاروا إلى الربيع بن زياد، وقد استشار عمر بن الخطاب فيمن يولي على أهل الكوفة فقال لهم: من يعذرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفاً استضعفوه، وإن استعملت عليهم قوياً فجرؤه، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي، وآخر قوي مشدد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة قال: يا أمير المؤمنين إن الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك، فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة، وقال له: انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ويخافه الفجار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين.

### شورى خامس الخلفاء الراشدين

جاء أن عمر بن عبد العزيز جمع قراء الشام والفقهاء وقال: إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في يد أهل بيتي، فما ترون فيها؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن ذلك أمر كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غضبها. فلم يرتح إلى ما قالوه، فالتفت إليه أحدهم ممن كان يرى غير رأيهم، وقال: ابعث يا أمير المؤمنين إلى عبد الملك، فإنه ليس دون من دعوت علماء، فلما دخل عليه عبد الملك قال له عمر: ما ترى في هذه الأموال التي أخذها بنو عمنا من الناس ظلماً؟ وقد حضر أصحابها وجعلوا يطلبونها، وقد عرفنا حقهم فيها؟

فقال: أرى أن تردّها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل، كنت شريكاً للذين أخذوها ظلماً. فانبسطت أسارير عمر، وارتاحت نفسه، وزال عنه ما أهمه، بفضل الشورى <sup>(١)</sup>.

(١) صور من حياة التابعين ٨٦.



## التعاون

لا يمكن لأي إنسان مهما آتاه الله من أسباب، أن يعيش على الأرض منفردًا فهذا ضد طبيعته وإمكاناته وما جبل عليه ابن آدم، فالفرد يحتاج للناس والناس تحتاج إليه، حتى تسير الحياة للجميع بأفضل صرورة وهذا هو «التعاون».

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتعاون شرط أن يكون على البر والتقوى، ونهاهم أن يكون تعاونهم على الإثم والعدوان.

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم.

قال ابن جرير: الإثم: ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان: مجاوزة ما حد الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم، وقد قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قيل: يا رسول الله هذا نصرته مظلومًا، فكيف أنصره إذا كان ظالمًا؟ قال: «تجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من السذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

وقال النبي ﷺ أيضًا: «الدال على الخير كفاعله».

وقال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا» [رواه البخاري].

وللتعاون على البر والتقوى وفعل الخيرات صورًا كثيرة نذكر منها:

### ١- التعاون مع إخوانك

أحس شيخ كبير بقرب أجله، فجمع أولاده الثلاثة، ليوصيهم بوصية تنفعهم في

حياتهم، فأعطاهم حزمة كبيرة من الخطب، وطلب من كل منهم أن يكسرها بمفرده، فحاول كل واحد أن يكسرها، لكنه لم يستطع لشدة قوتها وصلابتها.

أخذ الأب الحزمة، وفكها إلى أعواد، وأعطى كل واحد منهم عوداً، فكسره بسهولة فقال الأب لأبنائه: إنكم يا أبنائي مثل هذه الحزمة إذا اتحدتم وكنتم يداً واحدة فلن يستطيع أحد مهما بلغت قوته أن يغلبكم، وإن تفرقتم فسوف يصيبكم لضعفكم، ويتمكن عدوكم منكم، فعليكم يا أولادي بالتعاون في قضاء أموركم فإن في التعاون قوة.

### الوزير النبي:

طلب سيدنا موسى -عليه السلام- من ربه أن يكون أخوه مساعداً له يتعاون معه على تبليغ رسالته فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزيراً مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً﴾ [طه: ٢٩-٣٥].

وهكذا لا يستطيع الداعية أن يؤثر في الناس بمفرده لابد أن يتعاون مع إخوانه في دعوة الآخرين بشتى الطرق.

### حضر الخندق

كان الرسول ﷺ يشترك مع الصحابة في حفر الخندق، يقول البراء بن عازب ؓ: رأيتُه ﷺ ينقل تراب الخندق حتى وارى عيني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعتُه يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل التراب، ويقول ﷺ:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

قال: ثم يمد بها صوته بأخرها.

لم يتكبر الرسول ﷺ على أصحابه بل تعاون معهم في أشد اللحظات وأصعب الأمور، وما أعظمه من قائد!

### تعاون في بناء المسجد الأول

كانت أول خطوة خطاها رسول الله ﷺ بعد الهجرة هي إقامة المسجد النبوي، ففي

المكان الذي بركت فيه ناقته أمر ببناء هذا المسجد، واشتراه من غلامين يتيمن كانا يملكانه، وساهم في بئانه بنفسه، فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة      فاغفر للأئصار والمهاجرة

هل تشارك إخوانك في أمورهم الخاصة والعامة؟

#### مساعدة المستول

دعا عمر بن الخطاب سعيد بن عامر إلى مساعدته وقال: يا سعيد إنا مولوك على أهل حمص، فقال: يا عمر نشدتك الله ألا تفتني فغضب عمر وقال: ويحكم وضعتم هذا الأمر في عنقي ثم تخلّيتم عني!! والله لا أدعك، ثم ولاه على حمص وقال: ألا نفرض لك رزقاً؟ قال: وما أفعل به يا أمير المؤمنين؟! فإن عطائي من بيت المال يزيد عن حاجتي، ثم مضى إلى حمص<sup>(١)</sup>.

إذا كنت جندياً فاحرص على مساعدة مسئولك في إنجاز مهمته بما يرضي الله.

#### لا تمنع أخاك

روى مالك في الموطأ عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من العريض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة، فأبى محمد، فقال له الضحاك، لم تمنعني وهو لك منفعة تشرب به أولاً وآخرأ ولا يضرك، فأبى محمد، فكلم فيه الضحاك عمر بن الخطاب، فدعا عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلي سبيله، فقال محمد: لا، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع تسقي به أولاً وآخرأ وهو لا يضرك، فقال محمد: لا والله، فقال عمر: والله ليمرن به ولو على بطنك، فأمره عمر بن الخطاب أن يمر به، ففعل الضحاك، وكان هذا قياساً من عمر على حديث أبي هريرة الذي قال فيه إن النبي قال: «لا يمنع أحدكم جاره خشبة يفرزها في جداره» ثم قال أبو هريرة: مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمن بها بين أكتافكم.

#### تعاون الصغار

يقول الإمام الشهيد البنا في مذكراته: ونحن طلاب في المدرسة الإعدادية كنا

(١) صور من حياة الصحابة: ٢١.

نصلي الظهر في المسجد المجاور للمدرسة، وذات يوم مر إمام المسجد فرأى كثيراً من التلاميذ، زاد على ثلاثة صفوف أو أربعة فخشي الإسراف في الماء، والبلى للحصير، فانتظر حتى أتم المصلون صلاتهم، ثم فرقهم بالقوة مهدداً ومنذراً ومتوعداً، فمنهم من فر، ومنهم من ثبت، وأوحت إلى خواطر التلمذة أن أقتص منه ولا بد، فكتبت إليه خطاباً ليس في إلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وبعثت الخطاب بالبريد، ثم عرف الشيخ ممن جاءته هذه الضربة، فقابل الوالد شاكياً، فأوصاه بالتلاميذ خيراً، وكانت له معنا مواقف طيبة بعد ذلك، واشترط علينا أن نملأ صهريج المسجد بالماء قبل انصرافنا وأن نعاونه في جمع تبرعات للحصر، فأعطيناه ما شرط<sup>(١)</sup>.

هل تتعاون مع إمام المسجد لمصلحة المسلمين؟

## ٢- تعاون بين الزوجين

على الزوجة أن تعاون زوجها كما فعلت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوجة الزبير بن العوام قالت أسماء - رضي الله عنها -: كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكان له فرس وكنت أسوسه، وأقوم عليه، وكانت رضي الله عنها تعلقه، وتسقي الماء، وتخز الدلو، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ.

فعلى الزوجة أن تتحمل زوجها، وتقف بجانبه في أوقات الشدة.

## ٣- تعاون الملائكة في بدر

في غزوة بدر يقول ابن عباس - رضي الله عنهما -:

بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت، وذلك مدد من السماء الثالثة»، وجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلع (الذي انحسر الشعر عن جانب رأسه) من أحسن الناس وجهاً

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٥٦-٥٧.

على فرس أبلق، وما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، فقال ﷺ: «اسكت فقد أيدك الله بملك كريم» [رواه أحمد].

#### ٤- قضاء حوائج الناس

قالت السيدة خديجة -رضي الله عنها- عندما عاد إليها من غار حراء بعد أن نزل عليه الأمين جبريل بالوحي: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل (الثقل) وتكسب المعدوم (الفقير) وتعين على نوائب الحق [رواه البخاري].

مساعدة الناس تكون سبباً في النجاة من المحن فلا تبخل على إخوانك بالمساعدة فيما وهبك الله واحتسب أجره عند الله.

#### مشروع زواج

كان أحد الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده ليلي أمره إذا نزلت بالرسول حاجة فقال له رسول الله: «ألا تتزوج؟» فقال: يا رسول الله إنني فقير لا شيء لي، وانقطع عن خدمتك، فسكت ثم عاد ثانياً، فأعاد الجواب ثم فكر الصحابي وقال: والله لرسول الله أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي، وما يقربني إلى الله، ولئن قال لي الثالثة لأفعلن، فقال له الثالثة: «ألا تتزوج؟» فقال يا رسول الله زوجني، فقال: «اذهب إلى بني فلان، فقل: إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني فتاتكم» فقال يا رسول الله: لا شيء لي (أي لا يملك شيئاً) فقال ﷺ لأصحابه: «اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب»، فجمعوا له وذهبوا إلى القوم فزوجوه، وجمع له أصحابه شاة للوليمة.

هل فكرت في يوم من الأيام في مساعدة إنسان فقير على الزواج ولو بجزء يسير من وقتك أو من مالك أو من جهدك؟

#### التعاون في أمور الزواج

قال أبو وداعة: كنت ألزم مسجد رسول الله ﷺ طلباً للعلم، وكنت أداوم على حلق سعيد بن المسيب وأزاحم الناس عليها بالناكب، فتغييت عن حلقة الشيخ أياماً، ففقدني، وظن أن بي مرضاً، أو عرض لي عارض، فسأل عني من حوله، فلم يجد عند أحد منهم خبراً فلما عدت إليه بعد أيام حياني، ورحب بي وقال: أين كنت يا أبا

وداعة؟ فقلت: توفيت زوجتي، فاشتغلت بأمرها، فقال: هلا أخبرتنا يا أبا وداعة فأواسيك، ونشهد جنازتها معك، ونعينك على ما أنت فيه، فقلت: جزاك الله خيراً، وهممت أن أقوم، فاستبقاني حتى انصرف جميع من كان في المجلس، ثم قال لي: أما فكرت في استحداث زوج لك يا أبا وداعة؟ فقلت له يرحمك الله، ومن يزوجني ابنته وأنا شاب نشأ يتيماً، وعاش فقيراً، أنا لا أملك غير درهمين، أو ثلاثة دراهم، فقال: أنا أزوجك ابنتي، فانعقد لساني وقلت: أنت؟! أتزوجني ابنتك بعد أن عرفت من أمري ما عرفت؟! فقال: نعم، فنحن إذا جاءنا من نرضى دينه وخلقه زوجناه، وأنت عندي مرضي الدين والخلق، ثم التفت إلى من كان قريباً منا، وناداهم، فلما أقبلوا عليه وصاروا عنده، حمد الله عز وجل وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد وعقد لي على ابنته، فقمت وأنا لا أدري ما أقول من الدهشة والفرج، ثم قصدت بيتي، وكنت يومئذ صائماً، فنسيت صومي وجعلت أقول: ويحك يا أبا وداعة، ما الذي صنعت بنفسك؟! ممن تستدين؟! ومن تطلب المال؟! وظللت على حالي هذه حتى أذن للمغرب، فأديت المكتوبة، وجلست إلى فطوري، وكان خبزاً وزيتاً، فما أن تناولت منه لقمة أو لقمتين حتى سمعت الباب يقرع، فقلت: من الطارق؟ فقال: سعيد، فوالله لقد مر بخاطري كل إنسان اسمه سعيد أعرفه إلا سعيد بن المسيب، ذلك لأنه لم ير منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، ففتحت الباب، فإذا بي أمام سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له في أمر زواجي من ابنته شيء، وقلت له: يا أبا محمد؟! هلا أرسلت إلينا فأتيك، فقال: بل أنت أحق بأن آتي إليك اليوم، فقلت: تفضل علي، فقال: كلا، وإنما جئت لأمر، فقلت: وما هو يرحمك الله؟ فقال: إن ابنتي أصبحت زوج لك بشرع الله منذ الضحى، وأنا أعلم أنه ليس معك أحد يؤنس وحشتك، فكرهت أن تبيت أنت في مكان وزوجتك في مكان آخر، فجتتك بها، فقلت: ويحي جتني بها؟! فقال: نعم، فنظرت، فإذا هي قائمة بطولها، فالتفت إليها وقال: ادخلي إلى بيت زوجك يا بنتي على اسم الله وبركته، فلما أرادت أن تخطو، تعثرت بثوبها من الحياء حتى كادت تسقط على الأرض، أما أنا فقد وقفت أمامها ذاهلاً لا أدري ما أقول، ثم إنني بادرت فسبقتها إلى القصة التي فيها الخبز والزيت، فنحيتها من ضوء السراج حتى لا تراها، ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران، فأقبلوا علي وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: عقد لي سعيد بن المسيب على ابنته اليوم في المسجد، وقد جاءني بها

الآن على غفلة، فتعالوا أنسوها حتى أدعو أُمي، فهي بعيدة الدار فقالت عجوز منهن: ويحك أتدري ما تقول؟! أزوجك سعيد بن المسيب ابنته، وحملها لك إلى البيت بنفسه؟! وهو الذي ضمن بها على الوليد بن عبد الملك، فقلت: نعم، وما هي ذي عندي في بيتي، فهلموا إليها، وانظروها، فتوجه الجيران إلى البيت، وهم لا يكادون يصدقونني، ورحبوا بها، وأنسوا وحشتها، كما وجه إلينا سعيد بن المسيب مبلغًا وفيرًا من المال لنستعين به على حياتنا<sup>(١)</sup>.

وهكذا تعاونوا فيما بينهم لتيسير أمور الزواج فعلى أولياء الأمور التيسير على الشباب في أمور الزواج فالسعادة ليست في كثرة المهور والتفاخر بها، وإنما في طاعة الله عز وجل.

#### ذو القرنين

كان يأجوج ومأجوج أناسًا لهم أشكال مخيفة، يفسدون في الأرض لا يصلحون، وكان في زمانهم ملك يسمى ذو القرنين، آتاه الله ملكًا عظيمًا ومنحه القوة والسلطان، وفي يوم من الأيام، وصل ذو القرنين بجيشه إلى المكان الذي يعيش فيه هؤلاء القوم، وكان يسكن في المكان نفسه قوم ضعاف، فلما رأوا ذا القرنين، استنجدوا به حتى يحميهم من يأجوج ومأجوج، واقترحوا عليه أن يصنع لهم سدًا يمنع عنهم شرهم، فوافق ذو القرنين على بناء السد، وطلب منهم أن يعاونوه ويساعدوه، حتى يتمكن من إنجاز هذا العمل الضخم، وتعاون القوم في صنع السد، وكان سدًا قويًا متينًا من سبيكة الحديد والنحاس، وعاش القوم بها في أمان وسلام.

#### ٥- تعاون الأبناء مع الآباء

أمر الله تعالى نبيه إبراهيم - عليه السلام - أن يبني الكعبة، ليحج إليها الناس ويزوروها من كل مكان وفي كل زمان، فأخبر إبراهيم - عليه السلام - ولده إسماعيل - عليه السلام - بذلك، فوافق على الفور، وتعاون مع أبيه في هذا العمل العظيم، فذهب

(١) صور من حياة التابعين: ٢٠٣-٢٠٥.

إلى المكان المخصص لبناء البيت، وكان يجمع الحجارة، وكان أبوه يقوم بعملية البناء، حتى ارتفع البناء، وكان إبراهيم وولده يدعوان ربهما أن يتقبل منهما هذا العمل الصالح بقولهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] فتقبل الله منهما دعاءهما.

### ٦- التعاون من أجل مصلحة الوطن

- عقد الشهيد حسن البنا مؤتمراً وطنياً كبيراً بمدينة طنطا واصطحب معه أحد الأقباط المتخصصين ليتحدث عن قضية قناة السويس واسمه «نصيف ميخائيل» ليؤكد معنى التضامن بين المسلمين والمسيحيين.

- وكان الأستاذ «لويس فانوس» وهو من زعماء الأقباط المرموقين يواظب على حضور حديث الثلاثاء للإمام حسن البنا بالمركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية يوم الثلاثاء من كل أسبوع ويجلس بين إخوانه المسلمين بكل حب وإخاء، وكان صديقاً حميماً للأستاذ البنا، وفي إحدى المرات رشح الشيخ حسن البنا نفسه في البرلمان المصري وكان وكيله في إحدى اللجان قبلياً.

- وكانت اللجنة السياسية المركزية من تسعة أعضاء برئاسة وكيل الجماعة وعضوية سكرتير الجماعة وعضو من مكتب الإرشاد، وثلاثة أعضاء أقباط هم «وهيب بك دوس» والأستاذ «لويس فانوس» عضو مجلس النواب، والصحفي الكبير «كريم ثابت»، وأرسل حسن البنا إلى توفيق دوس باشا تهنئة بمناسبة انتخابه عضواً بمجلس الشيوخ رد عليها دوس بتهنئة بمناسبة صدور جريدة الإخوان المسلمين وأشاد بنزعة الإخوان المسلمين القومية.

- وحينما هاجم «سلامة موسى» الإخوان بأنهم يثيرون الفتنة الطائفية في إحدى مقابلات الصحف، رد عليه المسيحي «توفيق غالي» بكل قوة قائلاً: إن الإخوان المسلمين أشرف الجماعات مقصدًا وأمثلهم خلقًا.

- ويوم قتل حسن البنا أيام الملك فاروق منعت الحكومة السعودية برئاسة إبراهيم عبد الهادي جثمانه من أن يشيع في جنازة، لم يمض وراة نعشه إلا اثنان هم والده، ومكرم عبيد باشا السياسي المسيحي الذي كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب ويستشهد دائماً بآياته



في خطبه البليغة<sup>(١)</sup>.

### تعاون مرفوض:

قال أبو عبد الله: لا أعرف كيف أروي هذه القصة التي عشتها منذ فترة والتي غيرت مجرى حياتي كلها، والحقيقة أنني لم أقرر أن أكشف عنها إلا من خلال إحساسي بالمسئولية تجاه الله، ولتحذير بعض الشباب الذي يعصي ربه وبعض الفتيات اللاتي يسعين وراء وهم زائف اسمه الحب.

كنا ثلاثة من الأصدقاء يجمع بيننا الطيش والعجب، كلا بل أربعة، فقد كان الشيطان رابعنا.

فكنا نذهب لاصطياد الفتيات الساذجات بالكلام المعسول ونستدرجهن إلى المزارع البعيدة، وهناك يفاجأن بأننا قد تحولنا إلى ذئاب لا ترحم توسلاتهن بعد أن ماتت قلوبنا ومات فينا الإحساس، هكذا كانت أيامنا وليالينا في المزارع، في المخيمات والسيارات على الشاطئ، إلى أن جاء اليوم الذي لا أنساه.

ذهبنا كالمعتاد للمزرعة كان كل شيء جاهزاً، الفريسة لكل واحد منا، الشراب الملعون.. شيء واحد نسيناه هو الطعام وبعد قليل ذهب أحدها لشراء طعام العشاء بسيارته كانت الساعة السادسة تقريباً عندما انطلق ومرت الساعات دون أن يعود، وفي العاشرة شعرت بالقلق عليه فانطلقت بسيارتي أبحث عنه وفي الطريق؛ وعلى البعد رأيت سيارة ينبعث منها دخان كثيف، وعندما وصلت فوجئت بأنها سيارة صديقي والنار تلتهمها وهي مقلوبة على أحد جانبيها، أسرع كالمجنون أحاول إخراجه من السيارة المشتعلة ودُهلّت عندما وجدت نصف جسده وقد تفحم تماماً لكنه كان ما يزال على قيد الحياة فنقلته إلى الأرض.

وبعد دقيقة فتح عينيه وأخذ يهذي النار النار فقررت أن أحمله بسيارتي وأسرع به إلى المستشفى لكنه قال لي بصوت باك: لا فائدة لن أصل.

(١) وعرفت الإخوان: ٢٤.

فخفقتني الدموع وأنا أرى صديقي يموت أمامي وفوجئت به يصرخ: ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟ نظرت إليه بدهشة وسألته: من هو؟ قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق: الله.

أحسست بالرعب يجتاح جسدي ومشاعري وفجأة أطلق صديقي صرخة مدوية ولفظ آخر أنفاسه ومضت الأيام لكن صورة صديقي الراحل لا تزال تتردد في ذهني وهو يصرخ والنار تلتهمه.. ماذا أقول له؟ ماذا أقول له؟

ووجدت نفسي أتساءل: وأنا ماذا سأقول له؟ فاضت عيناى واعترتني رعشة غريبة وفي نفس اللحظة سمعت المؤذن لصلاة الفجر ينادي: الله أكبر الله أكبر حي على الصلاة، أحسست أنه نداء خاص بي يدعوني إلى طريق النور والهداية، فاغتسلت وتوضأت وطهرت جسدي من الرذيلة التي غرقت فيها لسنوات وأديت الصلاة ومن يومها لم يفتني فرض.

وأحمد الله الذي لا يحمد سواه لقد أصبحت إنساناً آخر وسبحان مغير الأحوال ويأذن الله أستعد للذهاب لأداء العمرة وإن شاء الله الحج فمن يدري فالأعمار بيد الله.

ثبتنا الله على الحق ولن نقول لكل شاب إلا الحذر الحذر من صحبة من يعينوك على تعدي حدود الله وفيما قرأت عبرة وعظة فهل من معتبر<sup>(١)</sup>؟

### سبب إسلامه:

أستاذ الصحافة المسلم «مارك شيلفر» أستاذ علم الصحافة بجامعة نيويورك من أسرة مسيحية كاثوليكية، سافر إلى المغرب يقول: «تعثرت قدمي في حفرة ذات يوم حينما خرجت لأول مرة إلى مكان شعبي بمدينة الرباط، وعلى الفور وجدت عدداً من المغاربة يسارعون إليّ لمساعدتي على النهوض، ويسألونني في لهفة عما إذا كنت قد أصبت بسوء!!».

ثم أردف هذا الموقف بما حدث أثناء فترة مرضه قائلاً: «ومرضت ذات مرة فوجدت

(١) مائة قصة وقصة، الهندي: ٨٤-٨٥.

عشرات من جيراني ومعارفي يأتون لزيارتي، ويحاول كل منهم أن يصنع لي شيئاً، فدهشت لهذا السلوك الإنساني الذي لم أجد له نظيراً في بلدي أمريكا، حيث الكل لا يهتم إلا بنفسه، وطابع الحياة المادية البحتة هناك يصبغهم جميعاً بالأنانية».

وبينما أنا أقلب ترجمة معاني القرآن الكريم إذا بي أطلع تفسير الآيتين الكريمتين:  
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٣-١٠٤].

عندئذ لم أتمالك نفسي، ووجدت الدموع تنهمر من عيني، ومن ثم أيقنت أن هذه إشارة صريحة من الله عز وجل ترشدني إلى الإسراع في اعتناق الدين الإسلامي، واللحاق بركب الموحدين، وعلى الفور، حزمت حقائبي، وسافرت إلى أمريكا حيث أشهرت إسلامي أنا وزوجتي وولدي بالمسجد الكبير في نيويورك<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء: ١/١٣٥.

## صلة الرحم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن ييسط له في رزقه وينسأ له في أثره (أجله: أي يظل ذكره حتى بعد وفاته) فليصل رحمه» [رواه البخاري] والمقصود بالزيادة في الرزق أي زيادة البركة والزيادة في العمر بالتوفيق إلى الطاعة أو بقاء ذكره الجميل بعد وفاته.

وعن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [متفق عليه].

### طريق الجنة

عن أبي أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو زمامها ثم قال: يا رسول الله -أو يا محمد- أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: فكف النبي ثم نظر في أصحابه، ثم قال: «لقد وفق» أو «لقد هدي، قال: كيف قلت؟ قال: فأعادها، فقال النبي: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، دع الناقة» وفي رواية: «وتصل ذا الرحم» فلما أدير قال رسول الله ﷺ: «إن تمسك بما أمرته به دخل الجنة» [رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم].

### من ثمارها

عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم».

قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم أرحامهم» رواه الطبراني.

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «الرحم متعلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» رواه البخاري ومسلم.

وعن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلية» رواه الترمذي.

### وصية

عن أبي ذر ؓ قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحون مصر؛ هي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما» رواه مسلم.

والرحم كون هاجر أم إسماعيل منهم، والذمة المراد منها المصاهرة لأن مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم.

### تدفع ميتة السوء

عن أنس ؓ عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر، ويدفع بهما ميتة المكروه واخذور» رواه أبو يعلى.

### تيسير الحساب وتدخل صاحبها الجنة

عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته»، قالوا: وما هي يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة» [رواه البزار والطبراني والحاكم].

### ترفع الدرجات يوم القيامة

عن عبادة بن الصامت ؓ قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك» [رواه البزار والطبراني].

### ليس الواصل بالمكافئ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ؓ أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني،

وأحسن إليهم وسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي، فقال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل (الرماد) ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك» رواه مسلم.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يقول الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسما من اسمائي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» [رواه أبو داود والترمذي].

### احذر قطيعة الرحم

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّفِقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك (المستجير بك) من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» [رواه البخاري ومسلم].

وعن أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة قاطع» يعني قاطع رحم. رواه البخاري ومسلم؛ أي لا يدخلها أبدا إن أنكر وجود صلة الرحم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم» رواه أحمد.

وعن أبي بكره رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» رواه الترمذي.

### مثل شائع خاطئ

الأقارب عقارب، هذا مثل أحمق مضلّ يحض على قطيعة الرحم التي أمر الله أن توصل، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

## العدل

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

القسط هو العدل، تقول: أقسط الرجل فهو مقسط، إذا عدل.

أما إذا قلت: قسط الرجل فهو قاسط أي ظالم وجائر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

قال الفراء: هم الجائرون الكفار، فالمقسط عكس القاسط.

فالعدل ليس صفة كمالية أو ترفا حضاريا، وإنما هو فريضة ربانية ومطلب بشري.

لذلك جاءت الرسالات كلها تأمر الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومن الحكم المشهورة: العدل ليس في نص القانون، وإنما هو في ضمير القاضي.

### من أنواع العدل

العدل الاجتماعي: وهو العدل في توزيع الثروة، وإتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الأمة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجهودهم دون أن يسرقها القادرون أصحاب السلطة، فمن لم يطعم المسكين كان من أهل الجحيم ﴿قَالُوا لِمَ تَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤٣، ٤٤] ولا يكفي أن تطعم المسكين، بل يجب أن تدعو إلى إطعامه ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ [الذئب: ٤٤، ٤٥] ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١: ٣].

والمجتمع الجاهلي مذموم لضياح الفئات الضعيفة فيه وانشغال الأقوياء بأكل المال: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الأنعام: ١٧: ٢٠]. على الدولة أن تتخذ الوسائل لمساعدة الفقراء ولو كانوا من غير المسلمين..

## عدل عمر مع أهل الذمة

مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كبرك. ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه، ويقول عمر: لو مات جهل ضياعا على شط الفرات، لخشيت أن يسألني الله عنه.

والإسلام يأمر بالعدل مع النفس بأن يوازن بين حق نفسه، وحق ربه، وحقوق غيره، قال رسول الله لعبد الله بن عمرو حين جار على حق نفسه بمداومة صيام النهار وقيام الليل: «إن لبدنك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا» متفق عليه.

يأمر الإسلام بالعدل في القول فلا يخرج الغضب عن قول الحق ولا يدخله الرضا في قول الباطل قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

العدل في الشهادة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٨].

العدل في الحكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

يقول سيد قطب: وتدبير الله لهذا الكون ولحياة الناس متلبس دائما بالقسط وهو العدل، فلا يتحقق العدل المطلق في حياة الناس، ولا تستقيم أمورهم استقامة أمور الكون، التي يؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر، لا يتحقق هذا إلا بتحكيم منهج الله الذي اختاره لحياة الناس، وبينه في كتابه، وإلا فلا قسط ولا عدل، ولا استقامة ولا تناسق، ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة الإنسان، وهو الظلم إذن والتصادم والتشتت والضياغ.

وها نحن نرى على مدار التاريخ أن الفترات التي حكم فيها كتاب الله وحدها هي التي ذاق فيها الناس طعم القسط، واستقامت حياتهم استقامة دورة الفلك بقدر ما تطبق طبيعة البشر المتميزة بالجنوح إلى الطاعة والجنوح إلى المعصية، والتأرجح بين هذا وذاك، والقرب من الطاعة كلما قام منهج الله، وحكم في حياة الناس كتاب الله، وأنه حيثما حكم في حياة الناس منهج آخر من صنع البشر، لازمه جهل البشر وقصور البشر، كما



لازمه الظلم والتناقض في صورة من الصور.

ظلم الفرد للجماعة أو ظلم الجماعة للفرد، أو ظلم طبقة لطبقة أو ظلم أمة لأمة، أو ظلم جيل لجيل، وعدل الله وحده هو المبرأ من الميل لأي من هؤلاء، وهو إله جميع العباد، وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء<sup>(١)</sup>.

### عدل الرسول

في غزوة بدر قال رسول الله ﷺ: «استو يا سواد» - بعد أن ضربه ضربة خفيفة برمح كان معه - فقال: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقذني، فكشف رسول الله عن بطنه، فقال: «استقد»، قال: فاعتقه فقبل بطنه فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدي بك أن يمس جلدي جلدي، فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ويضرب الرسول ﷺ من نفسه نموذجاً في القصاص.

### عدل الصحابة

معاذ بن جبل ؓ لم يزل بالجند إذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، حتى مات النبي ﷺ وأبو بكر، ثم قدم على عمر، فرده على ما كان عليه، فبعث إليه معاذ بثلاث صدقة الناس، فأنكر ذلك عمر، وقال له: لم أبعثك جابياً، أخذاً جزية، ولكن بعثت لتأخذ من أغنياء الناس، فتردها على فقرائهم، فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحدا يأخذه مني. فلما كان العام الثاني بعث إليه شطر الصدقة (نصفها) فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجع عمر، فقال معاذ: ما وجدت أحدا يأخذ مني شيئاً.

لقد انتصر الإسلام على الفقر في ظل العدل الإسلامي في توزيع الزكاة على الفقراء، فإذا أردنا القضاء على الفقر فعلينا بتطبيق شرع الله في الأرض.

### العبد الصالح

في يوم من الأيام كان فيروز الديلمي داخلاً على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ

(١) في ظلال القرآن الكريم (١/٣٧٩).

فراحه فتى من قريش يريد أن يدخل قبله، فرفع فيروز يده، وضربه على أنفه، فدخل الفتى على عمر، والدم يسيل من أنفه، وحكى له ما حدث.

فقال عمر لفيروز: ما هذا يا فيروز؟ فأخبره فيروز بما حدث، فأمر عمر بالقصاص.

فجلس فيروز على ركبته فقام الغلام ليقتص منه، فطلب إليه عمر أن يتمهل، وقال له: سمعت رسول الله ذا غداة، يقول: «قتل الليلة الأسود العنسي الكذاب؛ قتله العبد الصالح فيروز الديلمى» فلما سمع الفتى أن الرسول قال عن فيروز أنه عبد صالح، عفا عنه، فأعطاه فيروز سيفه وفرسه و ثلاثين ألفا، فقال عمر للقرشي: يا أخا قريش، عفوت مأجورا وأخذت مالا.

إنه العدل العمري الذي تعلمه من الرسول ﷺ.

### ضربة وحجة

ذات يوم خرج عمر بن الخطاب ؓ إلى سوق المدينة يتفقد أحوال الرعية، وفي يده درته، فرأى سلمة بن الأكوع يسير في وسط الطريق، فضربه عمر ضربة خفيفة بالدرّة فأصابت طرف ثوبه وأمره أن يسير في جانب الطريق، فلما كان العام التالي قابله عمر في نفس الموضع، فقال له: يا سلمة أتريد الحج؟

فقال سلمة: نعم يا أمير المؤمنين، فأخذ عمر بيده، وانطلق به إلى منزله، فأعطاه ستمائة درهم، وقال له: استعن بها على حجك، واعلم أنها بالخفقة (الضربة الخفيفة) التي خفقتك بها العام الماضي.

قال سلمة: يا أمير المؤمنين، ما ذكرتها.

قال عمر: وأنا ما نسيتها.

عمر يتذكر موقفه يوم القيامة وحساب الله فيسارع إلى العدل وإرضاء الآخرين، انظر ماذا ستفعل إذا كنت مسئولاً عن الرعية؟

### موقف رائع

حمى عمر أرضاً قرب المدينة لترعى فيها دواب المسلمين - ومعنى حمايتها أي جعلها ملكاً عاماً بين الجميع - ولكنه لم يكتف بذلك، فجعل هذا الحمى لمصلحة الطبقة الفقيرة،

وذوي الدخل المحدود قبل كل شيء، ليكون هذا المرعى المجاني مصدراً لزيادة ثروتهم الحياتية، وزيادة دخلهم منها، ليستغنوا بذلك عن طلب المعونة من الدولة، وهذا الهدف واضح في وصية عمر للذي ولاه على هذا الحمى للإشراف عليه، فقد قال له: اضمم جناحك عن الناس، واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة، وأدخل رب الصرمة والغنيمة (الصرمة: الإبل القليلة، الغنيمة: الغنم القليلة) ودعني من نعم ابن عفان، ونعم ابن عوف (أي إبل الأثرياء وغنمهم) فإنهما إن أهلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع (أي لهم ثروات ومصادر أخرى للدخل) وإن هذا المسكين (أي رب الصرمة والغنيمة) إن هلكت ماشيته جاءني بينيه، يصرخ: يا أمير المؤمنين، أفتركهم أنا لا أبا لك؟ فالكلاً أيسر علي من الذهب والورق (النقود الفضية).

فتجب عناية الدولة الإسلامية بذوي المال القليل والدخل الضئيل، وإتاحة الفرصة ليكسبوا ولو كان ذلك بالتضييق على ذوي الثروات الكبيرة وحرمانهم مما يتيح للفئات الضعيفة من وسائل الكسب، وكل إنسان في كنف الدولة الإسلامية من حقه إن هلك مصدر دخله وضاع مورد رزقه أن يصرخ في وجه الحاكم المسئول مطالباً بحقه وحق بنيه في خزانة الدولة والسياسة الراشدة هي التي تعمل على توفير مصادر الدخل للفقراء لتستغني بجهودهم عن طلب المعونة، وتكليفها عبء الإنفاق عليهم من خزانتها.

هل تحرص على العدل بين الموظفين في العمل، وبين أولادك في المنزل؟

### عدل يفوق الخيال

في أثناء الفتوح الإسلامية حاصر جيش المسلمين مدينة سمرقند وكانت مدينة حصينة ومنيعة، يصعب على أي جيش أن يدخلها مهما كان قوياً بسبب حصونها وقلاعها، ولما طال الحصار فكر قائد جيش المسلمين قتيبة بن مسلم في خطة ليدخل المدينة، وبدأت الخطة بأن دخل عدد من جنود المسلمين الشجعان في هيئة تجار يبيعون سلعاً وبضائع، وبعد أن صاروا داخل المدينة هاجموا الحصون والقلاع واستولوا عليها، ثم فتحوا الأبواب، فدخل بقية جيش المسلمين، واستسلم عندئذ أهل سمرقند وسقطت المدينة في أيدي المسلمين.

واجتمع أهل سمرقند عند كبير الكهنة، وسألوه النصيحة، فقال لهم: «سأطالب

بمحاكمة قائد جيش المسلمين».

قال أحدهم: «ومن سيوافقنا على محاكمة قائد جيش المسلمين وهم المنتصرون؟!».

فأجاب كبير الكهنة: «خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز فهو رجل عادل».

وأرسل كبير الكهنة أحد أعوانه إلى الشام، وقابل الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأحسن استقباله، واستمع إليه جيداً، وقال له: «اطمئن واهدأ بالاً، فالإسلام لا يعرف غير العدل» وأعطاه خطاباً إلى الوالي حاكم المسلمين في سمرقند، وذهب كبير الكهنة بالخطاب إلى حاكم سمرقند المسلم فقرأه فوجد الخليفة يأمره بأن يختار أحد القضاة المسلمين ليحكم في الشكوى التي قدمها كهنة سمرقند واختار الوالي قاضياً يشق فيه، وحدد موعداً للمحاكمة.

استمع القاضي إلى كبير الكهنة الذي تكلم عن أهل سمرقند وقال: «نحن نعرف أن دينكم قد حدد ثلاثة أمور لنشر دعوته أولها: الدعوة إلى الدخول في الإسلام، فمن لم يقبل فعليه دفع الجزية مقابل توفير الأمن والدفاع عنه وهذا هو الثاني، فإن رفض الدخول في الإسلام ورفض دفع الجزية يأتي دور الحرب والقتال، ولكن جيشكم لم يفعل هذا ودخل مدينتنا بالخديعة».

فسأل القاضي قائد المسلمين: «هل هذا ما حدث؟».

أجاب القائد المسلم: «أصلح الله القاضي! إن الحرب خدعة وهذا البلد أنقذه الله على أيدي جنودنا وهداه إلى طريق الحق والنور».

فقال القاضي: «وهل خيرتم أهله بين واحدة من ثلاث: إما الإسلام، وإما الجزية، وإلا فالحرب؟».

قال القائد: «لا أيها القاضي».

عندئذ أصدر القاضي المسلم أعجب حكم في التاريخ قال: «قد حكمت على جيش المسلمين بأن يخرج من سمرقند ويسلم البلاد إلى أهلها، ثم يعرض عليهم الدخول في الإسلام، فإن لم يقبلوا فالجزية، وإلا فيعلق عليهم الحرب والقتال».

وتم تنفيذ الحكم، وانسحب جيش المسلمين من سمرقند، وعادت المدينة إلى أهلها، ودهش الجميع أمام هذا الحكم الذي يدل على عدالة الإسلام، وكانت النتيجة أن دخل أهل سمرقند في الإسلام، وعاد جنود المسلمين إليها، ليسوا جنودًا محارِبين بل إخوة متحابين يعانق كل واحد منهم أخاه من أهل سمرقند، ويهنته بالدخول في الإسلام تحت راية الحب والسلام!!

### عدل المسلمين

اختلف علي بن أبي طالب ؑ ذات يوم مع رجل يهودي فذهبا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليحكم بينهما، فقال عمر بن الخطاب ؑ للإمام علي: اجلس يا أبا الحسن إلى جوار خصمك.

فجلس علي وقد بدت على وجهه علامات التأثر والألم، وبعد أن حكم أمير المؤمنين عمر بينهما بالحق وانصرف اليهودي راضيًا التفت إلى علي وقال له: هل أسأت إليك بطلي الجلوس إلى جوار خصمك؟

قال علي: لا والله، وإنما أسأت لأنك قلت لي: يا أبا الحسن وفي هذا إكبار لي أمام خصمي، فخشيت أن يشعر هذا اليهودي بأنه لا يوجد عدل بين المسلمين.

### المساواة من العدل

لما تولى أبو بكر ؑ الخلافة خطب فيهم قائلاً: «أيها الناس إنني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأطيعوني، وإن أسأت فقوموني، القوي فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتى أخذ له الحق، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم» إنه يوضح منهج العدل من أول يوم في خلافته.

قال عمر بن الخطاب يوماً: ما قولكم لو أن أمير المؤمنين شاهد امرأة على معصية؟ يعني أنكفي شهادته في إقامة الحد عليها؟ فقال له علي بن أبي طالب: يأتي بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف شأنه في ذلك شأن المسلمين.

إنها المساواة بين الجميع فلا فرق بين الحاكم والمحكوم،  
والرئيس والمرءوس إلا بالتقوى.

## عبادة بن الصامت

لقد كان عبادة بن الصامت من الصحابة الأجلاء، أسود اللون، وكان رئيس الوفد الذي أرسله عمرو بن العاص لمفاوضة المقوقس عظيم القبط، فضايق به المقوقس لسواده وبسط جسمه، وطلب من الوفد أن يتكلم غيره فردوا عليه: إن هذا أفضلنا رأيا وعلمًا، وهو سيدنا وخيرنا، وقد أمره الأمير علينا فلا نخالف أمره. فعجب المقوقس، كيف يكون الأسود أفضلهم؟ فردوا عليه بأن الألوان ليست ما يقاس به الرجل.

إن الإسلام لا يعرف في تقييم البشر إلا الخلق والمواهب الفاضلة.

## عمر والعدل

كان جبلة بن الأيهم آخر أمراء بني غسان، من قبل هرقل، وإن الغساسنة يعيشون تحت إمرة دولة الروم، وكان الروم يجرسونهم دائما على غزو الجزيرة العربية، خاصة بعد نزول الإسلام، ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية، وتوالت انتصارات المسلمين على الروم، أخذت القبائل العربية في الشام تعلن إسلامها فبدا للأمير الغساني أن يدخل الإسلام هو أيضا، فأسلم وأسلم ذويه معه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة وأقام بها زمنا والفاروق يرحاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحله، فغضب الأمير الغساني لذلك، وهو حديث عهد بالإسلام، فلطمه لطمه قاسية هشمت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حل به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقر بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تظلم أخاك هذا فتهشم أنفه؟ فأجاب بأنه قد ترفق كثيرا بهذا البدوي (وأنه لولا حرمة البيت الحرام لأخذت الذي فيه عيناه) فقال له عمر: لقد أقررت، فيما أن ترضي الرجل وإما أن أقتص منك، وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك؟ فقال عمر: إن الإسلام قد سوى بينكما، فقال الأمير الغساني، لقد ظننت يا أمير المؤمنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

فقال الفاروق: دع عنك هذا فإنك إن لم ترض الرجل اقتصت منك. فقال جبلة:

إذن أنتصر.

فقال عمر: إذا تنصرت ضربت عنقك، لأنك أسلمت فإن ارتددت قتلتك.

وهنا أدرك جبلة أن الجدال لا فائدة منه، وأن المواجهة مع الفاروق لن تجدي، فطلب من الفاروق أن يمهل ليفكر في الأمر، فأذن له عمر بالانصراف، وفكر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار، وكان غير موفق في قراره، فقد أثار أن يغادر مكة هو وقومه في جنح الظلام، وفر إلى القسطنطينية فوصل إليها متنصرا، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشد الندم.

وفي هذه القصة نرى حرص الإسلام على مبدأ المساواة؛ فالإسلام قد سوى بين الملك والسوقة، ولا بد لهذه المساواة أن تكون واقعا حيا ليس مجرد كلمات توضع على الورق.

### رد المظالم

تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخلافة فأمر مناديا ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها إلى أمير المؤمنين.

وذات يوم كان عنده العباس بن الوليد بن عبد الملك، فدخل عليه رجل نصراني من أهل حمص، أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك بكتاب الله عز وجل.

قال عمر: وما ذاك؟ فأخبره الرجل أن العباس بن الوليد بن عبد الملك أخذ أرضه واغتصبها.

فقال عمر للعباس: ما تقول؟ فأخبره العباس أن أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك كان قد أعطها له، وكتب له بها عقدا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال الذمي: يا أمير المؤمنين، أسألك بكتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ابن عبد الملك، فاردد يا عباس أرضه، فردها العباس عليه.

### اشترى مظلمته

لما رجع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقال: ما فعل عمر؟

قالت: أقبل من الشام سالما.

فقال: ما تقولين فيه؟

قالت: يا هذا، لا جزاه الله عني خيراً.

قال: ولم؟

قالت: لأنه ما أنالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين ديناراً ولا درهماً.

فقال: وما يدري عمر بمالك وأنت في هذا الموضع؟

فقالت: سبحان الله، والله ما ظننت أحداً يولى على الناس ولا يدري ما بين مشرقها

ومغربها.

فبكى عمر وقال: واعمره! كل الناس أفتقه منك حتى العجائز يا عمر، ثم قال لها: يا

أمة الله بكم تبيعين ظلامتك من عمر فإنني أرحمه من النار؟

فقالت: لا تهزأ بنا، يرحمك الله.

فقال عمر: لست أهزأ بك، ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً.

فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، فقالا: السلام

عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: واسوءتاه! شتمت

أمير المؤمنين في وجهه.

فقال لها عمر: لا بأس عليك، يرحمك الله، ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد،

فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اشترى عمر من

فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدعي عليه عند

وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه، شهد على ذلك علي وابن مسعود».

ثم دفعها إلى ولده وقال له: إذا أنا مت فاجعلها في كفي ألقى بها ربي<sup>(١)</sup>.

رجل يضرب الأمير

عن عمر بن شيبعة قال: قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لرجل من تجيب: يا منافق.

فقال التجيبي: يا أمير المؤمنين، إن عمراً نفقني، ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب

عمر -رضوان الله عليه- إلى عمرو، وكان إذا غضب كتب: إلى العاصي بن العاصي: أما بعد،

(١) مائة موقف من حياة العظماء ٢٤، ٢٥.



فإن فلانا التجيبي ذكر أنك نفقته، وقد أمرته إن أقام عليك شاهدين، أن يضربك أربعين -أو قال سبعين- فقام فقال: أشد الله رجلا سمع عمراً نفقني إلا قام فشهد، فقام عامة من في المسجد، فقال له حنمة: أتريد أن تضرب الأمير؟ وعرض عليه الأرش «دية الجرح» فقال: لو ملأت لي هذه الكنيسة ما قبلت، فقال له حنمة: أتريد أن تضربه؟ قال: ما أرى لعمر هاهنا طاعة، فلما ولى قال عمرو: ردوه، فأمكنه من السوط، وجلس بين يديه، فقال: أتقدر أن تمتنع عني بسطانتك؟ قال: لا، فامض لما أمرت به، قال: فإني قد عفوت عنك<sup>(١)</sup>.

### قميص عمر

جاءت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقمشة من اليمن، فأعطي كل رجل من المسلمين قطعة تكفي ثوبا واحدا، ثم أخذ نصيبه ونصيب ولده عبد الله وخاطه ولبسه.

فلما صعد عمر المنبر ليخطب في الناس، وقال: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا، قام إليه رجل من المسلمين، وقال: لا سمعا ولا طاعة، فقال عمر: ولم ذلك؟ قال: لأنك استأثرت علينا، قال عمر: بأي شيء؟ قال الرجل: لقد أعطيت كلا منا قطعة من القماش، تكفي ثوبا واحدا، وأنت رجل طويل، وهذه القطعة لا تكفيك ثوبا، ونراك قد خيطه قميصا تاما، فلا بد أنك أخذت أكثر مما أعطيتنا، فالتفت أمير المؤمنين إلى ابنه عبد الله، وقال: يا عبد الله أجه عن كلامه، فقال عبد الله: لقد أعطيته من كسائي ما أتم به قميصه، قال الرجل: أما الآن فالسمع والطاعة.

الأمير لا يستأثر على الرعية بأموال لا تحل له من المال العام.

### مجلس القضاء

كان بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما خصومة فذهبا إلى زيد بن ثابت ليحكم بينهما، فرحب بهما زيد، وأدخلهما ووسع لعمر ليجلسه في مكان متميز، وقال: اجلس ها هنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: هذا أول جور (ظلم) جرت في حكمك، ولكن اجلس مع خصمي.

وجلس الخصمان معا أمام زيد، فادعى أبي شيثا وأنكر عمر، وفي مثل هذه الحال، على المدعي أن يأتي ببينة، وعلى من أنكر أن يقسم، عندئذ قال زيد لأبي: أعف أمير

(١) من يظلمهم الله (١/١١٨).

المؤمنين من اليمين، وما كنت لأسألها لأحد غيره، ولكن عمر رفض وحلف اليمين، ثم قام غاضباً لأن القاضي يفرق بينه وبين خصمه، وأقسم ألا يتولى زيد القضاء، حتى يكون عمر ورجل من عموم المسلمين عنده سواء، لا فرق بينهما.

إذا أخطأ الأمير مع بعض الرعية، فلا بد أن يقدم إلى التحقيق والقضاء، بلا تفريق بينهما، حتى ينتشر العدل، ويشعر الجميع بالأمان.

### الرسالة

دخل أعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، غاضباً، وألقى في حجره لفافة من الشعر، فقال عمر: ما هذا؟ قال الأعرابي: جئت أشكو إليك فقد ظلمني الوالي أبو موسى الأشعري، قال عمر: وماذا فعل؟ قال الأعرابي: لم يعطني حقي كاملاً، فرددته إليه، فغضب، وجلدني عشرين سوطاً، وقص شعري، وهو في هذه اللفافة التي ألقيتها إليك.

فتألم عمر وأرسل إلى أبي موسى الأشعري يأمره أن يجلس أمام جماعة من المسلمين ليجلده الأعرابي عشرين سوطاً، ثم يخلق له شعر رأسه.

فلما قرأ أبو موسى رسالة عمر قام إلى الأعرابي وقال له: تقدم ونفذ ما أمر به عمر، ثم أعطاه سوطاً ليجلده، وقدم إليه رأسه ليحلقه، فتأثر الأعرابي، وعفا عنه، وقال: لن يظلم أحد وعمر أمير المؤمنين.

لا يظلم أحد أبداً في ظل تطبيق شريعة الله، فلنحرص على تطبيقها في أنفسنا تطبق على أرضنا.

### دعوة المظلوم مستجابة

ادعت أروى بن أويس على سعيد بن زيد رضي الله عنه أنه أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته (شكته) إلى مروان بن الحكم، وقالت: إنه أخذ حقي، فترك سعيد ما ادعت المرأة من الأرض، ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها. فجاء سيل من الماء فأظهر عن ضفتها (حدود الأرض) فإذا حقها من الأرض خارجاً عن حق سعيد، فذهب إلى مروان وأخبره عما رأى، وعلم مروان والناس أن المرأة ظلمت سعيداً، وبعد فترة عميت المرأة، وسقطت في بئرها، فماتت استجابة لدعوة سعيد.

فتذكر -أخي المسلم- أن دعوة المظلوم مستجابة، فلا تظلمن أحداً مهما كنت مسؤولاً.

## القاضي شريح وابنه

يحكى أن ابناً لشريح القاضي قال لأبيه إن بيني وبين قوم خصومة فانظر في الأمر، فإن كان الحق لي خاصمتهم، وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم، ثم قص قصته عليه فقال شريح: انطلق إليهم فخاصمهم فخاصمهم ابنه أمام أبيه القاضي، ففضى شريح على ابنه! فقال ابنه له لما رجعت إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك بطلب النصيح لم أملك... فضحتني!

فقال شريح: يا بني، والله لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز علي منك، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم على مال فتذهب ببعض حقهم!

## بين شريح وعلي بن أبي طالب

لما توجه عليؑ إلى صفين، افتقد درعاً له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي.

فقال: نصير إلى القاضي. فتقدم عليؑ، فجلس إلى جنب شريح، وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصغروهم من حيث أصغروهم الله».

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين.

فقال: نعم. هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب.

فقال شريح: أيش تقول يا يهودي؟

قال: درعي وفي يدي.

فقال شريح: ألك بينة، يا أمير المؤمنين؟

قال: نعم، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي.

فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب.

فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الحسن والحسين سيدا أهل الجنة» فحكم القاضي بالدرع إلى اليهودي.

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني على قاضيه، وقاضيه قضى عليه! أشهد أن هذا هو الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن الدرع درعك.

### الراعي والرعية رحمة وعدل

كان بريد عمر بن عبد العزيز لا يعطيه أحدٌ من الناس -إذا خرج- كتاباً إلا جهل. فخرج بريد من مصر، فدفعت إليه فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح كتاباً تذكر فيه أن لها حائطاً قصيراً، وأنه يقتحم عليها منه، فيسرق دجاجها، فكتب إليها عمر:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فرتونة السوداء مولاة ذي أصبح. بلغني كتابك وما ذكرت من قصر حائطك، وأنه يُدخل عليك فيه، فيُسرق دجاجك، فقد كتبت لك كتاباً إلى أيوب بن شرحبيل -وكان أيوب عماله على صلاة مصر وحربها- أمره أن يبني لك ذلك حتى يُحصنه لك مما تخافين إن شاء الله، والسلام.

وكتب إلى أيوب بن شرحبيل: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى ابن شرحبيل، أما بعد: فإن فرتونة مولاة ذي أصبح كتبت إليّ ذكر قصر حائطها، وأنه يسرق دجاجها، وتساءل تحصينه لها. فإذا جاءك كتابي هذا؛ فاركب أنت بنفسك إليه حتى تُحصنه لها.

لما جاء الكتاب إلى أيوب؛ ركب ببدنه حتى أتى الجيزة يسأل عن فرتونة حتى وقع عليها، وإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين فيها، وحصنه لها.

### عدل وثبات

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة: انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجر، فادفعها إلى القائد.

فكتب إليه سوار: إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر، فلست أخرجها من يده إلا ببينة.

فكتب إليه المنصور: والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد.

فكتب إليه سوار: والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجنها من يد التاجر إلا بحق.

فلما جاءه الكتاب، قال: ملائته، والله، عدلاً، وصار قضاتي تردني إلى الحق.

## الولاء والبراء

كل مرة ذكر فيها حزب الله في القرآن إنما ذكرت بجانب الولاء مقيدة فيه، مما يدل على أن الولاء هو الميزان الذي يوزن إيمان الإنسان به، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فهاتان الآيتان يبتنا أنه لا يكون الإنسان من حزب الله إلا إذا حرر ولاءه ومودته، فلم يعطهما لعدو الله مهما كان نوعه، بل يعطيها لله ورسوله والمؤمنين، وهذه هي الصفة الأولى للمؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

والولاء في اللغة: الموالية؛ أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه، ووالى فلان فلانا إذا أحبه.

واصطلاحاً: الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً.

البراء لغة: برئ إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ إذا أعذر وأنذر، قال تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] أي إعدار وإنذار.

واصطلاحاً: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعدار والإنذار.

### حكم الإسلام

إن الله يأبى علينا أن نعطي ولاءنا إلا بجامع الإيمان والإسلام: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءةٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

كل أنواع الموالاتة على أي أصرة من الأواصر غير الإسلام باطلة ومخرجة لصاحبها عن الإسلام.

إن الله حرم على المسلم أن يعطي ولاءه على أي أساس غير أساس العقيدة السليمة الصحيحة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢] أي أن هذا غير ممكن لأن عباد الله لا يوالون أحدا من دون الله فكيف يوالون أعداء الله، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦] والوليعة في اللغة البطانة والخاصة.

إن الله عز وجل حرم على المؤمن أن يعطي ولاءه للكافرين ولا المنافقين، ومتى أعطى المؤمن ولاءه للكافرين فقد صار منهم، وهذه نصوص قطعية لا تحتمل جدلا، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨]. ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

يقول سيد قطب: إن التصور الإسلامي يقطع الوشائج والصلات التي لا تقوم على أساس العقيدة والعمل، ولا يعترف بقربى ولا رحم إذا انتبت وشيعة العقيدة، والعمل ويسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل، وهو يفصل بين جيل من الأمة الواحدة وجيل إذا خالف أحد الجيلين الآخر في عقيدته، بل يفصل بين الوالد والولد، والزوج والزوجة، إذا انقطع بينهما حبل العقيدة، فعرب الشرك شيء وعرب الإسلام شيء آخر، ولا صلة بينهما ولا قربى ولا وشيعة، والذين آمنوا من أهل الكتاب شيء، والذين انحرفوا عن دين إبراهيم وموسى وعيسى شيء آخر، ولا صلة بينهما ولا قربى ولا وشيعة، إن الأسرة ليست آباء وأبناء وأحفاداً، إنما هي هؤلاء حين

تجمعهم عقيدة واحدة، وإن الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين، إنما هي مجموعات من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم وألوانهم، وهذا هو التصور الإيماني، الذي ينبثق من خلال هذا البيان الرباني، وكتاب الله الكريم<sup>(١)</sup>.

### مظاهر الولاء للكفار

١- من أول مظاهر الولاء النصره - طاعة الله في الكافرين - وربط المصير بالمصير وناخذها من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١].

٢- من مظاهر الولاء إعطاء الكافرين أسرار المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١] قال ابن كثير: كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن حاطباً كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم.

فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد أمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهز لغزوهم وقال: «اللهم عمّ عليهم خيرنا»، فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها.

فإخبار الكافرين بأسرار المؤمنين لدفع خطط المؤمنين، أو لتوقي الكافرين من المؤمنين ولاء يخرج من الإيمان، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ٤٦].

٣- ومن مظاهر الولاء المحبة والمودة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال ابن مسعود: لو عبد الله بين الحجر والمقام سبعين عاماً لم يحشره الله إلا مع من

(١) في ظلال القرآن الكريم (١/١١٣).

أحب. فكونك تجد إنسانا عواطفه مع الكافرين والمنافقين يميل إليهم ويحبهم، ويتمنى انتصارهم، فذلك ولاء من أعظم الولاء، فمن مال بقلبه إلى قوم يعملون بالمعاصي، ورضي أعمالهم كان منهم وعليه مثل وزرهم، وإن كان بعيدا عنهم، جاء في الحديث: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرها (أنكرها) كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» [رواه أبو داود].

٤- من مظاهر الولاء مجالسة الكافرين والمنافقين اختياراً وسماع كلامهم القبيح مع الاستمرار في الجلسة دون الرد أو الغضب أو الخروج قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] هكذا (إنكم إذا مثلتم) فمن كثر سواد قوم فهو منهم.

٥- من مظاهر الولاء الطاعة، فمن أطعته فقد توليته، ومن كلام إبراهيم لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥].

وولاية الشيطان طاعته والاستجابة له: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقد بين الله عز وجل أصناف الكافرين والمنافقين حتى لا نكون منهم، وجعل طاعتهم ردة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

وقد فصل القرآن في أصناف من لا تجوز طاعته تفصيلا كثيرا حتى لا نهلك.

فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]. ﴿وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعُوا أَهْلَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨]. ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْمُكذِبِينَ﴾ ودُّوا لَوْ تُسَدُّهُنَّ فَيُدْهِنُونَ ﴿ وَلَا تُطِيعُوا كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ ﴿ مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتِيمٍ﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَزِيمٍ ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ إِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿ [القلم: ٨: ١٥]. ﴿وَلَا تُطِيعُوا مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] أي وكان أمره

تقدما على الحق ونبذ له وراء ظهره.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١، ١٥٢].



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩، ١٥٠].

٦- من مظاهر الولاء التشبه، قال الرسول ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»<sup>(١)</sup>.

فمن تشبه برسول الله ﷺ وصحبه فقد والاهم وهو منهم، ومن تشبه بالكافرين فهو منهم، وفرض الله علينا أن نعطي ولاءنا للمؤمنين: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٦].

إنه ما لم نعط المؤمنين ولاءنا نأثم، وإعطاؤنا الولاء لغيرهم ضلال، وليس عندنا في الإسلام حياء مقبول عند الله، فمن لم يكن مع المسلمين فليس منهم، ولكن لا يعتبرونه ضدهم حتى يقاتل أو يظهر العدا، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: ٩٠] ولكن إذا لم نعتبرهم ضدنا فكذلك لا نعتبرهم منا، وليس هذا بنافعهم شيئا عند الله يوم القيامة ما لم يسلموا فيكونوا منا.

٧- الرضا بكفر الكافرين أو الشك في كفرهم، ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار أنه يسعدهم ويسرهم أن يروا من يوافقهم على كفرهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

٨- التحاكم إليهم دون كتاب الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء: ٥١] وإن من الإيمان ببعض ما هم عليه: فصل الدين عن الدولة والقول بأنه لا توجد علاقة للإسلام بالسياسة.

٩- الركون إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴿١١٣﴾﴾ [مرد: ١١٣].

١٠- مداهنتهم ومجاملتهم على حساب الدين، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٩] والمداهنة والمجاملة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من المسلمين اليوم،

(١) أبو داود (٣٥١٢)، كتاب اللباس.

وهذه نتيجة طبيعية للانهازام الداخلي في نفوسهم، حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة والقدوة، وصدق الرسول حيث قال: «لتبعن سنن من كان قبلكم شيراً بشراً وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»<sup>(١)</sup>.

١١ - اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

لا يألونكم خبالاً: لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد<sup>(٢)</sup>.

### من قصص الولاء والبراء

#### عثمان بن مظعون

قال ابن إسحاق: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أحباب رسول الله من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إن غدوى ورواحي آمنة بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فرد عليّ جوارى علانية كما أجزتك علانية.

قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليّ جوارى، قال: صدق، قد وجدته وفيها كريم الجوار، ولكني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، وليد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش يشدهم، فجلس معهم عثمان فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

(١) البخاري (٣١٩٧) كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) الولاء والبراء للقططاني ١٨٦: ١٨٩، بتصرف.

قال عثمان: صدقت.

قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

قال عثمان: كذبت؛ نعيم الجنة لا يزول.

قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذي جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفیه من سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى كثر أمرهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فحضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة.

قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا<sup>(١)</sup>.

#### براءة إبراهيم من الكافرين

قال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنَّي يَا أَخَا فُؤَادٍ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا \* قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا \* وَأَعْتَزَلْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا \* فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا \* [مريم: ٤١: ٤٩].

يقول سيد قطب: إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين، الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته، بوصفه حركة منهجية واقعية، تتجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها

(١) مائة موقف من حياة العظماء ١٣٨، ١٣٩.

البشرية، وتصطدم من ثم بالتصورات والأوضاع المخالفة كما تصطدم بشهوات الناس وانحرافهم وفسوقهم عن منهج الله، وتدخل في معركة لا حيلة فيها، ولا بد منها، لإنشاء ذلك الواقع الجديد الذي تريده، وتتحرك إليه حركة إيجابية فاعلة منشئة.

وهؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة موقف أهل الكتاب فيها، ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم ينقمون من المسلم إسلامه، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم، وأنهم مصرون على الحرب للإسلام وللجماعة المسلمة، وأنهم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تحفي صدورهم أكبر إلى آخر هذه التقارير الحاسمة.

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم، وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب، ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه، ولن يكفهم عن موالاته بعضهم لبعض في حربه والكيد له، وسداجة أية سداجة وغفلة أية غفلة، أن نزن أن لنا وإياهم طريقا واحدا نسلكه للتمكين للدين، أما الكفار والملحدون، فهم مع الكفار والملحدين، إذا كانت المعركة مع المسلمين<sup>(١)</sup>.

#### سيدنا نوح

دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يؤمن معه إلا القليل، ولقد أبى ابنه أن يستجيب لدعوته، وكان من الغارقين.

لقد استعلى نبي الله على العاطفة ورضي بحكم الله فلا لجاجة ولا التواء، ولا معذرة ولا تأويل، بل تسليم مطلق واتباع لما يجب الله ويرضى، وإعراض عما يكره ويبغض، وولاء لمن يجب الله، وبراء وعداء لمن حاد الله ولو كان أقرب قريب، ولم يكن شأن نبي الله نوح هذا

(١) في ظلال القرآن الكريم (٢/٩٠٩، ٩١٠).

مقصورا على هذا الابن الكافر، بل أيضا مع زوجته، ويا له من امتحان عظيم مع الزوجة والابن قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحریم: ١٠].

على أن مما يجب التنويه عنه هنا أن هذه الخيانة في الدين وليست في الفاحشة، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء عليهم السلام.

### الفتية أصحاب الكهف

فتية تركوا الأهل والولد والوطن والعشيرة حين علموا أنه لا طاقة لهم بمواجهة ومجابهة قومهم فنجوا بأنفسهم إلى ذلك الكهف الذي تجلت فيه معجزة عظيمة يسوقها الله لنا عبرة وعظة في حفظه لعباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدَّاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٠﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١١﴾ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٣: ١٦].

### أبو بكر

وطئ أبو بكر رضي الله عنه في مكة يوما بعد ما أسلم، وضرب ضربا شديدا، ودنا منه عتبة ابن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويجرفهما لوجهه، ثم نزل على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحملت بنو تميم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فعدلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري إن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول: ما فعل رسول الله؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وإن كنت تحيين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت، فقالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوما نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم،

قال: فإن الله عليّ ألا أذوق طعاما ولا شراباً أو آتي رسول الله، فأمهلهما حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلوه على رسول الله.

يا لله! رجل مضروب مثخن بالجراح لا يتناول حتى شربة الماء - وهو أشد ما يكون حاجة إليها - حتى يرى رسول الله.

#### سعد بن أبي وقاص

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]

نزلت في سعد بن أبي وقاص قالت له أمه: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه، أو أموت فتعير بذلك أجد الدهر، يقال: يا قاتل أمك.. ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل، فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلي وإن شئت فلا تأكلي. فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية وأمره بالبر بوالديه، والإحسان إليهما، وعدم طاعتها في الشرك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

#### عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول

لما بلغه ما كان من أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمروني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالديه مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا».

وذكر عكرمة أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله ابن أبي على باب المدينة، واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله ابن أبي قال له ابنه: وراءك، فقال: مالك ويلك؟! قال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله. فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله فقال: أما إذ أذن لك رسول الله فجز الآن.

## أبو عبيدة بن الجراح

انطلق أبو عبيدة رضي الله عنه يوم بدر يصول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى فهابه المشركون، ويجول جولة من لا يحذر الموت، فحذره فرسان قريش وجعلوا يتنحون عنه كلما واجهوه، لكن رجلا واحدا منهم جعل يبرز لأبي عبيدة في كل اتجاه، فكان أبو عبيدة ينحرف عن طريقه ويتحاشى لقاءه ولجَّ الرجل في الهجوم، وأكثر أبو عبيدة من التنحي، وسد الرجل على أبي عبيدة المسالك، ووقف حائلا بينه وبين قتاله لأعداء الله.

فلما ضاق به ذرعا ضرب رأسه بالسيف ضربة فلقت هامته فلقنتين، فخر الرجل صريعا بين يديه.. لا تحاول أيها القارئ الكريم، أن تخمن من يكون هذا الرجل الصريع، أما قيل لك: إن عنف التجربة فاق حساب الحاسيين، وجاوز خيال المتخيلين، ولقد يتصدع رأسك إذا عرفت أن الرجل الصريع هو عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة. لم يقتل أبو عبيدة أباه، وإنما قتل الشرك في شخص أبيه. إنها المفاضلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان، والانحياز التام للصف المتميز.

## عبد الله بن سهيل

هاجر إلى الحبشة بعد إسلامه تخلصا من أذى قريش، ثم شاء الله أن تصل أخبار كاذبة إلى مهاجري الحبشة، بأن قريشا قد أسلمت، وأن المسلمين باتوا يعيشون بين أهليهم بسلام، فعاد فريق منهم إلى مكة، وكان في جملة العائدين عبد الله بن سهيل، لم يكد أقدام عبد الله تطأ أرض مكة، حتى أخذه أبوه وكبله بالقيود، وألقى به في مكان مظلم من بيته، وجعل يتفنن في تعذيبه، ويلج في إيذائه، حتى أظهر لهم ارتداده عن دين محمد، وأعلن رجوعه إلى ملة آبائه وأجداده، فسري عن سهيل بن عمرو وقرت عينه، وشعر بنشوة النصر على محمد.

ثم ما لبث المشركون أن عزموا على منازلة رسول الله ﷺ في بدر فخرج معهم سهيل بن عمرو مصحوبا بابنه عبد الله، متشوقا لأن يرى فتاه يشهر السيف في وجه محمد، بعد أن كان واحداً من أتباعه، ولكن الأقدار كانت تحبب لسهيل ما لم يكن يقع له في حساب، إذ ما كاد يلتقي الجمعان على أرض بدر حتى فر الفتى المسلم المؤمن إلى صفوف المسلمين، ووضع نفسه تحت راية رسول الله ﷺ، وامتشق حسامه ليقاتل به أباه ومن معه من أعداء الله <sup>(١)</sup>

(١) الناطقون بالحق ١٥١.

## العزة

ذلة العباد لربهم ذلة بالحق لا بالباطل، أما ذلة العبد للعبد فباطل، فقد حرم الإسلام الكبر وحرم على المسلم أن يكون مستضعفاً أو ذليلاً، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

إن اعتزاز المسلم بدينه هو من كبرياء إيمانه، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

الأذان في أوله: الله أكبر، لكي يوقن المسلم بأن كل من تكبر بعد الله فهو صغير وأن كل متعظم بعد الله فهو حقير، ولذلك اختار الله من أسمائه العظيم والأعلى ليكررها المسلم في ركوعه وسجوده.

العزة حق يقابله واجب، فإذا كلفت بعمل ما فأديته على أكمل وجه فلا سبيل لأحد عليك.

### عزة الرسول ﷺ:

دخل عمر بن الخطاب ؓ على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده إنكم على الحق، إن متم وإن حييتم»، قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن - وكان الرسول ﷺ (على ما يبدو) قد رأى أنه آن الأوان للإعلان، وأن الدعوة قد غدت قوية تستطيع أن تدفع عن نفسها، فأذن بالإعلان - وخرج الرسول ﷺ في صفين، عمر في أحدهما، وحمزة في الآخر، ولهم كديد ككديد الطحين، حتى دخل المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وحمزة، فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.

من تهيب الموت وتحمل العار طلباً للبقاء في الدنيا على أية صورة فهذا حق، فإن



الفرار لا يطيل الأجل والإقدام لا ينقص عمرا قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

### كن عزيزا

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة، وعمر على ناقة فتزل عنها، وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع نعليك، وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك.

فقال عمر: أوّه لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله.

وفي رواية قال: يا أمير المؤمنين تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه؟

فقال عمر: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام، فلن نبتغي العزة بغيره.

العزة ليست في كثرة الأموال واعتلاء المنصب، وإنما بقدر اتصالك بالله.

فالله هو المعز المذل، هو الذي يؤتي الملك من يشاء ويسلبه ممن يشاء، قال تعالى:

﴿وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وهو المعز لمن أطاعه المذل لمن عصاه وهو المانح للعز، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[المنافقون: ٨]

ومن أعزه الله فهو العزيز ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

### عزة ربي بن عامر

طلب رستم وفدا من سعد بن أبي وقاص في القادسية فأرسل سعد ربي بن عامر، فدخل على رستم، وقد زينوا مجلسه بالتمارق، والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللاكيء الثمينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربي بترس وفرس قصير، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد،

وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم وإنما جئتمكم حين دعوتكم، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمح فوق النمارق، فخرق عامتها.

فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك، قبلنا ذلك منه، ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبي ذلك قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله.

قال: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبي، والظفر لمن بقى، فخلص رستم برؤساء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ هل رأيتم كلاما أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل؟

قالوا: معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك لهذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه؟ فقال: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي، والكلام والسيرة.

ثم كان أن أبي الفرس دعوة الإسلام، واختاروا المناجزة، فنصر الله المسلمين، وهزموا فارس وسبوهم، وكان يزدجرد ملك فارس قد أرسل يستنجد بملك الصين، ووصف له المسلمين، فأجابه ملك الصين: إنه يمكنني أن أبعث لك جيشا أوله في منابت الزيتون - أي الشام - وآخره في الصين، ولكن إن كان هؤلاء القوم كما تقول، فإنه لا يقوم لهم أهل الأرض، فأرى لك أن تصالحهم، وتعيش في ظلهم وظل عدلهم.

فزرع رستم

لما نزل رستم النجف بعث عينا إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادية، فرآهم يستاكون عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى موقوفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحدا منهم يأكل شيئا إلا أن يمضوا عيدانا لهم حين يمسون وحين ينامون وقبيل أن يصبحوا، وفي يوم أذن مؤذن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فرآهم يتهاون للنهوض فنادى في أهل فارس أن

يركبوا، فقيل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم بالنهوض لكم، قال أحدهم: إنما نهوضهم للصلاة، فقال رستم: أكل عمر كبدي.

شعر الأعداء بالرعب من سنة واحدة وهي السواك  
فكيف لو تمسك المسلمون بالسنن كلها

### خوف قيصر ملك الروم

في السنة الخامسة عشرة تقهر هرقل بجنوده، وارتحل عن الشام إلى بلاد الروم، وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول: عليك السلام يا سورية، سلام مودع لم يقض منك وطرا وهو عائد، فلما عزم على الرحيل من الشام، التفت إلى بيت المقدس، وقال: وعليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده، ثم سار هرقل إلى القسطنطينية واستقر بها ملكه، وقد سأل رجلا ممن اتبعه، كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم.

فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمر ولا يدخلون إلا بسلام، يقضون على من حاربوه حتى يأكلوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتي ليملكن موضعي قدمي هاتين.

لن نشعر بالعزة إلا عندما نتمسك بقيام الليل وصلاة الفجر

### ما أعزكم آل الخطاب!

في ذات سنة قدم سليمان بن عبد الملك مكة حاجا، فلما أخذ يطوف طواف القدوم، أبصر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يجلس في الكعبة في خضوع، فلما فرغ الخليفة من طوافه، توجه إلى سالم فأفصح له الناس الطريق حتى أخذ مكانه بجانبه، وكاد يمس بركبته ركبته، فلم ينتبه له سالم ولم يلتفت إليه، لأنه كان مستغرقا فيما هو فيه، مشغولا بذكر الله عن كل شيء، وطفق الخليفة يرقب سالما بطرف خفي يلتمس فرصة يتوقف فيها عن التلاوة، فلما وافته الفرصة مال عليه وقال: السلام عليك يا أبا عمر ورحمة الله.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال الخليفة بصوت خفيض: سلمي حاجة أقضها لك يا أبا عمر، فلم يجبه سالم

بشيء، فظن الخليفة أنه لم يسمعه، فمال عليه أكثر من ذي قبل و قال: رغبت بأن تسألني حاجة لأقضيها لك.

فقال سالم: والله إنني لأستحي أن أكون في بيت الله، ثم أسأل أحداً غيره، فخرج الخليفة وسكت، لكنه ظل جالسا في مكانه، فلما قضيت الصلاة نهض سالم يريد المضي إلى رحله، فلحقت به جموع الناس، هذا يسأله عن حديث من أحاديث رسول الله، وذلك يستفتيه في أمر من أمور الدين، وثالث يستنصحه في شأن من شئون الدنيا، ورابع يطلب منه الدعاء.

وكان في جملة من لحق به خليفة المسلمين سليمان بن عبد الملك، فلما رآه الناس، وسعوا له حتى حاذي منكبه منكب سالم بن عبد الله، فمال عليه وهمس في أذنه قائلاً: ها نحن أولاء قد غدونا خارج المسجد، فسألني حاجة أقضها لك.

فقال سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

فارتبك الخليفة وقال: بل من حوائج الدنيا.

فقال له سالم: إنني لم أطلب حوائج الدنيا ممن يملكها، فكيف أطلبها ممن لا يملكها؟ فخرج الخليفة منه وحياه، وانصرف عنه وهو يقول: ما أعزكم آل الخطاب بالزهادة والتقوى! بارك الله عليكم من آل بيت<sup>(١)</sup>.

هل تفكر دائماً في الآخرة أم في متطلبات الدنيا وكمالياتها؟

العزبن عبد السلام وعزة العلماء

كان الشيخ الجليل عز الدين بن عبد السلام قد تولى منصب قاضي القضاة، وما إن تولى هذا المنصب حتى لاحظ أن أمراء البلاد وقادة الجيش ليسوا من أهل مصر وليسوا أحراراً على الإطلاق، بل هم مجلوبون اشتراهم السلطان من بيت المال وهم صغار، فتعلموا اللغة العربية وعلوم الدين والفروسية والحرب، وعندما شبوا عينهم في مناصبهم فهم أمراء مماليك عبيد، إذن فليس لهم حقوق الأحرار ولهذا فليس لهم أن يتزوجوا بجرائر النساء، وليس لهم أن يبيعوا أو يتصرفوا إلا كما يتصرف العبيد.

(١) صور من حياة التابعين (٣٨٠-٣٨١).

بلغ الأمراء ذلك فعظم الخطب فيهم واحتدم الأمر واشتد، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا وتعطلت مصالحهم بذلك.

وكان منهم نائب السلطان فاستشاط غضبا فاجتمعوا وأرسلوا إليه فقالوا له: ماذا تريد؟ فقال الشيخ: نعقد لكم مجلسا وينادي عليكم للبيع لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعي.

فرفعوا الأمر إلى السلطان فبعث السلطان إليه فلم يرجع عن قوله، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمار أخرى ومشى خلفهم خارجا من القاهرة قاصدا الشام، فلم يصل إلى نصف ما يريد حتى لحقه غالب المسلمين ولم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل يتخلف ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار.

بلغ السلطان الخبر وقيل له: متى راح الشيخ ذهب ملكك، فركب السلطان نفسه ولحقه واسترضاه وطيب خاطره، فرجع الشيخ واتفق على أن ينادى على الأمراء لبيعهم، فأرسل إليه نائب السلطان بالملاطفة فلم يقبل الشيخ ولم تفد الملاطفة معه فانزعج نائب السلطان وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ وبيعنا ونحن ملوك الأرض؟! والله لأضربنه بسيفي هذا، وركب بنفسه -نائب السلطان- في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وحكى له ما رأى، فما اهتم الشيخ بذلك ولا تغير وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله. ثم خرج وكان قضاء الله قد نزل على نائب السلطان، فحين وقع بصر الشيخ على النائب يست يد النائب وارتجف وسقط السيف من يده وارتعدت مفاصله وبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال: يا سيدي الشيخ خير أي شيء تعمل؟ قال: أنادي عليكم، قال: فقيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: فمن يقبضه، قال: أنا.

فوافق وتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحدا واحدا وغالى في ثمنهم وقبضه وصرفه في وجوه الخير، وهذا لم يسمع بمثله عن أحد، رحمه الله تعالى وﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) مائة موقف من حياة العظماء ١٣، ١٤.

### إن الذي يمد رجله لا يمد يده

وكان الشيخ سعيد الحلبي -عالم الشام في عصره- في درسه مادًا رجله فدخل عليه إبراهيم باشا، ابن محمد علي حاكم مصر، فلم يتحرك له، ولم يقبض رجله، فتألم الباشا، ولكنه كتم ألمه، ولما خرج بعث إليه بصرة فيها ألف ليرة ذهبية، فردها الشيخ وقال للرسول الذي جاءه بها: قل للباشا: إن الذي يمد رجله لا يمد يده.

### طاوس والخليفة

لما آلت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك كانت لطاوس بن كيسان معه مواقف مشهورة منها أنه أتى بطاوس بن كيسان ودخل على هشام بن عبد الملك بعد أن آلت إليه الخلافة، فلما دخل عليه، خلع نعليه بحاشية بساطه، وسلم عليه من غير أن يدعوه بأمر المؤمنين وخاطبه باسمه دون أن يكنيه، وجلس قبل أن يأذن له بالجلوس، فاستشاط هشام غضبا حتى بدا الغيظ في عينيه، ذلك أنه رأى في تصرفه ذلك اجترأ عليه، ونيلاً من هيئته أمام جلسائه، فقال لطاوس: ما حملك على ما صنعت؟

قال: وما الذي صنعت؟ فعاد إلى الخليفة غضبه وغيظه، وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين، وسميتني باسمي ولم تكني، ثم جلست من غير إذني.

فقال طاوس بهدوء: أما خلع نعلي بحاشية سلطانك فأنا أخلعهما بين يدي ربي كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي، وأما قولك أنني لم أسلم عليك بإمرة المؤمنين، لأن جميع المؤمنين ليسوا راضين بإمرتك، وقد خشيت أن أكون كاذبا إذا دعوتك بأمر المؤمنين.

وأما ما أخذته علي من أنني ناديتك باسمك، ولم أكنك فإن الله عز وجل نادى أنبياءه بأسمائهم فقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [السد: ١].

وأما قولك إنني جلست قبل أن تأذن لي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله

قوم قيام بين يديه. فكرهت أن تكون ذلك الرجل الذي عد من أهل النار! فأطرق هشام إلى الأرض خجلاً<sup>(١)</sup>.

### هذا الشبل من ذاك الأسد

جاء أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طائوس بن كيسان، ومالك بن أنس لزيارته وهما من العلماء التابعين، فلما دخلا عليه، وأخذوا مجلسيهما عنده، التفت الخليفة إلى عبد الله بن طائوس وقال: ارو لي شيئاً مما كان يحدثك به أبوك.

فقال: حدثني أبي أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في سلطانه فأدخل الجور في حكمه.

قال مالك بن أنس: فلما سمعت مقالته هذه ضمنت علي ثيابي خوفاً من أن يصيبني شيء من دمه، بيد أن أبا جعفر توقف ساعة لا يتكلم ثم صرفنا بسلام<sup>(٢)</sup>.

### نحن في ظل الله

بعد أن اعتمد مكتب الإرشاد العام الصياغة التي أعدت بها مذكرة تقليدية لوزارة الدكتور ماهر بعد حريق القاهرة سنة ١٩٥٢ وكلف الأستاذ الهضيبي بالتوقيع عليها وجد في نهاية الرسالة جملة «في ظل جلالة الملك المعظم» فضرب بقلمه على هذه العبارة غير ملتفت بأن مكتب الإرشاد قد اعتمدها، ولا إلى كون هذه العبارة تقليدية وإلى أن خلو الكتاب منها يثير نقمة في القصر الملكي، مجيباً على ذلك بقوله: احذفوها على مسئوليتي، وحسبنا والملك والوزارة أن نكون في ظل الله وحده.

### يسرنني أن أكون آخرهم

كان مدير السجن الحربي في صحراء الهايكستب يتودد للأستاذ الهضيبي ويتظاهر بالأسف لاعتقاله والمسارة فيما يسره، ومن ذلك أنه أبلغه يوماً عن مسعى يقوم به لتزويد غرفته بأدوات التدفئة والراحة تقديراً لمقامه وسنه، فأجابه المرشد -رحمه الله-: إنني بآتم الراحة والدفء، وإذا كان باستطاعتك أن تقدم هذه المزايا لجميع الإخوان المعتقلين

(١) صور من حياة التابعين ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) صور من حياة التابعين ٢٩٧.

فيسرني أن أكون آخرهم، وإلا فوفر على نفسك المساعي وأنت مشكور. غير أن مدير السجن الذي عرف إباء الرجل ومثالية إشاره اغتنم فرصة إخلائه الغرفة في لحظات الفسحة اليومية فحمل مدفأة مكتبه الخاص وتركها مشتعلة في زنزانه الهضيبي الذي ما كاد يدخل الزنزانه ويفاجأ بنعمة الدفء ثم يلمح المدفأة في زاوية من زنزانه حتى أقبل على باب الزنزانه من الداخل يوسعه طرقا بكلتا يديه، إلى أن سمع الحارس فأسرع يفتح باب الزنزانه، ليفاجأ بنزيلها قد حمل المدفأة بيده، وقذف بها إلى الخارج ثم أغلق الباب على نفسه دون ضوضاء.

وأدرك زبانية الحكام أن الهضيبي الذي حسبه فانيا سريع الاستسلام، ما هو إلا معين إباء وجلد تسري جوارحه شمما ومنعة في نفوس المسلمين فيثبت الواهن، ويضاعف من عزيمة الثابت.

#### دعهم لا يرون منا إلا البشاشة

وقد تفتقت مكاييد الطغيان عن حيلة جديدة، نقلوا بها الأستاذ الهضيبي إلى زنزانه ملحقة بمكاتب الإدارة تفصله قرابة ميل عن مجمع زنزانات الإخوان، بحيث لا يرونه إلا في ساعة الفسحة من هذا البعد، لا يكلمهم ولا يكلمونه.

ولفت أنظار الإخوان أن المرشد يقضي ساعة فسحته في الحديقة المواجهة لمكتب المدير ناشطا في القيام بتمرينات رياضية وهو بملابس ناصعة الألوان لعله كان يتوقر عنها وهو في شبابه.

ولما سأله البعض عن غرابة هذه الحركات الرياضية، وهذه الملابس الزاهية، على مقامه وسنه، قال: دعهم لا يرون منا إلا البشاشة وارتفاع الروح المعنوية، حتى يتحققوا أن سهامهم طاشت ولم يبلغوا منا ما يريدون.

إن الناس يذلون أنفسهم ويقبلون الدنية في دينهم وديناهم، إما خوفا من نقص في الأرزاق أو في الآجال والغريب أن الله قطع سلطان البشر عن الآجال والأرزاق جميعا.

والناس من خوف الذل في ذل، ومن خوف الفقر في فقر.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرِزُّكُمْ إِنَّ أُنْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].



قال رسول الله ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله» الطبراني.

### الشهيد سيد قطب

ارتضع منذ طفولته معاني العزة والكرامة، وعاش حياته سيّداً، وغادر الدنيا سيّداً، رافعاً رأسه، وعاش حياته قطباً، وغادرها قطباً في الدعوة والجهاد، وتوقف عند ساعاته الأخيرة في الدار الفانية، وقد طلب إليه أن يعتذر للطاغية مقابل إطلاق سراحه، فقال: لن أعتذر عن العمل مع الله، وعندما طلب منه كتابة كلمات يسترحم بها عبد الناصر، قال: إن أصعب السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفاً يقر به حكم طاغية، وقال أيضاً: لماذا أسترحم؟ إن سجنتم بحق فأنا أقبل حكم الحق، وإن سجنتم بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل.

وفي إحدى الجلسات اقترب أحد الضباط منه، وسأله عن معنى كلمة شهيد، فرد عليه -رحمه الله- شهيد يعني أنه شهد أن شريعة الله أعلى عليه من حياته.

### أخالف البروتوكول

يقول الأستاذ عمر التلمساني: في أكتوبر ١٩٥٢ دعا رجال الانقلاب الأستاذ الهضيبي وأعضاء مكتب الإرشاد إلى عشاء في سلاح المهندسين في الحلمية، فدعاهم فضيلته بعد ذلك إلى عشاء في بيته، وكنت أحضر ذلك العشاء، وجلست كعادتي على مقربة من الباب وجاء عبد الناصر وقدم لي التحية فقبلتها، وكنت أضع رجلا على رجل.

وكان منتهى اللياقة أن أقف أو أن أزيل ساقِي عن وضعها والرجل يقف أمامي، وفي ثوان دارت معركة في خاطري: إن ظللت جالسا فقد خالفت قواعد البروتوكول، وإن وقفت فقد يظن البعض أنني أقف لرئيس الوزراء نفاقاً لا لياقة، فأثرت أن أكون مخالفاً لقواعد اللياقة على أن يظن بي أنني منافق، وبقيت على حالتي، وما أظن عبد الناصر قد نسي ذلك<sup>(١)</sup>.

### الهضيبي وفاروق

توجه كريم ثابت باشا المستشار الصحفي للملك فاروق إلى منزل المستشار حسن الهضيبي وأخبره بأن الملك فاروق يطلب منه الحضور في ٢١/١١/١٩٥١ إلى قصر القبة

(١) مائة موقف من حياة المرشدين ١٤٧، ١٤٨.

لمقابلته والتحدث معه، فأخبره الهضيبي أنه لا يستطيع أن يوافق على ذلك إلا بعد عرض الأمر على مكتب الإرشاد، ووافق مكتب الإرشاد، وهنا طلب كريم ثابت من الهضيبي ضرورة ارتداء بدلة الردنحوت عند مقابلة الملك، فأخبره الهضيبي أنه لا يملك بدلة ردنحوت، فأرسل كريم ثابت باشا إلى الهضيبي في منزله بدلتين ردنحوت لارتداء إحداهما، ولكن حسن الهضيبي أصر أن يقابل الملك بملابسه العادية حتى ولو أدى الأمر إلى إلغاء المقابلة، فأذعن كريم ثابت لرأي الهضيبي مكرها، وتمت المقابلة بقصر القبة واستغرقت خمسا وأربعين دقيقة ونشرت الصحف هذا الخبر، ولم يصرح فضيلته للصحف بأي شيء عن هذه المقابلة علما بأن هذه أول مرة يقابل فيها الملك شخصا لا يرتدي الردنحوت.

وحضر الملك إلى مكتب السكرتارية وسلم عليه الهضيبي معتدل القامة شامخا، وأخذه الملك من يده مصطحبا إياه إلى غرفة مكتبه، وجلس الهضيبي على كرسي وأخذ الملك يرحب بالهضيبي ووجه إليه الحديث قائلا: لا أدري لماذا يسيء الإخوان المسلمون الظن بي؟ فلم يرد عليه الهضيبي، وعاد الملك يقول: إنني مسلم وأحب الإسلام وأتمنى له الخير، وقد أمرت بإنشاء مساجد كذا وكذا فلماذا يكرهني الإخوان؟ ولم يرد الهضيبي أيضا.

وعاد الملك يقول: إن الإخوان قد فهموا خطأ أنني أنا الذي أمرت بجلهم واعتقالهم، وباغتيال الشيخ حسن البناء، وهذا -والله العظيم- خطأ ولم أفعل من هذا شيئا، والذي فعل ذلك هم السعديون، النقراشي وإبراهيم عبد الهادي وفي اللحظة التي تمكنت فيها أقلت إبراهيم عبد الهادي، وأمرت الوزارة التي عيبتها بالإفراج عن الإخوان، واستمر الملك في استعراض تاريخه وما عمله من خير ونسب كل عمل سيئ لغيره، وبين لحظة وأخرى يقول: لماذا يكرهني الإخوان إذن؟! والهضيبي لا يرد، وقال الهضيبي: إنني سهوت عن نفسي وتنبهت فوجدت نفسي في وضع عجيب.

وجدتني جالسا على الفوتيل واضعا إحدى رجلي على الأخرى!! ففكرت في الرجوع إلى الجلسة المناسبة ولكنني قررت ألا أغير هذا الوضع وظللت كذلك حتى انتهاء المقابلة.. حين سأله الملك: ما رأيكم يا حسن بك في كل ما قلته، وفي أنني على استعداد أن أعمل للإسلام؟

فرد عليه الهضيبي قائلا: إنني سأعرض ذلك على الإخوان ونسأل الله التوفيق، ثم قام الملك وصافحه وأوصله حتى باب مكتبه حيث تلقاه كبار رجال القصر حتى رجع إلى

المركز العام للإخوان المسلمين بالحلمية.

وقال الأستاذ الهضيبي وهو يقص أحداث هذه المقابلة بعد سنوات طويلة إنه كان يشعر وهو يجلس مع الملك أنه أمام طفل صغير ولم يشعر نحوه برهبة أو حتى احترام<sup>(١)</sup>.

### حمية العرب في الجاهلية

المهلهل بن ربيعة الذي اشتهر عند الناس باسم الزير سالم، كان رجل شهوات في حياته، رجل كأس وطاس، وزير نساء، ولكن حينما قتل أخوه كليب أبى إلا أن يطلق هذه الأمور كلها، وأن يعيش لشيء واحد أن يثار لأخيه المقتول وقال في ذلك قوله:

ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل النهار  
ولم يخلع درعه ولا سيفه حتى أخذ بثار أخيه وانتقم من بني بكر، وفي يوم من الأيام  
قتل أحد كبرائهم فقال بعضهم: يكفيك هذا بكليب، قال: هذا يبوء بشسع نعل كليب.  
هذه حمية العرب في الجاهلية.

وهذا عمرو بن كلثوم كان عند ملك الحيرة عمرو بن منذر -أوعمر بن هند- وكانت معه أمه فأرادت أم الملك أن تستخدمها في بعض الأشياء فأمرتها أن تأتي لها ببعض الأشياء فكبر ذلك عند المرأة أم الفارس عمرو بن كلثوم، وأخبرت بذلك ابنها فتار وقال قصيدته الشهيرة، قصيدة عمرو بن كلثوم التي قالوا فيها إنها كانت حوالي ألف بيت وما بقي منها هو ما حفظه الرواة، ومنها:

وأنا المانعون إذا غضبنا وأنا المانحون إذا رضينا  
وأنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا  
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخرله الجبابر ساجدينا  
وكانت أن قامت معركة بعد ذلك بينه وبين عمرو بن هند وقد قتل عمرو بن هند ملك الحيرة.

(١) وعرفت الإخوان ٦٧، ٦٨.

هؤلاء هم العرب لا يقبلون الذل، ويقول عنتره في شعره:

لا تسقني ماء الحياة بذلة      بل فاسقني بالعز كأس الحنظل  
ماء الحياة بذلة لجهنم      وجهنم بالعز أطيب منزل

هكذا كان القوم، وفي أول الإسلام حين هزمت قريش في معركة بدر الكبرى، قتل منهم سبعون من الصناديد وأسر منهم سبعون، وكان أبو سفیان بن حرب لا يزال مشركا وكان يعتبر زعيم القوم في ذلك الوقت، خصوصا بعد أن مات من مات من الصناديد والكبار في بدر، فألى على نفسه ألا يمس بدنه ماء من غسل الجنابة -يعني لا يعاشر امرأته- وحرمت قريش على نفسها أن يبكي أحد بكاء نوح، أي بكاء بأصوات، يكتمون ذلك في أنفسهم حتى لا ينفسوا عن أنفسهم ليظل هذا الغضب مكبوتا إلى أن يأخذوا بشأهم، وفي يوم من الأيام سمع بعض الناس أنه أبيع لهم أن يبكوا وأن يشعروا وأن يعبروا عن أنفسهم، فلما خرج سأل فقالوا له: هذا رجل ضل بعيره، فهو يبكي بعيره الذي ضاع<sup>(١)</sup>.

### الأخ حافظ

استدعى المسيو سولنت باشمهندس القنال ورئيس قسم السكسيون الأخ حافظ ليصلح له بعض أدوات التجارة في منزله وسأله عما يطلب من أجر فقال: ١٣٠ قرشا، فقال المسيو سولنت بالعربي: أنت حرامي، فتمالك الأخ نفسه، وقال له بكل هدوء: ولماذا؟ فقال: لأنك تأخذ أكثر من حَقِّك، فقال له: لن آخذ منك شيئا ومع ذلك فإنك تستطيع أن تسأل أحد المهندسين من مرءوسيك فإن رأى أنني طلبت أكثر من القدر المناسب فإن عقوبتي أن أقوم بالعمل مجانا، وإن رأى أنني طلبت أقل مما يصلح أن أطلب فسأسمحك في الزيادة.

واستدعى الرجل فعلا مهندسا وسأله فقدر أن العمل يستوجب ٢٠٠ قرش، فعرف المسيو سولنت وأمر الأخ حافظ أن يتدئ العمل، فقال له: سأفعل ولكنك أهتني فعليك أن تعتذر وأن تسحب كلمتك، فاستشاط الرجل غضبا وغلبه الطابع الفرنسي الحاد، وأخذته العزة بالإثم وقال: تريد أن أعتذر لك؟ ومن أنت؟ لو كان الملك فؤاد نفسه ما

(١) الجهاد اليوم فرض عين - القرضاوي ١٨: ٢٤.

اعتذرت له، فقال حافظ في هدوء أيضا: وهذه غلطة أخرى يا مسيو سولنت فأنت في بلد الملك فؤاد، وكان أدب الضيافة وعرفان الجميل يفرضان عليك ألا تقول مثل هذا الكلام وأنا لا أسمح لك أن تذكر اسمه إلا بكل أدب واحترام، فتركه وأخذ يتمشى في البهو الفسيح ويداه في جيب بنطلونه، ووضع حافظ عدته وجلس على كرسي واتكأ على منضدة وسادت فترة سكوت لا يتخللها إلا وقع أقدام المسيو السائر الحائر، وبعد قليل تقدم من حافظ وقال له: افرض أنني لم أعتذر لك فماذا تفعل؟ فقال: الأمر هين سأكتب تقريرا إلى قنصلكم هنا وإلى سفارتكم أولا ثم أترقب كل قادم من أعضاء هذا المجلس فأشكو إليه، فإذا لم أصل إلى حقي بعد ذلك استطعت أن أهينك في الشارع وعلى ملا من الناس وأكون بذلك قد وصلت إلى ما أريد ولا تنتظر أن أشكوك إلى الحكومة المصرية التي قيدها بسلاسل الامتيازات الأجنبية الظالمة، ولكني لن أهدأ حتى أصل إلى حقي بأي طريقة، فقال الرجل: يظهر أنني أتكلم مع أفوكاتو لا نجارا! ألا تعلم أنني كبير المهندسين في قناة السويس فكيف تتصور أنني أعتذر لك؟ فقال حافظ: وألا تعلم أن قناة السويس في وطني لا في وطنك وأن مدة استيلائكم عليها مؤقتة وستنتهي ثم تعود إلينا فتكون أنت وأمثالك موظفين عندنا؟ فكيف تتصور أن أدع حقي لك؟... وانصرف الرجل إلى مشيته الأولى.

وبعد فترة عاد مرة ثانية وعلى وجهه أمارات الشائ وطرقت المنضدة بيده في عنف مرات وهو يقول: أعتذر يا حافظ سحبت كلمتي، فقام الأخ حافظ بكل هدوء وقال: متشكر يا مسيو سولنت. وزاول عمله حتى أمته.

وبعد الانتهاء أعطاه المسيو سولنت ١٥٠ قرشا فأخذ منها ١٣٠ قرشا ورد له العشرين. فقال له: خذها بقشيشا، فقال: لا، لا حتى لا آخذ أكثر من حقي فأكون حراميا، فدهش الرجل وقال: إني مستغرب لماذا لا يكون كل الصانع أولاد العرب مثلك؟ أنت «فاميلي محمد» فقال حافظ: يا مسيو سولنت كل المسلمين «فاميلي محمد» ولكن الكثير منهم عاشروا الخواجات وقلدوهم ففسدت أخلاقهم، فلم يرد الرجل بأكثر من أن مد يده مصافحا قائلا: متشكر، متشكر كتر خيرك وفيها الإذن بالانصراف<sup>(١)</sup>.

(١) مذكرات الدعوة والداعية ٨٥: ٨٧.

أصبراً على مس الهوان وأتمو عديد الحصى، إني إلى الله راجع

يقول سيد قطب: وما يعز المؤمن بغير الله وهو مؤمن، وما يطلب العزة والنصرة والقوة عند أعداء الله وهو يؤمن بالله، وما أحوج ناساً ممن يدعون الإسلام ويتسمون بأسماء المسلمين وهم يستعينون بأعدى أعداء الله في الأرض، أن يتدبروا هذا القرآن إن كانت بهم رغبة في أن يكونوا مسلمين وإلا فإن الله غني عن العالمين<sup>(١)</sup>.

### وقفه قرآنية

يقول تعالى في صفات المؤمنين: ﴿أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

يقول سيد قطب: فهم على الكافرين شماس وإباء واستعلاء.. ولهذا الخصائص هنا موضع، إنها ليست العزة للذات، ولا الاستعلاء للنفس، إنما هي العزة للعقيدة، والاستعلاء للراية التي يقفون تحتها في مواجهة الكافرين، إنها الثقة بأن ما معهم هو الخير، وأن دورهم هو أن يطوعوا الآخرين للخير الذي معهم لا أن يطوعوا الآخرين لأنفسهم، ولا أن يطوعوا أنفسهم للآخرين وما عند الآخرين، ثم هي الثقة بغلبة دين الله على دين الهوى، وبغلبة قوة الله على تلك القوى، وبغلبة حزب الله على أحزاب الجاهلية، فهم الأعلون حتى وهم منهزمون في بعض المعارك، في أثناء الطريق الطويل<sup>(٢)</sup>.

### الرتنيسي

يقول الشهيد الرتنيسي - أثناء اعتقاله - قام مدير عام المعتقل وهو صاحب رتبة عسكرية رفيعة ويدعي «شلتيل» يطلب عقد لقاء مع ممثلي المعتقلين، ولقد اجتمع ممثلون عن مختلف الفصائل في خيمة من خيام المعتقل في أحد أقسامه لتدارس الأمر قبل انعقاد اللقاء مع الإدارة، وأحب المعتقلون أن أرافقهم وقد فعلت، وأثناء لقائنا في الخيمة سمعت بعض الشباب يحذر من «شلتيل» ويضحخ من شأنه ويخشى من غضبه، فشرعت بأن له هيبة في نفوس بعض الشباب وهذا لم يرق لي ولكني لم أعقب

(١) في ظلال القرآن (٢/٧٨٠).

(٢) المصدر نفسه (٢/٩١٩).

بشيء، ثم جاءت حافلة في يوم اللقاء لتقلنا إلى ديوان «شلتيل» وأخذت وأنا في الحافلة أفكر في استعلاء هذا الرجل وهيبته في نفوس الشباب وكيفية انتزاع هذه الهيبة من نفوسهم، ولقد وطنت نفسي على فعل شيء ما ولكني لا أعلمه، ولكن كان لدي استعداد تام أن أتصدى له إذا تصرف بطريقة لا تليق، ووصلت الحافلة ودخلنا ديوانه فكان عن يميننا داخل القاعة منصة مرتفعة حوالي ٣٠ سنتيمترا عن باقي الغرفة، وعليها عدد من الكراسي، وعن شمالنا كانت هناك عدة صفوف من الكراسي المعدة لنا، فجاء رؤساء الأقسام المختلفة وجميعهم من الحاصلين على رتب عسكرية في الجيش، ومن بينهم مسئول أحد الأقسام قد كان في الماضي نائب الحاكم العسكري لمدينة «خان يونس» وكان يعرفني مسبقا، وكان نائب «شلتيل» أيضا يجلس على المنصة مع رؤساء الأقسام، وجلس المعتقلون المملثون لكل الفصائل على الكراسي المعدة لهم وجها لوجه مع رؤساء الأقسام تفصلنا عنهم مسافة لا تزيد على مترين، ولقد جلست في الصف الأول في الكرسي الأول الأقرب إلى باب الديوان، ثم بعد وقت قليل دخل «شلتيل» وكان رجلا طويل القامة ضخم الجثة فالتفت بطريقة عسكرية وأشار بيده فوقف الشباب وبقيت جالسا، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأول بيني وبينه فلا يعرفني، فاقرب مني وقال: لماذا لا تقف؟

فقلت له: أنا لا أقف إلا لله وأنت لست إلها ولكنك مجرد إنسان وأنا لا أقف للبشر.

فقال: يجب عليك أن تقف، فأقسمت بالله يمينا مغلظا ألا أقف، فأصبح في حالة من الحرج الشديد ولم يدر ما يفعل، حاول التدخل أحد قادة فتح في المعتقل -وهو العقيد «سامي أبو سمهدانة»- ليخبره أنني إذا قررت لا أترجع، فرفض الاستماع إليه وأصر على موقفه، ولكني أبيت بشدة، فقال نائبه: يا دكتور هنا يوجد بروتوكول يجب أن يحترم.

فقلت له: ديني أولى بالاحترام ولا يجوز لي الإسلام أن أقف تعظيما لمخلوق.

فقال: وما الحل؟

فقلت: إما أن أبقى جالسا أو أعود إلى خيمتي.

فقال «شلتئيل»: عد إذن إلى خيمتك، فخرجت من الديوان ولم يخرج معي إلا الأخ المهندس «إبراهيم رضوان» والأخ «عبد العزيز الخالدي» وكلاهما من حماس<sup>(١)</sup>.

### من الطرائف

يقول الشهيد الرنتيسي: من الطرائف التي حدثت في فترة اعتقالي أن شرطيا يهوديا رأني أحمل القرآن وأتصفح، فسألني: يا دكتور، ماذا في كتابكم؟  
فقلت: أمور كثيرة.

قال: ماذا يقول إنكم فاعلون بنا؟

قلت له: يقول إننا سنذبحكم بعد أن تتجمعوا في بلادنا.

فقال: متى يكون ذلك؟

فقلت: لا أدري ربما يكون خلال أربعين سنة - وكنا في عام ١٩٩٠ - فأخذ يحسب ثم همهم قائلا: ليس مهما بالتأكيد سأكون ميتا.

فقلت له: وماذا تقول التوراة؟

فقال: نفس الشيء فتجمعنا هنا نهايته الذبح، ثم استدرك قائلا: ولكن عندما نفسد.

فقلت: سبحان الله كأنكم لم تفسدوا بعد!<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) مذكرات الرنتيسي ٣٩، ٤٠.

(٢) المصدر نفسه ٤٧.



## الذكاء

المسلم يتميز بسرعة البديهة، والعقل الراجح، والعلم الواسع، والقدرة على الاجتهاد، وحسن النظر، والحكمة والذكاء، والعلم والفطنة.

وهذه بعض مواقف الأذكياء ليتعلم منها المسلم الفطنة وحسن التصرف مع الأمور.

### دار الأرقم

في بداية الدعوة إلى الإسلام، كان النبي ﷺ يدعو إلى الله سرًا، حذرًا من قريش التي كانت متعصبة للشرك، وكانت تضطهد كل من يؤمن بالدعوة الجديدة.

لذلك اختار الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم ليجتمع بها مع أصحابه الكرام، فلم يكن أحد من قريش يعلم أن الأرقم كان قد أسلم، ولن يخطر على بال قريش أن يتم اللقاء في داره، وكان الأرقم من بني مخزوم الذين كانوا يحملون لواء التنافس على سيادة قريش ضد بني هاشم، وكان بعيدًا عن ذهن قريش أن يجتمع محمد وأصحابه في قلب ديار بني مخزوم. كما أن الأرقم كان في هذا الوقت صغير السن، لا يتجاوز عمره السادسة عشرة، وكان من المستبعد أن يجتمع المسلمون في منزل هذا الفتى الصغير.

### المناظرة بين خليل الله والنمرود

كان النمرود بن كنعان حاكمًا لبلاد كنعان التي كان يعيش فيها نبي الله إبراهيم. فدعاه إبراهيم إلى الإيمان بالله بالحكمة والموعظة الحسنة، لكن النمرود لم يستمع إلى دعوة الخير، وادعى أنه إله ودار بين إبراهيم والنمرود حوار طويل، لجأ فيه إبراهيم إلى الدليل العقلي، فقال له: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال النمرود: أنا أحيي وأميت، فأنا أستطيع أن آتي برجلين قد حُكِمَ عليهما بالقتل، فأقتل أحدهما وأعفو عن الآخر فأحييه، هنا فكر إبراهيم في حجة قوية لا يستطيع النمرود إنكارها مهما عاند واستكبر، فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فلم يستطع النمرود أن يرد على هذا الدليل القاطع الحاسم.

إذا تحدثت مع أي إنسان فلا تجادل ولكن عليك بالدليل الواضح.

### طريق اليمن في الهجرة

في بداية هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، سار نحو الجنوب عكس اتجاه المدينة، ثم عاود السير تجاهها ليجعل الكفار يعتقدون أنه توجه إلى اليمن وليس إلى المدينة، كذلك كلف النبي عامر بن فهيرة أن يتعرف على ما يقال بمكة، ثم يأتيه بالخبر في الليل، ويحلب لهما الأغنام، ثم يصبح ويسرح مع الناس، وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت معهما في الغار، ثم يذهب إلى مكة في الفجر، فيصبح مع قريش كأنه بات في مكة، ويسمع ما يقال عن الرسول ﷺ وصاحبه، ثم يعود إليهما بالأخبار في الليل.

كن فطنًا في التعامل مع الأعداء ولا تترك دليلاً على أفعالك.

### الإبل المذبوحة

في غزوة بدر، أرسل النبي ﷺ فرقة استطلاع مكونة من علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهم- إلى بدر ليستطلعوا أخبار العدو، فوجدوا اثنين من قريش يملآن قِرب الماء ويميلانها على ظهور الإبل ليستقوا جيش المشركين، فأسروهما وأخذوهما إلى النبي ﷺ فلما رأى الأسيرين سألهما: «كم القوم؟» فقال أحدهما: كثير، قال: «ما عدتهم؟» قال: لا ندرى. فسألها الرسول ﷺ عن عدد الإبل التي يذبحونها كل يوم، فأخبراه أنهم ينحرون في يوم تسعة إبل، وفي يوم عشرة إبل، فقدر الرسول أن كل ناقة يأكلها مائة من الرجال، فقال الرسول ﷺ: «القوم فيما بين التسعمائة والألف» وكانت معرفة رسول الله ﷺ بعدد جيش قريش أول خطوة من خطوات النصر في بدر.

### الحجر الأسود

قبل بعثة النبي ﷺ أصاب مكة سيل شديد، فتهدمت بعض أجزاء من الكعبة الشريفة، واجتمعت قريش وقرروا بناءها من جديد، وتسابقت القبائل لتنال شرف الاشتراك في إعادة بناء الكعبة، فلما تم البناء، وأرادوا إعادة الحجر الأسود إلى مكانه، تشاجر زعماء القبائل لنيل هذا الشرف، حتى كادت الحرب تقع بينهم، فرأى الحكماء

منهم أن يحتكموا إلى أول من يدخل عليهم، وشاءت إرادة الله أن يكون القادم محمداً ﷺ فارتضوه حكماً، وحكوا له القصة، فخلع النبي ﷺ رداءه، ووضع على الأرض، ثم أخذ الحجر الأسود ووضع على الرداء، وطلب إلى زعماء القبائل أن يمسك كل واحد منهم بطرف من الرداء، ثم يحملوا الحجر إلى مكانه، ففعلوا. فأخذ النبي ﷺ الحجر، ووضع في مكانه، وبذلك ساهموا جميعاً في حمل الحجر الأسود، ونالوا ذلك الشرف.

### حيلة يوسف

جاء إخوة يوسف إلى مصر لشراء القمح والطعام، فلما دخلوا على أخيهم -الذي كان وزيراً للبلاد- عرفهم ولم يعرفوه، وأعطاهم ما أرادوا، ووعدهم أنه سيزيد لهم في العطاء في المرة الثانية، إن أحضروا معهم أخاهم من أبيهم، فإن لم يحضروه فلن يعطيهم شيئاً.

فلما جاءوا في المرة الثانية أحضروا معهم أخاهم، ففكر يوسف في حيلة ليحجز أخاه، ويستبقه إلى جواره، فأمر رجاله أن يضعوا مكيال الذهب الذي يكيل به في أمتعة أخيه، ثم أعلن أن المكيال قد سرق. فنفى إخوة يوسف أن يكونوا قد سرقوا المكيال، فسألهم يوسف عن جزاء من يسرق في شريعتهم؛ حتى يطبق ذلك الحكم عليه إذا وجد المكيال مع أحدهم، فأخبروه أن السارق يؤخذ رهينة أو أسيراً، مقابل ما يسرق، فأمر يوسف بالتفتيش، فوجدوا المكيال في متاع أخيه، ونجحت حيلة يوسف في أن يأخذ أخاه.

### داود وسليمان

كان لرجل قطع من الأغنام، وذات يوم دخلت هذه الأغنام حقل رجل آخر، فأكلت ما به من حرث وثمار وأفسدت الزرع، فذهب صاحب الحرث إلى نبي الله داود ليحكم في أمره، فحكم داود لصاحب الحقل أن يأخذ الأغنام نظير ما أفسد من حرثه، فلما علم ابنه سليمان بذلك قال: لو وليت أمركما لقصيت بغير هذا، فدعاه داود وسأله: كيف تقضي بينهما؟ فحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الحرث الأغنام فينتفع بما تلد وما تنتج من ألبانها، ويأخذ صاحب الأغنام الأرض فيزرعها ويصلحها حتى تعود كما كانت عليه أول مرة، فإذا ما أعطاهما كما كانت ردت إليه أغنامه، وأخذ صاحب الحرث أرضه،

ورغم أن حكم داود كان صحيحاً ولكنه أعجب برأي ابنه سليمان.

### قصة الرجل الحكيم

كان الفاروق عمر بن الخطاب جالساً ذات يوم مع بعض أصحابه، وكان فيهم جرير بن عبد الله، فشم ريحاً كريهة، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح أن يقوم فيتوضأ، لكن جرير أراد ألا يتعرض من أخرج الريح للحرج، وفضل أن يقوم المسلمون جميعاً فيتوضأوا، فقال: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعاً، فأعجب عمر بحكمة جرير وفطنته، وقال له: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية! ونعم السيد أنت في الإسلام!

### الفطنة

لما خرج رسول الله ﷺ مهاجراً ومعه صاحبه أبو بكر سلكا طريقاً غير الذي اعتاد الناس السفر منه إلى المدينة، فاتجها نحو الساحل في الطريق المؤدي إلى اليمن، وأخذ أبو بكر يسير أمام النبي ﷺ فإذا خشي أن يهجم عليه عدو من خلفه سار وراءه، حتى وصلا إلى المدينة سالمين.

وكان أبو بكر تاجراً معروفاً، يطوف البلاد، ويتعامل مع الناس، فكان إذا لقيه الناس عرفوه، وسألوه عن الرجل الذي يسير معه، وكان أبو بكر لا يريد أن يخبر أحداً بحقيقة صاحبه قبل وصوله إلى المدينة، وكان لا يجب أن يكذب، فكان يقول: هاد يهديني، يقصد الهداية في الدين، بينما يحسبه السائل دليلاً يدل على الطريق.

هل تتصرف في أمورك الصعبة بحكمة وفطنة؟

### خالد بن الوليد في مؤتة

في غزوة مؤتة، استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم النبي ﷺ، فاتفق المسلمون على أن يتولى خالد بن الوليد، فلما تولى خالد القيادة فكر في حيلة لينجو بالجيش؛ لأنه لا يمكنه التغلب على قوات الروم الكثيرة بهذا العدد القليل من المسلمين، فغير أماكن الجنود، وأمر بعض الكتائب أن تتعد عن ساحة القتال، ثم يأتوا مندفعين أثناء المعركة وهم يكبرون، ويثيرون التراب بخيولهم، وفي الصبح فوجئ جنود الروم بوجوه جديدة من الجنود المسلمين لم يروها من قبل في الأيام الماضية، ثم جاءت الكتائب الأخرى فظنها

الروم مددًا لجيش المسلمين، فدب الرعب في قلوبهم، وفي الليل سحب خالد جيشه من المعركة تدريجيًا حتى لا يلاحقهم الروم. وهكذا استطاع أن ينقذ جيش المسلمين.

### في غزوة الأحزاب

حاصر المشركون المدينة، فأرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين، ليعرف أخبارهم، وما يتآمرون به ضد المسلمين، فتسلل حذيفة في الظلام حتى وصل إلى جيش المشركين، واندس بينهم، وبينما هم يتحدثون ويدبرون مكائدهم، أراد قائدهم أبو سفيان بن حرب أن يطمئن إلى أن مجلسهم لم يتسلل إليه أحد من المسلمين، فأمرهم أن يتعرف كل واحد منهم على من يجلس إلى جواره.

شعر حذيفة بحرج شديد، وخشي أن ينكشف أمره، فأسرع وأمسك بيد الجالس إلى جواره، وبادره بالسؤال: من الرجل؟ فقال الرجل المشرك: فلان بن فلان، وهكذا استطاع حذيفة بحسن تصرفه وذكائه أن يشغل من إلى جواره عن معرفته، وعاد إلى معسكر المسلمين سالمًا بفضل الله تعالى.

### حيلة أبي بصير

كان من شروط صلح الحديبية بين المسلمين وقريش أنه إذا أتى المسلمين المشرك مسلمًا ردوه لقريش، وإذا أتى المسلم مشركًا لا ترده قريش للمسلمين.

فكان ممن أسلم في هذا الوقت رجل يسمى أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية رده رسول الله - حسب المعاهدة - إلى قريش التي بعثت تطلبه، وقال له رسول الله ﷺ يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا. فانطلق حتى إذا كان بذي الخليفة جلس إلى جدار وجلس معه المشركان اللذان جاء لياخذاه فقال أبو بصير لأحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

فقال: نعم.

قال: أنظر إليه.

قال: انظر إن شئت، فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله وفر الآخر سريعًا إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه فلحقه أبو بصير، وقال للرسول: يا رسول الله، وفت ذمتك

وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه أو يعث بي.

فقال رسول الله ﷺ: «ويل أمه محشى (مشعل) حرب لو كان معه رجال».

فلما بلغ المستضعفين بمكة قول الرسول ﷺ: «محشى حرب لو كان معه رجال» إذا بهم يتبعونه بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قوافل قريش إلى الشام وكانوا سبعين رجلاً، فقطعوا الطريق على قريش وعمدوا إلى كل قرشي أو قافلة تمر فيقتلونهم، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامها إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم، فأواهم الرسول ﷺ وقدموا عليه المدينة.

### الصنم والكلب

كان لعمر بن الجموح صنم يعبده، فلما أسلم ابنه معاذ فكر في حيلة يهدي بها أباه، ويثبت له أن الأصنام لا تضر ولا تنفع. وذات ليلة، انتظر هو وصديقه معاذ بن جبل حتى نام أبوه، وأخذ الصنم ووضعاه في حفرة قدرة، وفي الصباح، لم يجد عمرو صنمه، فغضب وظل يبحث عنه، حتى وجده في الحفرة، فأحضره وغسل عنه النجاسة، وكرر معاذ في الليالي التالية ما فعله بالصنم، فضاقت عمرو بما يحدث لصنمه، فأحضر سيفه وعلقه على الصنم، حتى يدافع به نفسه إن كان يستطيع ذلك، وجاء المعاذان ليلاً وأخذ الصنم، وربطاه في كلب ميت، وألقياهما في بئر مليئة بالقاذورات، وفي الصباح، لم يجد عمرو صنمه، فبحث عنه، فوجده في البئر مربوطاً في الكلب، فعلم أنه لا يضر ولا ينفع، وانشرح صدره للإسلام فأسلم.

### الفتى الذكي

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ يقرب الصحابة الذين حاربوا في غزوة بدر من مجلسه، وكان يجلس معهم عبد الله بن عباس ؓ فتضايق بعض القوم من ذلك لصغر سن ابن عباس فأراد عمر أن يعرفهم علم ابن عباس ومنزله، فدعاه ذات يوم إلى مجلسه، وأدخله على كبار القوم، وقال لهم: ماذا تقولون في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت الباقون.

فقال عمر: أكذلك تقول يا ابن عباس؟

فقال: لا.

فقال عمر: وماذا تقول؟

قال ابن عباس: هو أجل رسول الله أعلمه الله له. فابله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فعلم القوم قدر ابن عباس.

### صديق الوالي

أودع رجل عقداً ثميناً أمانة عند عطار، فلما طلب منه أنكر العطار، فشكاه الرجل إلى الخليفة العباسي عضد الدولة، فقال له الخليفة: اذهب واقعد أمام دكان العطار، ولا تكلمه، وافعل ذلك ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع سأمر عليك أنا وبعض رجالي، وسأنزل عن فرسي، وأسلم عليك، فرد علي السلام وأنت جالس، وإذا سألتك سؤالاً أجب علي ولا تزدد شيئاً، وإذا انصرفت ذكر العقاد بالعقد.

وفي اليوم الرابع مر الخليفة على الرجل، ونزل عن فرسه، وسلم عليه، وقال له: لم أرك من مدة؟! فقال الرجل: سأمر عليك قريباً.

فلما انصرف الخليفة، نادى العطار الرجل، وقال له: صف لي العقد الذي تتحدث عنه، فوصفه الرجل فقام العطار وفتش دكانه، وأحضر العقد، فأخذ الرجل، وذهب إلى الخليفة، فأحضر الخليفة العطار، وعاقبه على خيانتته.

### بيت أبي تمام

دخل الشاعر أبو تمام على الخليفة المعتصم، وقال له قصيدة يمتدحه فيها، وشبهه في أحد أبياتها بعمر بن معد يكرب في الشجاعة، وحاتم الطائي في الكرم، والأحنف بن قيس في الحلم، وإياس بن معاوية في الذكاء، وهؤلاء يضرب بهم المثل في هذه الصفات، فقال:

إقدام عمرو في سماحة حاتم      في حلم أحنف في ذكاء إياس

فأراد بعض الحاضرين أن يوقعوا بين المعتصم وأبي تمام، فقالوا: لقد شبهت أمير المؤمنين بصعاليك العرب. فقال أبو تمام:

لا تنكروا ضربي له من دونه      مثلاً شروداً في الندى والباس  
 فالله قد ضرب الأقل لنوره      مثلاً من المشكاة والنبراس  
 فأسكتهم أبو تمام بذكائه، فقد وضع لهم أن تشبيهه للمعتصم لا ينقص من قدره،  
 فالله عز وجل قد شبه نوره بنور مصباح في مشكاة.

### الشاعر واللس

أراد أحد الشعراء أن يسافر لأداء أمانة إلى صديق له، وكان للشاعر ابتان، فقال لهما: إذا  
 قدر الله، وقتلت في الطريق، فخذنا بئاري ممن يأتيكم بالشر الأول من هذا البيت.

ألا أيها البتان إن أباكما      قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما

وبينما الشاعر في الطريق قابله أحد اللصوص، وهدده بالقتل، وأخذ ما معه من  
 أموال، فقال له الشاعر: إن هذا المال أمانة، فإذا كنت تريد مالاً فذهب إلى ابنتي، وقل  
 لهما: ألا أيها البتان إن أباكما وسوف يعطيانك ما تريد، ولكن اللص قتله، وأخذ ما  
 معه، ثم ذهب إلى بلدة الرجل، وقابل البتين، وقال لهما: إن أباكما يقول لكما: ألا أيها  
 البتان إن أباكما فقالت البتان: قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما.

وصاحتا، فتجمع الجيران وأمسكوا باللص القاتل، وذهبوا به إلى الحاكم، وهناك  
 اعترف بجريمته، فقتله الحاكم جزاء فعله.

### الخياط الأعور

كان أحد الشعراء يسير في شوارع الكوفة، يبحث عن خياط ليخيط له ثوباً، وبينما  
 هو في الطريق، قابله الأصمعي فأخذه إلى خياط أعور يسمى زيذاً، فقال الخياط للشاعر:  
 والله لأخيطنه خياطة لا تدري أعباءة هو أم قميص.

فقال الشاعر: والله لو فعلت لأقولن فيك شعراً لا تدري أمدح هو أم هجاء، فلما  
 أتم الخياط الثوب أخذه الشاعر، ولم يعرف ألبسه على أنه عباءة أم قميص فقال في  
 الخياط شعراً:

خاط لي زيد قباء      لبت عينيه سواء  
 فاسأل الناس جميعاً      أمديح أم هجاء



فلم يدر الخياط أيدعو عليه الشاعر بالعمى، أم يدعو أن يشفى الله عينه المريضة.

### القارب العجيب

تحدى أحد الملحدين -الذين لا يؤمنون بالله- علماء المسلمين في أحد البلاد، فاختاروا أذكاهم ليرد عليه، وحددوا لذلك موعدًا.

وفي الموعد المحدد ترقب الجميع وصول العالم، لكنه تأخر. فقال الملحد للحاضرين: لقد هرب عالمكم وخاف؛ لأنه علم أنني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله! وأثناء كلامه حضر العالم المسلم واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأنا في الطريق إلى هنا، لم أجد قاربًا أعبر به النهر، وانتظرت على الشاطئ، وفجأة ظهر في النهر ألواح من خشب، وتجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قاربًا، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم.

فقال الملحد: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قاربًا دون أن يصنعه أحد؟! وكيف يتحرك بدون وجود من يحركه؟! فتبسم العالم، وقال: فماذا تقول عن نفسك وأنت تقول: إن هذا الكون العظيم الكبير بلا إله؟! فهت الملحد.

### المال الضائع

يروى أن رجلاً جاء إلى الإمام أبي حنيفة ذات ليلة، وقال له: يا إمام، منذ مدة طويلة دفنت مالاً في مكان ما، ولكنني نسيت هذا المكان، فهل تساعدني في حل هذه المشكلة؟

فقال له الإمام: ليس هذا من عمل الفقيه؛ حتى أجد لك حلاً، ثم فكر لحظة وقال له: اذهب، فصلّ حتى يطلع الصبح، فإنك ستذكر مكان المال إن شاء الله تعالى.

فذهب الرجل، وأخذ يصلي، وفجأة، وبعد وقت قصير، وأثناء الصلاة، تذكر المكان الذي دفن المال فيه، فأسرع وذهب إليه فأحضره.

وفي الصباح جاء الرجل إلى الإمام أبي حنيفة، وأخبره أنه عثر على المال، وشكره، ثم سأله: كيف عرفت أنني سأذكر مكان المال؟!!

فقال الإمام: لأنني علمت أن الشيطان لن يتركك تصلي، وسيشغلك بتذكر المال عن

صلاتك.

### العاطس الساهي

كان عبد الله بن المبارك عابداً مجتهداً، وعالماً بالقرآن والسنة، يحضر مجلسه كثير من الناس؛ ليتعلموا من علمه الغزير، وفي يوم من الأيام، كان يسير مع رجل في الطريق، فعطس الرجل، ولكنه لم يحمد الله . فنظر إليه ابن المبارك؛ ليلفت نظره إلى أن حمد الله بعد العطس سنة على كل مسلم أن يحافظ عليها، ولكن الرجل لم ينتبه. فأراد ابن المبارك أن يجعله يعمل بهذه السنة دون أن يجرجه، فسأله: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ فقال الرجل: الحمد لله، عندئذ قال له ابن المبارك: يرحمك الله.

### الرجل المجادل

في يوم من الأيام، ذهب أحد المجادلين إلى الإمام الشافعي، وقال له: كيف يكون إبليس مخلوقاً من النار، ويعذبه الله بالنار؟! ففكر الإمام الشافعي قليلاً، ثم أحضر قطعة من الطين الجاف، وقذف بها الرجل، فظهرت على وجهه علامات الألم والغضب، فقال له: هل أوجعتك؟

قال: نعم، أوجعتني.

فقال الشافعي: كيف تكون مخلوقاً من الطين ويوجعك الطين؟! فلم يرد الرجل وفهم ما قصده الإمام الشافعي، وأدرك أن الشيطان كذلك: خلقه الله تعالى من نار، وسوف يعذبه بالنار.

### الشكاك

جاء أحد الموسوسين المتشككين إلى مجلس الفقيه ابن عقيل، فلما جلس، قال للفقيه: إني أنغمس في الماء مرات كثيرة، ومع ذلك أشك: هل تطهرت أم لا، فما رأيك في ذلك؟ فقال ابن عقيل: اذهب فقد سقطت عنك الصلاة، فتعجب الرجل وقال له: وكيف ذلك؟

فقال ابن عقيل: لأن النبي قال: «رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، والصبي حتى يبلغ» ومن ينغمس في الماء مراراً مثلك ويشك هل اغتسل أم لا، فهو بلا شك مجنون.

## الخليفة والقاضي

طلب أحد الخلفاء من رجاله أن يحضروا له الفقيه إياس بن معاوية، فلما حضر الفقيه قال له الخليفة: إني أريد منك أن تتولى منصب القضاء. فرفض الفقيه هذا المنصب، وقال: إني لا أصلح للقضاء للخليفة، فقال له غاضباً: أنت غير صادق. فرد الفقيه على الفور: إذن فقد حكمت علي بأني لا أصلح. فسأله الخليفة: كيف ذلك؟ فأجاب الفقيه: لأنني إن كنت كاذباً - كما تقول - فأنا لا أصلح للقضاء، وإن كنت صادقاً فقد أخبرتك أنني لا أصلح للقضاء.

## براءة

تزوجت امرأة، وبعد ستة أشهر ولدت طفلاً - والمعروف أن المرأة غالباً ما تلد بعد تسعة أشهر أو سبعة أشهر من الحمل - فظن الناس أنها لم تكن مخلصه لزوجها، وأنها حملت من غيره قبل زواجها منه.

فأخذوها إلى الخليفة ليعاقبها، وكان الخليفة حينئذ هو عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما ذهبوا إليه وجدوا الإمام علياً موجوداً عنده، فقال لهم: ليس لكم أن تعاقبوها لهذا السبب، فتعجبوا وسألوه: وكيف ذلك؟ فقال لهم: لقد قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي أن الحمل وفترة الرضاعة ثلاثون شهراً، وقال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ أي أن مدة الرضاعة ستتان. إذن فالرضاعة أربعة وعشرون شهراً، والحمل يمكن أن يكون ستة أشهر.

## القاضي والحلوى

حدث خلاف بين أحد الأمراء وزوجته حول نوعين من الحلوى؛ أيهما أطيب طعاماً؟ وذات يوم، زار أحد القضاة الأمير، فدعاه إلى تناول الطعام، وذكر له قصة خلافه مع زوجته حول نوعي الحلوى، وطلب منه أن يحكم بينهما، فقال القاضي مداعباً: أنا لا أحكم على غائب! فأحضر الخدم نوعي الحلوى، ووضعوهما أمام القاضي، فأكل من الحلوى التي يجبها الأمير، وهو يقول: نوع جميل وطيب، ثم اقترب من الحلوى التي تجبها زوجة الأمير، وأخذ يأكل منها، وهو يقول: نوع جميل وطيب، وأخذ يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة، حتى شبع. ثم قال: أيها الأمير، ما رأيت أعدل وأفصح منهما، كلما

أردت أن أحكم لأحدهما قدم الآخر حجته وأدلته، فضحك الحاضرون.

### ما تقول في المسكر؟

جاء رجل إلى إياس بن معاوية وقال له: ما تقول في المسكر؟ قال: حرام، قال: وما وجه حرمة، وهو لا يزيد عن كونه ثمرًا وماء غليًا على النار، وكل ذلك مباح لا شيء فيه؟ فقال: أفرغت من قولك؟ أبقى لديك ما تقوله؟ فقال الرجل: بل فرغت، فقال إياس: لو أخذت كفاً من ماء وضربتك به أكان يوجعك. قال: لا، فقال: ولو أخذت كفاً من تراب فضربتك به أكان يوجعك؟ قال: لا، فقال: ولو أخذت كفاً من تبن فضربتك به أكان يوجعك؟ قال: لا، فقال: فلو أخذت التراب ثم طرحته عليه التبن، وصيبت فوقهما الماء ثم مزجتها مزجاً، ثم جعلت الكتلة في الشمس، حتى يبست، ثم ضربتك بها أكانت توجعك؟ قال: نعم، وقد تقتلني، فقال: هكذا شأن الخمر، فهو حين جمعت أجزاءه وخُمر، حرم<sup>(١)</sup>.

### الفراسة

عن عبد الله بن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: صاحبة موسى التي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، وصاحب يوسف حيث قال: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾، وأبو بكر حين استخلف عمر.

### السارق الحقيقي

ذهب بعض الناس إلى قاض، وقالوا له: لقد سُرق أحد التجار، وأمسكنا هذين الرجلين، ونشك فيهما، ولا نعرف أيهما السارق، فأمر القاضي الجميع بالانتظار بحجة أنه يريد أن يشرب الماء، وطلب من خادمه أن يحضر زجاجة ماء، ولما أحضرها أخذها القاضي ورفعها إلى فمه، وبدأ يشرب، وفجأة ترك القاضي الزجاجة، فسقطت على الأرض وانكسرت، وأحدثت صوتاً مفرغاً، واندھش الحاضرون من تصرف القاضي المفاجئ، بينما أسرع القاضي نحو أحد الرجلين، وأمسكه، وقال له: أنت السارق، وأصر على ذلك، حتى اعترف الرجل ثم سأله: كيف عرفت أنني السارق؟ فقال القاضي: لأنك

(١) صور من حياة التابعين ٧٤.

لم تفرغ عند سقوط الزجاج على الأرض، واللصوص قلوبهم قاسية جامدة، أما زميلك فقد خاف وارتعد، عندئذ عرفت أنك السارق.

### قمة في حسن التخلص

اقتحم الخوارج مسجد الكوفة، وهم يقتلون المسلمين ويبيحون دماءهم وأموالهم وأحاطوا بحلقة أبي حنيفة وقد جردوا سيوفهم.

واتجهوا إلى رأس الحلقة أبي حنيفة، وكان رابط الجأش كأن لم يحدث شيء، في الوقت الذي فزع الناس من حوله، فأشار أبو حنيفة إلى جلسائه بالثبات، فثبتوا، وقال رئيس الخوارج مخاطباً أبا حنيفة: ما أنتم؟

فأجاب أبو حنيفة في سرعة: نحن مستجيرون.

فقال أمير الخوارج: دعوهم وأبلغوهم مأماتهم وقرأوا عليهم القرآن، وكان الخوارج عباد نصوص، يقرأونها ولا يفهمون روحها، فهم نظروا إلى ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦] وقد فطن أبو حنيفة إلى ذلك فأجابهم بما يعلم أنه يقنعهم وينجي نفسه وأصحابه من شرهم.

عجباً لأولئك الخوارج الذين روعوا الأمنين، يقتلون المسلمين ويتركون المشركين المستجيرين، فلا بأس على أبي حنيفة حين يقول لهم: نحن مستجيرون<sup>(١)</sup>.

هل تستطيع التخلص من المواقف الصعبة بحكمة؟

### مروءة وذكاء

لما حج «المنصور» عرض عليه جوهر ثمين نفيس له قيمته فعرفه وقال: هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان فانتقل إلى ابنه «محمد بن هشام» وما بقى من بني أمية غيره، ولا بد لي منه، ثم التفت إلى حاجبه «الربيع» وقال: إذا صليت بالناس غدًا في المسجد الحرام واجتمع الناس كلهم فأغلق الأبواب كلها ووكّل بها جماعة من الثقات وافتح باب

(١) أبو حنيفة ٣١٥.

واحدًا وقف عليه ولا تخرج أحدًا حتى تعرفه، فإذا ظفرت بمحمد بن هشام فأت به..

فلما كان الغد فعل «الربيع» ما أمره به «المنصور» وكان «محمد بن هشام» في المسجد فعرف أنه المطلوب وأيقن أنه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب، فبينما هو على تلك الحال إذ أقبل «محمد بن زيد بن علي بن الحسين» فرآه متحيرًا - وكان لا يعرفه - فتقدم إليه وقال: يا هذا ما بالك؟

فقال: لا شيء.

فقال: خبرني ولك الأمان إن شاء الله على نفسك.

قال «محمد بن هشام»: فمن أنت؟

قال: أنا «محمد بن زيد بن علي بن الحسين» فزاد خوفه وطار عقله وتحقق من الموت، فقال له: لا تجزع فلست قاتل أبي ولا جدي وليس لي عليك ثأر، وأنا أجتهد في خلاصك إن شاء الله، ولكن تعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح خطاب، فقال له: افعل ما شئت، فطرح رداءه على وجهه وغطى به رأسه وجذبه وسحبه إلى أن قرب من «الربيع» حاجب «المنصور» وهو على الباب، فلما وقعت عين «الربيع» عليهما لطمه «محمد بن زيد» لطمات على رأسه وجاء به إلى «الربيع» وقال: يا «أبا الفضل» إن هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكراني جمالاً فلما دفعت له الكراء هرب مني وذهب، فأكرى جماله لبعض أهل «خراسان» ولي عليه شهر، وأريد منك من يوصله معي إلى القاضي ويُمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين، فدفع إليه اثنين ليوصلاه إلى القاضي، و«محمد» قابض على الرداء وقد استتر وجهه به، فخرجوا جميعاً من المسجد، فلما بعدوا عن «الربيع» قال له «محمد»: اذهب إلى حال سييلك فقبل «محمد بن هشام» يده ورأسه وقال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ثم خرج له جواهر قيمتها عظيمة، وقال: بالله يا بن بنت رسول الله شرفني بقبول هذا.

فقال له: اذهب بمتاعك فنحن أهل البيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة، واحترس على نفسك من هذا الرجل إلى أن تخرج فإنه مجد في طلبك.

### اتصال

اتصل بالأستاذ المضيبي كبيران من أعوان الملك يسألانه موعداً لزيارته، فما إن حدد

لهما موعدًا - وكان بعد ثلاثة أيام - حتى أخبراه بأنهما سيحضران معهما صورة الملك لتعليقها في دار الإخوان.

وقبل الموعد ببعض ساعة هتف إلى من بداره يكلفه بصرف الرجلين إذا سألا عنه، ولما ذكر له بأن رد مثلهما بهذه البساطة سيورطه في أزمة صارخة، أعلم بالأمر من ردهما بأية وسيلة لأنهما سيطلبان تعليق صورة الملك بالمركز العام، وهذا لا يفعله ولو قطعت يمينه، وأهم الله أخاه أن قال له: سأرسل إليك بالمنزل ولا داعي لهذا الجفاء، وما عليك إلا أن تعتذر لهما بأن الإخوان قوم متزمتون يجرمون التصوير، وسأبادر الآن إلى رفع صور الإمام الشهيد من غرف المركز العام، حتى يستقيم الاعتذار، وما إن سمعها حتى قال: يرحم الله أباك! وأنا لهما في الانتظار.

### مباحث

يقول حسن البنا: أذكر أننا في إحدى الرحلات وقفنا بالقرب من ديرب نجم على مفترق طرق زراعية متشابهة لم ندر أيها نسلك، وتلفتنا لنجد أحدًا نسأله فلم نجد في الحقول ولا على رءوس هذه الطرق أحدًا، وأخيرًا تذكر أحدنا وهو الأخ الأمباشي محمد شلش - وكان بقسم روض الفرض إذ ذاك وقد رغب أن يصاحبنا في هذه الرحلة - أن معه صفارة البوليس فأخرجها ونفخ فيها فتسارع الخفراء من كل مكان، وجاء أقربهم فأخذ التعظيم العسكري ببندقية وسأل مين يا فندم؟ فقال له الأخ شلش: مباحث، وأسر في أذنه كلامًا ثم قال له: أين الطريق؟ فدلنا الخفير عليه بكل أدب، وأخذنا وجهتنا إلى حيث نريد.

وقلت للأخ شلش: لماذا تكذب؟ فابتسم، وقال: ما كذبت وإنما نحن مباحث عن الحق وعن الخير وعن الدين ولو قلت غير ذلك لما رضى إلا بأن نصحبه إلى العمدة، ومن يدري كيف يتصرف معنا العمدة؟ فقد نحجز عنده إلى الصباح ونحن لا وقت عندنا لهذا كله.

وكانت نكتة طريفة وتخلصا أشد طرافة<sup>(١)</sup>.

## فطنة في الإجابة

طالب بكلية الطب أثناء حديث الثلاثاء في المركز العام للإخوان المسلمين بالحمية  
سأل المرشد سؤالاً: يا فضيلة المرشد هل الحب حلال أم حرام؟  
فأجابه - رحمه الله - قائلاً: الحب الحلال حلال والحب الحرام حرام، ودُهِش  
الطالب لهذا الرد البليغ وانضم إلى الإخوان المسلمين على الفور<sup>(١)</sup>.

\*\*\*



## سلامة الصدر

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

ليس أروح للمرأة، ولا أطرد لهمومه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبراً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وأحس فضل الله فيها، وفقر عباده إليها، وذكر قول الرسول ﷺ: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر» [رواه أبو داود].

وإذا رأى أذى يلحق أحداً من خلق الله رثى له ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة راضياً عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى.

ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة - فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها.

أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قلبه وهو إليه بكل خير أسرع.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قيل: يا رسول الله، أي الناس أفضل؟

قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد» [رواه ابن ماجه].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى! قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين» [رواه الترمذي].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان قد بئس أن يعبد المصلون، ولكن في التحريش بينهم» [رواه الترمذي].

## تحذيرات

قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» [رواه مسلم].

وقال رسول الله ﷺ: «من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس» [رواه ابن ماجه] (المكس: الضريبة والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق).

وقد كان النبي ﷺ ينهى أن يبلغ عن أصحابه ما يسوؤه، قال: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» [رواه أبو داود].

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان» [رواه ابن ماجه].

وقال رسول الله ﷺ: «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس: فيغفر الله عز وجل لكل عبد لا يشرك به شيئاً إلا المتشاحنين، يقول الله للملائكة: ذروهما حتى يصطلحا» [رواه أحمد].

## ابن الحنفية وأخيه الحسن

هذا محمد ابن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب ولكن شاع نسبه إلى أمه) تحدث بينه وبين أخيه الحسن بن علي جفوة، فأرسل إليه يقول: إن الله فضلك عليّ، فأملك فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأمي امرأة من بني حنيفة، وجدك لأمك رسول الله وصفوة خلقه، وجددي لأمي جعفر بن قيس، فإذا جاءك كتابي هذا فتعال إليّ وصالحني حتى يكون لك الفضل عليّ في كل شيء، فما بلغت رسالته الحسن حتى بادر إلى بيته وصالحه (رضوان الله عليهما) (١).

## التغافر خير من العتاب

من جميل ما روى أن ابن السماك الواعظ المعروف وقع بينه وبين أحد إخوانه شيء فقال له أخوه: الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب.

فقال له ابن السماك: بل بيني وبينك غداً نتغافر.

(١) الطراز الرباني: ٧٧.

وكتب أحد الشعراء لإخوانه في مثل هذا:

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا  
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا  
وإن كان لا يبد من العتب فالحسنى<sup>(١)</sup>

### الحسد

الحسد لا يكون إلا بسبب نعمة أنعم الله بها على الإنسان، فمن كره تلك النعمة أحب أن تزول عن أخيه المسلم فهو حاسد.

تعريف الحسد: أن تكره النعمة التي أنعم الله بها على غيرك، وتحب زوالها، ولو تمكنت من إزالتها لأزلتها، فإذا لم تكرهها ولم تحب إزالتها، ولكنك تشتهي مثلها فإن هذا يسمى غبطة: «لا حسد إلا في اثنتين» والغبطة والمنافسة محمودتان، والحسد مذموم. إلا إذا كانت النعمة في يد فاجر أو فاسق فإن حب زوال النعمة الآن ليس من أجل النعمة وإنما من أجل الفساد المترتب عليها.

قال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول تعالى في بعض كتبه: «الحسود عدو نعمتي، يتسخط لقضائي، غير راض بقسمتي».

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا  
ما إن لي ذنباً إليه علمته  
وَأبى فما يرضيه إلا ذلي  
إلا الحسود فإنه أعياني  
إلا تظاهر نعمة الرحمن  
وزهاب أمواله وقطع لساني

قال الأحنف بن قيس: لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق للمول، ولا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لمن ليس له خلق.

### عاقبة حاسد

ورد أن رجلاً ترك ولدين بعد مماته، وخلف لهما مالاً لا بأس به، فاقسماه وتصرف كل منهما في حقه، فاستغله الابن الأصغر في التجارة، وأخلص لله في عمله، وكان كثير

(١) الطراز الرباني: ٧٨.

التصدق، لا يبخل على عباد الله بنعمة، فمت تجارته، وزاد ماله، وأصبح ذا ثروة طائلة، ولم يكن له أعداء.

أما الابن الآخر، فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته في الخمر والميسر والزنا، فنفتت أمواله، حتى صار فقيراً، لا يجد ما يقتات به، ومع ذلك كان أخوه كثير العطف عليه، يؤويه ويقدم له ما يحتاج إليه.

لكن كان هذا الشرير يحسد أخاه على ما آتاه الله من فضله، وفكر في طريقة يضيع بها ثروة أخيه حتى يسير مماثلاً له في الفقر، وبذلك يطمئن قلبه، فلا يعايره الناس بفقره، فصار يجتهد في الوصول إلى حيلة ينفذ بها غرضه الدنيء حتى اهتدى إلى رجل حسود، اشتهر بحسده، وقليل من الناس من ينجو من الحسد.

ولكن هذا الحاسد ضعيف البصر، لا يكاد يرى إلا عن قرب، فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده وطلب منه حسد أموال أخيه، مقابل أجر يدفعه عند هلاك ثروته، وأخذته إلى طريق كانت تمر به تجارة أخيه، فنه الأخ الأكبر الرجل الحسود إليها (التجارة) قائلاً: استعد فقد قربت تجارة أخي وصارت على بعد ميل واحد منا.

فقال الرجل الحسود: يا لقوة بصرك! أتراها على هذا البعد يا ليت لي بصر قوي مثل بصرك!

فشعر الرجل بألم في رأسه وأظلمت عيناه، وعمي في الحال، ومرت تجارة أخيه سالمة لم يمسه سوء.

### لا تحسد أخاك

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والحسد فإن الحسد ياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب» [رواه أبو داود].

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله  
النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وقال الحسن: يا ابن آدم: لا تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلم تحسد من مصيره إلى النار؟

والحاسد يعتبر ساخطاً على قضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض.

يا حاسداً لي على نعمتي  
أسأت على الله في حكمه  
أتدري على من أسأت الأدب  
لأنك لم ترض لي بما وهب  
فأخزاك ربك بأن زادني  
وسد عليك وجوه الطلب

### رجل من أهل الجنة

عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار (استيقظ من نومه) وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحترق عمله قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق [رواه أحمد].

### المصابون بالحسد

من أوصاف اليهود الحسد لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وإبليس هو أول من حسد، وأول من عصى بهذا الذنب: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ عَلَىٰ أَن تَسْجُدَ لِذُرِّيَّتِكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقابيل حسد أخاه هابيل، لما خصه الله من النعم.

وهؤلاء إخوة يوسف حسدوا أخاهم يوسف لعدم قدرتهم على أن يكون لهم ما عند أخيهم.

### فرق بين الحسد والغبطة والمنافسة

قد جاء في المنافسة: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال رسول الله ﷺ: «لا حسد (غبطة أو منافسة) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» [رواه البخاري].

وقال رسول الله ﷺ: «مثل هذه الأربعة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالا وعلمًا فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل»، قال رسول الله ﷺ: «فهما في الأجر سواء»، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علمًا فهو يخبط (يصرفه في شهوات نفسه) في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل لم يؤته الله علمًا ولا مالا، فهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل»، قال رسول الله ﷺ: «فهما في الوزر سواء» [رواه ابن ماجه].

فالمنافسة في الخير محمودة، وهي طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم.

الغبطة: يتمنى المؤمن أن يكون لديه ما لدى أخيه المسلم من خير وفضل، دون تمني زوال هذا الخير أو هذا الفضل من عند أخيه صاحب هذه النعمة.

### نهاية مؤلة

يروى أن رجلاً كان يجالس أحد الحكام ويصاحبه وينصحه، فحسده رجل شرير على ذلك المقام عند الحاكم، فذهب إلى الحاكم وقال له: إن هذا الذي يجالسك، ويقول ما يقول من كلام جميل، يزعم أنك أنجر (أي لقمك رائحة كريهة) فقال له الحاكم وهو

ساخط: وكيف أتأكد من ذلك؟

قال له الرجل الحاسد: تدعوه إليك، فإنه إن دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر منك، فقال له الحاكم: انصرف حتى أنظر، فخرج الحاسد من عند الحاكم، وذهب إلى الرجل جليس الحاكم الذي وشى به عنده ودعاه إلى منزله، فأطعمه طعاماً فيه ثوم كثير، ثم خرج ذلك الرجل وذهب كعادته إلى الحاكم وجلس بجواره لينصحه، فقال: أيها الحاكم أحسن إلى المحسن بإحسانه، أما المسئ فستكفيه إساءته، فقال له الحاكم: ادن مني. فدنا منه، فوضع الرجل يده على فمه مخافة أن يشم الحاكم منه رائحة الثوم، فقال الحاكم في نفسه: ما أرى فلاناً إلا قد صدق. وكان الحاكم لا يكتب بخطه إلا صلة أو جائزة، فكتب للرجل كتاباً بخطه إلى عامل من عماله يقول فيه: إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه.

فأخذ الرجل جليس الحاكم الكتاب، وخرج به، فلقى الرجل الواشي الذي حسده.

فقال له: ما هذا الكتاب؟

فقال: خط الحاكم لي كتاباً فيه جائزة.

فقال له: هبه لي.

قال: هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل، فقال له العامل: في كتابك أن أذبحك، فقال له الرجل الحاسد بفرح: إن الكتاب ليس لي، فالله الله في أمري حتى تراجع الحاكم وتخبره بأمرى.

فقال العامل: ليس لكتاب الحاكم مراجعة، فذبحه. ثم عاد الجليس الطيب إلى الحاكم كعادته، فتعجب الحاكم، وقال له: ما فعلت بالكتاب؟

فقال الرجل الطيب: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له.

قال الحاكم له: إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبحر.

قال الرجل الطيب: ما قلت ذلك.

قال الحاكم: فلم وضعت يدك على فمك؟

قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه، عندئذ قال الحاكم لهذا الرجل

الطيب الحكيم: صدقت. ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته.

### علاج مرض الحسد

يكون العلاج بالرضا بالقضاء والقدر وأخذ النفس باللوم والمجاهدة.

روى هشام بن عروة بن أبيه أنه كان إذا رأى شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً (بستاناً) من حيطانه، قال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

### موقف عظيم

قال الملك العادل يوماً للعز بن عبد السلام: اجعلني في حل.

فأجابه العزقائلاً: أما محاللتك فإني كل ليلة أحالل الخلق وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة، وأرى أن يكون أجري على الله ولا يكون على الناس<sup>(١)</sup>.

### مثل شائع خاطئ

امسك الخشب، خمسة في عينك، خمسة وخمسة.

مثل هذه الأقوال، لن تدفع حسداً ولن تغير من قدر الله شيئاً، بل هو من الشرك، ولا بأس من التحرز من العين والخوف مما قد تسببه من الأذى، فإن العين حق، ولها تأثير، ولكن لا تأثير لها إلا بإذن الله، قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين» [رواه مسلم].

والتحرز من العين لا يكون إلا بالرقية الشرعية، عن عبد العزيز قال: دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك ﷺ فقال ثابت: يا أبا حمزة اشتكيت، فقال أنس: ألا أريك برقية رسول الله؟ قال: بلى، قال: قال ﷺ: «اللهم رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً» [رواه البخاري].

ولا يجوز الاعتقاد بأن الخشب بذاته أو الخمسة والخمسة تدفع الضر من دون الله، فالله هو النافع والضرار.

### الاعتذار عند الخطأ

يقول أحد الإخوان: غاضبت الإمام الشهيد البنا مرة وانصرفت، وشعرت بخطئي

(١) الوقت عمار أو دمار (٦٦/٢).



فعدت في اليوم التالي معترداً، فلم يقبل، وأمرني بالرجوع من حيث أتيت!! فعدت كاسف البال، ولكن لست ناقماً، وما راعني إلا أنني بعد عودتي إلى منزلي، أجد باب المنزل يدق، وإذا به الإمام الشهيد ومعه أحد الإخوان ويقول: جئنا تتغدى عندك!<sup>(١)</sup>

### كيف تصلحان غيركما؟

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الأستاذ الهضيبي -رحمه الله- صارماً يملك على ترك الجدال في حضرته، فإذا تخاصم لديه أخوان، بادرهما بعبارة المعروفة عنه: إذا كتما عاجزين عن إصلاح ذات بينكما فكيف تصلحان ذات بين الآخرين<sup>(٢)</sup>.

إذا كنت تغضب من أخيك فكيف ستصلح بين الناس!؟

### الصلح بين عائلتين

انثدب الأستاذ التلمساني لإجراء صلح بين عائلتين كبيرتين، ببلدة دمهوج بمركز قويسنا -منوفية. وكانت إحدى العائلتين من الإخوان، والأخرى غير إخوانية، وبعد استعراض مسببات الخصام وأحداثه، تبين بشكل قاطع أن الحق إلى جانب العائلة الإخوانية، وحسب توجيهات فضيلة المرشد ضرب مثلاً عملياً لأخلاق الإسلام التي يعيشها الإخوان، فطلب من العائلة الإخوانية التنازل عن كل حقوقها، وأن يذهب رؤوس العائلة الإخوانية لزيارة العائلة الأخرى في منازلهم، ليتعلم الناس كيف يعالج الإسلام الخصومات بين الناس، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]<sup>(٣)</sup>.

### ما أراد إلا الحسد

قال الشعبي: أنفذني عبد الملك إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبت، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحبت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟

قلت: لا، ولكني رجل من العرب، فهمس بشيء، فدُفعت إليّ رقعة، وقيل لي: إذا أديت الرسائل عند وصولك إلى صاحبك أوصل إليه هذه الرقعة.

(١) مائة موقف من حياة المرشدين: ٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ١١٢.

قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك، ونسيت الرقعة، فلما صرت في بعض الدار، إذ بدأت بالخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟

قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رددت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟

قلت: لا.

قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره؟ فقلت له: والله لو علمت ما فيها ما حملتها، وإنما قال ذلك لأنه لم يرك.

قال: أفأنتدري لم كتبها؟

قلت: لا، قال: حسدني عليك، وأراد أن يغربني بقتلك.

قال: فبلغ ذلك ملك الروم، فقال: ما أردت إلا ما قال<sup>(١)</sup>.

تذكر أخي الحبيب أن أعداء الإسلام يبذلون كل ما في وسعهم من أجل التفريق بين المؤمنين.

### لفتة طيبة

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الإمام الشهيد إذا أخذ يؤخذك في رفق، يشعرك بالخطأ دون أن يجررك، في ساعات الرضا كان يناديني باسمي المجرد يا عمر، فإذا كان هناك ما يستدعي المؤاخظة ناداني: يا أستاذ عمر، فأشعر على الفور بأن هناك ما لا يرضيه فأسرع قائلاً: ليه هو حصل حاجة؟ ما هو أنا عمر برضه، فتنفج شفاته عن البسمة التي تسترضي كل غاضب، ثم يبدأ في المؤاخظة بعتاب محبب إلى النفوس<sup>(٢)</sup>.

اجعل عتابك لإخوانك برفق وبحب، وكن سليم الصدر، فهدفك توحيد الجهود وتجميع الأمة ونشر الإسلام.

(١) الإمام أبو حنيفة: ٢٨.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين: ٦٨.

## أمثلة رائعة

صعد معاوية المنبر وشرع في خطبته، وكان قد حبس عن الناس عطاياهم شهرين، فناداه أبو مسلم وقال: يا معاوية، إن هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك وأمك، فبأي حق تجبسه عن الناس؟! فبدا الغضب على وجه معاوية وجعل الناس يترقبون ما عسى أن يكون منه، فما كان منه إلا أن أشار إلى الناس: أن امكثوا في أماكنكم ولا تبرحوها، ثم نزل عن المنبر وتوضأ، وأراق على نفسه شيئاً من الماء ثم صعد المنبر، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه بما هو أهله، وقال: إن أبا مسلم قد ذكر أن هذا المال ليس بمالي ولا مال أبي وأمي، وقد صدق أبو مسلم فيما قال، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» [رواه أبو داود] أيها الناس: اغدوا علي أعطياتكم على بركة الله عز وجل.

جزى الله أبا مسلم الخولاني خير الجزاء، فقد كان مثلاً فذاً في الصدع بكلمة الحق، ورضي الله عن معاوية بن أبي سفيان أجزل الرضا، فقد كان نموذجاً رائعاً في الانصياع لكلمة الحق.

## سلامة الصدر عند قبول النصيحة

قال قتادة: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود، فإذا امرأة بارزة على الطريق، فسلم عليها، فردت عليه - أو سلمت عليه - فرد عليها.

فقالت: هيه يا عمر، عهدتك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت.

فبكى عمر، فقال الجارود: هيه، لقد تجرأت على أمير المؤمنين وأبكيته.

فقال عمر: دعها، أما تعرف هذه؟ هذه خولت بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سماواته، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها<sup>(١)</sup>.

هل تقبل النصيحة من إخوانك بصدر رحب،

وإن كانت ممن هو أقل منك وأصغر؟

## حتى مع الخصوم

كان صلاح الدين الأيوبي يقف بجوار خصمه أمام القضاء دون أن يرى في ذلك حرجاً أو غضاظة؛ لأن الحق في نظره أحق أن يتبع، وقد حدث أن ادعى تاجر يدعى (عمر الخلاطي) على صلاح الدين أنه أخذ منه أحد ممالিকে ويدعى (سنقر)، واستولى على ما كان لهذا المملوك من ثروة طائلة بدون وجه حق، وعندما تقدم التاجر المدعي بظلامته إلى القاضي ابن شداد، أظهر صلاح الدين حلماً كبيراً ورضى أن يقف موقف الخصم من صاحب الدعوى، وأحضر كل من الطرفين من لديه من شهود، وما لديه من أدلة يثبت بها رأيه، حتى اتضح في النهاية - عند القاضي - كذب الرجل وادعاؤه الباطل على صلاح الدين، ومع كل هذا رفض صلاح الدين أن يترك المدعي يخرج من عنده خائباً فأمر له بخلعة ومبلغ من المال، ليدلل على كرمه في موضع المؤاخذة مع القدرة<sup>(١)</sup>.

احرص على قلوب إخوانك قبل حصولك على حَقِّك.

## من شيم الكرام

أوقع أعداء الإسلام بين ابن تيمية وسلطان مصر والشام، فُنقل إلى مصر وتمت محاكمته بحضور القضاة وكبار رجال الدولة، فحكموا عليه بالحبس سنة ونصفاً في القلعة، ثم أخرجوه من السجن، وعقدوا جلسة مناظرة بينه وبين منافسيه وخصومه، فكسب ابن تيمية المناظرة، ورغم ذلك لم يتركه الخصوم، فنفي إلى الشام، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر وحُبس، ثم نقل إلى الإسكندرية حيث حبس هناك ثمانية أشهر، واستمرت محنة «ابن تيمية» واضطهاده إلى أن عاد إلى القاهرة حيث قرر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون براءته من التهم الموجهة إليه، وأعطاه الحق في عقاب خصومه الذين كانوا السبب في عذابه واضطهاده، لكن الإمام ابن تيمية فضل أن يعفو عنهم!! وهكذا تكون شيم الكرام<sup>(٢)</sup>.

(١) صلاح الدين الأيوبي عبد الله ناصح علوان: ١١٢.

(٢) أعلام المسلمين: ١٢٥.

## خلق رفيع

يقول الحاج أحمد أبو شادي: حدث أن كنت عائداً من دورة المياه بعد أن قضيت حاجتي، فلمحت الأستاذ عمر متجهاً إلى الدورة وهو يسرع الخطى، فألقيت عليه التحية فلم أتلق منه رداً، وفسرت الأمر بأنه لم يسمعي بالتأكيد، ولما عدت إلى العنبر بعد أكثر من ساعة أخبرني رفاقي أن الأستاذ عمر جاء يسأل عني أكثر من مرة، وأنه كان يبدو قلقاً، وأكد عليهم إبلاغي في أول فرصة، وما أن علمت برغبته حتى سارعت إلى لقائه، وأشد ما كانت دهشتي حين رأيته وكان جالساً فنهض واقفاً يضمني إلى صدره ويعتذر في حياء جم دونه حياء العذارى، مؤكداً لي أنه لم يتمكن من رد التحية بسبب هجمة البول التي كانت كثيراً ما تهاجمه، ورحت بدوري أهون عليه الأمر ذاكراً أنني والله ما ظننت به إلا خيراً، ولا أتصور أن مثله تفوته هذه البديهة، أو أنه قطعاً لم يسمعي، ولكن الرجل ظل ولفترة طويلة كلما لقيني يبادرني معتذراً<sup>(١)</sup>.



(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة: ٢٦٧.

## حفظ اللسان

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قلت: يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» [رواه الترمذي].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يتكفل بي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له الجنة» [رواه الترمذي].

وعن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعصم به، فقال: «قل رب الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا» [رواه الترمذي].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإنك إن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا» [رواه الترمذي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [رواه البخاري].

ومن الآثار:

كان أبو بكر الصديق يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان، وقال طاووس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

وقال سفيان الثوري: لأن ترمي إنساناً بسهم أهون من أن ترميه بلسانك، فإن السهم قد يخطئه، واللسان لا يخطئه.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: أنصف أذنك من فيك، فإنما جعل لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم.

ويقول الحسن البصري: إن لسان المؤمن من وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه، ولم يتدبره بقلبه.

وقيل لبكر بن عبد الله المزني: إنك لتطيل الصمت؟

فقال: إن لساني سبع، إن تركته أكلني.

قد أفلح الساكت الصموت      كلامه قد يعد قوت  
ما كل نطق له جواب      جواب ما يكره السكوت

### آفات اللسان

١- الكلام فيما لا يعينك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» [رواه الترمذي].

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، قل خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلّم، إن من شأن الساعي إلى الكمال على الطريق أن يقبل على كل أمر ينفعه، فالسبل المفضية إلى ما رامه وأمله، يجتنب كل أمر يعوقه ويقطع سيره، ويتأبى بنفسه عن كل ما من شأنه أن ينزل قدره، ويقضي على وقته وحياته ورأس ماله، فتراه مترفعاً عن اللغو واللغو، قد شغل نفسه بما يفيدها في حياته؛ إن رأى أمراً من اللغو أعرض عنه وأكرم نفسه عنه، إذ زمنه عنده ثمين، فلا تمتع عنده للغو أو للغو مهين.

ورحم الله بشار يوم قال متحدثاً بنعمة الله عليه: منذ ثلاثين سنة ما تكلمت بكلمة أحتاج أن أعتذر عنها.

مجالسهم مثل الرياض أنيقة      لقد طاب منها اللون والريح والطعم

وقال مالك بن ضيغم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر، فقلنا: هو نائم، فقال: أنوم في هذه الساعة؟ أهذا وقت نوم، ثم ولى منصرفاً، فأتبعناه رسولاً، فقلنا: قل له: ألا نوقظه لك؟ قال: فأبطأ علينا الرسول، ثم جاء وقد غربت الشمس، فقلنا: أبطأت جداً، فهل قلت له؟ قال: هو كان أشغل من أن يفهم عني شيئاً، أدركته وهو يدخل

المقابر، وهو يعاتب نفسه، ويقول: قلت: نوم هذه الساعة؟ أفكان هذا عليك؟ ينام الرجل متى شاء، وقلت: هذا وقت نوم؟ وما يدريك أن هذا ليس بوقت نوم؟ تسألين عما لا يعينك، وتتكلمين بما لا يعينك، أما إن الله عليَّ عهدًا لا أنقضه أبدًا إلا أوسدك الأرض لنوم حولاً، إلا لمرض حائل أو لذهاب عقل زائل، سوءة لك، أما تستحيين؟ كم توبخين؟ وعن غيك لا تنتهين؟

قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته<sup>(١)</sup>.

٢- فضول الكلام من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع

قال مجاهد: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: خمس هن أحب إلي من الدُّهُم الموقوفة: لا تتكلم فيما لا يعينك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر.

- ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً.

- ولا تمار حليماً ولا سفيهاً.

- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به.

- واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإساءة.

٣- التفحش وبيذاء اللسان

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «ياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش» [رواه أحمد].

قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [رواه البخاري].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يلعن الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه» [رواه البخاري].

قال أبو الدرداء: إن ناقدت الناس ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك، وإن هربت منهم أدركوك، فالعاقل من وهب نفسه وعرضه ليوم فقره، وما تجرع مؤمن جرعة أحب إلى الله



عز وجل من غيظ كظمه، فاعفوا يعزكم الله، وإياكم ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام.

وقال عبد الله بن مسعود: أعظم الخطايا الكذب، وسب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن صبر على الرزية يعقبه الله خيراً منها<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - اللعن

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: قال رسول الله: «لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم» [رواه الترمذي].

وعن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعتها، فسمع ذلك صلى الله عليه وسلم فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة» قال عمران: فكأنني أراها تمشي في الناس وما يعرض لها أحد [رواه مسلم].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن اللعائن لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة» [رواه مسلم].

واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى. واللعن ثلاث مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف العام، قولك: لعنة الله على الكافرين والفاسقين.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص، قولك: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس والظلمة وآكلي الربا.

الثالثة: اللعن للشخص المعين وفيه خطر كبير كقولك: لعنة الله على زيد أو هو كافر إلا ما ثبتت لعنته شرعاً كفرعون وأبي جهل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يرمي رجل رجلاً رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك» [رواه البخاري].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا » [رواه البخاري].

#### ٥ - الغيبة

عن أبي هريرة ؓ: قال رسول الله ﷺ: « كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه » [رواه مسلم].

وقال ابن عباس ؓ: إذا أردت أن تذكر عيوب أخيك فاذكر عيوبك.

وقال أبو هريرة ؓ: تبصر القذى في عين أخيك ولا تبصر الجذع في عين نفسك.

الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه.

عن أبي هريرة ؓ: قال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما الغيبة؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « ذكرك أخاك بما يكره » قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته » [رواه مسلم].

#### الغيبة لا تقتصر على اللسان

عن أبي حذيفة أن عائشة رضي الله عنها حكّت امرأة عند النبي ﷺ ذكرت قصتها فقال النبي ﷺ: « قد اغتبتيها » [رواه أحمد].

ومن ذلك المحاكاة يمشي متعرجاً فهو أشد من الغيبة.

جاء في صحف إبراهيم عليه السلام: على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه.

وعن مالك بن دينار - رحمه الله - أنه قال: إذا رأيت قساوة في قلبك، أو وهناً في بدنك، أو حرماناً في رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعينك.

وقال ثقمان لابنه: يا بني من رحم يُرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يفعل الخير يغنم، ومن فعل الشر يائثم، ومن لم يملك لسانه يندم<sup>(١)</sup>.

ويروى أن رجلاً اغتاب الحسن البصري، فما كان منه إلا أن أرسل إليه بطبق من

(١) بحر الدموع: ١٤٦.

الخلوى قائلاً له: بلغني أنك نقلت حسناتك إلى ديواني وهذه مكافأتك<sup>(١)</sup>.

### احذروا الغيبة

كان الأستاذ الهضبي لا يصرح برأيه في جمال عبد الناصر، وكان يحسب للغيبة ألف حساب، وكان يحذر من الخوض في أعراض الناس ويقول: هل نسيتم أن الغيبة من الكبائر؟<sup>(٢)</sup>.

ومر عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت قد انتفخ، فوقف عليه وقال: والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ جوفه خير من أن يغتاب أخاه.

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: من أكل لحم أخيه في الدنيا، قرب إليه لحمه في الآخرة، فقليل له: كله ميتاً، كما أكلته حياً، فيأكله وينضج ويصبح ويكلىح.

وقال سفيان الثوري: إياك والغيبة، إياك والوقوع في الناس، فيهلك دينك.

### قصة مؤثرة

في عهد الإمام مالك بن أنس -رحمه الله- كانت امرأة مغسلة تغسل امرأة ميتة، وبينما هي تصب الماء عليها إذا بها وهي تمرر يدها عليها تقول: كثيراً ما زنى هذا الفرج، فماذا حدث؟ لقد التصقت يد المغسلة بجسد المرأة الميتة، وكان بينه وبين يد تلك المرأة مغناطيسية شديدة الجذب.

فماذا تفعل المرأة المغسلة؟ وماذا يفعل من حولها؟ إنهم يريدون أن يدفنوا الميتة، فما كان منهم إلا قاموا باستشارة العلماء، فمن قائل: تقطع يد المغسلة؛ لأن حرمة الميت كحرمة الحي، ومن قائل: نقطع شيئاً من جسد الميتة فالحي أولى من الميت، واضطربت الآراء، لكنهم قالوا: كيف نفتي وإمامنا مالك بين أظهرنا؟!

ثم ذهبوا إلى الإمام مالك، فقال لهم: قولوا للمغسلة: ماذا قلت في حق الميتة؟

فقالت المغسلة: قلت: كثيراً ما زنى هذا الفرج.

فقال الإمام: هذا قذف، وأرى أن تجلد المرأة المغسلة ثمانين جلدة من وراء حجاب،

(١) أعلام المسلمين: ٢١.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين: ١٠٩.

وبالفعل جلدوا المغسلة فانفصلت يدها عن جسد الميتة<sup>(١)</sup>.

إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن لم تستطع أن تنفع الناس فأمسك شرك عنهم، وإن كنت لا تستطيع الصوم، فلا تأكل لحوم الناس.

وقال كعب الأحبار: قرأت في كتب السابقين: أن من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرماً عليها كان أول من يدخل النار<sup>(٢)</sup>.

ومر عيسى مع الحواريين على جيفة كلب. فقال الحواريون: ما أنتن ربح هذا؟!!

فقال عيسى: ما أشد بياض أسنانه! (يعظهم وينهاهم عن الغيبة).

### الأعداء المرخصة في الغيبة

#### ١ - غيبة أهل الفساد:

تقص السيدة عائشة رضي الله عنها موقفاً يدل على جواز غيبة أهل الفساد فتقول: استأذن رجل على رسول الله ﷺ: «أئذنوا له، بس أخو العشيبة أو ابن العشيبة» فلما دخل الرجل الآن له الكلام. قالت عائشة: يا رسول الله، قلت له الذي قلت، ثم أئنت له الكلام؟ فقال: «أي عائشة، إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه» [رواه البخاري].

#### ٢ - ذكر مساوئ الزوج:

تقول فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا جهم، ومعاوية خطباني، فقال: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة بن زيد»، فكرهته، ثم قال: «أنكحي أسامة بن زيد» فنكحته، فجعل الله فيه خيراً [رواه مسلم].

#### ٣ - الغيبة عند الاستفتاء والتظلم:

هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ؓ قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، فأحتاج أن أخذ من ماله، قال ﷺ: «خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف» [رواه البخاري].

(١) مواقف إيمانية للنساء: ٢٩٦.

(٢) تنبه للغافلين: ١٢٤.

فقد ذكرت هند صفة ذميمة في شخص زوجها في غيبته، ولم ينكر عليها الرسول ﷺ؛ لأجل أنها في الحكم الشرعي لذلك.

٤- موقف أهل البدع:

قال الحسن البصري: ليس في أصحاب البدع غيبة.

وقال سفيان بن عيينة: ثلاث ليس لهم غيبة: الإمام الجائر، الفاسق المعلن بفسقه، والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته.

وجمع ابن أبي شريف في هذه الستة في بيتين من الشعر:

الذم ليس بغيبة في ستة      متظلم ومعرف ومخذر  
والمظهر فسقاً ومستفت ومن      طلب الإعانة في إزالة منكر

كفارة الغيبة: «اللهم اغفر لنا وله».

جاء أن رجلاً قال للحسن البصري: بلغني أنك تغتابني؟

فقال: ما بلغ قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي.

٥- إفشاء السر:

قال رسول الله ﷺ:

«إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة» [رواه الترمذي].

يقول ابن الجوزي: رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به، فواعجباً كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً ثم لاموا من أفشاه، ولعمري إن النفس يصعب عليها كتم الشيء، وترى بإفشائه راحة، خصوصاً إذا كان مرضاً أو همّاً أو عشقاً، وهذه الأشياء في إفشائها قريبة، إنما اللازم كتمانها احتيال المحتال فيما يريد أن يحصل به غرضاً، فإن من سوء التدبير إفشاء ذلك قبل تمامه، فإذا ظهر بطل ما يراد أن يفعل، ولا عذر لمن أفشى هذا النوع، وقد كان النبي ﷺ إذا أراد سفرًا ورى بغيره<sup>(١)</sup>.

٦- الوعد الكاذب: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى

وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان» [رواه أحمد].

٧- الكذب:

قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب» [رواه أبو داود].

فليحذر المسلم من الكذب مهما كان حتى لا يدخل في دائرة النفاق. ومن أنواع الكذب:

كذب الحكام على الشعوب

مثل أن يذكر بعض الحكام بأن هناك تنمية اقتصادية كبيرة، وأنه قد تم القضاء على الفقر، وسيتم توفير فرص العمل لكل الشباب و... ثم لا يجد الشعب شيئاً من هذه الأمور وينخدعون بما يقال.

الكذب في دين الله

قال رسول الله ﷺ: «إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» [رواه البخاري].

فعلى كل مسلم أن يتأكد من صحة أحاديث النبي ﷺ.

الكذب على الأطفال

لا تكذب على أولادك بحجة إسكاتهم أو ترغيبهم، فإن ذلك يعودهم على الكذب عن طريق المحاكاة والقدوة السيئة.

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعيتني أُمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك، فقال لها الرسول ﷺ: «وما أردت أن تعطيه؟» قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة» [رواه أبو داود]؛ لأن الإسلام يوصي أن نغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة» [رواه أحمد].

علم أولادك عدم التفريق بين أنواع الكذب، فتقول: هذه كذبة بيضاء لا تؤثر، وألا

يضحك زملاءه بنكتة كاذبة يسخر فيها من أحد، ويتعلم الاعتراف بالخطأ فلا يكذب على المدرس مثلاً إن لم يقم بعمل الواجب ويقول: عندي واجبات كثيرة أو يقول: كنت أذاكر لإخوتي الصغار.

#### من المقولات الخاطئة

إن الله يحب عبده الفشار، ويكره عبده المكار. أو يكذب الناس ويقولون: كذبة إبريل. ومن الناس من يعود أبناءه على الكذب فيجلس في البيت وإذا سأل عليه شخص قال لابنه: اذهب فقل له: إن أبي غير موجود بالمنزل، وبهذا يتعود الطفل الكذب.

#### الكذب في المدح

المدح مدرجة إلى الكذب؛ عن أبي بكره قال: أثنى رجل على رجل عند رسول الله فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه» [رواه البخاري].

#### الكذب في الموعد

كان رسول الله ﷺ يقدس الكلمة التي يقولها، وذلك إشارة إلى الرجولة الكاملة فعن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية، فوعده أن آتية بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاثة، فجيئت فإذا هو في مكانه فقال: «يا فتى لقد شققت علي!! أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك» (وكان يأتي في الموعد المضروب بينهما) [رواه أبو داود].

فإذا أعطيت موعداً فلا بد أن تكون صادقاً في الالتزام به حفاظاً على أوقات الآخرين، ولا تعتذر إلا لضرورة ويكون الاعتذار مسبقاً.

#### الكذب في البيع والشراء

قال رسول الله ﷺ: «إن التجار هم الفجار» فقليل: يا رسول الله، أليس الله قد أحل البيع؟ قال: «بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون ويخلفون فيأثمون» [رواه أحمد]. وعن أبي ذر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالخلف الفاجر، والمسبل إزاره» [رواه مسلم].

ومن مظاهر الكذب في البيع والشراء في الأسواق: الإعلانات التي تعطي معلومات غير صادقة، والأيمان المغلظة بأن السلعة ممتازة ولا يوجد أفضل منها أو بعدم وجود عيوب بها.

### الكذب عند الضحك

كان رسول الله ﷺ يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا صدقاً، جاء رجل يسأله أن يحمله على بعير، فقال له الرسول: «إني حائك إلا على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، وماذا أصنع بولد الناقة؟! انصرف ذهنه إلى الصغير، فقال: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟» [رواه الترمذي].

### الكذب في الشهادة

من ينتخب شخصاً في الانتخابات وهو لا يستحق فقد كذب في الشهادة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، والحيف في الشهادة من أشنع الكذب.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً، قلنا: بلى، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وكان متكئاً فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [رواه البخاري].

لأن شهادة الزور تؤدي إلى الفساد الاجتماعي والاقتصادي، ولقد انتشرت شهادة الزور في الواقع المعاصر، حتى أصبحت تجارة أمام المحاكم، يأتي الظالم برجلين من عملاء الزور، ويقول لهما: اشهدا بكذا وأنا أعطيكما كذا وكذا، ويذهب الرجلان ويقفان أمام القاضي ويقسمان بأنهما سيقولان الحق، ثم يشهدان زوراً، ومن نماذج شهادة الزور في عصرنا: شهادات توثيق الميلاد أو الخبرة المزورة، وشهادات التوصية للعمل أو الترقية المزورة، والتزوير في الانتخابات وفواتير البيع والشراء المزورة.

### جواز الكذب

يقول ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواضع خير من الصدق.

وعن أم كلثوم رضي الله عنها قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: «الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها» [رواه أحمد].



٨- النميمة

قال بعض الحكماء: النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل إليك، فقد نقل عنك، والساعي بالنيمة كاذب لمن يسعى إليه، وخائن لمن يسعى به.

وقال الشاعر:

احفظ لسانك لا تؤذ به أحداً من قال في الناس عيب قيل فيه بمثله

يقول ابن الجوزي: اتق الله، واشتغل بعيوبك عن عيوب الناس، ولا تكن كمثل الذباب الذي لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد، ولا ينزل عليها، وإنما يقع على القروح فيدميها.

فمن بحث عن مساوي الناس، واتبع عوراتهم، واشتغل بعيوب غيره، وترك عيبه، سلط الله تعالى عليه من يبحث في عيبه، ومساوئه ليشرها، ويتبع عوراته ويبيديها وينشرها.

عن أبي برزة السلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» [رواه أحمد].

الصمت نفع والكلام مضرة      فلرب صمت في الكلام شفاء  
فإذا أردت من الكلام شفاء      لسقام قلبك فالقرآن دواء

يقول صاحب الإحياء: كل من حُملت إليه نميمة وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا وكذا فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يصدقها؛ لأن المنام كذاب وفاسق، وهو مردود الشهادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦].

الثاني: أن ينهأ عن ذلك وينصحه ويقبحه؛ لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان: ١٧].

الثالث: أن يبغضه في الله لأنه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: ألا تظن بأخيك الغائب سوءاً لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: أن لا يملك ما حكى لك على التجسس والبحث للتحقق، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: لا ترضى لنفسك ما نهيت الناس عنه، ولا تحك نميمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به غاماً ومغتَاباً، وتكون قد أتيت لما عنه نهيت.

وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

ومر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى، إنه كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» [رواه البخاري].

قال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حياً.

وقال أحد الحكماء: لا تأمن من كذاب لك، أن يكذب عليك، ومن اغتاب عندك غيرك، أن يغتابك عند غيرك.

وقال عبد الرحمن بن عوف: من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أناها.

وقال الحسن: من نم لك نم عليك، وهذه إشارة إلى أن المنام يجب أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والعدو والخيانة والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة؟ وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢].

وجاء عن علي أن رجلاً سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن

كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبتك، وإن شئت أن نقيك أفلناك.  
فقال: أفلنا يا أمير المؤمنين.

وقال رجل لعمر بن عبيد: إن الأسواري ما يزال يذكر في قصصه بشر، فقال عمرو: يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

### شر النمام عظيم

وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى.

قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة.

قال: رضيت، فاشتراه، فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتزوج عليك، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وترى أن تقتلك، فتناوم لها حتى تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين.

\*\*\*

## الدعوة إلى الله

أول داع إلى الله هو الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

جميع الرسل دعوا إلى الله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١١٠﴾ آل عمران: ١١٠، هذه الآية الكريمة أفادت أمرين:

أولاً: خيرية هذه الأمة.

ثانياً: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف بخلاف المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿٦٧﴾ [التوبة: ٦٧].

المكلف بالدعوة كل مسلم ومسلمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

وتؤدي الدعوة بصورة فردية وبصورة جماعية، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴿١٠٤﴾ آل عمران: ١٠٤ يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «المقصود أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة مجسبه».

وأشار أبو حنيفة إلى ضرورة التجمع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه الجهود الجماعية لتحقيق هذا المقصود.

### مهمة المسلم

يقول البنا: إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى في آية واحدة في كتابه، ورددها القرآن الكريم بعد ذلك في عدة آيات، فأما تلك الآية التي اشتملت على مهمة المسلم في الحياة فهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

فِي الدِّينِ مَنْ حَرَجَ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٧﴾ [الحج، ٧٧].

هذا كلام لا لبس فيه ولا غموض، والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لو اوضح كالصبح ظاهر كالنور، يملأ الآذان، ويدخل على القلوب بغير استئذان، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقبالاً لا تعي ولا تتدبر؟

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التي هي لب العبادة وعمود الإسلام وأظهر مظاهره، وأن يعبدوا الله لا يشركون به شيئاً، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا، وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاهم بذلك عن الشر، وإن من أول الخير أن تترك الشر، فما أوجز وما أبلغ! ورتب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هي المهمة الفردية لكل مسلم التي يجب أن يقوم بها بنفسه في خلوة أو جماعة<sup>(١)</sup>.

### نصيحة

يقول البهي الخولي: اعلم أن مثل الداعية القوي المؤمن كمثل السيل المنحدر من شواهد الجبال.. فيه منه قوة الاندفاع، وفيه منه للناس سر الانتفاع، ولكن السيل لا يعجل إلى العقبات أو الهضاب فيمزقها، بل يدور حولها ويحيط بأطرافها، ويمضي إلى ما خلفها، ويتركها معزولة عما عداها، ثم يعلو ماؤه ويغزر فيضه، فيرتفع على جوانبها بالتدرج حتى يغطي قممها، ويخضع لسلطانه برءوسها الشاخحة. فرسالتك أيها الداعية قد نزلت من الماء لا من الجبل، وأنت سر اندفاعها وانتفاع قلبها، وأنت الذي يجب أن تسبح بدعوتك في كل مكان، فإذا صادفتك عقبة من قانون عتيد، أو شخصية طاغية، فلا تعرض لها بغير ما يعرض لها السيل، ادعها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تقف عندها فذلك خرق وجهل، بل افعل ما يفعل السيل؛ در حولها، وامض في سبيلك إلى ما وراءها، وادع الناس إلى جانبك حتى تغدو منعزلة عما عداها، ويقنعها الواقع بقوة أمر الله، أو يغيبها الله عن النظر<sup>(٢)</sup>.

(١) الرسائل: ٤١.

(٢) تذكرة الدعاة، بتصرف ٢٥٣.

## الأعداء يخططون

يقول المبشر تكلي: يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيرا من المسلمين قد زرع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلم اللغات الأجنبية.

ويقول زويمرزعيم المبشرين النصارى: ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلا بد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية، ونسهل التحاقهم بها، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الإسلامية عند الطلاب<sup>(١)</sup>.

## الفعل قبل القول

يقول سيد قطب: الدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها، فهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولا جميلا، ويشاهدون فعلا قبيحا، فتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعله الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين<sup>(٢)</sup>.

يقول أبو العتاهية:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما	إذا عبت منهم أمورا أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها	وأنت أشد منهم رغبة فيها
كالملبس الثوب من عري وعورته	للناس بادية ما إن يواربها <sup>(٣)</sup>

## الرسول قدوة في الدعوة

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد إسلام خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي: «دين الله الذي

(١) أخلاق الدعاة ١٤٠.

(٢) الظلال (١: ٦٨).

(٣) أخلاق الدعاة ١٢١.

اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى».

فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا علي، إذا لم تسلم فإتكم»، فمكث على تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول الله، حتى جاءه فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله: «تشهد أن لا إله إلا الله و حده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد»، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكنتم إسلامه، ولم يظهر به.

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب، مستخفيا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان، فقال لرسول الله: يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ فقال: «أي عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله رسولا إلى العباد وأنت يا عم أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني وأعانني عليه»، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت<sup>(١)</sup>.

### حب الخير للناس

يقول الحاج أحمد أبو شادي: لعب الأخ إبراهيم دورا غاية في الذكاء.. دور المسلم الذي يتمنى الخير للناس جميعا، كيف وقد ذاق حلاوة الإيمان في ظل الجماعة أن يبخل على رفيق عمره بهذه المحنة؟ إنه يعلم مدى إتقاني لتلاوة القرآن الكريم وانتهازها فرصة ليصعد بي إلى المنصة، فأسر إلى الأخ المشرف على تنظيم الحفل بشيء، وبعدها انبعث صوت الميكروفون: القرآن الكريم من الأخ أحمد أبو شادي.. أخ.. وكانت مفاجأة.. إيه الورطة دي يا عم إبراهيم؟ فكلمة أخ كانت إذ ذاك ثقيلة على نفسي وسبحان الله بعد أن من الله علي بهذه الدعوة صارت هذه الكلمة وساما أفخر به ولا أود أن لي بها القاب سلاطين الدنيا.. ولم أر مفرا من الإذعان، وقمت متثاقلا واعتليت المنصة وشرعت في

(١) علي بن أبي طالب، للصلاحي (١/٣٩، ٤٠).

تلاوة صدر سورة الأنفال وفيها ذكر غزوة بدر، حتى أتيت قول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهِونَ﴾ ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٥، ٦] وأحسست أنني من الفريق الكاره الذين ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

### بانع أشرطة الفيديو:

قصة يرويها صاحبها فيقول: أنا شاب أردني، قدمت إلى السعودية (تبوك) بحثاً عن عمل، ولم أكن آنذاك مسلماً حقيقياً، وإنما كنت مسلماً بالوراثة كحال كثير من المسلمين في هذا الزمن العصيب. في البداية عملت في أحد المطاعم، ثم طلب مني صاحب المطعم أن أعمل في محل له لبيع أشرطة الفيديو، وما أدراك ما أشرطة الفيديو! وما فيها من الخلاعة والمجون، وفي إحدى الليالي، دخل علي شاب مشرق الوجه، بهي الطلعة، تبدو عليه علامات الصلاح والالتزام. وعجبا، ماذا يريد هذا الشاب؟ قتلها في نفسي. مد هذا الشاب يده وصافحني بحرارة، وقد علت محياه ابتسامة رائعة، تأسر القلب، وتزيل الوحشة، وتحطم الحواجز النفسية التي كثيرا ما تقف حائلا تمنع وصول الخير إلى من هم في أمس الحاجة إليه، ثم نصحني نصيحة موجزة، وحذرنني من عاقبة مثل هذا العمل، وما يترتب عليه من إفساد للمجتمع، ونشر للرزيلة بين أفرادها، وأن الله سيحاسبني على ذلك يوم القيامة، وبعد أن فرغ من حديثه، أهدى إلي شريطا عن «كرامات المجاهدين».. كنت أسكن بمفردي، وأعاني من وحدة قاتلة، وقد مللت سماع الأغاني ومشاهدة الأفلام، فدفعتني الفضول للاستماع لذلك الشريط.. وما إن انتهيت من سماعه حتى انتابني شعور بالخوف والندم، واكتشفت حقيقة حالي وغفلتي عن الله، وتقصيري تجاه خالقي سبحانه فانخرطت في البكاء، بكيت بكاء مرا كما يبكي الطفل الصغير من شدة الندم، لقد تحدث الشيخ عن كرامات المجاهدين وبطولاتهم وقد باعوا أنفسهم لله، وحملوا أرواحهم على أكفهم ليقدموها رخيصة في سبيل الله، فعقدت مقارنة بينهم وبين من ينشر الرذيلة والفساد، ويعيش كما تعيش البهائم لا هم له إلا إشباع شهواته البهيمية، الأدهى من ذلك أنني لم أركع لله ركعة واحدة منذ اثني عشر عاما مضت من عمري الحافل بالضياع

(١) رحلني مع الجماعة الصامدة ٣٧، ٣٨.



والمجون، لقد ولدت تلك الليلة من جديد، وأصبحت مخلوقاً آخر لا صلة له بالمخلوق السابق، وأول شيء فكرت فيه: التخلص من العمل في ذلك المحل، والبحث عن عمل شريف يرضي الله عز وجل، ولكن، أأنجو بنفسى وأدع الناس في غيهم وضلالهم؟ فرأيت أن أعمل في محل الفيديو سنة أخرى ولكنها ليست كالسنوات السابقة، لقد كنت في تلك السنة أنصح كل من يرتاد المحل بخطورة هذه الأفلام، وأبين لهم حكم الله فيها، راجياً أن يغفر الله لي، ولم تمض الأيام حتى جاء شهر رمضان.. هذا الشهر الذي لم أشعر بجلاوته إلا في هذه السنة؛ فقد أقبلت على قراءة القرآن، أما العمل فقد كان بجوار محل الفيديو الذي كنت أعمل فيه، تلك التسجيلات لبيع الأشرطة الإسلامية وما إن مضت السنة الخامسة حتى انتقلت إلى تلك التسجيلات الإسلامية.. وشتان بين العاملين.. أما صاحب المحل السابق محل الفيديو فقد قمنا بنصحه وتذكيره بالله ونحمد الله أنه استجاب وترك المحل لوجه الله<sup>(١)</sup>.

### تفسير آية

جلس الحسن البصري ذات يوم في مسجد البصرة الكبير يفسر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] ثم وعظ الناس وعظاً بليغاً حتى أبكاهم وكان من بينهم شاب يقال له عتبة، فقام وقال: أيها الشيخ، أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي إذا تاب؟

فقال الحسن: نعم يقبل توبتك عن فسقك وفجورك، فلما سمع الشاب ذلك صاح صيحة وخر مغشياً عليه، فلما أفاق دنا الحسن البصري منه وقال له:

أيها شاب لرب العرش عاص	أتدري ما جزاء ذوي المعاصي
سعيير للعصاة لها زفير	وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي
فإن تصبر على النيران فاعصه	وإلا كن عن العصيان قاصي
وفيم قد كسبت من الخطايا	رهنت النفس فاجهر في الخلاص

فخر الشاب مغشيا عليه، ثم أفاق، فسأله الحسن: هل يقبل الرب الرحيم توبة لثيم مثلي؟ فقال الحسن: هل يقبل توبة العبد الجافي إلا الرب المعافي؟ ثم رفع رأسه، ودعا له، فأصلح الله حال الشاب<sup>(١)</sup>.

**أليس لها ثمن؟**

ذات يوم كان يسير عبد البديع صقر مع حسن البنا في سكة راتب باشا، فمال الإمام حسن البنا على تاجر البطيخ، وطلب واحدة وقال: كم تريد؟ فقال: خمسة عشر قرشا، فدفعها على الفور.

فقال له: يا فضيلة الأستاذ.. هذا الرجل غشاش، إنها بعشرة قروش فقط. فنظر إليه مبتسما وقال: والدعوة.. أليس لها ثمن<sup>(٢)</sup>.

يقول عبد البديع صقر: إنه عندما كان يعمل معاونا في الدار، كانوا يدعون الناس لحفلة شاي، فيجتمع ما لا يقل عن مائة من الناس، ويقدمون لهم الشاي، ويقوم أحد الإخوان، مبينا أهمية الترابط والتآخي، فيخرج الجمع وقد تأثر بالدعوة عدد لا بأس به، والحفلة لم تتكلف أكثر من جنيه واحد، بفضل جهود وتعاون الإخوان<sup>(٣)</sup>.

**تعرف على الآخرين**

قدم إلى الأستاذ البنا أكثر من مائة كارنيه بأسماء شباب الجوالة في إحدى المحافظات لتوقيعها، فراح يمعن النظر في صورة كل جوال ويحفظ اسمه، ولما توجه بعد أكثر من سنة لزيارة بعض قرى هذه المحافظة، كان يلتقي بالإخوان ويناديهم بأسمائهم، ولم يكن قد التقى بهم من قبل، فكان ذلك مثار دهشة الجميع<sup>(٤)</sup>.

هل تتعرف على كل من تلقاه حتى وإن لم يطلب منك ذلك؟

**رجل الدعوة**

جاء أحد كبار ضباط السلطة يشكو للناظر من هذا المدرس (أحمد ياسين عندما كان

(١) أعلام المسلمين ٢٣-٢٤.

(٢) حكايات عن الإخوان (٢/٥٦).

(٣) حكايات عن الإخوان (٢/٥٩).

(٤) رحلتي مع الجماعة الصامدة ٣٥١.

مدرسا للغة العربية والتربية الدينية) لأنه يجمع الأولاد في المسجد، وهو ما لم يتعود الناس عليه، فقال له الناظر: أنا سعيد جدا بهذا المدرس وسأقدم له كتاب شكر على ذلك، فأين لنا المدرس الذي يدرس الدين عمليا في المسجد؟ وحبذا لو كان في كل مدرسة في القطاع مدرس مثله!

ولقد جاء طبيب للناظر وقال: يا عمي قبلنا أن يصلي الولد، وقبلنا أن يذهب للمسجد، أما أن يصوم اثنين وخميس من كل أسبوع فهذا أمر صعب ولا نقبل به. وكانت إجابة الناظر نفس الإجابة الأولى في الموقف السابق<sup>(١)</sup>.

### وصايا غالية

يقول البنا: آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه، والاستناد إليه، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه، وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات، وكونوا أقوياء بأخلاقكم، أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين.

وأقبلوا على القرآن تدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين، فإذا هدى الله قوما أهمهم العمل، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، وتحابوا فيما بينكم، واحرصوا كل الحرص على رابطةكم فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين.

واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر والمنشط والمكره فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم، وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأيدته، والفرصة آتية لا ريب فيها ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [الروم: ٤، ٥]<sup>(٢)</sup>.

### فن الدعوة إلى الله

١- البعد عن مواضع الخلافات:

يتحدث المسلم إلى الناس في الأمور المتفق عليها حتى لا يتعرض للدخول في جدال

(١) شهيد أيقظ أمة ١٩.

(٢) الرسائل: ١١٠، ١١١.

لا طائل تحته، واحذر فضول الكلام، حدث محمد بن سوقة جماعة من زواره قال: ألا أسمعكم حديثاً لعله ينفعكم كما نفعني؟ قالوا: بلى، قال: نصحني عطاء بن أبي رباح ذات يوم قال: يا ابن أخي: إن الذين من قبلنا كانوا يكرهون فضول الكلام، فقلت: وما فضول الكلام عندهم؟ فقال: كانوا يعدون كل كلام فضولاً ما عدا كتاب الله عز وجل أن يقرأ ويفهم، وحديث رسول الله أن يروى، أو أمراً بمعروف ونهياً عن منكر، أو علماً يتقرب به إلى الله، أو أن تتكلم بمجانتك ومعيشتك التي لا بد لك منها، ثم حدق إلى وجهي وقال: أتذكرون ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] وأن مع كل منكم ملكين ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۗ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨] ثم قال: أما يستحي أحدنا لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره، فوجد أكثر ما فيها ليس من أمر دينه، ولا أمر دنياه؟!<sup>(١)</sup>

## ٢- البدء بالأهم:

بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى أهل اليمن، فقال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بما فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم» (لا تأخذ أفضلها عندما تجمع زكاة أموالهم). [مسلم].

## ٣- الرفق:

قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع منه إلا شانه» [مسلم].

وروى عن عروة بن الزبير أنه رأى رجلاً يصلي صلاة خفيفة، فلما فرغ من صلاته دعاه إليه وقال له: يا ابن أخي، أما كانت لك عند ربك جل وعز حاجة؟ والله إنني لأسأل ربي في صلاتي كل شيء حتى الملح<sup>(٢)</sup>.

(١) صور من حياة التابعين ١٤: ١٦.

(٢) صور من حياة التابعين ٤٣.

٤- مخاطبة الناس على قدر عقولهم:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله. علمني الحلاق:

نفع الله عز وجل بعلم عطاء بن أبي رباح طوائف كثيرة من الناس، منهم أهل العلم المتخصصون، ومنهم أرباب الصناعات المحترفون، ومنهم غير ذلك، حدث الإمام أبو حنيفة النعمان عن نفسه قال: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حلاق؛ وذلك أنني أردت أن أحلق لأخرج من الإحرام، فأتيت حلاقا، وقلت: بكم تحلق لي رأسي، فقال: هداك الله، النسك لا يشارط فيه، اجلس وأعط ما تيسر لك، فجلست وجلست، غير أنني جلست منحرفا عن القبلة، فأوما إلي بأن أستقبل القبلة، ففعلت، وازددت خجلا على خجلي، ثم أعطيته رأسي من الجانب الأيسر ليحلقه، فقال: أدر شقك الأيمن، فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت أنظر إليه وأعجب منه، فقال لي: ما لي أراك ساكتا؟ كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟

فقلت: أريد أن أمضي إلى رحلي، فقال: صل ركعتين، ثم امض حيث تشاء، فصليت ركعتين، وقلت في نفسي: ما ينبغي أن يقع مثل هذا من حجام إلا إذا كان ذا علم.

فقلت له: من أين لك ما أمرتي به من المناسك؟

فقال: لله أنت، لقد رأيت عطاء بن أبي رباح يفعله، فأخذته عنه، ووجه إليه الناس<sup>(١)</sup>.

٥- عدم اليأس:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، روى أحمد عن رجل من بني مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله بسوق الجواز يتخللها ويقول: «أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم، وإنما يريد لتركوا آهتكم وتركوا اللات والعزى، وما يلتفت إلى رسول الله.

(١) صور من حياة التابعين ١٦، ١٧.

حرص الرسول ﷺ على هداية عمه:

روى البخاري عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أنه أخبره: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. [البخاري].

دعوة على فراش الموت:

روى البخاري عن عمر بن ميمون قال: جاء شاب إلى عمر بعدما طعن، وعرف الناس أنه ميت، فقال له رجل: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت ثم شهادة، فقال عمر: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي، فلما أدبر فإذا إزاره يمس الأرض، فقال: ردوا على الغلام، فقال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك. (البخاري).

٦- التدرج:

الدعوة تحتاج إلى تدرج، حتى يتمكن الآخرون من الاستجابة لها، فلا تكون الدعوة مباشرة وجامدة حتى لا تكون ثقيلة على القلوب فينفر منها، وقد تدرجت الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى تحريم الخمر.. وقد نزل القرآن مفرقا، ولم ينزل جملة واحدة قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٧- القدوة الحسنة:

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[البقرة: ٤٤].

وقال الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاً لنفسك كان ذا التعليم

٨- ابدأ بأهلك:

حدث ميمون بن مهران وزير عمر بن عبد العزيز وقاضيه ومستشاره قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز، فوجدته يكتب رسالة إلى ابنه عبد الملك يعظه فيها وينصحه، ويبصره ويحذره، وينذره ويبشره، وكان مما جاء فيها قوله: أما بعد، فإن أحق من وعى عني وفهم قولتي لأنت، وإن الله قد أحسن إلينا في صغير الأمور وكبيرها، فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى والديك، وإياك والكبر والعظمة، فإنها من عمل الشيطان، وهو للمؤمنين عدو مبين، واعلم أنني لم أبعث إليك بكتابي هذا لأمر بلغني عنك، فما عرفت من أمرك إلا خيراً، غير أنني بلغني عنك شيء من إعجابك بنفسك، ولو أن هذا الإعجاب خرج بك إلى ما أكره، لرأيت مني ما تكره.

قال ميمون: ثم التفت إليَّ عمر وقال: يا ميمون، إن ابني عبد الملك قد زين في عيني، وإني أتهم نفسي في ذلك، وأخاف أن يكون حبي له قد غلب علي علمي به وأدركني ما يدرك الآباء من العمى عن عيوب أولادهم، فسر إليه، وانظر هل ترى ما يشبه الكبر والفخر، فإنه غلام حدث، ولا آمن عليه الشيطان.

قال ميمون: فشددت الرحال إلى عبد الملك حتى قدمت عليه فاستأذنت فدخلت، فإذا غلام في مقتبل العمر.. فرحب بي، ثم قال: لقد سمعت أبي يذكرك بما أنت أهل له من الخير، إني لأرجو أن ينفع الله بك.

فقلت له: كيف تجد نفسك؟

فقال: بخير من الله عز وجل ونعمة غير أنني أخشى أن يكون قد غرني حسن ظن والدي بي، وأنا لم أبلغ من الفضائل كل ما يظن، وإني لأخاف أن يكون حبه لي قد غلبه على معرفته بي، فأكون آفة عليه. فعجبت من اتفاقهما، ثم قلت له: أعلمني من أين معيشتك؟

فقال: من غلة أرض اشتريتها ممن ورثها عن أبيه، ودفعت ثمنها من مال لا شبهة

فيه، فاستغنيت بذلك عن فيء المسلمين.

قلت: فما طعامك؟

فقال: ليلة لحم، وليل عدس وزيت، وليلة خل وزيت، وفي هذا بلاغ.

فقلت له: أفما تعجبك نفسك؟

فقال: قد كان في شيء من ذلك، فلما وعظني أبي بصرني بحقيقة نفسي، وصغرها عندي، وحط من قدرها في عيني، فنفعني الله عز وجل بذلك، فجزاه الله من والد خيرا.. فقعدت ساعة أحدثه، وأستمع بمنطقه، فلم أر فتى أجمل منه<sup>(١)</sup>.

#### ٩- الإخلاص:

لما بايع أهل العقبة رسول الله ﷺ ورجعوا إلى قومهم، فدعوههم إلى الإسلام سرا، وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله معاذ بن عفراء ورافع بن مالك: أن ابعث إلينا رجلا من قبلك فليدع الناس بكتاب الله، فإنه قمين أن يتبع، فبعث إليهم رسول الله مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمنا ويهدي الله تعالى الناس على يديه، حتى قل دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم، فأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة، فرجع مصعب إلى رسول الله وكان يدعي المقرئ.

#### أمنية

هذا أخ مؤذن يأسف ويحزن حزنا شديدا، إذ بلغه أن برج ساعة بيع بن الشهيرة في لندن قد مال وأنه مهدد بالانهيار، فلما سئل عن سر أسفه وحزنه قال: مازلت أؤمل أن يعز الله المسلمين، ويفتحوا بريطانيا، وأصعد على هذا البرج كي أؤذن فوقه<sup>(٢)</sup>.

#### دعوة صادقة

خرجت أخت مسلمة من بيتها وليس لها هم سوى أن يجعلها الله سببا لهداية من حولها، وفجأة وجدت فتاة تلبس «الاسترتش» فأشفقت عليها من النار، فتقدمت وقالت

(١) صور من حياة التابعين ٩٠.

(٢) علو الهمة: محمد إسماعيل المقدم.



لها بكل عطف ورحمة: إنني أستأذنك أن تأتي معي إلى الجنة، فاستجابت الفتاة وقالت: وأين هي الجنة؟ قالت: في بيت من بيوت الله، فاستجابت لها الفتاة ودخلت معها المسجد فوجدت أن الكل ينظر إليها نظرة عجيبة، فأشفقت عليها (هدى) وأسرعت إلى خارج المسجد واشترت لها حجابا، وقالت لها: البسي هذا الحجاب حتى لا ينظر إليك أحد، وبعد المحاضرة انزعيه إن شئت.. فقامت الفتاة وارتدت الحجاب لأول مرة، بل وأزالت المساحيق من على وجهها وتوضأت لأول مرة، وصلت المغرب واستمعت إلى الدرس (وكان عن وصف الجنة والنار) ثم صلت العشاء، ولما حان وقت الانصراف قالت لها هدى: الآن تستطيعين أن تنزعي الحجاب إن شئت، فقالت لها الفتاة: والله لقد ذقت حلوة الإيمان فلن أخلع الحجاب أبدا ولن أترك الصلاة، بل سأكون داعية إلى الله وسأجعل حياتي وفقا لله عز وجل.

وما هي إلا لحظات حتى خرجت من المسجد فصدمتها سيارة فماتت، وسالت الدماء الشريفة التي تحركت لدين الله واحترقت شوقا للقاء الله فزرقتها الله حسن الخاتمة بعد أن كانت منذ ساعة واحدة ممن قال فيهن رسول الله: «صنفان من أهل النار لم أرهما...»، وذكر منهما «ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رعوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربحها». [مسلم<sup>(١)</sup>].

#### ١٠- حب الدعوة:

راحتي في الدعوة إلى الله تعالى:

يقول الشيخ محمد إسماعيل حفظه الله:

أعرف أخا يعيش في ألمانيا، أحسبه -والله حسبي- مجتهدا في الدعوة إلى الله غاية الاجتهاد، حتى لا يكاد يذوق طعاما لراحة، وقد استحوذت الدعوة على كل كيانه، حتى أرهق نفسه، وشغل عن بيته وأهله وولده، فرأى إخوانه أن يمنح عطلة إجبارية، وذهبوا به بصحبة أسرته إلى منتجع ناء لا يعرفه فيه أحد، ولا يعرف فيه أحدا، كي يهنأ ببعض الراحة، ووعدوه أن يعودوا لإرجاعه بعد أيام، ولما رجعوا إليه وجدوه قد أسس جمعية إسلامية في هذا المكان قوامها بعض العمال المغاربة وغيرهم ممن انقطعت صلتهم بالدين،

(١) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين ١٤٠.

ففتش عنهم في مظان وجودهم، ودعاهم إلى طاعة الله سبحانه، وألف بينهم، وأقاموا مسجداً كان فيما بعد منطلقاً للدعوة إلى الله في تلك البلدة.

إنها الحركة سر شيع دعوة الإسلام المباركة في أرجاء الدنيا، ينطلق بها جنود لا يعلمهم إلا الله ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١)</sup>.

### طرفة غالية

ويلفتنا الأستاذ محمد أحمد الراشد إلى ميزان غريب نقيس به تلك الحركة الحياتية فيقول: وقد كنت في الأيام الخوالي الأطف إخواني فأفتش عن أحذيتهم ليس على نظافتها، وصبغها، ورونتها، كالتفتيش العسكري، بل على استهلاكها، وتقطعها، والغبار الذي عليها، وأقبلها فأرى النعل، فمن كان أسفل حذاءه متهرئاً تالفاً فهو الناجح، وأقول له: شاهدك معك، حذاؤك يشهد لك أنك تعمل، وتغدو في مصالح الدعوة وتروح، وتطبق قاعدة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ وبكثرة حركتك تلف حذاؤك، فأنت المجتاز المرضي عندي.

قال صباح أحد زملائه: قد -والله- بعد عشرين سنة يأخذني تأنيب الضمير كلما رأيت حذائي لا غبار عليه، وأتذكر ذاك التفتيش.

### كلمتان خفيفتان على اللسان

وما هو رجل بسيط لم يتعلم العلم الشرعي، ولكن قلبه قد امتلأ بحب الله والرغبة في نصرة دين الله، فحضر يوماً درساً لأحد الدعاة وفي أثناء الدرس قال الشيخ: قال رسول الله: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». [البخاري].

فتحرك قلب هذا الرجل البسيط لهذه الكلمات وخرج بعد انتهاء الدرس وقد عزم على أن يدعو إلى الله بهذا الحديث فبدأ يدخل على البقال ويقول له: «كلمتان خفيفتان على اللسان..» ثم يدخل على الجزار.. إلى أن أصبح همه كله أن يعلم الناس جميعاً هذا الحديث.

وفي يوم من الأيام يصاب هذا الرجل بمرض خطير.. ويدخل غرفة العمليات ليجري له الدكتور عملية جراحية خطيرة، وكان هذا الدكتور لا يصلي ولا يعرف طريق المسجد.

وفجأة قام الرجل بعد إجراء العملية ولم يفق بعد من المخدر فقال: يا دكتور، فقال له الدكتور: هل تريد شيئاً؟ فقال له الرجل: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» ثم مات الرجل.

فتعجب الدكتور من هذا الرجل الذي قام وهو تحت تأثير المخدر ليقول له هذا الحديث العظيم.

فتاب هذا الدكتور بسبب تلك الحادثة، وذهب ليطلب العلم الشرعي حتى أصبح الآن من الدعاة، وكل ذلك في ميزان هذا الرجل البسيط الذي لم يتعلم العلم الشرعي ولكنه أخلص في الدعوة إلى الله بحديث واحد تعلمه وذهب يدعو به الناس إلى الله تعالى.

فيا ليت أهل العلم يتحركون لنصرة دين الله بدلاً من أن يكون هذا العلم حجة عليهم يوم القيامة بين يدي الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### أكبرهمه

كانت الدعوة إلى الله أكبر هم الشيخ أحمد ياسين وشغله الشاغل، يقول أحد تلامذته: شاهدته مرة يودع أحد الطلاب الذين يدرسون في جامعات مصر، فبعد أن سلم عليه سأله الطالب إن كان يحتاج شيئاً من مصر فيرسله له، شكره الشيخ وأوصاه بتقوى الله وقال له: نريد عملاً جاداً للإسلام، ونريد حركة دائمة لتغيير هذا الواقع المؤسف للأمة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

### يدعو وهو مريض

يقول أحمد عيد: دخلت على إحدى المرضعات، وأنا أصلي، وقد كنت في اللحظات الحرجة، أصلي نائماً فوق السرير، فقالت بأعلى صوتها: أووه إنت موش

(١) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين ٦١٢، ٦١٣.

(٢) شهيد أيقظ أمة ٢٩.

مسلم!! ولما فرغت من صلاتي، وقد كانت واقفة تتأملني وكان الوقت فجرا، وهي تنتظر حتى تقيس ضغط الدم وخلافه، فسألته: لماذا قلت إنني لست مسلما؟

قالت: لأنك تصلي صلاة على غير ما تعودناه من المسلمين، فأفهمتها أن صلاتي الآن تقبل بهذه الكيفية، لأنني لا أستطيع الوقوف، فقالت: وغير ذلك فهناك أسباب أخرى كثيرة، فقد تعودنا منك أحسن المعاملة، وأجل المشاعر، فكنت حديثنا دائما ونحن في سكننا، أما كنت ترى الكثير من الممرضات، اللاتي كن تحضرن لرؤيتك، وكنت تدعوهن جميعا إلى الدخول، وتصر على ذلك وتحرص على إعطائهن الحلوى والهدايا والورود، مما كان لديك، كنا دائما نتحدث كثيرا عنك حين نعود من عملنا.

فعرفتها أنني مسلم، وأن أخلاق المسلمين هي أن أكون معكن، كما تذكرين.

فقالت: ولكن الجميع معاملتهم ليست على طريقتك، وعلى كل حال، أريد أن تعرفني إسلامك، فسألته ما دياتك؟ فقالت: بودية، ومنذ فترة أبحث عن الحقيقة وأريد الوصول إليها، حتى رأيتك، وكنت في انتظار أن تتحسن حالتك، وأتحدث معك فيما أريد، والآن حانت الفرصة وأطلب أن تحدثني عن الإسلام، وطلبت من زوجتي أن تحضر كتاب «مبادئ الإسلام بالإنجليزية للمودودي»، فأحضرت نسختين فأعطينهما إياها وقبل أن تفرغ من قراءتها وتعرف شيئا عن الإسلام، طلبت من الأخ الفاضل الأستاذ كامل الهلباوي أن يحضر بعض المطبوعات عن الإسلام بالكورية، فأحضر لي مجموعات متكاملة بالكورية والإنجليزية وخلافه، من الندوة العالمية للشباب الإسلامي، فنظمت منها مجموعة وناولتها إلى الممرضة.

وبعد أيام جاءتني وقالت: أريد أن أسلم، فماذا أفعل؟ ومعني تسع ممرضات كلهن قرأن ويردن الإسلام، وأطلب لهن كتابا من الكتب التي أعطيتني إياها، فكونت تسع مجموعات، وطلبت مجموعة عاشره لترسلها إلى والدها في كوريا، فأحضرت لها ما أرادت، وكانت تحضر للتدريس معي بعض الأمور في كيفية الطهارة والصلاة، وكان مما قالت: الصلاة يقرأ فيها القرآن فما هو القرآن؟ فأشرت لها إلى المصحف، ثم أحضرت لها نسخة مترجمة بالإنجليزية، فأخذتها، وبعد عدة أيام قالت: لقد نسيت كل شيء حولي وانتقلت إلى عوالم أخرى لم أكن أدري عنها شيئا وأنا الآن أعيش فقط، مع القرآن، وطلبت نسخا منه للممرضات اللاتي أخذت مني لهن مجموعات الكتب، فأخبرتها بتعذر ذلك، فعادت

وطلبت نسخة لوالدها على الأقل، فأعطيتها إياها وأسلمت «كيم» وحسن إسلامها وانتظمت في الصلاة، وتلاوة القرآن وأخبرتني بإسلام زميلاتها كذلك وانتظامهن أيضا في الصلاة، وسط دهشة باقي المرضات في سكنهن أيضا، فعرفتها بالانتظام وعدم المبالاة بما يلقين حتى يمكن الله لدينه<sup>(١)</sup>.

### حال الجامعة

كانت الجامعة في بداية عهدنا خالية من الإعلان بمظاهر الإسلام، حتى الصلوات كانت تؤدي تحت الأرض وفي أماكن بالية وعلى استحياء، فقال الإمام لأحد الطلاب: أذن للظهر في مكان مرئي بأعلى صوتك، واصبر، ففعل الطالب، فدهش الطلاب والفراشون، والموظفون، وكانت إحدى العجائب، فصلى السنة، ثم أقام الصلاة وصلى وحده، والجموع حوله تتعجب، وفعل في اليوم التالي مثل ما فعل بالأمس، وبعد أيام قلائل زاد العدد واحدا بعد الآخر، وهكذا لما جاء الحق وصمد زهق الباطل وفر<sup>(٢)</sup>.

### شبهات وردود

١- أنه غير مكلف لأنها وظيفة العلماء فقط: يقول الرازي في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ أن «من» هاهنا ليست للتبعيض للدليلين:

الأول أن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة.

والثاني أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بقول الرسول: «من رأى منكم منكرا فليغيره» وأنها للتبيين كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

٢- من شروط الدعوة العلم: ولكن العلم يتجزأ، فالإنسان عالم بشيء وجاهل بشيء آخر؛ ولذا يتوافر شرط وجوب الدعوة إلى ما علمه.

٣- فهم خاطئ: وهم تسرب إلى البعض في زمن الصديق فخطب فيهم: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مِّنْ

(١) مواقف إيمانية: أحمد عيد ٨٣: ٨٥.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين ٤٧.

صَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴿ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ يَوْشِكُ أَنْ يَعْصِمَهُمْ بِعِقَابٍ».

٤- انتشار الباطل: وقد حصلت هذه الشبهة لأقوام سالفين قص الله لنا من أخبارهم: ﴿وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْنَبْنَا الَّذِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

والآية الكريمة تشير إلى أن أهل القرية صاروا ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المعاصي، وفرقة أنكرت عليهم ووعظتهم، وفرقة سكتت عنهم فلم تفعل ولم تنته.

٥- لا يكلف الله نفساً إلا وسعها: يتعلل البعض بأن الدعوة إلى الله تسبب له تعباً لا يستطيع تحمله، وهذه حجة الضعفاء رقيقى الدين، فالتعب ينال العبد في حصوله على ربح مادي، فأولى بهم أن يتحملوا شيئاً من التعب في الدعوة إلى الله ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] وقد جاء أن أبا سفيان ومن معه من المشركين عزموا على الخروج إلى المدينة من غزوة أحد، فأمر الرسول ﷺ بلالا أن ينادي أن رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال أمس.

فخرج سعد بن معاذ من داره يأمر قومه بالمسير وكلهم جرحى.

وخرج أسيد بن حضير وبه سبع جراحات، وقال: سمعنا وطاعة لرسول الله ﷺ. وخرج من بني سلمة أربعون جريحاً، وخرج الطفيل بن عمرو وبه ثلاثة عشر جرحاً، وبالخارث بن الصمة عشر جراحات، فقال الرسول: «اللهم ارحم بني سلمة».

٦- ليس عندي وقت: الدعوة ليس لها وقت محدد بل في كل الأوقات كقول نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥].

وكما فعل النبي ﷺ في طريق الهجرة؛ إذ لقي في الطريق بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا.. ويوسف عندما دخل السجن لم يشغله سجنه عن الدعوة إلى الله: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَرَأَيْتَ إِنْ تَتَّبِعُونَ خَيْرَ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

٧- البعض يترك الدعوة لعدم استجابة الناس: المطلوب الدعوة وليس الاستجابة ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨] يمدح الله نبيه إسماعيل بقوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥] وهو غير مكلف باستجابة الآخرين.

يجب استمرار الدعوة وإن لم يستجب أحد.. نوح لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما.

يقول الإمام النووي: لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

ويقول السيوطي: وجوب الاستمرار على الدعوة إلى الله وحرمة اليأس، واحتمال الإجابة، لأن الأمور بيد الله وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء، فلا يستطيع الداعي أن يقطع بعدم إجابة فيجب عليه الاستمرار بالدعوة والوعظ في الإرشاد حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

أجر الداعي على الله لا على العباد، قال رسول الله ﷺ: «الدال على الخير كفاعله». مسلم.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم». [البخاري].

وقال أيضا: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجوره شيئا». [مسلم]<sup>(١)</sup>.

وقال أيضا: «من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا». [مسلم].

لما أسري برسول الله ﷺ جعل يمر بالني والنبين ومعهم القوم، والني والنبين ومعهم الرهط، والني والنبين وليس معهم أحد.

(١) الظلال (١: ٦٨).

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

ويقول سيد قطب: إن أمر القلوب وهداها وضلالها ليس من شأن أحد من خلق الله، ولو كان هو رسول الله ﷺ؛ إنه من أمر الله وحده.

فهذه القلوب من صنعه، ولا يحكمها غيره، ولا يصرفها سواه، ولا سلطان لأحد عليها إلا الله، وما على الرسول إلا البلاغ.

فأما الهدى فهو بيد الله، يعطيه من يشاء ممن يعلم سبحانه أنه يستحق الهدى، ويسعى إليه، وإخراج هذا الأمر من اختصاص البشر يقرر الحقيقة التي لا بد أن تستقر في حس المسلم ليتوجه في طلب الهدى إلى الله وحده، وليتلقى دلائل الهدى من الله وحده، ثم هي تفسح في احتمال صاحب الدعوة لعناد الضالين، فلا يضيق صدره بهم وهو يدعوهم، ويعطف عليهم، ويرتقب إذن الله لقلوبهم في الهدى وتوفيقهم إليه بمعرفته حين يريد<sup>(١)</sup>.

ويقول الراشد: يا من اعتزل بزهده مع جهله، تقدم واسمع ما أقول، يا زهاد الأرض تقدموا، خربوا صوامعكم، واقربوا مني، قد قعدتم في خلوتكم من غير أصل، ما وقعتم بشيء، تقدموا، خرب صومعتك أيها الهارب الذي ترزح تحت نير الأفكار الأرضية وآراء طواغيت القرن العشرين، وخذ مكانك في صفوف دعاة دعوة الإسلام<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) في ظلال القرآن الكريم (٢/٣١٤).

(٢) المنطلق ١١٤، ١١٥.



## الفهم

الإسلام دين شامل ولا يجذب عزل الجانب الاجتماعي عن الأخلاقي عن التعبدي، فالمجتمع الذي تجدد فيه تضخم الجانب التعبدي على الجانب الأخلاقي فتلك آفة العصر لا آفة الدين، إن الدين الإسلامي ليس بعقيدة فحسب ولكنه برنامج تفصيلي لحياة الإنسان كلها، فإن بترت الرجلين واليدين من جسم رجل وقلعت عينيه وقطعت أذنيه ولسانه واستخرجت معدته وكليته ونزعت رثيته، وأخرجت المخ وأبقيت على القلب فهل سيمكن لهذا الجزء الباقي من الجسم أن يحيا وينبض؟! وهكذا الحال مع الإسلام فالعقيدة منه بمنزلة القلب، والعبادات أعضاؤه وجوارحه، ونظم الإسلام الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بمنزلة المعدة والكلية.

الحرب على الإسلام والمسلمين مستمرة، وباتت ثمرتهم قريبة المنال بعد أن أغرقوا الشعوب الإسلامية في مستنقع الجهل، وتفسخت الأخلاق، وتلاشت القيم، ونسي الله، وهم يعملون ليل نهار على تشويه صورة الإسلام، وتقديم مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين، مما أثر على بعض المسلمين في فهمهم لدينهم، فأخذوا يعبدون الله على جهل أو خطأ؛ ومن هنا كانت أهمية فهم الإسلام فهماً شاملاً لكل نواحي الحياة، وأهمية فهم فقه الأولويات وترتيب الأعمال في الإسلام، حتى لا نهتم بالسنن على حساب الواجبات، ولا بالنوافل مع إهمال الفروض.

صحابة رسول الله ﷺ يتركون دفن الرسول ﷺ - وكلنا يعرف مكانته في قلوبهم - من أجل اختيار خليفة للمسلمين؛ لأنهم تربوا في مدرسة النبوة على كيفية ترتيب أولوياتهم، فوجود المسلمين بدون خليفة أخطر على الإسلام من تأخير دفن الرسول، فلما انتهوا من اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين سارعوا بدفن الرسول دون أن يخرج من بينهم صوت يندد بفعلتهم، فالكل يفهم الإسلام جيداً، ويعرف سلم الأولويات وترتيب الدرجات معرفة صحيحة<sup>(١)</sup>.

(١) من فقه الأولويات في الإسلام: ٩.

## القرآن يصحح المفاهيم

قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ [التوبة: ١٩-٢٢].

وعن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج.

وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلت، فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله، وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، قال: ففعل فأنزل الله عز وجل: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ الآية.

## فهم خاطئ

يقول ابن كثير: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى فرقه فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا؛ صحبنا رسول الله وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبباً فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما فنزل فينا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فكانت الهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. [رواه الترمذي].

## فهم الرسول

يوم أن بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مئآت الأصنام صفوفاً داخل الكعبة وحولها، لم

يهدمها الرسول إلا في العام الحادي والعشرين من البعثة أي قبل وفاته بعامين، فلقد حرص الرسول أن يهدم الأصنام الموجودة داخل النفس البشرية قبل تحطيم الأصنام التي كانت في جوف الكعبة وعلى سطحها، بل إنه ﷺ طاف وأصحابه حول الكعبة في عمرة القضاء والأصنام لا تزال موجودة داخل وحول الكعبة<sup>(١)</sup>.

صلاة الجمعة فرضت في العهد المكي ولكن الرسول لم يجمع بالمسلمين في مكة وذلك مخافة بطش المشركين بهم، وفي الوقت نفسه جمع أسعد بن زرارة بالمسلمين في المدينة قبل قدومه.

يقول الإمام القرطبي: قال ابن سيرين: جمع أهل المدينة من قبل أن يقدم النبي المدينة، وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموها الجمعة.. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا فذبح لهم أسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم، فهذه أول جمعة في الإسلام<sup>(٢)</sup>.

### فهم الأولويات

في صلح الحديبية أرسل المشركون سهيل بن عمرو ممثلاً عنهم ليكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً بالصلح، فلما جلس إلى رسول الله ﷺ قال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي الكاتب وكان الكاتب علياً عليه السلام فيما رواه مسلم فقال النبي ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد ابن عبد الله، فقال رسول الله: «والله إني لرسول الله وإن كذبتوني.. اكتب: محمد بن عبد الله»، وفي رواية لمسلم فأمر علياً أن يمحوها، فقال علي: لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله: «أرني مكانها» فمحاها، فقال له النبي: «على أن تحلوا بيننا وبين البيت فنطوف فيه»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام القادم.

وليس مع المسلمين إلا السيوف في قرابها فقال سهيل: وعلى ألا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاء منكم لم نرده عليكم، فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ والتفتوا إلى رسول الله يسألونه:

(١) من فقه الأولويات في الإسلام: ٩٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: (٦٥٧٧/٩).

أنكتب هذا يا رسول الله؟ قال: «نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجًا وخرجًا» رواه مسلم.

وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: أأست نبي الله حقًا؟ قال: «بلى»، قلت: أأست على حق وعدونا على باطل؟ قال: «بلى»، قلت: أليس قتلتنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى»، قلت: ففيم نعطي الدنيا في ديننا إذن؟! قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف فيه؟ قال: «بلى، أفأخبرت أنك تأتيه عامك هذا؟» قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوف به»، فلم يصبر عمر بن الخطاب حتى أتى أبا بكر فسأله مثل ما سأل النبي فقال له: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يعصي ربه ولن يضيعه الله أبدًا.. فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله فأرسل إلى عمر فأقرأه إياها، فقال: يا رسول الله أوفتح هو؟ قال: «نعم»، فطابت نفسه [البخاري ومسلم].

لقد كانت بنود الصلح في ظاهرها، وكما ينظر الإنسان بعقله القاصر كأنها في مصلحة المشركين، ولا تحقق مصلحة للمسلمين، ولكنها في حقيقتها وآثارها كانت في مصلحة المسلمين، يقول سيد قطب: كان فتحًا في الدعوة، يقول الزهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تلك السنين (بين صلح الحديبية وفتح مكة)، مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف، وكان ممن أسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

وكان فتحًا في الأرض، فقد أمن المسلمون شر قريش، فاتجه رسول الله إلى تخليص الجزيرة من بقايا الخطر اليهودي بعد التخلص من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وكان هذا الخطر يتمثل في حصون خيبر القوية التي تهدد طريق الشام، وقد فتحها الله على المسلمين، وغنموا منها غنائم ضخمة جعلها الرسول فيمن حضر الحديبية دون سواهم.

وكان فتحًا في الموقف بين المسلمين في المدينة وقريش في مكة وسائر المشركين حولها،

فلقد اعترفت قريش بالنبي والإسلام وقوتهما وكيانهما، واعتبرت النبي والمسلمين أنداداً لها، بل دفعتهم عنها بالتي هي أحسن<sup>(١)</sup>.

### أولوية الأعمال

قد يكون العمل المعين أفضل منه في حق غيره.

فالغنى الذي بلغ له مال كثير ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة.

والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته، وقوفه في الصف ساعة وجهاده أعداء الله أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع.

والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسييح.

وولي الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده جلوسه ساعة للنظر في المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وإقامة الحدود ونصر الحق وقمع المبتطل، أفضل من عبادة سنين من غيره.

ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته.

وتأمل تولية النبي لعمر بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعماله وترك تولية أبي ذر بل قال له: «إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تؤمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم» وأمره وغيره بالصيام وقال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له» رواه أحمد، وأمر آخر بأن «لا تغضب» وأمر ثالثاً «بأن لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله». ومتى أراد الله بالعبد كمالاً وفقه لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد له كالمريض الذي يشكو وجع البطن مثلاً إذا استعمل دواء ذلك الداء انتفع به وإذا استعمل دواء وجع الرأس لم يصادف داءه، فالشح المطاع مثلاً من المهلكات ولا يزيله صيام مائة عام ولا قيام ليلها وكذلك داء اتباع الهوى والإعجاب بالنفس لا يلائمه كثرة قراءة القرآن واستفراغ الوسع

(١) في ظلال القرآن: (٦/٣٣١٦).

في العلم والذكر والزهد وإنما يزيله إخراج من القلب بضده، ولو قيل أيهما أفضل: الخبز أم الماء؟ لكان الجواب: أن هذا في موضعه أفضل، وهذا في موضعه أفضل<sup>(١)</sup>.

### رجل يفهم رسالته

سأل صحفي الإمام الشهيد حسن البنا عن نفسه، وطلب منه أن يوضح بنفسه عن شخصيته للناس فقال - رحمه الله -: أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف.

أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، هذا أنا فمن أنت؟<sup>(٢)</sup>.

### فهم مشقات الطريق

يقول حسن البنا: في صباح يوم من الأيام وأنا في طريقي إلى الفصل لإلقاء الدرس الأول أو الثاني رأيت ناظر المدرسة - وكان إذ ذاك «الأستاذ أحمد عبد الهادي سابق» - على باب حجرته ينظر إليّ نظرات فيها غرابة فدلقت إليه وقلت: السلام عليكم ورحمة الله.

فابتسم وقال: وعليكم السلام، في لهجة فهمت أن وراءها شيئاً فقلت: خيراً إن شاء الله.

فقال: خير خير.

فقلت: إيه الحكاية؟ لازم فيه حاجة.

فقال: حاجة!! محكمة الجنايات يا أستاذ حسن.. محكمة الجنايات يا حبيبي وكلنا كده إن شاء الله بربطة المعلم.

فقلت: .. لماذا؟

فقال: عريضة من رئيس الوزراء إلى وزير المعارف تقول إنك شيوعي ضد النظام القائم وضد الملك وضد الدنيا كلها.

(١) عدة الصابرين: ١٠٤، ١٠٥.

(٢) حكايات عن الإخوان (٧٦/١).

فقلت: بس كده؟! الحمد لله رب العالمين والله يا بك إذا كنا برآء فاسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ وإذا كنا نخدع الناس بهذا الجهاد في سبيله وهذه الدعوة إلى دينه فإن محكمة الجنائيات وجهنم قليل على الذين يخدعون الناس عن الدنيا بلباس الدين، فلا تهتم ودعها لله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، أقسم لك أنه لن يكون إلا الخير، عن إذنك فقد مضى بعض وقت الحصة وهذه مخالفة لا أحبها، وتركت الرجل في مكانه مستغرباً هذه الردود، وانصرفت إلى الدرس وكلي ثقة وطمأنينة بأن هذا عبث أطفال ولن ينتهي إلا إلى النتيجة المحتومة لمثله: إهمال ونسيان<sup>(١)</sup>.

### دعوتنا لكل الناس

زار الإمام الشهيد البنا محافظة سوهاج، وبعد انتهاء المؤتمر دعي إلى مائدة، وجلس بجوار أحد الإخوة، وكان هذا الأخ يتمنى أن تتاح له هذه الفرصة ليهمس في أذن الإمام الشهيد بأمر مهم، فقال له: يا أستاذ، إن الدعوات لا تقاس بالكم وإنما بالكيف، فماذا لو وضعنا ضوابط للذين يريدون الانتساب، كأن نحدد لهم قدرًا من الثقافة الإسلامية يدرسونه، ويظلون زمنًا في إطار الانتساب وتحت الاختبار، ثم ينقل الصالح منهم إلى العضوية العاملة؟

فابتسم الإمام الشهيد، وقال: يا فلان، هل تريدون مني ما لم يرده الله من أنبيائه ورسله وهم صفوة خلقه؟! إننا دعوة لكل الناس وليست لفئة محدودة، يترى فيها كل من يريد أن يخدع الإسلام مهما كانت مكانته وثقافته.. وكل ميسر لما خلق له، ومن يدري فلعل هذه الدعوة تواجه محنًا عاتية، تعدون فيها الرجال على الأصابع.. وجاءت المحن العاصفة، وثبت كثير من الذين كنا نحسبهم بسطاء في مكائهم وثقافتهم. ولكنهم تخلقوا بمقومات الرجولة فصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وسقط آخرون من أصحاب الثقافة الواسعة، والشخصيات اللامعة، والله في خلقه شتون.

### ابحثوا عن لافتة أخرى

عندما ثارت فتنة التكفير إثر محنة ١٩٦٥م انزلت العديد من السجناء في هذا المنعطف تحت وطأة التعذيب الوحشي والاضطهاد للدعوة الإسلامية وغيرها من الأسباب.

(١) مذكرات الدعوة والداعية: ٩٩.

حينئذ بادر الأستاذ الهضيبي وعلماء الإخوان لإخماد الفتنة، وكانت مناقشات ومحاضرات.. فرجع الكثير عن هذا الفكر، ولم يبق إلا قلة شاذة، وجددت البيعة.. فقال بعض الشواذ: نبايع على كل شيء في الجماعة ما عدا (مسألة التكفير) فترك للاجتهاد الشخصي، فأجاب الأستاذ بحسم: بل كل شيء حتى مسألة التكفير. ومن لم يبايع فليبحث له عن لافتة أخرى غير الإخوان المسلمين<sup>(١)</sup>، الدين الحنيف لا يوجد فيه عنف ولا قسوة، ومن اختل فهمه للإسلام انحرف عن طريق الجادة.

### نعمة كبيرة

يقول البنا: اذكروا جيداً أن الله قد منَّ عليكم، ففهمتم الإسلام فهمًا نقيًا صافيًا، سهلاً شاملاً، كافيًا وافيًا، يسائر العصور وفيها مجازات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيداً عن جمود الجامدين وتحلل الإباحيين وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين استمداً منطقياً منصفاً، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضي الدقيق، وعرفتموه على وجهه: عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وقلب ومادة، وسماحة وقوة، وثقافة وقانون، واعتقدتموه على حقيقته: دين ودولة، وحكومة وأمة، ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

### تربية واعية

عن ابن عباس قال: أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك في البقرة - لبقرة من نحاس -

قال: ما أفعل.. فدعا بالبقرة النحاس فملئت زيتاً وغليت ودعا برجل من أسرى المسلمين فعرض عليه النصرانية، فأبى فألقاه في البقرة فإذا عظامه تلوح، وقال لعبد الله: تنصر وإلا ألقيتك.

قال: ما أفعل، فأمر به أن يلقي في البقرة فبكى، فقالوا: قد جزع، قد بكى.

قال: ردوه، قال: لا ترى أنني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي ولكني بكيت حيث

(١) مائة موقف من حياة المرشدين: ١٠٤.



ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا.

قال: فأعجب منه وأحب أن يطلقه، فقال: قبل رأسي وأطلقك.

قال: ما أفعل، قال: تنصر وأزوجك بنتي وأقاسمك ملكي.

قال: ما أفعل، قال: قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين.

قال: أما هذه فنعيم، فقبل رأسه وأطلق معه ثمانين من المسلمين، فلما قدموا على عمر بن الخطاب قام إليه عمر فقبل رأسه، قال: فكان أصحاب رسول الله يمازحون عبد الله فيقولون: قبلت رأس عالج، فيقول لهم: أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين<sup>(١)</sup>.

### تأخير الصلاة بعذر

عند فتح مدينة تستر ببلاد الفرس حاصر صحابة رسول الله ومن معهم من جموع المسلمين المدينة أشهراً، وشددوا الحصار، وأشرقت نذر الاقتحام والنصر، وأصبحت الفرصة مواتية للظفر قبل الفجر، إلا أنهم لو أقدموا على اقتناصها لفاتتهم صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، فكان اجتهاد الصحابة أن يقتنصوا الفرصة، واقتحموا الحصن، وفتحت تستر -بفضل الله ورحمته- لتصبح إحدى قلاع الإسلام، ومدائنه الشهيرة في آسيا، وصلى المسلمون الصبح يومها بعد أن طلعت الشمس وأشرقت الأرض بنور ربها<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر البخاري هذه الواقعة في (باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو).

قال أنس: حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النهار، فصلينا ونحن مع أبي موسى، ففتح لنا، وقال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها.

### الإسلام والأديان المعاصرة

يقول الدكتور زغلول النجار: في مطلع الخمسينيات -وكنت لا أزال شاباً وقتها-

(١) من فقه الأولويات في الإسلام: ١٣٤-١٣٥.

(٢) المصدر السابق ١٣٥.

وكنت في بريطانيا؛ للحصول على الدكتوراه، فدعيت إلى محاضرة عن «الإسلام والأديان المعاصرة» وكانت في مقر اتحاد للطلبة هناك، كانوا يلتقون ليلة الجمعة من كل أسبوع في حوار مفتوح على أي قضية من القضايا، فسمعوا أن هناك شاباً مسلماً قد أتى للحصول على الدكتوراه، فدعوني لهذه المحاضرة، وبعد أن تحدثت عن الإسلام وعلاقته بالأديان الأخرى، قامت رئيسة ذلك النادي، وقالت: يا سيدي، يبدو أن مستوى دراستك في الأديان أعلى من مستوانا جميعاً، لذلك فنحن لن نستطيع مناقشتك، فهل لديك مانع في تأجيل الحوار للأسبوع القادم، حتى تتمكن من دعوة أحد القساوسة الكاثوليك، الذي قد عاش في الشرق لسنوات طويلة، وله معرفة جيدة باللغة العربية، حتى يكون الحوار به شيء من التكافؤ؟ فقبلت ذلك، وتم تأجيل الحوار للأسبوع التالي، وذهبت إلى هناك في الأسبوع التالي، وقابلت ذلك الرجل، فإذا برجل قد جاوز الستين من عمره، وقد عاش فترة طويلة في مصر والعراق وليبيا وكثير من الدول العربية.

وبدأ الحوار بيننا، والذي استمر أكثر من ساعة ونصف، قامت بعدها المرأة أيضاً قائلة له: يا سيدي يبدو أن هذا الشاب أكثر تمكناً منك في قضية الأديان، لذلك فأنا أعتذر اليوم مرة أخرى، وأدعو لاستمرار الحوار في الأسبوع القادم وأقوم بدعوة «البিশوب» - وهو رئيس الكنيسة في منطقة مجاورة-.

وأنى هذا الرجل في الأسبوع التالي، وقامت المدينة باحتفال كبير لاستقباله، حضره الكثير من رجال الصحافة والإذاعة والتلفزيون، ثم التقيت به في حوار طال أكثر من ساعة، قامت بعدها هذه السيدة قائلة: لقد مارست الكاثوليكية مدة خمسة وعشرين عاماً، ولكنني أعتزف أمام الجميع أنني ما شعرت يوماً بمعنى الألوهية كما يشعر بها هذا الشاب، ثم تركت القاعة وخرجت، ثم علمت بعد ذلك أنها أسلمت، وحسن إسلامها، وأبليت بلاء حسناً في الدعوة إلى الله في بريطانيا<sup>(١)</sup>.

هذا ما دفع بعض قياداتهم - وهو أحد العلماء الأمريكيين- يوم وقف أمام جمع من المسلمين قائلاً: يا أيها المسلمون، إنكم لن تستطيعوا أن تسيروا الغرب تقنياً ولا علمياً ولا اقتصادياً ولا سياسياً ولا عسكرياً، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا هذا

الغرب المتجبر المتعالي يجثو على ركبته أمامكم في الإسلام، ثم يضيف قائلاً: أعطوني أربعين شاباً ممن يحسنون فهم هذا الدين فهماً دقيقاً، ويحسنون تطبيقه على أنفسهم تطبيقاً دقيقاً، ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر، وأنا أكفل لكم أن أفتح لهم الأمريكتين.

حقاً -والله الذي لا إله غيره- فهذا هو السلاح الوحيد الذي بقى بأيدينا الآن، أن نفهم الإسلام، ونطبقه على أنفسنا، ثم نقوم بعرضه على الناس<sup>(١)</sup>.

### فهم رائع

ومن المواقف الرائعة في التاريخ الإسلامي التي تبين -بما لا يدع مجالاً للشك- أهمية فهم المسلمين لدينهم فهماً صحيحاً، وأنه قد تضطروهم الظروف فيتركون واجباً في سبيل تحقيق واجب أهم منه، ما حدث للمسلمين في بيروت عندما أرادوا أن يستنقذوا إخوانهم المحاصرين في عكا من قبل الصليبيين فحلقوا لحاهم وتزيوا بزى الصليبيين وعلقوا الصلبان ووضعوا الخنازير على سطح السفينة التي تحمل الطعام لإخوانهم المحاصرين واستطاعوا أن يخدعوا الصليبيين وأن يمروا من بينهم دون أن يشكوا في أمرهم<sup>(٢)</sup>.

### هكذا كان عبد الله بن المبارك

خرج عبد الله بن المبارك إلى الحج، فاجتاز بعض البلاد فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على المزبلة، فخرجت جارية من دار قريته، فأخذت الطائر الميت، ولفته، وأسرعت به إلى الدار، فلما سألتها: لم أخذت الميتة؟ قالت إنها وأخاها فقيران لا يجدان شيئاً، ولا يعلم بهما أحد.

فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، قال: أبق منها عشرين ديناراً، وأعط باقي الألف إلى الجارية، وعد بنا إلى مرو، فهذا أفضل من حجتنا هذا العام، ورجع ولم يحج<sup>(٣)</sup>.

(١) الذين هدى الله ٥٧-٥٩.

(٢) فقه الأولويات في الإسلام: ١٤٥-١٤٦.

(٣) مائة موقف من حياة العظماء: ١٢٨.

## فهم علم من أعلام السلف

جاء رجل إلى بشر بن الحارث الزاهد - المعروف ببشر الحافي - وقال له: عزمت على الحج (تطوعاً) أفتأمرني بشيء؟ قال له: كم أعددت للنفقة؟ قال له: أعددت ألفي درهم، فقال له بشر: فماذا تريد بحجك هذا: تزهداً أو اشتياًقاً إلى البيت الحرام، أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: بل ابتغاء مرضاة الله، قال له بشر: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك، وتنفق ألفي درهم، وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى، أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: فاذهب فأعط هذا المال لعشرة أنفس: مديناً يقضي دينه، وفقيراً ترم شعته، ومعيلاً (صاحب عيال) يغني عياله، ومُربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل، فإن إدخال السرور على قلب المسلم، وإغاثة اللفهان وكشف الضر، وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الفريضة، قم فأخرجها كما أمرناك<sup>(١)</sup>.

## إمكانيات أعدائك ماذا أعددت لها

كشفت النشرة الدولية لأبحاث التنصير في العالم أن المبالغ التي تلقتها المنظمات التنصيرية كمعونات عام ١٩٩٦، بلغت ١٩٣ مليار دولار، والجدير بالذكر أن عدد هذه المنظمات ٢٢ ألفاً و ٣٠٠ منظمة تمتلك ٣٢٠٠ محطة إذاعة وتلفاز خاصة بها.. إلى غير ذلك من الإمكانيات. فأين أعمال المسلمين لنجدة إخوانهم وتقديم النفع لهم؟

يقول البنا: من ظن أن الدين - أو بعبارة أدق الإسلام - لا يعرض للسياسة، أو أن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بهذا الإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. وجميل قول الإمام الغزالي: اعلم أن الشريعة أصل وأن الملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع.. فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها، كما لا تقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها وتشرها وتبغلها وتقويها<sup>(٢)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٩٧).

(٢) الرسائل: ٣١٧.

## لا أنقد حكومتي خارج وطني

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان مراسلو الصحف والإذاعات يأتون إلى لإجراء أحاديث، والظاهرة العجيبة في كل تلك الأحاديث، أن المراسلين كانوا يحاصرونني بأسئلة دقيقة رغبة منهم في أن يحصلوا مني على انتقاد أو هجوم على الحكومات القائمة، وكنت أفسد عليهم هذه المحاولات، حتى قال لي أحد المراسلين في لندن: إنك تتهرب من الإجابات عن أسئلة واضحة، فكان جوابي: إن التهرب ليس من خلقي، ولكن طباعي تأبى علي أن أنقد حكومتي خارج وطني، ولا أشنع عليها في الخارج، بل أوجه مآخذي إليها مباشرة داخل مصر، وهو مبدأ وليس سياسة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

## العمل للإسلام

العودة إلى الإسلام أمنية عظيمة لا نصل إليها بالكلام والدعاوي، وإنما لابد من العمل، فأعداء الإسلام يعملون ليل نهار لنشر باطلهم، فالأولى بأهل الحق أن يعملوا لنشر دعوتهم وتبليغها للناس، وليحتسبوا أجرهم عند الله، وهذه قصص من المخلصين في العمل للإسلام، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

### الأعداء يعملون لإنجاح مخططهم

يقول الشيخ أحمد القطان عن توبته: إن في الحياة تجارب وعبراً ودورساً، لقد مررت في مرحلة الدراسة بنفسية متقلبة حائرة، لقد درست التربية الإسلامية في مدارس التربية ولا تربية -ثمانية عشر عاماً وتخرجت بلا دين-، وأخذت ألتفت يميناً وشمالاً: أين الطريق؟ هل خلقت هكذا الحياة عبثاً؟ أحس فراغاً في نفسي وظلاماً وكآبة، وحدي في الظلام لعلي أجد هناك العزاء، ولكنني أعود حزيناً كثيراً وتخرجت في معهد المعلمين سنة ١٩٦٩م، وفي هذه السنة والتي قبلها حدث في حياتي حدث غريب تراكمت فيه الظلمات والغيوم، إذ قام الحزب الشيوعي باحتوائي ونشر قصائدي في مجلاتهم وجرائدهم، والنفع فيها، وأخذوا يفسرون العبارات والكلمات بزخرف من القول يوحى بعضهم إلى بعض.. حتى نفخوا في نفخة ظننت أنني أنا الإمام المنتظر، وما قلت كلمة إلا وطبلوا وزمروا حولها.. وهي حيلة من حيلهم، إذا أرادوا أن يقتنصوا ويفترسوا فرداً، ينظرون إلى هويته وهوايته، ماذا يرغب؟ ثم يدخلون عليه من هذا المدخل. رأوني أميل إلى الشعر والأدب فتعهدوا بطبع ديواني ونشر قصائدي، وعقدوا لي الجلسات واللقاءات الأدبية الساهرة.. ثم أخذوا يدسون السم في الدسم، يذهبون بي إلى مكتبات خاصة ثم يقولون: اختر ما شئت من الكتب بلا ثمن فأحمل كتباً فاخرة.. أوراقاً مصقولة.. طباعة أنيقة عناوينها «أصول الفلسفة الماركسية» «المبادئ الشيوعية» وهكذا بدأوا بالتدرج يذهبون بي إلى المقاهي الشعبية، فإذا جلست معهم على طاولة قديمة تهتز.. أشرب الشاي بكوب قديم وحول العمال.. فإذا مر رجل بسيارته الأمريكية الفاخرة قالوا: انظر،

هذا يركب السيارة من دماء آبائك وأجدادك.. وسيأتي عليك اليوم الذي تأخذها منه بالثورة الكبرى التي بدأت وتستمر.. إننا الآن نهيتها في «فارط» ونعمل لها، وإننا نهيتها في الكويت ونعمل لها، وستكون قائداً من قوادها، وبينما أنا أسمع هذا الكلام أحس أن الفراغ في قلبي بدأ يمتلئ بشيء.. لأنك إن لم تشغل قلبك بالرحمن أشغله الشيطان، فالقلب كالرحى.. يدور.. فإن وضعت به دقيقتاً مباركاً أخرج لك الطحين الطيب.. وإن وضعت فيه الحصى أخرج لك الحصى، ويقدر الله بعد ثلاثة شهور أن نلتقي برئيس الخلية الذي ذهب إلى مصر وغاب شهراً ثم عاد. وفي تلك الليلة أخذوا يستهزئون بأذان الفجر.. كانت الجلسة تمتد من العشاء على الفجر.. يتكلمون بكلام لا أفهمه مثل «التفسير المادي للتاريخ» «والاشتراكيون والشيوعية في الجنس والمال»، ثم يقولون كلاماً أمره على فطرتي السليمة التي لا تزال.. فلا يمر.. أحس أنه يصطدم ويصك.. ولكن الحياء يمنعني أن أناقش فأسكت، ثم بلغت الحالة أن أذن المؤذن لصلاة الفجر.. فلما قال «الله أكبر» أخذوا ينكتون على رسول الله، وهنا بدأ الانفعال الداخلي والبركان الإيماني الفطري يغلي، وإذا أراد الله خيراً بعده بعد أن أراه الظلمات يسر له أسباب ذلك.. إذ قال رئيس الخلية: لقد رأيت الشيوعية الحقيقية في لقائي مع (...) بمصر هو الوحيد الذي يطبقها تطبيقاً كاملاً، فقلت: عجباً.. ما علامة ذلك؟! قال: إذا خرجنا في الصباح الباكر عند الباب فكما أن زوجته تقبله تقبلي معه أيضاً، وإذا نمنا في الفراش فإنها تنام بيني وبينه.. وهكذا يقول.. والله يجاسبه يوم القيامة.. فلما قال ذلك نزلت ظلمة على عيني وانقباض في قلبي، وقلت في نفسي: أهذا فكر؟! أهذه حرية؟! أهذه ثورة؟! لا ورب الكعبة إن هذا كلام شيطاني إبليسي!! ومن هنا تجرأ أحد الجالسين فقال له: يا أستاذ ما دمت أنت ترى ذلك، فلماذا لا تدع زوجتك تدخل علينا نشاركك فيها؟ قال: إنني ما أزال أعاني من مخلفات البرجوازية وبقايا الرجعية وسيأتي اليوم الذي نتخلص فيه منها جميعاً..

ومن هذه الحادثة بدأ التحول الكبير في حياتي إذ خرجت أبحث عن رفقاء غير أولئك الرفقاء.. فقدر الله أن ألتقي بإخوة في «ديوانية» كانوا يحافظون على الصلاة.. وبعد صلاة العصر يذهبون إلى ساحل البحر ثم يعودون.. وأقصى ما يفعلونه أنهم يلعبون «الورقة»، ويقدر الله أن يأتي أحدهم إليّ ويقول: يا أخ أحمد، يذكرون أن شيخاً من مصر اسمه «حسن أيوب» جاء إلى الكويت ويمدحون جراته وخطبته، ألا تأتي معي؟ قالها من باب حب

الاستطلاع.. فقلت: هيا بنا.. وذهبت معه.. تروضات.. ودخلت المسجد.. وجلست.. وصلت المغرب.. ثم بدأ يتكلم.. وكان يتكلم واقفاً لا يرضى أن يجلس على كرسي.. وكان شيخاً كبيراً شاب شعر رأسه ولحيته، ولكن القوة الإيمانية البركانية تتفجر من خلال كلماته؛ لأنه كان يتكلم بأرواح المدافع لا بسيف من خشب، وبعد أن فرغ من خطبته أحسست أنني خرجت من عالم إلى عالم آخر.. من ظلمات إلى نور.. ولأول مرة أعرف طريقي الصحيح.. وأعرف هدي في الحياة.. ولماذا خلقت، وماذا يراد مني، وإلى أين مصيري.

وبدأت لا أستطيع أن أقدم أو أؤخر إلا أن أعانق هذا الشيخ وأسلم عليه، ثم عاد هذا الأخ يسألني عن انطباعي؟ فقلت له: اسكت وسترى انطباعي بعد أيام.. عدت في الليلة نفسها واشترت جميع الأشرطة لهذا الشيخ.. وأخذت أسمعها إلى أن طلعت الشمس.. ووالدتي تقدم لي طعام الإفطار فأرده.. ثم طعام الغداء.. وأنا أسمع وأبكي بكاء حاراً.. وأحس أنني قد ولدت من جديد.. ودخلت عالماً آخر.. وأحببت الرسول ﷺ، وصار هو مثلي الأعلى وقدوتي.. وبدأت أنكب على سيرته قراءة وسماعاً.. حتى حفظتها من مولده إلى وفاته، فأحسست أنني إنسان لأول مرة في حياتي.. وبدأت أعود فأقرأ القرآن، فأرى كل آية فيه تخاطبني أو تتحدث عني ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

نعم.. لقد كنت مَيِّتًا فأحياني الله.. والله الفضل والمنة.. ومن هنا انطلقت مرة ثانية إلى أولئك الرفقاء الضالين المضلين.. وبدأت أدعوهم واحداً واحداً.. ولكن ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أما أحدهم فقد تاب بإذن الله وفضله، ثم ذهب إلى العمرة.. فانقلبت به السيارة ومات وأجره على الله. وأما رئيس الخلية فقابلني بابتسامة صفراء وقال: يا أستاذ أحمد.. إنني أحسدك لأنك عرفت الطريق الآن.. أما أنا فاتركني.. فإن لي طريقي ولك طريقك.. ثم صافحني وانصرف.. وظل هو كما هو حتى الآن، وأما البقية فمنهم من أصبح مثلاً، ومنهم من أصبح شاعراً يكتب الأغاني وله أشرطة «فيديو» يلقي الشعر وهو سكران.. وسبحان الذي يخرج الحي من الميت.. من تلك اللحظة بدأت أدعو إلى الله رب العالمين<sup>(١)</sup>.

هكذا الأعداء يعملون ليل نهار لنشر دعوتهم الباطلة، فأين أنت منهم؟



## احرص على العمل

عرفت الإسماعيلية صغیرها وكبیرها حسن البنا والإخوان المسلمون، فلما انتقلت الدعوة إلى القاهرة حدث الإمام الشهيد بهذه الطريقة فقال: جاء أحد إخوان الإسماعيلية لزيارتي.. فلما نزل من القطار في محطة مصر سأل أول من قابلهم من أهل القاهرة عن المركز العام للإخوان المسلمين، وهو يظن أنه يسأل عن أحد معالم القاهرة، فاعتقدوا أنه شخص ساذج.. وقالوا له: اتجه من هذا الطريق.. ثم اسأل هناك، فاتجه ثم سأله.. وهكذا، حتى قابل الإمام الشهيد قدراً وقد جاوز المركز العام بمسافة، فأخذه الأستاذ ورجع به المسافة، وقص على الأستاذ القصة وقال: كل من سألته صدقني إلا صاحب هذا المحل (وأشار على محل على بعد أمتار لا تتجاوز الخمسين متراً) إذ قال لي: امش إلى نهاية هذا الشارع (شارع الناصرية) فستجد ميدان السيدة زينب فاسأل هناك، ضحك الأستاذ المرشد، وفهم أن الدعوة حتى بعد انتقالها إلى القاهرة بثلاث سنوات ما زالت مجهولة حتى أن الجيران لا يعرفونها<sup>(١)</sup>.

قال طبيب ألماني - قبل أن يسلم - لزميله المسلم: إذا سئلت غداً - كما تقول - عن سؤال القبر وحساب يوم القيامة سأقول: إن رسالة محمد لم تصلني تفصيلاً، ولم أطلع عليها مجتاً، إن أتباع محمد لم يبلغوني رسالته، ولم يدلوني على الطريق القويم، فهم يشاركونني في التقصير.

ماذا ستقول لربك غداً إذا سئلت عن تبليغ الإسلام؟

## من الذين هدى الله

الشاب النصراني إبراهيم يوسف الذي صار من دعاة الإسلام المخلصين، أخذ يدعو الدعوة إلى عدم الاكتفاء بالدعوة من فوق المنابر فقط، حيث لا ينبغي أن تركز على المنابر والمساجد، وإنما على الداعية أن ينزل إلى التجمعات البشرية حيثما وجدت بعد أن يلم بظروفها ومعتقداتها؛ كي يمكنه الرد على أي استفسار يوجه إليه، كما يدعو المسلم إلى ممارسة الدعوة إلى الله حيث إن الدعوة مسئولية المسلمين جميعاً، عامتهم وخاصتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) مائة موقف من حياة المرشدين: ٤٥.

(٢) مجلة الفيصل يناير ١٩٩٢ (السر الخفي وراء إسلام هؤلاء: ٥٠/٢).

يقول الدكتور زغلول النجار: هذه طيبة في جيش القوات الأمريكية برتبة رائد، أسلمت، ثم علمت بعد قراءتها أنها لا يحل لها أن تحيا مع زوجها غير المسلم، فأنت وقالت: أنا متزوجة وعندي أطفال، وأنا حريصة على أسرتي، فماذا أفعل؟! فنصحها الإخوة بالاتصال بزوجها، عن طريق إرسال بعض الكتيبات والأشرطة عن الإسلام، ففعلت، ولكنه لم يسلم، فجاءت تشكو، فقالوا لها: ناقشيه على الهاتف.

وبالفعل بدأت تحاوره على الهاتف، لكنه لم يسلم أيضاً، فقالت: ماذا أفعل؟! فقالوا لها: ناقشيه، ونحن بجوارك نجيب عن تساؤلاته، وتمت المناقشة على الهاتف، حتى نطق الرجل بالشهادتين على الهاتف.

ثم بعد أن عادت إلى بلادها، أرسلت خطاباً لأحد الإخوة الذين كانوا يقومون بالدعوة هنا تقول له فيه: والله لقد أصبح هذا الرجل زوجاً مثالياً ومحباً وأكثر حرصاً على بيته آلاف المرات منه قبل أن يسلم.

هذه بعض القيادات التي أتت إلى هنا لتنصير المسلمين فعادت بالإسلام.. وهذا هو الإسلام، وهذا هو واجبنا تجاهه.

### إسلام المغول

كان بركة خان أول من أسلم من أمراء المغول، وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في روسيا، وقيل في سبب إسلامه: إنه تلاقى يوماً مع عير للتجار آتية من بخارى، ولما خلا بتاجرين منهما سألهما عن عقائد الإسلام، فشرحها له شرحاً مقنعاً انتهى إلى اعتناقه هذا الدين والإخلاص له. وقيل: إن إسلام (تغلق تيمور خان) ملك كاشغر كان على يد رجل من أهل بخارى، يقال له: الشيخ جمال الدين، وكان معه جماعة من التجار، وكانوا قد اعتدوا على الأراضي التي خصصها ذلك الأمير للصيد، فأمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم، وأن يمثلوا بين يديه، ثم سألهم في غضب: كيف جرؤوا على دخول هذه الأرض؟

فأجاب الشيخ بأنهم غرباء، ولا يعلمون أنهم يجوسون أرضاً محرمة، ولما علم أنهم من الفرس قال: إن الكلب أغلى من أي فارسي، فأجاب الشيخ: نعم قد كنا أخس من الكلب وأجس ثمناً منه لو أننا لم نندن بالدين الحق.

وراع الأمير ذلك الجواب، وأمر بأن يقدم إليه ذلك الفارسي الجسور عند عودته من

الصيد، ولما خلا به سأله: ماذا يعني بهذه الكلمات؟ وما ذلك الدين؟

فعرض عليه الشيخ قواعد الإسلام في غيرة وحماس، انفطر لها قلب الأمير، حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع.

قال: ولكني اعتنقت الإسلام الآن، فلن يكون من السهل أن أهدي رعاياي إلى الصراط المستقيم.. فلتمهني قليلاً، فإذا ما آلت إلي مملكة أجدادي فعد إلي، وقد كان، ودخل التار في الإسلام<sup>(١)</sup>.

كن متفائلاً ونشطاً في دعوة الناس، والعمل لدين الله.

### إخلاص وعمل

يقول عمر التلمساني: كنت يوماً أجلس في حديقة السلامك الصغيرة، ومعني زوجي وأطفالي والكتاكيت تقفز من حولنا، وجاء خفير العزبة يقول: اثنان أفندية يريدان مقابلتك، قلت: من أبأهما أني هنا؟ قال: كنت جالساً وبعض فلاحي العزبة فمرا علينا وألقيا علينا السلام، وقال أحدهما: هل يقيم في هذه العزبة أحد من أصحابها؟ قلنا: نعم. قالوا: وفيم يعمل؟ قلنا: محامياً أهلياً.

قالا: هل يصلي؟ قلنا: نعم، قالوا: فاستأذن لنا عليه.

قلت: أحضرهما.

وحضرا وسلما وجلسا، وعرفاني بنفسيهما، ورغم تجردهما من المؤهلات الدراسية، فقد كان مستوى حديثهما يفوق مستوى كثير من ذوي المؤهلات العلمية، ولم يضيعا وقتاً، ولكنهما بدءا الحديث عما جاء من أجله.

سألني أحدهما: ماذا تفعل خارج مهنتك؟ وبدا السؤال في نظري بعيداً عن مألوف اللياقة.

فقلت ساخراً: أربي كتاكيت كما ترى. فاستمر في أسلوبه بعد أن كساه شيئاً من الجدية.

قال: وهل مسلم مثلك يضيع أوقاته في تربية الكتاكيت، وهناك من هو أولى باهتمامك؟

قلت مستفسراً: ومن هو ذلك الأولى؟

قال: وقد ازداد حماسة وجدية: إخوانك في العقيدة.

قلت: أولئك يتولى الأزهر أمرهم والحكومة معه.

قال: وهل تقوم الحكومة والأزهر بتحقيق ما تقول؟ فسكت.

ولكنه ألح علي في شيء من الخشونة.. مالك لا تجيب؟

فراوغ قائلاً: ماذا تريدان مني؟ دعوني وشأني.

فقال الآخر متلطفًا: إنك محق في ظاهر الأمر، فلتطلب منا أن ندعك وشأنك،

ولكن هل ترضى لنفسك وقد منحك الله علمًا وإقبالاً عليه.. هل ترضى لنفسك ألا

تهتم بشأن المسلمين؟

قلت: وقد أحسست بشيء من التجاوب: عندي الرغبة، ولكنني غير متين معالم الطريق.

قال: لا عليك في هذا.. ضع يدك في أيدينا ندلك على الطريق.

قلت: بلا روية ولا استعداد ولا تفكير.

قال: وهل حال المسلمين اليوم يرى تريثًا بعد ما ترى من سوء حالهم؟

قلت جانحًا للتعاون معهما: من أنتما؟ وما طريقة عملكما؟ وما دعوتكما؟

قالا معًا: نحن جماعة الإخوان المسلمين.

قلت: لم أسمع عن هذه الجماعة من قبل.

قالا: ها أنت قد سمعت، فما عساك فاعل؟

قلت: أعرف المنهاج.

قالا: كتاب الله وسنة رسوله.

قلت: وكيف أتصل بهذه الجماعة؟

قالا: سنزورك غدًا إن شاء الله.

وفي الغد جاء إلى المكتب وكانهما قد أمسكا بصيد. وقال أحدهما: ما قرارك؟

قلت: خيراً.. إني لمست في كلامكما جدية ما لي بها من عهد، ورأيت فيما تدعوانني إليه خيراً كثيراً لي أولاً وللمسلمين ثانياً.

قال: إذن سأحدد لك موعداً تلقى فيه فضيلة المرشد العام.

وأفاض فضيلته في شرح أهداف الدعوة ووسائلها المشروعة، وكان يتكلم في صدق المخلصين وأسى المحزونين على ما يصيب المسلمين في أنحاء الأرض.

ولما أنهى حديثه سألتني: هل اقتنعت؟

وقبل أن أجيب قال في حزم: لا تجب الآن.. وأمامك أسبوع تراود فيه نفسك، فإنني لا أدعوك لنزهة، ولكني أعرضك لمشقات، فإن شرح الله صدرك فتعال الأسبوع القادم للبيعة، وإن تخرجت فيكفيني منك أن تكون صديقاً للإخوان المسلمين.

وعدت في الموعد.. وبايعت.. وتوكلت على الله<sup>(١)</sup>.

يقول فتححي يكن: إن الداعية الحق هو الذي يعيش لسواه لا لنفسه، ويكون ديدنه الدوران حول مجتمعه وحول المسلمين وليس حول ذاته، وهو الذي يعمل على توفير الراحة للآخرين، ولو على حساب راحته.. فإذا قامت الوشائج بين الداعية والناس تحقق الوصال والاتصال، وتحقق التأثير والأثر، ونجحت المهمة، وآتت الدعوة أكلها بإذن ربها، وإن كان غير ذلك لم تكن دعوة ولا داعية<sup>(٢)</sup>.

### الفهم الجيد للإسلام

عبد الله بن المبارك كان يرباط في سبيل الله بثغر من ثغور المسلمين يُبعث برسالة إلى أخيه الفضيل بن عياض يعاتبه فيها لأنه ترك الرباط في سبيل الله، وانقطع لعبادة الله في المسجد الحرام يقول له:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك بالعبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الطيب

(١) الدعوة الفردية بين النظرية والتطبيق: ٢٣-٢٦.

(٢) الاستيعاب: ٦٤.

يقول الأستاذ البهي الخولي في «تذكرة الدعاة»:

ولقد كتب ابن المبارك هذا الكلام لصديقه في وقت لم يكن فيه الجهاد فرض عين، ومع هذا وصف عبادته بأنها لعب، وهي عبادة تقع في أشرف بقعة على ظهر الأرض، ترى ماذا كان يقول ابن المبارك لصديقه لو أن الجهاد فرض عين؟ وماذا كان يقول عن العبادة لو أنها كانت في غير المسجد الحرام؟!

### العزيمة القوية

حدث أكثر من مرة أن قاد صلاح الدين وهو مريض، وأخذ ينظم جيوشه ويقاقل أعداءه، وهو يعاني آلام المرض، وابن شداد يتعجب من ذلك فيرد عليه صلاح الدين قائلاً: إذا ركبت يزول عني ألمها.

يقول فتحي يكن: «الداعية لا تكون دعوتها بجمل الأفكار والنظريات المجردة إلى من حوله.. قبلوها أم رفضوها، وإنما أن يعيش هذه الأفكار معهم، ويترجمها لهم على أرض الواقع أفعالاً وأخلاقاً وممارسات، والداعية لا تكون دعوتها بمفاصلة الناس وإقامة الحججة عليهم، وإنما بأخذ كل الأسباب التي تؤدي إلى هدايتهم.

فهو من موقع الحب لهم، والغيرة عليهم، والرحمة بهم يكابد من أجل استنقاذهم من حماة الجاهلية وشقوتها إلى نعيم الإسلام، ولذلك فهو لا يسارع إلى مدايرتهم ومقاطعتهم ومفاصلتهم، وهذا كله يحتاج منه إلى حلم ورفق.

إن على الداعية أن يعتبر نفسه مريباً للناس ومعلماً لهم، وإن عليه ليكون ناجحاً في تربيته وتعليمه ألا يعاملهم كأنداد، وألا يتعامل معهم كند، وهو إن فعل ذلك أصبح مثلهم، وفقد عنصر القوامة عليهم، يقول الراشد: ولا يكون داعية اليوم إلا من يفتش عن الناس ويبحث عنهم، ويسأل عن أخبارهم، ويرحل للقائهم، ويزورهم في مجالسهم ومتندياتهم، ومن انتظر مجئ الناس إليه في مسجده أو بيته فإن الأيام تبقية وحده، ويتعلم فن الثاؤب<sup>(١)</sup>.

(١) المنطلق: ١٢٦.

## لو خرجنا بواحد لكفى

يقول الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله: ذهبت مع الإمام الشهيد مرة إلى مدينة طوخ بالقلوبية، وكان الحفل حاشداً، والتهافتات عالية، وفي الطريق سألتني فضيلته: ما رأيك في الحفل؟ قلت: إن الصخب شديد، والأصوات العالية لا تطمئني كالطبل الأجوف، قال: اسمع، نحن على قدم رسول الله، كان يعرض نفسه على الناس في الأسواق، فلا يلقي إلا السخرية والإيذاء، فهلا نصبر على بقاء الاستجابة، إننا لو خرجنا من هذه الآلاف بواحد فقط، فذلك خير من الدنيا وما فيها<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

## الجهاد

معنى الجهاد لغة: هو استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل.

وفي الاصطلاح: بذل المسلم طاقته وجهده في نصرته الإسلام ابتغاء مرضاة الله.

ويقول الأستاذ سعيد البوطي: الجهاد هو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله. والقتال نوع من أنواعه، وأما غايته فهي إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة.

### الجهاد في كتاب الله

يقول تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

ويقول سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[التوبة: ٤١].

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ويقول تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ يُغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وآيات الجهاد كثيرة.



ومن أحاديث النبي ﷺ نذكر منها:

عن أبي هريرة ؓ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» [متفق عليه].

وعن أنس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله» [رواه الترمذي].

وقال ﷺ: «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم» [متفق عليه].

### جهاد النفس

كان الأحنف بن قيس يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

ومر حسان بن أبي سنان بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه، فقال: تسألين عما لا يعينك؟ لأعاقبك بصيام سنة فصامها.

وقال محمد بن المنكدر: إنني خلفت زياد بن أبي زياد وهو يخاطب نفسه في المسجد، يقول: اجلسي، أين تريد أن تذهبي؟ أخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه، تريد أن تبصري دار فلان، ودار فلان؟

قال: وكان يقول لنفسه: مالك من الطعام يا نفسي إلا هذا الخبز والزيت، ومالك من الثياب إلا هذان الثوبان، ومالك من النساء إلا هذه العجوز، أفتحين أن تموتي؟

فقلت: أنا أصبر على هذا العيش.

هل تحرص على تدريب نفسك على تناول أطعمة لا تجبها، وتقلل من المشروبات  
المفضلة لديك؟

### الجهاد بالمال

دعم أبو بكر الدعوة بالمال والرجال والأفراد، فراح يشتري العبيد والإماء المملوكين  
من المؤمنين والمؤمنات، فقد أعتق النهديّة وبتتها، وكانت لامرأة من بني عبد الدار، مر بهما  
وقد بعتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: حل يا  
أم فلان، فقلت: حل أنت، أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا.  
وقال: قد أخذتهما وهما حرتان أرجعا إليها طحينها. قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم  
نرده إليها؟ قال: وذلك إن شئتما.

وهنا وقفة تأمل ترى كيف سوى الإسلام بين الصديق والجاريتين حتى خاطبته  
خطاب الند للند، لا خطاب المسود للسيد، وتقبل الصديق على شرفه وجلالته في  
الجاهلية والإسلام منهما ذلك، مع أن له يد عليهما يد بالعتق، وكيف صقل الإسلام  
الجاريتين حتى تحلقتا بهذا الخلق الكريم، وكان يمكنهما وقد أعتقتا وتحرتا من الظلم أن  
تدعا لها طحينها يذهب أدراج الرياح، أو يأكله الحيوان والطيور، ولكنهما أبتا تفضلاً، إلا  
أن تفرغا منه، وترداه إليها.

ومر الصديق بجارية بني مؤمل -حي من بني عدي بن كعب- وكانت مسلمة، وعمر  
ابن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك يضربها، حتى إذا مل قال: إنني  
أعتذر إليك إنني لم أتركك إلا عن ملال فتقول: فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر فأعتقها<sup>(١)</sup>.

### تحويل شيك للمجاهدين

أرسلت وزارة الثقافة بدولة الإمارات دعوة للأستاذ عمر التلمساني عام ١٩٨٢م  
فلبى الدعوة، وألقى محاضرة في النادي الثقافي بأبي ظبي حيث جاء جمع غفير ملا القاعة لم  
يأت قبله مثله. وعقد التلفزيون عدة ندوات مع الأستاذ المرشد وكذلك جريدة الاتحاد.

(١) أبو بكر الصديق للصلابي: ٤٨.

وفي نهاية الزيارة قدمت الوزارة تحية لضيفها الكبير شيكاً بخمسة وثلاثين ألف درهم، فشكر الأستاذ عمر لهم هذا الصنيع الكريم. ثم قال للأستاذ جابر رزق في الحال: حول هذا الشيك إلى المجاهدين الأفغان<sup>(١)</sup>.

هل أنت على استعداد أن تصرف حافزاً من حوافز عملك لإخوانك في فلسطين؟

### الجهاد التعليمي

قال البخاري: لما طعنت في ثمان عشرة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقويلهم، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة، وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أنني كرهت تطويل الكتاب.

وقال: وما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال محمد بن أبي حاتم: سمعت البخاري يقول: خرجت إلى آدم بن أبي إياس، فتخلفت عني نفقتي، حتى جعلت أتناول الحشيش، ولا أخبر بذلك أحداً، فلما كان اليوم الثالث، أتاني آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك.

وقال البخاري: احفظ مائة ألف حديث صحيح، واحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح.

وقال الضريري: أملى البخاري يوماً عليّ حديثاً كثيراً، فخاف ملالي، فقال: طب نفساً، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجارتهم، وأنت مع النبي وأصحابه.

وقال حاشد بن إسماعيل وآخر: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة، وهو غلام، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنما أكثرتم علي وألحتم، فأعرضا عليّ ما كتبتم، فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها عن ظهر قلب، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أنني اختلف هدرًا، وأضيع عمري؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.

(١) مائة موقف من حياة المرشدين: ١٣٦.

أحرص على طلب العلم ونشره ابتغاء وجه الله.

### الجهاد السياسي

عالم أزهري والخديو إسماعيل

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، وتوالت الهزائم على مصر، لوقوع الخلاف بين قوادها وجيوشها، ضاق صدر الخديو لذلك، فركب يوماً مع شريف باشا، وهو محرج فأراد أن يفرج عن نفسه فقال لشريف باشا: ماذا تصنع حينما تلم لك مُلمة تريد أن تدفعها؟ فقال: يا أفندينا، إن الله عودني إذا حاق بي شيء من ذلك أن أُلجأ إلى صحيح البخاري، يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس، فيفرج الله عني.

قال: فكلم الخديو شيخ الأزهر - وكان الشيخ العروسي - فجمع له صلحاء العلماء يتلون صحيح البخاري أمام القبة القديمة في الأزهر.

قال: ومع ذلك ظلت الهزائم تتوالى، فذهب الخديو ومعه شريف إلى العلماء، وقال محققاً: إما إن هذا الذي تقرأونه ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح، فإن الله لم يدفع بكم ولا بتلاوتكم شيئاً.

فوجم العلماء، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له: منك يا إسماعيل، فإننا روينا عن النبي أنه قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم، فلا يستجاب لهم» فزاد وجم الشيوخ، وانصرف الخديو ومعه شريف، ولم ينسأ بكلمة، وأخذ العلماء يلومون القائل ويؤنبونه، فبينما هم كذلك إذا بشريف باشا قد عاد يسأل: أين الشيخ القائل للخديو ما قال؟

فقال الشيخ: أنا، فأخذه وقام، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومون الشيخ يودعونه وداع من لا يأمل أن يرجع، وسار شريف بالشيخ إلى أن دخلا على الخديو في قصره، قاعد في البهو، وأمامه كرسي أجلس الشيخ عليه، قال له: يا أستاذ ما قلته لي في الأزهر؟ فأعاد عليه الشيخ كلمته، وردد الحديث وشرحه، فقال له الخديو: وماذا صنعنا حتى ينزل بنا البلاء.

قال له: يا أفندينا أليست المحاكم المختلطة فتحت بقانون يبيح الربا؟ أليس الزنا

برخصة؟ أليس الخمر مباحاً؟ أليس؟ أليس؟ وعدد له منكرات تجري بلا إنكار، وقال:  
كيف تنتظر النصر من السماء؟

فقال الخديو: وماذا نصنع وقد عاشرنا الأجانب وهذه هي مدنيتهم؟

قال الشيخ: إذن ما ذنب البخاري؟ وما حيلة العلماء؟ ففكر الخديو ملياً، وأطرق  
طويلاً ثم قال له: صدقت، صدقت<sup>(١)</sup>.

هل تجهر بكلمة الحق لإعلاء دين الله، وتصحيح المفاهيم الخاطئة؟

### جهاد الأعداء

عن ابن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة.

فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً، وأصابنا فيه عطش حتى  
ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرحل فلا يرجع حتى يظن  
أن رقبتة ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعتصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقى  
على كبده. (الطبراني).

وعن أبي السائب: أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحدًا أنا وأخ لي  
فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله بالخروج في طلب العدو قلت لأخي -أو قال  
لي-: أتفوتنا غزوة مع رسول الله؟ والله! ما لنا من دابة نركبها، وما أنا إلا جريح ثقيل،  
فخرجنا مع رسول الله، وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة  
حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

وعن ابن عمر قال: أمر رسول الله في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ:  
«إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة» قال عبد الله: كنت فيهم في تلك  
الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعا وتسعين  
من ضربة ورمية، ليس منها شيء في دبره.

### ستار القدرة

يقول سيد قطب: إن المؤمنين ستار القدرة، يفعل الله بهم ما يريد، وينفذ بهم ما

(١) مائة موقف من حياة العظماء: ٤٥-٤٦.

يختاره بإذنه، ليس لهم من الأمر شيء، ولا حول ولا قوة، ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يريد بإذنه، وهي حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين<sup>(١)</sup>.

### وقفه

قال البنا: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهم الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكرهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

واعلموا أن الموت لا بد منه، وأنه لا يكن إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فاعملوا للموتة الكبرى تظفروا بالسعادة الكاملة.

### عزاء والد الشهيد

يقول الأستاذ عمر التلمساني: لقد أحيا الإمام الشهيد البنا روح الجهاد في نفوس أبناء هذا الجيل، وتأثر الإمام، وتأثر الشباب، وتأثر آباؤهم وكانت مواقف رائعة. استشهد أحد أبناء الإخوان في فلسطين، فذهب الإمام إلى والد الشهيد ليعزيه، فسمع الناس ورأوا درساً باهراً، وقال الوالد للإمام: إن كنت جئت معزيًا فارجع أنت ومن معك. وأما إن كنت جئت لتهنئي فمرحبًا بك وبمن معك. لقد علمتنا الجهاد وبينت لنا ما فيه من عزة ورفعة في الدنيا، وأجر كريم في الآخرة فجزاك الله خيرًا، وإني لحريص على

(١) في ظلال القرآن: (١/ ٢٧٠).

مضاعفة الأجر، فما هو ولدي الثاني، أقسمت عليك لتصبحه إلى ميادين الجهاد، فانهمرت الدموع، وعلا الشيع، وتصاعدت الزفرات<sup>(١)</sup>.

### الرحمة في الجهاد الإسلامي

لما كانت الغاية في الجهاد الإسلامي أنبل الغايات، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل، فقد حرم الله العدوان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اغْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة.

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون، ولا يمثلون ولا يسرقون، ولا يتهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى، فهم في حربهم غير محاربين كما أنهم في سلمهم أفضل مسلمين.

عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا» [رواه مسلم].

كما ورد النهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى، وإهانة الرهبان ومن لا يقاتل من الأمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدنين الخائفة وفظائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولي من هذا العدل الرباني الشامل؟ اللهم فقه المسلمين في دينهم، وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام.

### من جهاد الأبطال

لقد اعتقل يوسف طلعت وإخوانه عام ١٩٤٩م وهم في ميدان الجهاد في فلسطين، وأقيم له معسكر اعتقال بإشراف الجيش المصري، ثم نقلوا إلى معتقل الطور، وحين خرج من المعتقل لم يهدأ، بل ظل يهاجم الإنجليز في المعسكرات بقناة السويس مع أخيه محمد فرغلي والإخوان المجاهدين، حتى إن الإنجليز وضعوا جائزة قيمة لمن يعثر عليه أو على أخيه الشيخ فرغلي حياً أو ميتاً، فما كان منه إلا أن خرج أمامهم متنكراً في هيئة شيخ كبير السن يحمل طفلاً رضيعاً، فلم يتعرضوا له لما يتمتع به من هدوء الأعصاب، والقدرة

(١) مائة موقف من حياة المرشدين: ٥٦-٦٦.

على تجاوز الصعاب دون أدنى خوف أو وجل<sup>(١)</sup>.

يقول نجل الشهيد عبد العزيز الرنتيسي - قبيل وفاة أبيه -: أستيقظ أبي واغتسل وتعطر، وأخذ ينشد -على غير عادته- نشيداً إسلامياً مطلعته: أن تدخلني رب الجنة هذا أقصى ما أتمنى، وأضاف: التفت إلى والدتي وقال لها: إنها أفضل الكلمات التي أحبها في حياتي، وحينها شعرت بالقلق<sup>(٢)</sup>.

### المسلمون = جهاد

كلمة المسلمين «معرفة ونكرة» وردت في القرآن ٤١ مرة، وكذلك كلمة الجهاد بمشتقاتها وردت ٤١ مرة في القرآن الكريم، وفي هذا إشارة إلى أن المسلمين = جهاد، أي لا مسلمون بلا جهاد ولا جهاد بلا مسلمين، فكأن الجهاد المقدس لا يصدر إلا من مسلم، وليس هناك مسلم إلا ويجهاد لرفعة دينه<sup>(٣)</sup>.

### حب الشهادة

في إحدى معارك ١٩٤٨م بفلسطين يقول أحمد عيد: كانت ذراع أحدهم تنزف بغزارة، تقدمت منه وحاولت أن أثنيه عن عزمه بجذبه أو هزه؛ لعله في غيبوبة فيفيق منها فنظر إليّ بعينين براقيتين، وقال: ليتها كانت القاضية يا أخي، إنني أشم رائحة الجنة فكيف تحرمني من هذا النعيم؟

دعني أمضي في سبيلي، فلم أر مناصاً من موافقته على ما أراد، وأذعن لمشيئته، ومضينا صعوداً والنيران تنهمر كأفواه القرب، غزارة ثم طيشاً، إلى غير هدف كأن أيدي خفية تصدها عنا، وتحميننا من لظاها، وكنا كلما اقتربنا من خط العدو انفجرت أساريرنا وزاد حماسنا.

فجأة ظهرنا بمجموعاتنا كاملة، وفي أيدينا خناجر، تلمح وتضئ، فتمزق أستار الليل، وتمزق جنود العدو الهارب.

ورحنا نتنادى ونتعارف، الله أكبر والله الحمد، والمواقع تنهار، وكأنها المهشيم، وسكن

(١) من أعلام الحركة الإسلامية: ٥٥٥.

(٢) مذكرات الشهيد الرنتيسي: ١٢.

(٣) إيقاظ الغافلين: ١٩٨.



الكون إلا عن صدى النداء المعظم «الله أكبر»، بحثت عن الأخ الجريح، فوجدت مشهداً مؤثراً بالغ الروعة، وجدته مرتماً فوق جثة أحد الصهاينة ويدها مطبقتان على عنقه والصهيوني جاحظ عيناه، قد فارق الحياة.

جذبت الأخ برفق فإذا خنجره في صدره، لقد صمم على الشهادة فناها، وأراد سبيل الله فمضى فيها.

وبصعوبة بالغة استطعت أن أنزع يديه عن عنق الصهيوني، وكأنهما أصبحا قطعة واحدة<sup>(١)</sup>.

### نموذج المجاهد

يقول البنا: أستطيع أن أتصور المجاهد شخصاً قد أعد عدته وأخذ أهفته، وقلب عليه الفكر فيما هو فيه نواصي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير، عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبداً، إن دُعي أجاب، أو نودي لبي، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسامات وجهه، وترى في بريق عينيه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدل على ما يضطرم في قلبه من جوى لاصق وسر دفين، وما تفيض به نفسه من عزم صادق وهمة عالية وغاية بعيدة.

أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه، ويأكل ملء ماضغيه، ويضحك ملء شذقيه، يقضي وقته لاهياً عابثاً ماجئاً، فهيهات أن يكون من الفائزين أو يكتب في عداد المجاهدين.

### خطبة ثورية

خطب الشيخ الشهيد أحمد ياسين ذات مرة، وكان يبدو منفعلاً فجاءت كلماته رصاصاً في قلب الأعداء، برداً وسلاماً على قلوب الأجيال والإخوان، قال رحمه الله: والآن وقد بدأت الصحوة الإسلامية في الشرق وفي الغرب، وفي كل مكان فلا بد لكل مسلم أن يسأل نفسه: ما هو دوري في هذه الصحوة؟ وما هو دوري في معركة الإسلام؟ أين أقف الآن؟ وما هو موقفي؟ إنه ليس من الحكمة أن نقف فقط - ونلن الظلام، بل لا بد أن نضئ الشموع لنطرد الظلام ونبدد الحلكة. إن دعوة الله أمانة وهي بين أيدينا، فعلياً أن نبلغها للناس

(١) مواقف إيمانية، أحمد عيد: ٥٠-٥١.

بالسلوك الحميد واللحمة الطيبة والمعاملة الحسنة، علينا أن نبلغها بالدفاع عنها بالفكر والجهاد والقلم واليد واللسان، حتى تصل إلى الناس جميعاً، وحتى نؤدي واجب هذه الدعوة<sup>(١)</sup>.

### حزن عميق

والله إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنا لما حل بأمة الإسلام لمحزونون!!  
أهذه هي الأمة التي زكاها ربها، وكرمها في قرآنه حين قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ  
لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أهذه هي الأمة التي زكاها ربها بالاعتدال والوسطية، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً  
وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

أهذه هي الأمة التي زكاها الله في القرآن بالألفة والوحدة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ  
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ألا يا نفس ويحك ساعديني بسعي منك في ظلم الليالي  
لعلك في القيامة أن تفوزي بطيب العيش في تلك الفلالي

### الخوف من الله دفعه للشهادة

ثابت بن قيس رآه رسول الله ﷺ ذات يوم هلعاً جزعاً ترتعد فرائضه خوفاً وخشية،  
فقال له: «ما بك يا أبا محمد؟!» فقال: أخشى أن أكون قد هلكت يا رسول الله. قال:  
«ولم؟!» قال: لقد نهانا الله عز وجل عن أن نحب أن نحمد بما لم نفعل، وأجدني أحب  
الحمد، ونهانا عن الخيلاء، وأجدني أحب الزهو، فما زال الرسول صلوات الله وسلامه  
عليه يهدئ من روعه حتى قال: «يا ثابت، ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل  
الجنة؟» فأشرق وجه ثابت بهذه البسرى، وقال: بلى يا رسول الله، بلى يا رسول الله،  
فقال الرسول: «إن لك ذلك».

فأقبل ثابت على الجهاد، لطلب الشهادة ودخول الجنة، ومضى به الأجل إلى حروب  
الردة ضد مسيلمة الكذاب ومدعي النبوة، وفيها تحنط ثابت وتكفن ووقف على رءوس

الأشهاد وقال: يا معشر المسلمين، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله؛ بئس ما عودتم أعداءكم من الجرأة عليكم، وبئس ما عودتم أنفسكم من الانخزال لهم، ثم رفع طرفه على السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء من الشرك -يعني مسيلمة وقومه-، وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء -يعني المسلمين-.

ثم هب هبة الأسد الضاري كتفاً لكتف مع الغر الميامين: البراء بن مالك الأنصاري، وزيد بن الخطاب أخو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم وغيرهم من المؤمنين السابقين، وأبلى بلاء عظيمًا ملأ قلوب المسلمين حمية وعزمًا، وشحن أفئدة المشركين وهنأ ورعبًا. وما زال يجالِد في كل اتجاه، ويضارب بكل سلاح حتى أنختته الجراح، فخر صريعًا على أرض المعركة، قرير العين بما كتب الله له من الشهادة التي بشره بها حبيبه رسول الله ﷺ مثلج الصدر بما حقق الله على يديه للمسلمين من النصر.

ولم يقف بهم الشوق إلى الشهادة لنيل الجنة إلى هذا الحد، ولكنهم وجدوا ريح الجنة في مكان نيلها، وهم أحياء قبل الشهادة<sup>(١)</sup>.

### يا فلسطين

كيف أبدي بأحرف ما أريد  
وبماذا تراه يحكي القصيد  
كل يوم تدق بابي عظام  
ويهز الفؤاد خطب جديد

لك الله يا شعب فلسطين، صراخ وعويل وأنين، وقتل وتشريد للمدنيين، هتك عرض، ونهب أرض، وهدم بيوت، وأنفس تقتل وتموت، وآلاف المعتقلين بالسجون، وجرحى ومصابون، وآخرون مشوهون ومعاقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون<sup>(٢)</sup>.

كيف ننام ملء جفوننا، ونحن نرى صور الأمهات الثكالي، وهن يتحنن بجوار جثث أبنائهن وأزواجهن. نساء ضعيفات عجائز كبيرات يرمقن الجنائز بعين الأسى والحسرة.  
إلى متى تلك الجازر يا بني قومي أما اهتزت لكم أعراق  
أوليس من قتلوا ومن صُلبوا لنا أهلاً فأين البر والإشفاق

(١) خير القرون: (٢/٢٠٦-٢٠٧).

(٢) عندما ينطق الحجر: ٨.

إن لم يكن دين فكل فضيلة  
واضيعة الإسلام في أوطانه  
في كل ناحية أنين ثواكل  
أرثي لأوطاني ومن باتوا  
فمتى سينقشع الظلام ويرتقي  
هدر وليس لكافر ميثاق  
ضاقت به وبأهله الآفاق  
وأرامل تغلي بها الأعماق  
على غفلاتهم والغافلون أفاقوا  
علم الجهاد الظافر الخفاق

### البطل الليبي

البطل الليبي «عمر المختار» الذي حارب الاستعمار الإيطالي، وجيوشه المجهزة بأحدث أسلحة عصره، بالقلعة المؤمنة العزلاء، أو شبه العزلاء من جنده؛ وقف يحارب الطائرة بالحصان، والمدفع بالسيف، واستطاع أن ينزل بأعدائه ضربات موجعة، ولم يرض بالتسليم ساعة ما، رغم نفاذ قوته المادية كلها، ولكنه ظل يقول للطلليان: لئن كسر المدفع سيفي، فلن يكسر الباطل حقي.

وكان مريضاً بالحمى، تهز رعدتها جسده، وترتعد بها فرائصه، ورغم هذا قال لجنوده: اربطوني على ظهر جوادي بالحبال حتى لا أتخلف عن القتال معكم.

وحين ظفر به الجيش المستعمر وحكموا عليه بالإعدام تقبل الحكم برحابة صدر، وابتسامه سخرية، وقال له بعضهم -قبل تنفيذ الحكم-: اطلب العفو ونحن نطلق سراحك، فأجابهم بكل إباء وشمم: لو أطلقتكم سراحي لعدت لمحاربتكم من جديد<sup>(١)</sup>.

### اللهم احشرنني من حواصل الطير

عن أبي قدامة الشامي قال: كنت أميراً على الجيش في بعض الغزوات فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم في الثواب، وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس وركبت فرسي وسرت إلى منزلي فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس تُنادي: يا أبا قدامة، فقلت: هذه مكيدة من الشيطان. فمضيت ولم أجب. فقالت: ما هكذا كان الصالحون، فوقف، فجاءت ودفعت إلى رقعة وخرقة مشدودة وانصرفت باكية.

فنظرت إلى الرقعة فإذا فيها مكتوب: إنك دعوتنا إلى الجهاد ورغبتنا في الثواب، ولا

قدرة لي على ذلك فقطعت أحسن ما في، وهما ضفيري تاي وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك، لعل الله يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي.

فلما كانت صبيحة القتال فإذا بسلام بين يدي الصفوف يقاتل فتقدمت إليه وقلت: يا فتى أنت سلام غر راجل ولا أمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا.

فقال: أتأمرني بالرجوع؟ وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

فحملته على هجين كان معي فقال: يا أبا قدامة ثلاثة أسهم.

فقلت: أهذا وقت قرض؟ فما زال يلح علي حتى قلت بشرط: إن من الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك.

قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهمًا في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة. ورمى به فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قدامة فقتل روميًا. ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك سلام مودع.

فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس<sup>(١)</sup> سرجه. فتقدمت إليه وقلت: لا تنسها.

فقال: نعم ولكن لي إليك حاجة: إذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلم خرجي إليها وأخبرها فهي التي أعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلم عليها فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وفي هذا العام بي ثم مات.

فحفرت له ودفنته. فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها. فقال أصحابي: إنه سلام غر ولعله خرج بغير إذن أمه. فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا. فقامت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل فسمعت صوتًا يقول: يا أبا قدامة أنزل ولي الله.

(١) قربوس: الجزء المرتفع من مقدمة السرج.

فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته إلي فلما رأتي عادت وقالت: يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخي، فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي.

فخرجت أمه إلي فقالت: أمعزياً أم مهنتاً؟

فقلت: ما معنى هذا؟

فقالت: إن كان مات فعزني، وإن كان استشهد فهنتني.

فقلت: لا بل مات شهيداً.

فقالت: له علامة فهل رأيته.

قلت: نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها.

فقالت: الحمد لله. فسلمت إليها الخرج ففتحته فأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد.

وقالت: إنه كان إذا جنه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه،

وقال في مناجاته: اللهم احشرنني من حواصل الطيور. فقد استجاب الله دعاءه.

### صور أخرى

وذكر البنا رحمه الله صوراً وألواناً أخرى للجهاد فقال:

١- من الجهاد في الإسلام أيها الحبيب: عاطفة حية قوية تفيض حناناً إلى عز الإسلام ومجده، وتهفو شوقاً إلى سلطانه، وتبكي حزناً على ما وصل إليه المسلمون من ضعف، وما وقعوا فيه من مهانة، وتشتعل ألماً على هذه الحال التي لا ترضي الله ولا ترضي الرسول ﷺ. لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

٢- من الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن يملك هذا الهم الدائم والجوى اللاحق على التفكير الجيد في طريق النجاة، وتلمس سبيل الخلاص، وقضاء وقت طويل في فكرة عميقة تمحص بها سبل العمل وتلمس فيها أوجه الحيل لعلك تجد لأمتك منفذاً أو تصادف منقداً، ونية المرء خير من عمله، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

٣- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تنزل عن بعض وقتك وبعض مالك، وبعض مطالب نفسك لخير الإسلام والمسلمين، فإن كنت قائداً ففي مطالب القيادة تنفق،

وإن كنت تابعاً ففي مساعدة الداعين تفعل، وفي كل خير قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [النساء: ٩٥].

٤- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وأن تنصح لله ورسوله وكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن تدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وما ترك قوم التناصح إلا ذلوا، وما أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا خذلوا، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٠٠﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

٥- ومن الجهاد في سبيل الله: أن تتنكر لمن تنكر لدينه، وأن تقاطع من يعادي الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة، ولا مؤاكلة ولا مشاركة.. وفي الحديث: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض» [رواه أبو داود].

٦- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تكون جندياً لله تقف له نفسك ومالك لا تبقى على ذلك من شيء، فإذا هدد مجد الإسلام وديست كرامته ودوى نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام كنت أول مجيب للنداء، وأول متقدم للجهاد. وبذلك يتحقق ما يريد الله من نشر الإسلام حتى يعم الأرض جميعاً.

٧- ومن الجهاد في سبيل الله أيها الحبيب: أن تعمل على إقامة ميزان العدل وإصلاح شئون الخلق، وإنصاف المظلوم والضرب على يد الظالم، مهما كان مركزه وسلطانه، جاء في الحديث: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان أو أمير جائر» الترمذي، وجاء أيضاً: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» الطبراني.

٨- ومن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى: إن لم توفق إلى شيء من ذلك كله أن تحب المجاهدين من كل قلبك، وتنصح لهم بمحض رأيك، وقد كتب الله لك بذلك الأجر وأخلاقك من التبعة، ولا تكن غير ذلك فيطبع الله على قلبك ويؤاخذك أشد المؤاخذة.

## التضحية

لا جهاد بلا تضحية، فمن ظن أنه يستطيع أن يجاهد في سبيل الله ويتنصر دون تضحية فقد خاب ظنه، والتضحية ألوان متعددة: بالمال، والوقت، والجهد، والأهل، والعشيرة، بل والنفس في سبيل نشر الدعوة، وإقامة الدين وحفظه، وهكذا أقيم المجتمع المسلم الأول على أكتاف رجال ضحوا بكل شيء.

إن أهل الباطل يتفانون في الدفاع عن باطلهم، ويغتمون الفرص المناسبة للهجوم علي المعتقدات التي يرون أنها تهدد وجود باطلهم الذي يتوقف وجودهم عليه، قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ \* وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا وَعَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ \* أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ ﴿ص: ٥-٨﴾ فأين أهل الحق من التضحية من أجل دينهم؟!

### من أنواع التضحية

#### ١- تضحية بالعلاقات الاجتماعية

قال ابن إسحاق: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما قدمنا المدينة نزلت مع عياش بن أبي ربيعة في بني عمرو بن عوف بقاء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي بيعة، وكان ابن عمهما وأخاها لأمهما، حتى قدما علينا المدينة ورسول الله بمكة، فكلماه وقالوا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها.

وهكذا ندرك كيف يبذل دعاة الضلال من وقتهم وجهدهم وأموالهم في سبيل نصرة باطلهم، ومحاولة إخماد دعوة الحق، حيث خرج أبو جهل وأخوه من مكة إلى المدينة وتحملا عناء السفر من أجل محاولة فتنة فرد واحد عن دينه، أفلا يتحمل المسلمون مثل هذا الجهد أو أفضل منه من أجل دعوة الناس إلى الرشيد واتباع الحق؟!



لقد حاول أبو جهل أن يدخل على عياش من الجانب المؤثر عليه، حيث ذكر وضع أمه ليكسب موافقته على العودة ، وهو يعلم أن عياش من أهل البر والصلة.

قال عمر: يا عياش، إنه والله إن يريد القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو أذي أمك القمل لامشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

فقال عياش: أبر قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه ، وهنا وقع عياش في شباك عاطفة القرابة، فقال عمر: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً فلك نصف مالي ولا تذهب معهما، قال: فأبي علياً إلا أن يخرج معهما، فلما أبي إلا ذلك قال: قلت له: أما إذ قد فعلت فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة نجبية ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانجُ عليها.

وهذه تضحية كبيرة من عمر حيث تنازل لعياش عن نصف ماله وعن ناقتة، والمال من أعز المحبوبات لدي الإنسان.

قال عمر: فخرج عليها - يعني علي ناقة عمر - معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظ عليٌ بعيري هذا، أفلا تعقيني على ناقتك هذه ؟ قال : بلي، قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استوتوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن. قالوا: يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهننا هذا.

وفي ذلك عبرة للمسلمين حتى لا يأمنوا الكفار، وإن أظهروا لهم المودة وقدموا لهم المعونة، إن ذلك نوع من الطعم الذي يصطادون به المسلمين، قال تعالى: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

#### محاولة اغتيال فاشلة

روي ابن أبي شيبة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم إلا يوماً، اتمروا به وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام فقام إليه عقبة بن أبي معيط فجعل رداءه في عنقه ثم جذبته حتى وجب لركبتيه ساقطاً، وتصايح الناس حتى ظنوا أنه مقتول ، فأقبل أبو بكر يشتمه، حتى أخذ

بضبعي رسول الله من ورائه وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

ثم انصرفوا عن النبي ﷺ، فقام رسول الله ﷺ فصلي، فلما قضى صلاته مر بهم - وهم جلوس في ظل الكعبة - فقال: يا معشر قريش: «أما والذي نفس محمد بيده: ما أرسلت إليكم إلا بالذبح، وأشار بيده إلى حلقه» فقال له أبو جهل: ما كنت جهولاً، فقال رسول الله ﷺ: «أنت منهم».

وتحمل الرسول الكثير من الإيذاء من أجل دعوة الناس إلى الخير، فلا تجزع من أول بلاء وتذكر تضحية الرسول ﷺ.

إيذاء شديد:

عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: «بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: الا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجئ به ثم يمهلها حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاها (هو عقبة بن أبي معيط)، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة رضي الله عنها - وهي جويرية - فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ حتى ألقته عنه، وأقبلت تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش» ثم سمي: «اللهم عليك بعمر بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد» قال ابن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القلب - قلب بدر - ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبع أصحاب القلب لعنة».

احذر المعوقات

يقول فتحي يكن: لقد اختارت القيادة مجموعة من الإخوة لحرب الإنجليز المحتلين في القناة سنة ١٩٥١م، وعند السفر قال لهم أخ: أمهلوني يوماً واحداً حتى أعود إلي المنزل أرتب أموري فحذروه، ولكنه استأذن، فغاب عنهم خمسة عشر يوماً، فلما لحق بهم سألوه، فقال لهم: لقد أحسَّت بي زوجتي فكانت كلما هممت بالخروج (صوتت) وجمعت عليّ العائلة.. حتى تغفلتها وهربت.

يقول الأستاذ فتحي يكن: أعرف أخًا كان قبل زواجه مقدمًا معطاء، ولقد نكب بزوجة سيئة وضعت الموت والفقر بين عينيه، فكانت كلما رزق بسلام ذكرته بحقه (المادي) عليه، وأن عليه مضاعفة السعي من أجله.. ولما تكاثرت ذريته - وامرأته على الشاكلة - سقط في الامتحان، وأصبح عبدًا للعالم بعد أن أصبح عبدًا للزوجة<sup>(١)</sup>.

## ٢- التضحية بالوقت والجهد

هاجر مصعب بن عمير من مكة إلى المدينة بأمر من الرسول، فترك الوطن والأهل والمال وبذل كل وقته سعيًا بين الأوس والخزرج داعيًا إلى الله على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فمهد لهجرة النبي ﷺ فكان خير سفير، وعاد باثنين وسبعين رجلاً وامرأتين إلى رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا، وكذلك جعفر بن أبي طالب وإخوانه الذين هاجروا معه إلى الحبشة، والأمثلة كثيرة من أصحاب الهمم العالية.

## ٣- التضحية بالمال

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

يأتي أبو بكر ﷺ بكل ماله في غزوة تبوك؛ أربعة آلاف درهم، ويسأله رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ فيقول: أبقيت لهم الله ورسوله.

لا تبخل علي إخوانك المحتاجين.

هذا لا يأخذ أجرًا

انتدب الأزهر الأستاذ عمر التلمساني لإلقاء بعض المحاضرات في الشريعة والقانون بالجامعة، وكان ذلك أيام الدكتور عبد الحلیم محمود، فلما جاء كشف صرف المكافآت للسادة الأساتذة المحاضرين المتدربين، إذا بالدكتور عبد الحلیم محمود يجد اسم الأستاذ عمر التلمساني مدرجًا بالكشف فقال للمسئول: ارفع اسم الأستاذ عمر من الكشف، هذا لا يأخذ أجرًا (ده مش بتاع كده) ودار حوار، ولم يرفع المسئول اسم الأستاذ عمر. ولما حان وقت صرف المكافآت، ذهب المسئول بالكشف للأستاذ عمر ليوقع، فأبى.

فذهب المسئول للدكتور عبد الحليم محمود ، فقال الدكتور عبد الحليم محمود: ألم أقل لك أن الأستاذ عمر لا يأخذ أجراً.

### باع الجاموسة

أيام حرب فلسطين ١٩٤٨م سجل فلاح من الإخوان - اسمه حسن الطويل - اسمه في كتائب المتطوعين، وترك أهله وأرضه وكل شيء، بل باع (جاموسته) ليشتري بئمنها سلاحاً، فقال له الحاج أحمد البس: يا حسن دع الجاموسة لأولادك وحسبك أنك تطوعت بنفسك، وعلى غيرك ممن لم يجاهد بنفسه أن يجاهد بماله، فرد عليه حسن قائلاً: هل قال الله تعالى: وجاهدوا بأنفسكم فقط، أم قال: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾؟ هل اشترى منا النفس وحدها، أم النفس والمال ليعطينا الجنة؟ أم تريدون أن نتسلم (البضاعة) دون أن ندفع الثمن.

### ٤- التضحية بالنفس

عن أم حارثة بن سراقه - رضي الله عنها - أنها أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قُتل يوم بدر أصابه سهم غرب (لا يعرف راميته) - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة، إنما جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» [رواه البخاري].

إن القلب ليطير فرحاً مع هذا الصحابي الذي نال الفردوس الأعلى، ألا تشتاق أن تكون معه في جنة عرضها السماوات والأرض تحت عرش الرحمن، فسارع من الآن قبل فوات الأوان.

### تضحية ضمرة

استمع الصحابي ضمرة بن جندب ؓ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَلَمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٧]

فحين استمع إلي هذه الآيات وكان بمكة لم يهاجر بعد، وكان مسناً لا يقوي على احتمال السفر، قال لبنيه: احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدى إلى

الطريق، والله لا أبيت الليلة بمكة، فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، فمات بالتنعيم، ولما أدركه الموت أخذ يصفق يمينه على شماله ثم قال:

«اللهم هذه لك، وهذه لرسولك، أبايعك علي ما بايعك عليه رسولك»، فمات حميداً، فلما بلغ خبره أصحاب النبي ﷺ فقالوا: لو توفي بالمدينة لكان أتم أجراً، وقال المشركون وهم يضحكون: ما أدرك هذا ما طلب، فنزلت الآية: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

أنها التضحية الصادقة مع الله، فرزقه الله الشهادة، فهل أنت صادق في حبك للإسلام، وعلي استعداد للتضحية من أجل نصرته؟

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة ابن الجراح ؓ نتلقى بعيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة تمر؛ نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء فتكفيننا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط (ما يسقط من ورق الشجر) ثم نبله بالماء فنأكله. [رواه أبو داود].

### أين التضحية؟!

عن ابن عمر قال: بلغ عمر بن الخطاب ؓ أن يزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - يأكل ألوان الطعام، فقال لمولى له يقال له يرفأ: إذا علمت أنه قد حضر طعامه فأعلمني، فلما حضر غداؤه جاء فأعلمه، فأتى عمر فسلم واستأذن فأذن له، فدخل فجاء بلحم فأكل عمر معه منه، ثم قرب شواء فبسط يده وكف عمر يديه ثم قال عمر: الله يا يزيد بن أبي سفيان: أطعام بعد طعام، والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سبتهم ليخالفن بكم عن طريقهم.

عليك بالتضحية بوجبة من وجباتك لإخوانك الفقراء، وليكن طعامك في هذا اليوم خشناً، للتعود على جهاد النفس، فهو الطريق للتضحية بالنفس في سبيل الله دون تحاذل.

### فهم خاطئ

عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة

بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس أنتم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحنا وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

إن البشر إلى فناء، وإن العقيدة إلى بقاء، ومنهج الله للحياة مستقل في ذاته، فإذا كان العمر مكتوباً، والأجل مرسومًا، فلتنظر نفس ما قدمت لغد؟ ولتنظر نفس ماذا تريد؟ أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان، وأن تحصل همها كله في هذه الأرض، وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع، فالخوف والهلع والحرص لا تطيل أجلاً، والشجاعة والثبات والإقدام لا تقصر عمراً، فلا نامت أعين الجبناء.

### أريد أن أطأ بعرجتي في الجنة

كان عمرو بن الجموح ؓ أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب، يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما توجهوا إلى أحد أراد أن يتوجه معهم، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتي عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، والله إنني لأرجو أن أستشهد، فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه؟ لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ، فقتل يوم أحد شهيداً.

كم كان مشتاقاً إلى دخول الجنة بالعمل لا بالقول فحسب، فالتضحية بالنفس تكون بالدعاء ليل نهار أن يرزقك الله الشهادة، وتتصف بصفات المجاهدين، وتضحى بنفسك كما فعل سحرة فرعون.

قال تعالى على لسان السحرة: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه ٧٢، ٧٣].

فلتعذب الأجساد ولتزهق الأرواح، وتقطع الأيدي والأرجل من خلاف، ولتصلبنا في جذوع النخل، فافعل ما تشاء. وهكذا أصحاب العقيدة يضحون بكل ما يملكون؛ لا يذلون ولا يهنون، ولا يضعفون مهما لاقوا من وسائل التعذيب، بل يظلون أوفياء للفاء، شرفاء عند الابتلاء، أقوياء يتحدون جبروت الأعداء، ومهما تكرر الوعيد أمامهم فإنهم يعتصمون بجبل الله القوي المتين قائلين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

### تضحية علباء بن جحش

في موقعة القادسية برز رجل من الجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى: من يبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي فضربه علباء في صدره، وشق رثيته، وضربه الآخر فأصاب علباء في بطنه وانتثرت أمعاؤه، وسقطا معاً على الأرض، أما الجوسي فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانها فلم يتأت له، ومر به رجل من المسلمين فقال له علباء: يا هذا أعني على بطني، فأدخل له أمعاءه، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يتلفت إلى المسلمين ورائه، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعاً من مصرعه وهو يقول:

أرجو بها من ربنا ثواباً      قد كنت ممن أحسن الضرابا

من منا يستطيع أن يثبت في هذا الموقف، ويضحى بنفسه في سبيل الله؟!!

### وفاة خالد بن الوليد

لما حضرته الوفاة وأدرك ذلك، بكى وقال: ما من عمل أرجي عندي بعد «لا إله إلا الله» من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، بتها وأنا مترس، والسماء تنهل على، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد، لقد شهدت كذا وكذا زحفاً، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، لقد

طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي.  
أخي الحبيب، احرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تجزع عند ملاقات الأعداء.

### في وقعة البويب

قال مسعود بن حارثة قائد مشاة المسلمين لجنده: إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه، فإن الجيش ينكشف ثم ينصرف، الزموا مصافكم وأغنوا غناء من يليكم، وأصيب مسعود وقواد من المسلمين، ورأي مسعود تضعض من معه لإصابته، وهو ضعيف قد ثقل من الجراح فقال: يا معسكر بكر بن وائل ارفعوا راياتكم رفعكم الله، لا يهولنكم مصرع أخي فإن مصارع خياركم هكذا، وقاتل أنس بن هلال النميري حتى أصيب، فحمله المشي وحمل أخاه مسعوداً وضمهما إليه، والقتال محتدم على طول الجبهة، ولكن القلب بدأ ينبعج في غير صالح الفرس، وأوجع قلب المسلمين في قلب الجوس.

### لا تفعل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشعب - فيه عيينة - تصغير عين - من ماء عذبة فأعجبته لطبيها، فقال: لو اعترلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله، فذكر ذلك لرسول الله فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة - هو ما بين الحلبتين من الوقت - وجبت له الجنة» [الترمذي].

احذر النكوص عن الجهاد في سبيل الله بحجة العبادة،

فالتضحية بالنفس عبادة ثوابها الجنة.

### أستاذ جديد في فن التضحية

إنه خبيب بن عدي رضي الله عنه صلبه المشركون وبدأت الرماح تنوشه والسيوف تنهش لحمه، واقترب منه أحد زعماء قريش، وقال له: أتحب أن محمداً مكانك، وأنت سليم معافي في أهلك؟ وهنا انتفض خبيب وقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة. وكانت كلماته هذه إيذاناً للرمح أن تبلغ من جسد البطل غايتها، وكان خبيب قد يم وجهه شطر السماء وابتهل إلى ربه العظيم قائلاً: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسلك فبلغه الغداة ما يصنع بنا. ونزل جثمان خبيب حيث كانت بقعة طاهرة من الأرض في انتظاره لتضمه تحت ثراها الطيب.



### عز الدين القسام

هو المجاهد عز الدين عبد القادر القسام نشأ في بيئة إسلامية بعد مولده في سوريا عام ١٨٧١م، وكان والده شيخاً لزاوية في مدينته، ثم درس بالأزهر حيث كانت مصر تموج بروح الثورة والتغير، وبذلك تتلمذ على أيدي علماء أفاض منهم الشيخ محمد عبده، ثم عاد إلى موطنه يحمل رسالة التعليم والثورة فكان معلماً حاذقاً وخطيباً مفوهاً، وواعظاً ومأذوناً للأنكحة ومجاهداً حيث جاهد الفرنسيين الذين احتلوا سوريا حتى حكم عليه بالإعدام في اللاذقية، وواصل كفاحه في فلسطين وقام بإنزال ضربات موجعة بالإنجليز واليهود. حتى جعلوا مكافأة خمسمائة جنيه لمن يدل عليه، واستشهد في أولي عمليات الثورة ١٩٣٥م بعد أن حاصرته قوات الاحتلال هو وأصحابه. ومن مقولته التاريخية: «إنه جهاد نصر أو استشهاد» فكتب للعالم وثيقة وعهداً وأبى أن يوقع إلا بالدم.

### الشيخ أحمد ياسين

وهو الشيخ أحمد إسماعيل ياسين، نشأ على حب الجهاد في الجنوب من قطاع غزة عام ١٩٣٨م، أصابه شلل بجميع أطرافه، وكان خطيباً ومدرساً بمسجد غزة، أصبح رئيساً للمجمع الإسلامي بغزة، وقد اعتقل عام ١٩٨٥ ثم أنشأ حماس «حركة المقاومة الإسلامية» عام ١٩٨٧؛ مما أسخط عليه قوات الاحتلال فاعتقلته عام ١٩٨٩م وتم تقديمه للمحاكمة العسكرية وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، إضافة إلى خمسة عشر عاماً أخرى، ولكنه أفرج عنه عام ١٩٩٧م لأسباب صحية وقد أدت ظروف الاعتقال السيئة من تعذيب وتنكيل إلى فقدانه لبصره في العين اليمنى وضعف باليسرى والتهاب مزمن بالأذن وحساسية في الرئتين، وانتقل للمستشفى أكثر من مرة.

### يحيى عياش

هو يحيى عبد اللطيف عياش ولد في مارس ١٩٦٦م غرب مدينة نابلس درس في مجال الهندسة الكهربائية بعد حصوله على درجة البكالوريوس من جامعة بيروت بالصفة، وجعلته الأحداث التي تمر في فلسطين رجلاً من رجال الحركة الإسلامية حيث التحق بصفوفها عام ١٩٨٧م، وانضم لكثائب عز الدين القسام، وفي فجر يوم الجمعة ١٩٩٦/١/١٥م استشهد رمز الجهاد وشيع جنازته نحو نصف مليون في غزة وحدها، وترك لنا صفحات من النضال قبل أن يتجاوز الثلاثين من عمره.

إن فلسطين ثغر الأمة ورباط الحراسة المستمرة، إنها جراح تنزف، وتحتل منزلة خاصة فهي قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول الكريم.

صلي رسول الله ﷺ إماماً بالأنبياء بالمسجد الأقصى.

إن رسول الله سيألك ماذا قدمت لإخوانك؟ ماذا فعلت لتنقذ المسجد الأقصى؟

ماذا فعلت لدماء الشهداء وآهات اليتامى وبكاء الثكالى ودموع الأرامل؟

إن التعاطف وحده لا يكفي، وإن ذرف الدموع لا يشفع لك عند ربك حتى تترجم

هذا التعاطف والإحساس إلى عمل جاد، وإنجاز فعال.

لقد أثبتت الأحداث الأخيرة أنه لا سبيل لتحرير فلسطين واسترداد المسجد الأقصى

وعودة اللاجئين إلا بالجهاد والتضحية، وهو علامة حب لله ولرسوله.

\*\*\*

## الثبات

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

يقول سيد قطب: الثبات أحد تكاليف الإيمان، والإيمان ليس كلمة تقال، إنما هي حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر واحتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتن، فيشتوا عليها ويخرجوا منها صفة عناصرهم وخالصة قلوبهم.

### صور الثبات

#### ١ - الثبات أمام الشبهات:

الشبهات سلاح قديم يشهره الباطل في وجه الحق لبلبلة الفكر وإثارة الشك واهتزاز الثقة، وقد رأينا قذائف الشبهات على مر التاريخ تطلق في كل اتجاه وتسقط في كل ميدان.

فالتشكيك في العقيدة مثلاً: رأينا أبي بن خلف يأخذ عظاماً نخرة فيفتها ويذروها في الهواء قائلاً لرسول الله ﷺ: أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فيرد عليه بلسان الواثق الموقن: «نعم يبعثك ثم يبعثك ثم يدخلك النار»، ونزل قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعُظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۗ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩] وذلك تأكيداً على حرص القرآن على رصد الشبهات ودحضها.

وللتشكيك في مصدر القرآن قال المشركون: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ قاصدين بذلك غلاماً أعجمياً كان رسول الله ﷺ ربما يجلس إليه يكلمه فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وللتشكيك في الرسول ﷺ قالوا: ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] فنزل قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ

الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ  
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ [الفرقان: ٢٠].

وللتشكيك في الأحكام قالوا عن الذبائح: ما قتلتم أنتم بأيديكم تحلونه وما قتله الله  
تحرمونه؟! فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ  
لَيُؤْخَذُونَ إِلَىٰ أُولِيَانِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

## ٢- الثبات في وجه المغريات:

وهي كذلك من أسلحة الباطل المعروفة التي لا تؤثر في رجال باعوا أنفسهم وأموالهم  
لله، ووقفوا حياتهم لنصرة دينه ومنهجه، وأحبوا الحق وذابوا فيه فصغرت الدنيا في  
أعينهم بمناصبها وأموالها، وهذا رسول الله ﷺ يرد على قومه وقد أغروه بالمال والجاه  
لترك دعوته: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر  
ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

## خالد بن سعيد

بمجرد أن أسلم خالد بن سعيد ؓ تعرض للبلاء الشديد، فلما علم أبوه بإسلامه  
أرسل إليه مولاه رافعاً أخويه أبان وعمراً، فأروه يصلي فامتلات قلوبهم نوراً لهذا المشهد  
المهيّب الذي رأوه، وعاد معهم خالد إلى أبيه فلما علم بإسلامه أمره أن يترك هذا الدين  
العظيم فأبى خالد بكل عزة. فقال له أبوه: إذن أحرمتك من رزقي، فقال له خالد: الله  
خير الرازقين. فطفق والده يضربه ضرباً شديداً حتى سالت الدماء الشريفة من هذا  
الجسد الطيب المبارك ثم أوثقه وزج به في غرفة مظلمة ومنع عنه الطعام والشراب ثلاثة  
أيام. ثم جاءه في اليوم الرابع نفر من أهله وقالوا: كيف أنت يا خالد؟ فقال: إني أتقلب  
في نعم الله عز وجل. فقالوا: أما آن لك أن تثوب إلى رشديك، وتطيع أباك؟! فقال: أما  
رشدي فما فارقي وما فارقت، وأما أبي فلا أطيعه فيما يعصى الله به عز وجل، فقالوا:  
قل لأبيك كلمة ترضيه في اللات والعزى يفرج عنك، فقال: إن اللات والعزى حجران  
أصمان أبكمان، وإني لا أقول فيهما إلا ما يرضي الله ورسوله، وليفعل بي ما يشاء.

شد «أبو أحيحة» وثاق خالد، وأمر أتباعه أن يخرجوا به كل يوم عند الهاجرة إلى  
بطحاء مكة وأن يلقوه بين الحجارة حتى تصهره الشمس، فكان كلما أخرجوه وألقوه في

الهاجرة يقول: الحمد لله الذي أكرمني بالإيمان، وأعزني بالإسلام، إن ذلك أهون علي من لحظة عذاب في جهنم التي أراد أن يلقيني فيها «أبو أحيحة». ثم حانت لخالد فرصة، فتفلت من سجن أبيه، ومضى إلى نبيه، ثم ما لبث أن لحقه أخواه عمرو وأبان، وانضما معه إلى موكب الخير والنور، عند ذلك أسقط في يدي «أبي أحيحة».

وقال: واللات والعزى لأعتزلن بمالي بعيداً عن مكة، فذلك خير لي، ولأهجرن أولئك الصباة الذين يعيون آلهتي أربابي، ثم انتقل إلى قرية قريبة من الطائف، وظل فيها حتى مات كمدًا على الشرك.

ولما أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة نجا إليها خالد بن سعيد بن العاص ومعه زوجته أمينة بنت خلف الخزاعية.. وقد أقام فيها بضع عشرة سنة داعياً إلى الله، ولم يغادرها إلى المدينة إلا بعد أن فتح الله على المسلمين خيبر فسر الرسول بمقدمه أبلغ السرور، وقسم له من غنائم خيبر كما قسم للمحاربين، ثم ولاه اليمن فظل والياً عليها إلى أن لحق الرسول الكريم بجوار ربه<sup>(١)</sup>.

### ٣- اثبات أمام بطش الظالمين:

أسلوب البطش من حيل المجرمين المفلسين حين لا تجدي الوسائل السالفة فيفقدون صوابهم ويثورون على أهل الحق لتمزيق أجسادهم إن استطاعوا حتى تغيب عن أعينهم رموز الصلابة، ويعتبر أسلوب البطش من أكثر أساليب الباطل شيوعاً وتكراراً على مر التاريخ.

فهذا بلال بن رباح ؓ يجرد من ثيابه ويلقى على نار البطحاء ويثبت مستخفاً بالظالمين، متحدياً لهم، مصرّاً على مبدئه، معتزّاً به مهما لاقى في سبيله.

وهذا خباب بن الأرت ؓ كانوا يلقونه على فحم ملتهب ويضعون الصخرة عليه حتى لا يستطيع فكاًكاً من حريقه.

وهذا أفلح - مولى لبني عبد الدار - كانوا يربطونه من رجليه ويجرونه على الأرض.

وهذا عثمان بن عفان ؓ يلفه عمه في حصر ثم يدخن عليه ليختق بداخله.

(١) صور من حياة الصحابة ٤٥٥-٤٥٧.

## الإمام أحمد بن حنبل

عندما امتحن بالفتن المشهورة في عهد المأمون والمعتمد والواثق، وهي القول بخلق القرآن الذي تزعمه المعتزلة، ثبت على موقفه الحق وأصر على رأيه الصريح، ولم يغير من جوابه الذي يردده كلما أفاق من إغماءة التعذيب والتنكيل، يقول: هو كلام الله غير مخلوق، ولبت في السجن عامين ونصف العام، ولما يسوا من إخضاعه لما يريدون، ودالت دولة الباطل، أخرج من السجن واهي القوة مريضاً مثخناً بالآلام، ولقد كان باستطاعته أن يتجنب هذا كله لو وافقهم على ما قالوا بلسانه فقط كما فعل كثير من العلماء في عصره لينجو بنفسه، ولكن بنظرته الثاقبة وأفقهِ الواسع وتأييد الله له رأى الناس من حول ينتظرون إجابته، ففضل المصلحة العامة - وهي الثبات على الحق والجهر به كي لا يفتن الناس - على مصلحته الخاصة، وإن أدى ذلك إلى موته..

قال له أحد تلامذته: يا إمام، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

فقال: اخرج فانظر أي شيء ترى.

فقال: فخرجت إلى رحبة دار الخلافة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصى عددهم إلا الله، والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعهم، فقال الغلام: مكانكم، فدخل إلى الإمام أحمد، فقال: رأيت أقواماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبون.

فقال: أفضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء.

يقول سيد قطب: آمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الجاد! عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون!! وإلا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة! لا حياة لفكرة لم تتقمص روح إنسان، ولم تصبح كائنًا حيًا يدب على وجه الأرض في صورة بشر! كذلك لا وجود لشخص - في هذا المجال - لا تعمر قلبه فكرة يؤمن بها في حرارة وإخلاص<sup>(١)</sup>.

## ثبات في محنة

سيق الأخ الشيخ «عبد المقصود حجر» إلى السجن الحربي عام ١٩٦٥م فاستقبله العقيد شمس بدران - مع زفة من الضرب بالكراييج والإهانات - وسأله شمس بدران:

(١) أفرح الروح: ٢٥ - ٢٦.

أنتم عاوزين تلبسوا النسوان طرح؟

قال الشيخ عبد المقصود: نعم وهذا واجب شرعي.

قال شمس بدران: هي النسوان بتوعكم أحسن من كل النسوان؟

قال الشيخ عبد المقصود: نعم.

قال شمس بدران: وما الفرق؟

قال الشيخ عبد المقصود: لأن نسوانًا حاجة ثانية!

فثار شمس بدران وأمر العسكري أن يتنف ذقن الشيخ بالكماشة!! وبعد هذا خلغوا ملابس الشيخ وأمره أن يغطس في باكورت المياه القذرة!! وكلما حاول الامتناع أشبعوه ضربًا حتى كرر عملية الغطس أكثر من مرة، وبعد ذلك نظر الشيخ إلى شمس بدران -عتل السجن الحربي- وقال له: وأدي غطسة كمان عشان خاطر ك يا سعادة البيه.

وبعد ذلك أخرجوه من الباكورت وألقوه على الأرض وسلطوا عليه الكلاب المتوحشة.. يقول الشيخ عبد المقصود: إن الكلاب لم تقرب منه لشدة قذارته وفضاعة رائحته، وتذكر الشيخ عبد المقصود المثل الذي يقول عند عامة الناس (دا تقرف منه الكلاب)!!<sup>(١)</sup>

رد بكل قوة

المجاهد عز الدين القسام، قام بتوعية الجيل والأمة بمخاطر هجرة اليهود إلى فلسطين، وقام بتأليف القلوب، ونشر المحبة، وإزالة الخصومات، ونبذ الأحقاد، وتعميق الوازع الديني، وكان على يقين بالنصر أو الشهادة في سبيل الله، وأرسل إليه حاكم حيفا يقول له: يا شيخ، إنك متحرك، وذو نشاط مناوئ لنا، فرد عليه الشيخ بكل يقين وقد أخرج المصحف من جيبه: «هذا الكتاب العظيم يأمرنا بالجهاد ولا نخالفه».

واستجابت جموع الشباب لصحبة الشيخ الجليل، وابتدأت المنطقة تشهد أعمالاً بطولية عظيمة، وهوجمت معسكرات البريطانيين، وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل يوم ٢٧ من نوفمبر عام ١٩٣٥م، وانتهت المعركة باستشهاده وهو فرح مسرور على يقين

(١) حكايات عن الإخوان: (١٣/١-١٤).

بدخول الجنة، وذهب القسام إلى ربه شهيداً يزفه عرس الشهداء، فجدد في النفوس معنى اليقين، وقوى من عزائم شعب فلسطين برغم قلة العتاد وضآلة الزاد.

فكتب للعالم وثيقة صحوة، وأبى إلا أن يوقع بالدم.

فسلام على القسام مع الشهداء في الخالدين.

ونحن على يقين بأن تحرير المسجد الأقصى قريب، ولكن علينا بالعمل الجاد المخلص.

الشيخ أحمد ياسين

يقول الشيخ أحمد ياسين: كنت في بيت، وكان منع التجول مفروضاً من الساعة التاسعة إلى الفجر حيث كان يخرج العمال إلى العمل، فميعاد منع التجول كان يبدأ بالساعة التاسعة -بالضبط- بيتي قبلها كان ممتلئاً بالناس، فشاء الله أن ينطلقوا ويعودوا إلى بيوتهم، فوجدت الساعة خمس دقائق بعد التاسعة، وإذا بقوات الجيش الإسرائيلي تحيط بالبيت، منهم من تسلق الأسوار، ومنهم من بقى في السيارة -يعني ربما كتيبة كاملة جاءت للقبض على الشيخ أحمد ورجال المخابرات دخلوا علي- فدخلت أرتدي ملابسني، وطبعاً أنا كنت أجلس على الكرسي المتحرك وكنت جاهزاً، فقالوا لي: أين ابنك؟ قلت لهم: ها هو، قالوا: دعه يأتي معك حتى يساعدك، ثم أخذوني.

كان ابني عبد الحميد هو الذي يرافقتني، كان في ذلك الوقت عمره ستة عشر عاماً، وكان لم يحصل على هويته بعد، فأخذوه وأوصلوني إلى السجن، وأجلسوني ثم بدأوا مباشرة سباً وشتائم، بصق في الوجه وضرب على الوجه.

يعني بدأوا بالإهانة والتعذيب بشكل لا تتصوره، بصق في الوجه.. يحضرون صينية ويدقون بها فوق رأسي، كنوع من الإزعاج، يمسون بعروق الرقبة ويجذبونها إلى أعلى بشكل سيئ ولم يكتفوا وأنا كما ترى، والضرب على صدري حتى صار صدري أزرق من شدة الضرب والتعذيب، ولم يكتفوا بذلك وإنما قاموا بإحضار الولد الذي أحضروه لخدمتي، ويطحوه أمامي في الغرفة، وركبوا عليه أربعة أخذوا يخنقونه ويضربونه، والولد يصرخ تحتهم، أعطوا له أمامي علقة ساخنة من الضرب والتعذيب، ثم أصبحوا يقولون لي: حرام عليك، ارحم ابنك، اعترف، خلاص القضية انتهت، حركة حماس انتهت، وأنت ليس هناك فائدة من إنكارك، اعترف وقل ما عندك حتى ترحم ابنك من الضرب والتعذيب، قلت لهم: أنا ليس عندي شيء لأقوله، فغابوا



ساعتين ثم أحضروا الولد مرة أخرى وبدأوا بتعذيبه أمامي، فبطحوه أرضاً، وركبوا فوقه وخنقوه، ومن شدة التعذيب على الولد الضعيف الصغير فوجئت به يشور ويقفز فجأة ويطرح الرجال الأربعة على الأرض - وهذا من شدة التعذيب يعني حرارة الروح - كان الولد يموت تحتهم، كان يخنق، بعدها أخذوه مرة أخرى من عندي<sup>(١)</sup>.

### ثبات ووفاء

ظل الأخ محمد الصوابي الديب متخفياً عن أعين الظالمين بعد أن أزهدت أرواح المجاهدين منهم تحت التعذيب حتى شهر ديسمبر عام ١٩٥٤م حين ذهب الساعة الثالثة ظهراً، وطرق باب منزل العلامة الشيخ حسنين مخلوف -مفتي الديار المصرية- الذي يقع في شارع نجيب بكوبري القبة بالقاهرة.

وحين فتح الخادم الباب عاد إلى الشيخ؛ ليخبره عن الطارق فيقول: إنه شاب طليق اللحية، رث الثياب، ويريد مقابلتك.

يقول الشيخ مخلوف: تعجبت من ذلك وظننت أنه عابر سبيل.. دخل الشاب المنزل، ولم أقبله في البداية، بل أعد له الخادم طعام الغداء فأكله بشهية كأنه لم يأكل منذ مدة طويلة.. بعد الغداء ظننت أنه سينصرف، إلا أنه أصر على مقابلي وألح في ذلك، فذهبت إليه وما إن رأيته حتى ظننت أنه سيطلب صدقة، فقد كان رث الثياب تبدو عليه شدة التعب، بدأ حديثه بأن عرفني على نفسه: محمد الصوابي الديب طالب بكلية الشريعة بجامعة الأزهر.. ولقد اهتز بدني وأصبت برعشة عندما قال لي: «إنه كان من متطوعي الإخوان المسلمين في حرب فلسطين والقناة» فقد كان الإخوان المسلمون في ذلك الوقت -عام ١٩٥٤م- في أوج محتهم، وكانت كلمة الإخوان المسلمين تترادف معها كلمات الاعتقال، السجن، التعذيب، المحاكمات.. إلخ.

نظر الشاب إليّ في هدوء -والحديث للشيخ مخلوف- وقال بصوت منخفض ولكنه قوي: أنا في محنة وأحتاج إليك، فأنا مطلوب القبض عليّ، وقد مكثت أكثر من شهر هارباً متخفياً في المقابر نهاراً، ثم أخرج في الليل لأقتات الطعام، لقد كرهت الحياة بين الموتى وأريد أن أعيش بين الأحياء فهل تقبلني؟

يقول الشيخ مخلوف: سيطر الذهول على نفسي تمامًا، ولم أفق إلا عندما قال الشاب: ما رأيك؟ استأذنت منه وذهبت إلى ابني الدكتور علي وابنتي زينب، والذهول ما زال مسيطراً على نفسي.. لاحظ ولداي ذلك على الفور فسألاني: ما لك يا أبي؟ حصل إيه؟ أخبرتتهما بالقصة، وفجأة وجدت نفسي أردد قائلاً: إنه صادق، إنه صادق، إنه صادق.

قلت لولدي: إنني متأكد أن هذا الشاب ليس من الشرطة أو من المباحث جاء ليختبرنا، بل إنني موقن أنه يقول الصدق فهو صادق.. وأضفت: إنني لا أستطيع أن أرد مستجيراً في هذه الحنة، وأنا موقن أنه مظلوم، وقد قررت قبوله، ولكن الذي يقلقني هو ما ستفعله بكم أجهزة المباحث والدولة كلها إذا اكتشفوا وجوده بيننا، حيث هناك قانون أو فرمان جمهوري صدر في ذلك الوقت، يعاقب كل من يتستر على أي من الإخوان المطلوب القبض عليهم بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة، قال ابني علي -بعد فترة صمت-: افعل ما تراه من الناحية الإسلامية والله يتولانا جميعاً، ويضيف الشيخ مخلوف فيقول: خرجت مع ابني علي إلى الشهيد الصوابي، وعرفته بابني علي، وأخبرته بأننا قررنا قبوله عندنا، وأنه يشرفني. ذلك ارتسمت أمارات الراحة والطمأنينة على وجه الشهيد.

وسيطرت الدهشة على وجه الشهيد عندما قال له ابني الدكتور علي: لا بد من أن تولد من الآن بشخصية جديدة وتدفن شخصيتك الحالية، ويضيف الدكتور علي مخلوف الذي يعمل رئيس قسم أمراض النساء والولادة بطب عين شمس: كان في اعتقادي أنه لا يمكن إخفاء الشهيد محمد الصوابي الديب، وبخاصة في منطقتنا التي كانت تشتهر بكثرة ضباط البوليس الذين يسكنونها فكان الحل أنه لا بد أن يولد الشهيد الديب بشخصية جديدة تماماً وأن أحسن طريقة لإخفاء أي شخصية هي أن تظهرها بشخصية جديدة، وتكون جميع تصرفاته طبيعية، أما الهروب والإخفاء عن أعين الشرطة والناس، فإنها طريقة فاشلة ينكشف أمرها دائماً، عاجلاً أو آجلاً.

اتفقنا على أن يعمل الشهيد سكرتيراً لوالدي الذي كان فعلاً في حاجة إلى سكرتير؛ فقد كان مفتياً للديار المصرية في ذلك الوقت، وكانت ترد إليه استفسارات دينية كثيرة، بالإضافة إلى أنه يكثر من تأليف الكتب، واحترنا في الاسم الذي نطلقه عليه، وأخيراً قال والدي للشهيد: أنت صادق في جميع تصرفاتك وأفعالك، فاسمك منذ الآن صادق

أفندي. وضحكننا جميعاً.

وفي اليوم التالي كان الشهيد محمد الصوابي الديب شخصاً آخر تماماً، نظيف المظهر، حليق الذقن، وهو أبيض اللون، واسع العينين، متوسط الطول، نحيف الجسم.

ويقول الشيخ مخلوف: إن الخطة التي تم وضعها لإخفاء الشهيد نجحت تماماً، فقد أعلننا على كل أفراد الأسرة أنه جاء لي سكرتير جديد اسمه صادق أفندي، ولم يعرف بالسر سوى أربعة أشخاص: أنا وابني الدكتور علي وابنتي الدكتورة زينت، وزوجة ابني الدكتورة سعاد الهضيبي، التي لم تتردد في الترحيب بالشهيد رغم أن والدها المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي وجميع إخوتها في السجن.

ويضيف الشيخ مخلوف: إن الشهيد محمد الصوابي الديب، أو صادق أفندي، كان فعلاً سكرتيراً ممتازاً، وعاونني كثيراً في عملي، وبخاصة في الكتب التي أخرجتها في ذلك الوقت، وكان الشهيد يصحني دائماً في كل مكان أذهب إليه، وقد اعتبرته فعلاً سكرتيري الخاص.

عاش صادق أفندي لمدة ثمانية أشهر مع أفراد أسرة الشيخ حسنين مخلوف كأنه واحد منهم، يأكل معهم ويعيش معهم، حيث كان الشيخ يطلب منه دائماً الإجابة عن الاستفسارات الدينية الكثيرة التي ترد إليه باعتباره مفتياً للديار المصرية، وكان الشهيد يسكن في حجرة منفصلة بجديقة المنزل بها صالون ومكتبة كبيرة وغرفة نوم وحمام خاص، تم تخصيصها لصادق أفندي.

يقول الشيخ حسنين مخلوف: وفي أحد أيام صيف ١٩٥٥م، جاءني صادق أفندي وقال لي إنه يريد السفر إلى السعودية ليعمل هناك، وحاولت أن أثنيه عن ذلك، ولكنه أصر وأخبرني أن هناك شخصاً قد أعد له الرحلة بالباخرة عن طريق السويس إلى جدة.

إن قلبي لم يطمئن واستعنت بابني الدكتور علي لإقناعه بعدم السفر، ولكن دون جدوى، وقال: إنه يريد أن يكون نفيه هناك، ويستريح من القلق الذي يعانیه كهارب، رغم إجادته لشخصية صادق أفندي، وغادرنا الشهيد البطل بعد أن وعدنا بأن يرسل لنا برقية فور وصوله إلى السعودية لكي نطمئن، وأرسلت إلى المرحوم محمد سرور الصبان مستشار الملك سعود ليهيئ له عملاً عند وصوله إلى هناك، ولقد مضى على سفر الشهيد حوالي الشهر، ولم تصل أي برقية تفيد بوصوله هناك.

يقول الدكتور علي حسنين مخلوف: كانت الأسرة كلها قلقة، وربما أنني أكثرهم هدوءاً، فقد حاولت دائماً أن أطمئنهم، ولكن دون جدوى، وضاع هدوء أعصابي في أحد الأيام عندما أخبرتني زوجتي الدكتورة سعاد الهضيبي أنها سمعت من إذاعة لندن أنه تم القبض على اثنين من الإخوان المسلمين في باخرة السويس، وهما في طريقهما إلى جدة، ولم تذكر الإذاعة أسماء، ولكننا شعرنا أن الشهيد محمد الصوابي الديب كان أحدهما.

ويروي الأخ وهي الفيشاوي الذي عمل مديراً لمطبعة مصر أن الشهيد محمد الصوابي الديب سجن معنا بعد القبض عليه في السجن رقم ٤ بالسجن الحربي، وكان زبانية السجن الحربي يعذبون الشهيد تعذيباً وحشياً، حيث وضعوه في زنزانة تسمى «زنزانة الركن» وهي مخصصة للتعذيب الشديد، وكانوا لا يتركونه ينام أبداً، وكان الشهيد أشدنا تعذيباً، لا يرحمه مجرمو السجن حتى في أوقات الراحة.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبي: ذهبت يوماً إلى السجن الحربي لكي أسلم والدي بعض الحاجات، وعقب خروجي من مكتب مدير السجن الحربي حمزة البسيوني، شاهدت الشهيد محمد الصوابي الديب وهم يقومون بتصويره لعمل بطاقة اتهام، وكتمت صرخة كادت تنطلق مني، وأسرعت إلى المنزل وأخبرت زوجي بما شاهدته، فصاح قائلاً: رحنا في داهية، وأعد زوجي د. علي حقيته التي سيأخذها معه إلى السجن، فقد كنا نتوقع في كل لحظة أن تأتي الشرطة العسكرية والمباحث العامة للقبض علينا.

ويقول الدكتور علي: كنت خائفاً على والدي الشيخ حسنين مخلوف، فهو قد تجاوز الستين من عمره، ولا يستطيع أن يتحمل أهوال السجن الحربي، ولذلك كنت أنا وزوجتي لا نفارقه ليلاً أو نهاراً، متوقعين في أي لحظة مدهامة الشرطة لمنزلنا.

يقول الشيخ مخلوف: لم أكن أتوقع أبداً أن يتحمل الشهيد محمد الصوابي الديب هذا التعذيب الذي لا يصدق عقل من أجلي، لم أكن أتوقع أن يضحى بحياته من أجلي، حقاً هذه هي تربية الإسلام الحق.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبي: تعجبنا جميعاً عندما مرت الأيام ولم تدهام الشرطة منزلنا كما كنا نتوقع، وفي أحد الأيام ذهبت لزيارة أبي بالسجن الحربي، وسألته عن محمد الصوابي الديب -الذي كان يعرفه لأنه من الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى أن بلدته «شين

القناطر» مجاورة لبلدة أبي وهي عرب الصوالحة بالقلبوية- فهز والدي رأسه بطريقة تدل على الأسى، وأخبرني أنه من الشهداء، وأضاف أبي قائلاً: لقد تعجبنا له لأن الذين كانوا يقومون بتعذيبه لا يسألونه إلا سؤالاً واحداً فقط وهو: أنت كنت فين؟ فلا يجيب إلا بآيات من القرآن الكريم، حتى كسروا عموده الفقري وبرزت عظامه وضلوعه، وكان ممرض السجن «التمرجي» يخرج من مكان تعذيبه في يده (صفيحة) مليئة بالدم.

ويقول الأخ وهبي الفيشاوي: إن بعض الإخوة المسجونين الذين كانوا يقومون بتوزيع الطعام علينا كانوا يخبرونا بأحوال السجن والمعتدين فيه، وفي أحد الأيام أخبرني أحدهم أن جراح الأخ محمد الصوابي الديق فادحة جداً ومتقيحة، وأن حالته ساءت لدرجة أن الحشرات تسري بين جروحه، وأنه قد امتنع عن الطعام بعد أن منع عنه الماء، ولم تمض سوى أيام قليلة على هذا الحديث حتى أطفئت أنوار السجن الحربي كلها في إحدى الليالي، وشاهدت من ثقب زناتي حراس السجن الحربي يحملون شخصاً ملفوفاً داخل بطانية ويضعونه داخل سيارة جيب مغلقة. وعرفت أنه الشهيد محمد الصوابي الديق، وقلت في نفسي: استرحت وفزت بالجنة إن شاء الله.

ويختتم الشيخ مخلوف حديثه عن الشهيد البطل قائلاً: إذا كانت تربية الشهيد من تربية الإخوان المسلمين، فأنا أضم صوتي بقوة إلى علماء الأزهر في المطالبة بعودة الإخوان المسلمين فتربيتهم هي خير تربية<sup>(١)</sup>.

#### ٤- الثبات مع كرز الزمان:

فقد يفرط المرء في مبدئه وتسترخي قبضته على الحق الذي معه لا لشيء إلا لتوالي الأيام والليالي، وقد حذرنا ربنا تبارك وتعالى فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ويعتبر كرز الزمان من أخطر الأسباب الصارفة عن الطريق حيث لا يوجد عدو مائل أمامك يريد استلاب دينك وعقيدتك فيفجر فيك طاقة التصدي والتحدي، ومن ثم اعتبر القرآن من يتصفون بهذه الصورة من صور الثبات صفوة المؤمنين فقال تعالى: ﴿مَنْ

الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿[الأحزاب: ٢٣].

ويقول البنا عن ركن الثبات: وأريد بالثبات أن يظل الأخ عاملاً مجاهدًا في سبيل غايته مهما بعدت المدة وتناولت السنون والأعوام حتى يلقي الله على ذلك، وقد فاز بإحدى الحسينين: إما الغاية أو الشهادة في النهاية، والوقت عندنا جزء من العلاج والطريق طويلة المدى متعددة المراحل كثيرة العقبات ولكنها وحدها التي تؤدي إلى المقصود مع عظيم الأجر والثوبة.

٥- الثبات أمام الضغوط والتقلبات الحياتية:

فهناك الهواتف الشاغلة من قبل النفس والأهل والمال والولد.

وقد يؤدي الاسترسال معها والاستغراق فيها إلى التخفف من أعباء الدعوة أولاً، ثم الانصراف عنها كلية بعد ذلك، ونسأل الله العافية والثبات، وفي هذا الهلاك المبين قال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] لقد نزلت هذه الآية فيمن حدثهم أنفسهم بالعود في أموالهم لإصلاحها بعد ضياع، وذلك بعد أن مكن الله لديته.. وهذا الأمر هو السبب في اعتبار الأزواج والأولاد أعداء - وهم أقرب الناس منا وأحبهم إلينا- وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

هل تثبت على دعوتك وعقيدتك مهما كانت التقلبات والظروف الحياتية؟

٦- الثبات عند تأخر النصر:

فقد يتسلل اليأس إلى بعض النفوس حين يتأخر النصر فينصرفون عن الطريق أو يتشككون فيه، وغاب عن هؤلاء أننا نحاسب على العمل ولن نحاسب على النتائج، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ثبات على المبدأ

قدم أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلماً مهاجراً فاستأجر الأخنس بن شريق رجلاً

كافراً من بني عامر بن لؤي ومولى معه وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء -أي أن يرد إليهم من جاءه مسلماً- فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا للنبي: العهد الذي جعلت لنا فيه، فدفعه رسول الله إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنني لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله: «لقد رأى هذا ذعراً» فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله -والله- أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم [رواه أحمد].

٧- الثبات عند الزحف:

حين تتقابل الصفوف والرايات في ساحة من الساحات يكون الثبات أول ما يطلب من جند الحق امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥]. ومن هنا نرى ثبات جعفر بن أبي طالب ﷺ في مؤتة فلم تسمح نفسه الأبية بتكيس الراية حتى بعد قطع كلتا يديه، فما كان منه إلا أن احتضنها بعصديه فكان جزاؤه من مثل عمله حين أبدله الكريم عوضاً عنهما جناحين في الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمئِذٍ دُبرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لَقَالِ أَوْ مَتَحَرِّرًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

### الجهاد

قاد يوسف طلعت معركة «دير البلح» التي استشهد فيها اثنا عشر من مجاهدي الإخوان المسلمين، وحين عقدت الهدنة لتسليم الجثث وحضرها قائد إنجليزي تفقد الجثث، فوقف مذهولاً لأنه لاحظ أن جميع الإخوان مصابون في صدورهم، ودار نقاش علم منه الإنجليزي أن من صفات المؤمنين أن يقبلوا في المعارك ولا يولوا الأدبار، فقال القائد الإنجليزي: «لو أن عندي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم الدنيا»<sup>(١)</sup>.

(١) من أعلام الحركة الإسلامية ٥٥١.

## ٨- الثبات عند توافر أسباب النصر:

فقد تتوافر أسباب النصر المادية الظاهرة بزيادة العدد أو قوة العتاد، وهنا قد يركن هؤلاء إلى هذه الأسباب بل قد يداخلهم الشعور بالخيلاء والغرور ويترجم هذا الشعور عبارة (لن نغلب اليوم من قلة) كما حدث في غزوة حنين فأُتِيَ الناس من هذا الباب وكان درسًا قاسيًا أفاقهم من غشاوتهم وردهم إلى جميل التوكل على الله، وعندئذ انقلبت الموازين وتحقق النصر المبين، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرَتْكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥].

وفي سورة الأنفال مع عظمة مناسبة يوم الفرقان ولكن الله افتتح السورة بالمعاقبة على هذه الزلة وإقالة هذه العثرة وذلك قبل سرد روائع الغزوة فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

يقول تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [عمد: ٧].

يقول سيد قطب: إن الظن يذهب لأول وهلة أن تثبيت الأقدام يسبق النصر، ويكون سبباً فيه، وهذا صحيح، ولكن تأخير ذكره في العبارة يوحي بأن المقصود معنى آخر من معاني التثبيت، معنى التثبيت على النصر وتكاليفه، فالنصر ليس نهاية المعركة بين الكفر والإيمان، وبين الحق والضلال. فللنصر تكاليفه في ذات النفس وفي واقع الحياة، للنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر، وفي عدم التراخي بعده والتهاون، وكثير من النفوس يثبت على المحنة والبلاء، ولكن القليل هو الذي يثبت على النصر والنعماء، فصالح القلوب وثباتها على الحق بعد النصر منزلة أخرى وراء النصر<sup>(١)</sup>.

## ٩- الثبات أمام أساليب مواجهة الدعوة:

من هذه الأساليب:

أ- السخرية: قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].



إن المشركين يواجهون الرسول ﷺ ويخاطبونه باستهزاء وتهكم، فيخبره الله بما كان مع الرسل من قبله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

ويقال في سبب نزول الآية إن رسول الله ﷺ مر بالوليد بن المغيرة وأميمة بن خلف وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزأوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم، ولما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفاً لقريش قال أبو جهل متهمكماً ساخراً: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عجوة يثرب بالزبد! والله لئن استمكننا منها لتتزقمنها تزقماً (أي نبتلعها) فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿ [الدخان: ٤٣-٤٦]. وهذا أسلوب مستمر بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

وعلى المسلم ألا يهتم بتقيق الضفادع، وعواء الكلاب، وخوار البقر، ورغاء الجمال، ويغار التيوس.

ب- الاتهام بالكذب: قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥] وما زلنا نسمع تهماً تكال للدعاة إلى الله.

ج- الاتهام بالجنون: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] ويجمع الطغاة جميعاً على مر العصور على وصف الدعاة بالجنون.

د- الاتهام بالسفاهة والضلالة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] هذا هو منطق الفراعنة في كل زمان ومكان، منطق الطواغيت مع الرسل وأتباع الرسل.

هل الذي ينادي بتحكيم شرع الله يتهم بالسفاهة؟

هل الذي يدافع عن أرضه في فلسطين يتهم بالضلال؟

هـ- الاتهام بالسحر: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

و- التهديد بالضرب والرجم: قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنْ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿الشعراء: ١١٦﴾ وهذا أبو جهل يحذر النبي ﷺ من السجود عند الكعبة وقال له: ألم أنهك عن هذا؟

ز- التهديد بالسجن: إن أولياء الشيطان من ذوي الجاه والسلطان تدفعهم قوتهم لتهديد أولياء الرحمن وتخويفهم بالسجن، مثل تهديد فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] ولقد أجمعت قبائل قريش على محاصرة المؤمنين في شعب أبي طالب ومعهم بنو هاشم، ثلاث سنوات، لا يتواصلون معهم، ولا يبيعونهم ولا يشترون منهم حتى أدرك المؤمنين عناء شديد، كما سجن يوسف عليه السلام ظلماً.

ح- التهديد بالنفي: فهؤلاء قوم شعيب قالوا له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] ويقف لوط ينهى قومه عن الفاحشة: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦].

ط- التهديد بالقتل: قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، لقد اجتمعت قريش لقتل الرسول ليلة الهجرة.

ي- التهديد في الرزق: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَفُ مِن أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧] وهذا الأسلوب يظهر في عصرنا واضحاً.

ك- الإغراء بالمال والجاه والسلطان.

حاول ملك الروم إغراء عبد الله بن حذافة بالملك، فقال له وهو أسير عنده: تنصّر أشركك في ملكي، فأبى ﷺ.

ولقد حاول اليهود إغراء السلطان عبد الحميد بمبالغ طائلة للدولة العثمانية وتسديد الديون مقابل التخلي عن فلسطين فرفض.

ل- إلحاق الأذى الجسماني، مثل:

التعذيب بالنار: وكان خباب بن الأرت يلقي في النار ليرتد عن دينه.

التعذيب بالخنق: فقد خنق الرسول خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حيث أخذ بمنكبه

وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

اللقاء القاذورات: كان الرسول ﷺ يسجد ويلقي المشركون عليه القاذورات.

الضرب: فعند ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف استقبله أهلها بالحجارة حتى أدموا جسمه الشريف.

نزع اللحم عن العظم والنشر بالمنشار: فقد قال رسول الله ﷺ: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له حفرة في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [رواه البخاري].

التغطيس في الماء: فقد لقي النبي ﷺ عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عينيه ويقول: أخذك الكفار، فغطوك في الماء، فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم.

البصق في الوجه: طلب أبي بن خلف من عقبه بن أبي معيط - وكان قد أعلن كلمة التوحيد تأثراً بالرسول ﷺ - أن يبصق في وجه الرسول ﷺ وقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر به وتتفل في وجهه.

الربط بالحبال: كان أمية بن خلف يربط برجل أبي فكيهة حبلاً ويجره في الرمضاء.

م - مصادرة الأموال: استغل المشركون رغبة صهيب الرومي ﷺ في الهجرة إلى الرسول ﷺ وأخذوا منه المال فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وكم من شاب حرم حق العمل في الوظائف الحكومية وغيرها لأنه يدعو إلى الله (١).

### سنة الدعوات

يقول الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

(١) انظر كتاب الابتلاء والحن محمد عبد القادر أبو فارس.

يقول سيد قطب: إنها سنة العقائد والدعوات، لا بد من بلاء ولا بد من أذى في الأموال والأنفس، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام.

إنه الطريق إلى الجنة، وقد حفت الجنة بالمكاره. بينما حفت النار بالشهوات. ثم إنه هو الطريق الذي لا طريق غيره، لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة، وتنهض بتكاليفها. طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال. وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة.

ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودًا فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها إذن والصبر عليها، فهم عليها مؤتمنون.

وذلك لكي تعز هذه الدعوة عليهم وتغلو، بقدر ما يصيبهم في سبيلها من عنت وبلاء، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغال. فلا يفرطوا فيها بعد ذلك، مهما تكن الأحوال.

وذلك لكي يصلب عود الدعوة والدعاة، للمقاومة هي التي تستثير القوى الكامنة، وتنميها وتجمعها وتوجهها، والدعوة الجديدة في حاجة إلى استثارة هذه القوى، لتتأصل جذورها وتعمق، وتتصل بالتربة الخصبة الغنية في أعماق الفطرة.

وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم، وهم يزاولون الحياة والجهد مزاولة عملية واقعية ويعرفوا حقيقة النفس البشرية وخبايها، وحقيقة الجماعات والمجتمعات، وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم، مع الشهوات في أنفسهم وفي أنفس الناس، ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس، ومزالق الطريق، ومسارب الضلال!

ثم لكي يشعر المعارضون لها في النهاية أنه لا بد فيها من خير، ولا بد فيها من سر، يجعل أصحابها يلاقون في سبيلها ما يلاقون وهم صامدون، فعندئذ قد ينقلب المعارضون لها إليها أفواجًا في نهاية المطاف!

إنها سنة الدعوات، وما يصبر على ما فيها من مشقة، ويحافظ في ثنایا الصراع المرير على تقوى الله، فلا يشط فيعتدي وهو يرد الاعتداء، ولا يياس من رحمة الله ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد... ما يصبر على ذلك كله إلا أولو العزم الأقوياء.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وهكذا علمت الجماعة المسلمة في المدينة ما ينتظرها من تضحيات وآلام وما ينتظرها من أذى وبلاء في الأنفس والأموال، من أهل الكتاب من حولها، ومن المشركين أعدائها.. ولكنها سارت في الطريق، لم تتخاذل ولم تتراجع، ولم تنكص على أعقابها.. لقد كانت تستيقن أن كل نفس ذائقة الموت، وأن توفية الأجور يوم القيامة، وأنه من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وأن الحياة الدنيا ما هي إلا متاع الغرور. على هذه الأرض الصلبة المكشوفة كانت تقف، وفي هذا الطريق القاصد الواصل كانت تخطو، والأرض الصلبة المكشوفة باقية لأصحاب هذه الدعوة في كل زمان، والطريق القاصد الواصل مفتوح يراه كل إنسان، وأعداء هذه الدعوة هم أعداؤها، وتتوالى القرون والأجيال، وهم ماضون في الكيد لها من وراء القرون والأجيال.. والقرآن هو القرآن<sup>(١)</sup>.

### ننتصر على الغرب بثباتنا

يقول الشهيد الرنتيسي -عندما كان في مرج الزهور- : في خيمة جلس صحفي محب إلى قلبنا وعقد معي لقاء صحفياً، ولقد أذهلني عندما توجه إليّ في نهاية اللقاء متسائلاً: هل أنت نبي؟ فقلت: لا، فقال: هي يتنزل عليكم وحي من السماء؟ فقلت: لا، ثم أنهى اللقاء.

وتوجهت إليه متسائلاً بعد نهاية اللقاء: لماذا سألتني هذه الأسئلة الغريبة؟

فقال: أنا أخطب المجتمع الأمريكي، وهناك خواء روحي عجيب، وكثير منهم يعتقد أن ثباتكم بين الصخور والثلوج لا يمكن أن يكون إلا بوحي، ويعتقدون أنك نبي جديد، ولذا أردت أن أبين لهم الحقيقة. وقال لي: لو قلت إنك نبي لوجدت أعداداً كبيرة دخلوا في هذا الدين الجديد<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) في ظلال القرآن: (١/٦٣٩-٥٤٠).

(٢) مذكرات الرنتيسي ٥٩-٦٠.

## الأخوة في الله

هي منحة قدسية، ونعمة إلهية يقذفها الله عز وجل في قلوب المخلصين من عباده، والأصفياء من أوليائه، والأتقياء من خلقه، فالله تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لا أخوة بدون إيمان ولا إيمان بدون أخوة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[الحجرات: ١٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مجديث يرفعه قال: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» [رواه مسلم].

وقال النبي ﷺ: «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى»، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: «هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، والله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» [رواه أبو داود].

### الأخوة طريق الجنة

قال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قرينة لي إليك.

وقال الفضيل رضي الله عنه في بعض كلامه: هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟ بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كتمته؟ بأي رحم قطعت وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قاربته في الله؟.

وقال عبد الله بن سهل: سمعت يحيى بن معاذ يقول: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثاً:

إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تدمه.

وقال أبو سليمان الداراني: كنت أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيته شهراً، ويقال: إنما الأخ الذي تعظك رؤيته قبل أن يعظك بكلامه.

ويقول البنا: إن ذلك المهاجر الذي كان يترك أهله، ويفارق أرضه في مكة، ويفر بدينه، كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتیان يثرب ينتظرون، وكلهم شوق إليه وحب له وسرور بمقدمه، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم حيلة، وما ربطهم به وشيجة من صهر أو عمومة، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة.

وإنما هي عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به، ويعدونه جزءاً من أنفسهم، وشقيقاً لأرواحهم، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه، ويفديه بروحه وعياله، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع، حتى روى الإمام البخاري: «ما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة».

وحتى خلد القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر، فما زال يبدو غرة مشرقة في جبين السنين في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

### أمر إلهي

يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يقول سيد قطب: «هذه الأخوة المعتصمة بمجل الله نعمة يمتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً.. وهو هنا يذكرهم بهذه النعمة، يذكرهم كيف كانوا في الجاهلية أعداء، وما كان أعدى من الأوس والخزرج في المدينة أحد، وهما الحيان العربيان في يثرب، يجاورهما اليهود الذين كانوا يوقدون حول هذه العداوة وينفخون في نارها حتى تأكل روابط الحيين جميعاً، ومن ثم تجد يهود مجالها الصالح الذي لا تعمل إلا فيه، ولا تعيش إلا معه، فألف الله بين قلوب الحيين من العرب بالإسلام، وما كان إلا الإسلام وحده يجمع هذه القلوب المتنافرة، وما كان إلا

حبل الله الذي يعتصم به الجميع فيصبحون بنعمة الله إخواناً<sup>(١)</sup>.

### حقوق الأخوة الخاصة

#### ١- في المال

يقول أبو حامد الغزالي في الإحياء: والحقوق في المال على ثلاث مراتب:

أدناها: أن تنزله منزلة خادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة وعندك فضل عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم توجه إلى السؤال، فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنزله بمنزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك وتسمح له بمشاطرته في المال.

الثالثة: وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه مرتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً.

وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال: إني أريد أن أؤخيك في الله.

فقال: أتدري ما حق الإخاء؟

قال: لا.

قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودراهمك مني.

قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد.

قال: فاذهب عني.

وقال علي بن الحسين للرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه وكيسه فيأخذ منه

ما يريد بغير إذنه؟

قال: لا، قال: فلستم بإخوان.

وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني

لاستقلتها له، وقال أيضاً: إني لألقم اللقمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقي.

(١) في ظلال القرآن الكريم: (١/٤٤٢).



ولله در علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين الوفاة قال: يا بني! إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة عانك، واصحب من إذا مدت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، صاحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتدك، وإن نزلت بك نازلة واساك، اصحب من إن قلت صدق قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن تنازعتما أترك.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، وإننا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم.

وقال يزيد بن عبد الملك: إني لأستحي من الله عز وجل أن أسأل اللجنة لأخ من إخواني وأجمل عليه بدينار أو درهم.

وقال أحد الصالحين: وددت أن جميع إخواني أتوني فشاركوني في معيشتي حتى يكون عيشنا عيشاً واحداً، ولوددت أن جميع إخواني أتوني في حوائجهم، وإني لأستحي من الله عز وجل أن ألقى الأخ من إخواني فأدعو له بالجنة وأجمل عليه بالدنيا، والدنيا أصغر وأحق من أن يقال لي يوم القيامة: كنت كذاباً، لو كانت الدنيا بيدك كنت بها أجمل.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: لعشرون درهماً أعطيتها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين.

وجاء فتح الموصلي إلى صديق له يقال له: عيسى التمار فلم يجده في المنزل، فقال للخادمة: أخرجني إليّ كيس أخي، فأخرجته له فأخذ درهمين، وجاء عيسى إلى بيته فأخبرته الخادمة بمجيئي فتح وأخذه الدرهمين، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت.

وعن الأعمش: أن خيشمة بن عبد الرحمن ورث مائتي ألف فأنفقها على إخوانه.

### موقف مؤثر

بيعت عيادة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في المزاد العلني؛ لأنه رفض دفع ضرائب للاحتلال، وهذا من شجاعته لرفضه مبدأ الاحتلال، وقدر الله سبحانه أن يشتري محتويات العيادة رجل فاضل وهو ابن الداعية والمحسن الكبير الحاج «صادق الزيني»، فلما علم أنها له اتصل به ورد محتويات العيادة إليه، وأقسم أيماناً مغلظة ألا يأخذ المبلغ الذي دفعه للمزاد،

وفعلًا لم يأخذ شيئًا رغم الإلحاح الشديد من الدكتور<sup>(١)</sup>.

هل تؤثر إخوانك على نفسك؟

٢- الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات

وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه فجاء بهدية فقال: ما هذا؟

قال: لما أسديته لي.

فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى.

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم، ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله، فكانوا ما يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها حيث لا يعرفه أخوه، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها<sup>(٢)</sup>.

عن بسطام التيمي قال: رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زقاق ضيق في التيم، فقلت: من أين يجيء طلحة؟

قالوا: يأتي أم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة، قال: وذلك بعد موت عمارة ببضع عشرة سنة.

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك، أو أهم من حاجتك، وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها، ولا ترى لنفسك حقًا بسبب قيامك بها.

وعن الحسن بن كثير قال: شكوت إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء إخواني.

(١) مذكرات الشهيد الرتيبسي ٣٣ بتصرف.

(٢) من يظلمهم الله (١/٣٦٥).

فقال: بش الأخ أخ يركاك غنياً ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني.

وكان رحمه الله يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فتقول له مولاته سلمى: ما تصنع؟ فيقول لها: يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان؟

ولقى حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما - بعدما قتل الزبير - فقال: كم ترك أخي عليه من الدّين؟

قال: ألفي ألف.

قال: عليّ منها ألف ألف.

قال الحسن: كنا نعد البخيل الذي يقرض أخاه!!

وقال: ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه.

وجاء رجل من السلف الصالح إلى بيت صديق له، فخرج إليه فقال: ما جاء بك؟

قال: على أربعمائة درهم، فدخل الدار فوزنها، ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الدار باكياً، فقالت زوجته: هلا تعللت عليه، إذا كان إعطاؤه يشق عليك؟

فقال: إنما أبكي لأنني لم أتفقد حاله، فاحتاج أن يقول ذلك.

وقال علي: لئن أجمع نفرًا من أصحابي على صاع أو صاعين من طعام أحب إليّ من أن أخرج إلى سوقكم فأعتق نسمة<sup>(١)</sup>.

ولله درأبي سليمان الداراني حين يقول: لو أن الدنيا كلها لي في لقمة، ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه.

ودخل مالك بن دينار ومحمد بن واسع منزل الحسن وكان غائباً، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل، فقال له مالك: كُفْ يدك حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً، فدخل الحسن وقال: هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت

(١) من يظلمهم الله (١/٣٦٠) بتصرف.

وأصحابك، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قال تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض له التصرف كما يريد.

وكان أبو جعفر محمد بن علي يدعو نفرًا من إخوانه كل جمعة فيطعمهم الطعام الطيب، ويطيبيهم، ويبخرهم، ويروحون إلى المسجد من منزله.

ولله در الإمام أحمد بن حنبل حين يقول: لو أن الدنيا جمعت في مقدار لقمة، ثم أخذها المرء المسلم فوضعها في فم أخيه المسلم لما كان مسرفًا.

وقال عبد الله بن عثمان شيخ البخاري: ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تمت وإلا قمت له بمالي، فإن تمت وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تمت وإلا استعنا له بالسلطان.

ودخل علي بن زين العابدين بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعود، فبكى ابن أسامة، فقال له: ما يبكيك؟

قال: عليّ دين.

قال: وكم هو؟

قال: خمسة عشر ألف دينار.

فقال: هي عليّ.

وقال الهيثم بن جميل: جاء فضيل بن مرزوق إلى الحسن بن حسين فأخبره أنه ليس عنده شيء، فقام الحسن فأخرج ستة دراهم، وأخبره أنه ليس عنده غيرها.

فقال: سبحان الله ليس عندك غيرها وأنا آخذها، فأخذ ثلاثة وترك ثلاثة.

قال ابن رجب في لطائف المعارف: كان كثير من السلف يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم، اغتنامًا لأجر ذلك: منهم: عامر بن عبد قيس، وعمرو بن عتبة بن فرقد، مع اجتهادهما في العبادة في أنفسهما، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر الخدمة والأذان.

وكان رجل من الصالحين يصحب إخوانه في سفر الجهاد وغيره، فيشترط عليهم أن يخدمهم، فكان إذا رأى رجلاً يريد أن يغسل ثوبه، قال له: هذا من شرطي، فيغسله.

وروى أن جيشاً من المسلمين كان بينه وبين عدوه نهر، فأمرهم القائد أن يخوضوه فلبوا الأمر وخاضوا النهر، والعدو يشهدهم من بعيد، وفي وسط النهر سقط إناء أحدهم فصاح: قعبي قعبي، فقال الذي عن يمينه: قعبي قعبي، وقال الذي عن شماله: قعبي قعبي، حتى أخذ الجيش كله يردد: قعبي قعبي، فخاضوا جميعاً في جوف النهر ليبحثوا عن إناء أخيه، فعرف العدو ذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا: إذا كانوا يفعلون ذلك من أجل إناء سقط من أحدهم، فماذا يفعلون لو قتلنا منهم نفساً.

٣- في اللسان

قال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات.

وقال عيسى عليه السلام للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه؟

قالوا: نستره ونغطيه.

قال: بل تكشفون عورته!

قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟

فقال: أحذكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إنني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم.

ويقول أحمد بن حنبل: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى.

فقال له ابنه عبيد الله: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟  
فقال الإمام أحمد: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر  
هل لهذين من خلف؟

وعن أبي عبد الله بن الخطيب قال: كان لأبي حمدون (أحد القراء المشهورين)  
صحيفة مكتوب فيها ثلاثمائة من أصدقائه، قال: وكان يدعو لهم كل ليلة، فتركه ليلة  
فنام، فقيل له في نومه: يا أبا حمدون! لِمَ لم تسرج مصابيحك الليلة؟ قال: فقعد وأسرج  
وأخذ الصحيفة، فدعا لواحد واحد حتى فرغ.

وقال القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك  
أحد الستة الذين أدعو لهم سحراً.

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون  
ميراثك، ويتنعمون مما خلفت، وهو منفرد بمجزنك، مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو  
لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

#### ٤- الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت، وبعد الموت مع أولاده  
وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للأخرة.

يقال: ما تأخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

وكان بشر يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين، بل  
الوفاء له المخالفة.

فقد كان الشافعي أخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه، ويقول: ما  
يقيمى بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله تعالى فقال:

مرض الحبيب فعدته فمرضت من جزعي عليه

وأنتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس من فرط محبته أنه يفوض أمر حلقة إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في

علته التي مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم، وهو عند رأسه ليومئ إليه، فقال الشافعي: سبحان الله أيشك في هذا، أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن البويطي كان أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة.

يقول ابن عباس: أكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليّ، لو استطعت ألا يقع الذباب عليه لفعلت، وفي رواية: «إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني»<sup>(١)</sup>.

#### ٥- التخفيف وترك التكلف

قال علي: شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة، وأجأك إلى اعتذار. وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهما أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه.

وقالوا: من سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفت مؤنته دامت مودته.

وقال جعفر الصادق: أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم عليّ قلبي من أكون معه كما أكون وحدي.

وقال آخر: لا تصحب إلا من يتوب عندك إذا أذبت، ويعتذر إليك إذا أسأت، ويحمل مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه، وهذا منتهى الكمال وهو نادر وقليل.

وقال رجل للجنيد: قد عز الإخوان في هذا الزمان، أين أخ لي في الله؟

فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثاً، فلما أكثر قال له الجنيد: إن أردت أخاً يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمرى قليل، وإن أردت أخاً في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه، فعندي جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل.

وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به: أكله عنده، ودخول الخلاء، والصلاة، والنوم.

هل تحرص على عدم التكلف مع إخوانك؟

٦- أخبره بحبك

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر رجل به، فقال: يا رسول الله، إني لأحب هذا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أعلمته؟» قال: لا، قال صلى الله عليه وسلم: «أعلمه» فلحقه، فقال: إني أحبك في الله، فقال: أحبك الذي أحببتي له [رواه أبو داود].

وعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا (يلمع بياضاً في مقدمة أسنانه) إذ الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن قوله، فسألت عنه فقليل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجرت (بكرت) فسبقني بالتهجير، ووجدته يصلي فانتظرت حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك فقال: الله؟ فقلت: الله: فقال: الله؟، فقلت: الله، فقال: الله؟، فقلت: الله، فأخذ مجبوة ردائي فجذبني إليه (ملتقى طرفيه من الصدر) فقال: أبشر، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال تبارك وتعالى: «وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتبازلين في» [موطأ مالك].

٧- إذا لقي الأخ أخاه فليبادر إلى مصافحته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا» [أبو داود].

إذا لقي الأخ أخاه فليطلق وجهه عند اللقاء: عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» [رواه مسلم].

٨- إذا فارق الأخ أخاه فليطلب منه الدعاء في ظهر الغيب

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فقال: «أي أخي أشركنا في دعائك ولا تنسنا» [رواه الترمذي].

٩- أن يكثر من زيارة أخيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلاً زار أخاً له في الله، فأرصد الله على مدرجته (طريقه) ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل



لك من نعمة تربُّها، قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» [رواه مسلم].

وقال محارب بن دثار: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لقد أحببت في الله عز وجل ألف أخ كلهم أعرف اسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته، وأعرف مكان داره.

وقال أبو سليمان الداراني: قد يعملون بطاعة الله عز وجل، ويعاونون على أمره، ولا يكونون إخواناً حتى يتزاوروا ويتبادلوا.

وكان الإمام أحمد بن حنبل إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد، أو قيام بحق، أو اتباع للأمر، سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله.

وروى الخطيب البغدادي أنه قال: بلغني أن بعض أصحاب محمد بن غالب أبي جعفر المقرئ جاء في يوم وحل وطين، فقال له: كيف أشكر هاتين الرجلين اللتين تعبتا إليّ في مثل هذا اليوم لتكسباني الثواب؟ ثم قام بنفسه فاستقى له الماء، وغسل رجله!.

١٠- أن يبدي له اهتماماً في قضاء حوائجه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].

وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما صفة من الآخر، فإن أجناس الناس كأجناس الطير.. ولا يتفق نوعان من الطير إلا لمناسبة، وفي ذات يوم رأى غراباً مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذا هما أعرجان، فقال: من هنا اتفقا.

عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني.

١١- حفظ السر

أفشى بعضهم سراً له إلى أخيه ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت.

وقال أبو سعيد الثوري: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، ثم دس عليه من يسأله عنك، وعن أسرارك، فإن قال خيراً وكنتم سرّاً فاصحب.

## ١٢- عدم الهجر

قال إبراهيم النخعي: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه، فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً.

وحكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره؟

فقال: أحوج ما كان عليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن أخذ بيده، وأتلف له في المعاتبه، وأدعوه بالعود إلى ما كان عليه.

والقريب ينبغي ألا يهجر من أجل معصيته، حتى يقام له بواجب النصيحة، وذلك لأجل قرابته، قال الله تعالى لنبيه في عشيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦]، ولم يقل: إني برئ منكم، مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب، لهذا أشار أبو الدرداء لما قيل: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟

فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي، وأخوة الدين أؤكد من أخوة القرابة.

وسأل الفاروق عمر رضي الله عنه عن رجل كان قد آخاه ثم خرج إلى الشام، فقالوا له: ذاك أخو الشيطان، إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر، فكتب إليه عمر: «من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو إليه المصير، ثم قال لأصحابه: ادعوا لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي، فلم يزل يرددتها على نفسه حتى بكى، ثم نزع (أي تاب) فأحسن النزع، فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاً لكم زل زلة فسددوه ووثقوه (أي افتحوا له باب الأمل والثقة) وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعماناً للشيطان عليه.

## ١٣- حسن الظن

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً.

وقال أبو بكر الكتاني: يحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً، فوهبت له شيئاً بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل، فلخوت به يوماً وقلت له: ضع رجلك على خدي فأبى، فقلت له: لا بد من ذلك، ففعل ذلك فزال ما كنت أجد في باطني.

وعن أبي قلابة قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عُذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عُذراً لا أعلمه.

وقال الربيع بن سليمان: دخلت على الشافعي وهو مريض، فقلت له: قوى الله ضعفك، فقال: لو قوى ضعفي قتلتني، فقلت: والله ما أردت إلا الخير، قال: أعلم أنك لو شتمتني لم تُرد إلا الخير.

وقال أبو معاوية السود: إخواني كلهم خير مني.

قيل: وكيف ذلك؟

قال: كلهم يرى لي الفضل عليه، ومن فضلي على نفسه فهو خير مني، ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم.

هل تحسن الظن بأخيك؟

١٣- النصيحة

روى أحد التابعين: سمعت شريح القاضي وأنا أشتكى بعض ما غمني لصديق، فأخذني من يدي وانتحى بي جانباً، وقال: يا ابن أخي، إياك والشكوى لغير الله عز وجل، فإن من تشكو إليه لا يخلو أن يكون صديقاً فتحزنه، وإما عدواً فيشمت بك، ثم قال: انظر إلى عيني هذه -وأشار إلى إحدى عينيه-، فوالله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً منذ خمس عشرة سنة، ولكني ما أخبرت أحداً إلا أنت في هذه الساعة، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، فاجعل الله عز وجل مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك، فإنه أكرم مستول وأقرب مدعو.

وقد رأى ذات يوم رجلاً يسأل آخر شيئاً فقال له: يا ابن أخي من سأل إنساناً حاجة فقد عرض نفسه على الرق، فإن قضاها له المستول فقد استعبده بها، وإن

رده عنها رجع كلاهما ذليلاً<sup>(١)</sup>.

احرص على تقديم النصيحة لإخوانك سرًا وبرفق.

### نصح واثلة

كان واثلة بن الأسقع واقفًا في سوق، فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم، فغفل واثلة، وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال واثلة: إن بخفها نقبًا -يعني جرحًا- قد رأيت، وإنها لا تتابع السير، فعاد الرجل فردها، فنقصها البائع مائة درهم، وقال لواثلة: أفسدت عليّ بيعي رحمك الله، فقال واثلة: إنا بایعنا رسول الله على النصح لكل مسلم<sup>(٢)</sup>.

وقالت أم الدرداء رضي الله عنها: من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه.

وقال سفیان: قلت لمسعر بن كدام: تحب أن يخبرك رجل بعيوبك؟

قال: أما أن يجيء إنسان فيؤبخي بها فلا، وإما أن يجيء ناصحًا فنعم.

ويقول أحد السلف: أخوك من عرفك العيوب، وصديقك من حذرك من الذنوب.

### ١٥- قبول الدعوة

زار الإمام الشهيد البنا إحدى قرى الصعيد، وأقام الإخوان احتفالاً كبيراً في هذا اليوم، وبعد انتهاء الحفل ألح أحد الفلاحين على الإمام الشهيد أن يزوره في بيته، وكان عدد الإخوان كثيراً، وكان هناك مواعيد ولقاءات، فقبل الإمام الشهيد أمام الإصرار الشديد على الزيارة، بشرط أن يكون وحده، وألا تتجاوز الزيارة فنجان شاي، وتوجهها إلى البيت، وكانت الفرحة، وطلب الرجل من زوجته إعداد فنجان شاي بسرعة، وسُر الرجل، وجعل الإمام الشهيد يشرب الشاي، وكلما أخذ رشفة تبسم وأنس الرجل، ثم

(١) صور من حياة التابعين ١١٩ - ١٢٠.

(٢) الإمام أبو حنيفة: ٢٧٨.

عاد إلى إخوانه المنتظرين وودعه الرجل بكل حفاوة، ثم رجع إلى بيته مسرعاً، وتناول فنجان الشاي، ليحظى بسؤره وما تبقى منه، فلم يجد سوى الأثر، ولكنه وجد عجباً، فوجئ بأن الشاي قد أضيف إليه الملح بدل السكر<sup>(١)</sup>.

#### ١٦- مراعاة الذوقيات

يقول الأستاذ عمر التلمساني: كان الإمام الشهيد البنا يتحسس في رقة ودقة كل ما يرضى الإخوان في الحدود المشروعة، في ذات يوم زاره الأخ الشاعر عمر الأميري أحد قادة الإخوان في سوريا؛ ليستأذنه في الذهاب إلى الإسكندرية مع والده في القطار الذي يغادر القاهرة غداً في السابعة صباحاً، وذهب عمر الأميري مع والده وقبل أن يتحرك القطار بدقيقة أو دقيقتين، إذ بعمر يرى الإمام الشهيد وهو يسرع الخطى على رصيف القطار، يحمل باقة من الورود الناضرة، يقدمها تحية لوالد عمر الأميري، وكان لهذا الموقف تأثير عميق في نفس الأميري الشاعر الكبير<sup>(٢)</sup>.

هل تحرص على تقديم الهدية لإخوانك؟

ويقول الندوي: حدثني بعض الثقات المعتبرين الذين أدركوا عهد الأشراف في الحجاز، أن تجار مكة كانوا في ذلك العهد على جانب عظيم من المواساة لزملائهم، والنظر في مصالحهم، والإخلاص والإيثار لهم، قال: كان بعض التجار إذا أتاه زبون في آخر النهار وقد باع ما يكفيه لقوت يومه وما حده من الربح والوارد، ولم يكن زميله الجار سعيد الحظ في ذلك اليوم، قال له في لطف وهدوء: دونك هذا الدكان الذي هو بجواري! تجده عنده ما تجده عندي، وقد لاحظت قلة الزبائن عنده هذا اليوم، فهو أحق أن تشتري منه.

ويتحدث الأستاذ محمد أسد النمساوي عن مدينة إسلامية عربية كبيرة (دمشق) فيذكر انطباعاته كما يلي:

وقفت على ذلك الاستقرار الروحي في حياة سكانها، إن أمنهم الباطني كان يمكن أن

(١) مائة موقف من حياة المرشدين ٥٨ - ٥٩.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين ٦٤.

يُرى في الطريقة التي كان أصحاب الدكاكين يعامل بها بعضهم بعضاً، أولئك التجار في الحوانيت الصغيرة، أولئك الذين لا ينادون على المارة، أولئك كانوا يبدون وكأنما ليس فيهم أيما قدر من الخوف، والحسد، حتى إن صاحب دكان منهم ليلترك دكانه في عهدة جاره ومزاحمه، كلما دعتة حاجة إلى التغيّب بعض الوقت، وما أكثر ما رأيت زبوناً يقف أمام دكان غاب عنه صاحبه يتساءل فيما بينه وبين نفسه، ما إذا كان ينتظر عودة البائع، أم ينتقل إلى الدكان المجاور، فيتقدم التاجر المجاور دائماً -للتاجر المزاحم- ويسأل الزبون عن حاجته ويبيعه ما يطلب من البضاعة -لا بضاعته هو- بل بضاعة جاره الغائب، ويترك له الثمن على مقعده.

هل في أوروبا يستطيع المرء أن يشاهد مثل هذه الصفقة<sup>(١)</sup>.

### نقاتل أعداءنا بالحب

روى أنه بعد الاتفاق على صلح الحديبية وقبل أن يدون في عقد، تمكن الصحابي الشاب أبو جندل بن سهيل بن عمرو من الفرار من سجن أبيه وقومه، حتى لحق بالمسلمين في الحديبية، فرح به المسلمون وتلقوه وآووه، فأمسك به أبوه سهيل بن عمرو وهو المفاوض باسم قريش في هذا الصلح، وأخذ بتلابيبه وجعل يضرب وجهه بغصن شوك ويجره إليه، فصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني عن ديني؟ فزاد ذلك المسلمين شراً وحزناً، وجعلوا ييكون لكلام أبي جندل، وهنا قال رجل من الكفار واسمه حويطب بن عبد العزى لرجل آخر اسمه مكرز بن حفص: ما رأيت قوماً قط أشد حباً لمن دخل معهم من أصحاب محمد لمحمد، وبعضهم بعضاً، أما إنني أقول: لا نأخذ من محمد نصفنا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة (أي لن تنال منه شيئاً حتى يدخل مكة بالقوة) فقال مكرز: وأنا أرى ذلك.

والشاهد أن مشاعر الحب والأخوة بين المسلمين في هذا الموقف هي التي جعلت اثنين من الكفار يقرران نهاية الصراع لصالح المسلمين<sup>(٢)</sup>.

(١) الإيمان والحياة: ٢٣٦-٢٣٧.

(٢) عدة المجاهدين: ٨٧.

يقول البنا: الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض، فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم، قطعة من الأرض الإسلامية العامة التي يفرض الإسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها، فكان من ذلك أن اتسع أفق الوطن الإسلامي، وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية إلى وطنية المبادئ السامية، والعقائد الخالصة الصحيحة، والحقائق التي جعلها الله للعالم هدى ونوراً، والإسلام حين يشعر أبنائه بهذا المعنى، ويقرره في نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدين، وتخليصها من غضب الغاصبين، وتحصينها من مطامع المعتدين<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

## الثقة

الثقة من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

### أنواع الثقة:

#### ١- الثقة في كلام الله

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فألقت أم موسى ابنها في اليم وهو عين الثقة بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربها لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه وجريانه إلى حيث ينتهي أو يقف.

إن المسلم يوقن بأن الله لن يتركه ولن يضيعه إذا ما تخلى الجميع عنه، فثقته وبقينه بما عند الله أكبر من يقينه بما في يده، لذلك تراه دائماً هادئ البال، ساكن النفس، إذا ما ادهمت عليه الخطوب وازدادت الغيوم، فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعندما فر سيدنا موسى بمن معه من فرعون فأتبعهم فرعون فأصبح البحر أمامه وفرعون خلفه، فقال له بنو إسرائيل: ﴿إِنَّا لَمُذْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] ولكنه بيقين قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وفي الهجرة عندما اقترب المشركون من غار ثور قال أبو بكر: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال الرسول ﷺ: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» [رواه البخاري]، ونزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التنصير: ١] فَتَضَرُّوهُ فَتَضَرُّهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ



اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة: ٤٠﴾.

لقد كان الرسول ﷺ علي يقين بأن الله سينجيه من الكفار، فاستشعر معية الله سبحانه وتعالى.

عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الم ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ فِي بَضْعِ سَنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الروم: ١-٥]، وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق ؓ يصيح في نواحي مكة ﴿الم ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿ فِي بَضْعِ سَنِينَ ﴿ [الروم: ١-٤]. فقال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ -وذلك قبل تحريم الرهان- فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، قالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ أقسم بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه، قالوا: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت ست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، قال: فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين لأن الله قال: في بضع سنين ولم يقل في ست سنين، فأسلم عند ذلك ناس كثير [رواه الترمذي].

كان أبو بكر على يقين بما قاله الله تبارك وتعالى، فتواعد مع الكفار على موعد محدد.

اللَّهُ قَالَ هَذَا!

عن أبي عبد الله مردنيش المغربي أنه أغار يوماً فغنم غنائم كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاثمائة فارس: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنائم، قال: ألم يقل الله ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴿ [الأنفال: ٦٥]، فقال أصحابه: يا رئيس، الله قال هذا؟ فقال: الله يقول هذا وتعدون عن لقاءهم؟! قال: فثبتوا فهزموا الروم.

المسلمون تذكروا الآية الكريمة، فعَلَّتْ همتهم وزاد يقينهم بأن النصر حليفهم، فقاتلوا بكل شجاعة وبسالة.

## ٢- الثقة بالثواب

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيهُمُ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

عن عمرة بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني سرقت جملًا لبي فلان فطهرني! فأرسل إليهم النبي ﷺ فقالوا: إنا افتقدنا جملًا لنا، فأمر به، قال ثعلبة: لأنا أنظر إليه حين قطعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهرني منك، أردت أن تدخلني جسدي النار [رواه ابن ماجه].

إنه على يقين بأن الله غفر له وأجزل له الثواب، فالمسلم الذي يبذل مجهودًا لنشر دين لا بد أن يكون علي يقين بالثواب الجزيل من الله طالما أنه أخلص نيته.

## ٣- الثقة في كلام الرسول ﷺ

قال الكفار لأبي بكر ﷺ: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟! فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن قال ذلك فقد صدق، فقالوا: قد صدقته أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم إني لأصدقه مما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء غدوه ورواحه.

لم يسبقنا أبو بكر بصلاة ولا صيام، وإنما سبقنا بشيء وقر في صدره.. هذا الشيء اسمه اليقين.

## اسقه عسلًا

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلًا»، ثم أتى الثانية فقال: «اسقه عسلًا»، ثم أتى الثالثة، فقال: «اسقه عسلًا»، ثم أتاه فقال: قد فعلت، فقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك.. اسقه عسلًا»، فسقاه، فبرأ [رواه البخاري].

العسل شفاء من كل داء، ونحن علي يقين بما أخبر الرسول ﷺ عن رب العالمين، فاحرص على تناوله وأنت على يقين بالشفاء من مرضك إن شاء الله.

### شهادة رجل بشهادتين

الني ﷺ اتباع فرساً من أعرابي واستتبعه ليقبض ثمن فرسه، فأسرع النبي ﷺ وأبطأ الأعرابي، وطفق الرجال يتعرضون للأعرابي فيسومونه بالفرس (أي يزيدون في ثمن الفرس بعد استقرار البيع) وهم لا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه حتى زاد بعضهم في السوم على ما ابتاعه به منه، فنادي الأعرابي النبي ﷺ فقال: «إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداءه فقال: «أليس قد ابتعته منك»، قال: لا والله ما بعته، فقال النبي ﷺ: «قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ وبالأعرابي وهما يتراجعان، وطفق الأعرابي يقول: هلم شاهداً يشهد أنني قد بعته، قال خزيمه بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بعته، قال: فأقبل النبي ﷺ على خزيمه فقال: «بم تشهد؟» قال: بتصديقك يا رسول الله، قال: فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمه بشهادة رجلين [النسائي].

هل أنت على يقين بكلام الرسول ﷺ بأن النصر لمن يتمسكون بالإسلام!؟

وعن أم عمار قالت: اشتكى عمار ؓ فقال: لا أموت في مرضي هذا، حدثني حبيبي رسول الله ﷺ أنني لا أموت إلا قتلاً بين فئتين مؤمنتين.

وجاء معاوية إلى عمار يعوده، فلما خرج من عنده قال: اللهم لا تجعل منيته بأيدينا! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عمار الفئة الباغية» [رواه مسلم].

ولما حضر أبا ذر الموت بكت امرأته، فقال: لاتبكي، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا منهم: «ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين»، وليس من أولئك النفر رجل إلا قدم مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة، فأبصري الطريق وأول ركب يمر بكم فقولني: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق. فقالوا له: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه، فاستهل عبد الله بيكي، ويقول: صدق رسول الله ﷺ حين قال: «تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك» ودفنوه.

وسمع أنس بن مالك رضي الله عنه بعض الممارين في الدين يتكلمون في الحوض، فقال  
لقد تركت عجائز خلفي ما تصلي واحدة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض  
النبي صلى الله عليه وسلم.

إنهم كانوا على يقين بوجود حوض النبي صلى الله عليه وسلم

ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك أكثر من مرة وكان من دعائه له: «اللهم  
ارزقه مالا وولداً، وبارك له»، وقد استجاب الله سبحانه دعاء نبيه، فكان أنس أكثر الأنصار  
مالا، وأوفرهم ذرية، حتى إنه رأي من أولاده وحفدته ما يزيد على المائة، وقد بارك الله  
له في عمره حتى عاش قرناً كاملاً وفوقه ثلاث سنوات، وكان أنس شديد الرجاء لشفاعة  
النبي صلى الله عليه وسلم له يوم القيامة، فكثيراً ما كان يقول: إني لأرجو أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم  
القيامة فأقول له: يا رسول الله، هذا خويدمك أنس. <sup>(١)</sup>

لقد كان على يقين في البركة في رزقه وأولاده، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له بذلك.

بشره بالجنة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط (بستان) من حيطان  
المدينة، وجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له، فإذا أبو بكر،  
فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره  
بالجنة، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال  
لي صلى الله عليه وسلم: افتح له وبشره بالجنة، على بلوي تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
فحمد الله ثم قال: الله المستعان [رواه البخاري].

وبالفعل كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه مليئة بالفتن، وقتل شهيداً في نهاية حياته.

ثقة عمر

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيقتل، وسيلقي الله شهيداً،  
قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحد وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم،

(١) صور من حياة الصحابة ١٤-١٦.

فقال: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان» [رواه البخاري].

هل أنت على يقين بأن الله سيغفر للشهيد ذنوبه مع أول دفعة من دمه؟ فهل تمني الشهادة وتعمل لها؟

ما احترق

جاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء احترق بيتك.

قال: ما احترق.

ثم جاء آخر فقال: يا أبا الدرداء انبعثت النار حتى انتهت إلي بيتك وطفئت.

قال: قد علمت أن الله عز وجل لم يكن ليفعل.

قال: يا أبا الدرداء! ما ندري أي كلامك أعجب؟ قولك: ما احترق، أو قولك: قد

علمت أن الله لم يكن ليفعل ذلك.

قال: ذاك كلمات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاهن حين يصبح لم تصبه مصيبة حتى يمسي: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش الكريم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم» [البیهقي].

حافظ أخي على هذا الدعاء، وكن على ثقة ويقين بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم.

إنه سيعود

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يخبئ من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعلى عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» فقلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيلاً فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرصدته، فجاء يخبئ من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني

فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، قال: «أما إنه كذبتك وسيعود»، فرصدته الثالثة. فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلي رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود! فقال: دعني فأني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلي فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختتم الآية، فإنها لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي؟» فقلت: قال لي: إذا أويت إلي فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختتم الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح. فقال النبي ﷺ «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذاك شيطان» [رواه البخاري].

صدقت نبوءة الرسول ﷺ في أنه سيعود؛ ولذلك تربص به أبو هريرة، فاعلم بأن الشيطان سيعود إليك دائماً ويوسوس لك، لتفعل المعاصي فهل تربص به، وتتبه لوساوسه؟

#### ٤- الثقة في القيادة

رأينا أعداء الإسلام يستخدمون سلاح التشكيك في القيادة في كل وقت، كما حدث بعد أن أمر الرسول بإحراق نخل يهود بني النضير، فقالوا: يا محمد، قد كنت تنهي عن الفساد وقطع الشجر، فما بالك تفعله؟

فحاك ذلك في صدور بعض المسلمين فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] (١).

وكان صلح الحديبية ٦هـ على خلاف أكثر الآراء والأهواء والرغبات، ولكن القيادة ذات الرؤية (الأبعد والأثقب) رأت إنفاذه، فكان من الجنود السمع والطاعة والالتزام

(١) ابن كثير (٤/٣٣٣).

والانضباط، وإن كانت هناك (تساؤلات) أو (ضيق قلبي) فلا بأس بشرط ألا يكون لهما آثار بعد (القرار).

وهذه الثقة في القيادة هي التي عصمت - بفضل الله - حذيفة بن اليمان في غزوة الأحزاب من خطأ (الاجتهاد الفردي)، حيث أمره الرسول بعبور الخندق واستطلاع أخبار الأحزاب وقال: «لا تحدث شيئاً»، وفي رواية «لا تدعهم علينا»، أي لا تهيجهم ولا تثرهم، وهناك رأي أبا سفيان - قائد جيش الكفار في هذا الوقت - يكشف ظهره ويستدفع بالنار، فهم أن يرميه بسهم، ولكنه تذكر أمر الرسول فأعاد السهم موضعه. وما أعظمه من درس! فالمسلمون في ساعة حرب، وأبو سفيان (محارب)، بل قائد المحاربين، ويستحق وقتها القتل، وهو صيد سمين سيؤثر في نفوس جيشه لو قتل.. إلخ، ولكن (المصلحة العليا) والقيادة قررت غير ذلك!<sup>(١)</sup>

#### ٥ - الثقة في الجنود

أرسل عمر بن الخطاب إلي عمرو بن العاص مدداً فيه أربعة رجال وقال له: أرسلت إليك أربعة رجال الواحد فيهم بألف.

وكان خالد بن الوليد يقول لقادة الروم والفرس: «جتكم يقومون الموت كما تجبون الحياة».

ولما استعصى فتح الحديقة على المسلمين في معركة اليمامة ضد مسلمة الكذاب قال خالد للبراء بن مالك: إلهم يا فتى الأنصار، فكان على يديه بإذن الله.<sup>(٢)</sup>

#### ٦ - الثقة في الأخوة

فزع أهل الأندلس من حملات النصارى عليهم والتهامهم بلداً بعد الآخر، فذهب الفقهاء والعلماء والأعيان إلي المعتمد بن عباد ليري لهم حلاً فعقد مجلساً للشوري، فاقترح بعضهم الاستعانة بيوסף بن تاشفين زعيم (المرابطين) في المغرب، فاعترض بعض الحاضرين، ومنهم الرشيد بن المعتمد الذي قال لأبيه: يا أبت أتستبدل عدواً بعدو؟!

(١) عدة المجاهدين ٨٠-٨١.

(٢) عدة المجاهدين ٨١-٨٢.

فقال المعتمد كلمته الرائعة المتجردة لله: والله، يا بني لا ينقص الإسلام وأنا حي؛ فالعن على مقابر المسلمين، ولأن أكون راعي إبل في أفريقية خير من أن أكون راعي خنازير في الأندلس (أي لو ضاع ملكي على يد يوسف وأخذني أسيراً أرعي عنده الإبل خيراً من ضياعه على يد الصليبيين) ثم أجمعوا رأيهم على الاستفادة بالأخوة الإسلامية، فعبث المغاربة البحر وكونوا مع الأندلسيين جيشاً عظيماً تحت راية الإسلام، فحققوا نصراً مبيئاً في معركة الزلاقة (٩٧٤هـ) حتى لقد جمعوا جماجم القتلى وصعدوا عليها وأذنوا للصلاة، وبعدها رجع يوسف بن تاشفين بجيشه إلى المغرب، وما أخذوا حتى الغنائم! (١).

هل أنت على ثقة بإخوانك في الإسلام؟

#### ٧- الثقة في نصر الله

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «يا عدي بن حاتم أسلم تسلم ثلاث» قال: قلت: إني على دين، فقال: «أنا أعلم بدينك منك»، وقال: «إني أعلم ما الذي يمنحك من الإسلام، تقول: إنما تبعته ضعفه الناس ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت بها، فوالذي نفسي بيده ليطمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة (المرأة في السفر) من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسري بن هرمز»، قال: قلت: كسري بن هرمز؟ قال: «نعم، كسري بن هرمز وليبدلن المال حتى لا يقبله أحد»، قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف في غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسري بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها [رواه أحمد]. إنه يقين بما أخبر به الرسول ﷺ.

والرسول ﷺ أخبرنا بأن الإسلام سينتصر مهما فعل أعداء الإسلام، فلا يجوز أن يصاب المسلم بالهزيمة النفسية، ويقعد عن نصره دين الله، فكن على يقين كامل بأن الله سينصر دينه، ولكن عليك بالأخذ بكل الأسباب الممكنة.

#### لا تتعجل النصر

وجاء خباب بن الارت رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال



له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» [رواه البخاري].

وسأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يمكّن أو يتلى؟

فقال الشافعي: لا يمكن حتى يتلى، فمن الأخطاء الشائعة أن نظن أن النصر يأتي

بدون ابتلاء.

فالنصر قادم لا محالة، ولكن الله قد حدد له موعدًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر، والمهم،

أين المسلمون الذين سيستقبلون هذا النصر، ويحافظون عليه؟!

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أي المدينتين تفتح أولاً:

القسطنطينية أو رومية؟

فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما

نحن حول رسول الله نكتب، إذ سُئل رسول الله أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو

رومية؟ فقال: مدينة هرقل أولاً يعني قسطنطينية [رواه أحمد].

ورومية هي روما عاصمة إيطاليا الآن والقسطنطينية هي استانبول، ويفهم من

السؤال أن الصحابة قد علموا قبل ذلك أن الإسلام سيفتح المدينتين، ولكن يريدون أن

يعرفوا: أي المدينتين تسبق الأخرى، فأجابهم أن مدينة هرقل - القسطنطينية - ستفتح

أولاً.

وقد تحقق ذلك علي يد الفاتح العثماني الطموح (محمد بن مراد) ابن الثالثة

والعشرين، الذي عرف في التاريخ باسم (محمد الفاتح)، وفتحت مدينة هرقل في القرن

التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي بالتحديد عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م.

### سؤال

تسمع من يقول: ماذا نفعل ونحن مجردون من الأسباب المادية؟!

إنه تبرير الأذلاء وحنة الضعفاء، وكان الأسباب المادية هي التي تأتي بالنصر. فماذا

كان يملك نوح عليه السلام من الأسباب المادية عندما وقف أمام قومه وقال لهم: ﴿إِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]. ونفس الموقف يتكرر مع هود عليه السلام يقف وحده أمام قومه ويتحداهم قائلاً: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥] فإنني لا أخشاكم ولا أبالي بكم، فمعي قوة لا تقهر ومعني نصير لا يغلب: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦] ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وأنتم أيها الغلاظ الشداد ما أنتم إلا دواب من تلك الدواب التي يأخذ ربي بناصيتها، فما خوفي إذا منكم؟ إنها حقيقة الألوهية عندما تتجلى في قلوب الصفوة المؤمنين، عندها يهتف القلب على الفور: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

\*\*\*

## الجدية والانضباط

الجدية: هي إنفاذ التكاليف الشرعية والدعوية في وقتها، مع المثابرة وتسخير الإمكانيات المتاحة، والتغلب على الصعاب والعقبات، وقد حث الإسلام على الجدية والانضباط فقال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] وظهرت الجدية في حياة الرسول ﷺ من خلال ثباته على الحق وقال لعنه: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»<sup>(١)</sup> وإليك مظاهر الجدية والانضباط:

### الجدية في طلب العلم:

قال بعض الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس.

وقال مسلم في صحيحه: قال يحيى بن أبي كثير: لا ينال العلم براحة الجسم، وقد قيل: من طلب الراحة ترك الراحة.

ويقول عمر بن الخطاب ؓ: كنت أنا وجار لي من الأنصار وهو أوس بن خولى الأنصاري في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناول النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبز ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: أثقل الساعات علي: ساعة أكل فيها.

وكان عثمان الباقلوي دائم الذكر لله تعالى، فقال: إنني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج! لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر.

وقال عمار بن رضاء: سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث.

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٦٥)، بتصرف.

وكان داود الطائي يستف الفتيث، ويقول: بين سف الفتيث وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

ويخرج من نفس المشكاة قول الإمام الجليل ابن عقيل: «وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفر على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها.

بل إن أحدهم ليحزن ويصيبه المرض إذا فاته شيء من العلم، فقد ذكروا لشعبة حديثاً لم يسمعه، فجعل يقول: واحزنه! وكان يقول: إني لأذكر الحديث فيفوتني، فأمرض.

عن عبد الرحمن بن تيمية قال عن أبيه: كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب، وارفع صوتك حتى أسمع<sup>(١)</sup>.

هل تلزم نفسك بالقراءة اليومية في العلوم الشرعية وفي مجال تخصصك؟

### الجديفة في تحمل المسئولية

كان عمر بن الخطاب ؓ يأتي إلى مجزرة الزبير بن العوام - وكانت الوحيدة بالمدينة - ومعه الدرة، فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرة، وقال له: ألا طويت بطنك لجارك وابن عمك؟!

ورأى عمر سائلاً يسأل، وعلى ظهره جراب مملوء طعاماً، فأخذ الطعام ونثره لإبل الصدقة، ثم قال له: الآن سل ما بدا لك.

واهتم الخليفة عمر بصحة الرعية، فكان يحذرهم من مغبة السمنة ومخاطرها، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهم لما فيه من القوة على العمل، والقدرة على أداء الواجبات، فكان يقول: أيها الناس، إياكم والبطنة عن الطعام، فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مورثة للسقم، وإن الله عز وجل يبغض الخبر السمين، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم فإنه أدنى من الصلاح وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله، ولن يهلك عبد

(١) علو الهمة: محمد إسماعيل المقدم.

حتى يؤثر شهوته على دينه. ويذكر ابن الجوزي: أن عمر رأى رجلا عظيم البطن فقال: ما هذه؟ قال: بركة من الله، فقال: بل عذاب من الله<sup>(١)</sup>.

### تنفيذ الأوامر

استدعى أبو موسى الأشعري مجزأة بن ثور السدوسي -رضي الله عنهما- فقال له: أعني برجل من قومك له عقل وحزم، وقدرة على السباحة، فقال مجزأة: اجعلني ذلك الرجل أيها الأمير، فطلب منه أبو موسى الذهاب مع دليل فارسي لمعرفة منفذ لفتح تستر، ثم أوصاه أن يحفظ الطريق، وأن يعرف وضع الباب، وأن يحدد مكان الهرمزان، وأن يتثبت من شخصه، وألا يحدث أمرا غير ذلك.

مضى مجزأة بن ثور تحت جناح الظلام مع الدليل الفارسي، فأدخله في نفق تحت الأرض يصل بين النهر والمدينة، فكان النفق يتسع تارة حتى يتمكن من الخوض في مائه وهو ماش على قدميه، ويضيق تارة أخرى حتى يحمله على السباحة حملا، وكان يتشعب ويتعرج مرة، ويستقيم مرة أخرى، وهكذا حتى بلغ به المنفذ الذي ينفذ منه إلى المدينة، وأراه الهرمزان قاتل أخيه، والمكان الذي يتحصن فيه، فلما رأى الهرمزان هم بأن يرديه بسهم في نحره، لكنه ما لبث أن تذكر وصية أبي موسى له بالألا يحدث أمرا، فكبح جماح هذه الرغبة في نفسه، وعاد من حيث جاء قبل بزوغ الفجر.

أعد أبو موسى ثلاثمائة من أشجع جند المسلمين قلبا، وأشدهم جلدًا وصبرًا، وأقدرهم على العوم، وأمر عليهم مجزأة بن ثور وودعهم وأوصاهم وجعل التكبير علامة على دعوة جند المسلمين لاقتحام المدينة، أمر مجزأة رجاله أن يتخففوا من ملابسهم ما استطاعوا حتى لا تحمل من الماء ما يثقلهم، وحذرهم من أن يأخذوا معهم غير سيوفهم، وأوصاهم أن يشدوها على أجسادهم تحت الثياب، ومضى بهم في الثلث الأول من الليل.. ظل مجزأة بن ثور وجنده البواسل نحوًا من ساعتين يصارعون عقبات هذا النفق الخطير، فيصرعونها تارة وتصرعهم تارة أخرى، ولما بلغوا المنفذ المؤدي إلى المدينة وجد مجزأة أن النفق قد ابتلع مائتين وعشرين رجلا من رجاله وأبقى له ثمانين، وما إن وطئت أقدام مجزأة وصحبه أرض المدينة حتى جردوا سيوفهم، وانقضوا على حماة الحصن،

(١) عمر بن الخطاب، للصلابي ١٦٣، ١٦٤.

فأغمدوها في صدورهم، ثم وثبوا إلى الأبواب وفتحوها وهم يكبرون، واستشهد مجزأة وأسر الهرمزان<sup>(١)</sup>.

### طاعة بعد الموت

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال لها: يا أمة الله لو قعدت في بيتك لا تؤذين الناس، فقعدت فمر بها رجل - بعد ذلك بزمن - فقال: إن الذي نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: والله ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا.

### العزيمة

لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى، وآلت الخلافة إلى أبي بكر رضي الله عنه وارتدت بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب مع المرتدين، جهز خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا لحرب مسيلمة، وإعادة قومه بني حنيفة إلى دين الله، فقال وحشي بن حرب في نفسه: هذه والله، فرصتك يا وحشي فاغتنمها، ولا تدعها تفلت من يديك.

يقول: ثم خرجت مع جيوش المسلمين، وأخذت معي حربتي التي قتلت بها حمزة بن عبد المطلب، وآليت على نفسي أن أقتل بها مسيلمة أو أظفر بالشهادة، فلما اقتحم المسلمون على مسيلمة وجيشه حديقة الموت، والتحموا بأعداء الله، جعلت أترصد مسيلمة فرأيته قائما والسيف في يده، ورأيت رجلا من الأنصار يتريص به مثلما أتريص به كلانا يريد قتله، فلما وقف منه موقفا أرضاه، هزرت حربتي حتى إذا استقامت في يدي دفعت بها نحوه فوقعت فيه<sup>(٢)</sup>.

### فورية التنفيذ

أعد أبو موسى الأشعري رضي الله عنه جيشا لفتح منادر من أرض الأهواز بناء على أمر الخليفة، وجعل في الجيش الربيع بن زياد وأخاه المهاجر.

ولما رأى المهاجر أخو الربيع بن زياد أن القتل قد كثر في صفوف المسلمين عزم على أن يشري (يبيع) نفسه ابتغاء مرضاة الله، فتحنط وتكفن وأوصى أخاه، فمضى

(١) صور من حياة الصحابة ١٦٣: ١٦٥.

(٢) صور من حياة الصحابة ٣٤٦.

الربيع إلى أبي موسى وقال: إن المهاجر قد أزمع أن يشري نفسه وهو صائم، والمسلمون قد اجتمع عليهم من وطأة الحرب، وشدة الصوم ما أوهن عزائمهم، وهم يأبون الإفطار، فافعل ما ترى، فوقف أبو موسى الأشعري، ونادى في الجيش: يا معشر المسلمين، عزمت على كل صائم أن يفطر، أو يكف عن القتال، وشرب من إبريق كان معه ليشرب الناس بشربه، فلما سمع المهاجر مقالته جرع جرعة من الماء وقال: والله ما شربتها من عطش ولكنني أبررت عزمة أميري (أمضيت قسم أميري) ثم امتشق حسامه وطفق يشق به الصفوف، فلما أوغل في جيش الأعداء أطبقوا عليه من كل جانب، وتعاورته (تداولته) سيوفهم حتى خر صريعا، ثم إنهم اجتزوا رأسه ونصبوه على شرفة مطلة على ساحة القتال، فنظر إليه الربيع وقال: طوبى لك، وحسن مآب! والله لأنتقمن لك ولقتلى المسلمين إن شاء الله، فلما رأى أبو موسى ما نزل بالربيع من الجزع على أخيه، وأدرك ما ثار من الحفيظة في صدره على أعداء الله، تخلى له عن قيادة الجيش، ومضى إلى السوس يفتحها<sup>(١)</sup>.

#### إذن ننشئ له مدرسة

في مغاغة مدرسة خاصة تملكها جمعية قبطية، وكان ناظر المدرسة من الإخوان، وقد خدم في هذه المدرسة ثمانية عشر عاما، ولكن الإدارة بيتت أمرا خبيثا، فقد فاجأته بالاستغناء عنه قبل انتهاء الإجازة الصيفية بقليل، وقد استوفت كل المدارس حاجتها من المدرسين والنظار، فوصل الخبر للإمام الشهيد، فقال لإخوان مغاغة وهو يتسم بثقة وطمأنينة: لا بأس إذن ننشئ له مدرسة يكون هو ناظرها وصاحبها. فتعجب الناس؛ إذ لم يبق على بدء الدراسة إلا أقل من شهر ولا يوجد رأس مال، فوضع الإمام الشهيد خطة، وأصدر الأوامر، ووزع الأعمال، وتحقق الأمل، وأنشئت المدرسة بفضل الله ووعونه<sup>(٢)</sup>.

#### تسخير الإمكانات

شهد اليرموك ألف من صحابة رسول الله ﷺ من بينهم نحو من مائة شهدوا بدرا، وكان معاذ بن جبل يصحبه ابنه عبد الرحمن، وقبل أن يحدث القتال كان معاذ بن جبل يطوف بين صفوف المسلمين يحرضهم على القتال، ويذكرهم بأيام الله، ويمنيهم بالجنة

(١) صور من حياة الصحابة ٤٣٥.

(٢) الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ (١/٢٢٦: ٢٦٢).

ونعيمها، وكان أحد قادة الروم يرقب معاذاً. فلما بدأ القوم ينادي بعضهم بعضاً للنزال، خرج هذا الرومي، ينادي بالمسلمين: ليخرج إليّ فارسكم ذاك وهو يومئ بسيفه إلى معاذ، ويتقدم معاذ بن جبل من قائده أبي عبيدة ليستأذنه بالخروج لمنازلة ذلك الرومي، فيقول له أبو عبيدة: يا معاذ، سألتك بحق رسول الله أن تلزم رايتك، فوالله إن لزومك الراية أحب إلي من قتلك لهذا العلج. وينزل معاذ عند رأي قائده، وينادي في الناس: يا معشر المسلمين، من أراد فرساً يقاتل عليه في سبيل الله فهذا فرسي، وهذا سلاحي فليأخذهما، وما كاد معاذ ينهي كلامه حتى كان عبد الرحمن يقف أمامه ويقول: يا أبتاه، إني خارج إلى هذا العلج، فإن صبرت فإن المنة لله، وإن قتلتني، فالسلام عليك يا أبتاه، وإن كان لك إلى رسول الله حاجة فأوصني بها. هنالك أطرق معاذ، وبدأت تحتدم في نفسه معركة بين عاطفة الأبوة التي تغريه بمنع ولده من المخاطر، وعاطفة الإيمان التي تغريه بأن يخلي بين ولده وبين ما يريد من ابتغاء مرضاة الله.

ثم لم يلبث أن يحسم الأمر، فيربت على كتف ولده وهو يقول: يا بني، دونك وما عزمت عليه، فإن رزقك الله الشهادة، ولحقت برسول الله فأقرئه مني السلام، وقل له: جزاك الله عن أمتك خيراً يا رسول الله.

وينطلق عبد الرحمن بن معاذ بن جبل -رضي الله عنهما- نحو علج الروم، فيناوشه ويصاوله، ثم يضربه ضربة سيف كادت تجندله، لولا أن الرومي قفز بعيداً فاختل توازن عبد الرحمن، فعالجه الرومي بضربة من سيفه قطعت عمامته، وشجت رأسه، وظن الرومي أنه قتل عبد الرحمن، فتراجع عنه فانكفأ عبد الرحمن إلى المسلمين، فاستقبله أبوه معاذ بن جبل يقول له: ما بك يا بني؟ فيقول عبد الرحمن: قتلتني العلج يا أبتاه، فيقول معاذ: وما الذي تريد من الدنيا يا بني، وليس بينك وبين الجنة إلا خطوات؟ عد إلى العلج فقاتله. ويتحامل عبد الرحمن على جرحه العميق وينطلق من جديد ليقاتل الرومي، لكن مشيئة الله تسبق به إلى الجنة قبل أن يصل إلى الرومي<sup>(١)</sup>.

هل تعمل على تسخير إمكاناتك

لنصرة دين الله حتى ولو كانت التضحية بابنك؟

(١) مواقف بطولية من صنع الإسلام ٣١: ٣٣، بتصرف.



### الالتزام بالعبادة

ذهب الإمام الشهيد البنا إلى مؤتمر بالمتزلة - دهلية، وبعد الفراغ من المؤتمر، والذهاب إلى النوم، توجه الإمام وفي صحبته الأستاذ عمر التلمساني إلى حجرة بها سريران، ورقد كل على سريره، وبعد دقائق قال الأستاذ: أئمت يا عمر؟ قال: لا، وتكرر السؤال وتكرر الرد، وقال الأخ عمر في نفسه إذا سأل فلن أرد، وظن الأستاذ أن الأخ قد نام، فتسلل على أطراف أصابعه، وخرج من الحجرة، وأخذ نعليه في يديه، وذهب إلى دورة المياه حافيا، حيث جدد وضوءه، ثم اتجه إلى آخر الصالة، وفرش سجادة، وأخذ يتهدج<sup>(١)</sup>.

هل تحافظ على قيام الليل مهما كانت الأعذار؟

### قطع شجرة الرضوان

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن قوما يأتون شجرة الرضوان فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها فقطعت.

فهذا موقف لأمر المؤمنين عمر في حماية التوحيد والقضاء على موارد الفتن، حيث قام أولئك التابعون بعمل لم يعمله الصحابة، فهو أمر مبتدع، وقد يؤدي بعد ذلك إلى عبادة، فأمر بها فقطعت.

### إلغاء الرحلة

أعلن الإمام الشهيد عن رحلة إلى الإسماعيلية فجاء الإخوان المشتركون في الموعد المحدد، وجاء الأتوبيس، وكان عدد الإخوان أكثر من عدد المقاعد، فلما أذن الأستاذ بصعود الأتوبيس، إذ بمجموعة من الشباب تسارع و تزاحم ليحجز كل واحد مقعدا يجلس عليه، فلما رأى الأستاذ هذا المشهد ألغى الرحلة، وكان درسا عمليا في مراعاة النظام، والتدريب على الإيثار واحترام الكبار<sup>(٢)</sup>.

### محاسبة النفس

عاش محمد بن واسع حياته كلها في وجل من ذنوبه وإشفاق من العرض على ربه، فكان إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

(١) مائة موقف من حياة المرشدين ١١.

(٢) المصدر نفسه ٥٦.

أجاب قائلاً: أصبحت قريباً أجلي، بعيداً أملّي، شيئاً عملي، فإذا رأى شيئاً من الدهشة يبدو على ملامح سائليه قال: ما ظنكم برجل يقطع إلى الآخرة كل يوم مرحلة.

هل تحاسب نفسك وتستعد للآخرة؟

### الانضباط المالي

يروى أحد الشعراء «دكين بن سعيد الدارمي» قال: امتدحت عمر بن عبد العزيز يوم كان والياً على المدينة، فأمر لي بخمسة عشرة ناقة من كرائم الإبل، كرهت أن أمضي بهن وحدي، ولم تطب نفسي ببيعهن، وفيما أنا كذلك، قدمت علينا رفقة تبتغي السفر نحو ديارنا في نجد، فسألتهن الصحبة، فقالوا: مرحبا بك، ونحن نخرج الليلة، فأعد نفسك للخروج معنا، فمضيت إلى عمر بن عبد العزيز مودعا، فلما هممت بالانصراف قال: يا دكين إن لي نفساً تواقفة، فإن عرفت أنني بلغت أكثر مما أنا فيه الآن، فأتني ولك مني البر والإحسان، فقلت: أشهد لي بذلك أيها الأمير، فقال: أشهد الله تعالى على ذلك، فقلت: ومن خلقه، فقال: هذين الشيخين اللذين في مجلسي، فأقبلت على أحدهما وقلت: بأبي أنت وأمي، قل لي ما اسمك حتى أعرفك؟ فقال: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فالتفت إلى الأمير وقلت: لقد ظفرت بشاهد مسموع الكلمة، ثم نظرت إلى الشيخ الآخر، وقلت: ومن أنت جعلت فداك؟ فقال: أبو يحيى مولى الأمير، فقلت: وهذا شاهد من أهله، ثم حبيت وانصرفت بالنوق إلى ديار قومي، ثم دارت الأيام وتولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، ودخلت عليه فنظر إلى مولاه أبي يحيى نظرة طويلة، ثم التفت إليه وقال: يا أمير المؤمنين إن عندي لهذا البدوي شهادة عليك، فقال عمر: أعرفها، ثم التفت إلي وقال: ادن مني يا دكين، فلما صرت بين يديه مال علي وقال: أتذكر ما قلته لك في المدينة من أن نفسي ما نالت شيئاً قط إلا تاققت إلى ما هو أعلى منه، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: وهأنذا قد نلت ما في الدنيا وهو الملك، فنفسى تتوق إلى غاية ما في الآخرة وهو الجنة، وتسعى إلى الفوز برضوان الله تعالى، ولئن كان الملوك يجعلون الملك سبيلاً لبلوغ عز الدنيا، فلأجعلنه سبيلاً إلى بلوغ عز الآخرة، ثم قال: يا دكين، إني - والله - ما أخذت شيئاً من مال المسلمين منذ وليت هذا الأمر، وإني لا أملك إلا ألف درهم فخذ نصفها واترك نصفها لي. فأخذت المال الذي أعطانيه، فوالله ما رأيت أعظم منه بركة<sup>(١)</sup>.

(١) صور من حياة التابعين ٣٢٦: ٣٣٠، بتصرف.

## القوة

نصح الله قوم هود فأرشدهم إلى أسباب القوة الصحيحة، وكانوا عمالقة جبارين، فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وأراد نبي الله أن يزين الطاعات للناس، وأن يغيرهم بأدائها، وأن يشرح لهم عظمة الإنسان عندما يفعل الخير ويراعم الشيطان ويسمو إلى الملأ الأعلى.

### القوة في الحق

من عناصر القوة أن يكون المسلم صريحا، يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادئ معروفة، ولا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة أنصاره، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يمثلها ويعيش لها، ولا يجيد عن هذه الصراحة أبدا في تقرير حقيقة ما.

وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، وأن يناديهم بالفاظ التكريم، ومن فضائل القوة أن تكون قوى العزم للوصول إلى هدفك بالوسائل الصحيحة.

والتردد في الأمور من صفات الضعيف، وليس من خلق المسلم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولو شاء الله لهزمهم بالكلام وبجفنة من التراب كما فعل الرسول ﷺ، لكنه أراد أن يبثلي بعض الناس ببعض طبيعة الإيمان إذا تغلغل، إنه يضيف على صاحبه قوة تنطبع في سلوكه كله، إذا تكلم كان واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا في عمله، وإذا اتجه كان واضحا في هدفه، وما دام مطمئنا إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تغمر قلبه، فقلما يعرف التردد سبيلا إلى نفسه، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه، بل لا عليه أن يقول لمن حوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ [الزمر: ٤٠].

### استحضارية الجهاد

أقبل ثابت بن قيس على الجهاد، لطلب الشهادة ودخول الجنة، ومضى به الأجل إلى حروب الردة ضد مسيلمة الكذاب ومدعى النبوة، وفيها تحنط ثابت وتكفن ووقف على رءوس الأشهاد وقال: يا معشر المسلمين، ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله، بثس ما عودتم أعداءكم من الجرأة عليكم، وبثس ما عودتم أنفسكم من الانخدال لهم، ثم رفع طرفه إلى السماء، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء من الشرك - يعني مسيلمة وقومه - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم هبَّ هبة الأسد الضاري كتفا لكتف مع البراء بن مالك وزيد بن الخطاب، وما زال يجالده حتى خر صريعاً.

### قوة بدنية فائقة

وهذا أبو أيوب الأنصاري يبلغ ثمانين سنة، ولم يمنعه ذلك من الخروج مع جيش المسلمين لفتح القسطنطينية تحت قيادة يزيد بن معاوية، لكن لم يمض غير وقت قليل على منازلة العدو حتى مرض أبو أيوب مرضاً أقعده عن مواصلة القتال، فجاء يزيد ليعوده ويسأله: ألك حاجة يا أبا أيوب؟

فقال: اقرأ عني السلام على جنود المسلمين، وقل لهم: يوصيكم أبو أيوب أن توغلوا في أرض العدو إلى أبعد غاية، وأن تحملوه معكم، وأن تدفنوه تحت أقدامكم عند أسوار القسطنطينية. ولفظ أنفاسه المطهرة.

استجاب جند المسلمين لرغبة أبي أيوب، وكروا على جند العدو الكرّة بعد الكرّة، حتى بلغوا أسوار القسطنطينية وهم يحملون أبا أيوب معهم، وهناك حفروا له قبراً وواروه فيه، رضي الله عنهم جميعاً<sup>(١)</sup>.

### قوة في الرمي

أقبل وهب بن قابوس ومعه ابن أخته الحارث بن عقبة بغنم لهم من مزينة فوجدوا المدينة خالية، فسألوا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله يقاتل المشركين فقالوا: لا

(١) الناطقون بالحق ٢٤٣.

نسأل أثرا بعد عين، فأسلما ثم خرجا، فأتيا النبي بأحد، فإذا الدولة للمسلمين، فأغاروا مع المسلمين في النهب، وقاتلا أشد القتال، وكانت قد انفردت فرقة من المشركين، فقال النبي: من لهذه الفرقة؟ قال وهب: أنا، فرماهم بالنبل حتى انصرفوا، ثم رجع فانفردت أخرى، فقال النبي: من لهذه؟ فقال المزني: أنا، فقام فذبها بالسيف حتى ولوا ورجع المزني، ثم طلعت كتبية أخرى فقال: من يقوم هؤلاء؟ فقال المزني: أنا، فقال: قم وأبشر بالجنة.

فقام المزني مسرورا يقول: والله لا أقبل ولا أستقبل، فجعل يقوم فيها فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم، حتى قتلوه ومثلوا به، ثم قام ابن أخته الحارث، فقاتل كنهو قتاله حتى قتل، فوقف عليهما رسول الله، وهما مقتولان فقال: «رضي الله عنك فإني عنك راض» - يعني: وهبا- ثم قام على قدميه وقد ناله ما ناله من الجرح، وإن القيام ليشق عليه، فلم يزل قائما حتى وضع المزني في لحده، فكان عمر وسعد بن مالك يقولان: ما حال نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله على حال المزني<sup>(١)</sup>.

### قوة لرد الحق لأهله

نهب أحد الأمراء المماليك وجنوده دارا لأحد المصريين، فذهب الناس يشكون أمرهم إلى الشيخ الدرديري فنأدى فيهم: أنا معكم وغدا نجتمع الشعب من كل مكان في الحارات والضواحي وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم، ونهب بيوتهم كما نهبوا بيوتنا، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم.

وبالفعل أمر بدق الطبول إيذانا بالاستعداد للقتال، وأسرع الناس نحو الأزهر ملبيين للجهاد، ولما علم الأمير إبراهيم بك أرسل نائبه يعتذر للشيخ الدرديري ويطلب منه قائمة بما نهبه الأمراء لردّها فوافق الشيخ<sup>(٢)</sup>.

### الكلوب الخطير

دعى الإمام الشهيد إلى حفل في مدينة الزقازيق، وكانت الإضاءة بواسطة الكلوبات، فهوى أحدها إلى الأرض محشرجا مدخنا، يكاد ينفجر، ولو انفجر لدمر السرادق، ولكان الحريق مروعا، وهروا الناس مبتعدين عن هذا الكلوب الخطر، وفي كل بساطة، وثقة،

(١) المصدر نفسه ٢٥٠.

(٢) مائة موقف من حياة العظماء ١٣١.

وشجاعة، وهدوء، ترك الإمام المنصة، وأخرج مدية الجواله من جيبه، وتقدم إلى الكلوب في غير هرولة، وفصله عن السقف وحمله خارج السرادق، وعاد الهدوء والأمن واستكمل الحفل على خير وجه.

### الجلوس المتعب

أثناء محاكمة المرشد الهضيبي، وقف ليواجه الاتهامات، فأشار إليه رئيس المحكمة قائد الجناح جمال سالم أن يجلس فأبى الرجل إلا أن يظل واقفا قرابة ٦ ساعات قاصداً بذلك رفع الروح المعنوية للإخوان، كرر رئيس المحكمة عرضه، فأصر المرشد على أنه يستريح واقفا رغم تخطيه سن الستين.

فلم يجد رئيس المحكمة بدا من إعلان فترة استراحة ربما ليستريح هو وهيئة المحكمة، ولما استؤنفت الجلسة وجه جمال سالم إلى المرشد كلامه قائلاً: لعلك استرحت!

فكان الرد البديهي أن يقول المرشد: الحمد لله كتر خيرك، لكن الرجل القائد فاجاً الجميع بما لم يكن في الحسبان، قال وكاهله ينوء بـ ٦٠ عاماً ختمت بأيام عصيبة تربو على مصاعب الستين: هيه.. الظاهر لما الواحد يقعد يحل عليه التعب<sup>(١)</sup>.

### نماذج للأقوياء

قتل علي بن أبي طالب وهو شاب في يوم بدر شيبة بن ربيعة، واشترك في قتل الوليد بن عتبة، وقتل بعدهما في بدر: العاص بن سعيد، وعامر بن عبد الله، وطعيمة ابن عدي، وزمعة بن الأسود، ونوفل بن خويلد، وعقيل بن الأسود، والنضر بن الحارث، وعمير بن عثمان، ومسعود بن أمية، وأبا القيس بن الفاكه، وحاجب بن السائب، وعبد الله بن المنذر، والعاص بن منبه، وأوس بن معير، خمسة عشر رجلاً قتلهم علي في يوم بدر.

وفي يوم أحد يقتل علي: أبا أمية بن أبي حذيفة وعبد الله بن حميد بن زهير.

وفي يوم الأحزاب يقتل عمرو بن عبد ود، فارس قريش في يوم الأحزاب «كباش الكتيبة»<sup>(٢)</sup>.

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة ٦٢.

(٢) من يظلمهم الله (١/٢٦٨).

## أسامة بن زيد

في سن مبكرة، لم تجاوز العشرين، أمر الرسول ﷺ أسامة بن زيد على جيش، بين أفراده وجنوده أبو بكر وعمر، وسرت مهمة بين نفر من المسلمين لتعاضمهم الأمر، واستكثروا على الفتى الشاب إمارة جيش فيه شيوخ الأنصار وكبار المهاجرين، فقال رسول الله: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وإيم الله لقد كان خليقا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده» البخاري.

بعث رسول الله أسامة على جيش المسلمين إلى حيث قتل أبوه والصحابة، وأمره أن يغير على «أبني» بالسراة ناحية اللقاء، وقيل إلى «أبل الزيت» بالجهة نفسها وعقد له لواء في آخر يوم من صفر سنة ١١هـ ولكن مرض الرسول مرضه الذي قبضه الله إليه فيه، فتأخر خروج الجيش حتى هلال ربيع الآخر سنة ١١هـ، وسار أسامة بجيشه «ثلاثة آلاف» يسرع السير على طريق ذي المروة ووادي القرى في اتجاه «أبني» و«أبل الزيت» من نواحي مؤتة، حتى إذا توسط مواطن قضاة توقف يسيرا، وبعث فرسانه لينهضوا الثابتين منهم على إسلامهم، ويعينهم على من ارتاب، وهرب المرتدون إلى مكان بعيد.. إلى دومة الجندل من أهداف جيش أسامة، ولا على طريقه، فما إن عادت إلى خيوله، حتى مضى بجيشه إلى «الحمقتين» فأغار عليها، وكان بها بنو الضبيب من جذام، وبنو خليل من لحم فهزم من هناك حتى «أبل» في إغارة شديدة سريعة، وسبى وحرقت بالنار منازلهم وحرثهم ونخلهم، حتى صارت أعاصير من الدخان، وأجال الخيل في نواحيهم، وقضى يومه في تعبئة ما أصابوا من غنائم، ثم لم يبق وإنما كر راجعا من مساء يومه، حتى قدم وادي القرى في تسع ليال، ثم قدم المدينة سالما غائما، وقد غاب عنها خمسة وثلاثين يوما، وقيل: غاب شهرين وأياما، عاد الجيش بلا ضحايا وقال عنه المسلمون يومئذ: «ما رأينا جيشا أسلم من جيش أسامة»<sup>(١)</sup>.

## مواقف بطولية

قال محمد بن سيرين: إن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه فيه رجال من المشركين، فجلس البراء عليه السلام على ترس فقال: ارفعوني برماحكم فآلقوني إليهم، فرفعوه

(١) من يظلمهم الله (٢٧٣، ٢٧٤).

برماحهم فألقوه من وراء الجدار، فأدركوه قد قتل عشرة منهم.

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: رأيت عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين، أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر! أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر! هلم إلي! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تنذبذب وهو يقاتل أشد القتال.

وفي غزوة الطائف أرسل الرسول ﷺ حنظلة بن الربيع رضي الله عنه إلى أهل الطائف يعرض عليهم الإسلام، فلما ذهب حنظلة إليهم ظل يدعوهم من خارج حصنهم فلم يستجيبوا له، واعتدوا عليه، واختطفوه، وحاولوا أن يدخلوه الحصن، فلما علم الرسول بالأمر طلب من الصحابة أن يذهب أحدهم ليخلص حنظلة من أيدي الأعداء، قال: من هؤلاء، وله مثل غزاتنا هذه؟ فلم يبق إلا العباس بن عبد المطلب فذهب إليهم، ولحق بحنظلة وهو في أيديهم، وقد كادوا يدخلون به الحصن، فاحتضنه واختطفه من أيديهم، ولم يخش ما يقذف به من الحجارة، ورجع العباس ومعه حنظلة فوجد النبي ﷺ ما يزال يدعو لهما بالنجاة.

### في وقعة الجسر

أرسل رستم جيشا كثيفا وأمر عليه ذا الحجاب بهمن جاذويه، وأعطاه راية كسرى للملاقاة المسلمين في موقعة الجسر، ووصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه الجسر، فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم، فقال المسلمون لأمرهم أبي عبيد: مرهم فليعبروا هم إلينا، فقال: ما هم بأجراً على الموت منا، ثم اقتحم إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو عشرة آلاف، وقد جاء الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل لتذعر خيول المسلمين، فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة، ولا يثبت منها إلا القليل على قسر، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة، ورشقهم الفرس بالنبل فنالوا منهم خلقا كثيرا، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف، وقد جفلت خيول المسلمين من أصوات الأجراس المعلقة بالفيلة، وصار المسلمون لا يستطيعون الوصول إليهم والفيلة تجوس فلاهم، فترجل أبو عبيد وترجل الناس معه، وتصافحوا معهم بالسيف، وفقد المسلمون خيلهم فأصبحوا رجالا يقاومون سلاح الفيلة والفرسان والمشاة من الفرس إلى جانب الرماة



الذين أضروا بالمسلمين وهم يدفعون بجيولهم نحوهم فلا تندفع، فكان موقفا صعبا أظهر المسلمون فيه من البسالة والتضحية ما يندر أن يوجد له مثيل في التاريخ، وصمدوا للفرس رغم تفوقهم عليهم في كل وسائل القتال، وكانت الفيلة أشد سلاح واجهه المسلمون، وبدأ هو بالفيل الأبيض فتعلق بحزامه وقطعه ووقع الذين عليه، وفعل المسلمون مثل ذلك فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله وقتلوا أصحابه، ولكن الفيلة استمرت في الهجوم لأنها كانت مدربة، وهجم أبو عبيد على الفيل الأبيض، ولكن الفيل أطاح به وقتله.

من الشجاعة ابتكار أساليب لمواجهة بطش الباطل.

### فتح مصر

أرسل عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده فأمده أمير المؤمنين بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل يقوم مقام الألف، وهم الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال عمر في كتابه له: اعلم أن معك اثني عشر ألفا، ولن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة.

وقد خرج الروم مع الأقباط لمواجهة المسلمين، وجرت بينهم معركة حامية استعمل فيها عمرو بن العاص دهاءه الحربي كما صنع خالد بن الوليد في العراق، وذلك أنه جعل جيشه ثلاثة أقسام، حيث أقام كمينا للأعداء في الجبل وأقام كمينا آخر على النيل قريبا من أم دنين، وقابل أعداءه ببقية الجيش، ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذي في الجبل الأحمر وانقض على الروم فاختل نظامهم وانهزموا، وقابلهم الكمين الآخر فنفرك جيشهم، وهكذا كسب المسلمون المعركة.

هناك رجال في الإسلام يعد الرجل منهم بألف رجل.. هل أنت منهم؟

### عبد الله بن الزبير

في السادسة والعشرين من عمره، يقتل ابن الزبير ملك إفريقية «جرجير»، فقد شهد ابن الزبير فتح إفريقية أيام عثمان بن عفان تحت لواء عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان الفتح على يديه.

سير عثمان بن عفان ابن الزبير في جماعة إلى إفريقية، سنة ست وعشرين هجريا، يأتيه بأخبار الفتح، فسار مجدا حتى وصل إلى المسلمين هناك وأقام معهم، ولما وصل كثر الصياح والتكبير في المسلمين، فسأل جرجير ملك إفريقية عن الخبر، فقبل: قد أتاهم عسكر، ففت ذلك في عضده، ورأى عبد الله قتال المسلمين كل يوم من بكرة إلى الظهر، فلما أذن سمع منادي جرجير، يقول: من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار، وأزوجه ابنتي.

فخاف عبد الله على نفسه، فحضر ابن الزبير عند عبد الله بن سعد وقال له: تأمر مناديا ينادي: من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته، واستعملته على بلاده، ففعل فصار «جرجير» يخاف أشد من عبد الله بن سعد، ثم إن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن سعد: إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في أمداد متصلة، وبلاد هي لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غدا جماعة سالحة من أبطال المسلمين في خيامهم متأهين، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر إلى أن نجد أن يتضحروا ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون، ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال، وهم مستريحون، ونقصدهم على غرة، فلعل الله ينصرنا عليهم، فأحضر ابن سعد جماعة من أعيان الصحابة واستشارهم فوافقوا على ذلك.

وفي صباح الغد نفذ ابن سعد خطة ابن الزبير هذه، فأقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم، وخبوهم عندهم مسرجة، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالا شديدا، وهم الروم بالانصراف على العادة، لم يتركهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم، ثم عاد عنهم هو والمسلمون، فكل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً. عند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين، وقصد الروم، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم، وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيمهم المسلمون، ونظر عبد الله فرأى «جرجير» وقد خرج من عسكره فأخذ جماعة من المسلمين وقصدته فقتله<sup>(١)</sup>.

(١) من يظلمهم الله (١/٢٨٢-٢٨٤).

## أضرار عدم ممارسة الرياضة

يقول مؤلف كتاب «المؤمن القوي»: من أضرار عدم ممارسة الرياضة:

- ١- تؤدي قلة الحركة إلى زيادة الوزن الذي يصبح عبئا ثقيلا على أجهزة الجسم المختلف والمفاصل والأربطة.
- ٢- ضمور العضلات ونقص حجمها مما يجعلها غير قادرة على العمل بكفاءة.
- ٣- ظهور آلام الظهر والخشونة في المفاصل والعمود الفقري.
- ٤- يصبح القلب أصغر حجما وأقل كفاءة، فضلا عن احتمال ظهور أمراض القلب مثل ارتفاع أو انخفاض ضغط الدم.
- ٥- حدوث أمراض كثيرة مثل القرحة وعسر الهضم والقلق المزمن والتوتر.
- ٦- ينقص مخزون الطاقة الكيميائية لذلك يصبح الجسم أقل مقدرة على مواجهة المتطلبات البدنية.
- ٧- يقل عدد ساعات إنتاج الفرد إثر أي مجهود يقوم به.
- ٨- يزداد عدد ضربات القلب وكذلك سرعة التنفس عند بذل أي مجهود بدني.
- ٩- يصاب الفرد بالإجهاد والتعب لأي مجهود يبذله.
- ١٠- يصبح الفرد أكثر اكتئابا وانطواء لعدم ممارسته الرياضة.
- ١١- تقل قدرة الجسم على امتصاص الأكسجين عنه في الفرد الرياضي مما يعني انخفاض مستوى الكفاءة البدنية.
- ١٢- تنخفض المرونة والقوة العضلية وبالتالي يقل تحمل الفرد ومقاومته عن الفرد الرياضي.
- ١٣- زيادة نسبة الدهون في الجسم مما يجعلها عبئا على الجسم والأجهزة الحيوية.
- ١٤- زيادة نسبة الكوليسترول في الدم، مما يصيب الفرد بتصلب الشرايين ويجعل الجسم معرضاً للمخاطر.
- ١٥- تدلي البطن (الكرش) الذي يؤدي إلى مشكلات عديدة معقدة (مشكلة الهضم - آلام أسفل الظهر - تقوس المنطقة السفلية من الظهر - الضغط على

الحجاب الحاجز).

١٦- مشاكل في الجهاز التنفسي مثل احتقان الرئة - انسداد الشعب الهوائية - صعوبة في التنفس.

١٧- اختلال وظيفة كل من المثانة والأمعاء والكبد وأجهزة الجسم الحيوية.

١٨- زيادة نسبة السكر في الدم مما يؤدي إلى إصابة الشخص بأمراض كثيرة.

١٩- عموماً يصاب الجسم بالضعف العام وعدم الشعور بالحياة والشباب.

نصائح لقوة الجسم:

١- عمل كشف دوري عام كل سنة، يشمل تحاليل، وأشعات للاطمئنان المبكر على الحالة الصحية للجسد.

٢- المسارعة بالعرض على الطبيب عند المرض، والالتزام بالعلاج.

٣- عدم الاعتماد على الصيدلي في وصف العلاج، وعدم الاعتماد على نصائح المجربين في تناول الأدوية وندعوك لرفض المثل القائل: أسأل مجرب، ولا تسأل طبيباً.

٤- عدم الإسراف في استخدام الدواء إلا بتوجيه الطبيب.

٥- استعمال السواك وفرشاة الأسنان ثلاث مرات يومياً على الأقل.

٦- الالتزام بأداب الإسلام في الطعام والنوم.

٧- التعود على صيام يومين في كل أسبوع، أو ثلاثة كل شهر، والإفطار على طعام خفيف غير ثقيل.

٨- القيام قبل صلاة الفجر، ففي ذلك فوائد صحية كثيرة، وخاصة للجهاز التنفسي، لوجود نسبة عالية من الأوزون في الجو.

٩- لا تهمل وجبة الإفطار، وقلل في وجبة العشاء.

١٠- عدم الإسراف في شرب الشاي والقهوة.

\*\*\*

## قادر على الكسب

إن كل إنسان في مجتمع الإسلام مطالب أن يعمل، وأن يكون قادراً على الكسب ومأمور أن يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله.

قال تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

يقول الدكتور القرضاوي: إن الإسلام يفتح أبواب العمل أمام المسلم على مصراعها، ليختار منها ما تؤهله له كفايته وخبرته وميوله، ولا يفرض عليه عملاً معيناً إلا إذا تعين ذلك لمصلحة المجتمع.

كما لا يسد في وجهه أبواب العمل إلا إذا كان من ورائه ضرر لشخصه أو للمجتمع - مادياً كان الضرر أو معنوياً - وكل الأعمال المحرمة في الإسلام من هذا النوع.

### الحث على العمل

قال الرسول ﷺ يحث على التجارة: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» [الترمذي].

وقال ﷺ في الحث على الزراعة: «ما من مسلم يزرع زرعاً، أو يفرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» [البخاري].

وحث على الصناعات والحرف فقال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده» [البخاري].

وقرن الله بين العمل والجهاد، فقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

سُئل إبراهيم النخعي أحد أئمة التابعين عن التاجر الصدوق: أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة؟

فقال: التاجر الصدوق أحب إليّ، لأنه في جهاد، يأتيه الشيطان من طريق المكيال

والميزان، ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده.

وكان الشيخ الشعرائي - وهو من دعاة التصوف - يفضل الصنّاع على العباد؛ لأن نفع العبادة مقصور على صاحبها، أما الحرف فنفعها لعامة الناس.. وكان يقول: ما أجمل أن يجعل الخياط إبرته سبحة، وأن يجعل النجار منشره سبحة!

يقول الراشد: شفعت مرة لداعية أن يقبله الأستاذ (فؤاد سزكين) طالباً بمعهد في فرانكفورت، ومعهد تاريخ العلوم الإسلامية، فاشتراط الأستاذ سزكين أن يشتغل الطالب ست عشرة ساعة يومياً، ثم أراني الأستاذ سزكين من بعد عدداً من الطلاب اليابانيين في معده، وقد انكبوا على المخطوطات العربية يدرسونها ويبحثونها إلى الحياة وقد رضوا بهذا الشرط، فتأمل<sup>(١)</sup>.

وهذا أديسون يعمل ١٨ ساعة يومياً فاخترع المصباح الكهربائي بعد (٩٠٠٠) تسعة آلاف تجربة.. ثم واصل هذا الكفاح عشر سنوات أخرى ينفق فيها ثلاثة ملايين دولار ليخترع بطارية السيارة بعد تجارب وصلت إلى (٥٠٠٠٠) خمسين ألف تجربة<sup>(٢)</sup>.

### فهم خاطئ

قيل لأحمد بن حنبل: ما تقول فيمن جلس في بيته أو في المسجد، وقال: لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟

قال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي: «جعل رزقي تحت ظل رمحي».

وقال عمر بن الخطاب: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.

إن التوكل على الله لا ينافي العمل والأخذ بالأسباب، وشعار المسلم ما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي ترك الناق سائبة - متوكلاً على الله - فقال له: «اعقلها وتوكل» [الترمذي].

وعن الزبير بن العوام أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس، أعطوه أم منعوه» [البخاري].

(١) صناعة الحياة: ١١١.

(٢) إيقاظ الغافلين: ٢٧٠.

وكان داود زرادًا (يصنع الزرد والدرع)، وكان آدم حرائًا، وكان نوح نجارًا، وكان إدريس خياطًا، وكان موسى راعيًا. (الحاكم).

والرجل غير القادر على الكسب لا تستطيع أن تستشيريه.

يقول الشافعي: لا تشاور من ليس في بيته دقيق فإنه موؤه العقل<sup>(١)</sup>.

وروي أن شقيق البلخي أحد الصالحين ذهب في رحلة تجارية يضرب في الأرض، ويتغني من فضل الله، وقبل سفره ودع صديقه الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم. حيث يتوقع أن يمكث في رحلته مدة طويلة، ولكن لم تمض إلا أيام قليلة حتى عاد شقيق، ورآه إبراهيم في المسجد، فقال له متعجبًا: ما الذي عجل بعودتك؟

قال شقيق: رأيت في سفري عجايبًا، فعدلت عن الرحلة.

قال إبراهيم: خيرًا وماذا رأيت؟

قال شقيق: أويت إلى مكان خرب لأستريح فيه فوجدت به طائرًا كسيحًا أعمى، وعجبت فقلت في نفسي: كيف يعيش هذا الطائر في هذا المكان النائي، وهو لا يبصر ولا يتحرك؟ ولم ألبث إلا قليلًا حتى أقبل طائر آخر يحمل له الطعام في اليوم مرات حتى يكتفي، فقلت: إن الذي رزق هذا الطير في هذا المكان قادر على أن يرزقني، وعدت من ساعتى.

فقال إبراهيم: عجبًا لك يا شقيق، ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى الكسيح الذي يعيش على معونة غيره، ولم ترض لها أن تكون الطائر الآخر الذي يسعى على نفسه، وعلى غيره من العميان والمقعدين؟ أما علمت أن اليد العليا خير من اليد السفلى؟!

فقام شقيق إلى إبراهيم وقبل يده وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق!<sup>(٢)</sup>

### انتبه

لا يجوز التكاسل عن العمل بحجة أخذ الصدقات لقول الرسول ﷺ: «لا تحمل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي» [الترمذي]. ومعنى المرة: القوي، والسوي: السليم الأعضاء.

(١) أخلاق الدعاء: ١٧٨.

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: ٣٩-٤٠.

وقال النبي ﷺ لمن سألاه أن يعطيها من الزكاة: «لا حظ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب» [أحمد].

ويقول القرضاوي: لم يجعل الرسول لمتبطل كسول حقاً في صدقات المسلمين، وذلك ليرفع القادرين إلى العمل والكسب الحلال.

### اجتهاد الإمام أحمد

قال ابن الجهم: كان لنا جار، فأخرج لنا في يوم من الأيام كتاباً، فقال: أتعرفون هذا الخط؟

قلنا: هذا خط أحمد بن حنبل، فكيف كتب ذلك؟

قال الجار: كنا بمحلة مقيمين عند سفيان بن عيينة، ففقدنا أحمد بن حنبل أياماً، ثم جئنا لنسأل عنه، فإذا الباب مردود عليه، فقلنا: ما خبرك؟

قال: سرقت ثيابي. فقلت: معي دنائير، فإن شئت أخذت، وإن شئت أقرضتك، فرفض، فقلت: هل تكتب لي بأجرة؟

قال: نعم، فأخرجت ديناراً، فقال لي: اشتر لي ثوباً، واقطعه نصفين (يعني إزاراً ورداء) وجئني بورق، فكتب لي هذا.

وقال ابن خزيمة: كنا مع أبي عبد الله في الكتاب، فكان النساء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم، وكان نظير أجر زهيد، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع طرفه أبداً، ولا ينظر إلى امرأة منهن أبداً.

وروي أنه اقترض من بعض الصالحين نقوداً، وذهب إليه يردها فقال له الرجل: يا أبا عبد الله! ما دفعتها إليك أنا أنوي أن آخذها منك، فاحتفظ بهذا المال لك.

فقال أحمد بن حنبل: أنا ما أخذتها إلا وأنا أنوي أن أردّها عليك، فخذ مالك وشكراً لله ثم لك.

ويقول عبد الرزاق: قدم علينا أحمد بن حنبل ما هنا ستين إلا قليلاً يطلب العلم، فقلت له: يا أبا عبد الله خذ هذا الشيء فانتفع به، فإن أرضنا ليست بأرض ولا بكسب.



فقال أحمد: أنا بخير، ولم يقبل منه.

قال الواسطي: قدم علينا أحمد بن حنبل ومعه جماعة، فنفدت نفقاتهم فبررتهم فأخذوا، وجاءني أحمد بن حنبل بفروة، فقال: قل لمن يبيع هذه، ويجيئي بثمانها فأتسع به؟ قال: فأخذت صرة دراهم فمضيت بها إليه، فردها، فقالت امرأتي: هذا رجل صالح، لعله لم يرضها، فضاغفها، فضاغفها، فلم يقبل، وأخذ الفروة مني وخرج.

### معنى العبادة الشامل

قال أيوب السختياني: الزم سوقك، فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم<sup>(١)</sup>.

ويقول أبو سليمان الداراني: ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يفت لك، ولكن ابدأ برغيفك فأحرزه ثم تعبد، ولا خير في قلب يتوقع قرع الباب يتوقع إنساناً يجيئه يعطيه شيئاً.

وروى أن سلمان الفارسي اشترى وسقاً من طعام، فلقيه زيد بن صوحان ومولاه سالم، فقال له زيد: يا أبا عبد الله، تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله؟

قال: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة ويئس منها الوسواس<sup>(٢)</sup>.

### مكتب محاماة بالقاهرة

يقول الأستاذ عمر التلمساني: عرض عليّ الإمام الشهيد أن أتخذ مكتباً في القاهرة، فلم أقبل مبرراً رفضي بأني قد أنجح في المكتب ويدر عليّ دخلاً وفيراً، فيقول البعض: إن الإخوان هم الذين أوجدوا لي كياناً في عالم المهنة، وهذا ما تاباه عليّ أخلاقي ونشأتي وتربيتي.

### استغل الإجازات

يقول حسن البنا: جاءت الإجازة الصيفية وكان لزاماً عليّ أن أفضيها بالمحمودية،

(١) أخلاق الدعاة: ١٧٩.

(٢) صفة الصفة: (١/٥٥٠).

فلا بد من إيجاد سبب للإقامة هناك طوال الإجازة، فعرضت على الوالد أن أذهب لأفتح دكاناً لنا هناك أعمل فيه بنفسى كساعاتى مستقل، لأتمرن تمريناً عملياً استقلالياً على الصنعة، وسافرت، وفتحت الدكان، واشتغلت فعلاً بإصلاح الساعات، وكنت أجد سعادتين في هذه الحياة، سعادة الاعتماد على النفس والكسب من عمل اليد، وسعادة الاجتماع بالأخ أحمد أفندي وقضاء الوقت معه، ومع الحصافية، وقضاء الليالي معهم نذكر الله، وتذاكر العلم في المسجد تارة، وفي المنازل تارة<sup>(١)</sup>.

هل تحرص على استغلال أوقات الفراغ في أعمال مفيدة؟

### هكذا كانوا

يروى بغية بن الوليد، يقول: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه، فأتيته، فجلس، ثم قال: كلوا باسم الله. فلما أكلنا، قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبتك.

قال: كنا صياماً، فلم يكن عندنا ما نفطر عليه، فأصبحنا، فقلت: هل لك يا أبا إسحاق أن تأتي الرستن (بلدة بالشام كانت بين حماة وحمص) فنكري (فتؤجر) أنفسنا مع الحصادين؟

قال: نعم، قال: فاكتراني رجل بدرهم، فقلت: وصاحبي؟ قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً. فما زلت بالرجل حتى اكتراه بثلثي درهم، فلما انتهينا، اشترت من أجرتي طعامي وحاجتي، وتصدقت بالباقي، ثم قربت الزاد، فبكى إبراهيم وقال: أما نحن فاستوفينا أجورنا، فليت شعري، أوفينا صاحبه حقه أم لا؟ فغضبت، فقال: أتضمن لي أنا وفيناه، فأخذت الطعام فتصدقت به.

حج هارون الرشيد ذات مرة، فسأله أحد أصحابه أن يدلّه على رجل يسأله، فدلّه على الفضيل، فذهبا إليه، فقابلهما الفضيل، وقال للرشيد: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا أناساً من الصالحين فقال لهم: إنني قد ابتليت بهذا البلاء (يعني الحكم) فأشيروا عليّ، فعد عمر الخلافة بلاء، وعددها أنت وأصحابك نعمة، فبكى الرشيد، فقال له صاحب الرشيد: ارفق بأمر المؤمنين.

(١) مذكرات الدعوة والداعية: ٥١ بتصرف.

فقال الفضيل: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا (يقصد أن عدم نصحه كقتله)

فقال له الرشيد: زدني يرحمك الله. فأخذ يعظه وينصحه، ثم قال له: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة» متفق عليه.

فبكى هارون وقال له: أعليك دين أقضيه عنك؟

فقال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أهتم بحجتي.

قال: إنما أعني من دين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمر لي أن أصدق وعده وأطيع أمره.

فقال الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادة ربك.

فقال الفضيل: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووقفك، ثم صمت فلم يكلمنا، فخرج الرشيد وصاحبه<sup>(١)</sup>.

### شيخ يعمل

مر رجل على أبي الدرداء وهو يزرع، فقال: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير؟ هذه لا تطعم إلا في كذا وكذا عامًا.

فقال أبو الدرداء: ما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري<sup>(٢)</sup>.

ويقول البنا: حرام على الأمة التي تقرأ في كتابها من الثناء على داود عليه السلام ﴿وَأَلَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ أن اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[سبا: ١٠، ١١]. وتقرأ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ لِيُخَصِّنْكُمْ مِّنْ بِأَسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ثم لا يكون فيها مصنع للسلاح؟ ثم تقرأ في كتابها ﴿وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا﴾

(١) أعلام المسلمين: ١٧٠، ١٦٩.

(٢) الوقت عمار أو دمار: (٢/٣٣).

شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمَنْ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغِ مِنْهُمْ  
عَنْ أَمْرِنَا نُدْفِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢٠﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ  
وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ﴿١٢١﴾ [سبأ: ١٢٠، ١٢١]، ثم لا يكون فيها مسبك عظيم، ولا  
مصنع كامل للأدوات المعدنية.

ثم تقرأ ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] ثم تهمل ما عندها  
من هذا المعدن هذا الإهمال، وهو من أجود الأنواع، ويكفي العالم مائتي عام كما قدر  
الخبراء.. حرام هذا كله!!<sup>(١)</sup>

### الزهد والتجارة

قال محمد بن الحسين لابنه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر،  
إنك إن كسلت لم تؤد حقاً وإن ضجرت لم تصبر على حق<sup>(٢)</sup>.

وأتى رجل عبد الله بن المبارك، وهو يظن أن الزهد والتجارة لا يجتمعان قائلاً لعبد  
الله: أنت تأمرنا بالزهد، ونراك تأتي بالبضائع من «خراسان» إلى البلد الحرام، كيف ذا؟  
فقال له عبد الله بن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي،  
وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به.

وكان عبد الله بن المبارك لا ييخل على أحد بماله، بل كان كريماً سخياً ينفق على  
الفقراء والمساكين في كل سنة مائة ألف درهم<sup>(٣)</sup>.

وعاش أحمد بن حنبل عيشة فقيرة، فلم يترك له والده غير منزل ضيق، مما دفعه إلى  
العمل وهو طفل صغير، فكان يلتقط بقايا الزروع من الحقول بعد استئذان أهلها، وينسج  
الثياب ويبيعهها، ويضطر في بعض الأوقات أن يؤجر نفسه ليحمل أمتعة الناس في  
الطريق، وكان ذلك عنده أفضل من أن يمد يده إلى غيره<sup>(٤)</sup>.

### كن أميناً في كسبك

قال بعض السلف الصالح: دخلت على مريض وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه

(٢) صفة الصفوة: (١/٣٩٥).

(١) الرسائل: ٣٤٨.

(٤) أعلام المسلمين: ٩٩.

(٣) أعلام المسلمين: ١٦٤.

الشهادة، ولسانه لا ينطق بها!

فلما أفاق قلت له: يا أخي، مالي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها؟!

قال: يا أخي، لسان الميزان على لساني يعني من النطق بها.

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصاً؟!

قال: لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني.

فهذا حال من لا يختبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصاً<sup>(١)</sup>.

وقال علي بن أبي طالب: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرّاً، فظننتها تريد بله (المدر: الطين اليابس، تريد بله: يعني الماء) فأتيها فقاطعتها (اتفقت معها على أجرة) كل ذنوب (دلو) على تمرة، فمددت ستة عشر ذنوباً، حتى مجلت يداي (أي تورمت من العمل) ثم أتيت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها (يعني بسطهما وضمهما) فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فأكل معي منها. في هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها علي بن أبي طالب في المدينة، ونأخذ منه صورة من السلوك المشروع في مواجهة الشدائد، حيث خرج علي للعمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظراً ما تجود به أيدي المحسنين. وصورة أخرى من قوة التحمل حيث قام بذلك العمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع مما يضعف قوته. وصورة أخرى من إثارة الأحبة والوفاء لهم، فهو مع ما به من شدة الجوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق فقد احتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي ﷺ فأكل معه<sup>(٢)</sup>.

### دعابة

كان الأستاذ البنا يحسن إصلاح الساعات، وتجليد الكتب، فكان يفتخر بأنه عامل، وكثيراً ما كان يداعب الإخوان ويهددهم، بأنه ستركهم، ويفتح محلاً، ويقول مبتسماً: صنعة في اليد أمان من الفقر<sup>(٣)</sup>.

(١) الكبائر: ٢١٩-٢٢٠.

(٣) مواقف إيمانية أحمد عيد: ٣٠.

(٢) علي بن أبي طالب للصلاحي: (١/٩٨-٩٩).

## التوازن

عن أم سلمة قالت: خرج أبو بكر الصديق تاجراً إلى بصرى (قرية بالشام) في عهد النبي ﷺ ما منع أبا بكر حبه للملازمة النبي ﷺ، ولا منع النبي ﷺ حبه لقرب أبي بكر عن ذلك (أي عن الخروج) لمحبتهم في التجارة<sup>(١)</sup>، وللحرص على التوازن كان عمر يتناوب النزول على النبي ﷺ هو وجار له من الأنصار كما ثبت في البخاري ويقول القرضاوي: ورأينا كثيراً من علماء الإسلام المشاهير أصحاب حرف، بل إنهم نسبوا إليها وعرفوا بها، ولم يعرفوا بأسمائهم ولا أسماء آبائهم، وذلك مثل البزار والزجاج والحزاز والخواص والخصاص والصبان والقطان.. إلخ<sup>(٢)</sup>.

## بين الدنيا والآخرة

قال الإمام ابن عساكر: حضرت مجلس يزيد بن هارون فأملى ثلاثين حديثاً فحفظتها، فجئت إلى منزلي أعلق، فعلقت منها ثلاثة، فجاءت الجارية وقالت: مولاي: فنى الدقيق، فنسيت سبعة وعشرين وبقيت ثلاثة<sup>(٣)</sup>.



(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: ٤١.

(١) الطراز الرباني: ١٠٢.

(٣) أخلاق الدعاة: ١٧١.

## سليم العقيدة

العقيدة الصحيحة هي أساس الإيمان العميق، وكثرة الشبهات تؤثر سلبيًا علي عقيدة المسلم، تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] والإيمان يصنع المعجزات.. وإليك صور من سلامة العقيدة:

### صبر علي عقيدته

لما وجد الفتي المؤمن عبد الله المزني أن صبره قد طال، وأن عمه بعيد عن الإسلام، وأن المشاهد مع رسول الله تفوته واحدًا بعد آخر، حزم أمره غير غافل عن عواقب ما أقدم عليه وأقبل على عمه، وقال: يا عم، لقد انتظرت إسلامك طويلًا حتى نفذ صبري، فإن كنت ترغب في أن تسلم ويكتب الله لك السعادة، فنعم ما تصنع، وإن كانت الأخرى فأذن لي بأن أعلن إسلامي بين الناس.

ما كادت كلمات الفتى تلامس أذني عمه حتى استشاط غضبًا وقال: أقسم باللات والعزى لئن أسلمت لأنزعن من يدك كل شيء كنت أعطيته لك، ولأسلمنك للفاقة، ولأتركنك فريسة للعوز والجوع، فلم يحرك هذا التهديد في الغلام المؤمن ساكنًا، ولم يفتت من عزمه شيئًا، فاستعان عمه عليه بقومه، فهبوا يرهبونه ويرغبونه، وطفقوا يهددونه ويتوعدنه، فكان يقول لهم: أفعلوا ما شئتم، فأنا والله متبعٌ محمدًا، وتارك عبادة الأحجار، ومنصرف إلى عبادة الواحد القهار، وليكن منكم ومن عمي ما يكون، فما كان من عمه إلا أن جرده من كل ما أعطاه، وقطع عنه رفده، ولم يترك له غير مجاد يستر به جسده.

مضى الفتى المزني مهاجرًا بدينه إلى الله ورسوله، مخلفًا وراءه مغاني الطفولة ومراتع الصبا، معرضًا عما في يد عمه من الثراء والنعمة، راغبًا فيما عند الله من الأجر والثوبة، وجعل يحث الخطي نحو المدينة تحدوه إليها أشواق باتت تفري فؤاده فريًا. فلما غدا قريبًا من «يثرب» شق بجاده شقين، فاتزر بأحدهما وارتنى الآخر.

ثم مضى إلى مسجد الرسول وبات فيه ليلته تلك، فلما انبلج الفجر وقف قريباً من باب حجرة النبي عليه الصلاة والسلام، وجعل يترقب - في لهف وشوق - طلعة الرسول الأعظم من حجرته. فما أن وقع بصره عليه حتى تهللت على خديه دموع الفرح، وشعر كان قلبه يريد أن يقفز من بين جنبيه لتحيته والسلام عليه. ولما قضيت الصلاة، قام النبي ﷺ على عادته يتصفح وجوه الناس فنظر إلى الفتى المزني، وقال: من أنت يا فتى؟ فانتسب له، فقال له: ما اسمك؟ فقال: عبد العزى، فقال له: بل عبد الله، ثم دنا منه وقال: انزل قريباً منا وكن في جملة أضيافنا، فصار الناس منذ ذلك اليوم ينادونه عبد الله. ولقبه الصحابة الكرام «بذي الجادين» بعد أن رأوا مجاديه، ووقفوا على قصته. (١)

### الإيمان الحق

أخرج ابن عساكر عن أنس ؓ قال: «إن رسول الله ﷺ دخل المسجد والحارث بن مالك راقد، فحركه برجله وقال: ارفع رأسك فرفع رأسه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: كيف أصبحت يا حارث بن مالك؟ قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً حقاً، قال: إن لكل حق حقيقة فما حقيقة ما تقول؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة وهم يتزاورون، وإلى أهل النار يتعاورون، فقال له النبي ﷺ: أنت امرؤ نور الله قلبك، عرفت فالزم» رواه البيهقي والحاكم.

هل نظرت إلي حقيقة إيمانك وحاسبت نفسك قبل أن تحاسب؟

### رجل من أهل خيبر

جاء أن عبداً حبشياً لرجل من أهل خيبر كان يرعى غنماً لهم، عمد بغنمه إلى رسول الله ﷺ فكلمه رسول الله ما شاء الله أن يكلمه، فقال الرجل: ماذا تقول وماذا تدعو إليه؟ قال: «أدعوك إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وألا تعبد إلا الله». قال العبد: وماذا يكون لي إن شهدت بذلك وأمنت بالله تعالى؟ قال رسول الله: «لك الجنة على ذلك». فأسلم العبد، وقال: يا رسول الله، إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه،

(١) صور من حياة الصحابة: ٣٧٩.



منتن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل أدخل الجنة؟ قال: «نعم»، قال: يا رسول الله، إن هذه الغنم عندي أمانة فكيف بها؟ فقال رسول الله: «أخرجها من العسكر وارمها بالحصا، فإن الله عز وجل سيؤدي عنك أمانتك»، ففعل، وأعجب رسول الله كلمته، فخرجت الغنم تشد كأن سائقاً يسوقها، حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم، ثم تقدم العبد الأسود الصف، فأصابه سهم فقتله ولم يصل سجدة قط، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم فقال رسول الله: «أدخلوه الفسطاط»، فأدخلوه حتى إذا فرغ رسول الله دخل عليه ثم خرج فقال: «لقد حسن إسلام صاحبكم، وإن عنده لزوجتين من الحور العين، ولقد حسن الله وجهه، وطيب ريحه، وكثر ماله، ولقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتزغان جبته، وينفضان التراب عن وجهه ويقولان: توب الله من توبك، وقتل من قتلك».

أي عقيدة هذه التي جعلت العبد الأسود، الذي هو قبيح، نتن الرائحة لا مال له، جعلته ولياً لله لم يسجد لله سجدة، ورزق الشهادة.<sup>(١)</sup>

### إبليس الملعون

جاء إبليس إلى عيسى، فقال له: أأست تعلم أنه لا يصيبك إلا ما كتب الله لك؟

قال عيسى: بلى.

فقال إبليس: فأرم بنفسك من هذا الجبل، فإنه إن قدر لك السلامة تسلم.

فقال عيسى: يا ملعون، إن الله عز وجل يختبر عباده، وليس لعبد أن يختبر الله عز وجل.

### آية ربانية

تروي إحدى الأخوات المسلمات.. فتقول: قبض على زوجي وسيق إلى الاعتقال وترك وراءه أربعة من الأطفال. وذات مساء مرض ابني الصغير (بالحمي) ووقعت في ذهول ليس لي حيلة ولا صلة وثيقة بالجيران. فاستعنت بالله أدعوه وألح في الدعاء أن ينقذني ويرحم ضعفي وغربي.. ولم تمض ساعة أو يزيد.. حتى طُرق الباب ففتحت فإذا

(١) الناطقون بالحق: ٢٤٩ بتصرف.

الذي أمامي طبيب.. جاء يسأل عن المريض!! وبعد أن أتم الكشف وقدم بعض الدواء الذي يكون معه عادة، نزل بعد أن أدرك حالة الأسرة وظروفها. وحين عاد الطبيب إلى منزله دق التليفون ليستعجلوا الطبيب. فتعجب الطبيب وقال: لقد عدت من عندكم لتوي الآن. وتبين للطبيب بعد ذلك أن السكن الذي كان يقصده في نفس المنزل يقع أمام التي طرق عليها الباب خطأ. فسبحان من له الكون كله يسيره حيث يشاء. فاعتبروا يا أولي الأبواب؟<sup>(١)</sup>.

### عاقبة الخوف من الله

دخل ثابت بن النعمان إحدى المزارع، وكان جائعًا متعبًا، فشدته نفسه لأن يأكل وبدأت المعدة تترقرق، فأطلق عينيه في الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع وقال لنفسه: ويحك كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان، وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة ويطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة، فبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عما يريد، قال ثابت: دخلت بستانك الذي يجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها، ثم تذكرت أنها ليست لي وأريد منك أن تعذرني في أكلها، وأن تسامحني عن هذا الخطأ.

فقال الرجل: لا أسامحك، ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد.

قال ثابت: وهو ثابت بن النعمان: وما هو هذا الشرط؟

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتي.

قال ثابت: أتزوجها.

قال الرجل: ولكن انتبه! إن ابنتي عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، وصماء لا تسمع. وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد في جهنم جزاء ما أكله من التفاحة. وما الأيام وما الدنيا إلا أيام معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر

(١) حكايات عن الإخوان (١/٢٣).

والثواب من رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم صاحبنا، كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع، فاضطرب حاله وتمنى أن لو ابتلعه الأرض قبل هذه الحادثة، ولكنه توكل على الله وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ودخل عليها يوم الزفاف، فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة. قال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر، فأخبرها بما قال عنها أبوها.

قالت: صدق أبي ولم يكذب.

قال: اصدقيني الخبر.

قالت: أبي قال عني إنني خرساء لأنني لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي، وإنني صماء لأنني صماء ما جلست في مجلس في غيبة وغيمة ولغو، وإنني عمياء لأنني لم أنظر إلى أي رجل لا يحل لي. فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقى، وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما. <sup>(١)</sup>

### يؤثرون على أنفسهم

كان شيخ كريم، فقير في حاله، لكنه لا يرد سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقي بردان يرتجف، فنزعها فدفعتها إليه، وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ الطعام من بين أولاده ليعطيه للسائل، وفي يوم من أيام رمضان وقد وضعت المائدة انتظاراً للأذان فجاءه سائل يقسم أنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له، وأعطاه الطعام كله، فلما رأت ذلك امرأته صرخت وأقسمت من الغضب أنها لا تبقى عنده، بينهما هو ساكت، ولم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب وجاء من يحمل أطباقاً فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا هو أحد الأغنياء كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا، فغضب وحلف ألا يأكل أحد من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ الفقير الكريم.

(١) قصص وعبر (٢/١٩-٢١).

أخي الحبيب: أنفق ولا تحش الفاقة، قد قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبا: ٣٩] (١).

### توقف مع القرآن

يقول الدكتور زغلول النجار: هذا أستاذ مصري للقانون، يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية.. يقول: كنا في حوار قانوني، وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم، ثم بدأ يخوض في الإسلام وتندر بالإسلام والمسلمين، فأردت أن أسكته، فسألته: هل تعلم حجم قانون الموارث في الدستور الأمريكي؟ قال: نعم، أكثر من ثمانية مجلدات.

فقلت له: إذا جئتك بقانون للموارث فيما لا يزيد علي عشرة سطور، فهل تصدق أن الإسلام دين صحيح؟

قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات الموارث من القرآن الكريم، وقدمتها له، فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربى بهذا الشمول الذي لا ينسى أحداً، ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً. ثم أسلم هذا الرجل. فكانت آيات الموارث وحدها سبيلاً إلي اقتناع هذا الرجل اليهودي بالإسلام (٢).

ويقول أيضاً: التقيت بشاب بريطاني، كان يعمل بجامعة الملك فهد، يقول: ظللت ثلاثة عشر عاماً، وأنا أقرأ عن الإسلام، ومع ذلك ما كنت قادراً على اتخاذ القرار بشأن إشهار إسلامي وإعلان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بسبب الضغوط الاجتماعية والمعيشية، والمجتمع العام، ومشاكل الحياة المختلفة.

يقول: إنه في يوم تطهر وأوي إلي فراشه، ودعا ذلك الخالق العظيم أن يلهمه الصواب، وأن يشرح صدره للطريق الصحيح يقول: وإذا بمنادٍ يناديه في المنام: «يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله الواحد، الذي خلقكم وخلق هذا الكون وكل ما فيه» فقام من

(١) قصص وعبر (٢/١٨-١٩).

(٢) الذين هدى الله (٤٨، ٤٩).

منامه متفضلاً، وهو يبكي ويقول: هذه علامة من الله أنه هو الطريق الصحيح، ولم ينم حتى اتصل بالمركز الإسلامي بأوكسفورد، وأعلن إسلامه على الفور. (١)

### احذر المعصية

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إني مسرف على نفسي، فاعرض على ما يكون زاجراً لها.

فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة.

فقال الرجل - وكان متشوقاً لسماع مواعظته - :هات ما عندك يا إبراهيم.

فقال: الأولي: إذا أردت أن تعصي الله فلا تأكل شيئاً من رزقه، فتعجب الرجل ثم

قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها عند الله؟

فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه.

قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من

تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله.

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟

قال: لا، يا إبراهيم هات الثالثة.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصي الله فانظر مكاناً لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر ويسمع دبيب النملة على

الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه؟

قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرني إلي أجل معدود .  
فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا  
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة.

قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم.

فقال: إذا جاءتك الزبانية - وهم ملائكة جهنم - ليأخذوك إلي جهنم فلا تذهب معهم،  
فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب  
إليه، ولزم العبادة حتى فارق الحياة. (١)

### زيادة الإيمان بالتفكير

في إيران أنهار عندما تلتقي بمياه البحر ترجع مياهها عائدة إلى مجاريها التي  
أتت منها.

ونهر الأمازون يجعل مياه المحيط الأطلسي عذبة لمئات الكيلو مترات من مصبه فيه،  
فلا يختلط بمياه المحيط الأطلسي.

. وتلتقي مياه المحيط الأطلسي بمياه البحر الأبيض، فتبقي مياه البحر الأبيض أسفل  
لثقلها، ولكثرة ملحها، وتعلو مياه المحيط لخفتها... وكل في مجراه، وكذلك لا تختلط مياه  
البحر الأسود بمياه البحر الأبيض عندما تلتقيان، بل تشكلان بحرين متلاصقين فوق  
بعضهما البعض، فمياه الأسود تجري في الأعلى نحو البحر الأبيض، لأنها أخف ومياه  
البحر الأبيض تجري في الأسفل، متجهة نحو البحر الأسود لأنها أثقل. (٢)

### التجرد لله

دعا الإمام البنا أحمد محمد حسنين باشا رئيس الكشافة المصرية لحضور استعراض  
لكشافة الإخوان المسلمين، فحضر الرجل وشاهد الاستعراض، ولاحظ وجود تشكيلة

(١) قصص وعبر (١/ ٤٠-٤٢).

(٢) دعوة للتأمل ٥١-٥٢.

من الشباب والرجال والعجائز وذوي اللحى وكان عددهم كبيراً يتقدمهم حملة المصاحف الكبرى.

فقال أحمد حسنين باشا للشيخ حسن البنا: بالله عليكم كيف جمعتم كل هؤلاء من أقصى البلاد؟ إننا في الكشافة المصرية نقدم لهم كل التسهيلات والملابس والنفقات، ومع ذلك لا يجتمعون علينا إلا بشق النفس، فماذا فعلت مع كل هؤلاء؟

فضحك الإمام البنا وقال لرئيس الكشافة المصرية: شيء يسير جداً.. قلنا لهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فجاءوا وعلى نفقتهم الخاصة.. فسكت الرجل.<sup>(١)</sup>

يقول البنا: لقد آمننا إيماناً لا جدال فيه ولا شك معه، واعتقدنا عقيدة أثبت من الرواسي، وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هي التي تنقذ الدنيا المعذبة، وترشد الإنسانية الحائرة، وتهدي الناس سواء السبيل، وهي لذلك تستحق أن يضحى في سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال، وكل رخيص وغال، هذه الفكرة هي الإسلام الحنيف الذي لا عوج فيه، ولا شر معه، ولا ضلال لمن اتبعه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ففكرتنا لهذا إسلامية مجتة، علي الإسلام ترتكز، ومنه تستمد، وله تجاهد، وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل، لا تعدل بالإسلام نظاماً، ولا ترضي سواه إماماً، ولا تطيع لغيره أحكاماً ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

### لا تحزن والله معك

قال محمد بن أبي عمران: سألت رجلاً حاتم الأصم: على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟

قال: على خصال أربع:

- علمت أن رزقي لن يأخذه غيري فاطمأنت به نفسي.

(١) مائة موقف من حياة العظماء: ١٠٨.

- وعلمت أن عملي لن يعمله غيري فأنا مشغول به.

- وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره.

- وعلمت أنني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه. <sup>(١)</sup>

وعن عبد الله بن سهل قال: سمعت حاتم الأصم يقول: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة، فقال لي يوماً: أي شيء تعلمت؟

فقلت: رأيت رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان عليّ كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والرب تعالى ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولي وأوجب فسقطت عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله مستحاً يدعو الخلق إليه فاستعددت له. <sup>(٢)</sup>

### صلاح الدين

كان صلاح الدين سليم العقيدة، متوكلاً على الله، حذره المنجمون يوماً من أن فتح القدس سيؤدي - حسب زعمهم وتنجمهم - إلى فقد إحدى عينيه فقال: رضيت أن أعمى وتفتح القدس، ففتحها بعد أن كانت بأيدي الفرنج أكثر من تسعين سنة، وأبطل تحركات المنجمين. <sup>(٣)</sup>

### ذاك هو الله

سأل رجل أحد السلف عن الله، فقال له: ألم تتركب البحر؟

قال: بلي.

قال: فهل حدث لك مرة أن هاجت بك الريح عاصفة؟

قال: نعم.

قال: وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة؟

قال: نعم.

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٣٦٠).

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٦٠).

(٣) عدة المجاهدين: ٧٣.



قال: فهل خطر ببالك وانفتح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟

قال: نعم.

قال: فذاك هو الله. (١)

### التمسك بالعتيدة الصحيحة

يقول سيد قطب: لقد كان رسول الله ﷺ يتشدد مع أصحابه في أمر التلقي في شأن العتيدة والمنهج، بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شئون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة كشئون الزرع، وخطط القتال، وأمثالها في المسائل العملية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي، ولا بالنظام الاجتماعي، ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان.. وفرق بين هذا وذلك بَيِّنًا، فمنهج الحياة شيء، والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر.

والإسلام الذي جاء ليقود الحياة بمنهج الله، هو الإسلام الذي وجه العقل للمعرفة والانتفاع بكل إبداع مادي في نطاق منهجه للحياة.

روي الإمام أحمد قال: جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أني أمرت بأخ يهودي من بني قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة. ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله، قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا تري ما وجه رسول الله؟ قال عمر: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. قال: فسُري عن النبي ﷺ، وقال: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين».

هؤلاء هم أهل الكتاب، وهذا هو هدي رسول الله ﷺ في التلقي عنهم في أي أمر يختص بالعتيدة والتصور، أو بالشريعة والمنهج.. ولا ضير - وفق روح الإسلام وتوجيهه - من الانتفاع بجهود البشر كلهم في غير هذا من العلوم البحتة علماً وتطبيقاً.. مع ربطها بالمنهج الإيماني: من ناحية الشعور بها، وكونها من تسخير الله للإنسان. ومن ناحية توجيهها والانتفاع بها في خير البشرية، وتوفير الأمن لها والرخاء.

وشكر الله على نعمة المعرفة ونعمة تسخير القوي والطاقات الكونية.. شكره بالعبادة، وشكره بتوجيه هذه المعرفة وهذا التسخير لخير البشرية.

فأما التلقي عنهم في التصور الإيماني، وفي تفسير الوجود، وغاية الوجود الإنساني، وفي منهج الحياة وأنظمتها وشرائعها، وفي منهج الأخلاق والسلوك أيضاً.. أما التلقي في شيء من هذا كله فهو الذي تغير وجه رسول الله ﷺ لأيسر شيء منه. وهو الذي حذر الله الأمة المسلمة عاقبته. وهي الكفر الصراح<sup>(١)</sup>

### دخل في الإسلام حديثاً

رئيس الأساقفة التنزاني «جون موايبوبو» الذي أقنع خمسة آلاف شخص بالدخول في الإسلام من الذين كانوا يترددون على الكنيسة، وسمي نفسه أبو بكر، وحدث أن قام بعض المتطرفين النصارى بإحراق منزله، وراح ضحية لهذا الحريق طفلاه التوأم. كما تعرض منزله لحريق آخر تم خلاله إحراق جميع الأشرطة التي سجل عليها مراحل حياته من الرهبانية إلى الإسلام، وتعرض للموت أكثر من ثلاث مرات، ومع ذلك يردد قائلاً: «أنا أشعر براحة واطمئنان، لأنني أشعر -الآن - أن الله معي»<sup>(٢)</sup>.

### أسلم بعقيدة سليمة

الدبلوماسي الألماني السفير د. مراد هوفمان سفير ألمانيا في الجزائر بدأت فطرة الحق التي فطر الله عز وجل الناس عليها تستيقظ داخل نفسه، وتاقت إلى الإيمان الصحيح بالله عز وجل، ولاسيما أنه يذكر حادثين مؤثرين، أحدهما: عندما كان يعمل في قنصلية بلاده في الجزائر عام ١٩٦١.. فبينما كانت شوارع العاصمة الجزائرية تموج بطلقات الرصاص لتخمد المقاومة الجزائرية ضد المستعمر الفرنسي، فاجأت آلام المخاض زوجته، فخرج مهرولاً ليبحث عن سيارة تقل زوجته إلى المستشفى، واليأس يعصر نفسه، كيف سيجد سيارة إسعاف وسط هذا الجو الملبد بدخان البنادق وطلقاتها، وأجساد القتلى والجرحى.

غير أنه يذكر أن هاتفاً كان يصرخ داخله: ثق بالله.. ثق بالله، ولم يصدق نفسه وهو يري أمامه سيارة إسعاف، وكأنما أرسلتها العناية الإلهية لإنقاذ زوجته التي كتبت لها حياة

(١) في ظلال القرآن (١/ ٤٣٩ - ٤٤٠).

(٢) صحيفة المسلمين ١٩٩٢/٦/١٩ السر الخفي وراء إسلام هؤلاء (١/ ١٥٨).

جديدة من حيث لا يدري.

والحادث الآخر: وقع في العام نفسه في أثناء سيره في أحد شوارع الجزائر يرافقه شخص فرنسي، إذ انطلق فجأة وأبل من الرصاص نحوهما سقط رفيقه على إثره غارقاً في دمائه في حين لم يصب هو بأي أذى. وبالفعل عزم على إعلان إسلامه عام ١٩٨٠. (١)

المسلم على يقين دائم بأن الله سينصره وسيدافع عنه، وسيقف معه في وقت المحن، فلا يحزن ولا يخاف.

### اعتراف الغرب

يقول سميث أحد الباحثين الغربيين المنصفين: تكمن قوة الإسلام في قوة العقيدة التي يمنحها، فالمسلم يعتقد في إله واحد، وتردد صدي الإعلان المؤثر عن الإيمان في الدعوة إلى الصلاة «الله أكبر».

### الله ينتقم لدينه

تقول صحيفة «جسكياتاف كوبو» النيجيرية العدد رقم ٤٠٠٧ في الصفحة الأولى، إن واعظاً مسيحياً من المكذبين بالقرآن وقف ساخراً من القرآن في تحدٍ سافر فقال: «إن كان القرآن والدين الإسلامي حقاً فأنا أسأل الله ألا أرجع إلى بيتي حياً» ويشاء رب العالمين أن يثبت له أن القرآن ودينه الإسلامي الذي ارتضاه لعباده حق وصدق، حيث حدث بمجرد خروجه من الكنيسة وبينما هو في طريقة إلى بيته إذ عثر برخام قناة صغيرة حينما أراد أن يعبرها، فوقع ميتاً في القناة الصغيرة، وحينما تدخل رجل لإنقاذه مات هو الآخر في اليوم التالي مباشرة، والغريب حين حمله أتباعه وأشياعه بعد الحادث وذهبوا به إلى المستشفى، وهناك أخبرهم الطبيب بأنه مات، فلم يقتنعوا بتشخيصه، فأخذوه إلى مستشفى آخر، فأخبروهم بأنه مات بالفعل، فلم يصدقوا، وأخيراً انتهى بهم المطاف إلي مستشفى خاص بالجماعة التنصيرية، حيث أثبت الأطباء المنصرون بأنه قد مات فعلاً، وبمجرد انتشار الخبر في ولاية «جونجولي» شمالي نيجيريا اعتنق سكان أربع قرى الإسلام.

\*\*\*

(١) السر الخفي وراء إسلام هؤلاء (١/٣٦).

## صحيح العبادة

لابد من تصحيح المفاهيم الخاطئة عن العبادة، ومطاردة الأفكار الضالة، ومعرفة معنى العبادة، وهي الخضوع والذل، يقال: طريق معبد، والتعبيد بمعنى التذليل، ولذا فالعبادة هي الإذعان الكلي والخضوع الكامل، والطاعة المطلقة لله تبارك وتعالى.

### الفهم الشامل

يقول ابننا: قد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعاً متبتلاً يبكي ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرساً يقرع الأذان بزواج الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً أنيقاً يرمي بالكرة أو يدرّب على العدو أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وفي إخلاص.

هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام ويأمر بها الإسلام ويحض عليها الإسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتزام ومعاني الإنسجام<sup>(١)</sup>.

### روح الصلاة

كان الإمام حسن البنا في رحلة في صعيد مصر، وفي المساء جاء وقت العشاء، قال البنا للشيخ إسماعيل حمدي: «إحنا تعبانين وعاوزينك تصلي بنا» فتقدم الشيخ إسماعيل للصلاة ولكنه صلى بالسور القصيرة فلما انتهت الصلاة قال له حسن البنا: كيف تصلي بنا بالسور القصيرة؟ قال: لأن فضيلتكم قلت: إننا تعبانين، ولهذا رأيت أن أخفف عنكم.

قال الأستاذ البنا: يا أخي سيدنا رسول الله ﷺ قال لبلال رضي الله عنه: «أرحنا بما يا بلال» ولم يقل: أرحنا منها يا بلال<sup>(٢)</sup>.

(١) الرسائل: ١٢٣.

(٢) حكايات عن الإخوان (١/٧٨).

### الخوف من فساد الأعمال

كان أكثر كلام الحسن في خواطر القلوب، وفساد الأعمال، ووساوس النفس، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس، وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك، فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان، وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله: كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه<sup>(١)</sup>.

### العلم طريق الوصول

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ وأنا شاب قلت لشاب من الأنصار: يا فلان، هلم فلنسال أصحاب رسول الله ولنتعلم منهم، فإنهم كثير.

قال: العجب لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى من أصحاب رسول الله؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت على المسألة، وتتبع أصحاب رسول الله، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله، فأجده قائلاً (راقداً في وقت القيلولة) فأتوسد رداي على بابه، تسفي الريح على وجهي حتى يخرج، فإذا خرج قال: يا ابن عم رسول الله: مالك؟

فأقول: بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول الله، فأحببت أن أسمعه منك.

قال: فيقول: أنا أحق أن أتيك. فكان الرجل بعد ذلك يراني وقد ذهب أصحاب رسول الله واحتاج الناس إليّ فيقول: كنت أعقل مني<sup>(٢)</sup>.

قال إسماعيل بن يحيى المزني: قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟

قال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم به مثلما تنعمت به أذناي.

قيل له: فكيف حرصك عليه؟

(١) الإحياء (١/١٣١).

(٢) أخلاق الدعاة: ٩٩.

قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال.

قيل له: فكيف طلبك له؟

قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره<sup>(١)</sup>.

يقول البنا: نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة، تنتظم شؤون الناس في الدنيا وفي الآخرة، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون في هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف.

والقرآن الكريم ينطق بذلك كله، ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصي بالإحسان فيه جميعه، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [التقصص: ٧٧]<sup>(٢)</sup>.

### العبادة الصحيحة

كان علي بن الحسين يقول: إن قومًا عبدوا الله عز وجل رهبة؛ فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة؛ فتلك عبادة التجار، وقومًا عبدوا الله شكرًا؛ فتلك عبادة الأحرار<sup>(٣)</sup>.

ويقول البنا: هل رأيت منشورًا عسكريًا في كتاب مقدس يتلى في الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذي يتدنى بالأمر المنجز في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ ثم يبين الجزاء بعد ذلك ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤] ثم يتلو ذلك باستشارة أنبل العواطف في النفوس، وهي استنقاذ الأهل والوطن فيقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَأْتِفَاتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنَ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

ثم يوضح لهم شرف غايتهم، ودناءة غاية عدوهم، ليبين لهم أنهم يجودون بثمن

(١) أخلاق الدعاة: ٩٩-١٠٠.

(٢) الرسائل: ١١٩.

(٣) صفة الصفوة: (١/٣٨٦).

غال هو الحياة، على سلعة غالية تستحقه وتربو عليه، وهي رضوان الله، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية، فهو أضعف نفوساً وأخزى أفئدة، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ثم يندد بالذين جنبوا عن أداء الواجب، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا، وأن الإقدام لن يضرهم شيئاً بل سيكسبون به الجزاء الأكبر، والإحجام لا يغيثهم شيئاً، فالموت من ورائهم لا محالة، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧، ٧٨].

بربك أي منشور عسكري في هذه القوة، وفي هذا الوضع يبعث في نفس الجندي كل ما يريد القائد من همة وعزة وإيمان؟ وإذا كان قوام الحياة العسكرية في عرفهم أمرين، هما النظام والطاعة، فقد جمعهما الله في آيتين في كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤]، كما قال تعالى: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١] (١).

### ومن أنواع العبادات:

#### العدل عبادة

مشى عمر بن الخطاب ﷺ مرة في سكك المدينة، فإذا بصبيبة تطيش هزلاً، تقوم مرة وتقع أخرى، فقال عمر: أي حوبتها! يا بؤسها! من يعرف هذه منكم؟

فقال ابنه عبد الله: أما تعرفها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. قال: هذه إحدى بناتك!

قال عمر: وأي بناتي هذه؟

قال: هذه فلانة بنت عبد الله بن عمر (أي ابنته).

فقال عمر: ويحك وما صيرها إلى ما أرى؟ قال له ابنه: منعك ما عندك.

فقال عمر: إنك والله ما لك عندي غير سهمك في المسلمين وسعك أو أعجزك! هذا كتاب الله بيني وبينكم<sup>(١)</sup>.

غض البصر عبادة

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ مِنْ للتبويض؛ لأن من النظر ما يباح.

وكره الشعبي أن يديم الرجل النظر إلى ابنته أو أمه أو أخته، وزمانه خير من زماننا هذا!! وحرام على الرجل أن ينظر إلى ذات محرم نظر شهوة يرددها<sup>(٢)</sup>.

وخرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهم أصحاب لهم حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلاً.

فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجاتهم، وبقي عطاء قائماً في المنزل يصلي، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة، فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟

قالت: نعم.

قال: ما هي؟

قالت: قم فأصب مني.

فقال: إليك عني لا تحرقيني ونفسك بالنار.

ونظر إليها فوجدها امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه، وتأبى إلا ما تريد.

وظل عطاء يبكي ويقول: ويحك! إليك عني، واشتد بكأؤه، فلما نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه، فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي.

فبينما هو كذلك جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكي، والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت، بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً

(١) من روائع حضارتنا: ٥١-٥٢.

(٢) تفسير القرطبي: (٧/٢٩٢).



رجلاً كلما أتاهما رجل فرأهما يبكيان جلس يبكي لبكائهما، لا يسألهما عن أمرهما حتى كثر البكاء وعلا الصوت. فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت وهي نادمة تائبة<sup>(١)</sup>.

هل تحرص على غض البصر؟

#### الصبر عبادة

روى ابن شداد أن صلاح الدين كان له ابن اسمه (إسماعيل)، فجاءه خبر وفاته فتجلد وصبر واحتسب، ولم يحدث أحداً، ولم يظهر عليه شيء من الألم سوى دمعة ذرفت من عينيه، يقول ابن شداد: فانظر إلى هذا الصبر والاحتساب، وإلى أي غاية بلغ هذا الرجل، اللهم إنك أهمته الصبر والاحتساب، ووفقته فلا تحرمه ثوابه يا أرحم الراحمين<sup>(٢)</sup>.

#### الحلم عبادة

يروى ابن شداد أنه حدث أثناء الصراع بين صلاح الدين وريتشارد حول يافا أن عصى بعض عساكر صلاح الدين الأوامر، وانصرف كالمغضب حتى خُيل لمن رآه أنه قاتل جماعة من العساكر في ذلك، لما أتوه من أعمال وأقوال، ولم يزل صلاح الدين سائراً حتى وصل إلى قيادته وحوله الأمراء يرددون خيفة، وكل منهم يعتقد أنه مسخوط عليه، حتى ابن شداد مع عظم مكانته عند صلاح الدين، يقول ابن شداد: لم تحدثني نفسي بالدخول عليه خيفة منه حتى استدعاني، فلما دخل ابن شداد على صلاح الدين طلب منه أن يجمع الأمراء ليشاركوه في أكل كمية من فاكهة كانت قد وصلت من دمشق، فحضر الأمراء وهم خائفون، فوجدوا من بشره وانبساطه ما أحدث لهم الطمأنينة والأمن والسرور، وانصرفوا على عزم الرحيل للمقاتل كأن لم يحدث شيء أصلاً<sup>(٣)</sup>.

#### الصدق عبادة

روى ابن عيينة عن رجل قال: كلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء، فقال له: كذبت، فقال عمر: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

(١) غض البصر: ٧٥-٧٦.

(٢) صلاح الدين الأيوبي - عبد الله ناصح علوان: ١١٥.

(٣) صلاح الدين علوان: ١١٦-١١٧.

## الورع عبادة

عن وهب بن الورد قال: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز اتخذ داراً لطعام المساكين والفقراء وابن السبيل. وتقدم إلى أهله وقال: إياكم أن تصيبوا من هذه الدار شيئاً من طعامها، فإنما هي للفقراء والمساكين وابن السبيل.

فجاء يوماً فإذا مولاة له معها صحيفة فيها غرفة من لبن فقال لها: ما هذا؟

قالت: زوجتك فلانة حامل كما قد علمت، واشتهدت غرفة من لبن، والمرأة إذا كانت حاملاً فاشتهدت شيئاً فلم تؤت به تخوفت على ما في بطنها أن يسقط، فأخذت هذه الغرفة من هذه الدار.

فأخذ عمر بيدها فتوجه بها إلى زوجته وهو عالي الصوت وهو يقول: إن لم يمك ما في بطنها إلا طعام المساكين والفقراء فلا أمسكه الله. فدخل على زوجته فقالت له: مالك؟

قال: تزعم هذه أنه لا يمك ما في بطنك إلا طعام المساكين والفقراء، فإن لم يمسه إلا ذلك فلا أمسكه الله.

قالت زوجته: رديه ويحك، والله لا أذوقه. قال: فردته.

هل تحرص على المال الحلال في رزقك؟

## التقوى عبادة

كان عمر بن عبد العزيز يقول: ليس تقوى الله بصيام النهار، وقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك. ولكن تقوى الله: ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيراً، فهو خير إلى خير.

وقال القرشي: وحدثني محمد بن يزيد الأدمي قال: قال عمر بن عبد العزيز: معادن التقوى قلوب المؤمنين، وخير معادنها أتقائها لله عز وجل، وأتقائها الله أحسنها عقلاً.

## تقديم النصيحة عبادة

جاء أن أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية، فرآه يتصدر مجلساً من مجالسه العامة. وقد حف به رجال دولته، وقادة جيشه، ووجوه قومه، ورأى الناس يبالغون في إعظامه

وإجلاله، فخشي عليه من ذلك أشد الخشية، وبادره قائلاً: السلام عليك يا أجير المؤمنين. فالتفت إليه الناس وقالوا: أمير المؤمنين يا أبا مسلم، فلم يأبه لهم وقال: السلام عليك يا أجير المؤمنين. فقال الناس: أمير المؤمنين يا أبا مسلم، فلم يعرهم سمعه، ولم يرم نحوهم بطرفه وقال: السلام عليك يا أجير المؤمنين. فلما هم الناس بمراجعتة؛ التفت إليهم معاوية وقال: دعوا أبا مسلم، فهو أعلم بما يقول.

فمال أبو مسلم إلى معاوية وقال له: إنما مثلك بعد أن ولاك الله أمر الناس كمثلي من استأجر أجيراً وأوكل إليه أمر غنمه، وجعل له الأجر على أن يحسن رعيها، ويحفظ أبدانها، ويوفر أصوافها وألبانها، فإن هو قام بما عهد إليه حتى تكبر الصغيرة وتسمن العجفاء، وتصح السقيمة أعطاه أجره، وزاده، وأن هو لم يحسن رعيها وغفل عنها، حتى هلكت عجافها، وهزلت سمانها، وضاعت أصوافها وألبانها منع الأجر عنه، وغضب عليه وعاقبه، فاختر لنفسك ما فيه خيرك وأجرك.

فرجع معاوية رأسه وكان مطرقاً إلى الأرض، وقال: جزاك الله عنا وعن الرعية خيراً يا أبا مسلم، فما علمناك إلا ناصحاً لله ولرسوله، ولعامة المسلمين<sup>(١)</sup>.

#### طلب العلم عبادة

حفظ أحمد بن حنبل القرآن الكريم، ولما بلغ أربع عشرة سنة، درس اللغة العربية، وتعلم الكتابة، وكان يجب العلم كثيراً حتى إن أمه كانت تخاف عليه من التعب والمجهود الكبير الذي يبذله في التعلم، وقد حدث ذات يوم أنه أراد أن يخرج للمكان الذي يتعلم فيه الصبية قبل طلوع الفجر، فجذبته أمه من ثوبه، وقالت له: يا أحمد انتظر حتى يستيقظ الناس. ومضت الأيام حتى بلغ أحمد الخامسة عشرة من عمره فأراد أن يتعلم أحاديث رسول الله ﷺ من كبار العلماء والشيوخ، فلم يترك شيئاً في بغداد إلا وقد استفاد منه، ومن شيوخه: أبو يوسف، وهشيم بن مشير.

وكان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث<sup>(٢)</sup>.

(١) صور من حياة التابعين: ٣٥٤.

(٢) أعلام المسلمين: ١٠٠-١٠١.

## النهي عن المنكر عبادة

عن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره، وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام إليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟

فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم.

فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام. فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد، إنما سألتنا حاجة لغيرك. وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟

فقال: مالى إلى مخلوق حاجة، ثم خرج فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف<sup>(١)</sup>

## حوار حول اللحية

كان الإمام الشهيد البنا راكباً الترام ذات مرة عائداً إلى بيته، فحرص أحد الشباب الذين يهزأون بالسنين والملتحين من الدعاة والوعاظ، أن يكون جلوسه إلى جانب الإمام الشهيد.

وبدأ الشاب في استئذانه بسؤال محرج، ورجا الأستاذ أن يجيبه معتذراً عن هذا السؤال!

فأجاب الإمام الشهيد مرحباً كل الترحيب بما يسأل الشاب، ووعدته ألا يكون لسؤاله من أثر في نفسه غير الرضا والارتياح.

فبدأ الشاب سؤاله بقوله: لماذا أطلقت لحيتك يا أستاذ؟

فأجاب الأستاذ: اسمح لي أن أقول لك بأن سؤالك ليس في موضعه، وما كان لك أن تسأل هذا السؤال، وإنما الذي من حقه هذا السؤال هو أنا: لماذا حلق لحيتك أنت يا أخي؟

وهكذا تحول الأستاذ من موقع المدافع إلى موقف المهاجم!

فعجب الشاب من براعة الأستاذ في إجابته التي لم يكن يتوقعها من المشايخ والوعاظ وأجاب الشاب: إني أحلق لحيتي لأنني أعتبرها قذارة يجب التخلص منها.

فقال الأستاذ: ولماذا لا تحلق بقية شعرك؟ شعر الرأس والحاجبين والشارب ما دام الشعر في نظرك قذارة؟

فأجاب الشاب: لا يا أستاذ ليس كل الشعر في مستوى واحد، فأنا أحلق شعر عانيتي وإبطني بمحكم الشرع الشريف باعتباره قذارة.

فقال الإمام: الحمد لله.. فقد اعتبرت لحيتي من نوع شعر الرأس والشارب، وأما لحيتك فقد اعتبرتها من نوع عانتك!!

وهكذا كان هذا الجواب البارع صفة أخرى لهذا الشاب الساخر، ما كان ينتظرها، وشعر بالخزي والحجل، وقال: حقاً إنك أظرف سني رأيت في حياتي.. لقد أردت أن أسخر منك فسخرت أنت مني.

فأجابه الأستاذ قائلاً: إن الإسلام قضيته أكبر من اللحية التي تتكلم عنها، وأنتم معشر الشباب لا تفهمون من الإسلام إلا اللحية والصلاة والصيام، ولكن الإسلام رسالة عامة، تتناول الدين والدنيا، ونظام الحياة، ومنهاجها الكامل في كل شئون الحياة.. وتحدث له الأستاذ عن عظمة الإسلام وأفاقه العليا بصورة موجزة.. فأعجب الشاب من هذا التصوير الجديد<sup>(١)</sup>.

#### رد الجميل عبادة

كان من نعم الله عز وجل على علي بن أبي طالب، وما وضع الله له، وأراد به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم - يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس في هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه واحداً وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه. فقال العباس: نعم.. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة: ١٦٠-١٦١.

ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضي الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه عليّ، فأقر به وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

ونلاحظ أن الرسول أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) علي بن أبي طالب للصلابي (٣٨/١).

## الانتفاع بالوقت

إن الإحساس بالوقت يلدغ الذين توهموا الخلود في الأرض وربطوا مصيرهم بترابها، ولكنه إحساس مخدوع مضلل لمن مرت به الأيام والشهور والدهور وغدا وراح، وتعب واستراح، ومع ذلك فهو في غفلة عن يومه وغده، ظل يعبث ويسترسل في عبثه حتى إذا استرخت أجنانه على عينيه، ودخل ظلام الموت تيقظ بعنف، وهيهات!! لقد صحا بعد فوات الأوان.

إن من الخداع أن يحسب المرء نفسه واقفا والزمن يسير، إنه خداع النظر كما يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجري من حوله وهو جالس، والواقع أن الزمن يسير بالإنسان إلى مصيره المحتوم.

### صديق ودود أو عدو لدود

إن عمرك رأس مالك الضخم، ولسوف تسأل عن إنفاقك منه لقول رسول الله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟» [رواه الترمذي].

ومن الحكم التي تغيب عن بال الناس: «الواجبات أكثر من الأوقات» الزمن لا يقف محايدا فهو إما صديق ودود أو عدو لدود.

### جريمة سرقة

من المؤسف أن العوام لا يباليون بإضاعة أوقاتهم سدى ويضمون إلى هذه الجريمة السطو على أوقات الآخرين لإراقتها على التراب، وقد قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [رواه الترمذي].

ومن وسائل الإسلام لاستغلال الوقت الحث على مداومة العمل وإن كان قليلاً، وكراهيته للكثير المنقطع، وذلك أن استدامة العمل القليل مع اطراد الزمن وسيره المتواصل يجعل من التافه الضئيل زنة الجبال من حيث لا يشعر المرء.

### البركة في البكور

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير ورغبته في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطا طيب النفس مكتمل العزم، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في ألا يضيع سائره سدى.

ونظام الحياة الإسلامية يجعل ابتداء اليوم من الفجر، ويفترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس، ويمنع السهر الذي يؤخر صلاة الصبح عن وقتها المسنون، وفي حديث الرسول ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» [رواه أبو داود].

وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: مر بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة متصبحة، فحركني برجله، ثم قال: «يا بنية قومي فاشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس» [رواه البيهقي].

### نظرة خاطئة

والناس ينظرون إلى الأحداث ويذهلون عن مرسلها، ويدوقون السراء والضراء، ويجهلون من يذيقهم طعومها، فإذا ضاقوا ذرعا بأمرها لعنوا الأيام، وذلك ضرب من الجهل بالله والغفلة عن أقداره، قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» [رواه أبو داود].

والسفهاء من الناس تمر بهم الأحوال الحسنة والسيئة، فلا يستفيدون من اختلافها شيئا وقد قال رسول الله ﷺ: «إن المناق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير، عقله أهله ثم أرسلوه، فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه» [رواه أبو داود].

وطبيعة البشر أن يعرفوا ربهم ساعة الشدة وأن يلجأوا إليه عندما تستحكم الأزمات قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

### الوقت في القرآن

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] أي جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، فمن فاته عمل في



أحدهما، حاول أن يتداركه في الآخر، وأقسم الله تعالى في مطالع سور عديدة من القرآن المكي بأجزاء معينة من الوقت مثل: الليل والنهار والفجر والضحي والعصر.. ومن المعروف لدى المفسرين أن الله إذا أقسم بشيء من خلقه فذلك ليلفت أنظارهم إليه.

### خصائص الوقت

#### ١- سرعة انقضائه:

فهو يمر مر السحاب ويجري جري الرياح، سواء أكان زمن مسرة وفرح أم كان زمن اكتئاب وترح، وإن كانت أيام السرور تمر أسرع، وأيام الهموم تسير ببطء، لا في الحقيقة ولكن في شعور صاحبها، ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فهو قصير، ما دام الموت هو نهاية كل حي، ورحم الله الشاعر الذي قال:

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواء قصيره والطويل

ويحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام أنه جاءه ملك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده، فسأله: يا أطول الأنبياء عمراً، كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان؛ دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر.

#### يا من باع الدرر واشترى الخزف!

يقول ابن الجوزي: كأنك بالموت وقد خطف ثم عاد إلى الباقي وعطف، فنتبه لنفسك يا ابن النطف، فقد حاذى الرامي الهدف، إلى كم تسير في أسف؟ ليت هذا العزم وقف، تؤخر الصلاة ثم تسيئها كالبرق إذا خطف، أتجمع سوء كيلة مع حشف؟ الجسد أتى والقلب انصرف، يا من باع الدرر واشترى الخزف، ابسط بساط الحزن على رماد الأسف، عليك حافظ وضابط، ليس بناس ولا غالط، يكتب الألفاظ السواقط، وأنت في ليل الظلام خابط.

#### ٢- أن ما مضى منه لا يعود ولا يعوض:

قال الحسن البصري: «ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فأني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة».

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

الزمان أنصح المؤذنين، وأفصح المؤذنين، فانتبهوا بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه.

٣- أنفس ما يملك الإنسان:

يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته، حيث لا ينفع الندم.

الموقف الأول: ساعة الاحتضار ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠] وكان الرد على هذه الأمنية الفارغة قاطعا: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

الموقف الثاني: في الآخرة حيث توفى كل نفس ما عملت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وانقطعت حجتهم بهذا السؤال التريعي: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧].

إذا كان عمر الإنسان ستين عاما فانظر كيف نقضي بعضها:

الوقت الكلي في ٦٠ عاما	الوقت المضيء
٨ أيام	ربطة الأحذية
شهر	انتظار إشارات المرور
شهر	الوقت الذي تقضيه عند الحلاق
٣ شهور	ركوب المصاعد في المدن الكبرى
٣ شهور	تنظيف الأسنان بالفرشاة
٥ شهور	انتظار الحافلات في المدن
٦ شهور	الوقت الذي تقضيه في الحمام
ستتان	قراءة الكتب
٤ سنوات	وقت الأكل
٩ سنوات	اكتساب الرزق
٢٠ سنة	النوم

سواء اتفقنا على هذا الجدول أم لم نتفق إلا أننا ندرك جيدا أن الوقت يمر سريعا<sup>(١)</sup>.

(١) انظر كتاب: كيف تدير وقتك؟

## من علامات المقت إضاعة الوقت

يقول أحدهم: من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون، ويقول ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسهُ نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي! وقال آخر: كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم، وقال الشاعر:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى      ولم أستفد علما فما ذاك من عمري

## جريمة انتحار

ما يدري هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل في الحقيقة نفسه، فهي جريمة انتحار ترتكب على مرأى ومسمع من الناس، ولا يعاقبهم عليها أحد، وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها ولا يدري مدى خطرها؟

## انتبه!

الفراغ لا يبقى فراغا أبدا، فلا بد أن يملأ بخير أو شر، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل، فطوبى لمن ملأه بالخير والصلاح! وويل لمن ملأه بالشر والفساد! ويقول بعض الصالحين: فراغ الوقت من الأشغال نعمة عظيمة، فإذا كفر العبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قيادة الشهوات، شوش الله عليه نعمة قلبه، وسلبه ما كان يجد من صفاء قلبه.

البدار البدار: قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل      إلى غد، إن يوم العاجزين غد!!

أمر القرآن الكريم باستباق الخيرات والمسارة إليها ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تُكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] ويقول معقبا على أهل الكتاب وما أنزل عليهم: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٤٨] وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] وأثنى الله على بعض أنبيائه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

[الأنبياء: ٩٠] ومدح الصالحين من أهل الكتاب بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤] وذم الله المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢] وعن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال سبعاً: هي تنتظرون إلا غنى مطعياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً (الضعف بسبب الكبر) مفنداً أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟!» (مفندا: موقعا في الفتنة وهو كلام المخرف) [رواه الترمذي].

### الاعتبار بمرور الأيام

في كل يوم يمر بل في كل ساعة تمضي بل في كل لحظة تنقضي تقع في الكون والحياة أحداث شتى، منها ما يرى ومنها ما لا يرى، من أرض تحيأ، وحبّة تنبت، ونبات يزهر، وزهر يشمر، وثمر يقطف، وزرع يصبح هشيماً تذروه الرياح، أم من جنين يتكون، وطفل يولد، ووليد يشب، وشاب يكتهل، وكهل يشيخ، وشيخ يموت!

### لكل وقت عمله

جاء في وصية أبي بكر ﷺ لعمر حين استخلفه: اعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار.

وليس المهم -إذن- أن يعمل الإنسان أي شيء في أي زمان، بل المهم أن يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقّت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة، لا يجوز التقدم عليها، ولا التأخر عنها ليعلمنا بذلك أن الشيء لا يقبل قبل أوانه، ولا بعد أوانه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] وفي الصوم: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وفي الزكاة: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] وفي الحج: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

### فضل الله بعض الأيام على بعض

فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأنواع على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، فضل كذلك بعض الأزمنة على بعض: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ وقال بعض السلف: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق، وعن أبي حارثة الحشني قال رسول الله ﷺ: «إن من ورائكم أياماً، الصبر

فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله»، قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم» [رواه الترمذي].

### احذر هؤلاء

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قال: قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، فقال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا» [رواه البخاري].

### كم عمرك؟

يقول القرضاوي: العمر الحقيقي للإنسان ليس هو السنوات التي يقضيها من يوم الولادة إلى يوم الوفاة، إنما عمره الحقيقي بقدر ما يكتب له في رصيده عند الله من عمل الصالحات وفعل الخيرات.

فقد تجد إنسانا عاش أكثر من مائة سنة، ولكن رصيده من تقوى الله ونفع عباده صفر أو ما دون الصفر، أي أن رصيده مدين إذا تحدثنا بلغة المصارف.

وقد يموت إنسان آخر شابا، ولكن رصيده في سنينه القلائل بعد سن التكليف حافل عامر بجلائل الأعمال، وإذن يستطيع الإنسان أن يطيل عمره بمقدار ما يوفق إليه من عبادة الله تعالى، والإحسان إلى خلقه، وكلما توافر لعمله الإخلاص والإتقان كان فضله وأجره كبيرا، وعلى قدر ما يكون لعمله من الفائدة والتأثير في حياة الآخرين تكون قيمته ومنزلته، كأن يدهم على هدى أو ينقذهم من ردى، أو يفرج عنهم كربة أو يرفع عنهم ظلما، أو يدفع عنهم عدوا أو غير ذلك من الأعمال التي يتعدى نفعها إلى أفراد أو جماعات من الناس أو إلى أمة بأسرها ومن هنا كان عمل مثل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله في قمة الأعمال مكانة عند الله تعالى<sup>(١)</sup>.

(١) الوقت في حياة المسلم.

### ماذا فعلت لما بعد الموت؟

يستطيع الإنسان الذي رزق التوفيق في إنفاق وقته أن يطيل عمره، ويمد حياته إلى ما شاء الله بعد موته، فيحيا وهو ميت، ويؤدي رسالة الأحياء وهو مقبور، وإنما يكون ذلك إذا ترك وراه ما ينتفع الناس به بعده من علم نافع أو عمل صالح أو أثر طيب أو سنة حسنة اقتدى بها أو مؤسسة خيرية ظلت تؤتي ثمارها من بعده أو ذرية صالحة أحسن تربيتها فكانت امتداداً لحياته وحسن سيرته، عن أبي هريرة عن النبي قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [رواه مسلم].

دقات قلب المرء قائلة له: إن الحياة دقائق وثوان  
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان  
وقفة

فرق كبير بين من يموت والقلوب عليه ولهي، والأعين عليه باكية، والألسنة كلها تثني عليه بالخير وتدعو له بالرحمة، ومن يموت ولا تبكي عليه عين، ولا يحزن لفراقه قلب، ولا يترحم عليه إنسان، شأن الذين عاشوا في الحياة سلبين، أو ظالمين متجبرين، كذلك الذي قال فيه الشاعر:

فذاك الذي إن عاش لم ينتفع به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه  
وإذا كان من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، فإن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، وإذا كان من ترك علماً نافعا لم ينقطع عمله الصالح، فإن من ترك أثراً سيئاً وفكراً مضللاً لم ينقطع أيضاً عمله الطالح.  
طوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه، وويل لمن يموت وذنوبه باقية من بعده.

### هكذا استغلوا أوقاتهم

نقل عن ابن الجوزي أن براية أقلامه التي كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها.

وهذا ابن تيمية، كان لا يفوت ساعة من وقته دون تعليم أو تأليف أو عبادة، حتى بلغت مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصرها.

وقال ابن شاكِر: إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد، وقال الذهبي: وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد.

قال ابن القيم: وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرا عجبا فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة أو أكثر، قال ابن العطار تلميذ النووي: ذكر لي شيخي -رحمه الله تعالى- أنه كان لا يضيع له وقتا، لا في ليل ولا في نهار، إلا في الاشتغال بالعلم حتى في الطريق يكرر أو يطالع، وأنه دام على هذا ست سنين، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة وقول الحق، وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة بعد عشاء الآخرة، ويشرب شربة واحدة عند السحر، ويمتنع عن أكل الفواكه والخيار، ويقول: أخاف أن يرطب جسمي ويجلب لي النوم.

أما الإمام الفقيه مكتشف الدورة الدموية ابن النفيس فقال عنه الإمام برهان الدين إبراهيم الرشدي: كان العلاء بن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ في التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كلّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره، لئلا يضيع عليه الزمان في بري الأقلام.

أخي الحبيب: هكذا كانت الهمة العالية في استغلال أوقاتهم  
فأين همتهك؟! (١)

### تربية الأبناء

قال عبد الملك بن مروان -رحمه الله-: كنا مع أبنينا في موكبه فقال: سبحوا حتى تأتوا تلك الشجرة، فنسبح حتى نأتيها، فإذا رفعت لنا شجرة أخرى، قال: كبروا حتى تأتوا تلك الشجرة، فكان يصنع ذلك بنا.

وروى في مقدمة ابن خلدون أن هارون الرشيد -رحمه الله- لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: «أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره

(١) يا شباب، الوقت هو الحياة ٢٨: ٣٠.

بمواقع الكلام، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته»

ثم قال له موجهاً: «ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتتم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه».

### أنت والمصحف

يقول صاحب القصة:

طفلي الصغير صحته ليست على ما يرام، عندما عدت مساء هذا اليوم من عملي قررت الذهاب به إلى المستشفى، رغم التعب والإرهاق، إلا أن التعب لأجله راحة.

حملته وذهبت، لقد كان المنتظرون كثيراً.. ربما متأخر أكثر من ساعة.. أخذت رقما للدخول على الطبيب وتوجهت للجلوس في غرفة الانتظار.

وجوه كثيرة مختلفة.. فيهم الصغير وفيهم الكبير.. الصمت يخيم على الجميع، يوجد عدد من الكتيبات الصغيرة استأثر بها بعض الإخوة.

أجلت طرفي في الحاضرين.. البعض مغمض العينين لا تعرف فيم يفكر، وآخر يتابع نظرات الجميع، وآخرون تحس على وجوههم القلق والملل من الانتظار.

يقطع السكون الطويل صوت المنادي برقم كذا، الفرحة على وجه المنادي عليه يسير بخطوات سريعة، ثم يرجع الصمت للجميع.

لفت نظري شاب في مقتبل العمر لا يعنيه أي شيء حوله، لقد كان معه مصحف جيب صغير يقرأ فيه، لا يرفع طرفه.. نظرت إليه ولم أفكر في حاله كثيراً لكنني عندما طال انتظاري لساعة كاملة تحول مجرد نظري إليه إلى تفكير عميق في أسلوب حياته ومحافظته على الوقت.

ساعة كاملة من عمري ماذا استفدت منها وأنا فارغ بلا عمل ولا شغل، بل انتظر مل.

أذن المؤذن لصلاة المغرب.. ذهبنا للصلاة.

في مصلى المستشفى حاولت أن أكون بجوار صاحب المصحف.. بعد أن أتمنا الصلاة، سرت معه وأخبرته مباشرة بإعجابي به من محافظته على وقته.



وكان حديثه يتركز على كثرة الأوقات التي لا نستفيد منها إطلاقاً وهي أيام وليال تنقضي من أعمارنا دون أن نحس أو نندم.

قال: إنه أخذ مصحف الجيب هذا منذ سنة واحدة فقط عندما حثه صديق له على المحافظة على الوقت.

وأخبرني أنه يقرأ في الأوقات التي لا يستفاد منها كثيراً أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في المنزل، بل إن قراءته في المصحف -زيادة على الأجر والثوبة إن شاء الله- تقطع عليه الملل والتوتر، وأضاف محدثي قائلاً: إنه الآن في مكان الانتظار منذ ما يزيد على الساعة والنصف.

وسألني: متى ستجد ساعة ونصفاً لتقرأ فيها القرآن؟

تأملت كم من الأوقات تذهب سدى! كم لحظة في حياتك تمر ولا تحسب لها حساباً!

بل كم من شهر يمر عليك ولا تقرأ القرآن!

أجلت نظري.. وجدت أنني محاسب والزمن ليس بيدي.. قطع تفكيري صوت المنادي.. ذهبت إلى البيت.

أريد أن أحقق شيئاً الآن، بعد أن خرجت من المستشفى، أسرعرت إلى المكتبة، اشتريت مصحفاً صغيراً، قررت أن أحافظ على وقتي.. فكرت وأنا أضع المصحف في جيبتي.

كم من شخص سيفعل ذلك، وكم من الأجر العظيم للدال على ذلك!<sup>(١)</sup>

### إضاعة الوقت

يقول ابن الجوزي: رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبياً، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق فشبتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة

(١) مائة قصة وقصة ٢٨٢-٢٨٤.

الزاد والتأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة<sup>(١)</sup>.

### ليس لدي فراغ

سئل الشيخ أحمد ياسين يوما: كيف تقضي وقتك؟

فأجاب: طوال عمري في العمل حتى حينما أكون في بيتي فأنا في العمل، ليس لدي ساعة فراغ واحدة، يأتيني المسلم يشكو من شيء فأسعى لحل شكواه، يأتيني الفقير يشكو، ويأتيني أبو السجين أو أهله يشكون، تأتيني المطلقة تشكو شكواها، فبيتي مفتوح لكل الناس، وعلى كل مستوياتهم، للأرملة والفقير والتعبان والمريض والذي يريد العلاج، والذي لديه مشكلة، والذي يريد أن يزور منطقة، والذي يبحث عن عمل.. العمل يأخذ كل وقتي.

\*\*\*

(١) صيد الخاطر ١٩٠.

## النظام

يقول تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

هل فكرت يوماً في هذه السيارات المنطلقة، أعني هذه الكواكب، التي تخترق أعماق الجو والتي تلتزم مداراً واحداً ولا تنحرف عنه؟ أليس هذا من تنظيم الله لهذا الكون؟ والله قد نظم لنا كيفية الموازنة بين الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

### خلية النحل

انظر إلى خلية النحل الذي هو مخلوق صغير ضئيل من مخلوقات الله الكثيرة الجميلة، ستجد نظاماً جميلاً، فيصنع هذا المخلوق الصغير أشكالاً جميلة من الشمع، من علمه هذا؟ إنه الله، ولو علمت كيف يقوم النحل داخل الخلية بالعمل لوجدت أن كل نحلة تقوم بواجبها من أجل نظافة الخلية وإنتاج العسل الشهى، والدفاع عنها، ستعرف أن الله أبدع ونظم كل شيء في الدنيا حتى خلية النحل الصغيرة، يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الشَّمْرَاتِ فَاَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

### النمل

ربما لم تتمكن من رؤية النحل ولكنك بالتأكيد رأيت النمل، رأيت كيف يتحرك النمل في نظام وخطوط شبه مستقيمة؟ كل نملة تعرف دورها وتعمل بنظام من أجل جمع الغذاء وتخزينه لفصل الشتاء، فيخرج النمل في فصل الصيف يبحث عن غذائه ثم يأتي النمل في نظام وترتيب عجيب فيحمل الغذاء ويتعاون معاً عندما يكون الغذاء كبير الحجم يحتاج لمجهود مجموعة كبيرة من النمل، وتستمر جماعات النمل المنظمة حتى ينتهي فصل الصيف ويدخل الشتاء فينعم النمل بحصيلة ما جمعه طوال الصيف، ألا يدل ذلك

على أن الله يريد أن يعلمنا أنه بالنظام والعمل الجاد تستطيع مخلوقات الله أن تعيش.

من علم النملة الفرق بين الصيف والشتاء؟ ومن علمها أن تحسب حاجاتها في الصيف وتدخرها في الشتاء؟ ومن علمها أن تستكشف أماكن الطعام؟ ومن علمها أن ترتب حركتها وهي تنقل الطعام؟ إننا نتعلم من هذا المخلوق الصغير النظام والادخار<sup>(١)</sup>.

### الله يحب النظام

والنظام يبدو في الصفوف، ومن الصفوف التي يحبها الله صفوف القتال المتراسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ [الصف: ٤] و صفوف الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الصف: ١٦٥] أي المصفين للطاعة.

### هجرة الرسول ﷺ

- انظر إلى التخطيط الدقيق من النبي ﷺ للهجرة:

\* جاء الرسول ﷺ إلى بيت أبي بكر في وقت شدة الحر حتى لا يراه أحد.

\* إخفاء شخصيته أثناء مجيئه فقد جاء الرسول ملثما.

\* أمر أبا بكر أن يخرج من عنده.

\* لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

\* كان الخروج ليلا.

\* كان الخروج من باب خلفي في بيت أبي بكر.

\* اتخذوا طرقا غير مألوفة للقوم.

\* استعان الرسول ﷺ بالمشرك عبد الله بن أريقط لأنه كان واثقا منه وعلى خلق،

وكان الرسول ﷺ لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها.

\* انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعونة وكلها ترتبط برباط القرابة.

\* وضع كل فرد من الأفراد في عمله المناسب: عبد الله بن أبي بكر صاحب

(١) تربية الأبناء على التخطيط والنظام ٢٤، ٢٥.

المخابرات الصادقة، وأسماء بنت أبي بكر حاملة التموين من مكة إلى الغار، وعامر ابن فهيرة الراعي البسيط يبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه كي لا يتفرسها القوم.

إن رسول الله ﷺ أعد كل الأسباب، ولكنه في الوقت نفسه يدعو ربه فانصرف القوم عن الغار، ورسخت فرس سراقه في الأرض.

اعلم أخي الحبيب أننا إذا أخذنا بكل الأسباب لنصرة دين الله فإن الله سينصرنا لا محالة.

فكرة نوم علي بن أبي طالب ؑ في فراشه فكرة جيدة ضللت القوم، فلقد ظلت أبصارهم معلقة بفراش الرسول ﷺ، وما كانوا يشكون أن الرسول ﷺ مازال نائماً، والنائم هو علي بن أبي طالب.

هل تقوم بتنظيم شئون حياتك؟

في غزوة بدر

دفع الرسول ﷺ لواء القيادة العامة إلى مصعب بن عمير القرشي العبدي، وكان هذا اللواء أبيض وقسم جيشه إلى كتيبتين:

١- كتيبة المهاجرين، وأعطى علمها علي بن أبي طالب.

٢- كتيبة الأنصار، وأعطى علمها سعد بن معاذ.

وجعل على قيادة الميمنة الزبير بن العوام، وعلى اليسرة المقداد بن عمرو، وكانا هما الفارسين الوحيدين في الجيش، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة وظلت القيادة العامة في يده ﷺ كقائد أعلى للجيش<sup>(١)</sup>.

كان الرسول ﷺ يعدل الصفوف في غزوة بدر، وبينما هو يعدلها وقع أمر عجيب، فقد كان في يده قذح يعدل به، وكان سواد بن غزية مستنصلاً من الصف، فطعن في بطنه بالقذح وقال: «استو يا سواد»، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني فأقديني، فكشف عن بطنه، وقال: «استقد»، فاعتنقه سواد، وقبل بطنه، فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال:

(١) الرحيق المختوم ١٩٥.

يا رسول الله قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله بـخير<sup>(١)</sup>.

وانظر إلى حرص الرسول على النظام وتسوية الصفوف.

### في غزوة أحد

قسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب:

- ١ - كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدري.
- ٢ - كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن حضير.
- ٣ - كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر.

### في اليرموك

خرج خالد بن الوليد ؓ بأسلوب جديد لم يستخدمه العرب من قبل ذلك هو الكراديس فخرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى أربعين ورتب جيشه كالتالي:

فرقا: وفيها من عشرة إلى عشرين كردوسا ولها قائد وأمير.

كراديس: ألف مقاتل وله قائد وأمير.

وقسم جيشه إلى أربعين كردوسا كما يلي:

فرقة القلب مؤلفة من ١٨ كردوسا بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ومعه عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو.

فرقة الميمنة مؤلفة من ١٠ كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة.

فرقة الميسرة مؤلفة من ١٠ كراديس بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

فرقة الطليعة (المقدمة) من الخيالة.

فرقة المؤخرة مؤلفة من ٥٠٠٠ مقاتل (٥ كراديس) بقيادة سعيد بن زيد ومهمتها قيادة (الأمور الإدارية) وكان القاضي (أبو الدرداء)، وعبد الله بن مسعود مهمته تأمين

(١) الرحيق المختوم ٢٠٤.

أمور الإعاشة وجمع الغنائم، والمقداد بن الأسود يدور على الناس ويقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب وهو يطوف على الصفوف يحث الجند على القتال.

إنه النظام المحكم قبل المعركة<sup>(١)</sup>.

### عدم النظام من عوامل الهزيمة

خالف بعض المسلمين النظام وأمر النبي ﷺ وكان ذلك في غزوة أحد عندما كان الرسول ﷺ يعد أرض المعركة لقتال الكفار، وأمر النبي ﷺ مجموعة من الرماة بأن يظلوا فوق جبل أحد ويرموا الكفار بالنبال وألا يتركوا أماكنهم مهما كانت الأسباب حتى يأمرهم النبي ﷺ بالنزول، ماذا حدث؟ لم يلتزم بعض الرماة بالنظام وعصوا امر الرسول ﷺ فنزلوا من فوق الجبل وتركوا أماكنهم لجمع ما تركه الكفار وهم يفرون من المعركة، واستغل خالد بن الوليد الفرصة - وكان يومها لا يزال مشركا- وهاجم المسلمين من الخلف، وخسر المسلمون وأصيب الرسول بسبب أن بعض المسلمين خالفوا النظام الذي وضعه الرسول ﷺ في المعركة.

### نظام أبي بكر

انظر إلى سيرة أول الخلفاء الراشدين الصديق أبي بكر ؓ؛ عندما تولى الخلافة وجد أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية قد ارتدت أو قررت منع الزكاة بسبب أن الإيمان لم يستقر في قلوبهم، وكان أبو بكر مثالا في النظام قال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. وأرسل أبو بكر الجيوش لقتال المرتدين ومانعي الزكاة للمحافظة على نظام وأحكام الإسلام.

وكان عمر بن الخطاب ؓ عبقرية فذة في الإدارة والنظام، فقد استطاع أن يبني دولة إسلامية منظمة، ودون الدواوين.

ووضع التقويم الهجري ليكون للمسلمين تاريخهم الذي يحسبون به السنين بدءا من الهجرة.

لا تحف من الفشل، كثير من الناس يتجنب التخطيط ووضع الأهداف مخافة الفشل، و لو حاولوا لنجحوا، بل إن من يحاول تزداد خبرته ولو لم ينجح، فالمعرفة والخبرة التي

(١) أبو بكر الصديق للصلاحي ٤٣٩، ٤٤٠.

ستكتسبها في سعيك لتحقيق هدف ما يمكن أن تساعد على تحقيق هدف ربما أكبر من السابق.

### الأسقف الأمريكي الذي أسلم بسبب النظام

كان مسئولاً عن إعداد برامج التوجيه الديني في ولاية نيوجرسي..

يقول: حين حضرت إلى مصر في شهر رمضان شاهدت المجتمع المصري منتظماً في أسلوب حياته القائم على أساس من الدين فالناس يذهبون إلى المسجد عند سماع الأذان، ويتطهرون بماء الوضوء ثم يقفون في صفوف منتظمة، وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة، وظننت في بداية الأمر أن هناك قانوناً يقضي بحظر التجوال بعد الغروب، ولكنني عرفت السبب بعد ذلك.

فالمجتمع إذن منظم على أساس الدين، يكفي أنه قد شد انتباهي الأمن والأمان السائدان في شوارع القاهرة، فالناس يسرون في أمان في حين أن عندنا في نيويورك مثلاً يوجد كل يوم ثمانية قتلى في الشوارع، مع أن الأمريكيين لا يسرون في الشوارع ليلاً خوفاً على حياتهم.

إنه برغم اقتناعي الكامل بالإسلام كدين خاتم يجب أن يؤمن به الناس جميعاً، فإنني ترددت أربعة أشهر قبل أن أعلن إسلامي، لأنه من الصعب على الإنسان أن يغير دينه.

وفي نبرة سعادة خفية قال: وفي لحظة اعتنقي للإسلام شعرت أنني أدخل عالماً نورانياً يسمو بالروح والنفس وذلك حينما تسلمت شهادة إشهاري للإسلام، فقد شعرت بأنني حصلت على أعلى شهادة في الدنيا وأحسست في الوقت ذاته أنني ألقى عن كاهلي عبئاً ثقيلاً من المهموم والقلق والشكوك والشقاء.. نعم شعرت بسعادة غامرة لم أشعر بها من قبل<sup>(١)</sup>.

### انضباط في المواعيد

في عام ١٩٥٣م زار الأستاذ الهضيبي طهطا بسوهاج وكان في البرنامج زيارة المعهد الديني، وكان موعد حضور السيارة الساعة الثامنة صباحاً، وفي تمام الثامنة كان الأستاذ المرشد عند البوابة، فقال الإخوان: إن السيارة لم تأت يا أستاذ، فأجاب: هيا إلى المعهد، وسار على قدمه مع كبر سنه ليحضر في مواعده<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيفة اللواء الإسلامي ٢٧/١٠/١٩٨٨: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء (١/١٥٠).

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين ١١٣، ١١٤.



## هكذا كانوا

أبو بكر بن الأنباري قال: كان أبو عبيد القاسم بن سلام يقسم الليل ثلاثاً: فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويضع الكتاب ثلثه.

وكان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام.

خط رسول الله الخندق وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً، فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلاً قويا، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: لا، بل سلمان منا، فقال رسول الله: «سلمان منا أهل البيت».

## آفات قاتلة للنظام

## الغفلة:

يدين القرآن أولئك الذين يهتمون بظاهر العلم دون حقيقته فيقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿[الروم: ٦، ٧].

## التسوييف:

لأنك لا تضمن أن تعيش إلى غد... دعا أحد الأمراء رجلاً إلى الطعام فاعتذر بأنه صائم فقال الأمير: أظطر وصم غدا، قال: وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد؟

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري	إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة	وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح آمناً	وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

## إياك والعقوق!

اعلم أن لكل وقت واجباته. قيل لعمر بن عبد العزيز وقد بدا عليه الإرهاق من العمل: آخر هذا إلى الغد، فقال: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟! واعلم أخي الحبيب أن العمل هو مهمة الإنسان الحي فالمرء الذي لا يعمل لا يستحق الحياة.

نعيب زماننا والعيب فينا  
وما لزماننا عيب سوانا  
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب  
ولو نطق الزمان بنا هجانا  
يقول الحسن البصري: أدركت أقواما كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه،  
وقال حكيم: من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله (ورثه) أو  
حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه.

### فن الراحة

من تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس تسأم بطول الجهد،  
والقلوب تمل كما تمل الأبدان، فلا بد من قدر من اللهو والترفيه المباح كما قال علي:  
روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي.

ينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أو  
دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على الأهم، ولا غير  
الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوباً بصفة عاجلة يجب أن يبادر به ويؤخر ما ليس له  
صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته.

وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من الناس من أصحاب  
المسئوليات، لتزاحم الأعباء عليهم، حتى إنهم ليشعرون أن الواجبات أكثر من الأوقات.  
ولا يحسن بالإنسان أن يرهق نفسه بالعمل إرهاقاً يضعف من قوته، ويحول دون  
استمرار مسيرته، ويحيف عن حق نفسه، وحق أهله، وحق مجتمعه، ولو كان هذا الإرهاق  
في عبادة الله تعالى صياماً وقياماً وتنسكاً وزهداً.

### حوار مع لحظة

جلست يوماً بين يدي الله تعالى نادماً على أوقات قد سلفت من عمري واستدعيت  
لحظة من لحظات حياتي..

فقلت لها: أريدك أن ترجعي إلي حتى أستغلك بالخير.

قالت: إن الزمان لا يقف محايداً أبداً.

قلت: يا لحظة، أرجوك ارجعي إلي حتى أنتفع بك، وأعوض تقصيري فيك.

قالت: وكيف أرجع وقد غطتني صفحات أعمالك.

قلت: افعلي المستحيل وارجعي، فكم من اللحظات قد ضيعتها بعدك؟

قالت: لو كان الأمر بيدي لرجعت، ولكن لا حياة لمن تنادي، وقد طويت صحائف أعمالك، ورفعت إلى الله تعالى.

قلت: وهل يستحيل رجوعك إلي وأنت تخاطبيني؟

قالت: إن اللحظات في الحياة إما صديقة ودودة تشهد لصاحبها وإما عدوة لدودة تشهد عليه، وأنا من اللحظات التي هي من أعدائك والتي تشهد عليك يوم القيامة، فكيف يجتمع الأعداء؟

قلت: يا حسرتي على ما ضيعت من عمري من لحظات! ولكنني أرجوك ارجعي إلي حتى أعمل فيك صالحا فيما تركت..

وسكتت اللحظة.

فقلت: يا لحظة، ألا تسمعينني؟ أجيبي أرجوك.

قالت: يا غافلا عن نفسه، يا مضيعا لأوقاته، ألا تعلم أنك الآن من أجل إرجاع لحظة قد ضيعت لحظات من عمرك، فهل عساك أن ترجعها كذلك، ولكن لا أقول إلا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فبادر يا... واعمل واجتهد واتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن<sup>(١)</sup>.

### كيف تنظم وقتك

- ١- ضع خطتك الأسبوعية في متناول يدك وأنت تعد قائمة أعمالك اليومية.
- ٢- ضع قائمتك في نفس الوقت من كل يوم.. اقض بضع دقائق بعد نهاية اليوم أو قبل ابتداء العمل في اليوم التالي في وضع القائمة.
- ٣- لا تضع أكثر من قائمة واحدة فقط تكفي واجعل القائمة صغيرة يمكن

(١) الوقت عمار أو دمار، ج ٢.

الاحتفاظ بها في جيبك.

- ٤- الصيغة التي تكتب بها القائمة لا تهتم كثيرا، المهم إعداد القائمة.
- ٥- يجب أن تحتوي القائمة على كل مهامك التي تريد إنجازها.
- ٦- قسم وقتك على مهامك اليوم حسب الأولوية.
- ٧- خصص لكل مهمة وقتا محددا لإنجازها.
- ٨- راجع مهامك اليومية مرة أخرى بإلغاء غير الضروري وتفويض ما يمكن تفويضه.
- ٩- لا تجدول كل دقيقة في وقتك، لا بد أن تكون خطتك مرنة.
- ١٠- تعامل جيدا مع الأمور الطارئة.
- ١١- اترك وقتا في برنامجك اليومي للراحة والاسترخاء.
- ١٢- تذكر في النهاية، لا تفرط كثيرا في التنظيم، أنت تضع القائمة لتحافظ على وقتك لا لتضيعه.

#### نصائح لتنظيم مكان العمل

- ١- حافظ على تنظيم جيد للحجرة لا تضع على مكتبك إلا ما تقوم به الآن أو ما ستحتاجه خلال اليوم.
- ٢- حافظ على إضاءة جيدة فوق مكتبك.
- ٣- تأكد من ترتيب الكتب بشكل جيد في مكتبك.
- ٤- رتب أدواتك في أماكنها.
- ٥- رتب خزانةك جيدا.
- ٦- سلة المهملات مهمة جدا للتخلص من أي شيء ليس له أهمية ولن تحتاجه بعد ذلك.

## نفع الآخرين

حث الإسلام على تقديم النفع للآخرين، وجعله قرينة لله عز وجل، وإرضاء له، وبلوغ أعلى المنازل في الجنة، بهذا أخبرنا الصادق المصدوق عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزينا؟ فقال: نعم يا بن عم رسول الله، لفلان عليّ حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، فقال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ - يقصد الاعتكاف - قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب - ودمعت عيناه - يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد ما بين الخافقين» [البيهقي].

### أحب الناس إلى الله

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ فقال: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى يقضيها له، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام» [الأصبهاني].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرض الله له ثواباً دون الجنة» [الطبراني].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من نَفَس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه مسلم].

### الرسول قدوة

عندما نزل الوحي على الرسول ﷺ وعاد إلى السيدة خديجة وقال لها: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروح، فقال لخديجة: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل.

هل تحرص على صلة الرحم، ومساعدة الضعيف، والإحسان إلى الفقراء؟

### الصديق يجلب للحبي:

كان أبو بكر ؓ يجلب للحبي أغنامهم، فلما استخلف - أي أصبح خليفة للمسلمين - قالت جارية منهم: الآن لا يجلبها، فقال أبو بكر: بلى وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله، وكانت عادة العرب أن يجلب الرجال الأغنام وغيرها، ويرون عيباً أن يجلب النساء.

### هجرة أبي بكر

قالت عائشة - رضي الله عنها - : خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى برك الغماد فلقه ابن الدغنة - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يُخرج، ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

### لفتات طيبة

في يوم تلقى الأستاذ البنا برقية من أحد الإخوان يخبره فيها بأنه رزق بمولودة بعد عقم دام سنين، وأنه يرغب من الأستاذ في اختيار اسم لها، وقرأ الأستاذ البرقية على أعضاء مكتب الإرشاد فقال بعض الحاضرين: احنا فاضيين للكلام ده.

فما كان من الإمام إلا أن قال: هذا من صميم دعوتنا. ثم تناول ورقة وقلمًا وحرر برقية نصها: الأخ فلان بارك الله لك في مريم وأنتها نباتاً حسناً وأمر بإبلاغها على الفور<sup>(١)</sup>.

(١) رحلتي مع الجماعة الصامدة (٣٥٠، ٣٥١).

هل تحرص على الوقوف مع إخوانك وقت الشدة والفرح؟ اجعل منصبك لنفع الناس جميعاً.

### فكرة للأستاذ مصطفى أمين حول الأستاذ الهضيبي

عرفت الأستاذ حسن الهضيبي أول ما عرفته في عام ١٩٣٩ وكنت رئيساً لتحرير مجلة آخر ساعة، وأرسلت المفوضية الألمانية بالقاهرة خطاباً إلى وزير الخارجية تحتج عليّ لأنني كتبت مقالا قلت فيه: إن هتلر ديكتاتور، وإن هذه إهانة للفرير، وقانون العقوبات المصري يمنع مهاجمة رؤساء الدول الأجنبية، وطلب الوزير الألماني تقديمي إلى محكمة الجنايات، واتصل وزير الخارجية بوزير العدل، واتصل وزير العدل بالنائب العام، وقرر النائب العام تكليف رئيس النيابة الأستاذ الهضيبي بمقابلتي، واستقبلني رئيس النيابة مقابلة ودية لم أعود أن ألقاها من رؤساء النيابة الذين يحققون معي في قضايا الصحف.

وبدا حديثه وسألني عن أي نوع من القهوة أود أن أشرب، وطلبت «قهوة مضبوط» فطلب لي رئيس النيابة القهوة، ثم طلب واحد ليمون وبعد ذلك قال لي: أنت متهم بأنك أهنت الهر أدولف هتلر رئيس دولة ألمانيا، قالها بهدوء، وبنفس النبرة التي طلب بها واحد قهوة وواحد ليمون، وكأنه يقول: أهلا وسهلا وحشتنا وأنستنا، قلت له: أنا لم أهن هتلر، أنا قلت عنه الحقيقة. قال الهضيبي: أنت قلت إنه ديكتاتور وطاغية وأنه قضى على حقوق الإنسان في ألمانيا؟ وسألت رئيس النيابة: وهل هو ديكتاتور أم لا؟ قال ضاحكاً: المفروض أنني أنا الذي أسألك لا أنت تسألني! قلت: المفروض أن يقول وزير ألمانيا المفروض أنني نسبت إلى هتلر أنه قضى على حرية الصحافة بينما أن الصحافة حرة في ألمانيا، وأنه ملأ بلاده بالمعتقلات، وأنشأ المحاكم الاستثنائية بينما الحقيقة أنه لا معتقلات هناك ولا محاكم استثنائية.

قال الأستاذ الهضيبي: اطمئن إنني لن أقدمك لمحكمة الجنايات لأنني أعتقد معك أنه ديكتاتور، وذمتي لا تقبل أن أقدم بريئاً إلى المحكمة، وكل المطلوب منك أن تقول في التحقيق أنك لا تقصد إهانة هتلر.

وأمر الأستاذ حسن الهضيبي بفتح المحضر، وسألني هذا السؤال وأملى على كاتب

التحقيق الإجابة، وأمرني بالانصراف ولم يطلب مني أن أدفع كفالة كما طلب النائب العام.

ولاحظت وأنا أتحدث إلى الهضيبي أنه رجل قليل الكلام، نتوهم أنه صارم بينما هو رجل رقيق، هادئ، فيه طيبة ممتزجة بالذكاء الحاد، قوي الملاحظة، ثم عرفته بعد ذلك في سجن ليমান طره. حيث كانت زنزانتة بجوار زنزانتي.

جذبي صموده وقوة احتماله، يقابل البطش بابتسامة سخرية، ويرد على الظلم بالإيمان، يناقشك بهدوء، لا يغضب، ولا يجتد ولا يشكو، حرموه عدة شهور من أن يتلقى أي خطاب من زوجته وبناته، وكان أولاده مسجونين في سجن آخر، وكلفت إحدى تلميذاتي أن تتصل بابنته المدرسة بكلية طب القصر العيني لتقول لها: إن والدها بخير، وهذه هي الرسالة الوحيدة التي رضي أن أحملها لأسرته<sup>(١)</sup>.

#### من المواقف المؤثرة

كان ذلك عام ١٩٤٥ قبل عيد الفطر بأسابيع، إذ تقدم أخ فقال لإخوانه: أيكم يحتاج إلى أي شيء بمناسبة العيد؟ فقال له الأخ: أنا أحتاج إلى بدلة وأريد أن ترشدني إلى ترزي يفصل لي بدلة بالتقسيط، فقال له الأخ: غدا أرشدك، ثم ذهب الأخ المسئول إلى ترزي له صلة بالإخوان وقال له: إن الأخ سوف يأتيك كي تقوم بتفصيل بدلة له، فلا تأخذ منه أي شيء، وسوف أقوم أنا بتسديد قيمة البدلة لك، ولبس الأخ البدلة في العيد، وسأله الإخوان من أين اشترت القماش ومن الذي قام بالتفصيل، فيقول: من عند الترزي فلان، فيذهب الإخوان لهذا الترزي ويطلبون مثل ما طلب الأخ، ولكنهم يكتشفون أن هذا الترزي لا يفصل بالتقسيط، وأن الأخ المسئول قام بدفع القيمة كاملة ثم أخذ من الأخ المبلغ على دفعات دون أن يعرف حقيقة الأمر، وكانت هذه القصة دليلاً صارخاً على أسى معاني الحب والإيثار<sup>(٢)</sup>. فهل تحرص على إثارة إخوانك بمالك؟

#### كريم رغم الفقر

كان العز بن عبد السلام رغم فقره كريماً كثير الصدقات، فيحكى أنه لما كان بدمشق،

(١) حكايات عن الإخوان (٢/١٧-١٩)، والأخبار ١٢ يونيو ١٩٨٦ م.

(٢) حكايات عن الإخوان (١/٢٤) بتصرف.



وحدثت ضائقة، وعانى الناس من قلة المال، وانخفضت أسعار البساتين فأعطته زوجته مصاعها، وقالت: اشتر لنا بثمانه بستاناً نصيف فيه، فأخذ المصاغ وباعه وتصدق بثمانه، فسألته زوجته: هل اشتريت لنا بستاناً؟

قال: نعم، بستاناً في الجنة، إني وجدت الناس في شدة فتصدقت بثمانه.

فقالت: جزاك الله خيراً<sup>(١)</sup>.

### مساعدة عاجلة

يقول أحد تلامذة الشيخ أحمد ياسين (د. عبد الله محمد): كنت أزوره في بيته يوماً مع بعض الزملاء، وقد كان مجلسه ممتلئاً بالضيوف كالعادة، يطرقون بابه باستمرار لزيارته أو استشارته في أمورهم الخاصة والعامة أو الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه من مسائل، واستمرت الجلسة إلى ساعة متأخرة من الليل، وقد بدا على الشيخ التعب والإرهاق، فهو يستقبل الناس من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد منتصف الليل أحياناً، وإذا بالبواب يطرق بشدة ويدخل بعض الأشخاص يستنجدون بالشيخ أن يساعدهم لأن قريباً لهم في حاجة إلى عملية جراحية عاجلة، وليس لهم إلا الشيخ ليتوسط لدى الطبيب المختص الموجود في مدينة خان يونس، ويستأذن الشيخ من الحضور ويذهب معهم ليطمئنهم ويواسيهم، وكان بإمكانه أن يرسل معهم ورقة توصية للطبيب أو أن يدعو لهم ويتركهم يذهبون وحدهم، وهو المريض الذي يحمله أصحابه للركوب في السيارة أو النزول منها.

\*\*\*

(١) أعلام المسلمين: ١٢١.

## الخاتمة ويوم القيامة

قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» [البخاري].  
وكان أئمة السلف يخافون من مكر الله تعالى بهم، ويسألونه حسن الخاتمة، ويستعيذونه من سوء الخاتمة.

قال الحافظ ابن رجب: وكان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقال سفيان الثوري لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علم الله فيك؟

فقال الرجل: تركني لا أفرح أبداً.

وكان سفيان يشتد قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أسلب الإيمان.

وكان مالك بن دينار يظل طول ليله قابضاً على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين دار مالك.

وقال ابن القيم: أما خوف أوليائه من مكره فحق، فإنهم يخافون أن يخذلهم بذنوبهم وخطاياهم فيصيروا إلى الشقاء، فخوفهم من ذنوبهم ورجاؤهم لرحمته. وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] إنما هو في حق الفجار والكفار، ومعنى الآية: فلا يعص ويأمن مقابلة الله له على مكر السيئات بمكره أن يؤخر عنهم عذاب الأفعال، فيحصل منهم نوع الاغترار، فيأنسوا بالذنوب فيجيئهم العذاب على غرة<sup>(١)</sup>.

فهذه رسالة مختصرة في حسن وسوء الخاتمة، ليعمل كل منا لأخوته، ونسأل الله أن يحسن خاتمتنا.

**وفاة الرسول:**

الرسول ﷺ في اللحظة الأخيرة يقول: بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، عندما خيره ملك الموت بين الدنيا وبين لقاء الله.

**وفاة أبي بكر الصديق:**

أبو بكر الصديق ؓ عندما جاءه الموت بكت السيدة عائشة وأخذت تقول الشعر، فقال لها: ما هكذا يا بنتي بل اقرئي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩]. يعني يقدم النصيحة وقت موته.

**وفاة عمر بن الخطاب:**

عمر بن الخطاب ؓ قال: ضعوا خدي على التراب لعل رب عمر يرحم عمر، ويدخل شاب يجرجر ملابسه، وكان النبي ﷺ نهى عن ذلك.. فنصحه عمر: يا بني ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك وأطهر لثوبك.

**وفاة عثمان بن عفان:**

رأى عثمان بن عفان ؓ رؤيا قال له الرسول ﷺ: أتحب أن تفطر عندنا الليلة، فقال: نعم يا رسول الله، فأصبح صائماً ويموت وهو يقرأ القرآن.

**وفاة علي بن أبي طالب:**

استشهد علي بن أبي طالب ؓ في صلاة الفجر وقال عن قاتله: أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت. وفي رواية: إن مت فاقتلوه ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.

**وفاة معاوية بن أبي سفيان:**

معاوية بن أبي سفيان ؓ يبكي ويقول: أتذكر الله الآن يا معاوية، اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي.

**وفاة معاذ بن جبل:**

لما حضرت معاذ بن جبل ؓ الوفاة قال: اللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك،

اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظماً لهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء عند حلق الذكر.

ولما اشتد به النزع قال: اللهم إنك تعلم أن قلبي يجبك.

**وفاة بلال بن رباح:**

لما حضرت بلال الوفاة: قالت امرأته: واحزنانه.

فقال: بل واطرباه! غداً ألقى الأحبة؛ محمداً وصحبه.

**وفاة الأصيرم:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟

فيقول: أصيرم بن عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟

قال: كان يأبى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خرج رسول الله إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراح. وقال: فينا رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؟ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ثم أخذت سيفي، فغدوت مع رسول الله، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله، فقال: «إنه لمن أهل الجنة».

الله أكبر، ما جاء بك يا أصيرم؟ جاء بي أنني أعلنت الحق وصرت جندياً من جنوده، فجئت للموت في سبيله، فاستحق رضي الله عنه هذا الوسام من سيد الأولين والآخرين: «إنه لمن أهل الجنة».

**وفاة سعد بن أبي وقاص:**

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عمّر طويلاً وأفاء الله عليه من المال الشيء الكثير، لكنه حين أدركته الوفاة دعا بجملة من صوف بالية وقال: كفتوني بها، فإني لقيت بها المشركين

يوم بدر، وإني أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضاً.

### وفاة عروة بن الزبير:

عاش عروة بن الزبير واحداً وسبعين عاماً مترعة بالخير، حافلة بالبر، مكلمة بالتقى، فلما جاءه الأجل المحتوم أدركه وهو صائم، ولقد ألح عليه أهله أن يفطر فأبى، لأنه كان يرجو أن يكون فطره على شربة من نهر الكوثر في قوارير من فضة بأيدي الحور العين.

### وفاة أبي هريرة:

لما مرض أبو هريرة ﷺ مرض الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكنني أبكي لبعث السفر وقلة الزاد، لقد وقفت في نهاية طريق يفضي بي إلى الجنة أو النار، ولا أدري في أيهما أكون. وقد عاده مروان بن الحكم، فقال له: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي، وعجل لي فيه. فما كاد يغادر مروان حتى فارق الحياة.

### وفاة عبد الملك بن مروان:

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسل بجانب دمشق فقال عبد الملك: ليتني كنت غسلاً أكل من كسب يدي يوماً بيوم، ولم آل من أمر الدنيا شيئاً، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجددك يا أمير المؤمنين؟

قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

### وفاة عمر بن عبد العزيز:

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنتاً وأظهر بك عدلاً!

فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسال عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت

على نفسي ألا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقتها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعناه، وفاضت عيناه.

ولما قرب موته، قال: أجلسوني! فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت. ونهيتني فعصيت ثلاث مرات.

#### وفاة هارون الرشيد:

حكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند موته، وكان ينظر إليها ويقول: ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه.

#### وفاة المأمون:

قال المأمون عندما حضرته المنية: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

#### وفاة ابن المنكدر:

لما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: والله ما أبكي لذنبي أعلم أنني أتيت، ولكني أخاف أنني أتيت شيئاً حسبته شيئاً وهو عند الله عظيم.

#### وفاة عامر بن عبد القيس:

لما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى، فقيل: ما يبكيك؟

قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكني أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء.

#### وفاة الجنيد:

قيل للجنيد: قل لا إله إلا الله.

قال: ما نسيتَه فأذكره.

قال الجريري واصفاً وفاة الإمام الجنيد: كنت واقفاً على رأس «الجنيد» في وقت وفاته وهو يقرأ القرآن فقلت له: ارفق بنفسك.

فقال لي: يا أبا محمد، رأيت أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، وها أنا ذا تطوى

صحيفتي وكان قد ختم القرآن الكريم ثم بدأ بالبقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله.

### وفاة أحد التابعين:

أحد التابعين وهو يموت قال: وضئوني ثم نسوا خلخلة الماء في لحيته، وهي سنة، فقال: انتظروا وأتونني بالماء، وخلل الماء في لحيته ليحافظ على سنة النبي ﷺ.

وقيل لبعض الصالحين عند موته: ما يبكيك؟

قال: إنما يتقبل الله من المتقين.

وفاة أثناء السجود: توفى أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد الفقيه وهو ساجد في صلاة الفجر في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

أحرص على كثرة السجود لعل الله يكرمك فتموت بعدها أو خلالها

وفاة أثناء الصيام: قال أبو إسحاق النيسابوري لابنه إسحاق حين وفاته: يا إسحاق، ارفع الستر. قال: يا أبت الستر مرفوع. قال: أنا عطشان، فجاءه بماء. قال: غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فردوه ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت روحه.

أحرص على صيام النوافل

### أحس باقتراب أجله

روى أن أحد الصالحين حين أحس بدنو أجله قام فاغتسل وتطيب وصلى ركعتين، وما هي إلا برهة حتى دخلوا عليه فوجدوه قد مات مستقبلاً القبلة، وعند رأسه ورقة كتب فيها هذه الأبيات:

فبكوني ورثوني حزناً  
ليس هذا الميت والله أنا  
كان ثوبي وقميصي زمناً  
طرت عنه وبقى مرتهناً  
وبنى لي في المعالي سكناً  
إنه ليس إلا نقلة من ها هنا!

قل لإخوان رأوني ميتاً  
أتظنون بأنني ميتكم؟  
أنا في الصور وهذا جسدي  
أنا عصفور وهذا قفصي  
أحمد الله الذي خلصني  
لا تظنوا الموت موتاً

قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد.  
رحم الله من كانت خاتمة في الصلاة في المسجد.

### وفاة محمد بن واسع:

لما مرض محمد بن واسع الأزدي مرض الموت، تكاثر الناس على عيادته حتى غص منزله بالداخلين عليه والخارجين، والقائمين في منزله والقاعدين، فمال بشقه على أحد خواصه وقال: أخبرني ما يغني عني هؤلاء إذا أخذنا غداً بالنواصي والأقدام؟ وما ينفعونني إذا ألقيت في النار؟

ثم أقبل على ربه وجعل يقول: اللهم إني أستغفرك من كل مقام سوء قمته، ومن كل مقعد سوء قعدته، ومن كل مدخل سوء دخلته، ومن كل مخرج سوء خرجته، ومن كل عمل سوء عملته، ومن كل قول سوء قلته، اللهم إني أستغفرك من ذلك كله، فاغفره لي وأتوب لك منه، فُتِبَ عليّ، وألقى إليك السلام قبل أن يكون لزاماً، ثم فاضت روحه.

### خاتمة الصالحين:

أبو شامة صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، توضأ ثم تشهد وهو جالس، وقال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لقنني الله حجتي وأقال عثرتي ورحم غيبي. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنه حضرت الملائكة، ثم انقلب ميتاً.

وقال أحدهم عند موته: يا سيدي أمهلي، أنا مأمور وأنتم مأمورون، ثم سمع المؤذن للعصر، فقلت: يا سيدي المؤذن يؤذن، فقال: اجلسوني، فجلس فأحرم بالصلاة، ووضع يده على الأخرى وصلى، ثم توفى من ساعته.

وهذا الربيع بن زياد يتولى أمر خراسان بأمر معاوية بن أبي سفيان، وهو غير منشرح الصدر، وبعد إحدى المعارك يرسل إليه زياد بن أبيه أحد ولاة بني أمية كتاباً يقول: إن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان يأمرك أن تستبقي الأصفر والأبيض من غنائم الحرب لبيت مال المسلمين، وتقسم ما سوى ذلك بين المجاهدين.

فكتب إليه يقول: إني وجدت كتاب الله عز وجل يأمر بغير ما أمرتني به على لسان أمير المؤمنين، ثم نادى في الناس: أن اغدوا على غنائمكم فخذوها، ثم أرسل الخمس إلى دار الخلافة في «دمشق».



ولما كان يوم الجمعة الذي تلا وصول هذا الكتاب، خرج الربيع بن زياد إلى الصلاة في ثياب بيض، وخطب الناس خطبة الجمعة، ثم قال: أيها الناس إنني قد مللت الحياة، وإنني داع بدعوة، فأمنوا على دعائي، ثم قال: اللهم إن كنت تريد بي خيراً فاقبضني إليك عاجلاً غير آجل، فأمن الناس على دعائه، فلم تغب شمس ذلك اليوم حتى لحق الربيع ابن زياد بجوار ربه.

وها هو الشيخ أحمد ياسين استشهد بعد أداء صلاة الفجر في المسجد جماعة بالرغم من مرضه الشديد والشلل الكامل، وهكذا رزقه الله حسن الخاتمة.

وفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة خرج السلطان مظفر الحلیم الكجراتي على مصلى العيد للاستسقاء وتصدق، وتفقد ذوي الحاجة على طبقاتهم، وسألهم الدعاء، ثم تقدم للصلاة، وكان آخر ما دعا به: اللهم إنني عبدك ولا أملك لنفسي شيئاً، فإن تكن ذنوبي حبست القطر عن خلقك فهذه ناصيتي بيدك! فأغثنا يا أرحم الراحمين، قال هذا ووضع جبهته على الأرض واستمر ساجداً يكرر قوله: يا أرحم الراحمين، فما رفع رأسه إلا وهاجت ريح، ونشأت بحرية ببرق ورعد ومطر، ثم سجد لله شكراً، ورجع من صلاته بدعاء الخلق له وهو يتصدق بالمال يميناً وشمالاً.

وكان رحمه الله يقول: نظرت فيما أوثر به أولي الاستحقاق من الإنفاق، فإذا أنا بين إفراط في صرف بيت المال وتفريط في منع أهله، فلم أدر إذا سئلت عنهما بم أجيب.

وفي آخر أيامه وكان يوم الجمعة قال: أما صلاة الظهر فأصليها عندكم، وأما صلاة العصر فعند ربي في الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أذن للحاضرين في صلاة الجمعة واستدعى مصلاه وصلى، ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب منيب إليه، دعاء من هو مفارق القصر مشرف على القبر، ثم كان آخر دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقام من مصلاه وهو يقول: أستودعك الله، واضطجع على سريره وهو مجتمع الحواس ووجهه يلتفت إلى القبلة وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفاضت نفسه والخطيب على المنبر يدعو له، وفي ذلك عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد<sup>(١)</sup>.

(١) من يظلمهم الله: (١/٢٢٦).

## سوء الخاتمة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقيل: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان! فقال الرسول: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه.. قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على نفسه، فقتل نفسه، فخرج الرجل رفيقه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال الرسول: «ما ذاك» قال: الرجل الذي ذكرت أنك من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثديه ثم تحامل عليه فقتل نفسه.

وقد ارتد عن الإسلام في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض من آمن، ومنهم عبيد الله بن جحش، الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة مع أوائل من هاجروا، فارتد عن دينه، وتنصر ومات على نصرانيته.

وربيعة بن أمية بن خلف وكان من عداد الصحابة، ثم شرب الخمر فحده عمر ثم نفاه إلى خيبر، ففر هارباً إلى هرقل، وارتد عن دينه ودخل في النصرانية.

## وفاة مرتد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل نصرانياً فأسلم، وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم، نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه. [البخاري ومسلم].

### خاتمة عبيد الله بن جحش

تقول أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان: رأيت في النوم عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة وأشوهه، ففزعت، فقلت: تغيرت والله حاله، فإذا هو يقول حيث أصبح: يا أم حبيبة، إنني نظرت في الدين فلم أر شيئاً خيراً من النصرانية.

فقلت: والله ما خير لك، وأخبرته بالرؤيا التي رأت له، فلم يحفل بها، وأكب على الخمر حتى مات، فأري في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت فأولتها أن رسول الله يتزوجني.

### وفاة العصاة

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلحن الشهادة لا إله إلا الله، فقال في آخر ما قال: أنا كافر بما تقول ثم مات على ذلك. قال: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر.

قيل لآخر: قل لا إله إلا الله فجعل يغني.

ومن سنوات جرت حادثة في القصيم بالسعودية، وحاصلها أن رجلاً في حال احتضاره ظهر عليه من الاعتراض على ربه ما ظهر، فجاء بعض أصحابه ممن كان يصلي معهم في المسجد والله أعلم بما في القلوب، وقال: يا عبد الله، هذا المصحف الذي كنت تقرأ فيه، فاتق الله في نفسك، ولقنه كلمة التوحيد، فقال: أنا كافر بالمصحف وبلا إله إلا الله، وختم له على ذلك الحال.

### وفاة الزناة

يقول راوي القصة: صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلباً للرزق شاب صالح، نقي السريرة، طيب الخلق، كنا نرى التقوى في قسماات وجهه، والنور والبشر يرتسمان على محياه، لا تراه إلا متوضئاً مصلياً، أو ناصحاً مرشداً، وإن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشده.

وألقي بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند فنزلنا إليها، وكان مما تعود عليه البحارة أن يستقروا أياماً يرتاحون فيه، ويستجمون بعد عناء السفر الطويل، يتجولون في أسواق

المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة في الليل، وكان منهم نفر ممن وقع في الضلال، يتيم بأماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبداً، بل يقضي هذه الأيام يصلح في السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح، فيقتل الحبال ويلفها، ويقدم الأخشاب ويشدها ويشغل بالذكر والقرآن والصلاة وعينه تفرق بالدموع وتنحدر على لحيته.

وفي إحدى السفرات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له في السفينة ممن اتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول: صاحبي، لم أنت جالس في السفينة لا تفارقها؟ لم لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك؟ ترى ما يشرح الخاطر ويؤنس النفس! أنا لم أقل لك تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله، ولا إلى البارات وغضب الله، هيهات يا صاحبي، لكن تعال؛ فانظر إلى مُلاعب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطوم له سلماً ثم يصعد برجليه ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة، وآه لو رأيت من يمشي على المسامير أنى له الصبر، ومن يلقم الجمر كأنما هو تمر، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات، يا أخي انزل وانظر الناس!

فتحرت نفس الشاب شوقاً لما سمع، فقال: وهل في هذه الدنيا ما تقول.

قال صاحب السوء: نعم، وفي هذه الجزيرة، فانزل تراً ما يسرك، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه، وتجولا في أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره وقال: سأتيك بعد قليل ولكن! إياك إياك أن تقترب من الدار. جلس الشاب بعيداً عن الباب يقطع الوقت قراءة وذكرًا، وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية ليفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلاباب الحياء والمروءة، أواه إنه الباب نفسه الذي دخل فيه الرجل.

تحركت نفس الرجل فدنا من الباب ويصيخ سمعه لما يدور في البيت، إذا به يسمع صيح أخرى، فنظر من شق الباب ويتبع النظر أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى، وهو يرى شيئاً لم يألفه ولم يره من قبل، ثم رجع إلى مكانه ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكراً: ما هذا؟! ويحك، هذا أمر يغضب الله ولا يرضيه.

فقال الرجل: اسكت يا أعمى يا مغفل، هذا أمر لا يعينك.

ورجعا إلى السفينة في ساعة متأخرة من الليل، وبقي الشاب ساهراً ليلته تلك، مشتغل الفكر فيما رآه، قد استحكهم سهم الشيطان من قلبه، وامتلكت النظرة زمام فؤاده، فما إن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة، وما في باله إلا أن ينظر فقط، ولا شيء غير أن ينظر، وذهب إلى ذلك المكان، فما أن نظر نظرتة الأولى وأتبعها الثانية، حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك، واليوم الذي بعده كذلك، فافتقده ربان السفينة وسأله عنه: أين المؤذن؟ أين إمامنا في الصلاة؟ أين ذلك الشاب الصالح، فلم يجبه من البحارة أحد، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه فوصل إلى علم الربان ممن ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له: ألا تتقي الله؟ ألا تحشى عقابه؟ عجل اذهب فأحضره، فذهب إليه مرة دون مرة ولكن دون جدوى، فلم يستطع إحضاره لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة رجال أن يحضروه قسراً، فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة.

وأجرت السفينة راجعة إلى البلاد ومضى البحارة إلى أعمالهم، وأخذ ذلك الشاب في زاوية من السفينة يبكي ويئن حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء، ويقدمون له الطعام فلا يأكل، وبقي على حاله البائسة هذه بضعة أيام، وفي ليلة من الليالي ازداد بكاءه ونحيبه، ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام، فجاءه ربان السفينة وقال له: يا هذا اتق الله، ماذا أصابك؟ لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام، ويحك ما الذي بدل حالك؟ ويحك ما الذي دهاك؟

فرد عليه الشاب وهو يتحسر: دعني فإنك لا تدري ما الذي أصابني؟

فقال الربان: وما الذي أصابك؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته، وإذا الدود يتساقط من سوائه، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال: أعوذ بالله من هذا، وقام عنه الربان، وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات وهو ممسك خشب السفينة بأسنانه، استرجع القوم وسألوا الله حسن الخاتمة، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر.

### وفاة أليمة

شاب كان يلهو مع أصدقائه فاكتشفوا أنهم نسوا الخمر، فقال لهم: أنا ذاهب لأحضرها، وتأخر كثيراً، فذهب آخر فوجد الشاب في سكرات الموت بعد أن اصطدم بسيارته في حادث.

ورجل على طائرة جاءت به سكرات الموت، والراكب بجواره يقول له: قل لا إله إلا الله.

فيرد عليه: هات الشنطة.

فيقول له: قل لا إله إلا الله فيكرر عليه نفس الرد، حتى صرخ فيه بعنف وقال له: قل لا إله إلا الله أنت تموت. قال: البتاعة دي مش عارف أقولها.

### وفاة مدخن

قال محمد بن البرزنجي المدني الشافعي: رأيت من يشرب الدخان يقولون أمامه عند النزاع أي عند الموت وخروج الروح: لا إله إلا الله.

فيقول: هذا تنن حار!! والتتن: هو الدخان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم أحسن ختامنا وتوفنا مسلمين<sup>(١)</sup>.

وعن محمد الفلاني المغربي: أن رجلاً في المدينة المنورة أخبره أن أخاه احتضر، فجعل يلقيه الشهادة، فقال له: يا أخي إن الملك أمسك بلسانك ويقول: لا أدعك تنطق بالشهادة، لأنك كنت تؤذيني بالتتن (السجائر).

فاعمل أخي المدخن ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين<sup>(٢)</sup>.

### وفاة المفسدين

في سنة ٥٥٠ هـ كان أحمد بن الحريري يعذب الناس بين يديه، يعلق الرجال بأرجلهم والنساء بأثدائهن، ويومئ إلى الجلاد: الرأس والوجه.

فهذه هي أعماله السيئة، فقد كان في سباق إلى الشيطان، الذي يخطط له ويزين له

(١) السجارة مقبرة المدخنين: ٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥.

أعماله، فينفذ هذا الظالم تلك المخططات ويحسب أنه يحسن صنعا، حتى توفي وفاة سيئة، وخسف الله بقبوره.

ودخل أحمد الحريزي الحمام فدخل عليه ثلاثة فضربوه بالسيف حتى قطعوه، فحمل إلى بغداد ودفن بها، فأصبح وقد خسف بقبوره<sup>(١)</sup>.

### أي موتة هذه؟

في الكويت كان شاب همه الكأس والغانية، ثم تطور حاله إلى الحشيش والمخدرات، فجاء اليوم الذي ودع فيه الحياة، فشرب في ذلك اليوم شرباً كثيراً حتى سكر، فلم يكذب يميز بين سماء أو أرض، وزاد في شربه حتى تناول المخدر، وأخذ يلتهم منه حتى تقيأ ما في بطنه كله، ومات بعد ذلك. فأبي موتة هذه؟!<sup>(٢)</sup>

### وجهه أسود

شخصية كويتية دائمة السفر إلى بلاد جنوب آسيا كل صيف، وبالأخص إلى دولة «تايلاند» وقد كان متزوجاً ولديه أطفال، وعمره لم يناهز الثلاثين عاماً.. إلا أنه ما زال على عاداته القديمة، لا يفكر إلا في شهوته وملذاته، سواء أكانت في الحلال أم في الحرام.. لقد سافر من دولة الكويت ووجهه أبيض من بياض البيض، وكله شباب وقوة، وفي إحدى الليالي الساهرة هناك تعرف على راقصة عاهرة فرافقها إلى إحدى الشقق وكان بانتظاره «ملك الموت»، فما إن قرب منها وجاءت اللحظة الحاسمة. نادى النادي: الرحيل.. الرحيل.. فقبضه ملك الموت ورجع إلى بلده محملاً بالتابوت، وفتح التابوت وإذا بالمفاجأة الكبرى.. وهي أن وجهه أصبح لونه أسود من سواد القار<sup>(٣)</sup>.

### وفاة تارك الصلاة

قال أحد الفضلاء: كنا في رحلة دعوية إلى الأردن، وفي ذات يوم وقد صلينا الجمعة في أحد مساجد مدينة الزرقاء، وكان معنا بعض طلبة العلم، وعالم من الكويت، وبينما نحن جلوس في المسجد وقد انصرف الناس، إذا بقوم يدخلون باب المسجد بشكل غير

(١) الوقت عمار أو دمار (٢/٨٨-٨٩).

(٢) الوقت عمار أو دمار (٢/٩٠).

(٣) الوقت عمار أو دمار: (٢/٩٠، ٩١).

طبيعي، وهم يصيحون: أين الشيخ؟! أين الشيخ؟!!!

وجاءوا إلى الشيخ الكويتي، فقالوا له: يا شيخ، عندنا شاب توفي صباح هذا اليوم عن طريق حادث مروري، وإننا عندما حفرنا قبره ووضعناه فيه إذا بنا نفجاً بوجود ثعبان عظيم في القبر. ونحن الآن لم نضع الشاب وما ندري كيف نتصرف؟

يقول الراوي: فقام الشيخ وقمنا معه، وذهبنا إلى المقبرة، ونظرنا في القبر فوجدنا فيه ثعباناً عظيماً قد التوى رأسه من الداخل وذنبه من الخارج، عينه بارزة يطالع الناس.

يقول الراوي: فقال الشيخ: دعوه، واحفروا له مكاناً آخر، يقول: فذهبنا إلى مكان آخر بعد القبر الأول بمائتين متر تقريباً، فحفرناه، وبينما نحن في نهايته إذا بالثعبان يخرج، فقال الشيخ: انظروا القبر الأول، فذهبنا إلى الأول فإذا بالثعبان قد اخترق الأرض وخرج من القبر الأول مرة أخرى.

قال الشيخ: لو حفرنا ثالثاً ورابعاً، سيخرج الثعبان، فما لنا حيلة إلا أن نحاول إخراجه.

فجئنا بأسياخ وعصى فأنحمل معنا، وخرج من القبر، وجلس على سفيره، والناس كلهم ينظرون إليه، وأصاب الناس ذعر وخوف، حتى إن بعضهم حصل له إغماء، فحملته سيارة الإسعاف.

وحضر رجال الأمن ومنعوا الاتصال بالقبر إلا عن طريق العلماء وذوي الميت.

يقول الراوي: وبينما جئ بالجنائز، وأدخلت القبر إذا بذلك الثعبان يتحرك حركة عظيمة ثار على أثرها الغبار، ثم دخل من أسفل القبر، فهرب الذين داخل القبر من شدة الخوف، والتوى الثعبان على ذلك الميت، بدأ من رجليه حتى وصل إلى رأسه، ثم اشتد عليه فحطمه، يقول الراوي: إنا كنا نسمع تحطيم عظامه كما تحطم حزمة الكراث.

ثم لما هدأت العبرة وسكن الامر جئنا لننظر في القبر، وإذا الحال كما هي عليه من تلوي ذلك الثعبان على الميت، وما استطعنا أن نفعل شيئاً، وقال الشيخ: اردموه، فدفناه، ثم ذهبنا إلى والده فسألناه عن حال ابنه الشاب؟ فقال: إنه كان طيباً مطيعاً إلا أنه كان لا يصلي!! نعوذ بالله تعالى من سوء الخاتمة.



### وفاة أثناء سماع الأغاني

قال الراوي: حدثني أحدهم قال: كنت مسافراً في دراسة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كان شأني شأن كثير من الشباب الذين يقضون الليل في الملهى والرقص، وذات يوم كنا آيين من هونا وعبثنا، وتقدم بعضنا إلى الإسكان، أما واحد منا فقد استبطنناه وقلنا: لعله يأتي بعد سويعة، ولم نزل ننتظره لكنه لم يأت، فنزلنا نبحت عنه يمينا وشمالاً، ثم قلنا أخيراً: لا بد أنه في الموقف الذي يجعل للسيارة تحت البناء، فدخلنا الموقف فوجدنا أن محرك السيارة ما زال مشغلاً وصاحبنا ساكن لا يتحرك، والموسيقى لا تزال ترن منذ آخر الليل حتى اللحظة التي فتحنا فيها باب السيارة، فتحنا الباب، ونادينا: يا أخانا، يا صاحبنا، فإذا به قد انقطع عن الدنيا منذ اللحظة التي وقفت فيها سيارته في ذلك الموقف، وكانت هذه النهاية المحزنة لذلك الشاب قد أشعلت في قلوب الكثير من أولئك الشباب يقظة وتوبة وإنابة إلى الله تعالى، فعادوا إلى الله تائبين وما شربوا بعدها وما فجروا، بل استكانوا وأتابوا بفضل الله ثم بتدبرهم لحال صاحبهم الذي مات على معصية الله، وكانت نهايته موعظة لمن يريد الاتعاض.

### وفاة في سجدة باطلة

وها هو شاب من أولئك المنحرفين الذين كانوا يسافرون إلى «بانكوك» للفسق والدعارة، بينما كان في سكره وغيه ينتظر خليلته، وقد تأخرت عليه فما هي إلا لحظات حتى أقبلت عليه، فلما رآها خر ساجداً لها تعظيماً، ولم ينهض من تلك السجدة الباطلة إلا وهو محمول على الأكتاف قد فارق الحياة، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

### وفاة في المرقص

وها هم أربعة من الشباب، كانوا يعملون في دائرة واحدة، مضت عليهم سنين وهم يجمعون رواتبهم، فإذا سمعوا ببلد يفعل الفجور طاروا إليه، وبينما هو في ذات يوم جالسين إذ سمعوا ببلاد لم يذهبوا إليها، وعقدوا العزم أن يجمعوا رواتبهم هذه المرة ليسافروا إلى تلك البلاد التي حدودها، وجاء وقت الرحلة وركبوا طائرتهم ومضوا إلى ما يريدون، ومر عليهم أكثر من أسبوع في تلك البلاد وهم بين زنا وخور، وفعال لا ترضى الرحمن، بينما هم في ليلة من الليالي، وفي ساعة متأخرة من الليل، يجاهرون الله تعالى بالمعصية والفجور، نعم بينما هم في غمرة اللهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسقط مغشياً عليه، فيهرع إليه أصحابه الثلاثة فيقول

له أحدهم في تلك الليلة الحمراء.. يقول له: يا أخي قل: لا إله إلا الله، فيرد عليه الشاب - عياداً بالله- إليك عني، زدني كأس الخمر، تعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه إلى الله على تلك الحال السيئة، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ثم كان حال الثلاثة الآخرين لما رأوا أصحابهم وما آل إليه أمره أنهم أخذوا ييكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا أصحابهم، وعادوا به إلا بلاده محمولاً في تابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد.

### سوء خاتمة رجل عاص

كان يقف رجل بإزاء داره، وكان باب داره يواجه باب الحمام، فمرت جارية لها منظر، فقالت: أين الطريق إلى حمام منجاب؟ فقال: هذا حمام منجاب.

فدخلت الدار، ودخل وراءها، فلما رأت نفسها في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشري والفرح باجتماعها معه، وقالت: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا وتقر به عيوننا.

فقال لها: الساعة آتيك بكل ما تريدين وتشتهين، وخرج وتركها في الدار ولم يغلقها، فأخذ ما يصلح ورجع، فوجدها قد خرجت وذهبت، ولم تحنه في شيء، فهام الرجل وأكثر الذكر لها، وجعل يمشي ويقول:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت كيف الطريق إلى حمام منجاب

فبينما هو يقول ذلك إذا بجارية أجابته:

هلا جعلت سريعاً إذ ظفرت بها حرزاً على الدار أو قفلاً على الباب

فازداد هيمانه واشتد، ولم يزل على ذلك حتى كان هذا البيت آخر كلامه من الدنيا، فعندما أتاه ملك الموت قيل له: قل: لا إله إلا الله، جعل يقول: أين الطريق إلى حمام منجاب<sup>(١)</sup>.

### نعوذ بالله من سوء الخاتمة

ذكر ابن الجوزي: أن عبده بن عبد الرحيم كان من المجاهدين كثيراً في بلاد الروم، فلما كان في بعض الغزوات والمسلمون يحاصرون بلدة من بلاد الروم، إذ نظر إلى امرأة

من نساء الروم في ذلك الحصن فهويها، فراسلها: ما السبيل إلى الوصول إليك؟

فقالت: أن تنتصر، وتصعد إليّ، فأجابها إلى ذلك، فما أراع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غمًا شديدًا، وشق عليهم مشقة عظيمة، فما كان بعد مدة مروا عليه، وهو مع تلك المرأة في ذلك الحصن، فقالوا: يا فلان، ما فعل القرآن معك؟! ما فعل صيامك؟! ما فعلت صلاتك؟! ما فعل قرآنك؟! ما فعل علمك؟! ما فعل جهادك؟!

فقال: اعلموا أنني أنسيت القرآن كله إلا قوله: ﴿رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿[الحجر: ٢٠، ٣].

وقد صار لي فيهم مال وولدا!! توفي ذلك المرتد القبيح في سنة ثمان وسبعين ومائتين.

### عاقبة تأخير الصلاة

بيروي عمار بن دينار فيقول: كان رجل من أهل المدينة له أخت فماتت، فجهزها وحملها إلى قبرها، فلما دفنت ورجع إلى أهله، تذكر أنه نسي كيسًا كان معه في القبر، فاستعان برجل من أصحابه، فأتيا القبر، فنبشاه، فوجدوا الكيس.

فقال للرجل: تنح حتى أنظر على أي حال أختي؟

فرفع بعض ما على اللحد، فإذا القبر يشتعل نارًا، فرده، وسوى القبر، ورجع إلى أمه، فسألها عن حال أخته، فقالت: كانت تؤخر الصلاة عن وقتها، ولا تصلي فيما أظن بوضوء، وتأتي أبواب الجيران فلتقم أذنها بأوابهم، فتخرج حديثهم<sup>(١)</sup>.

احذر تأخير الصلاة عن وقتها، وخاصة صلاة الفجر.

### أحوال يوم القيامة

يقول الغزالي في الإحياء: تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وشيطان ووحش وسبع وطير، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها، وتبدلت عما كانت عليه من خفة

أمراها، ثم أدنيت من رعوس العالمين كقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل رب العالمين، ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس، قد صهرته مجرها، واشتد كربه وغمه من وهجها، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الاقتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحترق القلوب بنار الحياء والخوف، ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة، ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله، فبعضهم بلغ العرق ركبته، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم يكاد يغيب فيه، قال ابن عمر: قال رسول الله: «يوم يقول الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»<sup>(١)</sup>، وقال أبو هريرة: قال رسول الله: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ أذقنهم»<sup>(٢)</sup>... واعلم أن كل عرق لم يخرجته التعب في سبيل الله - من حج وجهاد وصيام وقيام وقضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف ونهي عن منكر - فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب. ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيمة شدته، طويلة مدته.

### أرض المحشر

انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة على أرض بيضاء قاع صنفص، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا \* فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا \* لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَاثٌ وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد»<sup>(٣)</sup> وعفراء: بياضها غير ناصع، وقوله: كقرص النقي: أي النقي عن القشر والنخالة، والمعلم: هو البناء.

(٢) البخاري: ٦٥٣٢.

(١) الكبائر: ٢٣.

(٣) مسلم (١٧/١٣٤) صفة القيامة.

من أسماء يوم القيامة: يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الزلزلة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الغاشية ويوم الراجفة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم الجزاء ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الفصل ...

### الحساب

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥]. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»<sup>(١)</sup>.

### الميزان

قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقول: أفلك عذر أو حسنة؟ قال: فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(٢)</sup>.

### الصراط

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۖ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ [مريم:٨٥، ٨٦] من استقام في الدنيا على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا، ومن ثقلت أوزاره في الدنيا فسوف يتعثر على الصراط في الآخرة، ويقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً! يا ليتني كنت نسياً منسياً! ليت أمتي لم تلدني.

فتذكر هذه الأهوال واستعد لها من الآن.

\*\*\*

(١) مسلم (١٦/١٣٢).

(٢) الترمذي (١٠/١٠٧).



## المراجع

### القرآن وعلومه :

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - دار الصابوني - الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- (٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - دار المعرفة بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٩٤.
- (٤) المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني - دار المعرفة بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٩.
- (٥) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - مكتبة الصناديقية.
- (٦) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - دار القلم.
- (٧) في ظلال القرآن الكريم - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة الرابعة والعشرون ١٩٩٥.
- (٨) التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة العاشرة ١٩٨٨.
- (٩) تفسير سورة النور - المودودي - دار الاعتصام.
- (١٠) كيف تتعامل مع القرآن العظيم؟ - القرضاوي - دار الشروق - الطبعة الثالثة ٢٠٠٠.

### السنة وعلومها.

- (١١) صحيح مسلم - النووي - المطابع الأميرية - ١٩٩٦.
- (١٢) جامع العلوم والحكم - ابن رجب الحنبلي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٨.
- (١٣) إيضاح المعاني الخفية في الأربعين النووية - محمد تاتاي - دار الوفاء - الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- (١٤) الأحاديث القدسية - المكتبة التوفيقية.
- (١٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد الشافعي - دار الفكر.
- (١٦) توجيهات نبوية - السيد محمد نوح - دار الوفاء - الطبعة التاسعة ١٩٩٥.
- (١٧) رياض الصالحين - النووي - مكتبة الصناديقية.
- (١٨) الإعجاز العلمي في السنة النبوية - زغلول النجار - الطبعة الثالثة ٢٠٠٤.

### التاريخ السير والتراجم.

- (١٩) البداية والنهاية - ابن كثير - دار المنار - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- (٢٠) سير أعلام النبلاء - الإمام الذهبي - مكتبة الصفا - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- (٢١) مائه موقف من حياة العظماء - محمد سعيد مرسي، قاسم عبد الله - دار اقرأ - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- (٢٢) كبري المعارك والفتوحات الإسلامية - محمد سعيد مرسي - دار اقرأ - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- (٢٣) عظماء الإسلام - محمد سعيد مرسي - دار اقرأ - ٢٠٠٣.
- (٢٤) كل شيء عن اليهود - محمد سعيد مرسي - دار اقرأ - ٢٠٠٣.
- (٢٥) عبقرية عمر - العقاد - دار الشعب.

- (٢٦) صور من حياة التابعين- عبد الرحمن رأفت الباشا- دار الأدب الإسلامي- الطبعة الخامسة عشرة ١٩٩٧ .
- (٢٧) الرحيق المختوم - صفى الرحمن المبار كفوري- الإيمان- الطبعة الأولى- ١٩٩٣ .
- (٢٨) السيرة النبوية - على محمد الصلابي - دار الإيمان ٢٠٠٢ .
- (٢٩) أبو بكر الصديق- على محمد الصلابي- دار الإيمان- ٢٠٠٢ .
- (٣٠) عمر بن الخطاب - على محمد الصلابي- دار التوزيع والنشر الإسلامية- الطبعة الأولى- ٢٠٠٢ .
- (٣١) عثمان بن عفان- على محمد الصلابي- دار الإيمان - ٢٠٠٢ .
- (٣٢) على بن أبي طالب- على محمد الصلابي- دار الفجر- الطبعة الأولى- ٢٠٠٤ .
- (٣٣) الحركة السنوسية في ليبيا- علي محمد الصلابي - دار الإيمان - ٢٠٠٤ .
- (٣٤) الدولة العثمانية- على محمد الصلابي- دار الإيمان - ٢٠٠٣ .
- (٣٥) قصص الأنبياء- محمد بكر إسماعيل- دار المنار- الطبعة الثانية ١٩٩٧ .
- (٣٦) قصص الأنبياء - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية- الطبعة الأولى ١٩٩٧ .
- (٣٧) من ذاكرة الأمة- محمود سمير المنير- زهرة المدائن- الطبعة الأولى ٢٠٠١ .
- (٣٨) رجال حول الرسول - خالد محمد خالد - دار المقطم - الطبعة الأولى ٢٠٠٣ .
- (٣٩) وفتات تربوية مع السيرة النبوية - أحمد فريد - المكتبة التوفيقية- ٢٠٠٠ .
- (٤٠) زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم - المكتبة القيمة .
- (٤١) أعلام النبوة - الماوردي- دار الفرجاني .
- (٤٢) الانتصارات العربية العظيمة في صدر الإسلام- محمد عبد الحليم أبو غزالة- ١٩٨٣ .
- (٤٣) صفة الصفوة- ابن الجوزي- دار ابن خلدون - الأولى- ١٩٩٤ .
- (٤٤) ليس لليهود حق في فلسطين- جمال عبد الهادي، وفاء محمد رفعت- دار الوفاء .
- (٤٥) الطريق إلي بيت المقدس (القضية الفلسطينية)- جمال عبد الهادي- وفاء محمد رفعت- دار التوزيع والنشر - الثانية- ٢٠٠١ .
- (٤٦) فتح مصر- جمال عبد الهادي - دار التوزيع والنشر الإسلامية- ١٩٩٩ .
- (٤٧) إنحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى- أحمد رمضان أحمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٤ .
- (٤٨) الثمار والرياحين في قصص القرآن الكريم - أحمد بن محمد طاحون- دار هجر - الأولى ٢٠٠١ .
- (٤٩) الثلاثون المبشرون بالجنة- مصطفى مراد- دار الفجر- الأولى ١٩٩٩ .
- (٥٠) أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ- إبراهيم شعوط- ١٤٠٣ هـ .
- (٥١) مسلمون ثوار- محمد عمارة- دار الشروق - الطبعة الثالثة ١٩٨٨ .
- (٥٢) الرسول - سعيد حوي - مكتبة وهبة .
- (٥٣) قصص القرآن - سعد يوسف- دار الفجر- الطبعة الأولى- ١٩٩٩ .
- (٥٤) فقه السيرة- محمد سعيد البوطي- دار الفكر- الطبعة السابعة- ١٩٧٨ .
- (٥٥) السيرة النبوية- مصطفى السباعي- دار السلام- الطبعة الخامسة ٢٠٠٤ .



- (٥٦) هؤلاء أنزل الله فيهم قرآنا - حازم إسماعيل السيد- دار التقوى- الطبعة الأولى- ٢٠٠١.
- (٥٧) صلاح الدين الأيوبي- عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة الثانية عشرة- ٢٠٠٢.
- (٥٨) أعلام المسلمين- أطفالنا- ١٩٩٨.
- (٥٩) حياة الصحابة- حلمي عبد المنعم صابر.
- (٦٠) سيدنا يوسف- عمرو خالد- دار أريج- الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- (٦١) فتح القسطنطينية - فتحي شهاب الدين- دار البشير - الأولى ١٩٩٨.
- (٦٢) عين جالوت - فتحي شهاب الدين- دار البشير- الأولى ١٩٩٨.
- (٦٣) فلسطين والقلب- أسامة جادو- ٢٠٠٢.
- (٦٤) القدس - عبد الحميد الكاتب- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٨.
- (٦٥) رجال من التاريخ - على الطنطاوي - دار البشير- الطبعة الأولى ١٩٩٨.
- (٦٦) أبو حنيفة النعمان- حمزة النشوتي، عبد الحفيظ فرغلي، عبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة .
- (٦٧) عمر بن عبد العزيز- القرضاوي- مكتبة وهبة- الأولى ٢٠٠١.
- (٦٨) حسن المهضيبي المرشد الثاني- نبيه عبد ربه- دار الضياء الأردن - الطبعة الأولى ١٩٨٧.
- (٦٩) الإسلام والداعية - أسعد سيد أحمد - دار الأنصاري بالقاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٧.
- (٧٠) الإخوان المسلمون في حرب فلسطين- كامل الشريف ومصطفى السباعي- دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٨٦.
- (٧١) من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة- المستشار عبد الله العقيل - مكتبة المنار الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- (٧٢) مذكرات الشهيد الدكتور الرنتيسي- عامر شماخ- دار التوزيع والنشر الإسلامية- الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
- (٧٣) شهيد أيقظ أمة - عامر شماخ- دار التوزيع والنشر الإسلامية- الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
- (٧٤) معارك الرسول مع اليهود - محمد على قطب - دار المسيرة- الأولى ١٩٨٤.
- تزكية وأخلاق وعقائد:**
- (٧٥) أسباب الرزق الحلال- محمود المصري- أولاد الشيخ.
- (٧٦) مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين- محمود المصري- دار التقوى- ٢٠٠٠.
- (٧٧) قصص وعبر- محمود المصري- مؤسسة قرطبة- الأولى ٢٠٠٢.
- (٧٨) الطريق إلى حسن الخاتمة - محمود المصري- مؤسسة قرطبة- الأولى ٢٠٠١.
- (٧٩) اقتربت الساعة- محمود المصري- أولاد الشيخ- الأولى ١٩٩٩.
- (٨٠) قلب موصول يجب الرسول- محمود المصري- مؤسسة قرطبة- الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
- (٨١) هل تريد بيتًا في الجنة؟- محمود المصري- مؤسسة قرطبة- الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- (٨٢) تذكير الأمة المنصورة بالسنن المهجورة- محمود المصري - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- (٨٣) الوقت هو الحياة- محمود المصري - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى- ٢٠٠٣.

- ٨٤) ٤٠ صفة من أخلاق النبي - محمود المصري - مؤسسة قرطبة- الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٨٥) في التكوين الفردي من خلال ركن العمل - محمد عبد الله الخطيب - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- ٨٦) القائد والمرابي - محمد عبد الله الخطيب - دار المنار - طبعة ٢٠٠٣.
- ٨٧) الشورى في الإسلام - محمد عبد الله الخطيب - دار التوزيع والنشر الإسلامية - طبعة ١٩٩٩.
- ٨٨) من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - محمد عبد الله الخطيب - دار المنار .
- ٨٩) بحر الدموع - ابن الجوزي - مكتبة الإيمان.
- ٩٠) المدهش - ابن الجوزي - المكتبة التوفيقية.
- ٩١) صيد الخاطر - ابن الجوزي - دار الفجر - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٩٢) المواعظ والمجالس - ابن الجوزي - مكتبة الإيمان - الطبعة الأولى ١٩٨٦.
- ٩٣) دمعة نائب - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٩٤) عندما ينطق الحجر - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم ٢٠٠٢.
- ٩٥) روائع الأسحار - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم .
- ٩٦) اتهم نفسك - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم - الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- ٩٧) الأمانى والمنون - إبراهيم الدويش - مكتبة العلم ٢٠٠٢.
- ٩٨) حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الثانية عشرة ٢٠٠٢.
- ٩٩) دور الشباب في حمل رسالة الإسلام - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة الرابعة ١٩٩٢.
- ١٠٠) الإسلام شريعة الزمان والمكان - عبد الله ناصح علوان - الطبعة السادسة ٢٠٠٢.
- ١٠١) محاضرة تكون الشخصية الإنسانية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة السادسة ١٩٩٦.
- ١٠٢) الأخوة الإسلامية - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - السادسة ١٩٩٧.
- ١٠٣) حتى يعلم الشباب - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة التاسعة ١٩٩٨.
- ١٠٤) الصبر والثبات على الطريق - أحمد جاد - زهرة المدائن - الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- ١٠٥) الطريق إلى الربانية - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ١٠٦) فقه الأولويات في الإسلام - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- ١٠٧) ركائز الدعوة - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الثانية ١٩٩٥.
- ١٠٨) حطم صنمك - مجدي الهلالي - دار اقرأ - ٢٠٠٤.
- ١٠٩) رسالة إلى أخي في الله - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٣.
- ١١٠) العودة إلى القرآن - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ١١١) الإيمان أولاً - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٠.
- ١١٢) أضواء على طريق الدعوة - مجدي الهلالي - دار البشير - ١٩٩٠.
- ١١٣) هلموا إلى ربكم - مجدي الهلالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

- (١١٤) الإيمان والحياة- القرضاوي- مكتبة وهبة- الطبعة الثالثة عشرة ٢٠٠٢.
- (١١٥) شمول الإسلام- القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الثالثة ٢٠٠٣.
- (١١٦) أولويات الحركة الإسلامية - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الرابعة ١٩٩٢.
- (١١٧) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام- مكتبة وهبة - الطبعة السادسة ١٩٩٥.
- (١١٨) الإسلام والفن- القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- (١١٩) حقيقة التوحيد- القرضاوي- مكتبة وهبة - الطبعة السابعة ١٩٩٨.
- (١٢٠) المبشرات بانتصار الإسلام - القرضاوي- مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- (١٢١) طاهرة الغلو في التكفير- القرضاوي- مكتبة وهبة- الطبعة الثالثة ١٩٩٠.
- (١٢٢) أين الخلل؟ -القرضاوي - دار الرسالة- الطبعة السابعة ١٩٩٣.
- (١٢٣) الرسول والعلم- القرضاوي- مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- (١٢٤) الحياة الربانية والعلم - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٩٥.
- (١٢٥) ملامح المجتمع المسلم - القرضاوي- مكتبة وهبة- الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- (١٢٦) مكانة المرأة في الإسلام - القرضاوي - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- (١٢٧) الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة- القرضاوي- مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- (١٢٨) العبادة في الإسلام- القرضاوي - مكتب وهبة - الطبعة الرابعة والعشرون ١٩٩٥.
- (١٢٩) حول ركن الإخلاص - القرضاوي- دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٣.
- (١٣٠) حكمة الابتلاء- ابن القيم- دار السلام- الطبعة الثانية ١٩٨٤.
- (١٣١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين- ابن القيم - دار القلم.
- (١٣٢) الفوائد - ابن القيم - دار التوزيع والنشر الإسلامية- الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- (١٣٣) كتاب الروح - ابن القيم - دار الفجر - الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- (١٣٤) الداء والدواء - ابن القيم- دار التقوى- الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- (١٣٥) مدارج السالكين - ابن القيم - دار الفجر .
- (١٣٦) ذم الهوى واتباعه- ابن القيم - دار ابن المبارك.
- (١٣٧) إغاثة اللهفان- ابن القيم - مكتبة الصفا - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- (١٣٨) إيقاظ الغافلين- خالد عبد المعطي - مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- ٢٠٠٤.
- (١٣٩) مواقف بكى فيها الرسول والصحابة- مجدي محمد الشهاوي- المكتبة التوفيقية .
- (١٤٠) الزيارة- اعتماد زغلول- سما للنشر- الأولى ١٩٩٩.
- (١٤١) التوهم - الحارث المحاسبي - مكتبة القدس - الأولى- ١٩٩٤.
- (١٤٢) باطن الإثم- محمد سعيد البوطي- دار الأسماء.
- (١٤٣) ٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة - محمد صالح المنجد.
- (١٤٤) مفهوم الحكمة في الدعوة - صالح بن عبد الله .
- (١٤٥) فضل الجهاد والمجاهدين- ابن باز- ١٤١١هـ.

- (١٤٦) أخلاقنا- وحيد الدين خان- الأولي ١٩٩٢.
- (١٤٧) الإنفاق وأثره في بناء شخصية المسلم- أحمد عبد الخالق- القادسية- الأولي ٢٠٠٠.
- (١٤٨) قضية التوحيد - الحبر يوسف- دار النذير- الأولي ١٩٨٧.
- (١٤٩) الخائفون من الإسلام لماذا؟ - محمد نعيم ياسين- دار الوفاء- الرابعة ١٩٩٢.
- (١٥٠) من معجزات النبي - مصطفى العدوى- مكتبة الإيمان .
- (١٥١) الله والعلم الحديث- عبد الرازق نوفل- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨.
- (١٥٢) الجهاد الاقتصادي- حسين شحاتة - الطبعة الثالثة ٢٠٠٢.
- (١٥٣) شرعية العمل الجماعي- عصام البشير- دار النذير- الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- (١٥٤) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية- صادق أمين- دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- (١٥٥) كيف تدير وقتك؟- صلاح الدين محمود.
- (١٥٦) العائدون إلى الله- محمد بن عبد العزيز المسند - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.
- (١٥٧) التفكير فريضة إسلامية- العقاد - الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٨.
- (١٥٨) التدخين بين الطب والقرآن والسنة- محمد السيد أرناؤوط- دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- (١٥٩) المنطلق - محمد أحمد الراشد .
- (١٦٠) الدعاء المستجاب- أحمد عبد الجواد- مكتبة مصر .
- (١٦١) صفات الداعية- زهرة المدائن - الأولي ١٩٩٤.
- (١٦٢) على الطريق - على القرني- مكتبة أولاد الشيخ - الأولي ٢٠٠٠.
- (١٦٣) إدارة الأزمات الاقتصادية - حسين شحاتة- دار الكلمة - الأولي ٢٠٠٠.
- (١٦٤) الرشوة في ميزان الشريعة الإسلامية- حسين شحاتة - دار المنار - الطبعة الأولى ٢٠٠٢ .
- (١٦٥) البعد الاقتصادي في حياة الرسول - حسين شحاتة - دار الكلمة - الأولي ٢٠٠٢.
- (١٦٦) الاستدانة - عبد الخالق حسن الشريف - الأولي ٢٠٠٢.
- (١٦٧) الصدق - وجدي غنيم- دار المنار - الأولي ٢٠٠٠.
- (١٦٨) الأمانة - وجدي غنيم - دار المنار- ٢٠٠٢.
- (١٦٩) الوفاء- وجدي غنيم - دار المنار - ٢٠٠٢.
- (١٧٠) دعوة للتأمل- على القرني- مكتبة العلم - الأولي ٢٠٠٣ .
- (١٧١) العادة السرية- محمد صالح المنجد - مكتبة العلم .
- (١٧٢) هناك حيث يطفأ نور الإيمان- عبد الملك القاسم- دار القاسم- الأولى ١٤١٨ هـ.
- (١٧٣) الذوق سلوك الروح- عباس السيسى- دار التوزيع والنشر الإسلامية- ١٩٩٨.
- (١٧٤) احذر أقوالاً وأفعالاً واعتقادات خاطئة- طلعت زهران- دار العقيدة- الثانية ١٩٩٨.
- (١٧٥) أخته كيف تنفقين؟- أحمد عبد الخالق - دار القادسية- الأولي ٢٠٠٠.
- (١٧٦) محرمات استهان بها الناس- محمد صالح المنجد- الثانية ١٤١٩ هـ.
- (١٧٧) إيقاظ الهمم قبل يوم الندم - عبد الحميد هندراوي- دار الهدى- الأولي ١٩٩٧.

- (١٧٨) قواعد الدعوة إلى الله - همام عبد الحميد سعيد - دار الوفاء - الثالثة ١٩٩٢.
- (١٧٩) فقه النصر والتمكين - علي محمد الصلابي - دار الإيمان ٢٠٠٢.
- (١٨٠) في واحة الإسلام - علي متولي.
- (١٨١) فقه المراقبة - أحمد جاد - دار الكلمة - الأولى ١٩٩٩.
- (١٨٢) فقه النصيحة - أحمد جاد - دار الكلمة - الأولى ١٩٩٩.
- (١٨٣) ربانية لا رهبانية - أبو الحسن الندوي - الأولى ٢٠٠٠.
- (١٨٤) صلاة الفجر مصنع الرجال - عبد العظيم رمضان - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٢.
- (١٨٥) مقاطعة اليهود - الشحات الطحان - دار الكلمة.
- (١٨٦) صناعة الحياة - محمد أحمد الراشد - الثالثة ١٩٩٤.
- (١٨٧) نحو المعالي - محمد أحمد الراشد - دار البشير - الطبعة الثالثة ١٩٩٤.
- (١٨٨) تقرير ميداني - محمد أحمد الراشد - دار البشير.
- (١٨٩) هو الله - ياسين رشدي - نهضة مصر .
- (١٩٠) صفات وسلوكيات تربوية - محمد عبد الحليم حامد - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٨.
- (١٩١) أهوال جهنم ونعيم أهل الجنة - علي الطهطاوي - دار الروضة ١٩٩٦.
- (١٩٢) لقاء الجماهير - أكرم رضا - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الأولى ٢٠٠١.
- (١٩٣) الدعوة في موكب الأنبياء - علي متولي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (١٩٤) شخصية المسلم بين الفردية والجماعية - محمد السيد نوح - دار الوفاء - الطبعة الرابعة ١٩٩٣.
- (١٩٥) المتغيرات الدولية - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- (١٩٦) العالم الإسلامي والمكائد الدولية - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة.
- (١٩٧) الحياة - فتحي عبد الستار - سما للنشر - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- (١٩٨) الإسلام والعلم - أحمد عبد الحميد غراب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- (١٩٩) مع الله - حسن أيوب - دار الأنصار - الطبعة الخامسة ١٩٨٢.
- (٢٠٠) الإيجابية في حياة الداعية - عادل الشويخ - دار البشير - الطبعة الثانية ١٩٩٣.
- (٢٠١) وهكذا أسلمن - وفاة سعداوي - دار الإبداع - الطبعة الثانية ٢٠٠٣.
- (٢٠٢) صور من تسبيح الكائنات لله - زغلول النجار - نهضة مصر - الطبعة السادسة ٢٠٠٣.
- (٢٠٣) معراج المؤمنين - علاء الدين محرم - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠٣.
- (٢٠٤) معركة الوجود بين القرآن والتلمود - عبد الستار فتح الله - الطبعة السادسة ١٤١٥ هـ.
- (٢٠٥) مبشرات النصر والتمكين - سيد العفاني - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- (٢٠٦) لا لن يمحي الأقصى - خيرى مكايي .
- (٢٠٧) صلاة الصالحين وقصص العابدين - أحمد مصطفى الطهطاوي - دار الفضيلة.
- (٢٠٨) مائة قصة وقصة في التوبة وحسن وسوء الخاتمة - محمد عبد الله الهندي - مكتبة الإيمان.
- (٢٠٩) قصة من ذكاء الصحابييات - منصور عبد الحكيم - المكتبة التوفيقية.

- ٢١٠) الوقت عمار أو دمار- جاسم محمد بدر المطوع- دار الوفاء - الطبعة السادسة ١٩٩٢.
- ٢١١) فن التعامل مع الآخرين - محمد سعيد مرسي- دار البشير- الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- ٢١٢) المصطفى من صفات الدعاة- عبد الحميد البلالي- دار الكلمة - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٢١٣) عقيدة المسلم- محمد الغزالي- دار الدعوة- الطبعة الثالثة.
- ٢١٤) مختصر منهاج القاصدين- ابن قدامة المقدسي- دار التراث.
- ٢١٥) سمير الصالحين وأنيس المتقين- أحمد الشهاوي - سعد شرف الدين- المكتبة التوفيقية.
- ٢١٦) البحر الرائق في الزهد والرفائق- أحمد فريد- المكتبة التوفيقية.
- ٢١٧) تنبيه الغافلين- السمرقندي - مكتبة الصفا- الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- ٢١٨) لطائف المعارف- ابن رجب الحنبلي- مكتبة الإيمان الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- ٢١٩) رحلتي مع الجماعة الصامدة- أحمد أبو شادي- دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٨.
- ٢٢٠) حكايات عن الإخوان - عباس السيسي- دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٩٨.
- ٢٢١) الإعجاز العلمي في الإسلام - محمد كامل عبد الصمد- الدار المصرية اللبنانية- الطبعة الثالثة ١٩٩٦.
- ٢٢٢) الابتلاء والمحن- محمد عبد القادر أبو فارس- دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢٢٣) النور الأسمي في شرح أسماء الله الحسني- سليمان سامي- الطبعة الأولى ١٩٩٥.
- ٢٢٤) إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالي- دار الفجر- الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- ٢٢٥) أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثامنة ١٩٩٨.
- ٢٢٦) علو الهمة - محمد احمد إسماعيل المقدم- المكتبة التوفيقية.
- ٢٢٧) لا تحزن- عائض القرني - مكتبة البلد الأمين- الطبعة الثالثة ٢٠٠٠.
- ٢٢٨) التضحية والفداء - جمعة أمين عبد العزيز- دار الدعوة - الطبعة الثانية ٢٠٠١.
- ٢٢٩) رياض الصائمين - عبد الرحمن البر- دار الوفاء - الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- ٢٣٠) من مبادئ الإسلام- علي لبن- دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٢٣١) مداوة النفوس- ابن حزم - دار الصحابة - الطبعة الثانية ١٩٩٢.
- ٢٣٢) ومضات من النور- عصام أحمد خيرى- الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- ٢٣٣) مجالس الإيمان في رحاب القرآن - علاء الدين محرم- ٢٠٠٢.
- ٢٣٤) زادنا في رمضان - منير جمعة.
- ٢٣٥) رحلة البحث عن اليقين - خالد أبو شادي- دار الراية- الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- ٢٣٦) الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات - حسين شحاتة- دار النشر للجامعات- الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٢٣٧) العبادات وأثرها في بناء الفرد والمجتمع - صلاح سلطان.
- ٢٣٨) مواقف إيمانية للنساء- محمد عبد العاطي مجيري - المكتبة التوفيقية- ٢٠٠٢.
- ٢٣٩) خير القرون (صور إيمانية من حياة الصحابة والتابعين)- مصطفى أبو المعاطي - شروق - الطبعة

الأولي ٢٠٠٢.

- ٢٤٠ (العقل والإيمان في الإسلام - صابر طعيمة - دار الجبل - الطبعة الأولى ١٩٧٩).
- ٢٤١ (الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام - مصطفى حلمي - دار الدعوة - الطبعة الثانية ١٩٩٣).
- ٢٤٢ (المنافقون في القرآن الكريم - محمد يونس عبد بن حسن - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢٤٣ (الكبائر - الذهبي - مكتبة الصناديقية.
- ٢٤٤ (الولاء والبراء - سعيد القطحاني - المكتبة التوفيقية ٢٠٠٣).
- ٢٤٥ (تربيتنا الروحية - سعيد حوي - الطبعة الرابعة ١٩٩٥).
- ٢٤٦ (تيسير العزيز الحميد - سليمان عبد الله.
- ٢٤٧ (الزهد - أحمد بن حنبل - دار عمر بن الخطاب.
- ٢٤٨ (منهاج المسلم - أبو بكر جابر الجزائري - مكتبة الدعوة - الطبعة الثامنة ١٩٧٦).
- ٢٤٩ (السلوك الاجتماعي في الإسلام - حسن أيوب - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢٥٠ (حياة الصحابة - محمد يوسف الكاند هلوي - دار الكتاب الإسلامي.
- ٢٥١ (الصحابة والصالحون على فراش الموت - مجدي فتحي السيد - المكتبة التوفيقية.
- ٢٥٢ (بر الوالدين - رضا المصري - دار الدعوة - الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ٢٥٣ (ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله - سيد حسين العفاني - دار العفاني - الطبعة السادسة ٢٠٠٣).
- ٢٥٤ (كيف نحب رسول الله؟ - نبيل حامد المعاز - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠١).
- ٢٥٥ (الطراز الرباني - نبيل حامد المعاز - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠١).
- ٢٥٦ (صفات ومقامات المسلم - محمد فوزي - دار المنار - الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ٢٥٧ (مواقف بطولة من صنع الإسلام - زياد أبو غنيمة - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢٥٨ (عدة المجاهدين - نبيل حامد المعاز - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣).
- ٢٥٩ (رجل المحراب - جمال حامد - دار الكلمة - الطبعة الأولى ٢٠٠١).
- ٢٦٠ (كونوا على الخير أعواناً - محمد صالح المنجد - مكتبة العلم.
- ٢٦١ (القرآن شرعتنا - موسى السعيد جبارة .
- ٢٦٢ (حقوق الإنسان في الإسلام - محمود غزلان - دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٢).
- ٢٦٣ (آفات على الطريق - السيد محمد نوح - دار الوفاء - الطبعة السادسة ١٩٩٢).
- ٢٦٤ (تذكرة دعاء الإسلام - المودودي - دار الكنوز - الطبعة الأولى ١٩٩٤).
- ٢٦٥ (الآفات العشرون - عبد القادر أحمد عبد القادر - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الثانية .
- ٢٦٦ (غض البصر - عبد العزيز الغزولي - دار المنار - ٢٠٠١).
- ٢٦٧ (حب النبي ودلائله - عبد الرحيم عبد السلام - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ٢٦٨ (التخطيط للهجرة - أحمد عبد العظيم - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣).
- ٢٦٩ (دروس تربوية من الهجرة النبوية - عبد الحي الفرماوي - دار الكلمة - الطبعة الأولى ٢٠٠٠).

- ٢٧٠) كلكم راع - فؤاد الهجرسي - دار الكلمة - الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- ٢٧١) المؤمن القوي - طه الساعي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ٢٠٠١.
- ٢٧٢) التجرد - محمد الكاتب - دار الكلمة - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- ٢٧٣) رجل عفيف - جمال حامد - دار الكلمة - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- ٢٧٤) مراتع الخير - بلال وهب - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٢٧٥) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أيدوا أهله - عبد الودود يوسف - دار السلام - ١٩٩٣.
- ٢٧٦) وقبل الوداع كانت حقوق الإنسان - أحمد عبد الخالق - القادسية - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٢٧٧) كفالة اليتيم - محمد خلف يوسف - مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة - الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
- ٢٧٨) الإيجابية - أحمد عبد الخالق - دار القادسية - الطبعة الثانية ٢٠٠٢.
- ٢٧٩) كيف تحافظ على صلاة الفجر؟ - راغب السرجاني - دار اقرأ ٢٠٠٤.
- ٢٨٠) عداء اليهود للحركة الإسلامية - زياد أبو غنيمه - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢٨١) مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب - دار الشروق.
- ٢٨٢) الطريق إلى جماعة المسلمين - حسين بن محسن بن علي - دار الوفاء - الطبعة السابعة ٢٠٠٢.
- ٢٨٣) ماذا يعني اثنماني للإسلام؟ - فتحي يكن - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة والعشرون ٢٠٠٣.
- ٢٨٤) بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة محمد خليفة التونسي - دار التراث.
- ٢٨٥) مائة موقف من حياة المرشدين - محمد عبد الحليم حامد - دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٢.
- ٢٨٦) الدعوة الفردية بين النظرية والتطبيق - عبد الحليم الكناني - تقديم الشيخ محمد عبد الله الخطيب - مؤسسة اقرأ.
- ٢٨٧) رحلتي مع الإخوان المسلمين - أبو الفتوح عفيفي - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٢٨٨) شاهد على جهاد الإخوان المسلمين في حرب فلسطين - علي مصطفى نعمان - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- ٢٨٩) مجموعة رسائل حسن البنا - دار التوزيع والنشر الإسلامية - ١٩٩٢.
- ٢٩٠) حول أساسيات المشروع الإسلامي - عبد الحميد الغزالي - دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٠.
- ٢٩١) أيام من حياتي - زينب الغزالي - دار الشروق - الطبعة الثالثة عشرة ١٩٩٢.
- ٢٩٢) خصائص التصور الإسلامي - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة التاسعة ١٩٨٧.
- ٢٩٣) العدالة الاجتماعية في الإسلام - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٨.
- ٢٩٤) نحن والحضارة الغربية - أبو الأعلى المودودي - ١٩٨٧.
- ٢٩٥) تأملات إيمانية في سورة يوسف - ياسر برهامي - دار الإيمان - ٢٠٠٤.
- ٢٩٦) للماقلات فقط - جمال عبد الرحمن - دار طيبة - مكة - الطبعة الخامسة ٢٠٠٣.
- ٢٩٧) عظماء الأطفال - جمال عبد الرحمن - دار طيبة - مكة - الطبعة الثانية ٢٠٠٢.



- ٢٩٨) مختصر عيش السعداء بين الخوف والرجاء - سيد عفاني - دار العفاني - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٢٩٩) فضل الرضا وأخبار ساداته - سيد عفاني - دار عفاني ٢٠٠٣.
- ٣٠٠) عمارة الأوقات بعمل الصالحات - سيد عفاني - دار العفاني ٢٠٠٣.
- ٣٠١) علاج الهموم - محمد صالح المنجد - المكتبة المحمودية - ٢٠٠٠.
- ٣٠٢) أين نحن من الخاشعين والخاشعات؟ - أبو بكر فراج - المكتبة المحمودية - ٢٠٠٢.
- ٣٠٣) مواقف إيمانية - أحمد عيد - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- ٣٠٤) فهم الإسلام في ظلال الأصول العشرين - جمعة أمين عبد العزيز - دار الدعوة.
- ٣٠٥) طريق السعادة - أحمد فريد - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- ٣٠٦) الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء - محمد كامل عبد الصمد - الطبعة الأولى ١٩٩٥.
- البيت المسلم:**
- ٣٠٧) تحفة العروس - محمود مهدي الاستانبولي - العالمية للنشر والتوزيع .
- ٣٠٨) صديق الأسرة السعيدة - شوقي محمد يوسف - دار الفضيلة .
- ٣٠٩) آداب الخطبة في الإسلام - حسين شحاتة - دار المنار - الطبعة الأولى ٢٠٠٢.
- ٣١٠) الأسرة المسلمة مشكلات وحلول - أحمد عبد الخالق - دار القادسية - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٣١١) ١٠٠ حل للمشكلات الزوجية - محمد المصري - مؤسسة قرطبة - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٣١٢) عوامل إصلاح المجتمع - ابن باز - الطبعة الأولى ١٩٩٢.
- ٣١٣) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة - عبد الرحمن بن ناصر - ١٩٩٨.
- ٣١٤) أواخر المجتمع المسلم - محمود الجوهري - دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- ٣١٥) الشباب في مرآة الإسلام - عبد الخالق حسن الشريف - ٢٠٠٢.
- ٣١٦) الشباب أم وأمل - إبراهيم الدويش - أولاد الشيخ - الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- ٣١٧) الإسلام والجنس - عبد الله ناصح علوان - دار السلام - الطبعة الخامسة ١٩٩٥.
- ٣١٨) إلى كل فتاة تؤمن بالله - محمد سعيد البوطي.
- ٣١٩) التبرج - نعمت صدقي - دار الاعتصام.
- ٣٢٠) مع الأخت المسلمة في واحة الحجاب - على متولي - دار الأرقم - الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- ٣٢١) ٤٠ نصيحة لإصلاح البيوت - محمد صالح المنجد - مكتبة العلم.
- ٣٢٢) فن التعامل مع الأزواج - عبد الجبار أحمد عبد الجبار - دار الطلائع ١٩٩٦.
- ٣٢٣) كيف تعيش حياة زوجية سعيدة؟ - عادل فتحي عبد الله - دار الإيمان - الطبعة الأولى ١٩٩٩.
- ٣٢٤) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - دار الوطن .
- ٣٢٥) آداب الزفاف - ناصر الألباني.
- ٣٢٦) البيت محراب عبادة - محمد حسين - سما للنشر - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٣٢٧) كيف تسعد زوجتك؟ - محمد عبد الحلیم حامد - دار المنار - الطبعة الثالثة ١٩٩٦.
- ٣٢٨) كيف تسعدين زوجك؟ - محمد عبد الحلیم حامد - دار المنار - الطبعة الثالثة ١٩٩٦.

- ٣٢٩) الرجل والبيت - حسين شحاتة - دار المنار - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٣٣٠) كيف تبين بيتاً سعيداً - أكرم رضا - سما للنشر - الطبعة الأولى ٢٠٠١.
- ٣٣١) فن صناعة الحب ومعاملة الرجال - خالد السيد عبد العال - دار التوزيع والنشر الإسلامية - الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
- ٣٣٢) العشرة الطيبة مع الرجل - محمد حسين - المدائن - الطبعة الثانية.
- ٣٣٣) سلسلة البيت المسلم - محمد حسين - دار الدعوة - الطبعة الأولى ٢٠٠٣.
- ٣٣٤) خطوط رئيسية في الاقتصاد الإسلامي - محمود أبو السعود - الاتحاد الإسلامي العالمي ١٩٩١.
- أدب - نفيسة**
- ٣٣٥) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - وزارة التربية والتعليم ٢٠٠٠.
- ٣٣٦) ديوان هاشم الرفاعي - مكتبة الإيمان - الطبعة الأولى ١٩٩٦.
- ٣٣٧) المسلمون قادمون - القرضاوي - دار الوفاء.
- ٣٣٨) الفروق اللغوية - أبو الهلال العسكري - المكتبة التوفيقية.
- ٣٣٩) ديوان الشافعي - دار ابن زيدون - بيروت.

\* \* \*

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	إهداء .....
<b>الشجاعة</b>	
٥	أنواع الشجاعة .....
٦	الدفاع عن الدين .....
٧	حرق أعصاب الظالم .....
٧	هكذا كانوا .....
٨	ما حجتك عند الله؟ .....
٨	استحضر هيئة الله .....
٩	بين منذر بن سعيد وعبد الرحمن الناصر .....
١٠	أبو العتاهية وهارون الرشيد .....
١٠	الترفع عن الذلة .....
١١	شجاعة المعتصم .....
١١	لطمة على وجه اليهودي .....
١٢	الشيخ الإنباني .....
١٣	شجاعة غلام .....
<b>الاعتدال</b>	
١٧	الاعتدال في العبادة .....
١٨	ومن أمثلة الاعتدال في العبادة .....
<b>النصيحة</b>	
٢٠	معنى النصيحة .....

٢٠	..... أهمية النصيحة
٢١	..... طلب النصيحة
٢١	..... أين من ينصحك؟
٢٢	..... وجوب النصيحة
٢٢	..... الفرق بين الغيبة والنصيحة
٢٣	..... نصيحة في السجن
٢٣	..... نصيحة مؤثرة
٢٤	..... آداب الناصح
٢٥	..... آداب المنصوح

### بر الوالدين

٢٦	..... الأدب مع الوالدين
٢٧	..... طاعة لأمي
٢٧	..... أحمد بن حنبل
٢٨	..... موعظة
٢٨	..... البر
٢٨	..... مفاهيم تتصل ببر الوالدين
٢٨	..... حق الأم في البر أكثر
٢٩	..... من صور البر
٣٠	..... رجل يخاف من عقوق الوالدين
٣٠	..... موقف إسماعيل مع أبيه
٣٠	..... البر مفتاح الفرج
٣١	..... صور من العقوق
٣١	..... جريج العابد

- ٣٢ ..... افعل ما شئت كما تدين تدان
- ٣٢ ..... قصة شاب
- ٣٣ ..... الجزاء
- ٣٤ ..... تذكر أمك الحنون
- ٣٦ ..... أفعال تتنافى مع بر الوالدين

### الشورى

- ٣٧ ..... حتى في الأمور الخاصة
- ٣٨ ..... تشكيل الحكومة الإسلامية بالانتخاب
- ٣٨ ..... مجلس عسكري استشاري
- ٣٩ ..... الحباب خبير عسكري
- ٣٩ ..... في سقيفة بني ساعدة
- ٤٠ ..... الرسول ﷺ يستشير
- ٤١ ..... رؤيا الرسول ﷺ
- ٤٢ ..... بيت المقدس
- ٤٣ ..... مفاوضات
- ٤٣ ..... استشارة أم سلمة
- ٤٤ ..... جمعية عمومية
- ٤٤ ..... الشورى البناءة
- ٤٤ ..... عدم الاستقلال بالرأي
- ٤٥ ..... جمع القرآن الكريم
- ٤٦ ..... شورى أبي بكر
- ٤٧ ..... استخلاف الصديق للفاروق
- ٤٨ ..... اختيار الولاية
- ٤٨ ..... شورى خامس الخلفاء الراشدين

## التعاون

- ٤٩ ..... ١- التعاون مع إخوانك
- ٥٢ ..... ٢- تعاون بين الزوجين
- ٥٢ ..... ٣- تعاون الملائكة في بدر
- ٥٣ ..... ٤- قضاء حوائج الناس
- ٥٥ ..... ٥- تعاون الأبناء مع الآباء
- ٥٦ ..... ٦- التعاون من أجل مصلحة الوطن
- ٥٧ ..... تعاون مرفوض
- ٥٨ ..... سبب إسلامه

## صلة الرحم

- ٦٠ ..... طريق الجنة
- ٦٠ ..... من ثمارها
- ٦١ ..... وصية
- ٦١ ..... تدفع ميتة السوء
- ٦١ ..... تيسير الحساب وتدخل صاحبها الجنة
- ٦١ ..... ترفع الدرجات يوم القيامة
- ٦١ ..... ليس الواصل بالمكافئ
- ٦٢ ..... احذر قطيعة الرحم
- ٦٢ ..... مثل شائع خاطئ

## العدل

- ٦٣ ..... من أنواع العدل
- ٦٤ ..... عدل عمر مع أهل الذمة
- ٦٥ ..... عدل الرسول

٦٥	..... عدل الصحابة
٦٥	..... العبد الصالح
٦٦	..... ضريبة وحجة
٦٦	..... موقف رائع
٦٧	..... عدل يفوق الخيال
٦٩	..... عدل المسلمين
٦٩	..... المساواة من العدل
٧٠	..... عبادة بن الصامت
٧٠	..... عمر والعدل
٧١	..... رد المظالم
٧١	..... اشترى مظلمته
٧٢	..... رجل يضرب الأمير
٧٣	..... قميص عمر
٧٣	..... مجلس القضاء
٧٤	..... الرسالة
٧٤	..... دعوة المظلوم مستجابة
٧٥	..... القاضي شريح وابنه
٧٥	..... بين شريح وعلي بن أبي طالب
٧٦	..... الراعي والرعية رحمة وعدل
٧٦	..... عدل وثبات

### الولاء والبراء

٧٧	..... حكم الإسلام
٧٩	..... مظاهر الولاء للكفار
٨٢	..... من قصص الولاء والبراء

## العزة

- ٨٨ ..... عزة الرسول ﷺ
- ٨٩ ..... كن عزيزا
- ٨٩ ..... عزة ربعي بن عامر
- ٩٠ ..... فزع رستم
- ٩١ ..... خوف قيصر ملك الروم
- ٩١ ..... ما أعزكم آل الخطاب!
- ٩٢ ..... العز بن عبد السلام وعزة العلماء
- ٩٤ ..... إن الذي يمد رجله لا يمد يده
- ٩٤ ..... طاوس والخليفة
- ٩٥ ..... هذا الشبل من ذاك الأسد
- ٩٥ ..... نحن في ظل الله
- ٩٥ ..... يسرني أن أكون آخرهم
- ٩٦ ..... دعهم لا يرون منا إلا البشاشة
- ٩٧ ..... الشهيد سيد قطب
- ٩٧ ..... أخالف البروتوكول
- ٩٧ ..... الهضيبي وفاروق
- ٩٩ ..... حمية العرب في الجاهلية
- ١٠٠ ..... الأخ حافظ
- ١٠٢ ..... وقفة قرآنية
- ١٠٢ ..... الرنتيسي
- ١٠٤ ..... من الطرائف

## الذكاء

- ١٠٥ ..... دار الأرقم



- ١٠٥ ..... المناظرة بين خليل الله والنمرود
- ١٠٦ ..... طريق اليمن في الهجرة
- ١٠٦ ..... الإبل المذبوحة
- ١٠٦ ..... الحجر الأسود
- ١٠٧ ..... حيلة يوسف
- ١٠٧ ..... داود وسليمان
- ١٠٨ ..... قصة الرجل الحكيم
- ١٠٨ ..... الفطنة
- ١٠٨ ..... خالد بن الوليد في مؤتة
- ١٠٩ ..... في غزوة الأحزاب
- ١٠٩ ..... حيلة أبي بصير
- ١١٠ ..... الصنم والكلب
- ١١٠ ..... الفتى الذكي
- ١١١ ..... صديق الوالي
- ١١١ ..... بيت أبي تمام
- ١١٢ ..... الشاعر واللص
- ١١٢ ..... الخياط الأعور
- ١١٣ ..... القارب العجيب
- ١١٣ ..... المال الضائع
- ١١٤ ..... العاطس الساهي
- ١١٤ ..... الرجل المجادل
- ١١٤ ..... الشكاك
- ١١٥ ..... الخليفة والقاضي
- ١١٥ ..... براءة

- ١١٥ ..... القاضي والحلوى
- ١١٦ ..... ما تقول في المسكر؟
- ١١٦ ..... الفراسة
- ١١٦ ..... السارق الحقيقي
- ١١٧ ..... قمة في حسن التخلص
- ١١٧ ..... مروءة وذكاء
- ١١٨ ..... اتصال
- ١١٩ ..... مباحث
- ١٢٠ ..... فطنة في الإجابة

### سلامة الصدر

- ١٢٢ ..... تحذيرات
- ١٢٢ ..... ابن الحنفية وأخيه الحسن
- ١٢٢ ..... التغافر خير من العتاب
- ١٢٣ ..... الحسد
- ١٢٣ ..... عاقبة حاسد
- ١٢٤ ..... لا تحسد أخاك
- ١٢٥ ..... رجل من أهل الجنة
- ١٢٥ ..... المصابون بالحسد
- ١٢٦ ..... فرق بين الحسد والغبطة والمنافسة
- ١٢٦ ..... نهاية مؤلمة
- ١٢٨ ..... علاج مرض الحسد
- ١٢٨ ..... موقف عظيم
- ١٢٨ ..... مثل شائع خاطئ
- ١٢٨ ..... الاعتذار عند الخطأ

- ١٢٩ ..... كيف تصلحان غيركما؟
- ١٢٩ ..... الصلح بين عائلتين
- ١٢٩ ..... ما أراد إلا الحسد
- ١٣٠ ..... لفتة طيبة
- ١٣١ ..... أمثلة رائعة
- ١٣١ ..... سلامة الصدر عند قبول النصيحة
- ١٣٢ ..... حتى مع الخصوم
- ١٣٢ ..... من شيم الكرام
- ١٣٣ ..... خلق رفيع

### حفظ اللسان

- ١٣٥ ..... آفات اللسان
- ١٣٩ ..... احذروا الغيبة
- ١٣٩ ..... قصة مؤثرة
- ١٤٠ ..... الأعذار المرخصة في الغيبة
- ١٤٧ ..... شر النمام عظيم

### الدعوة إلى الله

- ١٤٨ ..... مهمة المسلم
- ١٤٩ ..... نصيحة
- ١٥٠ ..... الأعداء يخططون
- ١٥٠ ..... الفعل قبل القول
- ١٥٠ ..... الرسول قدوة في الدعوة
- ١٥١ ..... حب الخير للناس
- ١٥٢ ..... بائع أشربة الفيديو
- ١٥٣ ..... تفسير آية

- ١٥٤ ..... أليس لها ثمن؟
- ١٥٤ ..... تعرف على الآخرين
- ١٥٤ ..... رجل الدعوة
- ١٥٥ ..... وصايا غالية
- ١٥٥ ..... فن الدعوة إلى الله
- ١٦٠ ..... أمنية
- ١٦٠ ..... دعوة صادقة
- ١٦٢ ..... طرفة غالية
- ١٦٢ ..... كلمتان خفيفتان على اللسان
- ١٦٣ ..... أكبر همه
- ١٦٣ ..... يدعو وهو مريض
- ١٦٥ ..... حال الجامعة
- ١٦٥ ..... شبهات وردود

### الفهم

- ١٧٠ ..... القرآن يصحح المفاهيم
- ١٧٠ ..... فهم خاطئ
- ١٧٠ ..... فهم الرسول
- ١٧١ ..... فهم الأولويات
- ١٧٢ ..... أولوية الأعمال
- ١٧٤ ..... رجل يفهم رسالته
- ١٧٤ ..... فهم مشقات الطريق
- ١٧٥ ..... دعوتنا لكل الناس
- ١٧٥ ..... ابجثوا عن لافطة أخرى
- ١٧٦ ..... نعمة كبيرة

- ١٧٦ ..... تربية واعية.....
- ١٧٧ ..... تأخير الصلاة بعذر.....
- ١٧٧ ..... الإسلام والأديان المعاصرة.....
- ١٧٩ ..... فهم رائع.....
- ١٧٩ ..... هكذا كان عبد الله بن المبارك.....
- ١٨٠ ..... فهم علم من أعلام السلف.....
- ١٨٠ ..... إمكانيات أعدائك ماذا أعددت لها.....
- ١٨١ ..... لا أتقد حكومتي خارج وطني.....

### العمل للإسلام

- ١٨٢ ..... الأعداء يعلمون لإنجاح خططهم.....
- ١٨٥ ..... احرص على العمل.....
- ١٨٥ ..... من الذين هدى الله.....
- ١٨٦ ..... إسلام المغول.....
- ١٨٧ ..... إخلاص وعمل.....
- ١٨٩ ..... الفهم الجيد للإسلام.....
- ١٩٠ ..... العزيمة القوية.....
- ١٩١ ..... لو خرجنا بواحد لكفى.....

### الجهاد

- ١٩٢ ..... الجهاد في كتاب الله.....
- ١٩٣ ..... جهاد النفس.....
- ١٩٤ ..... الجهاد بالمال.....
- ١٩٤ ..... تحويل شيك للمجاهدين.....
- ١٩٥ ..... الجهاد التعليمي.....
- ١٩٦ ..... الجهاد السياسي.....

١٩٧	.....	جهاد الأعداء
١٩٧	.....	ستار القدرة
١٩٨	.....	وقفة
١٩٨	.....	عزاء والد الشهيد
١٩٩	.....	الرحمة في الجهاد الإسلامي
١٩٩	.....	من جهاد الأبطال
٢٠٠	.....	المسلمون = جهاد
٢٠٠	.....	حب الشهادة
٢٠١	.....	نموذج المجاهد
٢٠١	.....	خطبة ثورية
٢٠١	.....	حزن عميق
٢٠١	.....	الخوف من الله دفعه للشهادة
٢٠٣	.....	يا فلسطين
٢٠٤	.....	البطل الليبي
٢٠٤	.....	اللهم احشرنني من حواصل الطير
٢٠٦	.....	صور أخرى

### التضحية

٢٠٨	.....	من أنواع التضحية
٢١٣	.....	أين التضحية؟! ..
٢١٣	.....	فهم خاطئ
٢١٤	.....	أريد أن أظأ بعرجتي في الجنة
٢١٥	.....	تضحية علباء بن جحش
٢١٥	.....	وفاة خالد بن الوليد
٢١٦	.....	في وقعة البويب

- ٢١٦ ..... لا تفعل
- ٢١٦ ..... أستاذ جديد في فن التضحية
- ٢١٧ ..... عز الدين القسام
- ٢١٧ ..... الشيخ أحمد ياسين
- ٢١٧ ..... يحيى عياش

### الثبات

- ٢١٩ ..... صور الثبات
- ٢٣٥ ..... سنة الدعوات
- ٢٣٧ ..... نتصر على الغرب بثباتنا

### الأخوة في الله

- ٢٣٨ ..... الأخوة طريق الجنة
- ٢٣٩ ..... أمر إلهي
- ٢٤٠ ..... حقوق الأخوة الخاصة
- ٢٤١ ..... موقف مؤثر
- ٢٥٤ ..... نقاتل أعداءنا بالحب

### الثقة

- ٢٥٦ ..... أنواع الثقة
- ٢٦٤ ..... لا تتعجل النصر
- ٢٦٥ ..... سؤال

### الجدية والانضباط

- ٢٦٧ ..... الجدية في طلب العلم
- ٢٦٨ ..... الجدية في تحمل المسؤولية
- ٢٦٩ ..... تنفيذ الأوامر

٢٧٠	طاعة بعد الموت
٢٧٠	العزيمة
٢٧٠	فورية التنفيذ
٢٧١	إذن ننشئ له مدرسة
٢٧١	تسخير الإمكانيات
٢٧٣	الالتزام بالعبادة
٢٧٣	قطع شجرة الرضوان
٢٧٣	إلغاء الرحلة
٢٧٣	محاسبة النفس
٢٧٤	الانضباط المالي

## القوة

٢٧٥	القوة في الحق
٢٧٦	استحضار نية الجهاد
٢٧٦	قوة بدنية فائقة
٢٧٦	قوة في الرمي
٢٧٧	قوة لرد الحق لأهله
٢٧٧	الكلوب الخطير
٢٧٨	الجلوس المتعب
٢٧٩	نماذج للأقوياء
٢٧٩	أسامة بن زيد
٢٧٩	مواقف بطولية
٢٨٠	في وقعة الجسر
٢٨١	فتح مصر
٢٨١	عبد الله بن الزبير



- ٢٨٣ ..... أضرار عدم ممارسة الرياضة
- ٢٨٤ ..... نصائح لقوة الجسم

### قادر على الكسب

- ٢٨٥ ..... الحث على العمل
- ٢٨٦ ..... فهم خاطئ
- ٢٨٧ ..... اتبه
- ٢٨٨ ..... اجتهاد الإمام أحمد
- ٢٨٩ ..... معنى العبادة الشامل
- ٢٨٩ ..... مكتب محاماة بالقاهرة
- ٢٨٩ ..... استغل الإجازات
- ٢٩٠ ..... هكذا كانوا
- ٢٩١ ..... شيخ يعمل
- ٢٩٢ ..... الزهد والتجارة
- ٢٩٢ ..... كن أمينًا في كسبك
- ٢٩٣ ..... دعاية
- ٢٩٤ ..... التوازن
- ٢٩٤ ..... بين الدنيا والآخرة

### سليم العقيدة

- ٢٩٥ ..... صبر علي عقيدته
- ٢٩٦ ..... الإيمان الحق
- ٢٩٦ ..... رجل من أهل خير
- ٢٩٧ ..... إبليس الملعون
- ٢٩٧ ..... آية ربانية
- ٢٩٨ ..... عاقبة الخوف من الله

- ٢٩٩ ..... يؤثرون على أنفسهم
- ٣٠٠ ..... توقف مع القرآن
- ٣٠١ ..... احذر المعصية
- ٣٠٢ ..... زيادة الإيمان بالتفكير
- ٣٠٢ ..... التجرد لله
- ٣٠٣ ..... لا تحزن والله معك
- ٣٠٤ ..... صلاح الدين
- ٣٠٤ ..... ذاك هو الله
- ٣٠٥ ..... التمسك بالعقيدة الصحيحة
- ٣٠٦ ..... دخل في الإسلام حديثاً
- ٣٠٦ ..... أسلم بعقيدة سليمة
- ٣٠٧ ..... اعتراف الغرب
- ٣٠٧ ..... الله ينتقم لدينه

### صحيح العبادة

- ٣٠٨ ..... الفهم الشامل
- ٣٠٨ ..... روح الصلاة
- ٣٠٩ ..... الخوف من فساد الأعمال
- ٣٠٩ ..... العلم طريق الوصول
- ٣١٠ ..... العبادة الصحيحة
- ٣١١ ..... ومن أنواع العبادات
- ٣١٣ ..... الحلم عبادة
- ٣١٣ ..... الصدق عبادة
- ٣١٤ ..... الورع عبادة
- ٣١٤ ..... تقديم النصيحة عبادة

- ٣١٥ ..... طلب العلم عبادة
- ٣١٦ ..... الحلم عبادة
- ٣١٧ ..... رد الجميل عبادة

### الانتفاع بالوقت

- ٣١٩ ..... صديق ودود أو عدو لدود
- ٣١٩ ..... جريمة سرقة
- ٣٢٠ ..... البركة في البكور
- ٣٢٠ ..... نظرة خاطئة
- ٣٢٠ ..... الوقت في القرآن
- ٣٢١ ..... خصائص الوقت
- ٣٢٣ ..... من علامات المقت إضاعة الوقت
- ٣٢٣ ..... جريمة انتحار
- ٣٢٣ ..... انتبه!
- ٣٢٣ ..... البدار البدار
- ٣٢٤ ..... الاعتبار بمرور الأيام
- ٣٢٤ ..... لكل وقت عمله
- ٣٢٤ ..... فضل الله بعض الأيام على بعض
- ٣٢٥ ..... احذر هؤلاء
- ٣٢٥ ..... كم عمرك؟
- ٣٢٦ ..... ماذا فعلت لما بعد الموت؟
- ٣٢٦ ..... وقفة
- ٣٢٦ ..... هكذا استغلوا أوقاتهم
- ٣٢٧ ..... تربية الأبناء
- ٣٢٨ ..... أنت والمصحف

- ٣٢٩ ..... إضاعة الوقت  
٣٣٠ ..... ليس لدي فراغ

### النظام

- ٣٣١ ..... خلية النحل  
٣٣١ ..... النمل  
٣٣٢ ..... الله يحب النظام  
٣٣٢ ..... هجرة الرسول ﷺ  
٣٣٣ ..... في غزوة بدر  
٣٣٤ ..... في غزوة أحد  
٣٣٤ ..... في اليرموك  
٣٣٥ ..... عدم النظام من عوامل الهزيمة  
٣٣٥ ..... نظام أبي بكر  
٣٣٦ ..... الأسقف الأمريكي الذي أسلم بسبب النظام  
٣٣٦ ..... انضباط في المواعيد  
٣٣٧ ..... هكذا كانوا  
٣٣٧ ..... آفات قاتلة للنظام  
٣٣٧ ..... إياك والعقوق!  
٣٣٨ ..... فن الراحة  
٣٣٨ ..... حوار مع لحظة  
٣٣٩ ..... كيف تنظم وقتك  
٣٤٠ ..... نصائح لتنظيم مكان العمل

### نفع الآخرين

- ٣٤١ ..... أحب الناس إلى الله  
٣٤٢ ..... الرسول قدوة

- ٣٤٢ ..... الصديق يحلب للححي
- ٣٤٢ ..... هجرة أبي بكر
- ٣٤٢ ..... لفتات طيبة
- ٣٤٣ ..... فكرة للأستاذ مصطفى أمين حول الأستاذ الهضيبي
- ٣٤٤ ..... من المواقف المؤثرة
- ٣٤٤ ..... كريم رغم الفقر
- ٣٤٥ ..... مساعدة عاجلة

### الخاتمة ويوم القيامة

- ٣٤٧ ..... وفاة الرسول
- ٣٤٧ ..... وفاة أبي بكر الصديق
- ٣٤٧ ..... وفاة عمر بن الخطاب
- ٣٤٧ ..... وفاة عثمان بن عفان
- ٣٤٧ ..... وفاة علي بن أبي طالب
- ٣٤٧ ..... وفاة معاوية بن أبي سفيان
- ٣٤٧ ..... وفاة معاذ بن جبل
- ٣٤٨ ..... وفاة بلال بن رباح
- ٣٤٨ ..... وفاة الأصيرم
- ٣٤٨ ..... وفاة سعد بن أبي وقاص
- ٣٤٩ ..... وفاة عروة بن الزبير
- ٣٤٩ ..... وفاة أبي هريرة
- ٣٤٩ ..... وفاة عبد الملك بن مروان
- ٣٤٩ ..... وفاة عمر بن عبد العزيز
- ٣٥٠ ..... وفاة هارون الرشيد
- ٣٥٠ ..... وفاة المأمون

- ٣٥٠ ..... وفاة ابن المنكدر.
- ٣٥٠ ..... وفاة عامر بن عبد القيس.
- ٣٥٠ ..... وفاة الجنيد.
- ٣٥١ ..... وفاة أحد التابعين.
- ٣٥١ ..... أحس باقتراب أجله.
- ٣٥٢ ..... وفاة محمد بن واسع.
- ٣٥٢ ..... خاتمة الصالحين.
- ٣٥٤ ..... سوء الخاتمة.
- ٣٥٤ ..... وفاة مرتد.
- ٣٥٥ ..... خاتمة عبید الله بن جحش.
- ٣٥٥ ..... وفاة العصاة.
- ٣٥٥ ..... وفاة الزناة.
- ٣٥٨ ..... وفاة أليمة.
- ٣٥٨ ..... وفاة مدخن.
- ٣٥٨ ..... وفاة المفسدين.
- ٣٥٩ ..... أي موته هذه؟
- ٣٥٩ ..... وجهه أسود.
- ٣٥٩ ..... وفاة تارك الصلاة.
- ٣٦١ ..... وفاة أثناء سماع الأغاني.
- ٣٦١ ..... وفاة في سجدة باطلة.
- ٣٦١ ..... وفاة في المرقص.
- ٣٦٢ ..... سوء خاتمة رجل عاص.
- ٣٦٢ ..... نعوذ بالله من سوء الخاتمة.
- ٣٦٣ ..... عاقبة تأخير الصلاة.

٣٦٣	..... أهوال يوم القيامة
٣٦٤	..... أرض المحشر
٣٦٥	..... الحساب
٣٦٥	..... الميزان
٣٦٥	..... الصراط
٣٦٧	..... المراجع
٣٧٩	..... الفهرس



